

اللمعة البيضاء

في شرح خطبة الزهراءؑ

تأليف

المولانا محمد علي بن أحمد القراجه داني

القبريزي الأنصاري

توفي ١٣١٠ هـ

تحقيق

السيد هاشم الميلافي

دار التبليغ الإسلامي

اللمعة البيضاء
في شرح خطبة الزهراء عليها السلام

تأليف
المولّ محمد علي بن أحمد القراجه داغي
التبريزي الأنصاري

توفي ١٣١٠ هـ. ق

تحقيق
السيد هاشم الميلاني

دار التبليغ الإسلامي



اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام

تأليف: محمد علي بن احمد، قراچه داغي

تحقيق: السيد هاشم الميلاني

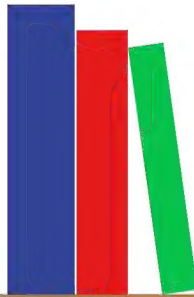
الطبعة: الثانية

سنة النشر: ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

دار التبليغ الإسلامي

العنوان: بيروت - حارة حريك شارع دكاش بناية الحسين

تلفون: ٠٠٩٦١١٢٧١٩٠٨



مكتبة
مؤمن قريش

هو وضعه في هذه المكتبة مع العلم ان هذا الكتاب
في اللغة الاخرى الرجوع اليه
(الكتاب السابق)

moamenquraish.blogspot.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لمحة عن حياة المؤلف

إسمه ونسبه:

هو المولى محمد عليّ بن أحمد الاونساري القراچه داغي التبريزي الأنصاري*، فقيه متبحّر، وعالم بارع، وله مقام منيع ويد طولى في شتى العلوم الدينيّة، والأونسار - بالواو والنون والسين - من قرى قراچه داغ في تبريز.

حياته العلمية:

خرج المؤلف (رحمه الله) إلى العراق، وأخذ في النجف عن الشيخ مرتضى الأنصاري أصولاً، وعن الشيخ مهدي الجعفري فقهاً ويروي عنه بالإجازة^(١). ثم رجع إلى إيران وذهب إلى زيارة مولانا عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) بعد سنة ١٣٠٠ هـ، فطلب منه الميرزا عبد الوهاب آصف الدولة حاكم خراسان البقاء هناك لترويج الشريعة ونظم أمور الأُمّة، فلبّى المترجم له ذلك الطلب وقطن بها زماناً.

(*) وجدنا هذا اللقب في مقدمة كتاب اللعة البيضاء حيث قال المؤلف (رحمه الله): (فيقول المحتاج إلى لطف ربه الباري ابن أحمد محمد عليّ الحافظ الأنصاري) ووجدناه أيضاً في بعض المعاجم. لكن اعتقد صاحب مفاخر آذربايجان أن هذا اللقب تصحيف (الاونساري)، والله العالم.

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٥، معجم المؤلفين ١١: ٣٥، مفاخر آذربايجان ١: ١٧٦.

ثم هبط طهران وتصدّر للتدريس في مدرسة سيهسالار مدّة، تلمذ عليه خلالها كثيرون، ثم طلبه أهل تبريز فرجع إليهم وظلّ قائماً بالوظائف الشرعيّة من تدريس وإمامة ووعظ وتأليف.

ومن تلاميذه في تبريز العلامة السيد ميرزا باقر القاضي الطباطبائي، كما ذكره ولده السيد محمد عليّ (الطباطبائي) في كتابه حديقة الصالحين^(١).

أقوال أصحاب التراجم في حقّه:

قال في نقباء البشر: هو الشيخ محمد عليّ بن أحمد الأونساري القراجه داغي التبريزي فقيه متبحر، وعالم بارع^(٢).

وقال محمد حسن خان اعتماد السلطنة في المآثر والآثار: الحاج ميرزا محمد عليّ القراجه داغي من أجلة المجتهدين ومروجي الشريعة والدين، له مقام منيع ورتبة رفيعة في الفقه، والأصول، والأخبار، والعلوم العربية، والفنون الأدبية، وله تصانيف فيها غالباً^(٣).

وقال صاحب معجم المؤلفين: آية الله الشيخ محمد عليّ القراجه داغي فقيه، أصولي، متكلم، مفسّر، عروضي، عارف باللغة العربية^(٤).

وقال صاحب ريحانة الأدب: من علماء آذربايجان، وله باع في الفقه، والأصول، والحديث، والرجال، والعلوم العربية، والفنون الأدبية، وتأليفاته خير دليل على مرتبته العلميّة^(٥).

وقال السيد محمد مهدي الإصفهاني الكاظمي في أحسن الوديعه (تتميم روضات الجنات): كان (رحمه الله) عالماً، فاضلاً، ثقة، عارفاً، عابداً، زاهداً،

(١) نقباء البشر ٤: ١٣٤١ رقم ١٨٧٠، المآثر والآثار: ١٧٥، العلماء المعاصرين للخياباني: ٣٤٣.

(٢) نقباء البشر ٤: ١٣٤١ رقم ١٨٧٠.

(٣) المآثر والآثار: ١٧٥، العلماء المعاصرين: ٣٤٣.

(٤) معجم المؤلفين ١١: ٣٥، مفاخر آذربايجان ١: ١٧٦.

(٥) ريحانة الأدب ٣: ٤٣٨، مفاخر آذربايجان ١: ١٧٧.

رئيساً مشاراً إليه، نافذ الكلمة، وكان للعلوم جامعاً، وفي فنونها بارعاً، وكانت له اليد الطولى في معرفة الأدب، والباع الممتد في حفظ لغات العرب، وكان عارفاً بالتفسير والحديث والرجال، وبالجملّة كان أحد الأئمة الأعلام المجتهدين، وركن العلماء العاملين، بل إمام دهره بلا مدافعة، وفقيه عصره بلا منازعة، اشتهر اسمه السامي فملاً الأقطار والأصقاع، وشاع ذكره في جميع الديار والبقاع، رحلت الطلبة من قرى تبريز إليه وحضروا عليه^(١).

أولاده وذرائعه:

خلف المؤلف (رحمه الله) ولدين فاضلين هما الميرزا أحمد، والميرزا محمود^(٢).

قال الملاء عليّ الواعظ الخياباني التبريزي في العلماء المعاصرين: كان [الميرزا أحمد] من أعظم علماء عصره، وأفخم مجتهد في وقته، جامع المآثر الفاضلة، وصاحب المفاخر العالية، وكان له حظ كامل في المعقول والمنقول، وإطلاع واسع في الحديث والتفسير والفنون الأدبية، وقلّ نظيره في قوّة العقل، وسعة الخلق، وصفاء النظر، ولطف القريحة.

وكان له في تبريز مدة طويلة منصب القضاء والمحاكمة والأمور الشرعية، ولم يعترض عليه ولم يردّه في أمر أحد من العلماء المعاصرين، ولي إجازة منه ذكرتها في كتاب وقايح الأيام^(٣).

آثاره وتأليفاته:

للمؤلف (رحمه الله) آثار وتأليفات كثيرة تكشف عن مدى تسلّطه وإطلاعه بالنسبة إلى العلوم المختلفة، وقلّ علم من العلوم لم يألف فيه كتاباً، فإنّه كتب كتباً

(١) أحسن الوديعه ٢: ٧٢، مفاخر آذربايجان ١: ١٧٥.

(٢) نقباء البشر ٤: ١٣٤١ رقم ١٨٧٠.

(٣) العلماء المعاصرين: ٣٤٥.

ورسائل وشروحاً في الفقه، والأصول، والمنطق، والتفسير، والحديث، وأصول الدين، وغيرها، فنحن نذكر ما عثرنا عليه في كتب التراجم:

١ - اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء (عليها السلام): ولقد فرغ منه في سنة (١٢٨٦) هـ، وطبع بايران عام (١٢٩٧) هـ، وهو هذا الكتاب الذي بين يديك، كتاب فريد في نوعه يعرب عن سعة اطلاع المؤلف باللغة العربية والفنون الأدبية، وهو كتاب جامع لكثير من فضائلها (عليها السلام) معتمداً على المصادر الخاصة والعامة، وقد شرح الخطبة الشريفة شرحاً لغوياً، ثم أورد بعده بحثاً مفصلاً حول غصب فذك، ورد فيه شبه وشكوك المبطلين.

قال صاحب الذريعة: وصدر الكتاب بشرط واف من مناقبها وفضائلها وأحوالها وما يتعلق بها من ذكر أدعيتها وأحرازها وعدد أولادها^(١).

وقال هو (رحمه الله) في مقدمة الكتاب: اعلم ان هذه الخطبة الغراء، والذرة البيضاء، خطبة في نهاية الفصاحة، وغاية البلاغة من حيث عذوبة ألفاظها الكافية، ومضامينها الشافية، وجزالة معانيها الوافية، مع ما عليها من البهاء والجلالة، والرواء والديباجة، بحيث لو خطب بها الجبال الشامخة لرأيته خاشعة متصدعة، وإن لم تؤثر في تلك القلوب القاسية التي كانت كالحجارة أو أشد قسوة، وهي كلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق....، ونسبتها إلى سائر الكلمات الفصيحة نسبة الكواكب المنيرة الفلكية إلى الحجارة المظلمة الأرضية، وعليها مسحة من نور النبوة، وعبرة من أرج الرسالة، وحق لها أن تكون بهذه المثابة فإن متاع البيت يشبه صاحبه، والأثر يشبه مؤثره، فإنها صادرة من بضعة الرسول، سلالة النبوة، وعصارة الفتوة، الصديقة الكبرى، والإنسية الحوراء، مشكاة الضياء، أم الأئمة النقباء النجباء، سيدة النساء فاطمة الزهراء صلوات الله عليها.

٢ - تفسير القراچه داغي^(٢).

(١) الذريعة ١٨: ٣٥٠.

(٢) الذريعة ٤: ٢٠١.

٣- تفسير سورة (يس): قال صاحب الذريعة: رأيتُه ضمن مجموعة في مكتبة السيد عبد الحسين الحجة بكر بلاء، ذكر في أوله أنه كان مولعاً بعلم التفسير، وعزم على تصنيف كتاب في التفسير، فبدأ بتفسير سورة (يس) لأنها كانت قلب القرآن، وجعله في جزء مستقل، وعزم على أنه إن سَهَّلَ الله له تأليف التفسير أن يجعله من أجزائه^(١).

٤- شرح صيغ العقود: فارسي مع بيان وتحقيق، فرغ منه في ثامن ذي القعدة ١٢٨٨، وهو مطبوع متداول مع متنه الفارسي^(٢).

٥- الصراط المستقيم في شرح الأربعين حديثاً في فضائل أمير المؤمنين، (عليه السلام) طبع عام (١٣٠٠) وهو شرح فارسي^(٣).

٦- رسالة في العروض والقافية، قال صاحب الذريعة: فارسية رأيتها في مكتبة الخوانساري^(٤).

٧- الفتوحات الرضوية في الأحكام الفقهية الاستدلالية^(٥).

٨- فضائل قم.

٩- رسالة في فضل المساجد مطلقاً وخصوص مسجد إستاند شاگرد في تبريز.

١٠- رسالة في الطينة وشرح أخبارها: قال صاحب الذريعة: أولها (الحمد لله على آلائه ونواله، والشكر على نعمه وإفضاله) رأيت نسخة كتابتها ٢ شعبان ١٢٨٧ في مجموعة وفيها تفسير سورة يس أيضاً^(٦).

١١- التحفة المحمدية في علم العربية، تقرب من ثمانين ألف بيت^(٧).

(١) الذريعة ٤: ٣٤٤، أحسن الوديعه ٢: ٧٣.

(٢) الذريعة ١٣: ٣٦٣، أحسن الوديعه ٢: ٧٣.

(٣) الذريعة ١٥: ٣٦.

(٤) الذريعة ١٥: ٢٥٩.

(٥) الذريعة ١٦: ١١٦.

(٦) الذريعة ١٥: ١٩٧.

(٧) الذريعة ٣: ٤٦٧.

- ١٢ - حاشية على شرح اللمعة^(١).
- ١٣ - حاشية على القوانين^(٢).
- ١٤ - حواشي على الرسائل للشيخ الأنصاري (رحمه الله)^(٣).
- ١٥ - حواشي على الرياض للسيد علي الطباطبائي^(٤).
- ١٦ - حواشي على الفصول في علم الأصول^(٥).
- ١٧ - رسالة في أسرار الحج^(٦).
- ١٨ - رسالة في الأمرين^(٧).
- ١٩ - رسالة في مناسك الحج^(٨).
- ٢٠ - الرسالة التمرينية في المنطق.
- ٢١ - الأصول المهمة في أصول الدين.
- ٢٢ - زين المعابد^(٩).
- ٢٣ - كتاب الأربعين المشتمل على المدائح والنصائح.

شعره وأدبه:

كان المؤلف (رحمه الله) متسلطاً على اللغة العربية والفنون الأدبية، وله قصيدة طويلة لطيفة حينما هاجر النجف الأشرف قاصداً الروضة الرضوية، ذكرت في آخر كتاب اللمعة البيضاء، نوردها هنا تكميلاً للفائدة، قال (رحمه الله):

يا نجفاً هجرتُ عنه بالجفا	خرجتُ منك مُكرهاً لا بالرضا
يا حبذا أيّامنا التي مضتْ	فيك وهل يرجع يومٌ قد مضى
سموتَ يا خيرَ البقاع مسكناً	من الثرى إلى السماوات العلى
يَغْبِطُكَ السبع الشداد دائماً	لأنّ فيك الحق بالعرش استوى
أتى إليك المجد طرّاً إذ أتى	إليك مَنْ أتى عليه هل أتى

(١ و ٢) أعيان الشيعة ١٠: ٥، العلماء المعاصرين: ٣٤٤.

(٣-٨) العلماء المعاصرين: ٣٤٤، مفاخر آذربايجان ١: ١٧٥.

(٩) نقيباء البشر ٤: ١٣٤١.

الْخَلْقُ لَكِي يُعْرِفْ بَعْدَمَا اخْتَفَى
 طُوبَى فَطُوبَى لَكَ يَا وَادِي طُوبَى
 أَتَاكَ مُوسَى رَاجِئاً مِنْكَ الْهُدَى
 كَأَنَّهُ الثَّعْبَانِ حَيْثَمَا رَمَى
 سَكَّانَ بَابِكَ الْمَنِيْعِ وَالتَّجَى
 لَمَّا طَمَأ^(١) حَذَارَ طُوفَانِ الْبَلَا
 ضَيْغُمُ آجَامِ الْقَضَاءِ وَالْمَضَا
 أَنْتَ مِنَ الْعُقُولِ أَعْلَى مُرْتَقَى
 يَا مَعْدِنَ الْخَيْرِ لِكُلِّ مُهْتَدَى
 يَا خَيْرَ كُلِّ مَبْدَأٍ وَمُنْتَهَى
 يَا مَبْدَأَ الْفَيْضِ لِكُلِّ مَا سَوَى
 بِسَعْمَلٍ يَفْعَلُ سَيْراً وَسُرَى
 ذُرْوَةَ عَرْشِ اللَّهِ مَجْدِداً وَعُلَى
 تُرْبَةِ مَوْلَايَ مَعِينِ الضَّعْفَا
 طُوسَ بِسْمِ مَنْقَعِ عَلَى الْحَشَا
 الْحَقِّ وَيَا قَبْلَةَ أَرْبَابِ النُّهَى
 فَالْحَقِّ مِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ أَنْتَهَى
 يَا طُوسَ يَا مَشْهَدَ مَوْلَايَ الرِّضَا
 مَضَى بِقَلْبِي الْمَبْتَلَى إِذْ وَمَضَا
 شَعْلَةُ نَارٍ مِنْهُ فِي جَوْ الْفَضَا
 إِشْتَعَلَتْ مِنْهُ بِهِ نَارَ الْغَضَا
 فُقْتُ عَلَى جَمْلَةِ أَطْبَاقِ السَّمَا
 مِنْ أَمْلِي فِيكَ بِتَقْبِيلِ الذَّرَى

شُرِّفْتَ بِالْكَزْرِ الَّذِي قَدْ خُلِقَ
 فِيكَ أَنْجَلَى نَوْرِ الْإِلَهِ زَاهِرَاً
 يَا أَيُّهَا الْوَادِي الْمَقْدَسُ الَّذِي
 ثُمَّ انْشَى فِي يَدِهِ الْبَيْضَا عَصَا
 يَا أَيُّهَا الْفَلَكُ الَّذِي لَجَا إِلَى
 نُوحِ النَّبِيِّ إِذَا ارْتَمَى الْمَاءُ حَوْلَهُ
 فِيكَ انْزَوَى يَا كَهْفَ كُلِّ عَاجِزٍ
 لَا يَرْتَقِي الْعَقْلُ إِلَيْكَ حَيْثَمَا
 يَا مَنَبِعَ الْجُودِ لِكُلِّ مُجْتَدٍ
 مِنْكَ بُدِثْنَا وَإِلَيْكَ نَنْتَهِي
 إِنْ ذَكَرَ الْخَيْرَ فَفِيكَ كُلُّهُ
 سَأَرْكُبُ الْبَيْدَ وَأَطْوِي مَتْنَهَا
 إِلَى جَنَابِكَ الَّذِي عَلَا إِلَى
 مَا عَاقَنِي الْيَوْمَ سَوَى قَصْدِي إِلَى
 عَلِيِّ الرِّضَا الَّذِي اسْتَشْهَدَ فِي
 وَجْهَتْ وَجْهِي لَكُمْ يَا وَجْهَةً
 أَوْجُّهُ الْوَجْهَ إِلَيْكُمْ أَبَدَاً
 لَقَدْ بَرَى شَوْقِي إِلَيْكَ أَعْظَمَى
 وَكَلَّمَا أَوْمَضَ بَرْقٌ وَمَضَى
 نَحْوَ سَنَابِدٍ إِذَا مَا قَدْ سَنَى
 ذَابَ فُؤَادِي مِنْ جَوَى شَوْقِكَ إِذْ
 لَقَدْ حَوَيْتَ جَوْهَرَ الْمَجْدِ وَقَدْ
 وَإِنْ حُرِمْتُ زَمْنًا يَا أَمْلِي

(١) طَمَأَ الْمَاءُ يَطْمُو: إِرْتَفَعَ وَعَلَا وَمَلَأَ النَّهْرُ / لِسَانُ الْعَرَبِ.

جرى على خلاف قصدي واعتدى
 من الخطوب الحادثات في النوى
 جرى عليّ ما جرى من العدى
 منّي ما أدركه ذووا التقى
 ولوعة تُسعر في نفسي اللظى
 به العقول من فيوضات الهدى
 حتى أجوب جوز تيار الفلا
 معتقلٌ بقيد خطبٍ عَرَضَا
 من فترة في السير توجب الونى
 إليكم أيا ينابيع الندى
 سعى إليه دائماً طول المدى
 أن ليس للإنسان إلا ما سعى
 مراكز المجد وأقطاب العلى
 إليكم الأياب في يوم الجزا
 عشتُ فلا أبالي نأى من نأى
 أعدته لكل خطبٍ قد دهى
 الأطهار يا قرّة عين المرتضى

عليك أزكى الصلوات كلّما

كرّ الجديان ظلاماً وضيّاً

فجار لي صَرَفُ زمان قُلَّبَ
 فقادني مكبلاً بما بدتْ
 بقيتُ في أسوء حالٍ ولقد
 كُنْتُ أحوال أني لم يَفُتْ
 لحسرة بات بقلبي نارها
 يا رَبِّ حسرة حَوَتْ ما لم يُحِطْ
 لا بدياً مولاي من تفضّل
 به إلى فنائكم فإِنِّي
 فليس في نفسي إليكم أبداً
 لعَلَّني أسعى بنور فيضكم
 فإنّ ربي لا يُضيع سَعْيي مَنْ
 وقد أتى على لسان جدّكم
 دارت بكم دوائر الإمكان يا
 أنتم عتادي في معادي حيثما
 كذا إليكم استنادي أينما
 يا خير عدّة لشرّ كربة
 يا سبط ختم الرسل يا نتيجة

وقال (رحمه الله) أيضاً:

إلى الصبح من طوفان أمواج عبرتي
 فوا غرقني إن لم تكن فيه حرقتي
 ويرعدُ صدري من شهيقٍ وزفرةٍ
 من السحب في أقطار تلك البسيطة
 حريقٌ بنارٍ تلتظي حول مهجتي

لقد بات ليلي ساهراً فيه مقلتي
 تلهّب وجدي وارتمى مَوْجُها به
 فيصعدُ نارُ القلب كالبرق لامعاً
 فتقطر من عيني الدموع كهاتلٍ
 فجسمي غريق في الدموع وآته

فواعجبا من حال نفسي فإتني
 يذوب فؤادي من جوى الحب والهوى
 أذاب سويدا مهجتي فتحوّلت
 إذا ما تجلّى وانجلي ضوء وجهه
 وبالي في البلبال بالٍ وأنني
 فطوبى لحالي حيثما هدّني الهوى
 فوا أسفا إن لم أكن منه في الجوى
 أرى وجهه من كلّ شيء كأنما
 أراه بعيني كلّ حين ولا أرى
 أرى كلّ ما في الكون مرآة وجهه
 نسيّت هواه في الهوى حيث أنّه
 ولا بد من رفع الحواجب كلّها
 وقد عميت عين ترى غيره ولا
 أراه بعين الحب في كلّ مشهد
 تعالى عن التشبيه والوصف جلّ مَنْ
 عليّ بن موسى فائض الجود والندى
 سرى فيضه الجاري إلى جملة الورى
 أحاط بما في الكون حيطة مالك
 يدور رحي الأكوان من فيض كونه
 وليس قضاء غير ما قد قضى به
 يطيع له الأقدار في كلّ ما يشاء
 ترى جملة الأكوان طوع يمينه
 ولو شاء طيّ العرش والفرش والثرى
 ولو قال للأشياء كوني تكوّنت
 تجلّى به النور القديم وأنّه

غريق حريق كلّ آن ولحظة
 ويزدرف دمعى قطرة بعد قطرة
 دموعاً ترى اسكوبها فوق وجنتي
 تحوّل يومي مظلماً مثل ليلتي
 قتيل بسيف الحب في كلّ حالة
 وأهوى ببالي ذرة بعد ذرة
 ووا حسرتا إن لم يكن فيه حسرتي
 تمثّل لي محياه في كلّ صورة
 سوى وجهه في كلّ مطمح رؤيتي
 فلم أر شيئاً غيره في الخليقة
 حجاب عظيم عند أهل المحبة
 ليبصر مرآه بعين البصيرة
 ترى وجهه الوضاح في كلّ وجهة
 عياناً فيا طوبى لعين الأحبة
 براه فأبدي فضله للبرية
 على كلّ موجودٍ بفاضل طينة
 ولم يخل منه ذرة تحت ذرة
 له بسطة في ملكه كلّ بسطة
 وحاشاه عن إمكان شوب النقيصة
 قضاء فيا طوبى لتلك الفضيلة
 إذا شاء إمضاء لحكم المشيئة
 يدبّر فيها الأمر في كلّ لمحة
 طواها كطيّ السجل في لمح طرفه
 ولو قال لا عادت كما هي كانت
 لنور قديم حادث بالإرادة

وجوداً سواء في الوجود ولو ترى
 تجوهر منه نور كل خليفة
 تراه بعين الحق في كل طرفه
 عن الوهم أو إدراكه بالمظنة
 فيحدثه فيها بمحض المشيئة
 فيُضدِّرُ فيهم حكم كل قضية
 يدُ الله في إجراء كل حكومة
 ويكبر عن تشبيهه بالصنعة
 فيا خير مصنوع ويا خير صنعة
 فيا شرفاً أوفى لكل مزية
 لإنفاذ أمر الله في كل بقعة
 كمشكاة زيت نير في الزجاج
 يُضيء سناها مثل نجم الدجية
 سوى نوره في كل كور ودورة
 رأتَه كآلٍ أو سرابٍ بقية
 وفاضت عليها دفعة بعد دفعة
 سوى قطرة أو ديمة بل كرشحة
 له النقص حتى مثل مثقال ذرة
 فيا خير بدءٍ مثل خير نهاية
 البرية في بيداء غي الضلالة
 إليها فيا طوبى لأهل السفينة
 شهيدٌ بها في دار ذلٍ وغربة
 بأرضك هذا اليوم ما دار كربة
 على كبدٍ حرّاءٍ قد نضيجة
 فيا خير بطنٍ مسّه خير تربة

وليس سواء في الوجود ولو ترى
 هو الدرّة البيضاء والجوهر الذي
 ألا كلّ شيءٍ لك غير وجهه
 هو الملاً الأعلى تعالى جلاله
 يصوّر في الأرحام ما شاء خلقه
 إليه إيّاب الخلق ثم حسابهم
 على طبق ما شاء الإله فإنّه
 يجلّ عن الإمكان كنه جلاله
 صنيعه باري الخلق والخلق صنعه
 له المثل الأعلى له المجد والعلى
 تطائر أملاك السماء بأمره
 هو الجوهر القدسي يلمع نوره
 يكادُ ولو لم يمسس النار فتلّها
 بدا نوره من كلّ شيء فلا ترى
 إذا نظرت عينٌ إلى غير نوره
 وقد ملأ الأكوان آثار فيضه
 وليس جميع الكون من سحب جوده
 ولو جاد بالأضعاف منه لَمَا طرى
 إليه انتهاء الكون مثل ابتدائه
 إمام هدى تسري بنور ولائه
 سفينة نوح قد نجا كلّ من أتى
 إمام بأرض الطوس مثواه أنّه
 أيا قبر طوس كيف بالله حاله
 وأحشاؤه مسمومة يلتوي بها
 ويُزعمُ فوق التراب أطراف بطنه

يضجّ ويشكو من جوى كان في الحشا
فواعجبا من صانع قد أباده
تطاول للمولى الرعية واعتلى
رماه بسهم قد براه بصنعه
وما ذاك إلا أن للحق دولة
كما قد قضى بالظلم والجور قبلة
تجول عليه الصافنات فياله
وتلقي عليه السافيات رداء
وقد كان مسلوب العمامة والرداء
مقطعة الأوداج مذبوحة القفا
تنوح عليه الطير والوحش في الفلا
وتذري عيون الأنجم الزهر دمعها
تجود عليه وهي تنظر حاله
تقاطر نحو الأرض من كل جانب
ترى أهله يقتادهم كل مشرك
فيالهف نفسي للحسين وقد غدا
أحاط به الأخطا من كل جانب
يريدونه بالقتل وهو مجدل
لقد وقعت في الدين من أمر قتله
مصاب جليل هدم العرش والثرى
بكته جلايد الصخور وما بكت
وإنني لأبكي حسرة بعد حسرة
لأجل مصاب صب آل محمد
وما أنس لا أنس الحسين وقد غدا
طريحا جديلا في العرى لا ترى له

محيطاً به أنواع ذلّ ومحنة
صنيع له يا سوء تلك الصنيعة
عليه بما أتاه من سوء فطرة
فأهدف باريه لقبح السريرة
يُدال إليها كل باطل دولة
حسين شهيداً في هوان وذلة
مصاباً عظيماً فاق كل مصيبة
لها من رمال الطفّ طاقات لحم
طريحا بأرض الطفّ في سوء صرعة
مجرحة الأعضاء تحت الأستة
وتبكي عليه سكانات البرية
على جسمه في كل يوم وليلة
صباح مساء من سواكب عبرة
بدمع يضاهاى الوبل حال إنصابة
أسارى سبايا مثل روم ونوبة
صريحاً على وجه الثرى نحو رمية
تقوم إليه زمرة بعد زمرة
ينادي ألا يا قوم هل من حمية
بأيدي عداه ثلثة بعد ثلثة
وخطب عظيم فوق كل عظمة
قلوب أعادييه لشدة قسوة
وأذري دموعي قطرة بعد قطرة
خصوصاً حسيناً دفعة بعد دفعة
وحيداً بأرض الطفّ طفّ بليّة
أنيساً سوى رمي وطعن وضربة

حواسر يلطمن الوجوه بندبة
 ضجيج يريدون الخيام لغادة
 ويدعون ويلاً في ثبور وكربة
 تراه بهذي الحال في كل حالة
 يدبر فيه الأمر تدبير حكمة
 مليكاً عزيزاً قادراً كل قدرة
 على كل ذي علياء تحت المشية
 رماه شقي القوم من قوس قسوة
 فزلزل منها العرش زلزال رعدة
 فحلت عرى أركانه المشمخرة
 قوائمه من سيف عاقر ناقة
 شقيق قدار في رضاعة شقوة
 إليه رسول الموت في سوء حالة
 بأحرر قان سائل فوق وجنة
 وعاد صلاة الصبح في جوف ظلمة
 صوائح تتلوها نوائح نسوة
 انيطت عليها بل جميع الخليفة
 كليله ديجور بتلك الصبيحة
 صبيحتهم ظلماء مثل الدجبة
 وتدعو ثبوراً في عويل وكربة
 تزلزلت الأكوام منها بجملته
 على الدهر هذا الصوت من كل جهة
 كهاطل غيم ممطر يوم ظلة
 لمنزّل سوء عند أهل البصرة

ولم يبق فيها ناصر عنده سوى
 يصحن وللأعداء حول خبائه
 بنات رسول الله يضرعن للعدى
 كذلك حال الدهر يا ويل حاله
 لقد حال من تصرفه حال مالك
 يُصرّفه طبق الإرادة ياله
 عليّ أمير المؤمنين الذي علا
 فلما أراد الله قرب لقائه
 بضربة سيف شق رأس العلى بها
 وكيف وقد خرت معاقده عزّه
 تزلزل عرش الحق لما تقطعت
 حسام سقاء السم من نسل ملجم
 فجذل مغشياً عليه وقد أتى
 وخضب في المحراب بيضاء شبيهه
 فصار عمود الدين منشقة العصا
 بكته طوير الدار قبل خروجه
 بل الدار والأبواب والحلق التي
 فقد ضجت الأكوام واسود جوها
 تضايح أملاك السماء وأصبحت
 تنوح بأعلى الصوت في ملكوتها
 وصاح أمين الوحي جبريل صيحة
 فصاحوا جميعاً واعلياه والتوى
 فأقبل أهل البيت يبكون حوله
 فيادهر لا سقياً لربعك إنه

ولا ضَجِكْتُ سِنَّ الزَّمانِ فأنَّهُ
لآلَ رسولِ اللَّهِ من بدءِ أمرِهِ
عليهِمُ سلامُ الحقِّ مادامَ حَقُّهُمُ
وصلَّى عليهمُ كلِّما فاضَ جودُهُمُ
وفاته:

لقد قضى المؤلف (رحمه الله) عمره الشريف في نشر أحكام الدين، وترويج المذهب الحق، فألف وكتب ونشر ودرّس كلّ ذلك لأجل إحياء أمر أهل البيت (عليهم السلام)، ونشر فضائلهم ومناقبهم، إلى أن أجاب داعي ربّه في يوم الجمعة ثاني ربيع الثاني سنة (١٣١٠ هـ) (١)، ولم أعر في كتب التراجم على مدفنه، والظاهر أنّه دفن في آذربايجان لأنّه كان مقيماً فيها في آخر عمره، والله العالم.

منهج التحقيق:

إعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب الشريف على نسخة حجرية طبعت في تبريز بتصحيح المؤلف (رحمه الله) وكتابة محمد هاشم في عام (١٢٩٨).

وحاولنا تخريج الأحاديث من مصادر الخاصة والعامة حسب الإمكان، وبذلنا الجهد في ضبط إعراب الخطبة الشريفة، وشرحنا بعض الكلمات المبهمة، ولا يفوتني في الختام أن أقدم شكري الجزيل لسماحة العلامة المحقق الأستاذ السيد محمد رضا الحسيني الجلاّلي حيث ساعدنا كثيراً في ضبط الكلمات المغلوطة أو غير المقروءة، فله سهم كبير وجهد مشكور في إنجاز هذا العمل، فتقبل الله منّا ومنه ووفقنا جميعاً لما يحب ويرضى.

وهذا الكتاب هو أوّل إصدارٍ لدار فاطمة عليها السلام للتحقيق، فوفقهم الله وسدّدهم.

السيد هاشم الميلاني

١٤١٨ هـ ق صفر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أقام أعلام الهدى، ونصب رايات التقى، ولم يترك عباده هملأً وسدى، الذي فطرهم على معرفته، وألهمهم بعبادته، وندبهم الى طاعته، خلق الانسان علّمه البيان، وأودع فيه سرّ العلم والعرفان، ونور الحكمة والايقان. الفرد البديع، الملك المنيع، ذو العرش الرفيع، والكرسيّ الواسع، الذي خلق من كلّ شيء زوجين اثنين، وأدرج سرّ الوجدانية في البين، فمشج بين هذين^(١)، ومزج الأمرين، ومرج البحرين مع برزخ بينهما لا يبغيان، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان.

والصلاة والسلام على مظهر الايمان، وسيد الانس والجآن، الذي نزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً، فجعله مشكاة علمه، وزجاجة هدايته، ومصباح رحمته.

وهو أصل الأصول، وقطب الأقطاب، ومبدأ النزول، ومنتهى الأياب، أسّ الوجود، وفصّ خاتم الموجود، صاحب أذيال الكرم والجود، وصاحب لواء الحمد والمقام المحمود، ثم على آية قدرته، وباب علمه، ومفتاح حكمته، ام الكتاب، وباب الأبواب، وفصل الخطاب، وميزان الحساب، تمام الفيض والجود، وجهة العابد وجهة المعبود، ومفتاح الغيب ومصباح الشهود، على رغم العدو الكنود.

(١) المشجّ والمشجّ والمشجّ والمشجّ: كلّ لونين اختاطا، وقيل: هو كلّ شيئين مختلطين / لسان العرب.

وعلى سائر خزنة الوحي وحفظته، وأمنة الذكر وتراجمته، والأئمة الدعاة الى جنته، والقادة الهداة الى رحمته، الأطياب الأنجاب الذين اليهم الاياب وعليهم الحساب، حبهم الايمان، ومعرفتهم الأمان، وموالاتهم الجنان، ومعاداتهم النيران، من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، ومن أحبهم فقد أحب الله، ومن أبغضهم فقد أبغض الله، صلى الله عليهم ما دام الفلك الدوّار، والليل والنهار، والظلم والأنوار.

وبعد: فيقول المحتاج الى لطف ربّه الباري، ابن احمد محمد عليّ الحافظ الأنصاري، أوتي كتابه بيميناه، وجعل عقباه خيراً من أولاه: انّ حضرة الجناب العالي الشأن، والنواب الوثيق الأركان، والحصن المنيع البنيان، زينة الزمان وحلية الدوران، وفجر النور إذا استبان، باسط العدل والاحسان، ماهد الأمن والأمان، حامي حوزة الاسلام، ودافع معرّة الأيّام، ملجأ الأنام، ومرجع الخواص والعوام، ذو القوّة القاهرة، والهيبة الباهرة، قوام الدولة العليّة العالية، ونظام الملة البهيّة الباهية، كعبة الأمانى والآمال، كريم الأقوال والأعمال والأحوال، الفيض الجاري في عالم الطين، وسلالة طين السلاطين، وقد قلت فيه:

مؤيّد الملة البيضاء والدين ذاماء فيض جرى في عالم الطين
مهذبّ طيّب طابت ارومته سلالة الطين من طين السلاطين
المؤيّد بالتأييدات الربانيّة، والمسدد بالتسديدات السبحانيّة، الجناب الأعظم المعلى، والنواب الأشرف الأعلى، مؤيّد الدولة والملة، أدام الله تأييده وامداده، وأوصله بما أحبّه وأراد، وختم له بالخير والسعادة، وأصلح معاشه ومعاده، رحم الله من قال آمين فانّ في ذلك صلاح الدنيا والدين.

قد أمر داعيه بالاخلاص والارادة أن يكتب شرحاً للخطبة الشريفة المنيفة، الصادرة من المصدر الأعلى تبارك وتعالى، أعني الدرّة البيضاء، والانسيّة الحوراء، صلوات الله وسلامه عليها وعلى أبيها وزوجها وبنيتها، في مقام التظلم

والشكاية عن الخلفاء، وغصبتهم لفدك والحوالي عنها بعد وفاة أبيها، شرحاً يوضح مغلقاتها، ويكشف معضلاتها، مبيّناً لمبهماتهما، مفصّلاً لمجملاتها، موضحاً لبعض ما يحتاج الى الايضاح من ألفاظها، ومبيّناً لبعض ما يقتضيه الحال من باطنها وتأويلها، بياناً مشتملاً على نوع من التحقيق، وشرحاً على طور التعمق والتدقيق بقدر ما يقتضيه المقام والحال، ويساعد عليه المجال.

وأني وإن لم أكن من فرسان هذا الميدان وأهل هذا الشأن، لتراكم أمواج الفتن والحدثان، حتى كنت مدةً مدّيدة من الزمان نسج عليّ عناكب^(١) النسيان، ولم يكن لي وجدان من جهة اختلال حال الزمان والاخوان، إلا أن توجّهه العالي رفع الموانع والأستار، ودفع عني واردات الهموم والأكدار.

فقمّت على ساق الامتثال مع ما عليّ من دواعي الأشغال والاشتغال، فأتيّت على سبيل العجالة بما تيسّر لي من تلك المقالة مع قلّة البضاعة في هذه الحالة، وكثرة الاضاعة، وقلت: أيّها العزيز مسّن وأهلنا الضرّ، وجئنا ببضاعة مزجاة، فألحظها بعين الرضا، وتلقّاها بيد القبول والارتضاء، فإن الهدايا على قدر مُهديها، وأسأل الله أن يعصمنا من الزلل والخطل^(٢) في القول والعمل.

أقول وبالله التوفيق وهو الهادي الى سواء الطريق:

اعلم أنّ هذه الخطبة الغرّاء، والدرّة البيضاء، خطبة في نهاية الفصاحة وغاية البلاغة، من حيث عذوبة ألفاظها الكافية، وغرابة مضامينها الشافية، وجزالة معانيها الوافية مع ما عليها من البهاء والجلالة، والرواء والديباجة، بحيث لو خوطب بها الجبال الشامخة لرأيته خاشعة متصدّعة، وإن لم تؤثر في تلك القلوب القاسية التي كانت كالبحارة أو أشدّ قسوة.

وهي كلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، وهي موضع المثل: (في

(١) عناكب: جمع العنكبوت / لسان العرب.

(٢) الخطل: خفة وسرعة، خطِلَ خطلاً فهو خطِلٌ وأخطل. والخاقل: الأحمق القليل / لسان العرب.

شجرة نار، واستمجد المَرْخ والعَفار^(١)، ونسبتها الى سائر الكلمات الفصيحة نسبة الكواكب المنيرة الفلكية الى الحجارة المظلمة الأرضية، وعليها مسحة من نور النبوة، وعبقة من أرج الرسالة.

وحقُّ لها أن تكون بهذه المثابة، فإنّ متاع البيت يشبه صاحبه، والأثر يشابه مؤثره، فإنّها صادرة من بضعة الرسول ...، سلالة النبوة، وعصارة الفتوة، الصديقة الكبرى، والانسية الحوراء، مشكاة الضياء، أم الأئمة النقباء النجباء، سيدة النساء فاطمة الزهراء صلوات الله عليها.

ولابد أولاً من الإشارة الى بعض فضائلها، والتنبيه على نبذة يسيرة من مآثرها، حتى يتبين لأرباب البصر والبصيرة أنّ تلك الخطبة الشريفة من عين صافية غير كدرة، لا يشوبها شبهة عيب، ولا يعترئها وصمة ريب، هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب.

[بعض فضائل خديجة الكبرى]

فنعول: لا يخفى أنّ مصدر هذه الخطبة الغراء هي سيدة النساء، بضعة خير الأنبياء، وزوجة خاتم الأولياء، ومشكاة أنوار أئمة الهدى، البتول العذراء فاطمة الزهراء، وأمّها هي خديجة الكبرى التي هي أشرف أزواج النبي وأفضلها، وفضائلها مشهورة بين أهل الأرض والسماء.

وكفى في فضلها أنّها سيّدة النساء، كما ورد في الأخبار الكثيرة التي تأتي إليها الإشارة أنّ أربعة من النساء سيّدة النساء، إحداهنّ خديجة وهي في مرتبة مريم وآسية، وزاد على كونها سيّدة النساء كونها أمّ سيّدة النساء في الدنيا والاخرة والاولى.

ويدلّ على جلالة شأنها عند الله تعالى ما روي عن الصادق (عليه السّلام) أنّ

(١) المَرْخُ: شجر كثير الوُزّي سريعه، وفي المثل: في كلّ شجرٍ نار واستمجد المرخ والعفار، أي دهننا بكثرة ذلك. واستمجد: استفضل / لسان العرب.

خديجة لما توفت جعلت فاطمة تلوذ برسول الله (صلى الله عليه وآله) وتدور حوله وتسأله وتقول: يا رسول الله أين أمي؟ فجعل النبي (صلى الله عليه وآله) لا يجيبها، فجعلت تدور على من تسأله ورسول الله (صلى الله عليه وآله) ما يدري ما يقول. فنزل جبرئيل (عليه السلام) يقول: إن ربك يأمرك أن تقرأ على فاطمة السلام وتقول لها: أمك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وعمده من ياقوت أحمر، بين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، فقالت فاطمة: إن الله هو السلام ومنه السلام واليه السلام^(١).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) لفاطمة حين كانت منزعة لافتخار عائشة على أمها خديجة، بأنها لم تعرف رجلاً قبل النبي (صلى الله عليه وآله) بخلاف خديجة: يا فاطمة إن بطن أمك كان وعاءاً للأئمة^(٢).

وكان جبرئيل قد أتى من الله تعالى بالسلام الى خديجة مراراً متعددة، وإن الله يقرئها السلام، وكانت خديجة تقول في الجواب: إن الله هو السلام، ومنه السلام، واليه السلام، وعلى جبرئيل السلام^(٣)، علماً منها بأن العلام لا يصح بالنسبة الى الله السلام، فكانت تجيب بما ذكر من الكلام، فانظر الى أدبها التام، وفضلها التمام.

[بعض فضائل الزهراء (عليها السلام)]

وأما فضائل أبيها وبعليها وبنيتها فأجل من أن يحيط بها الأفكار، ويصل اليها الأنظار، وقد امتلأت منها صحائف الأدوار، وصفحات الأكوار، وملأت منها الطوامير والصحف والأساطير، ولهم شرف ظاهر على صحائف الدهور والأعوام، وفضائل سارية على ألسن الخاص والعام، ومناقب يرويها كابر عن كابر، وسجايا

(١) الخرائج ٢: ٥٢٩ ح ٤، عنه البحار ٤٣: ٢٧ ح ٣١، وفي أمالي الطوسي: ١٧٥ ح ٢٩٤، عنه البحار ١٦: ١ ح ١.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٣٥، عنه البحار ٤٣: ٤٣ ضمن حديث ٤٢.

(٣) راجع ينابيع المودة: ١٩٩، في فضائل خديجة (عليها السلام).

يُهديها أوّل الى آخر.

مفاخرهم مشهودة مأثورة، ومآثرهم في صحائف الأيّام مسطورة، وبألْسنة الكتاب والسنة مشكورة، قضى لهم القدر والقضاء بعلوّ القدر في كلّ القضاء، ولهم العزّ الأعلى على أهل الدنيا والاخرة والاولى.

لا يحيط بوصفهم ألسنة الأوائل والأواخر، وكلّ منهم مصداق قول الشاعر:
صفاتك لا تُحصى ونطقي عاجز ويقصر ألفاظي كما قال شاعر
وانّ لباساً خيط من نسج تسعة وعشرين حرفاً عن معاليك قاصر
وبالجملة فمن تتبّع الأخبار، وجاس خلال تلك الديار، علم انّ سيدتنا
الزهراء قد حازت من الكمالات النفسانية، والفضائل العقلانية ما لم يحزها أحد
من نوع النسوة من الأولين والآخرين، وأنّها وليّة الله تعالى في السماوات
والأرضين، وأنّها أشرف من جميع الأنبياء والمرسلين عدا أبيها خاتم النبيين.

ولم يبق لأحد شبهة في شرف محلّها وعلوّ رتبتها، وسموّ مكانتها ونبليها
وفضلها، وما أعدّ الله لها من المزية التي ليست لأحد قبلها ولا بعدها، وانّ الشرف
قد اكتنفها من جميع أقطارها، وانّ المجد قد أوصلها الى غاية يعجز المجارون عن
خوض غمارها، ومهما ذكره ذاكر فهو في الحقيقة دون مقدارها.

وانّ شئت فانظر الى نفسها الكريمة وأطرافها وجوانبها حتى تجدها قد
استولت على موجبات الفضل والشرف كلّها، وحازت قصبات السبق، وفازت
بخصليها.

وانّ لها فضائل أصلية ذاتية من جهة نفسها، وفضائل خارجية من جهة أمّها
وأبيها وزوجها وبنيتها، فلها إذاً نور على نور من ربّها، وزاد على طيب فرعها طيب
أصلها، وهي غصن الشجرة الطيبة التي ثابت أصلها وفي السماء فرعها، تؤتي اكلها
كلّ حين باذن ربّها، بل هي تلك الشجرة بنفسها، ورسول الله (صلّى الله عليه وآله)
أصلها، وأمير المؤمنين (عليه السلام) ساقها، والأئمة المعصومون أغصانها،

والشيعية أوراقها، وعلوم الأئمة (عليهم السلام) أثمارها، وهي أصل ماهية الشجرة وهويتها.

روى العياشي عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة - الى قوله تعالى - ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة﴾ (١) الآية، أنها مثل ضَرَبَ الله لأهل بيت العصمة والطهارة، ولمن عاداهم من أهل البغي والخسارة (٢).

وفي الكافي عنه (عليه السلام) حين سُئل عن تلك الشجرة الطيبة، أنه قال: هي شجرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصلها، وأمير المؤمنين (عليه السلام) فرعها، والأئمة (عليهم السلام) من ذريتهما أغصانها، وعلم الأئمة (عليهم السلام) أثمارها، وشيعتهم المؤمنون أوراقها، ثم قال (عليه السلام): والله إن المؤمن ليولد فتورق ورقة فيها، وإن المؤمن لموت فتسقط ورقة منها، ... الخ (٣).

وفي الاكمال: إن الحسن والحسين (عليهما السلام) ثمرها، والتسعة من ولد الحسين أغصانها (٤).

(١) إبراهيم: ٢٤ و ٢٦.

(٢) تفسير العياشي ٢: ٢٢٥ ح ١٥، عنه البحار ٢٤: ١٤٢ ح ٩، وفي تفسير البرهان ٢: ٣١١، وتفسير الصافي ٣: ٨٥.

(٣) الكافي ١: ٤٢٨ ح ٨٠، عنه البحار ٢٤: ١٤٢ ح ١٢، بصائر الدرجات ٧٨، وفيه عدة أحاديث، وتفسير القمي ١: ٣٦٩، وتفسير الصافي ٣: ٨٥، والوافي ٣: ٨٩٩ ح ١٥٦٣.
وأورد نحوه في بشارة المصطفى ص ٤١، ثم قال:
وقد نظم هذا الخبر أبو يعقوب البصري، فقال:

يا حبذا دوحة في الخلد نابتة	ما مثلها أبداً في الخلد من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة	ثم اللقاح عليّ سيّد البشر
والهاشميان سبطاه لها ثمر	والشيعه الورق الملتف بالثمر
هذا مقال رسول الله جاء به	أهل الرواية في العالي من الخبر
أنّي بحبهم أرجو النجاة غداً	والفوز في زمرة من أفضل الزمر.

(٤) كمال الدين: ٣٤٥ ح ٣٠، عنه البحار ٦٧: ٢٨، تفسير الصافي ٣: ٨٥، وتفسير كنز الدقائق ٧: ٥٢.

وفي المعاني: غصن الشجرة فاطمة (عليها السّلام)، وثمرها أولادها، وورقها شيعتها^(١).

وزاد في الاكمال: ﴿تؤتي اكلها كلّ حين﴾ ما يخرج من علم الامام (عليه السّلام) اليكم في كلّ سنة من كلّ فجّ عميق^(٢).

ولا منافاة بين هذه الأخبار لصحّة كلّ منهما بنوع من الاعتبار، وأعداؤهم الأشرار هي الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار، وهم الشجرة الملعونة في القرآن، ﴿ونخوفهم فما يزيدهم الا طغياناً كبيراً﴾^(٣) أي يزيدهم الطغيان الكبير الذي كان شرّه مستطيراً، في تفسير ظاهر ظاهرها، فأبو بكر أصل هذه الشجرة، وعمر ساقها، وخلفاء بني امية وبني العباس أغصانها، وشيعتهم المنافقون أوراقها، وآثارهم وأفعالهم أثمارها.

وبالجملة ففاطمة الزهراء (عليها السّلام) أمّ الأئمة النقباء النجباء، الذين هم فروع تلك الشجرة الطيبة وأغصانها، وكفى في حقّها انتساب أولادها الأطهار بوساطتها الى النبي المختار (صلّى الله عليه وآله).

وقد ورد في الأخبار عن النبي (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: من فصل بيني وبين آلي بعليّ فليس من امتي، على قراءة (عليّ) على وزن فعيل، مراد به امير المؤمنين (عليه السّلام)، لا قراءته بلفظ (عليّ) حرف جرّ، اشارة الى ردّ ما هو معروف بين العامة عند الصلاة على نبيّ الامّة من قولهم: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد» زعماً منهم انّ الآل ليسوا في تلك المرتبة، فأوهموها باقحام على ايقاع الفصل بينه وبين الذريّة الطاهرة.

(١) معاني الأخبار: ٤٠٠ ح ٦١، باب نوادر المعاني، عنه البحار ١٦: ٣٦٣ ح ٦٥، وتفسير كنز الدقائق ٧: ٥٣.

(٢) كمال الدين: ٣٤٥ ح ٣٠، عنه البحار ٦٧: ٣٨، تفسير الصافي ٣: ٨٥.

(٣) الاسراء: ٦٠.

وصل

في توضيح الحال في عدم جواز الفصل بعلي بين

النبي (صلى الله عليه وآله) والآل

قد ثبت من الأخبار والآثار، واستفاض في كلمات الأئمة الأطهار بحيث لا يعتريه شبهة الإنكار، أن أنوار هؤلاء الأبرار من جنس نور النبي المختار، كما قال (صلى الله عليه وآله): كنت أنا وعلي من نور واحد^(١).

وفي خبر آخر: أنا من علي وعلي مني^(٢).

وقال أيضاً: أنا من حسين وحسين مني^(٣).

وقال (صلى الله عليه وآله): أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد وكلنا محمد^(٤)، إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة بل المتواترة.

وقد روي في العلل عن النبي (صلى الله عليه وآله): يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياء المرسلين على الملائكة المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللائمة من بعدك، فإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا.

يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء، ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتقديسه وتهليله، لأن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتحميده، ثم خلق الملائكة فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا،

(١) الخصال: ٣١ ح ١٠٨ باب الواحد، عنه البحار ٣٥: ٣٤ ح ٣٣، وفيه: خلقت أنا و....

(٢) فردوس الأخبار ٣: ٦١ ح ٤١٧١، وفي البحار ٣٨: ١٤٩ ح ١١٨، عن جامع الاصول لابن الأثير،

وفي سنن ابن ماجه ١: ٤٤ ح ١١٩، وسنن الترمذي ٥: ٤٠١ ح ٣٧٤٠.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٤٢٩ ح ٣٨٠٠، سنن ابن ماجه ١: ٥١ ح ١٤٤، كشف الغمة ٢: ٢١٦، مناقب ابن

شهر آشوب ٤: ٧١، عنه البحار ٤٣: ٢٩٥ ح ٥٦، والصواعق المحرقة: ٢٩١.

(٤) راجع البحار ٢٦: ٣ ضمن حديث ١، ومشارك أنوار اليقين: ١٦٠.

فسبّحنا لتعلم الملائكة أننا خلق مخلوقين، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا... الخ^(١).
والأخبار في هذا المعنى أكثر من أن تُحصى، إلا أن بعض هؤلاء الأنوار مقدّم
على بعض كما نطق به الأخبار، مثل ما ورد عن عليّ (عليه السلام): أنا من محمد
(صلى الله عليه وآله) كالضوء من الضوء، أو كالسراج من السراج^(٢).
ولكن كلّهم أهل دائرة واحدة ليس في رتبهم ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما
قال (صلى الله عليه وآله) لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل^(٣).
وقالوا (عليهم السلام) أيضاً: لنا مع الله حالات هو فيها نحن ونحن هو، وهو هو
ونحن نحن^(٤).

وورد أيضاً في الأخبار المستفيضة أن الأنبياء خلقوا من شعاع نورهم،

(١) علل الشرائع: ٥ ح ١، عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١: ٤٩٨ ح ٢١٥، عنهما البحار ١٨: ٣٤٥ ح ٥٦.

(٢) نحوه البحار ٢٦: ٦ ح ١، وأيضاً ٣٨: ٧٨ ح ١.

(٣) راجع البحار ١٨: ٣٦ ح ٦٦.

(٤) راجع الكلمات المكنونة للفيض الكاشاني: ١١٤ / في معنى الفناء في الله، وأورده أيضاً الامام
الخميني (قدّس سرّه) في كتاب مصباح الهداية صفحة ٦٧، وقال بعده: وكلمات أهل المعرفة -
خصوصاً الشيخ الكبير، محيي الدين - مشحونة بأمثال ذلك، مثل قوله: «الحق خلق، والخلق حق،
والحق حق، والخلق خلق».

وقال في فصوصه: «ومن عرف ما قرّرناه في الأعداد وأنّ نفيها عين ثبتها، علم أنّ الحق المنزه هو
الخلق المشبه وإن كان قد تميّز الخلق من الخالق، فالأمر الخالق المخلوق، والأمر المخلوق الخالق»
إلى أن قال:

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا	وليس خلقاً بذلك الوجه فاذكروا
من يدر ما قلت لم تتخل بصيرته	وليس يدر به إلا من له البصر
جمع وفرّق فإنّ العين واحدة	وهي الكثيرة تبقي ولا تذر

أقول: وورد في الزيارة الرجبية: «... فجعلتهم معادناً لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك وآياتك
ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلا أنّهم عبادك
وخلقك ...».

وفي ذلك يقول الشاعر:

رقّ الزجاج ورقّت الخمر	فتشابهوا وتشاكل الأمر
فكأنّما خمر ولا قدح	وكأنّما قدح ولا خمر

وظهروا من آثار ظهورهم، وفي بعضها أنهم خلقوا من شعاع أجسامهم^(١). فيكون الأنبياء من جملة شيعتهم وأشعتهم.

ولا شك أن أول ما يخلق من الانسان هو عقله، كما ورد أن أول ما خلق الله العقل^(٢)، فإن هذا المعنى كما أنه منطبق على العالم الكبير بالنسبة الى العقل الكلّي، كذلك على العالم الصغير بالنسبة الى العقل الجزئي، فيكون حينئذ عقول الأنبياء مخلوقة من أشعة أجسامهم الشريفة، لأنّ عقولهم من أشعة عقولهم مثلاً، وأجسامهم من أشعة أجسامهم مع كون أجسامهم من سنخ الأجسام البشرية لا من غير هذا السنخ كما هو مبنى الوجه الأول، فإن ذلك يستلزم وجودهم في عالم الأجسام قبل أجسام الأنبياء (عليهم السلام)، وهذا خلاف الظاهر في الأنظار، وإن أمكن فرضه بنوع من الاعتبار.

وبالجملة ولما كان المنافقون يزعمون جهلاً أو تجاهلاً في حق آل الله وآل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنهم ليسوا من جنس طينة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل جعلوهم من جنس سائر الرعيّة، والتزموا أمرين في

(١) ورد في البحار عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله (صلى الله عليه وآله): أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كلّ خير، ثم أقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله ثم جعله أقساماً، فخلق العرش من قسم، والكرسي من قسم، وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم ... وأقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله، ثم نظر اليه بعين الهيبة، فرشح ذلك النور وقطرت منه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف قطرة، فخلق الله من كلّ قطرة روح نبي ورسول، ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسها أرواح الأولياء والشهداء والصالحين. [البحار ٢٥: ٢٢ ح ٣٧].

قال العلامة الطباطبائي (قدس سرّه) في الميزان عند تفسير آية ٣٣ من سورة البقرة بعد ذكر هذا الحديث ما لفظه: أقول والأخبار في هذه المعاني كثيرة ... وإياك أن ترمي أمثال هذه الأحاديث الشريفة المأثورة عن معادن العلم ومنابع الحكمة بأنّها من اختلاقات المتصوّفة وأوهامهم للخلق أسرار، وهو ذا العلماء من طبقات أقوام الانسان لا يألون جهداً في البحث عن أسرار الطبيعة منذ أخذ البشر في الانتشار، وكلّما لاح لهم معلوم واحد بانّ لهم مجاهيل كثيرة، وهي عالم الطبيعة أضيق العوالم وأخسها، فما ظنك بما ورائها وهي عوالم النور والسعة.

(٢) الفردوس ١: ١٣ ح ٤، البحار ١: ٩٧ ح ٨.

المرحلة، أحدهما الفصل بلفظ (على) عند الصلاة على النبي وآله، إشارة إلى حطّ رتبته عن تلك المرتبة المحمدية، وعدم كونهم من أهل هذه السلسلة النورية. والثاني أنّهم ليسوا من آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنهم أولاد البنت، وولد البنت ليس بولد بل هم أولاد عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وهو من الأجانب، وتمسّكوا في ذلك بنحو قول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبنائنا بنوهم أبناء الرجال الأبعد
وغیره من الكلمات السخيفة والاستدلالات الضعيفة، فورد الخبر في التنبيه على ردّهم والإشارة إلى ردّهم، أنّ من فصل بيني وبين آلي بعليّ فليس من امتي.

فنسب الآل إلى نفسه وجعل الآل آل نفسه، لا آل عليّ (عليه السلام) الذي هو أيضاً في الحقيقة نفسه أو كنفه، ومنع من فصلهم عنه بلفظ (على) اسماً على فعل، أو حرف جرّ إشارة إلى الوصل أي اتصالهم (عليهم السلام) به (صلى الله عليه وآله)، وكونهم من نوره وجنس طينته.

ويدلّ على ذلك على أنّهم من أهل تلك المرتبة فلا يجوز الفصل بين أجزاء السلسلة، كما أنّه إشارة إلى أنّهم آل الرسول المنتسبون إليه من جهة البتول، والدلالة على كلا الأمرين حاصلة على كلّ من القراءتين.

ويدلّ على ذلك أيضاً أخبار كثيرة، كما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: كلّ بني آدم ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة، فأني أنا أبوهم وعصبتهم^(١).

وفي خبر آخر: لكلّ نبيّ عصبة ينتمون إليه، وفاطمة عصبتي التي تنتمي إليّ^(٢).

(١) ذخائر العقبى: ١٢١، الفردوس ٣: ٢٦٤ ح ٤٧٨٧، الصواعق المحرقة: ٢٨٤، كنز العمال ١٢: ٩٨ ح ٣٤١٦٨، والبحار ٤٣: ٢٢٨ ح ١، فرائد السمطين ٢: ٧٧ ح ٣٩٨.

(٢) دلائل الإمامة: ٧٦ ح ١٦، عنه البحار ٤٣: ٢٣٠، ونحوه في بشارة المصطفى: ٤٠.

وروى في البحار أنه خرج زيد ابن موسع أخو أبي الحسن الرضا (عليه السلام) بالمدينة في عهد المأمون، وأحرق وقتل خلقاً كثيراً من تبعته - وكان يسمّى زيد النار - فبعث إليه المأمون فأسر وحمل الى المأمون، فقال المأمون: اذهبوا به الى أبي الحسن الرضا.

قال ياسر: فلما دخل اليه قال ابو الحسن (عليه السلام): يا زيد أغرّك قول سفلة أهل الكوفة - وفي رواية أخرى: قول بقالي أهل الكوفة - إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار، ذاك الحسن والحسين خاصة - وفي خبر آخر مع زيادة زينب وام كلثوم - إن كنت ترى أنّك تعصى الله وتدخل الجنة، وموسى بن جعفر أطاع الله ودخل الجنة، فأنت إذاً أكرم على الله عز وجل من موسى بن جعفر.

والله ما ينال أحد ما عند الله عز وجل الا بطاعته، وزعمت أنّك تناله بمعصيته، فلبئس ما زعمت، فقال له زيد: أنا أخوك وابن ابيك، فقال له أبو الحسن (عليه السلام): أنت أخي ما أطعت الله عز وجل، إنّ نوحاً (عليه السلام) قال: ﴿رَبِّ اِنَّ ابْنِي مِنْ اَهْلِيْ وَاِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَاَنْتَ اَحْكَمُ الْحَاكِمِيْنَ﴾^(١).

فقال الله عز وجل: ﴿يَا نُوحُ اِنَّكَ لَيْسَ مِنْ اَهْلِكَ اِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ﴾^(٢) فأخرجه الله عز وجل من أن يكون من أهله بمعصيته^(٣).

وفي خبر آخر: كلاً لقد كان ابنه ولكن لما عصى الله عز وجل نفاه الله عن أبيه، كذا من كان ممّناً لم يطع الله فليس ممّناً ولا من أولاد رسول الله، وأنت إذا أطعت الله فأنت ممّناً أهل البيت^(٤).

(١) هود: ٤٥.

(٢) هود: ٤٦.

(٣) البحار ٤٣: ٢٣١ ح ٦، عن عيون أخبار الرضا (عليه السلام).

(٤) معاني الأخبار: ١٠٦ ح ١، عنه البحار ٤٣: ٢٣٠ ح ٢.

فصل

في بيان الفرق بين ذرية فاطمة (عليها السلام) غير الأئمة

وبين سائر الرعية

روي في البحار عن الحسن بن راشد قال: ذكرت زيد بن علي بن الحسين عند الصادق (عليه السلام) - وهو الذي خرج على عبد الملك بن مروان، فقتل بالكوفة وقد نهاه الباقر (عليه السلام) عن الخروج فلم ينته ولم يقبل قوله - فتنقّصت فيه من هذه الجهة.

فقال الصادق (عليه السلام): لا تفعل - أو لا تقل كذا - رحم الله عمي زيدا، أتني أبي فقال: أتني أريد الخروج على هذه الطاغية، فقال: لا تفعل أتني أخاف أن تقتل وتصلب على ظهر الكوفة، أما علمت يا زيد أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة على أحد من السلاطين قبل خروج السفيناني الآقتل، فلم يقبل وفعل ما فعل. ثم قال أيضاً: يا حسن إن فاطمة (عليها السلام) أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار، وفيهم نزلت الآية: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾^(١).

والظالم لنفسه الذي لا يعرف الامام، والمقتصد هو العارف بحق الامام، والسابق بالخيرات هو الامام، ثم قال: يا حسن أنا أهل بيت لا يخرج منا أحد من الدنيا حتى يقرّ لذي فضل بفضله^(٢).

وبين هذا الخبر والرواية السابقة منافرة في الجملة، وتحقيق الحال هنا بحيث ترتفع المنافرة بينهما، إن المؤمن مشرف على محلّ الخطر والهلاك في مقامين،

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) الخرائج ١: ٢٨١ ح ١٣، عنه البحار ٤٦: ١٨٥ ح ٥١، وكشف الغمة ٢: ٣٥٧، في فضائل الامام الباقر (عليه السلام).

أحدهما مقام المعرفة في مرتبة اصول الدين إذ الشيطان عدوّ مبين، فهو في مرصاد عباد الله المؤمنين ليوقعهم في الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي، فهو في جميع حالات الحياة الدنيوية يريد إغواء الانسان بالسواوس النفسانية، والهواجس الشيطانية، ليوقع في الحيرة والضلالة في أمر المعرفة وتحصيل اصول الدين الذي هو مبنى الشريعة، فان فات ذلك منه ويئس انتظر لذلك الى أن يتراكم على الانسان شذائذ سكرات الموت، والأهوال الطارئة له عند الفوت، فينتهز الفرصة ليوقع حينئذ في الشبهة، ويخرجه من الدنيا كافراً مستحقاً للعذاب الأبدي في البرزخ والاخرة.

فربّ عابد زاهد في مدّة عمره لم يتسلّط عليه الشيطان بالمرة، تسلّط عليه عند الموت فأوبقه وأهلكه، كالعابد برصيصا^(١) وغيره، ولهذا ورد أنّ الايمان قسمان: ايمان مستقرّ وايمان مستودع^(٢)، والثاني هو الذي يُسلب عند الموت من جهة اغواء الشيطان وتلبيسه في تلك الحالة.

وورد دعاء العديلة دفعاً لتلك الرزية، والعديلة اسم شيطانة موكّلة من جانب ابليس ليعدل الانسان حين الموت من الاعتقاد الحق الى الباطل، فعيلة بمعنى

(١) روى في البحار ١٤: ٤٨٦، عن ابن عباس قال: كان في بني اسرائيل عابد اسمه برصيصا، عبدالله زماناً من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرؤون على يده، وأنه أتى بامرأة في شرف قد جنّت، وكان لها اخوة فأتوه بها وكانت عنده، فلم يزل الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت، فلما استبان حملها قتلها ودفنها، فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي أحد اخوتها، فأخبره بالذي فعل الراهب وأنه دفنها في مكان كذا، ثم أتى بقية اخوتها رجلاً رجلاً فذكر ذلك له، فجعل الرجل يلقي أخاه فيقول: والله لقد أتاني آت ذكر لي شيئاً يكبر عليّ ذكره، فذكره بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم، فسار الملك والناس فاستزلوه فأقرّ لهم بالذي فعل، فأمر به فصلب، فلما رفع على خشبته تمثّل له الشيطان فقال: أنا الذي ألقيتك في هذا، فهل أنت مطيعي فيما أقول لك، اخلّصك ممّا أنت فيه؟ قال: نعم، قال: اسجد لي سجدة واحدة، فقال: كيف اسجد لك وأنا على هذه الحالة؟ فقال: أكتفي منك بالايماء، فأومأ له بالسجود، فكفر بالله وقتل الرجل.

(٢) عقد العلامة المجلسي باباً مستقلاً في البحار ج ٦٩ ص ٢١٢، تحت هذا العنوان، فراجع.

مفعلة، والمراد دفع العذيلة، أو بمعنى المصدر أي دعاء دفع العدول المذكور، وذكر في زبدة المعارف الوجه الأول وحده في وجه التسمية.

والثاني مقام العمل بالشرعية، فيريد الشيطان أبدأ أن يضلّ الانسان ويغويه، ويوقعه في المعصية ويوبقه، وهذا هو الهلاك العارضي والعذاب المنقرض، فهناك هلاكة كبرى وهلاكة صغرى، وأولاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ممّا سوى الأئمة المعصومين وإن كانوا مأمونين من الهلاكة الكبرى من جهة الانتساب الى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والانتماء الى فاطمة الزهراء (عليها السلام) من جهة كونها أحصنت فرجها فحرّم الله ذريّتها على النار أي الخلود في العذاب، حيث أنّه لا يخرج أحد منهم من الدنيا الا مؤمناً خالص الايمان والايقان، ولا يجيء فيهم شبهة الكفر عند عروض سكرة الموت وطروء حسرة الفوت، لكنّهم على خطر عظيم من الهلاكة الصغرى.

كما قال السجاد (عليه السلام) للأصمعي: يا أصمعي خلقت النار لمن عصى الله ولو كان سيداً قرشياً، وخلقت الجنة لمن أطاع الله ولو كان عبداً حبشياً، على ما ذكر عن كتاب المناقب أنّه روى الأصمعي فقال: كنت ليلة في الطواف بعد موهن من الليلة، فرأيت شاباً متعلّقاً بأستار الكعبة يناجي ربّه ويقول:

«الهي ومولاي نامت العيون، وغارت النجوم، وأنت ملك حيّ قيّوم، وقد أغلقت الملوك عليها أبوابها، وطاف عليها حرّاسها، وأنت يا مولاي بابك مفتوح للداخلين، ورفدك مبذول للسائلين، يا من يجيب دعاء المضطرّ في الظلم، يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقم، قد نام وفدك حول البيت قاطبة، وأنت يا حيّ يا قيّوم لم تنم، أدعوك يا ربّ حزناً دائماً قلقاً، فارحم بكائي بحق البيت والحرّم، وهب لي بجودك فضل العفو عن جرمي، يا من أشار اليه الخلق في الحرّم، إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف، فمن يجود على العاصين بالنعم».

ثم قال:

ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي فهب لي ذنوبي كلّها واقض حاجتي

فزادي قليل لا أراه مبلّغي على الزاد أبكي أم لبعد مسافتي
 أتيت بأعمال قباح رديّة وما في الوري عبد جنّي كجنايتي
 أتحرقني بالنّار يا غاية المُنَى فأين رجائي ثم أين مخافتي
 فكرّر البيت الى أن عُشي عليه، فقلت: من هذا؟ قيل: هو السجّاد زين
 العابدين عليّ بن الحسين (عليهما السلام).

فذهبت اليه فرفعت رأسه ووضعت على حجري، وبكيت عليه رحمة له،
 فوقع من قطرات دمعي على وجنتيه، ففتح عينيه وقال: من هذا الذي أشغلني
 عن ذكر مولاي؟ فقلت: عبدك الأصمعي، ثم قلت: يا مولاي ممّ هذا الحزن
 والويل والبكاء الطويل، وأنتم أهل بيت العصمة والطهارة، وفيكم نزلت آية
 التطهير؟!.

فقال: يا أصمعي هيهات هيهات، خلّقت النار لمن عصى الله - الى آخر ما مرّ -
 ثم قال (عليه السلام): أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ
 يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١)، انتهى^(٢).

وعن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أنّه: كان عليّ بن الحسين (عليه السلام)
 يقول: لمحسننا كِفْلان من الأجر، ولمسيئنا ضعفان من العذاب^(٣).
 وكذا الحكم في أزواج النبي (صلّى الله عليه وآله)، قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ

(١) المؤمنون: ١٠١.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٥٠، باختلاف كثير.

قال المقرّم (رحمه الله) في كتاب (الامام زين العابدين (عليه السلام)) ص ٢٥٩: وهذا لا يصح عن
 الأصمعي، لأنّ السجّاد (عليه السلام) - كما في ارشاد الشيخ المفيد - توفي بالمدينة سنة (٩٥)،
 والأصمعي - كما في تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤١٩ - توفي سنة (٢١٦) عن ثمان وثمانين سنة، فتكون
 ولادته سنة (١٢٨) تقريباً بعد شهادة السجّاد (عليه السلام) بثلاث وثلاثين سنة، نعم يمكن أن تصحّ
 القصة مع الامام الكاظم (عليه السلام)، فإنّه ولد سنة (١٢٨) واستشهد سنة (١٨٣)، أو الرضا
 (عليه السلام) المولود سنة (١٤٨) والمستشهد سنة (٢٠٣).

(٣) معاني الأخبار: ١٠٦ ح ١، عنه البحار ٤٣: ٢٣٠ ح ٢.

من يأت منكراً بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً
* ومن يقنت منكراً لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً
كريمًا^(١).

وذلك لزيادة العلم والمعرفة، وتفاوت القرب والمنزلة، فصار الذنب منهنّ
أقبح، والطاعة منهنّ أحسن، وكذلك الحكم في العلماء للعلّة المذكورة، حتى ورد
أنّه يغفر من الجاهل سبعون سيئة، وقد لا يغفر من العالم سيئة واحدة^(٢).
وامّا سائر الرعيّة فهم في محلّ الخطر في كلّ مرحلة، قال
(صلّى الله عليه وآله): هلك العالمون الآء العالمون، وهلك العالمون الآء العالمون،
وهلك العالمون الآء الموحّدون، وهلك الموحّدون الآء المخلصون، والمخلصون
على خطر عظيم.

«تتميم»: [الكلام في أنّ ولد البنت ولدٌ]

عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام): يا أبا الجارود ما
يقولون في الحسن والحسين (عليهما السلام)؟ قلت: ينكرون علينا أنّهما ابنا
رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، قال (عليه السلام): فبأيّ شيء احتججتُم عليهم؟
قلت: بقول الله تعالى في عيسى بن مريم: ﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب
ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين﴾ * وذكرنا ويحيى وعيسى وإلياس
كلّ من الصالحين^(٣). فجعل عيسى (عليه السلام) من ذرية إبراهيم (عليه السلام).
واحتججنا عليهم بقوله تعالى: ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم...﴾^(٤) الآية، قال
(عليه السلام): فأيّ شيء قالوا؟ قلت: قالوا: قد يكون ولد البنت من الولد ولا

(١) الاحزاب: ٣٠ و٣١.

(٢) البحار ٢: ٢٧ ح ٥.

(٣) الأنعام: ٨٤ - ٨٥.

(٤) آل عمران: ٦١.

يكون من الصلب.

قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): والله يا أبا الجارود لأعطينك من كتاب الله آية لا يردّها إلا كافر، قال: قلت: جعلت فداك وأين؟ قال: حيث قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾^(١) وسلهم يا أبا الجارود هل يحلّ لرسول الله (صلى الله عليه وآله) نكاح حليتهما، فإن قالوا نعم فكذبوا، وإن قالوا لا فهما والله ابنا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وما حرمت عليه إلا للصلب^(٢).

وفي احتجاجات الكاظم (عليه السلام) مع الرشيد على ما روى الطبرسي (رحمه الله) من جملة حديث طويل الذيل، أنه سأل الرشيد في جملة ما سأل في هذا المجلس مخاطباً له (عليه السلام): لِمَ جَوَزْتُمْ لِلْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ أَنْ يَنْسَبُوكُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)، ويقولوا لكم: يا بني رسول الله، وأنتم بنو عليّ، وأنما ينسب المرء إلى أبيه، وفاطمة هي وعاء والنبى جدّكم من قبل أمّكم؟! فقال (عليه السلام): يا أمير المؤمنين لو أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) نشر فخطب اليك كريمتك هل كنت تجيبه؟ فقال: سبحان الله ولم لا أجيبه؟ بل افتخر على العرب والعجم وقريش بذلك، فقال له: لكنّه (صلى الله عليه وآله) لا يخطب إلّى ولا أزوجه، قال الرشيد: ولم؟ قال (عليه السلام): لأنّه ولدني ولم يلدك، فقال: أحسنت يا موسى.

ثم قال: كيف قلتم أنّا ذرية النبي والنبي (صلى الله عليه وآله) لم يعقب، وأنما العقب للذكر لا للإنثى، وأنتم ولد للبنت ولا يكون لها عقب؟.

فقال (عليه السلام) له (عليهم السلام): أسألك بحق القرابة والقبر ومن فيه الآ أعفيتني عن هذه المسألة، فقال: لا أو تخبرني بحجّتكُم فيه يا ولد عليّ، وأنت يا

(١) النساء: ٢٣.

(٢) الاحتجاج ٢: ١٧٥ ح ٢٠٤، عنه البحار ٤٣: ٢٣٢ ح ٨، وفي الكافي ٨: ٣١٧ ح ٥٠١، وتفسير القمي

موسى يعسوبهم وامام زمانهم، كذا أنهى إليّ، ولست أعفيك في كلّ ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله، وأنتم تدعون معشر ولد عليّ أنّه لا يسقط عنك منه شيء ألف ولا واو إلا تأويله عنكم، واحتججتم بقوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾^(١) واستغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقال (عليه السلام): تأذن لي في الجواب؟ قال: هات، فقال (عليه السلام): أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين﴾ * وزكريّا ويحيى وعيسى والياس كلّ من الصالحين^(٢) من أب عيسى يا أمير المؤمنين؟ فقال: ليس لعيسى أب.

فقال (عليه السلام): أنّما ألحقناه بذراري الأنبياء من طريق مريم (عليها السلام)، وكذلك ألحقنا بذراري النبي (صلى الله عليه وآله) من قبل أمنا فاطمة (عليها السلام)، وازيدك يا أمير المؤمنين، قال: هات، قال (عليه السلام): قول الله تعالى: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم...﴾^(٣) الآية، ولم يدع أحد أنّه أدخل النبي (صلى الله عليه وآله) تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلا عليّ بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن، والحسين (عليهم السلام)، أبناءنا: الحسن والحسين، ونساءنا: فاطمة، وأنفسنا: عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ... الحديث^(٤).

وعن يحيى بن يعمر العامري قال: بعث إليّ الحجاج فقال: يا يحيى أنت الذي تزعم أنّ ولدي عليّ من فاطمة ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قلت له: إن

(١) الانعام: ٣٨.

(٢) الانعام: ٨٤ و ٨٥.

(٣) آل عمران: ٦١.

(٤) الاحتجاج ٣٣٨: ٢ ح ٢٧١، وفي البحار ٤٨: ١٢٥ ح ٢ عن عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١: ٢٢٥

أمنتني تكلمت، قال: أنت آمن.

قلت: نعم، أقرأ عليك كتاب الله، إن الله تعالى يقول: ﴿ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا - الى أن قال - وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين﴾^(١) وعيسى كلمة الله وروحه ألقاها الى العذراء البتول، وقد نسبته الله تعالى الى أبراهيم (عليه السلام).

قال: ما دعاك الى نشر هذا وذكره؟ قلت: ما استوجب لأهل العلم في علمهم ليبينوه للناس ولا يكتموا، قال: صدقت ولا تعودنّ لذكر هذا ونشره^(٢).

وفي خبر آخر مرسل عن عامر الشعبي قال: بعث اليّ الحجاج ذات ليلة، فخشيت فقمت وتوضأت وأوصيت ثم دخلت عليه، فنظرت فاذا نطع^(٣) منشور وسيف مسلول، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام.

فقال: لا تخف فقد أمنتك الليلة وغداً الى الظهر، وأجلسني عنده، ثم أشار فأتى برجل مقيّد مكبول بالأغلال والكبول، فوضعه بين يديه فقال: إن هذا الشيخ يقول: إن الحسن والحسين كانا ابني رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ليأتيني بحجة من القرآن والآ لأضربنّ عنقه.

فقلت: يجب أن تحلّ قيوده فأنه اذا احتجّ فأنه لا محالة ذاهب، وإن لم يحتجّ فإنّ السيف لا يقطع هذا الحديد، فحلّوا قيوده وكبّوله فنظرت فاذا هو سعيد بن جبير، فحزنت بذلك وقلت في نفسي: كيف يجد حجة على ذلك من القرآن.

فقال له الحجاج: ايتني بحجة من القرآن على ما ادّعت والآ أضرب عنقك، فقال له: انتظر، فسكت ساعة ثم قال له مثل ذلك، فقال: انتظر، فسكت ساعة، ثم قال مثل ذلك، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ووهبنا له اسحاق ويعقوب

(١) الانعام: ٨٤ و ٨٥.

(٢) البحار ٤٣: ٢٢٨ ضمن حديث ١، عن بعض كتب المناقب، وفي فرائد السمطين ٢: ٧٥ ح ٣٩٧ ونحوه

في الدر المنثور ٣: ٣١١ / سورة الانعام.

(٣) النطع - بالكسر وبالفتح وبالتحريك -: بساط من الأديم.

ـ الى قوله ـ وكذلك نجزي المحسنين».

ثم سكت وقال للحجاج اقرأ ما بعده، فقرأ: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾^(١) فقال سعيد: كيف يليق هاهنا عيسى، قال: أنه كان من ذريته، قال: إن كان عيسى من ذرية ابراهيم (عليه السلام) ولم يكن له أب، بل كان ابن بنته فنسب اليه مع بغيره، فالحسن والحسين (عليهما السلام) أولى أن يُنسبا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع قريبهما منه، فأمر له بعشرة آلاف دينار، وأمر بأن يحملوا ما معه الى داره، وأذن له في الرجوع.

قال الشعبي: فلما أصبحت قلت في نفسي: قد وجب عليّ أن آتي هذا الشيخ فأتعلم منه معاني القرآن، لا تني كنت أظنّ أنّي أعرفها فاذا أنا لا أعرفها، فأتيتها فاذا هو في المسجد وتلك الدنانير بين يديه يفرّقها عشراً عشراً ويتصدّق بها، ثم قال: هذا كله ببركة الحسن والحسين (عليهما السلام)، لئن كنّا أغمنا واحداً لقد أفرحنا ألفاً وأرضينا الله ورسوله (صلى الله عليه وآله)^(٢).

ويدلّ على ذلك أيضاً ما في الخبر النبوي (صلى الله عليه وآله) للحسين (عليهما السلام): ابناي هذان امامان قاما أو قعدا^(٣).

وقوله (صلى الله عليه وآله) للحسن (عليه السلام): ابني هذا سيد^(٤).
وقوله (صلى الله عليه وآله) أيضاً في الحسين (عليه السلام): لا تزرعوا ابني، أي لا تقطعوا عليه بوله^(٥) لئلا يبال في حجره وأراد بعض نسائه ـ وهي ام سلمة كما في بعض الأخبار ـ أن ترفعه من حجره.

(١) الانعام: ٨٤ و٨٥.

(٢) البحار ٤٣: ٢٢٩ ضمن حديث ١، عن بعض كتب المناقب.

(٣) البحار ٣٧: ٧، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٦٧.

(٤) صحيح البخاري ٥: ٩٢ ح ٢٥٧، عنه العمدة: ٣٩٦ ح ٧٩٦، مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٢٠، عنه البحار

٤٣: ٢٩٨ ح ٦١، كنز العمال ١٢: ١١٥ ح ٣٤٢٦٣.

(٥) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٧١، عنه البحار ٤٣: ٢٩٦ ح ٥٧، ومستدرك الوسائل ٢: ٥٥٦ ح ٢٧١٢.

وقوله (صلى الله عليه وآله): ارموا بني اسماعيل فإن أباكم كان رامياً^(١).
وقوله تعالى: يا بني آدم يا بني اسرائيل، وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي
أَوْلَادِكُمْ﴾^(٢).

وأنه كان يقال للصادق (عليه السلام) كثيراً: أنت ابن الصديق، لأن أمه أم فروة
بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وزوجة القاسم كانت بنت عبدالرحمان بن أبي
بكر، وكان (عليه السلام) يقول: ولدني أبو بكر مرتين^(٣).

وأنه ورد في الأخبار أنه ينادي يوم القيامة منادياً: أهل الجمع غَضُوا أبصاركم
حتى تجوز فاطمة (عليها السلام)^(٤)، فلا يغض من كان هو من نسلها مطلقاً، وإن
الولد أنما يخلق من نطفة الأب والام معاً، وإن أهل العرف مجتمعون على اطلاق
الولد والعقب والذرية ونحو ذلك على ولد البنت بلا شبهة.

وقد حكى أن الرشيد أمر وزيره علي بن يقطين أن يخطط لأولاده ثياباً
جديدة ليوم العيد، وكان له بنت مزوجة مات زوجها فرجعت الى دار أبيها الرشيد،
وعندها أولاد صغار هم أحفاد الرشيد، وكان ابن يقطين (رحمه الله) شيعياً
مشهوراً، وكان يسمع من الرشيد وتبعته كثيراً في مقام ردّ اطلاق أولاد رسول الله
(صلى الله عليه وآله) على ذرية فاطمة (عليها السلام) أن أولاد، البنت ليسوا
بأولاد استدلالاً بقول الشاعر: بنونا بنوا أبنائنا ...

فأحضر ليوم العيد ثياباً جديدة لجميع أولاده سوى هؤلاء الصغار، فجاؤوا
يوم العيد الى الرشيد باكين محزونين، فغضب الرشيد على علي بن يقطين وقال: لم
تركت هؤلاء الصغار، ولم تحضر لهم ثياباً جديدة مثل سائر أولادي؟
قال: ما أمرتني بذلك، قال: ألم أمرك بتجديد ثياب أولادي؟ قال: نعم ولكن

(١) مستدرک الحاكم ٢: ١٠٣ ح ٢٤٦٥، جامع الأحاديث ١: ٤١٦ ح ٢٨٤٣.

(٢) النساء: ١١.

(٣) كشف الغمة ٢: ٣٧٤.

(٤) راجع البحار ٤٣: ٢٢٠ ح ٤، مستدرک الحاكم ٣: ١٦٦ ح ٤٧٢٨.

أنتم تقولون أولاد البنت ليسوا بأولاد، فتنّبّه الرشيد.

والبيت المذكور قليل من مجعولات العامة في ترويج هذه الشبهة، وعلى فرض عدم الجعل فهو محمول على المبالغة، أو على النظر العرفي، أو على المجازيّة بملاحظة طرف قوّة الابن، أو بلحاظ أنّ أولاد البنت تكون في دار رجل آخر غالباً، أي عند أبيهم وخيرهم وشرّهم معه، ولا يكون للجدّ أنس كثير بهم بخلاف أولاد الابن في ذلك غالباً.

[كلام ابن أبي الحديد في أنّ الحسين (عليهما السّلام) ابنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله)]

وقال ابن أبي الحديد في شرح قول عليّ (عليه السّلام) في بعض أيّام صفين حين رأى ابنه الحسن (عليه السّلام) يتسرّع الى الحرب: املكوا عني هذا الغلام لا يهدّني، فأنّي انفس بهذين، أعني الحسن والحسين، لأنّ ينقطع بهما نسل رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

فان قلت: أيجوز أن يقال للحسن والحسين (عليهما السّلام) وولدهما أبناء رسول الله، وولد رسول الله، وذريّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ونسل رسول الله (صلّى الله عليه وآله)؟ قلت: نعم لأنّ الله سمّاهم أبناءه في قوله تعالى: ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾^(١).

وأما عني الحسن والحسين (عليهما السّلام)، ولو أوصى لولد فلان بمال دخل فيه أولاد البنات، وسمّى الله عيسى ذريّة ابراهيم (عليه السّلام)، ولم يختلف أهل اللغة في أنّ ولد البنات من نسل الرجل.

فان قلت: فما تصنع بقوله تعالى: ﴿ما كان محمد أباً أحدٍ من رجالكم﴾^(٢)؟ فقلت: أسألك من أبوّته لابراهيم بن مارية، فكلمّا تجيب به عن ذلك فهو جوابي عن

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) الاحزاب: ٤٠.

الحسن والحسين.

والجواب الشامل للجميع أنه عن زيد بن حارثة، لأن العرب كانت تقول زيد ابن محمد (صلى الله عليه وآله) على عادتهم في تبني العبد، فأبطل الله ذلك ونهى عن سنة الجاهلية وقال:

إن محمداً (صلى الله عليه وآله) ليس أباً لواحد من الرجال البالغين المعروفين بينكم، وذلك لا ينفي^(١) كونه أباً الأطفال الذين لم يطلق عليهم لفظة الرجال كإبراهيم والحسن والحسين^(٢)، إلى آخر ما ذكره، وفي هذا المقام تفصيلات مذكورة في الأخبار وكلمات العلماء الأخيار، ولا حاجة إلى ذكرها والتعرض لها في المضمار.

[الكلام في بعض فضائل الزهراء (عليها السلام)]

وقد ورد في فضل الزهراء (عليها السلام) من أخبار الخاصة والعامة ما لا يدفعها يد الإنكار، حتى صار فضلها في الاشتهار مثل الشمس في رابعة النهار، فأقرّ بفضلها الأخيار والأشرار، والأبرار والفجّار، واعترف بنبلها الأولياء والأعداء، والأجانب والأقرباء:

والفضل ما شهدت به الأعداء والحسن ما اعترفت به الضّراء وقد قال ابن أبي طلحة الشافعي^(٣) وهو من أعظم العامة العمياء: إن كلّ واحد من الأئمة الأحد عشر عليهم صلوات الله الملك المتعال في أعلى درجة الكمال، ولهم من جهة انتسابهم إلى فاطمة الزهراء (عليها السلام) شرف فوق الشرف، وكمال فوق الكمال، فزادهم الله فضل شرف وشرف فضل، ونيل قدر وقدر نيل، ومحلّ علوّ وعلوّ محلّ، وأصل تطهّر وتطهّر أصل.

فإن فاطمة (عليها السلام) قد خُصّت بفضل سجايا منصوص عليها بانفرادها،

(١) أثبتناه من المصدر، وفي النسخة: لا يخفى.

(٢) شرح نهج البلاغة ١١: ٢٦ باب ٢٠٠، عنه البحار ٤٣: ٢٣٤ ح ١٠.

(٣) مطالب السؤل: ٦.

وَفُضِّلَتْ بخصائص مزايا صرَّح اللفظ النبوي بإيرادها، وميّزت قرّة عين الرسول بصفات شرف يتنافس الأنفس النفيسة في آحادها.

وروى أبو داود الترمذي أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما يؤذيها ويسرّني ما يسرّها^(١).

وفي حديث آخر أنّه قيل لعائشة: من أحبّ النساء الى رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قالت: فاطمة، قيل: من الرجال؟ قالت: زوجها^(٢).

وعن عمر بن الخطاب، عن النبي (صلى الله عليه وآله): إنّ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين يكونون في حظيرة القدس في قبة بيضاء، سقفها عشر الرحمان عز وجل^(٣).

وعن أنس أنّه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): بينا أهل الجنّة في الجنّة يتنعمون، وأهل النّار في النّار يعذبون، إذا لأهل الجنّة نور ساطع، فيقول بعضهم لبعض: ما هذا النور؟ لعلّ ربّ العزّة اطلع علينا فنظر إلينا؟! فيقول لهم رضوان: لا ولكن عليّ مازح فاطمة فتبسّمت، فأضاء ذلك النور من ثناياها^(٤).

وفي فضائل أبي السعادات، وكشف الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً﴾^(٥) أنّه قال ابن عباس: بينا أهل الجنّة في الجنّة بعد ما سكنوا، رأوا نوراً أضاء به الجنان، فيقول أهل الجنّة: يا ربّ أنّك قلت في كتابك المنزل على نبيّك المرسل: ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً﴾.

فينادي مناد: ليس هذا نور الشمس والقمر، وإنّ عليّاً وفاطمة تعجّبا من شيء

(١) سنن الترمذي ٥: ٤٦٥، ٣٨٩٥، صحيح البخاري ٥: ٨٣، ٢٣٢، كنز العمال ١٢: ١٠٨، ٣٤٢٢٣، مستدرک الحاكم ٣: ١٧٢، ٤٧٤٧.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٤٦٧، ٣٩٠٠، جامع الاصول ٩: ١٢٥، ٦٦٧١، ينابيع المودة: ٢٠٣، الطرائف: ١٥٧، ٢٤٤، عنه البحار ٣٨: ٣١٣، ١٥، ذخائر العقبى: ٣٥.

(٣) كنز العمال ١٢: ٩٨، ٣٤١٦٧، وفي البحار ٤٣: ٧٦، عن الفردوس.

(٤) البحار ٤٣: ٧٥، ٦٢ مقتل الحسين للخوارزمي: ٧٠، والموالم ١١: ١١٦٤، ٤.

(٥) الانسان: ١٣.

فضحكا، فأشرقت الجنان من نورهما^(١).

وروى العامة عن عليّ عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: إذا كان يوم القيامة قيل: يا أهل الجمع غصّوا أبصاركم حتى تمرّ فاطمة بنت محمد، فتمرّ إلى الجنة وعليها ريطتان خضراوان^(٢).

وفي رواية: فتمرّ على الصراط ومعها سبعون ألف جارية من الحور العين^(٣). وعن نافع بن أبي الحمراء: شهدت النبي (صلى الله عليه وآله) ثمانية أشهر إذا خرج إلى صلاة الغداة مرّ بباب فاطمة (عليها السلام) فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾^(٤).

وعن أبي هريرة قال: نظر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى عليّ والحسين والحسين وفاطمة وقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم^(٥).

وروى الترمذي والبخاري أنّ عائشة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله) قالت: ما رأيت أحداً أشبه برسول الله (صلى الله عليه وآله) من فاطمة، وكانت إذا دخلت على النبي (صلى الله عليه وآله) قام إليها وقبلها وأجلسها في مجلسه^(٦).

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٩ في منزلتها عند الله، البحار ٤٣: ٤٥ ح ٤٤ والعوالم ١١: ١١٦٥ ح ٧.

عن الفضائل والكشف، ونحوه أمالي الصدوق: ٢١٦ مجلس ٤٤ ضمن ح ١١، وتأويل الآيات: ٧٢٧.

(٢) المناقب لابن المغازلي: ٣٥٦ ح ٤٠٥، كفاية الطالب: ٣٦٤، كشف الغمة ٢: ٨٧، مستدرک الحاكم ٣:

١٧٥ ح ٤٧٥٧، الخصائص الكبرى للسيوطي ٢: ٢٢٥.

(٣) كشف الغمة ٢: ٨٤، عنه البحار ٤٣: ٥٣ ح ٤٨، كنز العمال ١٢: ١٠٥ ح ٣٤٢٠٩، ذخائر العقبى: ٤٨،

مقتل الحسين: ٥٥، الصواعق المحرقة: ٢٨٩.

(٤) كفاية الطالب: ٣٧٦، نور الأبصار: ٢٢٥، كشف الغمة ٢: ٨٤، عنه البحار ٤٣: ٥٣ ح ٤٨.

(٥) المناقب لابن المغازلي: ٦٣ ح ٩٠، مسند أحمد ٣: ١٨٧ ح ٩٤٠٥، كنز العمال ١٢: ٩٧ ح ٣٤١٦٤.

كشف الغمة ٢: ٧٩، وفي سنن الترمذي ٥: ٤٦٥ ح ٣٨٩٦، ونبائع المودة: ٢٠٢ عن زيد بن أرقم، وفي

مستدرک الحاكم ٣: ١٦١ ح ٤٧١٣، الصواعق المحرقة: ٢٨٤.

(٦) سنن الترمذي ٥: ٤٦٦ ح ٣٨٩٨، نبائع المودة: ٢٠٣، كشف الغمة ٢: ٨٠، عنه البحار ٣٧: ٧١ ح ٣٨،

مستدرک الحاكم ٣: ١٦٧ ح ٤٧٣٢.

وعن عائشة أيضاً أنه: كنّ أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) عنده في مرض موته لم يغادر منهم هناك واحدة، فأقبلت فاطمة (عليها السلام) تمشي ما تخطى مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما رآها رحّب بها وقال: مرحباً يا بنتي، ثم أجلسها عن يمينه ثم سارّها، فبكت بكاءً شديداً، فلما رأى جزعها سارّها الثانية فضحكت.

قلت: قد خصّك رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بين نسائه بالسرار، فلماذا بكيت ثم ضحكت؟ فقالت: أتني إذا البذرة، وما كنت لأفشي سرّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما مات النبي (صلى الله عليه وآله) قلت: عزمت عليك بحق النبي (صلى الله عليه وآله) لما حدّثتيني ما قال رسول الله لك عند وفاته. قالت: اما المرّة الاولى فأخبرني أنّ جبرئيل كان يعرضني القرآن في كلّ سنة مرّة، وإنّه عرضني في هذه السنة - أو هذا الآن - مرّتين، وأتني لأرى الأجل قد اقترب فاتقي الله واصبري، فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارّني الثانية فقال: يا فاطمة أنت أول أهلي لحوقاً بي، وأما ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين، فضحكت ضحكي الذي رأيت^(١)، الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة.

وبالجملة فلا ريب أنّها كانت سيّدة نساء العالمين، وأحبّ الى النبي (صلى الله عليه وآله) من جميع نساء المؤمنين، وأنّها كانت بضعة الرسول، والعذراء البتول، ومشكاة النبوة، ومصباح الفتوة، الى غير ذلك من صفاتها الباهرة، وكمالاتها الظاهرة ممّا هو من أعظم المناقب وأعلاها، وأقوم المذاهب الى ذروة الشرف وأسناها، بحيث تودّ نفوس المفاخرين لو سمعت بواحدة منها وتتمناها.

(١) صحيح مسلم ١٦: ٥ في فضائل فاطمة (عليها السلام)، عنه العمدة: ٣٨٦ ح ٧٦٤، والبحار ٣٧: ٦٦ ح ٣٨، وجامع الاصول ٩: ١٢٩ ح ٦٦٧٧، ونحوه في مسند احمد ٧: ٤٠١ ح ٢٥٨٧٤، في أحاديث فاطمة (عليها السلام)، صحيح البخاري ٥: ٥٣ ح ١٤٩، سنن الترمذي ٥: ٤٦٦ ح ٣٨٩٨، ينابيع المودة: ٢٠٣، كشف الغمة ٢: ٨٠، ذخائر العقبى: ٣٩.

[ما نُقل من كتاب كشف الغمة في فضل الزهراء (عليها السلام)]
 قال في كشف الغمة: ^(١) ولقد أشرق عوالم الغيب والشهود بأشراق أنوارها،
 وأضاء لآلاتها بتشعشع ضيائها، وسحّت ^(٢) سحب العزّ بسحّ أنوائها، واعتلى نورها
 على كلّ موجود بعلو منارها، متعالية عن أعين النظّار، سابقة من يجاريها الى
 المضمار، الكريمة الكريمة الأنساب، الشريفة الشريفة الأحساب، الطاهرة
 الطاهرة الميلاد، الزهراء الزاهرة الأولاد، السيّدة الجليّة باجماع أهل السداد،
 الخيرة من أهل الخير والرشاد، ثلثة الشمس والقمر، بنت خير البشر، أم الأئمة
 الفرر، الصافية من الشوب والكدر، الصفوة على رغم من جحد أو كفر، الحالية
 بجواهر الجلال، الحالّة في أعلى رتب الكمال، المختارة على النساء والرجال،
 صلى الله عليها وعلى أبيها وبعليها وبنيتها السادة الأنجاب، ورّاث النبوة والحكمة
 والكتاب.

قال: وحكى لي السيد تاج الدين محمد بن نصر العلوي الحسيني انّ بعض
 الوعاظ ذكر فاطمة (عليها السلام) ومزاياها، وكون الله تعالى وهبها من كلّ فضيلة
 مرباعها وصفاياها، وذكر بعليها وأباها وأبناءها، فاستخفّه الطرب وأنشد:
 خجلاً من نور بهجتها تتوارى الشمس في الشفق
 وحياء من شمائلها يمتغطى الغصن بالورق
 فشقّ كثير من الناس ثيابهم، وأوجب وصفها بكاءهم وانتحابهم ^(٣).
 وفاطمة أحد الأسماء الخمسة التي هي الكلمات التي تلقى آدم من ربه إيّاها،

(١) كشف الغمة ٢: ٧٦.

(٢) السّحّ: الصبّ، والسيلان من فوق / القاموس.

(٣) كشف الغمة ٢: ٩٢.

وقال في حلية الأولياء ٢: ٣٩: قال الشيخ: ومن ناسكات الأصفياء، وصفيات الأتقياء فاطمة،
 السيدة البتول، البضة الشبيهة بالرسول، ألوط أولاده بقلبه لصوقاً، وأزلهم بعد وفاته لحوقاً، كانت عن
 الدنيا ومتعتها عازقة، وبغوامض عيوب الدنيا وأفانها عارفة.

كما في الأخبار الكثيرة، وهي مكتوبة على ساق العرش قبل أن يخلق الله آدم بسبعة آلاف سنة، وهي أكرم الخلق على الله، وما سأل الله عبد بحقهم الا استجاب له، قال النبي (صلى الله عليه وآله): والله لو أقسم أهل الأرض بهذه الأسماء لأجابهم الله^(١).

وذكر أيضاً في الكتاب المسطور الحديث السابق المذكور في بكاء فاطمة عند وفاة أبيها، ثم ضحكها وسرورها وبيان وجه البكاء، وهو خبر وفاة أبيها، وسرّ الضحك والسرور، وهو اخباره (صلى الله عليه وآله) بعدم طول حياتها بعده ولحوقها به بعد أيام قليلة، واستبشارها بتلك البشارة، ثم قال:

فدلّ مضمون هذا الخبر على أنّ فاطمة (عليها السلام) سليلة النبوة، ورضيعة درّ الكرم والفتوة، ودرّة صدف الفخار، وغرة شمس النهار، وذبالة مشكاة الأنوار، وصفوة الشرف والجود، وواسطة قلادة الوجود، ونقطة دائرة المفاخر، وقمر هالة المآثر، الزهرة الزهراء، والغرة الغرّاء، العالية في المحلّ الأعلى، الحالة في المرتبة العليا، السامية بالمكانة المكيّة في عالم السماء.

المضيئة بالأنوار المنيرة، المستغنية باسمها عن عدّها ورسمها، قرّة عين أبيها، وقرار قلب أمّها، الحالية بجواهر علاها، العاطلة من زخرف دنياها، سيّدة النساء، جمال الآباء وشرف الأنبياء، يفخر آدم بمكانها، ويفرح نوح بعلوّ شأنها، ويسمو ابراهيم بكونها من نسله، ويتبجّع^(٢) اسماعيل بها على إخوته إذ هي فرع أصله. وكانت ريحانة النبي (صلى الله عليه وآله) من بين أهله بل روحه وقلبه، فما يجارها في مفخر الا مغلب، ولا يباريها في مجد الا مؤنّب، ولا يجحد حقّها الا مأفون^(٣)، ولا يصرف عنها وجه إخلاصه الا مغبون^(٤).

(١) الخصال: ٦٣٩ ح ١٣ باب ما بعد الألف، كشف الغمّة ٢: ٩٤، عنه البحار ٩٤: ٢٠ ح ١٥.

(٢) التبجّع: الفرح، وتبجّع به: فخر / لسان العرب.

(٣) رجل أفين ومأفون أي ناقص العقل / لسان العرب.

(٤) كشف الغمّة ٢: ٨١.

ثم ذكر كلاماً طويلاً حاصله أنّ مضمون هذا الخبر يدلّ على كونها (عليها السلام) أشرف من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ما خلا خاتم النبيين وسيد المرسلين، وزوجها امير المؤمنين وأولاده المعصومين (عليهم السلام).
وذلك لأنّها قد ضحكت بوعد لقاء ربّها، وتبشّرت بقرب زمان موتها، ولم يظهر هذا الشأن من أحد من الأنبياء العظام، فإنّ آدم (عليه السلام) أبا البشر بعد ملاحظة أعمار الأنبياء من أولاده حين أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم، رأى أنّ عمر داود (عليه السلام) قليل في الغاية، فترحمّ ووهب له من مدّة عمره المقرّر له ثلاثين سنة - أو أربعين سنة -.

فلما آن وفاته مع ما كان عليه من طول عمره وامتداد حياته، حضر ملك الموت عنده ليقبض روحه، وكان عمره المقرّر له معيّناً عنده بتعيين الله له، فقال: قد بقي من عمري مدّة ثلاثين سنة، قال ملك الموت (عليه السلام): قد وهبتها في الذرّ لابنك داود، فهل ترجع في هبتك في هذه النشأة؟ فقال آدم (عليه السلام): أنا لا أتذكّر ما ذكرته.

وفي خبر عن النبي (صلّى الله عليه وآله): أنّه جحد فجحدت ذريّته^(١).
وورد في الأخبار أنّ بعد هذه المقدّمة قرّر الله تعالى على بني آدم الحكم بكتابة الكتابة في المعاملات الواقعة بينهم حتى تكون حجة عند عدم المذاكرة، وإنّ من وصل رحمه زاد في عمره ثلاثون سنة، ومن قطعه نقص منه بقدر تلك المدّة^(٢).

وإنّ نوحاً الذي كان شيخ الأنبياء، وأطولهم عمراً وأكثرهم سنّاً، حتى ورد أنّ عمره بلغ ألفين وخمسمائة سنة، ولبت من تلك المدّة في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يدعوهم الى الايمان فلا يجيبونه، قال في مرض موته استقلالاً لما مرّ عليه من الحياة الدنيويّة: ما رأيت الدنيا إلّا مثل دار لها بابان، دخلت من أحدهما

(١) تاريخ الطبري ١: ٩٨ / في وفاة آدم (عليه السلام).

(٢) الانوار النعمانية ٤: ٢٠٢ عن الصدوق.

وخرجت من الآخر، فاستقلَّ العمر الطويل الذي به عمَّر^(١).

وانَّ ابراهيم (عليه السَّلام) سأل ربَّه ألاَّ يقبض روحه حتى يسأله، ولم يسأله ذلك حتى رأى يوماً رجلاً في غاية الكهولة على هيئة منكرة، يسيل لعاب فمه الى لحيته، ويتلطَّخ به سبلته، وقد حضر على ضيافة ابراهيم ومائدته، وكان كلَّما يضع لقمة في فيه ويزدرد لها سقطت من الجانب الأسفل من ساعته بلا تحليل في اللقمة، على غير اختيار من الرجل.

فقال له (عليه السَّلام): يا شيخ ما حالك وما بالك حتى صرتَ كذلك؟ فقال: انِّي ابتليت بغاية الهرم والكبر، فزال منِّي القوَّة الماسكة والهاضمة والقوى الاخر فصرت كما ترى، فقال: هذا آخر الهرم لكلِّ من الورى؟ قال: نعم، فاستنكر ابراهيم (عليه السَّلام) هذا الحال وسأل حينئذٍ من الله الموت والارتحال، وكان الرجل ملكاً أتى اليه في تلك الصورة^(٢).

وفي خبر آخر قال ابراهيم (عليه السَّلام) له: كم عمرك؟ فأخبره بما يزيد على عمر ابراهيم (عليه السَّلام) سنة، فاسترجع وقال: أنا أصير بعد سنة الى هذه الحالة، فسأل الموت من الله سبحانه^(٣).

وفي خبر آخر أنَّه لم يرض بقبض ملك الموت لروحه في بادى الحالة، فقال ملك الموت: يا ابراهيم الخليل ألا يرضى الخليل بلقاء الخليل، فرضى بعده^(٤).

وانَّ موسى (عليه السَّلام) لمَّا جاءه ملك الموت لقبض روحه لم يرض بذلك، ورجع ملك الموت فقال: ربَّ أنَّك أرسلتني الى عبد لا يحبُّ الموت، فأوحى الله الى موسى أن يضع يده على متن ثور، فلك بكلِّ شعرة دارات يدك عليها عمر سنة، فقال (عليه السَّلام): ثم ماذا؟ فقال: الموت، فقال لملك الموت: انته الى أمر

(١) كشف الغمة ٢: ٨٢ / في فضائل فاطمة (عليها السَّلام).

(٢) تاريخ الطبري ١: ١٨٧ / في وفاة ابراهيم (عليه السَّلام)، نحوه.

(٣) كشف الغمة ٢: ٨٢ / في فضائل فاطمة (عليها السَّلام).

(٤) الأنوار النعمانية ٤: ٢٠٤.

ربك، فقبضه^(١).

وروى العامة في هذا الخبر أن موسى (عليه السلام) لطم ملك الموت في أول الحالة أو وكزه، فأعوره فأعطاه الله عينه، وأرجعه بالوحي المذكور إليه، الى آخر الرواية^(٢).

وفي رواية أخرى أن موسى لما لم يقطع ملك الموت في قبض روحه سار ذاهباً في الأرض، فرأى أحداً يحفر قبراً، فقال: لمن تحفر هذا القبر؟ قال: لأحد من أولياء الله، قال موسى (عليه السلام) فأعينك على حفره. فلما تم الحفر قال موسى (عليه السلام): فأنا أرقد فيه فأنظر هل بقي منه نقصان لنتمته، فلما رقد في القبر مستلقياً نزل ملك الموت فقبضه هناك، وكان هذا الحافر واحداً من الملائكة^(٣).

فانظر ما نسبه اولئك الأنعام الى الأنبياء العظام، أمناء الملك العلام سيما اولو العزم منهم، وليس ذلك بعجيب ممن رأسهم الذنب.

وبالجملة فليس نفس من النفوس الانسانية الا وهي كارهة للموت لا محالة، إذ هو هادم اللذات، ومفرق الجماعات، وموتم البنين والبنات مع استيناس الأرواح الى الأبدان العنصرية، وميل الطباع البشرية الى الحياة الدنيوية، ولو مع صفة النبوة والرسالة كطباع الأنبياء والكرام (عليهم السلام) حيث أنهم على شرف مقاديرهم، وعظم أخطارهم ومكانتهم من الله تعالى، ومنازلهم من محال قدسه، وعلمهم بما يؤول اليه أحوالهم، وتنتهي اليه امورهم، أحبوا الحياة ومالوا اليها، وكرهوا الموت ونفروا منه لما اشير اليه من الاستيناس، إذ انقطاع الانس خطب جسيم وعذاب أليم، بل جميع الآلام الدنيوية والاخرية راجعة الى انقطاع الانس البتة.

(١) كشف الغمة ٢: ٨٢/ في فضائل فاطمة (عليها السلام). الأنوار النعمانية ٤: ٢٠٥.

(٢) راجع تاريخ الطبري ١: ٢٥٦/ في وفاة موسى (عليه السلام).

(٣) نحوه الأنوار النعمانية ٤: ٢٠٤.

وفاطمة (عليها السلام) كانت فتاة فتية في عنفوان الشباب والفتوة، ولها زوج كريم، وأولاد صغار أطياب أطهار مع تعلق قلبها بهم في الغاية، وميلها اليهم في النهاية، ولم تقض من الدنيا رباً، ولا من لذائذها وطراً، ومع ذلك كله فاذا بُشّرت بسرعة اللحاق الى دار القرار، والمفارقة من الدنيا وزوجها وأطفالها الصغار تبشّرت، ومن غاية السرور الطارئ لها ضحكت.

فلاحظ حالها مع حال اولئك الأنبياء العظام، والرسل الكرام، وأمناء الملك العلّام، فهم في أيّ واد وهي (عليها السلام) في أيّ واد^(١)، وإنّ هذا والله أمر عظيم لا يحيط الانس بصفته، ولا يهتدي القلوب الى معرفته، وما ذلك الا لأمر جعله الله في أهل هذا البيت الكريم، وسرّ أوجب لهم مزية التقديم، فخصّهم بياهر معجزاته، وأظهر فيهم آثار بيّناته، وأيدهم ببراهينه الصادعة، ودلالاته الساطعة، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

تتميم الكلام في بعض فضائل الزهراء (عليها السلام):

قد اتفق المخالف والمؤلف على أنّه كلّما جاءت فاطمة (عليها السلام) الى مجلس أبيها قام اليها وقبّلها وأجلسها في مكانه وعظّمها، وهي أيضاً كانت تفعل كذلك بأبيها كلّما جاء اليها، ولكنّ العجب من الأمر السابق لا اللاحق، وما ذلك الا من جهة أنّ لها عند الله فضلاً عظيماً ومقاماً كريماً، والا فقد أمر الله بتعظيم الولد للوالد لا بعكس القضية، وهو بضدّ ما أمر به امته.

قال عليّ بن عيسى الأربلي في هذا المقام: ولولا أنّ فاطمة (عليها السلام) سرّاً الهيّاً ومعنى لاهوتياً لكان لها اسوة بسائر أولاده (صلّى الله عليه وآله)، ولقاربوا منزلتها عنده، ولكنّ الله يصطفي من يشاء^(٢).

قال: وفضل فاطمة (عليها السلام) مشهور، ومحلّها من الشرف من أظهر

(١) ولتعم ما قيل بالفارسية:

تفاوت از زمین تا آسمان است

میان ماه من تا ماه گردون

(٢) كشف الغمة ٢: ٩٠ / في فضائل فاطمة (عليها السلام).

الامور، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يعظم شأنها، ويرفع مكانها، وكان يكتفيها بأم أبيها، ويحلها من محبته محلاً لا يقار بها فيه أحد ولا يوازيها^(١).

وعن عائشة أنه قال عليّ لرسول الله (صلى الله عليه وآله) لَمَّا جَلَسَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَهُمَا مُضْطَجِعَانِ: أَيُّنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنَا أَوْ هِيَ؟ فَقَالَ (صلى الله عليه وآله): هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَغْزَلِي مِنْهَا^(٢).

وفي خبر آخر لفاطمة (عليها السلام): لَكَ حِلَاوَةُ الْوَلَدِ وَلَهُ ثَمَرُ الرَّجَالِ، وَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ^(٣).

وعن عائشة أيضاً: مَا كَانَ أَحَدٌ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ فَاطِمَةَ الْوَلَدِ وَلَدَهَا^(٤).
وعنها أيضاً: مَا كَانَ أَحَدٌ أَشْبَهَ بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) كَلَاماً وَحَدِيثاً مِنْهَا^(٥).

وعن أم سلمة: كَانَتْ فَاطِمَةُ (عليها السلام) أَشْبَهَ النَّاسَ شَبْهاً وَوَجْهاً بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)^(٦).

وعن حذيفة بن اليمان قال: كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) لَا يَنَامُ حَتَّى يَعرِضَ وَجْهَهُ إِلَى فَاطِمَةَ، أَوْ يَجْعَلَ وَجْهَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهَا^(٧).
وعن الصادق (عليه السلام) مثله، وكان (صلى الله عليه وآله) يقول كثيراً:

(١) المصدر نفسه.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ٦٩، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣١، عنه البحار ٤٣: ٣٨ ح ٤٠، كشف الغمّة ٢: ٩٠، كفاية الطالب: ٣٠٩، كنز العمال ٦: ٣٩٣، ذخائر العقبى ٢٩، الصواعق: ٢٩٠.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣١، عنه البحار ٤٣: ٣٨ ح ٤٠.

(٤) مستدرک الحاكم ٣: ١٧٥ ح ٤٧٥٦، ذخائر العقبى: ٤٤، مقتل الحسين للخوارزمي: ٥٦، الاستيعاب ٤: ٣٧٧، حلية الاولياء ٢: ٤١، كشف الغمّة ٢: ١٠٠.

(٥) الذرية الطاهرة: ١٤٠ ح ١٧٥، ذخائر العقبى: ٤١، أمالي الطوسي: ٤٠٠ ح ٨٩٢، عنه البحار ٤٣: ٢٥ ح ٢٢.

(٦) كشف الغمّة ٢: ١٠٠، عنه البحار ٤٣: ٥٥ ح ٤٨.

(٧) مقتل الحسين للخوارزمي: ٦٦، كشف الغمّة ١: ٩٥، عنه البحار ٤٣: ٥٥ ح ٤٨.

فداها أبوها ثلاثاً أو أكثر^(١).

وعن طرق أصحابنا، عن ابن عباس أنه (صلى الله عليه وآله) قال: لن يركب يوم القيامة الا أربعة، أنا وعليّ وفاطمة وصالح نبي الله، فأنا على البراق، وعليّ على الدلدل، وفاطمة ابنتي على ناقتي العضباء، وصالح نبيّ الله على ناقته^(٢).
وعن ابن عمر وغيره: إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) اذا أراد سفراً كان آخر الناس عهداً بفاطمة، واذا قدم كان أوّل الناس عهداً لفاطمة (عليها السّلام)^(٣).

وعن ثوبان مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: كان النبي (صلى الله عليه وآله) إذا سافر كان آخر عهده بانسان من أهله فاطمة، وأوّل من يدخل عليه إذا قدم فاطمة (عليها السّلام)، قال: فقدم من غزاة فأتاها فاذا هو بمسح على بابها، ورأى على الحسن والحسين (عليهما السّلام) قلبين من فضّة، فرجع ولم يدخل عليها.

فلما رأت ذلك فاطمة (عليها السّلام) ظنّت أنّه لم يدخل عليها من أجل ما رأى، فهتكت الستر، ونزعت القلبين من الصبيّين فقطعتهما، فبكى الصبيّان فقسمته بينهما فانطلقا الى النبي (صلى الله عليه وآله) وهما يبكيان، فأخذه النبي (صلى الله عليه وآله) منهما وقال: يا ثوبان اذهب بهذا الى بني فلان - أهل بيت في المدينة - واشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج، وفرّق الباقي على بني فلان - أهل بيت فقراء بالمدينة - فإنّ هؤلاء أهل بيتي ولا احبّ أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا^(٤).

(١) راجع البحار ٤٣: ٢٠ ضمن حديث ٧.

(٢) الخصال: ٢٠٤ ح ٢٠ باب الاربعة، عنه البحار ١١: ٣٨٠ ح ٦.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٣، عنه البحار ٤٣: ٤٠ ح ٤١، السنن الكبرى ١: ٢٦ ح ٣ باب المنع من الادهاان في عظام الفيلة، ذخائر العقبى: ٣٧، نظم درر السمطين: ١٧٧.

(٤) مسند احمد ٦: ٣٧٠ ح ٢١٨٥٨، عنه كشف الغمّة ٢: ٧٨، عنه البحار ٤٣: ٨٩ ح ١٠، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٢٤٣ / في سيرتها (عليها السّلام)، الصواعق المحرقة: ٢٧٧، المحجة البيضاء

وعن طرق العامة عن النبي (صلى الله عليه وآله): أوّل شخص يدخل الجنّة فاطمة^(١).

وعنه (صلى الله عليه وآله) أيضاً عن جبرئيل: إنّ الله تعالى لمّا زوج فاطمة عليّاً (عليهما السلام) أمر رضوان فأمر شجرة طوبى، فحملت رقاعاً لمحبي آل محمد (صلى الله عليه وآله)، ثم أمطرها ملائكة من نور بعدد تلك الرقاع، فأخذ تلك الملائكة الرقاع، فإذا كان يوم القيامة واستوت بأهلها أهبط الله الملائكة بتلك الرقاع، فإذا لقى ملك من هؤلاء الملائكة رجلاً من محبي آل محمد (صلى الله عليه وآله) دفع إليه رقعة براءة من النار^(٢).

وفي خبر الأعرابي عن النبي (صلى الله عليه وآله) بعد دعاء الأعرابي لفاطمة حين أعطته عقدها، وأخذه منه عمار بقدر كفاف الأعرابي من الذهب والفضة والزاد والراحلة، وأمره النبي (صلى الله عليه وآله) بدعائه لفاطمة (عليها السلام)، فقال:

«اللهم أنّك إله ما استحدثناك، ولا إله لنا نعبده سواك، وأنت رازقنا على كلّ الجهات، اللهم اعط فاطمة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت».

فأمّن النبي (صلى الله عليه وآله) على دعائه، ثم أقبل الى أصحابه فقال: إنّ الله تعالى قد أعطى فاطمة في الدنيا ذلك، أنا أبوها وما أحد من العالمين مثلي، وعليّ بعلمها ولولا عليّ ما كان لفاطمة كفو أبداً، وأعطاها الحسن والحسين وما للعالمين مثلهما، سيّداً أسباط الأنبياء، وسيّداً شباب أهل الجنّة^(٣).

وعن الصادق (عليه السلام): إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش:

(١) مقتل الحسين للخوارزمي: ٥٦، الفردوس ١: ٢٨ ح ٨١، نظم درر السمطين: ١٨٠، الخصائص الكبرى للسيوطي ٢: ٢٢٥، مسند فاطمة الزهراء (عليها السلام): ٥٢ ح ١١٤، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٩، عنه البحار ٤٣: ٤٤ ح ٤٤.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ٦٠، ينابيع المودة: ٢٠٨ في تزويج فاطمة، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٨، عنه البحار ٤٣: ٤٥ ح ٤٤.

(٣) البحار ٤٣: ٥٧ ح ٥٠، عن بشارة المصطفى: ١٣٨-١٣٩.

يا معشر الخلائق غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَمُرَّ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حَبِيبُ اللَّهِ إِلَى قَصْرِهَا، فَتَمُرَّ أُمِّي فَاطِمَةُ وَعَلَيْهَا رِيطَانُ خَضِرَاوَانٍ، حَوَالِيهَا سَبْعُونَ أَلْفَ حَوْرَاءَ، فَإِذَا بَلَغْتَ إِلَى بَابِ قَصْرِهَا - وَفِي خَيْرٍ آخَرَ: إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ - رَأَيْتُ جَدِّي الْحُسَيْنَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَائِمًا عِنْدَهُ مَقْطُوعُ الرَّأْسِ وَمَعَهُ الْحَسَنُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فَتَقُولُ لِلْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: هَذَا أَخِي، إِنَّ أُمَّةَ أَبِيكَ قَتَلُوهُ وَقَطَعُوا رَأْسَهُ.

فَيَأْتِيهَا النَّدَاءُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: يَا بِنْتَ حَبِيبِ اللَّهِ أَنِّي أَمَّا أُرَيْتُكَ مَا فَعَلْتُ بِهَ أُمَّةَ أَبِيكَ لِأَنِّي ادَّخَرْتُ لَكَ عِنْدِي تَعْزِيَةً بِمَصِيبَتِكَ فِيهِ، أَنِّي جَعَلْتُ تَعْزِيَتَكَ الْيَوْمَ أَنِّي لَا أَنْظُرُ فِي مُحَاسَبَةِ الْعِبَادِ حَتَّى تَدْخُلِيَ الْجَنَّةَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتُكَ وَشِيعَتُكَ، وَمَنْ أَوْلَاكُمْ مَعْرُوفًا مِمَّنْ لَيْسَ هُوَ مِنْ شِيعَتِكَ، قَبْلَ أَنْ أَنْظُرَ فِي مُحَاسَبَةِ الْعِبَادِ.

فَتَدْخُلُ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) أُمِّي الْجَنَّةَ وَذُرِّيَّتَهَا وَشِيعَتَهَا، وَمَنْ أَوْلَاهُمْ مَعْرُوفًا مِمَّنْ لَيْسَ هُوَ مِنْ شِيعَتَهَا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْكَبِيرُ - أَيُّ هَوْلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - وَهُمْ فِيهَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾^(١) هِيَ وَاللَّهُ فَاطِمَةُ وَذُرِّيَّتَهَا وَشِيعَتَهَا، وَمَنْ أَوْلَاهُمْ مَعْرُوفًا مِمَّنْ لَيْسَ مِنْ شِيعَتَهَا^(٢).

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: قُلْتُ لِلْبَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): جَعَلْتَ فِدَاكَ حَدَّثَنِي بِحَدِيثٍ فِي فَضْلِ جَدَّتِكَ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) إِذَا أَنَا حَدَّثْتُ الشَّيْعَةَ فَرَحُوا بِذَلِكَ.

قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَصَبَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيَكُونُ مَنَابِرِي أَعْلَى مَنَابِرِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: يَا مُحَمَّدُ اخْطُبْ، فَأَخْطُبُ بِخُطْبَةٍ لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ بِمِثْلِهَا.

ثُمَّ يُنْصَبُ لِلْأَوْصِيَاءِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، وَيُنْصَبُ لَوْصِيِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي أَوْسَاطِهِمْ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيَكُونُ مَنَابِرُهُ أَعْلَى مَنَابِرِهِمْ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا عَلِيُّ

(١) الْأَنْبِيَاءُ: ١٠٢ وَ ١٠٣.

(٢) تَفْسِيرُ فِرَاتٍ: ٢٦٩ ح ٣٦٢ عَنْهُ الْبَحَارُ ٤٣: ٦٢ ح ٥٤.

اخطب فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء والرسل بمثلها.
ثم يُنصب لأولاد الأنبياء والمرسلين مثلها، ثم ينادي المنادي وهو جبرئيل:
أين فاطمة بنت محمد (صلّى الله عليه وآله)؟ أين خديجة بنت خويلد؟ أين مريم
بنت عمران؟ أين آسية بنت مزاحم؟ أين كلثوم أم يحيى بن زكريّا؟ فيقمن، فيقول
الله تعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟ فيقول محمد وعليّ والحسن والحسين:
الله الواحد القهار.

فيقول الله تعالى: يا أهل الجمع أنّي قد جعلت الكرم لمحمد وعليّ والحسن
والحسين وفاطمة، يا أهل الجمع طأطئوا الرؤوس وغضّوا الأبصار، فإنّ هذه
فاطمة تسير الى الجنّة.

فيأتها جبرئيل بناقة من نوق الجنّة، مُدبّجة الجنين، خطامها من اللؤلؤ المخفق
الرطب، عليها رحل من المرجان، فتناخ بين يديها فتركبها، فيبعث اليها مائة ألف
ملك فيسيرون عن يمينها، ويبعث اليها مائة ألف ملك أيضاً فيسيرون على
يسارها، ويرسل اليها مائة ألف ملك يحملونها على أجنحتهم حتى يصيرونها على
باب الجنّة.

فاذا صارت عند باب الجنّة تلتفت، فيقول الله تعالى: يا بنت حبيبي ما التفاتك
وقد أمرت بك الى الجنّة؟ فتقول: يا رب أحببت أن يُعرف قدري في مثل هذا
اليوم، فيقول الله تعالى: يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حبّ لك
ولأحد من ذرّيتك خذي بيده فأدخله الجنّة.

قال أبو جعفر (عليه السلام): والله يا جابر أنّها ذلك اليوم لتلقط شيعتها
ومحبّيتها كما تلتقط الطير الحبّ الجيّد من الردي، فاذا صار شيعتها معها عند باب
الجنّة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فاذا التفتوا فيقول الله تعالى: يا أحبائي ما
التفاتكم وقد شفّعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟

فيقولون: يا ربّ أحببنا أن يُعرف قدرنا في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يا
أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحبّ فاطمة، انظروا من أعطاكم شيئاً لحبّ

فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حبّ فاطمة، انظروا من ردّ عنكم غيبة في حبّ فاطمة، خذوا بيده وأدخلوه الجنة.

قال أبو جعفر (عليه السّلام): والله لا يبقى في الناس إلّا مشرك أو كافر أو منافق، فإذا صاروا بين الطبقات نادوا كما قال الله تعالى: ﴿فما لنا من شافعين﴾ ولا صديق حميم^(١) (٢).

وحديث اتحاف فاطمة (عليها السّلام) لسلمان من تحف الجنة مشهور، حيث أتت إليها ثلاث من الحور العين: مقدودة لمقداد، وذرة لأبي ذر، وسلمى لسلمان، مع رطب من الجنة، فأعطت شيئاً منه لسلمان وقالت: افطر عليه عشيتك وجئني غداً بنواه - وكان يفور منه رائحة المسك -.

فلما أفطر به الليل فلم يجد له نواة، فمضى إليها من الغدوّ وأخبرها بذلك قالت: يا سلمان ولن يكون له عجم ولا نوى، وأنما هو نخل غرسه الله في دار السلام بكلام علّمنيّه أبي محمد (صلّى الله عليه وآله)، كنت أقوله غدوة وعشيّة. قال سلمان: قلت: علّمني الكلام يا سيّدتي، فقالت: إن سرّك أن لا يمسّك أذى الحمى ما عشت في دار الدنيا فواظب عليه، ثم قال سلمان: علّمني هذا الحرز، فقالت: «بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله النور...» إلى آخر ما يأتي في جملة أدعيّتها (عليها السّلام)^(٣).

وروي عن عليّ (عليه السّلام) في خبر طويل ما حاصله أنّه قال: كنّا جلوساً عند النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال لنا: أيّ شيء خير للنساء؟ فعجز الحاضرون عن الجواب، فرجعت أنا إلى فاطمة (عليها السّلام) وقصصت لها الواقعة، فقالت: إنّ أولى الأشياء بالمرأة أن لا يراها أحد ولا ترى أحداً، فرجعت إلى النبي (صلّى الله عليه وآله) فأخبرته ذلك، فقال: يا عليّ من أخبرك بذلك؟ فقلت: فاطمة،

(١) الشعراء: ١٠٠ و ١٠١.

(٢) تفسير فرات: ٢٩٨ ح ٤٠٣، عنه البحار ٤٣: ٦٤ ح ٥٧.

(٣) مهج الدعوات: ٥ / حرز فاطمة (عليها السّلام)، عنه البحار ٤٣: ٦٧ ح ٥٩.

فقال (صلى الله عليه وآله): فاطمة بضعة مني...^(١).

توضيح: ولا يذهب عليك أنّ علياً (عليه السلام) لم يكن جاهلاً بجواب المسألة البتة، بل إنّما فعل كذلك ليظهر للناس مرتبة فاطمة (عليها السلام) في الفضيلة، ويظهر النبي (صلى الله عليه وآله) بعض فضلها على الناس ليكون ذلك حجة فيما بعده لمن بعده.

قيل: وفي قوله (صلى الله عليه وآله): (فاطمة بضعة مني)، إشارة لطيفة إلى أنّ فاطمة (عليها السلام) مرتبة من مراتب ظهوره (صلى الله عليه وآله)، ومقام من مقامات نوره، فهي (عليها السلام) كانت تتكلم من علومه، وتخبر عن مكنونات ضميره الذي هو البحر المستدير على نفسه.

آب از دریا به دریا می رود از همانجا کامد آنجا می رود
وقد قال (صلى الله عليه وآله) في الخبر المروي عن مجاهد أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) خرج يوماً ويده يد فاطمة (عليها السلام)، قال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني...^(٢).

والحال أنّه (صلى الله عليه وآله) قال لعليّ (عليه السلام): يا عليّ أنت نفسي التي بين جنبي، فجعل عليّاً (عليه السلام) وفاطمة (عليها السلام) روحه.

وقد أطلق النفس علىّ كثيراً في الآيات والأخبار، تارة بالنسبة إلى النبي المختار كالخبر السابق، وقوله تعالى: ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾^(٣) فإنّ المراد هنا من النفس المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) هو عليّ (عليه السلام)، كما ورد في الأخبار من طرق

(١) كشف الغمّة ٢: ٩٤، عنه البحار ٤٣: ٥٤ ح ٤٨، شرح الأخبار ٣: ٣٠ ح ٩٧٠، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٢.

(٢) كشف الغمّة ٢: ٩٤، عنه البحار ٤٣: ٥٤ ح ٤٨.

(٣) آل عمران: ٦١.

الخاصة والعامة، وسيأتي بيانه فيما بعد في توجيه الحديث المشهور المنسوب الى الرضا (عليه السلام) مع المأمون، حيث قال المأمون: ما الدليل على ولاية جدك؟ قال (عليه السلام): آية أنفسنا.

وتارة بالنسبة الى الله تعالى، مثل قوله (عليه السلام) في الزيارة السابعة من كتاب تحفة الزائر للمجلسي (رحمه الله): «السلام على نفس الله القائمة فيه بالسنن»^(١).

وفي الزيارة الاخرى: «السلام على نفس الله العليا، وشجرة طوبى، وسدره المنتهى، والمثل الأعلى»، ومثل قوله تعالى: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾^(٢) أي يحذركم أن تعتدوا عن طاعة علي (عليه السلام)، أو أن تغضبوا خلافته، أو أن تنكروا ولايته.

وفسر نفس الله بالنبي (صلى الله عليه وآله) أيضاً ولا منافاة بينهما ولا مغايرة، سيما مع ما أشير اليه أن علياً (عليه السلام) هو نفس النبي (صلى الله عليه وآله) في الخبر والآية، وعلى هذا النحو قوله تعالى حكاية عن عيسى (عليه السلام): ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(٣).

وبالجملة فالغرض أن علياً (عليه السلام) أطلق عليه لفظ النفس، وفاطمة (عليها السلام) أطلق عليها لفظ الروح، والروح وإن كان في الظاهر أعلى مرتبة من النفس إلا أنها أمر اعتباري في البين، وبرزخ حاجز بين البحرين، بخلاف النفس فإن لها تأصلاً في عالمها، واستقلالاً في مقامها، وهي مظهر تفاصيل الآثار، وبحر الفيض الذي منه تنشعب الأنهار، في مقام قول علي (عليه السلام): «ينحدر عني السيل، ولا يرقى اليّ الطير»^(٤) فلا يلزم أن تكون فاطمة (عليها السلام) أشرف من

(١) تحفة الزائر: ١٠٦، البحار ١٠٠: ٣٣٠ ح ٢٩.

(٢) آل عمران: ٢٨.

(٣) المائدة: ١١٦.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٣.

عليّ (عليه السلام).

وكذا الكلام في اطلاق روح الله على عيسى (عليه السلام)، ونفس الله على عليّ (عليه السلام)، وهذا المعنى جار في المقام سواء جعل الاضافة للاعظام، أو لنحو التشبيه في المقام، كما ان اطلاق روح الله على عيسى (عليه السلام)، وروح النبي (صلّى الله عليه وآله) على فاطمة لا يدلّ على كون عيسى أفضل منها، فإنّ هذه امور اعتباريّة نظير الذكورة والأنوثة، فإنّ الإتسام بصفة الانوثة إنّما هو من جهة تربيتها (عليها السلام)^(١) بالنسبة الى العوالم الكونيّة من حيث كونها آخر الأنوار الأربعة عشر، ومنها تظهر وتنشأ الفيوضات الالهية.

فهي مظهر التفاصيل الجارية، ومنشأ الآثار السارية، فهذه الانوثة أشرف من ألف ذكورية، والآ في عالم الأرواح والعقول والنفوس لا ذكورية ولا أنوثة، سيّما بالنسبة الى تلك الأشباح النورية، ولذا قيل:

وانكه از تأنيث جانرا باك نيست روح را با مرد و زن اشراك نيست
از مؤنث و ز مذكر برتر است اين نه آن جان است كز خشك و تراست
فليس في مطلق الذكورية شرف بالنسبة الى الانوثة، كما ترى انّ الشمس مؤنث بالنسبة الى الأحكام الظاهرة، والقمر مذكر، فهل ترى فيها جهة نقص من هذه الجهة.

وما ورد في نهج البلاغة أنّ النساء نواقص الايمان، نواقص العقول، نواقص الحظوظ، فأما نقصان ايمانهنّ فقعودهنّ عن الصلاة والصيام في أيّام حيضهنّ، وأما نقصان عقولهنّ فشهادة امرأتين منهنّ تعدل شهادة الرجل الواحد، وأما نقصان حظوظهنّ فمواريثهنّ على الانصاف من مواريث الرجال، فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهنّ على حذر^(٢).

فهذا ونحوه إنّما هو بالنظر الى ما سواها (عليها السلام) من سائر الرعية، فإنّ

(١) كذا الظاهر، وفي الأصل: تربيتها.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٠، عنه البحار ٣٢: ٢٤٧ ح ١٩٥.

جهات النقص لا تلحق ذراها ولا تبلغ مرقاها، فإنّ شهادتها تعدل شهادة العالمين حتى الأنبياء، ولا حيض لها (عليها السّلام)، ولا قعود عن الصلاة والصيام، وجميع مواريث أبيها لها في الاولى والاخرى.

وعروض جهات النقص للنساء ليس الآ لما ورد في الآثار المروية من أنّ المرأة فيها ثلثان من القوّة النفسانية، وثلث واحد من القوّة العقلانية، والمرء بالعكس، وجميع جهات الفيض من الارث وغيره تابعة للقوّة العقلانية.

وأما هذه المعصومة المطهّرة فليس فيها جهة نفسانية بالمرّة حتى توجب النقائص المذكورة، بل هي صرّف عقل وعقل صرف، ليس فيها شائبة الكدورة النفسية، ونور محض بلا شوب ظلّمة بالمرّة ولو مثقال ذرّة:

فلو كان النساء كمثّل هذي لفضّلت النساء على الرجال

[ذكر المقامات الأربعة للمعصومين]

وذكر بعضهم في بيان كون عليّ (عليه السّلام) بمنزلة نفس النبي (صلّى الله عليه وآله)، بل كونه (عليه السّلام) نفس الحقيقة المحمّدية في كونه مظهر تفاصيل الفيوضات الالهية، أنّ للنبي (صلّى الله عليه وآله) مقامات أربعة - كما ورد في بعض الأخبار المأثورة - وهي مقام البيان، والمعاني، والأبواب، والامامة.

فالأوّل مقامه اللاهوتي في مرتبة الفؤاد، أي الجهة العالية من العقل الكلّي، وهو مقام «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبيّ مرسل» واليه الإشارة في قولهم (عليهم السّلام): «لنا مع الله حالات هو فيها نحن ونحن هو، وهو هو ونحن نحن»، ومن هذا المقام تنحدر سيول الفيوضات الالهية، ولا ترقى اليه طيور العقولات الكلّية والجزئية.

والثاني مقامه الجبروتي، وهو مرتبة العقل الكلّي بنفسه من حيث هو مقام الحقيقة المحمّدية، ومقام أوّل ما خلق الله العقل^(١)، وأوّل ما خلق الله روحه^(٢).

(١) الفردوس ١: ١٣ ح ٤، والبحار ١: ٩٧ ح ٨.

(٢) البحار ٥٧: ٣٠٩، الانوار النعمانية ١: ١٣، كلمات مكنونة للفيض: ٧٠.

وأول ما خلق الله نوري أو نور نبيك يا جابر^(١)، ولا منافاة بين تلك الأخبار لصحة كل منها بوجه من الاعتبار.

عبارتنا شتّى وحسنك واحد وكلّ الى ذاك الجمال يشير وهو محلّ اجتماع الفيوضات السارية والسيول الجارية، وجبرئيل وسائر الملائكة الأربعة حملة العرش دون هذه المرتبة، وبالنسبة إليها قال جبرئيل: «لو دنوت انملة لا احترقت»^(٢).

أغريك سر موى برتر برم فروغ تجلى بسوزد پرم وهو أول موجود من الموجودات، واليه ينتهي الكائنات، وفيه قيل ما قيل: احمد ار بگشايد آن پرّ جليل تا آبد مدهوش ماند جبرئيل والثالث مقامه الملكوتي، وهو مرتبة النفس الكلية، ومن هذا المقام تنشعب الفيوضات الالهية الى محلّ قرارها كالطيور الى أوكارها، وجبرئيل من أهل هذه المرتبة وخذّام تلك الرتبة.

والرابع مقامه الناسوتي، وهو مرتبة الجسم الكلّي في عالم البشرية، فالنبوة وتبليغ الأحكام الالهية من صفات هذه المرتبة، وهي مقام ﴿أَنَا أَنَا﴾ بشر مثلكم يوحى اليّ ﴿أَنَا إِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾^(٣).

غربه ظاهر مثلكم باشد بشر بادلّ يوصى اليّ ديدهور وبشريته هذه أعلى رتبة وصفاء ونورية بمراتب كثيرة من هذه العقول البشرية في الأنبياء والرعية.

وهذه المراتب الأربعة تجري في بواقي الأنوار الأربعة عشر أيضاً، حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة، وهم من أجزاء هذه الدائرة العالية، وسكان تلك الرتبة السامية، وإن كان بعضهم مقدماً على بعض في المرتبة مع اتحاد الذوات في

(١) البحار ١٥: ٢٤ ح ٤٣ و ٤٤، عن رياض الجنان.

(٢) البحار ١٨: ٣٨٢ ح ٨٦، عن مناقب ابن شهر آشوب ١: ١٧٩ / في معراجہ (صلّى الله عليه وآله).

(٣) فصلت: ٦.

الحقيقة، تقدّم السراج المشتعل أولاً على السراج المشتعل منه ثانياً.
كما قال عليّ (عليه السلام): أنا من محمد كالضوء من الضوء^(١)، وآلأفهم من نور واحد وحقيقة واحدة، كما قال (صلى الله عليه وآله): أنا وعليّ من نور واحد^(٢).

وفي حديث آخر نقله المقدّس الأردبيلي (رحمه الله) قال (صلى الله عليه وآله): كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الرحمان قبل أن يخلق عرشه بأربعة عشر ألف عام - وفي رواية العوالم: قبل آدم بأربعين ألف عام - فلم نزل تتمخّض في النور حتى إذا وصلنا الى حضرة العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم خلق الله الخلائق من نورنا، فنحن صنائع الله والخلق كلّهم صنائع لنا.

وفي حديث آخر: والخلق بعد صنائعنا^(٣)، وفي خبر آخر: أنا من عليّ وعليّ منّي^(٤)، كما ورد: أنا من حسين وحسين منّي^(٥)، وغير ذلك.

فهم (عليهم السلام) من صنف البشر في الصورة، وأما في الباطن فيعجز عن درك معناهم العقول والأفهام، ولا يبلغ اليهم طامحات الأوهام، كما قال عليّ (عليه السلام): ظاهري ولاية ووصاية، وباطني غيب لا يدرك^(٦).

وقال (عليه السلام) أيضاً - كما حكى عن معاني الأخبار للعلامة (رحمه الله) - : يا سلمان نزلونا عن الربوبية، وادفعوا عنا حظوظ البشرية، فانا

(١) أمالي الصدوق: ٥١١ ح ١٠ مجلس، ٧٧، عنه البحار ٢١: ٢٦ ح ٢٥، وفي علل الشرائع: ١٧٢ ح ١.

(٢) الفردوس ٢: ١٩١ ح ٢٩٥٢، عنه البحار ٣٨: ١٥٠ ح ١٢٠.

(٣) البحار ٥٣: ١٧٨ ح ٩ عن الاحتجاج ٢: ٥٣٦ ح ٣٤٢، والغيبة للطوسي: ٢٨٥ ح ٢٤٥.

(٤) شرح الأخبار ١: ٩٣ ح ٨، كفاية الطالب: ٢٧٤، المناقب للمغازلي ٢٢٣ ح ٢٦٨، كنز العمال ٦: ٣٩٩. الصواعق المحرقة: ١٨٨، الباب التاسع.

(٥) سنن الترمذي ٥: ٤٢٩ ح ٣٨٠٠، سنن ابن ماجه ١: ٥١ ح ١٤٤، الصواعق المحرقة: ٢٩١، كشف الغمة ٢: ٢١٦، البحار ٤٣: ٢٩٥ ح ٥٦.

(٦) مشارق أنوار اليقين: ٧٠.

عنها مبعدون، وعمّا يجوز عليكم منزّهون، ثم قولوا فينا ما شئتم، فإنّ البحر لا ينزف، وسرّ الغيب لا يُعرف، وكلمة الله لا تُوصف، ومن قال هناك: لم وممّ، فقد كفر.

کار پاکان را قیاس از خود مگیر گر چه ماند در نوشتن شیر شیر
آن یکی شیر است کآدم می خورد و آن یکی شیراست کآدم می خورد
جمله عالم زین سبب گمراه شد کم کسی ز ابدال حق آگاه شد
هم سری با آنبیا برداشتند جسم دیدند آدمی انگاشتند

والمرتبة الأخيرة من الأربعة تشريعية، والثلاث الاول تكوينية، وعليّ (عليه السلام) حامل المرتبة الثانية، أي مظهر آثار تلك المرتبة، وواسطة الفيوض إلى جميع الموجودات ممّن هو دونه، وهو مقام النفس الكلّي المظهر لآثار العقل الكلّي.

ولا يخفى أنّ اطلاق نفس الله على عليّ (عليه السلام) في معنى اطلاق نفس رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، واطلاق نفس رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عليه في معنى ترتيب احكامها وآثارها عليه، والآ فنفس عليّ (عليه السلام) غير نفس رسول الله (صلّى الله عليه وآله) البتة.

ولا نفس بالنسبة الى الله تعالى، فإنّ الله تعالى أجلّ عن أن يكون له عقل أو نفس أو غير ذلك، وأنما هي اطلاقات واقعة في عالم الامكان على معان خاصّة منتسبة الى الله تعالى، واقعة في ملك الله هي مظاهر أمر الله، ولهذا نُسبت الى الله تعالى، فلا يذهب بك المذاهب الباطلة، والاعتقادات الفاسدة، فإنّ الأمر أوضح من أن يشبهه على أرباب العقول الكاملة، والأفهام الفاضلة.

فصل :

في تحقيق الحديث المشهور الدائر في الألسنة، المستدلّ به على كون عليّ أمير المؤمنين (عليه السلام) هو نفس النبي (صلّى الله عليه وآله)، وأنّه المراد من أنفسنا في الآية.

وهو ما نُقل أنّه سأل المأمون الرضا (عليه السلام)، فقال: ما الدليل على ولاية

جدّك؟ قال (عليه السّلام): آية أنفسنا، فقال المأمون: لولا نساءنا، فقال الرضا (عليه السّلام): لولا أبناءنا، فسكت المأمون^(١).

وفي نقل آخر بالعكس في الفقرتين الأخيرتين، أي أنّه قال المأمون: لولا أبناءنا، فقال الرضا (عليه السّلام): لولا نساءنا.

وهذا الخبر وإن لم يُذكر في شيء من الكتب المعتمدة المعروفة، وأنما أُسند الى حاشية نسخة من كتاب عيون أخبار الرضا في الخزانة الرضوية في المشهد الرضوي.

وذكر لي بعض العلماء في المشهد الحسيني: أنّه رآه في بعض كتب السيد الجزائري (رحمه الله)، ونقل والدي (طاب ثراه) أنّه وجده في حاشية نسخة من كتاب مصباح الكفعمي، كانت عند بعض الأعيان في بلدة تبريز.

وسمعت من بعض علماء تلك البلدة: أنّه موجود في بعض مصنفات الشيخ الحرّ العاملي (رحمه الله)، وبالجملّة لم أظفر أنا بهذا الخبر في شيء من الكتب المعروفة أو غير المعروفة، وكلّما ذكر مجرد سماع وحكاية، الا أنّه لا بد من التأمل في معنى الخبر وتوجيهه بناءً على وروده وصحّته.

فنقول :

لا اشكال في وجه الاستدلال بآية أنفسنا، وهي قوله تعالى: ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾^(٢)، والآية نازلة في مقام مباهلة النبي (صلّى الله عليه وآله) مع نصارى نجران من مضافات اليمن حين جاؤوا اليه للمعارضة، والقصة مشهورة.

ووجه عدم الاشكال في وجه الاستدلال: أنّه قد قام الاجماع من الامة على أنّ المدعوّين في هذا اليوم للمباهلة لم يكونوا الا أربعة نفر، وهم عليّ والحسان وفاطمة، لا غيرهم من الامة، وظاهر الدعوة أيضاً أن يكون الداعي غير المدعوّ،

(١) راجع أسرار الشهادة: ١٤٨.

(٢) آل عمران: ٦١.

فلا بدّ أن لا يُراد من أنفسنا الآ عليّ وحده، كما ادعي الاجماع على ذلك منّا ومن العامة أيضاً.

كما أنّ المراد من (أبناءنا) الحسنان وحدهما، كما اعترف به ابن أبي الحديد أيضاً في شرح نهج البلاغة، مدّعياً عليه الاجماع^(١)، ويكون المراد من (نساءنا) هو فاطمة (عليها السلام)، وهو الظاهر من سياق الآية أيضاً في المرحلة، فيكون حينئذٍ عليّ (عليه السلام) نفس الرسول حقيقة بنوع من التوجيه، كما هو ظاهر الاطلاق، أو مجازاً من باب الاستعارة.

فعلى الأوّل فالدلالة على ولايته (عليه السلام) واضحة، وعلى الثاني كذلك بملاحظة أنّه جعل عليّ مشبهاً بنفس الرسول، فأطلق عليه النفس، فيثبت عليه جميع أوصاف الرسول (صلّى الله عليه وآله) إلّا ما خرج بالدليل، أو الأوصاف الظاهرة التي من جعلتها الولاية، فإنّ عموم التشبيه في الجملة أمر ثابت بالأدلة كعموم المنزلة في قوله (صلّى الله عليه وآله): يا عليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي^(٢).

وذلك كما لو قيل: زيد أسد، فيقال: قد شبّه زيد بالأسد، ولا بدّ أن يثبت للمشبّه جميع الأوصاف الظاهرة في المشبّه به كالشجاعة وغيرها، وهي وجه الشبه، فإن لم تكن هناك أوصاف ظاهرة مشهورة، فيحمل على كون وجه الشبه جميع الأوصاف الثابتة من باب عموم الحكمة.

ومن هذا الباب قوله (عليه السلام): الطواف بالبيت صلاة^(٣). ولهذا استدلّوا به على كون الطواف مشروطاً بالطهارة أيضاً كالصلاة، وكذلك الحال في الاستعارة،

(١) شرح نهج البلاغة ١١: ٢٦ باب ٢٠٠.

(٢) لهذا الحديث مصادر كثيرة، منها: صحيح مسلم ٤: ١٠٨، صحيح البخاري ٥: ٣ و ٢٤، مسند احمد ١: ١٧٣ و ١٧٢ صحيح الترمذي ٢: ٣٠، ذخائر العقبى: ١٢٠، كنز العمال ٦: ٤٠٢، نهج الحق: ٢١٦، الفردوس ٥: ٣٢٧ ح ٨٣٣١.

(٣) التهذيب للطوسي ٥: ١١٦ ح ٥١، والاستبصار ٢: ٢٤١ ح ٢، والوسائل ٩: ٤٤٥ ح ٦.

وهي مالم يذكر فيه المشبّه، وأنما أطلق المشبّه به وأريد به المشبّه، كما في نحو: (رأيت أسداً) مراداً به زيد، وإن كان نحو زيد أسد استعارة على وجه ضعيف، وبالجمله فالاستعارة أيضاً كالتشبيه لكونها مبتنية عليه أيضاً كما قرّر في محلّه. وأما اعتراض المأمون على النقل الأوّل المشهور الظاهر بملاحظة سوق الاية، فوجهه أنّ مراده أنّ (نساءنا) ظاهر في نفسه في معنى الطائفة الاناثية، فيكون المراد من (أنفسنا) هي الذكور بقرينة المقابلة، فيكون المراد دعوة الذكور والاناث بلا خصوصيّة صفة النفسيّة مجازاً أو حقيقة.

فقال الامام (عليه السّلام) عند اعتراضه هذا: لولا أبناءنا، يعني لو كان المراد من النساء الاناث مطلقاً، ومن أنفسنا الذكور لدخل الحسان (عليهما السّلام) في أنفسنا أيضاً، فلم يبق وجه لذكرهما على حدة بلفظ (أبناءنا)، فليس لفظ (نساءنا) مستعملاً في معنى اثنا مطلقاً ليكون (أنفسنا) في مقابله مستعملاً في معنى ذكورنا، فبقى الاستدلال السابق في محلّه، ولم يقدر فيه الاحتمال اللاحق.

ويجوز أن يكون مراد الرضا (عليه السّلام) دخول عليّ (عليه السّلام) في (أنفسنا) مع النبي (صلّى الله عليه وآله)، ويكون مراد المأمون بقوله: لولا (نساءنا) أنّ لفظ نساء جمع أطلق على الواحد للتعظيم أو لمطابقة المضاف اليه، فليكن (أنفسنا) كذلك، ويُرَاد به نفس النبي (صلّى الله عليه وآله) وحده بلا دخول عليّ (عليه السّلام) فيه، ويكون الدعوة حينئذٍ مبتنية على المسامحة، فيكون مراد الرضا (عليه السّلام) من قوله: لولا (أبناءنا) أنّ لفظ الأبناء أطلق على الاثنين، فليكن (أنفسنا) أيضاً كذلك، لكونه أنسب لمعنى الجمعيّة المناسبة للتعدد، مع كون الدعوة حينئذٍ بعيداً عن المسامحة في الجملة.

أو يكون مراد الرضا (عليه السّلام) أنّ ظاهر الاطلاق في (أنفسنا) الذي أريد به عليّ (عليه السّلام) البتة، هو الحقيقة ولو بالادّعاء لا الحقيقة، فيترتب عليه الأحكام التي منها الولاية ويكون مراد المأمون أنّ (نساءنا) في البنت مجاز فليكن الأنفس مجازاً في عليّ (عليه السّلام)، فلا يترتب عليه أحكام الحقيقة، إذ الاطلاق

المجازي مبناه على المسامحة، ويكون مراد الرضا (عليه السلام) انّ (أبناءنا) حقيقة في الحسين، فكذلك (أنفسنا) في عليّ (عليه السلام) لتقدّم الحقيقة. أو يكون مراد الرضا (عليه السلام) انّ المراد من (أنفسنا) في ابتداء الحالة عند عدم استعمال اللفظة هو عليّ (عليه السلام)، فيثبت له الولاية باعتبار الحقيقة، أو مجازاً أيضاً على ما مرّت اليه الإشارة.

ويكون مراد المأمون أنّه يحتمل في لفظ النساء ارادة نساء الامة، وإن لم يتفق الا مجيء فاطمة (عليها السلام)، فيسري هذا الاحتمال على لفظ (أنفسنا) أيضاً، فيكون المراد بكور الامة مطلقاً، وإن لم يتفق الا مجيء عليّ (عليه السلام) وحده، ويكون مراد الرضا (عليه السلام) انّ (أبناءنا) لم يرد به ابتداءً الا الحسنان لا أبناء الامة باجماع المسلمين حتى العامة، فليكن المراد من (أنفسنا) أيضاً في ابتداء الحالة هو عليّاً (عليه السلام) وحده مع ظهور كون المدعوّ هو الحاضر لا غير. وذكر الفاضل الدربندي (رحمه الله) في أسرار الشهادة ما حاصله يرجع الى الوجه الأخير أو يغيّره في الجملة، ولفظه بعد ايراد السؤال في حلّ معنى الخبر بقوله: فان قلت ... ، قلت:

انّ الجواب الأوّل من الامام (عليه السلام) مبنيّ على جملة من المقدمات، وذلك من انّ الحاضر عند النبي (صلّى الله عليه وآله) لم يكن في يوم المباهلة الاّ أصحاب الكساء، وذلك ممّا عليه الاجماع من الامة، ومن أنّه لا يجوز تقديم المفضول على الأفضل، وهذا مما يقول به العدلية، وكان المأمون يعدّ نفسه منهم، ومن أنّه لا يجوز حمل (أنفسنا) على نفس النبي (صلّى الله عليه وآله)، وذلك لوجوه عديدة.

واما الاعتراض من المأمون، فالمقصود أنّه لم لا يجوز أن يكون المدعوّ جماعة من الأصحاب الاّ أنّه لم يخضر الاّ أمير المؤمنين (عليه السلام)، فاذا احتمل هذا الاحتمال يكون من أطلق عليه (أنفسنا) جمعاً من الصحابة، فحينئذ إذا قدّم واحد منهم على أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يتمشى قاعدة عدم جواز

تقديم المفضول على الأفضل.

فهذا الاحتمال يسده (نساءنا)، فإن المدعوّات كانت جماعة لولا أنّه لم يحضر
 الا فاطمة الزهراء، فاذا كانت في فقرة (نساءنا) المدعوّات أعمّ، والحاضرة أخصّ
 لزم حمل فقرة (أنفسنا) أيضاً على هذا النمط، لئلا يلزم التفكيك بين فقرات الآية.
 فأجاب الامام (عليه السلام) أنّ فقرة (أبناءنا) توجب حمل الفقرتين على
 كون المدعوّ عين الحاضر، والحاضر عين المدعوّ، وهكذا المدعوّة عين الحاضرة،
 والحاضرة عين المدعوّة، لأنّ في فقرة (أبناءنا) المدعوّين عين الحاضرين،
 والحاضرين عين المدعوّين، فخذ الكلام بمجامعه ولا تغفل^(١). انتهى ما ذكره في
 المقام أعلى الله مقامه في دار المقام.

وعلى النقل الثاني يكون مراد الرضا (عليه السلام) جعل عليّ نفس الرسول
 حقيقة لظاهر الاطلاق، وقول المأمون: لولا أبناءنا، بمعنى انّ الأبناء في الحسين
 مجاز، لأنّهما إنا بنت، فكذا كون عليّ (عليه السلام) نفسه مجاز، لا يترتب عليه
 حكم الحقيقة وهو الولاية، لا بناء المجاز على المسامحة.

أو أنّه يدخل عليّ (عليه السلام) حينئذ في الأبناء مجازاً، فقال (عليه السلام):
 لولا نساءنا، أي انّ (نساءنا) حقيقة فكذلك (أنفسنا)، لأنّ الأصل الحقيقة فكذلك
 (أبناءنا)، أو أنّه يتعارض قرينتا المجاز في الأبناء والحقيقة في النساء، فيتساقطان
 فيبقى (أنفسنا) محتملاً للأمرين ويرجح الحقيقة.

أو أنّه لو كان الأبناء مجازاً، لكان دخول فاطمة فيها أولى من دخول عليّ
 (عليه السلام)، لكون البنت ولداً كالابن بخلاف ابن العمّ، ولا أقلّ من المناسبة
 الواضحة في دخولها في (أبناءنا)، فلم يبق وجه في ذكر (نساءنا) على حدة،
 ويمكن ابداء بعض الاحتمالات الأخر هنا بسبب التأمل في الوجوه المذكورة،
 ولكن فيما ذكر كفاية لأرباب البصر والبصيرة.

«تمهيد مقال لبيان حال»

اعلم أن إطلاق نفس الله على عليّ (عليه السلام)، ومثله إطلاق روح الله على عيسى (عليه السلام)، وإن كان له وجه ظاهر يفهمه الخواص والعوام، وهو كون النسبة لمحض الإعظام والإكرام، كما يقال لبيت الله، وناقة الله، ونحو ذلك أي بيت عظيم مثلاً، لأن الله تعالى عظيم، والمنسوب إلى العظيم عظيم.

لكن قيل إن هناك معنى على حدة لتصحيح هذه النسبة وتوجيهها، وهو أن للعالم الصغير - وهو الإنسان الذي هو نموذج العالم الكبير - عوالم متدرجة مرتبة بعضها فوق بعض في الرتبة.

عالم الجسم الناصوتي، ثم عالم النفس الملكوتي، ثم العقل الجبروتي، والروح غير معدود من المراتب، بل هو برزخ بين العالمين وحاجز بين البحرين، ثم الفؤاد اللاهوتي، وهو مقام مظهريته للآثار الإلهية بالنسبة إلى ما دونه بالتدبير والتربية، وهو عنوان لفظ الجلالة، وهو الذات المستجمع لصفات الألوهية والربوبية، أي الذات الظاهرة في عالم العنوانية، وهو عالم توجه الفؤاد إلى العقل الذي هو أول مخلوقات الباري سبحانه.

ثم الفؤاد اللاهوتي، أي هاهو باعتبار وجهه العالي بلا اعتبار شيء من الصفات معه، وإنما يشار إليه بهو، ثم المعنى الأزلي الذي لا اسم له ولا رسم له، وإطلاق المعنى عليه من جهة ضيق العبارة، والا فهو منقطع الاشارات، ومنتهى الاعتبار.

آن مگو کاندەر عبارت نایدت وین مگو کاندەر اشارت نایدت وهو عالم الذات البحث البات في أزل الآزال بالنسبة إلى هذا الذات، وهي الذات الحقيقية الباطنية لا الظاهرة الصورية.

وهذه المراتب الستة ملحوظة في العالم الكبير أيضاً، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه، على الوجه الذي مرّ إليه الإشارة، وهو وجه من الوجوه المنتهية إلى العشرين بل إلى السبعين، كما أشرنا إليها في معنى الرواية في كتابنا المسمى

بـ (الأصول المهمة في المعارف الدينية).

فعالم الناسوت في العالم الكبير هو ما تحت الجسم الكلّي الذي يدخل فيه السماوات والأرضون وما بينهما، وعالم الملكوت وهو عالم النفس الكلّي بالنسبة الى هذا العالم، وعالم الجبروت، أي عالم العقل الكلّي والحقيقة المحمّدية. وعالم اللاهوت، أي عالم اتصاف تلك الحقيقة بصفات الربوبية والألوهية، وعالم الهاهوت، وهو عالم «لنا مع الله حالات هو فيها نحن ...»، وهو عالم الوجه الأعلى من الفؤاد الذي هو الطرف الأعلى من الحقيقة المحمّدية، مع قطع النظر عن النظر الى ما تحته، وهو الأزل الأسفل، والعنوان الأعلى.

ثم عالم الأزل الأصلي، أي عالم الذات البحت البات الذي لا اسم له ولا رسم له، وهو في العالم وليس في العالم، ليس في مكان ولا يخلو منه مكان، لا يجري عليه الزمان ولا يخلو منه زمان.

قال السيد أبو القاسم الفندرسكي:

نیست حدّی و نشانی کردگار پاک را نی برون از ماونه با ما ونه بی ماستی
صورت عقلی و بی پایان و جاویدان بود با همه و بی همه مجموعه و یکتاستی
می توانی گر ز خورشید این صفتها کسب کرد روشن است و بر همه تابان و خود تنهاستی
جان عالم گویمش گر ربط جان دانی به تن در دل هر ذره هم پنهان و هم پیداستی
و مقام النفس الكلّي هو مقام ظهور آثار الربوبية، ومنه يجري الفيوضات
الالهية الى العوالم الروحانية والجسمانية، وهذا مقام عليّ (عليه السلام) في
العوالم التكوينية، لكونه (عليه السلام) مظهر صفات الربوبية، كما انّ رسول الله
(صلّى الله عليه وآله) مجمّعها في مقام الاجمال، وهو مقام البطن المفصل فيه
السعادة والشقاوة.

وباعتبار هذه المرتبة يطلق على عليّ (عليه السلام) نفس الله العليا، وشجرة طوبى، وسدرة المنتهى، وباعتبارها قال عليّ (عليه السلام): أنا وجه الله، وعين

الله، ويد الله، وقلب الله^(١)، وغير ذلك، ويكون النبي (صلى الله عليه وآله) بهذا الاعتبار عقل الله كما قيل على نحو ما اعتبر كون عليّ (عليه السلام) نفس الله، وإن كان إطلاق العقل هنا غير مأنوس ولا معهود ولا مأثور، فتأمل.

والعقل أب والنفس أم، فهو (صلى الله عليه وآله) في مقام الاجمال أبو الأمة، وعليّ (عليه السلام) في مقام التفصيل أمها، وجميع ما في الكون امة لهما في عالم التكوين، كهذه الامة في عالم التشريع أيضاً في هذه النشأة، فهما (عليهما السلام) أبوا هذه الامة تشريعاً، وأبوا جميع الامم تكويناً.

فاذا كان عليّ (عليه السلام) نفس الله سبحانه، ظهر وجه قول عيسى (عليه السلام): ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾^(٢) لأنّ عيسى (عليه السلام) أسفل مرتبة من عليّ (عليه السلام)، فلا يحيط هو بعلوم عليّ (عليه السلام)، وهو يحيط بعلومه، وكذا قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾^(٣) أي يحذركم الله أن تولّوا بغير عليّ، أو تتبعوا غيره.

وفي الزيارة: «السلام على نفس الله العليا، وشجرة طوبى، وسدرة المنتهى، والمثل الأعلى».

قيل: وأمّا قول علي (عليه السلام): «أنا الذي أقلب في الصور كيف أشاء»^(٤) فإنّما هو باعتبار مقام الامامة في عالم البشريّة لا غيره، فإنّ أجسامهم (عليهم السلام) كما أشير اليه فيما سبق أنوار لطيفة في غاية اللطافة - كما أشير اليه في الجملة - فيتصوّرون من جهة غاية اللطافة في أيّ صورة ما شاؤوا، ويكون لهم تصرّف وحيطه في الكون كيفما أرادوا، ولكن لا يريدون الا أن يريد الله، ولا يشاؤون الا أن يشاء الله.

(١) التوحيد للصدوق: ١٦٤ ح ١ باب ٢٢، عنه البحار ٢٤: ١٩٨ ح ٢٥.

(٢) المائدة: ١١٦.

(٣) آل عمران: ٢٨.

(٤) مشارق أنوار اليقين: ١٧١.

واستبعاد كونه (عليه السلام) متصوّراً كما شاء مردود بما قيل في الملك: أنّه جوهر مجرّد نورانيّ يتشكّل بأشكال مختلفة الا الكلب والخنزير، وفي الجن أنّه جوهر مجرّد ناريّ يتشكّل بأشكال مختلفة حتى الكلب والخنزير.

ونقل في مجمع البحرين في مادّة (خَضَرَ) ما حاصله: إنّ الله تعالى أعطى خضراً (عليه السلام) من القوّة الملوّنة أن يتصوّر بأيّ صورة شاء لتصوّر من جهة شدّة اللطافة.

قيل: ومن ذلك تصوّر عليّ (عليه السلام) في كربلاء بصورة الأسد، فعانق جسد الحسين (عليه السلام)^(١).

ولا يلزم من ذلك عيب ولا قدح كما توهمه بعض من لا تحصيل له، إذ لو عمل الدرّ، أو الياقوت، أو الذهب، أو الفضة مثلاً على صورة الأسد لم يضرّ الصورة في حقيقة شيء منها ولو مثقال ذرّة، وكذا لو عمل من السكر الأبيض بهذه الصورة، وكذا النور المحض لو انقلب صوراً مختلفة.

نعم يلزم العيب والقدح لو تبدّل الحقيقة أيضاً كالصورة، وانقلبت الطبيعة بتنزّل الماهيّة الانسانيّة مثلاً الى الحيوانيّة، ولا كلام في عدم جواز القول بذلك، وما نحن فيه ليس من هذا الباب كما ظهر من الأمثلة، فلا حاجة لنا بناء على ما مرّ من التوجيه الى تأويل تصوّره.

اولاً: بأنّ عليّاً (عليه السلام) ظهر متلبساً بصورة الأسد في ظاهر الصورة بظهور صورة أسديّة فوق سطح الصورة الانسانية.

وثانياً: بأنّه (عليه السلام) تصرّف في جليديّة البصر، أي بصر المبصرين الناظرين، فصوّر فيها الصورة الأسديّة، وهو في الخارج في غير هذه الصورة.

وثالثاً: إنّ هذا الأسد المرئيّ لم يكن عليّاً (عليه السلام)، وأنما كان من جنس الأسد المعروف، وله قصّة مشهورة حاصلها: إنّ عليّاً (عليه السلام) وصّاه بأن

(١) راجع أسرار الشهادة: ٤٣٩، مجلس ١٧.

يكون في حوالى الطف الى عاشوراء، ويكون حافظاً لجسد الحسين (عليه السلام) عمّا تخيّل المنافقون في خصوص تلك الجثة الشريفة.

والى هذه اللطافة المستلزمة لسرعة السير، يستند معراج النبي (صلّى الله عليه وآله) الى السماوات والأرضين مع التفاصيل المشهورة، بل الى النار والجنة والدنيا والاخرة، ولا يلزم الخرق والإلتئام أيضاً ولو قلنا بعدم جوازهما، كما ذهب اليه جماعة، ولهذا أيضاً يكون لهم شهود وحضور عند كل ذرة وذرة من جهة شروق آثار نورهم، وطلوع أنوار ظهورهم، شهود شعلة السراج عند ذرات الأشعة المنتشرة.

جهان را سر بسر آئينه ائى دان به هر يك ذره صد خورشيد تابان
اگر يك ذره را دل بر شكافى برون آيد از او صد بحر صافى
به زير پرده هر ذره پنهان جمال جان فزاى روى جانان
ولسرعتهم الحاصلة من جهة اللطافة لا يشغلهم شأن عن شأن، ولا مكان عن مكان، لارتفاع عوالمهم عن عالم التدريج والزمان، ولذا كان لسان عليّ (عليه السلام) يختم القرآن في دقيقة واحدة، بل لو شاء لختم ألف ألف قرآن في دقيقة، إذ لسانه الشريف الملكوتي كان من جهة اللطافة لا يمنعه حرف عن حرف لا محالة.

وهو الوجه لحضورهم في جميع الأزمنة والأمكنة، بل في جميع الذرات الوجودية، كحضور عقولنا في بلاد بعيدة متعدّدة من السرعة المسندة الى اللطافة، والشيء كلما كان ألطف كان أسرع، كما ترى أنّ سرعة الماء أكثر من سرعة التراب، والهواء من الماء، والنار كضوء الشمس مثلاً من الهواء، وأجسامهم الشريفة ألطف من جميع ذلك بمراتب كثيرة، كما أشير اليه غير مرّة.

ألا ترى أنّ الحرف الملقاة من طرف التلكراف تكتسب اللطافة من قوّته الباطنية، فتسير في جميع أجزاء التلكراف في دقيقة واحدة، فتصل الى الطرف الاخر أسرع من رجع الطرف ومدّ البصر، بل تحرّكه في هذا الطرف عين تحرّكه

في الطرف الآخر ولو كان بين الطرفين ألف فرسخ البتة، فاجعله عنواناً لحضور الامام (عليه السلام) وشهوده عند كلِّ درّة وذرّة.

وبالجملة فنفس الله العلياء هو العليّ الأعلى، وقد يُعبر عنه بـ (عند ربّه) الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿قال علمها عند ربّي في كتاب لا يضلّ ربّي ولا ينسى﴾^(١) وهو الامام المبين الذي أحصى الله فيه كلّ شيء، والكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضر من كلّ نور وفيه.

وروح الله هو عيسى (عليه السلام)، وهو مظهر الروح الكلّي، ولذا كان يُحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، لكنّ الروح ليس فيها تفصيل الفيوضات الالهية، ولا هي مجمع آثار الربوبية، بل هي ناظرة الى العقل والنفس بالتبعية، ولذا لا يُسند اليها الأثر البتة الا أن تؤوّل بالنفس أو العقل مثلاً.

فلم يلزم حينئذٍ من هذا الاطلاق أن يكون عيسى (عليه السلام) أفضل من عليّ (عليه السلام)، لأنّ مرتبة النفس وإن كانت سافلة عن الروح في الصورة الا أنّ الروح ليست بنفسها مرتبة من المراتب الأصلية، ولذا كانت ناقصة، كما أنّ ذكورية عيسى (عليه السلام) لا توجب كونه أفضل من فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وإن كان ماهية المؤنث من حيث هي تقتضي المفضولية بالنسبة الى ماهية الذكّر من حيث هي، بمقتضى قوله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾^(٢) لوضوح كون بعض النساء أعقل من بعض الرجال وأفضل، فليس المدار على الرجولية الظاهرية، والانوثية الصورية.

صورتش دیدی ز معنی غافل
از صدف درّی گزین گر عاقلی
این صدفهای قوالب در جهان
گر چه جمله زنده اند از بهر جان
لیک اندر هر صدف نبود گهر
چشم بگشا در دل هر یک نگر
کآن چه دارد وین چه دارد واگزین
زانکه کم یابست این درّ ثمین

(١) طه: ٥٢.

(٢) النساء: ٣٤.

«تتميم كلام في توضيح مرام»

[صور الوضع اللفظي]

اعلم انّ المؤنث تطلق عرفاً على ماهية يكون لها ما هي معروفة به عرفاً، بالوضع العام للموضوع له العام بالنسبة الى هذا المعنى الكلّي بملاحظة افراده الواقعة تحته، وبالوضع الخاصّ للموضوع له الخاصّ بملاحظة كونها ماهية متميّزة عمّا سواها من الماهيات وغيرها.

وأرباب القواعد العربيّة اللفظيّة ذكروا انّ للوضع صوراً أربعة، لأنّ اللفظ الذي أريد وضعه إمّا ان يلاحظ في مقابله معنى كلّي أو جزئيّ في ابتداء وضع اللفظة، فان كان المعنى المتصوّر كلياً فإنّ وُضِعَ اللفظ بازاء هذا المتصوّر الكلّي كان الوضع عامّاً والموضوع له عامّاً أيضاً، كالانسان والحيوان وسائر أسماء الأجناس، والتسمية بعموم الوضع إمّا هي باعتبار المعنى المتصوّر عنده، نظير الوصف بحال المتعلّق، وإمّا عموم الموضوع له فوجهه واضح بملاحظة الكلّيّة الموجودة فيه. وإن وضع بازاء أفراد هذا الكلّي الملحوظ بجعله عنواناً للأفراد ومرآة لملاحظتها، فالوضع عامّ لما ذكر والموضوع له خاصّ، كوضع المبهمات الثلاثة أي المضمرات، والموصولات، وأسماء الاشارة، فيكون كلّ من الأفراد هنا بخصوصه موضوعاً له لا نفس الكلّي، غاية الأمر أنّه لمّا كانت الأفراد غير محصورة جعل الكلّي مرآة لها عند الملاحظة.

وإن كان المعنى المتصوّر جزئياً كذات زيد المشخّصة، ووضع اللفظ بازائه، فالوضع خاصّ والموضوع له خاصّ، وإنّ جعل الجزئي الخاص مرآة لملاحظة كلّيّة كالانسان وعنوانه، وُضِعَ اللفظ بازائه، كان الوضع خاصّاً والموضوع له عامّاً. وهذه هي الشقوق المتصوّرة في المرحلة، وكان مذهب القدماء صحّة شقين منها، وهما الوضع العام والموضوع له العام، والوضع الخاصّ والموضوع له الخاص، حتى جعلوا المبهمات أيضاً من باب الوضع العام والموضوع له العام، وجعلوا استعمالها في الأفراد من باب استعمال الكلّي في الفرد كالانسان في زيد

مثلاً، زعماء منهم انّ كلّ معنى لوحظ في حال الوضع لابدّ أن يكون هو الموضوع له، ولا معنى بل لا وجه في تصوّر معنى هناك، وجعله عنواناً لمعنى آخر ووضع اللفظ بازائه.

فبقى الأمر كذلك الى زمان السيد الشريف، الملقّب باستاذ البشر، والعقل الحادي عشر، فجوّز هو الوضع العام والموضوع له الخاصّ، بملاحظة صحّة جعل الكلّي عنواناً لأفراده الغير المحصورة، وجعل منه المبهمات الثلاثة. واشتهر هذا بعده في كلمات المتأخّرين، فأجمعوا على صحّة الأقسام الثلاثة، وعلى عدم صحّة القسم الرابع، أي الوضع الخاص والموضوع له العام، بملاحظة انّ الخاص أمر جزئي لا يمكن أن يكون آلة لملاحظة الكلّي بخلاف عكس القضية، فإنّ الكلّي لكونه أمراً عاماً شاملاً لأفراده يجوز جعله آلة لملاحظة جزئياته، وتفصيل الحال محقّق في الاصول.

ولكن الحكماء بنوا على صحّة القسم الرابع أيضاً، بأنّه يجوز أن يجعل الجزئي عنواناً للكلّي أيضاً، مثلاً بأن يجعل قطرة من الماء أو كوز منه عنواناً لملاحظة كلّي الماء، فإنّ الجزئي بعد طرح مشخصاته اعتباراً يكون هو الكلّي لا محالة، فإنّ زيداً بعد عدم اعتبار خصوصيّته بلا اعتبار عدمها يرجع الى كلّي الماهيّة الانسانية. ولذا ذكر في مقدّمات التفسير الصافي انّ الألفاظ موضوعة للمعاني الكلّيّة، فقال: انّ لكلّ معنى من المعاني حقيقة وروحاً، وله صورة وقالب، وقد يتعدّد الصور والقوالب لحقيقة واحدة، وأنما وضعت الألفاظ للحقائق والأرواح، ولوجودهما في القوالب تستعمل الألفاظ فيهما على الحقيقة لا اتحاد ما بينهما.

مثلاً لفظ القلم أنما وضع لالة نقش الصور في الألواح، من دون أن يعتبر فيها كونها من قصب أو حديد أو غير ذلك، بل ولا أن يكون جسماً، ولا كون النقش محسوساً أو معقولاً، ولا كون اللوح من قرطاس أو خشب، بل مجرد كونه منقوشاً فيه وهذا حقيقة اللوح وحدّه وروحه، وإن كان في الوجود شيء يتسطرّ بواسطته نقش العلوم في ألواح القلوب فأخلق به أن يكون هو القلم، فإنّ الله تعالى علّم

بالقلم، علّم الانسان مالم يعلم، بل هو القلم الحقيقي حيث وجد فيه روح القلم وحقيقته وحده من دون أن يكون معه ما هو خارج عنه.

وكذلك الميزان مثلاً فإنه موضوع لمعيار يعرف به المقادير وهكذا، وله معنى واحد هو حقيقته وروحه، وله قوالب مختلفة وصور شتى بعضها جسماني وبعضها روحاني، كما يوزن به الأجرام والأثقال مثل ذي الكفتين والقبان وما يجري مجراهما، وما يوزن به الشعر كالعروض، وما يوزن به الفلسفة كالمنطق، وما يوزن به بعض المدركات كالحسن والخيال، وما يوزن به العلوم والأعمال كما يوضع ليوم القيامة، وما يوزن به الكلّ كالعقل الكامل، الى غير ذلك من الموازين.

وبالجملة ميزان كلّ شيء يكون من جنسه، ولفظة الميزان حقيقة في كلّ منها باعتبار حدّ وحقيقة فيه، وعلى هذا القياس كلّ لفظ ومعنى. انتهى ما ذكره^(١).

وأنا أقول: يمكن أن يقال إنّ جميع الصور الثلاثة التي صحّحها القوم كلّها باطلة، وليس وضع الألفاظ مطلقاً إلا من باب الوضع الخاصّ والموضوع له العام الذي أبطلوه بالمرّة، مثلاً لوحظ في وضع الانسان أولاً فرد من أفرادهِ أو أكثر، وجعل الملحوظ عنواناً لكلّيّة فوضع لفظ الانسان بازاء هذا الكلّي، إذ بدون رؤية شيء من أفرادهِ لا يتصوّر الصورة النوعيّة الكلّيّة.

وعند وضع لفظ (هذا) مثلاً لوحظ فرد مشار اليه، ووضع اللفظ بازاء كلّيه، ولو بملاحظة اعتبار تحقّق الكلّي في ضمن كلّ فرد منه بعد ذلك، ولوحظ في وضع لفظ (زيد) مثلاً هذا الشخص الخاص، ووضع اللفظ بازاء كلّّي هذا الشخص باعتبار تعدّد حالاتهِ في الأزمنة والأمكنة وغير ذلك، ولذا يصدق لفظ (زيد) حقيقة عليه في كلّ من الحالات المختلفة.

وصدق القرآن حقيقة على جميع هذه الأفراد الملفوظة أو المكتوبة إنّما هو مبتن على المقدّمة المذكورة، إذ القرآن النازل أولاً من القلم الى اللوح لوحظ على هيئة الخاصّة، ووضع لفظ القرآن لكلّ ذلك الفرد الملحوظ، ولو باعتبار وجودهِ في

ضمن الأفراد الجزئية، فيكون حقيقة في كل من الأفراد الموجودة الى يوم القيامة. فلا يبقى الاشكال حينئذ في ترتيب الآثار الشرعية من الثواب المقرّر، أو الأمر بقراءته، أو العقاب على مسّه بلا طهارة ونحو ذلك عليه، والّا فيحتاج الى ادعاء الحقيقة العرفية في المراتب المتأخّرة، أو جعله مجازاً مشهوراً من باب الاستعارة، إذ الكلام الصادر من زيد مثلاً الذي هو صورته، لا يصدق عليه الكلام المنزل على سبيل الاعجاز حقيقة، الّا أن يجعل المراد الكلام المنزل فرد منه ونحو ذلك، وذلك تكلف البتة، وليس وضعه مثل وضع (زيد) الصادق في حالات مختلفة، فإن الفرد الشخصي المنزل منه أولاً ليس هو الدائر في الألسنة.

وبالجملة فاذا عرفت هذه المقدّمة، فاعلم أنّه قد وقع في عبارات بعض أهل الحكمة اطلاق لفظ المؤنث أو المرأة بالنسبة الى الأئمة (عليهم السّلام)، فاستنكر ذلك أهل الشريعة، واستوحشوا منه، ونسبوا صاحب العبارة الى الكفر والزندقة، ورموه بشيء لعلّه برىء منه في الحقيقة.

قال بعض من يدّعي كونه من أهل الباطن، الذين قطعوا أنظارهم عن الظاهر: إنّ ظاهر هذا الاطلاق وإن كان مستهجناً في الأنظار الجليّة، الّا أنّ ايجابه الكفر والزندقة لا وجه له، وذلك لأنّ لفظة (المرأة) أو ما في معناها إنّما وضعت لهذا المعنى الظاهري باعتبار معنى التأثّر والانفعال الموجود فيها بالنسبة الى الرجل، لا من جهة كونه بهذه الخصوصية.

فاطلاق لفظ (المرأة) على النوع المعروف باعتبار وجود هذا المعنى الكلّي، أي معنى المنفعل والمتأثّر في هذا النوع، وكذلك اطلاق الرجل على هذا النوع باعتبار معنى التأثير والفعل فيما تحته لا لكونه ذا خصوصيّة معروفة مثلاً، فكلّ مؤثّر في العالم مذكّر، وكلّ متأثّر مؤنث.

وقد يكون الشيء متأثراً بالنسبة الى ما فوقه، ومؤثراً بالنسبة الى ما تحته، فمعنى الرجل والمرأة هو المؤثّر والمتأثّر، ففي نحو «كسرت الكوز فانكسر»

الكاثر مذكّر والمكسور مؤثّر وهكذا، ولهذا يُطلق على الأفلاك الآباء العلوية، وعلى الاسطقسات الامّهات السفلية.

وورد قوله (صلى الله عليه وآله): «أنا وعليّ أبوا هذه الامة»^(١) أي أنا أبو الامة وعليّ أمّها.

وعلى هذا يُحمل الخبر المشهور «الشقيّ شقيّ في بطن امّه»^(٢) أي يظهر شقاوة الشقي بالولاية مثلاً على وجه من الوجوه، إذ هناك وجوه أخرى أيضاً، مثل أن يكون المراد من الأمّ هو الامكان، أو الماهية، أو الطبيعة، أو أمّ الكتاب، أو الأمّ الانسانية، أو الدنيا، أو الأرض وبطنها هو القبر، بل الامّهات كثيرة، وكلّ مرتبة سابقة أمّ بالنسبة الى اللاحقة لتولّدّها من السابقة تولّد النتيجة من المقدّمة، بل كلّ قشر أمّ بالنسبة الى اللّب، وكلّ ظاهر أمّ بالنسبة الى الباطن، وهكذا.

ولذا قيل:

تن چو مادر طفل جان را حامله مرگ درد زادن است و زلزله
وبالجملة، فكذا على الاصطلاح السابق ما روي «انّ المؤمن أخو المؤمن، أبوه النور وامّه الرحمة»^(٣)، وما ذكروا في الحكمة من انّ الوجود مذكّر، والماهية مؤثّر، الى غير ذلك.

وقد فسّر بعضهم بيتي المثنوي، وهما قوله في ديباجة النسخة:

بشنو از نی چون حکایت می کند و ز جدائیها شکایت می کند
کز نیستان تا مرا ببریده اند از نفیرم مرد و زن نالیده اند

بقوله:

کیست مرد اسماء خلاق و دود کآن فاعل در اطوار وجود

(١) مفردات راغب: ٧ / مادة: (أبا)، عنه مناقب ابن شهر آشوب ٣: ١٠٥ / في أنّه المعنيّ بالوالد، عنه البحار ٣٦: ١١ ح ١٢ وفي معاني الأخبار: ٥٢ ح ٣، علل الشرائع: ١٢٧ ح ٢ باب ١٠٦.

(٢) البحار ٥: ١٥٣ ح ١، عن أمالي الصدوق.

(٣) المحاسن ١: ٢٢٣ ح ٣٩٦، عنه البحار ٦٧: ٧٥ ح ٦، ونحوه بصائر الدرجات: ٩٩ ح ١ و ٢.

چيست زن أعيان جمله كائنات منفعل گشته ز أسماء و صفات
 چون همه أسماء و أعيان بي قصور وارد اندر رتبه انسان ظهور
 جمله را در ضمن انسان ناله هاست كه چرا هريك ز أصل خود جداست
 شد گريبان گيرشان حب الوطن اين بود سرّ نفير مرد و زن
 فعلى هذا إذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) أعلى مرتبة من عليّ
 (عليه السلام) ومؤثراً فيه بكونه مخلوقاً بوساطته، وكذا سائر الأئمة بالنسبة الى
 عليّ، وفاطمة (عليها السلام) بالنسبة الى الأئمة - بناءً على تدرّج المراتب في
 الفضيلة - أمكن الاطلاق المذكور بحسب الاصطلاح المسطور، ولا يلزم من ذلك
 قدح ولا كفر البتة، إذ لا مشاحة في الاصطلاح، ولكن نعم ما قيل: «رُبَّ اصطلاح
 ليس بصلاح».

هر كسى را سیرتى بنهادهام هر كسى را اصطلاحى داده‌ام
 هندیان را اصطلاح هند مدح سندیان را اصطلاح سند مدح
 ولا یناسب أن يتفوّه العاقل بما يتسارع العقول الى انكاره وإن أمكنه اعتذاره،
 وقال (صلى الله عليه وآله): «نحن معاشر الأنبياء لا نكلّم الناس على قدر عقولنا
 بل على قدر عقولهم»^(١) وفي خبر آخر: «كلّموا الناس على قدر عقولهم»، وعلى
 أيّ حال فمعلوم أنّ الجاهل بل المجنون لا يطلق على من هو مذكّر بالمعنى العرفيّ
 أنّه مؤنث كذلك فضلاً عن العالم العاقل.

فعلى ما ذكر هذا القائل تكون فاطمة (عليها السلام) مع تأنيثها بالمعنى العرفي
 في ظاهر الصورة مذكّر بالمعنى السابق في الحقيقة، أي بمعنى المؤثّر بالنسبة الى
 الموجودات السافلة، لما مرّ من كون الأنبياء مخلوقين من نورها (عليها السلام)،
 أي من نور جسدها الشريف وجسمها اللطيف.

(١) نحوه الكافي ١: ٢٣، ١٥، عنه البحار ١٦: ٢٨٠ ح ١٢٢، وفي المحاسن ١: ٣١٠ ح ٦١٥، عنه

مستدرک الوسائل ١١: ٢٠٨ ح ١٢٧٥٩.

فهم (عليهم السلام) من جملة أشعة ظهورها، وموادهم العالية من بعض ذرات نورها، لكونها آخر جزء من السلسلة النورية في الدائرة العالية التي لا دائرة فوقها من الدوائر الكونية، وإن أجزاء تلك الدائرة وقسيتها متدرجة في التقدم والتأخر الموجب للتدرج في الفضيلة.

فهي (عليها السلام) مذكّر مؤثر بالنسبة الى ما تحت تلك الدائرة من المراتب السافلة، وهي النور المتأخر في تلك المرتبة المتقدمة، والجزء الأخير من العلة التامة، ومؤثت متأثر بالنسبة الى سائر الأنوار العالية أي متأثرة منها في تلك المرتبة، ولذا ظهرت في صورة المؤثت في هذه النشأة السافلة الصورية.

فاذا كان أنوار المعصومين (عليهم السلام) بهذه المثابة، وكان أشعة أجسامهم الشريفة مواد خلقه الأنبياء العظام والرسل الكرام، ويدخل في جملة أجسامهم لحومهم ودماؤهم وجلودهم وعظامهم، فكل هذه الأجزاء منهم أنوار طيبة صافية تصوّرت بتلك الصور الصورية البشرية، وليس من شأن الأنوار أن يعرض عليها الظلمة والأكدار، أو الخبائث والكثافة، أو ما ينافي اللطافة، ولذا لم يكن يقع للنبي (صلّى الله عليه وآله) ظلّ بالمرّة، بل لسائر المعصومين (عليهم السلام) أيضاً، وإن كان يقع لهم في بعض الأحيان ظلّ في الجملة للفرق بين النبي والأئمة.

فهذه الأنوار الشعشعائية من اشراقات شمس الأزل، طلعت في العالم الكونية دون أن يعرض عليها الكدورات النفسانية، والخبائث البشرية الجسمية، وإن نزلوا في هذه النشأة.

نور خورشيدار بيفتد بر حدث آن هـمايون نپذيرد زو خبث
ارجعى بشنود نور آفتاب سوى أصل خویش باز آمد شتاب
نى زگلخنه بر او ننگى بماند نى زگلشنه بر او رنگى بماند
بل الحق انّ للنور مقاماً شامخاً، ومحلاً باذخاً لا يتنزّل منه الى المراتب السافلة، وإن تروئي في النظر أنّه وقع على الحجر والمدر، فتدبّر وتبصّر.

این سخن را در نیابد هیچ فهم ظاهری گرابونصر استی وگربوعلى سیناستی

درّ ثمين في تحقيق طهارة دم المعصومين

وفي حكمة بولهم ونجوهم

اعلم أنّه قد وقع النزاع في أنّ دم المعصوم (عليه السّلام) طاهر أو لا، وهذه المسألة وإن كان العلماء غير محتاجين الى البحث عنها لعدم حصول الابتلاء بها في هذه الأزمنة، فلو اتفق حضور المعصوم، واتفق الملاقة بدمه المطهر، فهو حاضر يُسأل عن حكم المسألة.

بل يمكن أن يقال بعدم جواز البحث عنها في حال الغيبة، لأنّ المعصوم (عليه السّلام) غير حاضر حتى يؤخذ منه الأحكام الشرعيّة، فباب العلم بها مسدود في حال الغيبة، وأنما يلزم استنباط الأحكام بالظنون المطلقة أو الخاصّة من باب أكل الميتة والعمل بحكم الضرورة، حيث أنّنا نعلم بعدم ارتفاع التكليف حينئذٍ، وأنّه لا بدّ من العمل بالأحكام الشرعيّة، وباب العلم بها مسدود، والأدلة لا تفيد إلّا الظنّ، والأخذ بالموهوم ترجيح للمرجوح، والأخذ بالمشكوك ترجيح بلا مرجح. فلا بد من العمل بالظنّ حينئذٍ بحكم القواعد العقلية التي لا تفرق بين الظنون المطلقة والخاصّة، أو تعيّن الظنون الخاصّة على الخلاف في المسألة، وفي مسألة حكم دم الامام (عليه السّلام) لا ضرورة داعية الى تحقيقها واستنباط حكمها، وإنّ الضرورات تتقدّر بقدرها.

ولكن لما كانت تلك المسألة مشتملة على بعض المطالب الاصوليّة، والمعارف الدينيّة مع اشتهاار البحث عنها في هذه الأزمنة، لا بأس في الاشارة الى بعض ما قيل فيها دفعاً للشبهة عن الأذهان الضعيفة.

فنعول: قيل إنّ الحكم في مسألة الدماء بقول مطلق بحسب ظواهر الأدلّة هو النجاسة، حيث أنّها دالّة على أنّ الدم مطلقاً نجس، أو أنّ الدم يجب غسله ونحو ذلك، وقد عمل بها العامّة والخاصّة، ودم المعصوم (عليه السّلام) داخل في جملة الدماء، فيكون من جزئيات تلك المسألة.

وغاية الدليل لمن قال في دم المعصوم (عليه السّلام) بعدم الطهارة، هو

إطلاقات تلك الأدلة، ولكن هذه المسألة ليست باجماعية بل خلافية بين الأمة، ولمن قال بالطهارة أيضاً أدلة يأتي إليها الإشارة.

وقد سئل الاقا محمد عليّ البهبهاني في كتاب المقامع^(١) عن طهارة دم النبي (صلى الله عليه وآله)، فأفتى بعدم الطهارة، وادّعى عليه الشهرة بين الخاصة مع بعض العامة، وأنه قال أكثر العامة مع بعض الخاصة بالطهارة، ومن أعظم العامة المفتين بالطهارة هو الشافعي^(٢).

وذكر العلامة (رحمه الله) في التذكرة^(٣) في جملة فضائل النبي (صلى الله عليه وآله) أنه يتبرك بدمه وبوله، وظاهره الطهارة أيضاً.

وادّعى الفاضل الدربندي (رحمه الله) الاجماع - بل الضرورة - على طهارة دم المعصوم (عليه السلام)، وقال: إن المخالف كان ضعيفاً نادراً، مع أنه انقرض الخلاف في هذه الأزمنة أيضاً، بل سرى حكم الطهارة الى دماء المستشهدين بين يدي سيد الشهداء (عليه السلام) أيضاً، ولكن دماؤهم التي سفكت في كربلاء، ثم حوّل بسط المسألة الى كتابه شرح المنظومة في فقه الامامية^(٤).

ولسنا هنا بصدد بيان تفصيل هذه المسألة، واستدلالات الطرفين، والترجيح بين الأدلة الموهونة وغير الموهونة الصادرة من الفريقين، وذكر أسماء القائلين من الطائفتين، ولكن نبين هنا دقيقة لطيفة يتبين بها حقيقة المسألة.

فنقول: إن الأحكام الشرعية جعليات صادرة من الشارع، طارئة بجعله (عليه السلام) على الموضوعات الخارجية التي هي أفعال المكلفين، فإن فعل المكلف هو محلّ تعلّق الأحكام الشرعية الجعلية، ولو أسند الحكم الى الأعيان في بعض الأحيان.

(١) مقام الفضل: ٩٨ / رعه، باختلاف.

(٢) فتح العزيز ١: ١٧٩، الوجيز ١: ٧، على ما في هامش التذكرة ١: ٥٧.

(٣) التذكرة (الحجرية) ٢: ٥٦٨، كتاب النكاح، في بيان خصائص النبي (صلى الله عليه وآله).

(٤) أسرار الشهادة: ١٤٧.

مثلاً نقول تارة: إن شرب الخمر حرام، وتارة أخرى: إن الخمر حرام، والثاني أيضاً راجع الى الأول، إذ لا معنى لحرمة ذات الخمر، فإن الحرام ما يترتب عليه العقاب، ولا يترتب العقاب على ذات الخمر بل على شربه، وهو الفعل المتعلق به، وكذا قولنا: المغصوب حرام معناه إن التصرف فيه حرام، والامّ والاخت حرام أي نكاحهما وهكذا، فكلمتا تعلّق بالحكم على العين يُراد بها الفعل الذي اشتهر تعلّقه بها. مثلاً في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ امهاتكم وبناتكم...﴾^(١) يُراد نكاحها لا النظر اليها ونحو ذلك، ولا أكلها ولا غير ذلك، و﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الميتة والدم...﴾^(٢) أي أكلها وهكذا.

ولما كانت الأحكام جعليّة حاصلة بانشاء الشارع، فقد أنشأ الشارع حكم الحرمة في أكل لحم الخنزير، وحكم الحليّة في أكل لحم الغنم، فلو عكس كان الأمر بعكس القضيّة، لكن هذا التخصيص من الشارع ليس بمحض الهوى، بل هو وحي يُوحى تابع للمصالح والمفاسد الكامنة في الأشياء فعلاً أو تركاً. مثلاً إذا كان في الفعل مصلحة ملزمة كالصلاة التي هي مطهّرة للباطن، وجاعلة للطينة الانسانيّة نورانيّة قابلة لدخول الجنّة دار قرب الجبّار، ومحلّ مصاحبة الأخيار، وكان تركها جاعلاً للطينة الظلمانيّة مستحقّة لدخول النار، والانتظام في سلك الأشرار، جَعَلَهَا واجبة لاشتغالها على المصالح الباطنيّة ممّا ذكر وغيره من المصالح الكثيرة، والخمر بالعكس فعلاً وتركاً، فجعلها محرّمة للاشتغال على المفاسد الباطنيّة، وكونها إمّ كلّ خبيثة ورذيلة.

وإن كانت المصلحة جزئيّة غير ملزمة جعل الفعل مندوباً، أو المفسدة كذلك جعله مكروهاً، أو تساوى الطرفين جعله مباحاً، وكذا الكلام في الطهارة والنجاسة وغير ذلك، فمباشرة الماء مثلاً لا توجب الخبائث الباطنيّة، ولا تبطل الصلاة، ولا تمنعها عن الصلّة المطلوبة اللازمة، فحكم فيه بالطهارة بخلاف الدم والخمر

(١) النساء: ٢٣.

(٢) المائدة: ٣.

والميتة وهكذا.

ثم اختلفوا في ان تلك المصالح والمفاسد الكامنة في الأشياء الموجبة لترتب الأحكام المخصوصة، هل هي ذاتية أو عارضية من جهة الصفات اللازمة، أو بالوجوه والاعتبارات الخارجية أو لأكلية في المرحلة، وتفصيل المسألة موكول الى محله.

والقول الرابع الذي اختاره المحققون من المتأخرين هو التفصيل، وإن الأشياء في أنفسها مختلفة، فالمصالح والمفاسد في بعضها ذاتية كالإيمان والشرك مثلاً، وجب آل محمد (عليهم السلام) وبغضهم، والذاتي لا يختلف ولا يتخلف، ولا يتبدل ما بالذات في حال من الحالات، وفي بعضها باعتبار الأوصاف اللازمة كالكذب النافع المنجي للنبي (صلى الله عليه وآله) من الهلاك، والكذب الذي ليس كذلك سيما إذا كان مضرراً.

وبعضها بالوجوه والاعتبارات كالخيز الأبيض الجيد في غاية الجودة، والعسل الشافي، والسكر الصافي في غاية الحلاوة واللطافة، إذا كان شيء من ذلك مغضوباً فإن الحرمة في نحو ذلك ليست لخبائة ذاتية فيه ولا لصفة لازمة، بل هي من جهة الوجوه والاعتبارات الخارجية، وذلك بملاحظة ان الرخصة في نحو ذلك توجب المفسدة الخارجية الطارئة من جهة اختلال نظام العالم مثلاً، فيختل به امور معاش بني آدم، ويؤدي الى اختلال امور معادهم.

ثم ان معنى النجاسة في الشيء ليس الا وجوب الاحتراز عنه في الصلاة مثلاً، أو الأكل والشرب ونحو ذلك، ووجوب الاحتراز فيه اما من جهة خبائة في نفسه ذاتاً أو صفة، أو من جهة المصالح الخارجية، فدم المعصوم (عليه السلام) يجب غسله البتة بحسب القواعد الشرعية من جهة المصالح الخارجية، إذ لو بني على عدم غسله مثلاً بالحكم بالطهارة لزم الهرج والمرج في الشريعة، فكان يقول بعض الناس بطهارة دم سلمان، وبعضهم بطهارة دم أبي ذر، ومريد العالم الفلاني بطهارة دمه، ومريد العارف الفلاني كذلك، وكذا في البول والغائط من الخاصة

أو من العامة.

وهذا باب عظيم يدخل منه الشيطان، فيفسد على الناس أحكام الدين والملة، كما ترى أنّ مع استقرار الحكم ظاهراً بنجاسة الدماء مطلقاً، يحكم بعض السفهاء في عصرنا بطهارة دم العارف الفلاني وبوله وغائطه، فكيف إذا كان هناك روزنة للدخول في هذه المسألة، فسدّوا هذا الباب من صدر الشريعة، وحكموا باطلاقات كلامهم بوجوب غسل الدماء بالمرّة، وكانوا (عليهم السّلام) يغسلون الدم ونحوه من أنفسهم أو من غيرهم.

وأما من حيث الحقيقة فليس في دم المعصوم (عليه السّلام) خبائثة بالمرّة لا ظاهريّة ولا باطنيّة، بل هو طهر طاهر مطهر من طهر طاهر مطهر في غاية الطهارة، وآية التطهير أيضاً تدلّ على حكم المسألة، كما أنّ السكر المغصوب ليس فيه خبائثة ذاتيّة بل هو في غاية اللطافة، لكن عرض عليه حكم الاجتناب عنه من جهة المصالح الخارجيّة، فيقال: إنّ وجوب الاجتناب فيه إنّما هو من الأحكام التعبدية لا أنّه من جهة الخبائثة والنجاسة.

وأيّ خبيث يتجاسر أن يقول بخبائثة دم المعصوم (عليه السّلام) في عرض الخمر ودم الخنزير ولحم الميتة مثلاً - نعوذ بالله من سماع تلك المقالة - فدماؤهم (عليهم السّلام) أطهر وأطف من كلّ لطيف ونظيف بمراتب كثيرة.

وقد مرّ أنّ الأنبياء (عليهم السّلام) خلقوا من نور أجسامهم اللطيفة، وأجسادهم الشريفة، ودماؤهم من جملة أجزائهم في عالم الجسميّة، ولا معنى لطروء النجاسة بالنسبة الى العقول الصافية، فكيف بما هو أعلى منها مرتبة؟! فالأنوار اللطيفة في غاية اللطافة لا تعرضها الخبائثة والكثافة، وكذا الحكم في البول والغائط، ولذا كان رائحتهما من المعصوم (عليه السّلام) كالمسك الأذفر.

وكذا النطفة منهم (عليهم السّلام)، وإن كان مادّة هذه الامور من الأغذية الدنيويّة الكثيفة، إلّا أنّها بمجاورة جسم المعصوم (عليه السّلام) ومخالطته ومصاحبته تكتسب اللطافة الكاملة بالتبعيّة، ولذا كان اللباس والعباء على جسم

النبي (صلى الله عليه وآله) لا يقع منهما أيضاً ظلّ تبعاً له.

هيزم تيره حريف نار شد تيرگي رفت و همه أنوار شد
فكلّ شيء منهم نور حتى الدم والبول والغائط والنطفة، فأجسامهم البشريّة
المرئيّة مظاهر الصفات اللاهوتيّة، والصورة لا تضرّ في الحقيقة، وإذا كان جبرئيل
(عليه السّلام) يتصوّر بصورة دحية الكلبي، كان له لحم ودم وعظام بمقتضى
الصورة الجسميّة، لكنّ المتبدل لم يكن الآ الصورة والآ كان كلّ جزء منه نوراً
محضاً البتّة.

وما ورد أنّ المعصوم (عليه السّلام) لا يغفل ولا ينام، ويرى من خلف كما
يرى من أمام، فهل يجوز ذلك الآ بأن يكون كلّ أعضائه نوراً بالتّمام، فلا يذهب
بك الصورة عن الحقيقة الى الصورة.

گربه ظاهر مثلکم باشد بشر با دل یوحی الی ديدهور
ای بسا کس را که صورت راه زد قصد صورت کرد و بر الله زد
كلّ شيء من الملیح ملیح كل شيء من القبیح قبیح
ووجه الطهارة في جميع ما ذكر منهم (عليهم السّلام) من حيث الحكمة، أنّ
أصل منشأ النجاسة ونحوها أنّما هو جهة النفسانيّة، ولذا كان فضلة الحيوان
المأکول اللحم كالغنم مثلاً طاهرة دون الانسان، وليس في تلك الأنوار الأسفهيّة
جهة النفسانيّة بالمرّة ولو مثقال ذرّة، وما ورد في طهارة أجسادهم الشريفة أنّما
هو محمول على أجزائها الظاهريّة والباطنيّة من كلّ حیثيّة، والآ فظواهر الأجساد
طاهرة من كلّ مسلم أيضاً، فلا يكون لهم (عليهم السّلام) حينئذٍ فضل من هذه
الجهة.

وأما الاستدلال على طهارة دمائهم (عليهم السّلام) بالخبر الذي ورد، أنّه ما
من مسجد بُني الآ على قبر نبيّ أو وصيّ نبيّ، فأصابت تلك البقعة رشّة من دمه
فأحبّ الله أن يذكر فيها^(١)، بتقريب أنّ الله لا يحبّ الرجس فلا بدّ أن يكون الدم

(١) الكافي ٣: ٣٧٠ ح ١٤، عنه البحار ١٤: ٤٦٣ ح ٣١، التهذيب ٣: ٢٥٨ ح ٤٣، الوسائل ٣: ٥٠١ ح ١.

منهم طاهراً حتى يحبّ الله محلّ ملاقاته لحبّه، فضعيف كما لا يخفى، لجواز أن يكون هذه المحبّة من جهة كون هذا الدم مصبوباً مراقاً في سبيل الله من أجساد هؤلاء الأنبياء العظام والأوصياء الكرام، لا لذات تلك القطرة.

والى هذا الخبر أشار بحر العلوم في الدرّة النجفيّة بقوله:

والسّر في فضل صلاة المسجد قبر لمعصوم به مستشهد
بقطرة من دمه مطهّرة طهره الله لعبد ذكره
وهي بيوت أذن الله بأن ترفع حتى يذكر اسمه الحسن^(١)

[الأخبار الدالّة على طهارة دم المعصوم]

نعم يشير إليها، أي الى طهارة دم المعصوم (عليه السّلام)، بل يدلّ عليها ما رواه المجلسي (رحمه الله) في البحار عن الراوندي في قصص الأنبياء، والحسين بن بسطام في طبّ الأئمة، عن أبي طيبة الحجّام، قال: حجّمت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأعطاني ديناراً وشربت دمه، فلمّا اطلع على ذلك قال: ما حملك على ذلك؟ قلت: أتبرّك به، قال: أخذت أماناً من الأوجاع، والأسقام، والفقر، والفاقة، ولا يمسّك النار أبداً^(٢).

وقد علّل حرمة الدم في الأخبار بكثرة مضارّه، مثل أنّه يُمرض البدن، ويغيّر اللون، ويورث البخر، والصفراء، والجنون، وسوء الخلق، والقسوة ونحو ذلك، وإذ ليس في دم المعصوم (عليه السّلام) هذه المفاصد، بل صرّح باشتماله على المصالح المقابلة لها، فلا حرمة.

وفي مرسل المناقب عن عبد الله بن الزبير قال: احتجم النبي (صلى الله عليه وآله) فأخذت الدم لاهريقه، فلمّا برزت حسوته، فلمّا رجعت قال (صلى الله عليه وآله): ما صنعت؟ قلت: جعلته في أخفى مكان - وفي رواية أخرى: جعلته في وعاء

(١) الدرّة النجفيّة: ١٠٠ / المشاهد.

(٢) طبّ الأئمة: ٥٦، عنه البحار ٦٢: ١١٩ ح ٣٩ ومستدرك الوسائل ١٣: ٧٤ ح ١٤٧٩١، ولم نعثر عليه

في قصص الأنبياء للراوندي.

حريز^(١) - قال (صلى الله عليه وآله): أليفك - أي أجذك - شربت الدم، وفي خبر آخر: لا تعد الى مثله^(٢).

وابن شهر آشوب في كتاب المناقب عن أم أيمن - وهي كانت جارية ورثها النبي (صلى الله عليه وآله) من أبيه، فأعتقها وجعلها حاضنة أولاده، وقد حلف (صلى الله عليه وآله) بأنّها من أهل الجنة - قالت: أصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا أم أيمن قومي واهرقى ما في الفخارة - يعني البول - قلت: والله شربت ما فيها وكنت عطشى، قالت: فضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى بدت نواجذه، ثم قال: أما أنّك لا يجع^(٣) بطنك، وفي خبر آخر بعد هذا: فلا تعودى^(٤).

فيستفاد تقريره (صلى الله عليه وآله) لشرب دمه وبوله، وتقرير المعصوم (عليه السلام) حجة كفعله وقوله، فالظاهر من سكوت النبي (صلى الله عليه وآله) وعدم نهيه سيّما مع ذكر منافعه الرضا به المستلزم للطهارة لحرمة شرب النجس وأكله.

وأما أنّ الأخبار الدالة على الأمر بغسل الدم والبول مطلقة أو عامة، فيشمل دم المعصوم أيضاً وبوله مع أنّهم (عليهم السلام) كانوا يغسلون دماءهم وأبوالهم أيضاً - كما ورد في الأخبار المستفيضة - ففيه أنّه لا كلام في لزوم اجراء هذه الأحكام الشرعيّة في ظاهر المرحلة، لما مرّ من المصالح الخارجيّة بلا فرق بين دم المعصوم وغيره، ولكن وجوب الغسل أعمّ من النجاسة المعروفة، أي المستلزمة للخبائث لما مرّ، ولجواز كونه تعدياً كالأمر بالاحتراز عن استصحاب ما لا يؤكل لحمه في الصلاة مع كونه طاهراً أيضاً.

وأما الكلام في هذه النجاسة، وأما النجاسة بمعنى وجوب الغسل ولزوم

(١) راجع البحار ١٦: ٤٠٩، عن مناقب ابن شهر آشوب ١: ٢٢٠ / في اللطائف.

(٢) وجدناه في الخرائج ١: ٦٧ ح ١٢٢، عنه البحار ٢٢-١١٣ ح ٨٠.

(٣) في المناقب: لا ينجع.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ١: ١٢٥ / في معجزاته في ذاته، عنه البحار ١٦: ١٧٨ ح ١٩.

الاحتراز للمصالح الخارجية مع كونه بالذات طاهراً في غاية النظافة فلا كلام فيها، وإن كان اطلاق النجاسة مستهجناً حينئذٍ أيضاً لانصراف الأنظار من النجاسة الى الخبائث من جهة الغلبة، فلعلّ المنازعة حينئذٍ لفظية، فلا خلاف في المسألة.

واطلاق الدم المسفوح الذي استشكل به العلامة في المنتهى^(١) لا ينصرف الى الأفراد النادرة، ودعوى العموم ممنوعة، ولو سلّم فمخصّص بالأدلة، وانكار النبي (صلى الله عليه وآله) لأمّ أيمن بقوله: «ولا تعودى» ونحو ذلك غير معلوم المأخذ، ولو سلّم فيمكن أن يحمل على المنع من التكرار، كما يشعر به الأخبار وسنشير اليه.

ومن الزيارة الجامعة التي رواها ابن طاووس: (إنّ الله طهركم من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ومن كلّ ريبة ورجاسة ودنية ونجاسة)^(٢).

وورد في الأخبار الكثيرة كون بولهم ونجوسهم في رائحة المسك الأذفر، وأمر الأرض بابتلاعهما مطلقاً، وإنّ ذلك احدى خواص المعصوم^(٣).

وفي زيارة الحسين (عليه السلام): وأشهد أنّ دمك سكن في الجنة^(٤)، وورد في الأخبار: تخضب فاطمة (عليها السلام) في الجنة بدم ولدها الحسين (عليه السلام).

وفي تفسير الامام (عليه السلام) - وهو من الكتب المعروفة بين الطائفة، وفي أوائل البحار أنّه اعتمد عليه الصدوق، وروى عنه أكثر العلماء من غير غمض

(١) المنتهى ١: ١٦٤، الفرع الخامس في نجاسة الدم المسفوح.

قال (رحمه الله): الخامس: في نجاسة دم رسول الله (صلى الله عليه وآله) اشكال ينشأ من أنّه دم مسفوح، ومن أنّ أبا طيبة الحجام شربه ولم ينكر عليه، وكذا في بوله (عليه السلام) من حيث أنّه بول، ومن أنّ أمّ أيمن شربته.

(٢) مصباح الزائر: ٤٦٢ فصل ١٨، عنه البحار ١٠٢: ١٦٤ ح ٦.

(٣) راجع من لا يحضره الفقيه ٤: ٤١٨ ح ٥٩١٤، الأنوار النعمانية ١: ٣٤.

(٤) كامل الزيارات: ١٩٧، عنه البحار ١٠١: ١٥٢ ح ٣، ونحوه في الكافي ٤: ٥٧٦ ح ٢، ومن لا يحضره

الفقيه ٢: ٥٩٤ ح ٣١٩٩، وتهذيب الأحكام ٦: ٥٥ ح ١، والوسائل ١٠: ٣٨٢ ح ١.

فيه^(١) - إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) احتجم مرة فدفع الدم الخارج منه الى أبي سعيد الخدري، وقال له: غيِّبه، فذهب فشربه ورجع.

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): ماذا صنعت به؟ قال: شربته يا رسول الله، قال: أولم أقل لك غيِّبه؟ فقال: فقد غيَّبه في وعاء حريز، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إياك وأن تعود لمثل هذا، ثم اعلم أن الله قد حرّم على النار لحمك ودمك لما اختلط بدمي ولحمي.

فجعل أربعون من المنافقين يهزأون برسول الله (صلى الله عليه وآله) ويقولون: زعم أنه قد أعتق الخدري من النار لا اختلاط دمه بدمه، وما هو إلا كذاب مفتر، أما نحن فنستقذر دمه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أما إن الله يعذبهم بالدم ويميتهم به، وإن كان لم يمت القبط به، فلم يلبثوا الا يسيراً حتى لحقهم الرعاف الدائم، وسيلان دماء من أضرأسهم، فكان طعامهم وشرابهم يختلط بذلك فيأكلونه، فبقوا كذلك أربعين صباحاً معذبين ثم هلكوا^(٢).

وفيه أيضاً من التقرير مالا يخفى حيث لم يصرّح بكونه حراماً ولو في أوّل مرة مع التنبيه على أن الاستقذار من أثر النفاق لا الاخلاص والوفاق.

وأما النهي فيه عن العود اليه، وكذا في خبر المناقب على ما روى أن أبا طيبة الحجاج شرب دم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: لا تعد أن الدم حرام أكله، فهذا تحذير محمول على جعله عادة، فيكون مرة واحدة للاستشفاء جائزاً والزائد حراماً لا للنجاسة، لعدم الملازمة بين الحرمة أو وجوب الغسل أيضاً وبين النجاسة، كما صرّح به في الرياض، وفي بحث الاجماع من القوانين، لما مرّ ولجواز التعبدية.

كما ورد النهي عن أكل التربة الحسينية زائداً على قدر الاستشفاء، وورد أن

(١) البحار ١: ٢٨.

(٢) تفسير الامام العسكري (عليه السلام): ٤١٩ ح ٢٨٦، عنه البحار ١٧: ٢٧٠ ح ٦، وتفسير البرهان ٢:

٣٢ ح ٤، ونحوه مناقب ابن شهر آشوب ١: ٢٢٠ / في اللطائف.

من اكل أزيد من قدر الحمصة فكأنما أكل لحومنا ودماءنا^(١)، مع أنها طاهرة البتة بلا شبهة.

وكما ورد في المكاتب عن الصادق (عليه السلام) أنه سُئل هل اغتسل أمير المؤمنين (عليه السلام) حين غُسل رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقال (عليه السلام): كان طاهراً مطهراً، ولكن فعل أمير المؤمنين ذلك وجرت به السنة^(٢)، مع أن علّة الحكم في حكم مطلق غسل الميت النجاسة.

وأورد جمال المحققين في حاشية الروضة على ما ادعاه الشهيد (رحمه الله) في الذكرى من استلزام غسل الميت لنجاسته بوجوب غسل المعصوم (عليه السلام) بدونها^(٣)، وأشار إليه في الدرّة بقوله:

والنص في المعصوم بالغسل ورد تعبدّاً بالغسل مع طهر الجسد^(٤) فإذا ثبت في أحد المعصومين (عليهم السلام) حكم ثبت في الآخر أيضاً لعدم القول بالفصل في المسألة، بل لا معنى له لكونهم من طينة واحدة، وعدم تصريح العلماء بالطهارة في المسألة أمّا لعدم الابتلاء بها، أو لكونها معلومة الحالة متّابئين في محلّه من أحوال أبدانهم الطاهرة، وهذه الجملة تكفي في المرحلة لمن كان له أدنى بصيرة، والعامل تكفيه الإشارة، والجاهل لا تنفعه ألف عبارة.

(١) كامل الزيارات: ٢٨٦، عنه البحار ٦٠: ١٥٤ ح ١٢، وفي تهذيب الأحكام ٦: ٧٤ ح ١٤ والوسائل ١٠:

٤١٤ ح ١، مستدرک الوسائل ١٦: ٢٠٤ ح ١٩٥٩٦.

(٢) التهذيب ١: ١٠٧ ح ١٣، والاستبصار ١: ٩٩ ح ٣، والوسائل ٢: ٩٢٨ ح ٧، والبحار ٢٢: ٥٤٠ ح ٥٠.

(٣) التعليقات على شرح اللمعة الدمشقية للآقا جمال الخوانساري: ٧٩ / من الميت.

(٤) الدرّة النجفية: ٤١ / من الأموات.

فصل

[في ذكر جملة من أسماء فاطمة الزهراء (عليها السلام)]
ثم إنَّ لسيدتنا الزهراء أسماء نزلت من السماء، وتحت كلَّ اسم أسرار كما نطق به الأخبار، ولكلَّ منها جهة تسمية - بل جهاتها - سمَّيت به بذلك الاعتبار، ونحن نذكر معدودة منها تيمناً وتبرُّكاً بذكرها مع جملة من الأخبار الواردة فيها، ومرادنا من الأسماء هنا أعمُّ من الاسم واللقب والكنية على نحو ما ورد في الأخبار المروية.

[الأخبار في تسميتها بفاطمة]

فمنها فاطمة (عليها السلام)، قد ورد في التسمية بذلك أخبار متكررة من طرق الخاصة والعامة، في أنَّها سمَّيت بذلك لأنَّ الله تعالى قد فطم من أحبَّها من النار^(١). ومن طرق أصحابنا عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أنَّه قال: سمَّيت فاطمة فاطمة لأنَّ الله تبارك وتعالى علم ما كان قبل كونه، فعلم أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتزوَّج في الأحياء، وأنَّهم يطعمون في وراثة هذا الأمر من قبله، فلمَّا ولدت فاطمة سمَّاها الله تعالى فاطمة لما أخرج منها من ولدها، فجعل الوراثة في أولادها، فقطع غير أولادها عمّا طمعوا، فهذا سمَّيت فاطمة أي فطمت

(١) لهذا الحديث مصادر كثيرة، منها: الفردوس ١: ٤٢٦ ح ١٣٩٥، والصواعق المحرقة: ٢٣٥، وبنابيع المودة: ٢٤٠، ومقتل الحسين: ٥١، والمناقب لابن المنازلي: ٦٥ ح ٦٢، وكنز العمال ١٣: ٩٤ ح ٥٣٤، ونور الأبصار: ٥٢، وفرائد السطين ٢: ٥٧ ح ٣٨٤.

طمعهم وقطعت^(١).

وفي العلل عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: لفاطمة (عليها السلام) تسعة أسماء عند الله عز وجل: فاطمة، والصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدثة، والزهراء.

ثم قال (عليه السلام) للراوي: أتدري أي شيء تفسير فاطمة؟ قال الراوي: قلت: أخبرني يا سيدي، قال (عليه السلام): فطمت من الشر، قال: ثم قال: لولا أن أمير المؤمنين تزوجها ما كان لها كفؤ إلى يوم القيامة على وجه الأرض، آدم فمن دونه^(٢).

قال الفاضل المجلسي (رحمه الله): يمكن أن يستدل به على كون فاطمة وعلي (عليهما السلام) أشرف من سائر أولي العزم سوى نبيتنا (صلى الله عليه وآله)، وأما احتمال أن يكون عدم كفوّة نوح وإبراهيم لها من جهة كونهما من أجدادها، ففيه أن ذكر آدم (عليه السلام) يدل على أن المراد عدم كونهم أكفائها مع قطع النظر عن الموانع الأخر، على أنه يمكن أن يتشبت بعدم القول بالفصل، انتهى^(٣).

وأما أن الرجل أفضل من المرأة لا محالة مع حصول الكفوّة المعلومة، فلا يتعين فضل فاطمة (عليها السلام) عليهم، ففيه أن المفضوليّة في المرأة إنما هي من جهة ما فيها من قوّة جهة النفسانيّة بخلاف الرجل، ولا نفسانيّة في فاطمة (عليها السلام) كما مرّت إليه الإشارة، وسيأتي أيضاً بعض ما يتعلّق بالمسألة.

وروى يزيد بن عبد الملك عن الباقر (عليه السلام) قال: لما ولدت فاطمة (عليها السلام) أوحى الله عز وجل إلى ملك، فأنطق به لسان محمد (صلى الله عليه وآله) فسماها فاطمة، وقال: أني قد فطمتك بالعلم، وفطمتك عن

(١) علل الشرائع ١٧٨ ح ٢، عنه البحار ٤٣: ١٣ ح ٧، والعوالم ١١: ٧٢ ح ١٢.

(٢) علل الشرائع: ١٧٨ ح ٣، أمالي الصدوق: ٤٧٤ ح ١٨ مجلس ٨٦، والخصال: ٤١٤ ح ٣، عنها البحار ٤٣: ١٠ ح ١، والعوالم ١١: ٦٦ ح ١، وفي دلائل الإمامة: ٧٩ ح ١٩، وروضة الواعظين: ١٤٨، وكشف

الغمة ٢: ٩١، والمحجة البيضاء ٤: ٢١٢.

(٣) البحار ٤٣: ١٠، ذيل حديث ١.

الطمث، ثم قال أبو جعفر (عليه السلام): والله لقد فطمها الله تعالى بالعلم وعن الطمّث في الميثاق^(١).

وفي العلل أنّه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة أتدريين لم سمّيت فاطمة؟ فقال عليّ (عليه السلام): يا رسول الله لم سمّيت فاطمة؟ قال: لأنّها فطمت هي وشيعتها من النار^(٢).

وعن محمد بن مسلم الثقفى قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) أنّه إذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجل (مؤمن) أو (كافر)، فتقف فاطمة (عليها السلام) على باب جهنّم، فيؤمر بمحبّ قد كثرت ذنوبه الى النار، فتقرأ فاطمة (عليها السلام) بين عينيّه أنّه محبّ مؤمن، فتقول: الهي وسيدي سمّيتني فاطمة، وفطمت بي من تولّاني وتولّى ذرّيتي من النار، ووعدك الحق، وأنت لا تخلف الميعاد.

فيقول الله عز وجل: صدقت يا فاطمة، أنّي سمّيتك فاطمة وفطمت بك من أحبّك وتولّاك، وأحبّ ذرّيتك وتولّاهم من النار، ووعدني الحق، وأنا لا أخلف الميعاد، وأنا أمرت بعبدي هذا الى النار لتشفعي له فاشفعك، ليستبين لملأكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف موقفك منّي، ومكانك عندي، فمن قرأت بين عينيّه مؤمناً فخذني بيده وأدخله الجنّة^(٣).

وفي خبر آخر أنّها سمّيت فاطمة لأنّها فطمت شيعتها من النار، وفطمت أعداءها عن حبّها^(٤).

وفي البحار، عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: ﴿أَنَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾

(١) علل الشرائع ١٧٩ ح ٤، عنه البحار ٤٣: ١٣ ح ٩، وانظر الكافي ١: ٤٦٠ ح ٦، وكشف الغمّة ٢: ٩١، والموالم ١١: ٧٠ ح ٦، والمحجة البيضاء ٤: ٢١٢.

(٢) علل الشرائع ١٧٩ ح ٥، عنه البحار ٤٣: ١٤ ح ١٠، وكشف الغمّة ٢: ٩١، والمحجة البيضاء ٤: ٢١٢، ومناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٩ في منزلتها عند الله.

(٣) علل الشرائع ١٧٩ ح ٦، عنه البحار ٤٣: ١٤ ح ١١، والموالم ١١: ٦٩ ح ٥، وكشف الغمّة ٢: ٩١.

(٤) تفسير فرات: ٣٢٢ ضمن حديث ٤٣٥، عنه البحار ٤٣: ١٨ ضمن حديث ١٧.

الليلة: فاطمة، والقدر: الله، فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، وأما سميت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها^(١).

وفي الحديث القدسي: أني خلقت فاطمة وشققت لها اسماً من اسمائي، فهي فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض^(٢).

وفي الأدعية المشهورة: «الهي بحق محمد وأنت المحمود، وبحق علي وأنت الأعلى، بحق فاطمة وأنت فاطر السماوات والأرض، وبحق الحسن وأنت المحسن، وبحق الحسين وأنت قديم الاحسان».

وفي الأخبار الكثيرة أنه قال النبي (صلى الله عليه وآله) لفاطمة (عليها السلام): إن الله شق لك يا فاطمة اسماً من أسمائه، وهو الفاطر وأنت فاطمة^(٣).

بيان: هذه جملة من الأخبار الواردة في المقام، وقد تلخص منها وجوه متعددة لتسميتها (عليها السلام) بتلك التسمية، مثل فطم نفسها بالعلم، وفطمها عن الشر، وفطمها عن الطمث، وفطم ذريتها وشيعتها من النار، وكذلك فطم من تولّاها وأحبّها منها، وفطم الأعداء عن طمع الوراثة في الملك وعن حبّها ونحو ذلك. ولا منافات بين الأخبار لأنّ الفطم معنى يصدق مع كلّ من الوجوه المذكورة، واختلاف الأخبار من جهة اختلاف حال الرواة والحضار من حيث الاستعدادات الذاتية، واختلاف المصالح في الأزمنة والأمكنة، وكلّ هذه المعاني مرادة من اللفظ عند التسمية.

ولا يلزم من ذلك استعمال اللفظ في أكثر من معنى واحد، الذي هو مخالف

(١) تفسير فرات: ٥٨١ ح ٧٤٧، عنه البحار ٤٣: ٦٥ ح ٥٨ والعوالم ١١: ٩٩ ح ٧.

جاء في المقتطفات الولائية ص ٩٤: ... لاحظوا هنا أنّ كلمة الخلق أوسع نطاقاً من الناس، وهي فضلاً عن كونها تشمل الانس والجن، فإنّ أفق الحديث يبلغ حدّ ملائكة أسكتهم سماواتك، ورفعتهم عن أرضك، فهؤلاء فطموا عن معرفتها أيضاً، ما الأمر؟ ومن تكون هذه المرأة؟ وأي حقيقة استترت فيها حتى كانت على هذا الحد من الرفعة والسمو عن متناول العقول وأفق الأفكار.

(٢) تفسير الامام العسكري (عليه السلام): ٢٢٠ ح ١٠٢، عنه البحار ١١: ١٥٠ ح ٢٥.

(٣) معاني الأخبار: ٥٥ ح ٣، عنه البحار ٣٧: ٤٧ ح ٢٣.

للقواعد الظاهرية اللفظية، لأن فاطمة مشتق من الفطم بمعنى الفصل، ومنه الفطام في الطفل بمعنى فصله عن اللبن والارتضاع، يقال: فَطَمْتُ الرضيعَ رَضِيعاً فَطْماً - من باب ضرب - فصلته عن الرضاع، فهي فاطمة والصغير فطم بمعنى المفطوم. وأفطم الرجل: دخل في وقت الفطام، مثل أحصد الزرع إذا حان حصاده، وفطمت الحبل: قطعته، وفطمت الرجل عن عادته: إذا منعتة عنها.

وليس الفطم مخصوصاً بالفصل عن اللبن وإن كثر استعماله فيه، بل هو مطلق الفصل عن الشيء، ومعنى القطع والمنع راجع إليه أو متفرع منه، فيكون معنى فاطمة فاصلة أو قاطعة أو مانعة، وكلّ منها معنى كلي وماهية مطلقة تصدق مع القيود الكثيرة، فسمّيت من عند الله بها.

ويلزم في تحقيق معنى الفصل أن يكون هناك فاصل ومفصول ومفصول عنه ومفصول به، مثلاً إذا كانت الأم فاطمة لطفلها فهي فاصلة، والطفل مفصول، واللبن مفصول عنه، والغذاء مفصول به، فيكون معنى فاطمة أنّها تظم نفسها ولو بسبب قابليتها الذاتية عن الجهل بالعلم، وعن الشر بالخير، وعن الطمث بالطهارة عن الحمرة، وتظم ذريتها وشيعتها ومن تولّاها وأحبّها عن النار بالجنة، وتظم أعداءها عن طمع الوراثة باليأس عنها وعن حبّها ببغضها.

فلو حظ في وجه تسميتها بهذا الاسم وجوه متعدّدة، وهي غير داخلية في مفهوم الاسم حتى توجب تعدّد معاني اللفظة، بل هي لحاظات خارجية باعتبارها وقعت التسمية، مثلاً لو كان مجيء زيد من جهة أغراض مختلفة، وأسباب متعدّدة، فقل: جاء زيد، لم يوجب ذلك كون لفظ المجيء مستعملاً في المعاني المتعدّدة. نعم لو جعل فاطمة بالنسبة إلى فطم الأعداء أو الأحباء بمعنى كونها ذات فطم - من المبني للفاعل، كما هو كذلك - أي ذات فاطمية، وفي فطمها عن الشر بمعنى ذات فطم - من المبني للمفعول - أي ذات مفطومية لزم المحذور المذكور، ولكن على التقرير المسطور لا يلزم ذلك المحذور.

ويمكن جعلها بمعنى ذات الفطم مطلقاً من باب النسبة، فيكون جامداً يستوي فيه المذكر والمؤنث، ويجعل التاء حينئذٍ للمبالغة كما في نحو اللابن، والدارع،

والتاجر، والعاشق، والضاير، والحائض، والطالق وغيرها.

وإن قيل: في نحو الحائض وجهان آخران أيضاً، مثل أن اختصاصه بصفة النساء يؤدي معنى التاء، لأن التاء إنما هي للفرق بين المذكر والمؤنث، والفرق حاصل فيه بنفس اللفظة من جهة ما في معناها من الاختصاص والخصوصية، أو أنه بتقدير موصوف مذكر، أي انسان حائض مثلاً.

ويرد على الأول منهما طرداً وعكساً الأسماء المشتركة السابقة ونحو المستحاضة، وعلى الثاني جواز نحو هذا في كل مادة، فلا وجه لتخصيص أسماء معدودة، ويمكن جعل فاطمة بالنسبة الى المعاني المذكورة من باب عدم المجاز الجائر من حيث القواعد اللفظية.

والتحقيق هو ما فصلناه من أن فاطمة بمعنى الفاصلة مطلقاً على التقريب الذي أسلفناه، والمعنى بالنسبة الى نحو الفطم عن الشر مثلاً أنها فطمت نفسها عنه بالاقتضاء الذاتي، والاستعداد الأصلي، فصارت مفطومة من حيث المآل والحقيقة، فلا حاجة الى جعل الفاعل بملاحظة هذا المعنى بمعنى المفعول، نظير سرّ كاتم، ومكان عامر، وماء دافق، وعيشة راضية، على بعض الوجوه الجارية.

أو جعل فاطمة لازمة مشتقة من أفطم الطفل إذا حان زمان فطمه عن الرضاع، كما ذكر الفاضل المجلسي (رحمه الله) حيث قال في بيان معنى قوله (صلى الله عليه وآله) «فطمتك بالعلم» الوارد في الخبر: أن معناه أرضعتك بالعلم حتى استغنيت وفطمت، أو قطعتك عن الجهل بسبب العلم، أو جعلت فطامك من اللبن مقروناً بالعلم كناية عن كونها في بدو فطرتها عالمة بالعلوم الربانية.

وعلى التقادير يكون الفاعل بمعنى المفعول أو يقرأ: (فطمتك) على بناء التفعيل، أي جعلتك قاطعة الناس من الجهل، أو المعنى أنه لما فطمها عن الجهل فهي تفظم الناس عنه، والوجهان الاخيران يشكل إجرائهما في قوله: «فطمتك عن الطمّ» لا بتكلف، بأن يجعل الطمّ كناية عن الأخلاق والأفعال الذميمة، أو يقال على الثالث فطمتك عن الأدناس الروحانية والجسمانية، فأنت تفضي الناس

عن الأُدناس المعنويّة^(١).

وقد جعل الفاضل المذكور فاطمة في بعض الأخبار الآخر لازمة على نحو ما مرّ، وكلّ ما ذكره في توجيه اللفظ والمعنى في المرحلة تكلف مستغنى عنه بالنسبة الى ما أسلفناه كما لا يخفى، مع أنّه يرد عليه المحذور الذي ذكرنا أي استعمال اللفظ في أكثر من معنى، نعم يمكن جعل فاطمة في جميع الوجوه بمعنى المفعول أي المفطومة من باب الصفة بحال المتعلّق بلحاظ المآل والحقيقة، أو جعله بمعنى ذات الفطم من المصدر المبنيّ للفاعل أو المفعول، لكن على سبيل القضية الكلّيّة لا الجزئيّة، كما لا يخفى.

وبالجملة فاختلف الأخبار في بيان وجه التسمية اشارة الى عدم انحصاره في شيء، أو كون معناها معنى كليّاً يشمل على وجوه كثيرة، فيحتمل احتمالاً ظاهراً أن يكون ملحوظاً في وجه التسمية امور على حدة أيضاً، كقطمها عن الأخلاق الرذيلة بالأخلاق الفاضلة، وعن الأحوال الخبيثة بالأحوال الطيّبة الزكيّة، وعن الأفعال القبيحة بالأفعال الحسنة، وعن الظلمانيّة بالنورانيّة، وعن السهو والغفلة بالذكر والمعرفة، وعن عدم العصمة بالمعصوميّة، وبالجملة عن جميع جهات النقيصة بالكمالات العقلانية والروحانيّة والنفسانيّة والجسمانيّة ولوازمها الظاهرية والباطنيّة.

فيلزم حينئذٍ أن تكون لها العصمة الكبرى في الدنيا والاخرة والاولى، فتكون حينئذٍ معصومة، تقية، نقيّة وليّة، صديقة، مباركة، طاهرة الى آخر الأسماء المذكورة في الرواية وغير الرواية.

وتخصيص أسمائها بالتسعة في الخبر الصادقي اما من جهة اشتمالها من حيث المعنى على سائر الأسماء أيضاً، أو من جهة صدور التسمية بها من جانب الله سبحانه وبلا واسطة، كما يشعر به قوله (عليه السلام): «لفاطمة تسعة أسماء عند الله تعالى» مع أنّ تخصيص الشيء بالذكر لا ينفي الغير ولا يفيد الحصر، ويمكن اثبات

معصوميّتها (عليها السّلام) بملاحظة خصوص معنى فطمها عن الشر أيضاً، إذ لا خير في المعصية كما لا معصية في الخير، كما لا خير في الخباثة الحالّيّة والرذالة الخلقيّة بل كلّها شرّ لا محالة.

تنبيه: بقي هنا شيء وهو أنّ معنى الفطم يستلزم ثبوت المفطوم عنه في المفطوم، بل رسوخه حتى يفطم عنه بشيء آخر يجعل بدله، واعتبار هذا المعنى يستلزم عدم المعصوميّة في الحالة السابقة.

ووجه دفع الاشكال على نحو الاجمال، أنّ معنى الفطم وإن كان كذلك في أصل اللغة إلّا أنّه يستعمل كثيراً - ولو من جهة القرائن الخارجيّة - فيما كان ثبوت هذا المعنى فيه بالشأن والقوّة لا بالفعل، ولما كانت فاطمة (عليها السّلام) من جملة أفراد الممكنات، وماهيّة الممكن من حيث هي من شأنها الظلمة وصدور المعصية مثلاً، كما قيل:

سيه روى ز ممکن در دو عالم جدا هرگز نشد والله اعلم
فصحّ اطلاق الفطم حينئذٍ بالنظر الى هذه الصفة اللازمة الامكانيّة، فبعد ملاحظة ثبوت الفطم في المرتبة الثانية يثبت معصوميّتها الأصليّة وطهارتها الجبليّة، فينتفي عنها الكدورات الامكانيّة، والشوائب الكونيّة، فتكون كما قيل:

چو ممکن گردد امکان بر فشانند بجز واجب دگر چیزی نماند
ومن جهة ما أُشير اليه كانت معصوميّة المعصومين اختياريّة، يستحقّون بها الحمد والفضيلة لا جبريّة وقهريّة، والّا لم يبق لهم الفضيلة في العصمة، ولكانت مستندة على الجبر، ولا فضيلة في العصمة القهريّة.

ويمكن أن يكون ذلك بملاحظة ما كان الناس يتصوّرونه من جواز صدور المعصية عنهم (عليهم السّلام) مثلاً، كما هو شأن البشريّة ولو من جهة الشبهة، حيث أنّهم رأوهم في صورة البشر فتوهّموا كونهم متصفين بلوازم البشريّة، ولهذا:

هم سرى با انبيا برداشتند جسم دیدند آدمی انگاشتند
این ندانستند ایشان از عمی هست فرقی در میان بی منتهی
این زمین پاک و آن شورا است وبد این فرشته پاک و آن دیواست ودد

هر دو صورت گر بهم مانند رواست آب تلخ و آب شیرین را رواست
رحمة الله ايسن عمل را در قفا لعنة الله أن عمل را در جزا
ونظير ذلك دلالة آية التطهير على الطهارة الخلقيّة الأصلية كما استدلّوا بها
على ذلك، أي اثبات طهارتهم الذاتية ونظافتهم الجبلية، مع أن ظاهر التطهير أيضاً
هو طرّوا الطهارة بعد الخباثة، سيّما بملاحظة قوله تعالى: ﴿يريد الله ليزهّب عنكم
الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾^(١) بذكر الإرادة والازهاّب بصيغة المضارع.
ويعرّبل يدلّ على نظافتها الأصلية أن تسميتها بفاطمة أمّا وقعت في زمان
الولادة، وفي هذه الحالة لا تكليف ولا معصية البتة حتى ترد الشبهة، لأنّه إذا
حصل الطهارة بالفطم عن الشر في أيام الطفولية، فلا يبقى معنى لطرّوا الطهارة
المستلزم لسبق الخباثة.

وأمّا وجه كون اشتقاق فاطمة من فاطر مع مغايرة المادّة، فهو أمّا من باب
الاشتقاق الكبير، مثل نعق من النهق، وثبت من الثلم، بقلب بعض الحروف بعضاً
والمعنى على حاله، أو بتفاوت في الجملة، فإنّ الفطر أمّا بمعنى الشقّ، أو الابتداء،
أو نحوهما، ومعنى الفطم - وهو الفصل - مستلزم لهما ولا يخلو منهما أيضاً، ويكون
هذا إشارة الى كونها (عليها السلام) مظهر صفات الربويّة كسائر الأنوار المطهّرة.
أو هو مثل اشتقاق بكّة اسم مكّة من البكاء لبكاء آدم (عليه السلام) فيها،
واشتقاق مكّة من المكاء، كما قال تعالى: ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلّا مكاء
وتصدية﴾^(٢)، والشيعه من الشعاع لكونهم خلقوا من شعاع أنوارهم، وهو المراد من
«فاضل طينتهم»، والطبيب من الطيّب.

كما روي في العلل أن الداء من الله، والدواء أيضاً من الله، وأنما سمي الطبيب
طبيباً لأنّه يطيب به نفوس الناس^(٣)، وهذا قسم من الاشتقاق ثابت شرعاً بملاحظة
مناسبة اللفظ في الجملة، وهو غير الاشتقاق الشائع بين أهل الظاهر.

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الانفال: ٣٥.

(٣) علل الشرائع: ٥٢٥ ح ١ باب ٣٠٤، عنه البحار ٦٢: ٦٢ ح ١، والكافي ٨: ٨٨ ح ٥٢.

ويمكن تطبيق كل ذلك على القواعد اللفظية أيضاً، لأن المضاعف كما ذكرنا يلحقه الابدال والحذف مثل المعتلّ، مثل: أحسيت وأحست في أحسست، وأملت في أملتت، وتقضى البازي وأصله تقضّض لثقل الفعل بالتضعيف، فأعطي حكم حرف العلة، والحرفان المتقاربان مخرجاً يقلب أحدهما إلى الآخر كالراء والميم مثلاً، ونحو ذلك.

[الأخبار في تسميتها بالزهراء]

ومنها الزهراء سمّيت بذلك لما ورد في الأخبار.

منها ما روى الصدوق (رحمه الله) في العلل، عن أبان بن تغلب، عن الصادق (عليه السلام) قال: قلت له: يا ابن رسول الله لم سمّيت الزهراء زهراء؟

فقال: لأنّها كانت تزهر لأمر المؤمنين (عليه السلام) ثلاث مرّات بالنور، في كلّ يوم يزهر نور وجهها وقت صلاة الغداة والناس على فرشهم، فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة، فتبيضّ حيطانهم فيعجبون من ذلك، فيأتون النبي (صلّى الله عليه وآله) فيسألونه عمّا رأوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمة، فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلي والنور يسطع في محرابها من وجهها، فيعلمون أنّ الذي رأوه كان من نور فاطمة (عليها السلام).

فاذا نصف النهار وتزيّنت للصلاة - وفي بعض النسخ تربّت أي ثبتت، أو تهيّأت للصلاة - زهر نور وجهها بالصفرة، فيدخل الصفرة حجرات الناس، فتصفرّ ثيابهم وألوانهم، فيأتون النبي (صلّى الله عليه وآله) فيسألونه عمّا رأوه، فيرسلهم إلى منزل فاطمة فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها بالصفرة، فيعلمون أنّ الذي رأوا كان من نور وجهها.

فاذا كان آخر النهار وغربت الشمس احمرّ وجه فاطمة (عليها السلام)، فأشرق وجهها بالحمرة فرحاً وشكراً لله تعالى، فكان يدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمرّ حيطانهم، فيعجبون من ذلك ويأتون النبي ويسألونه عن ذلك، فيرسلهم إلى منزل فاطمة، فيرونها جالسة تسبّح الله وتمجّده ونور وجهها يزهر بالحمرة، فيعلمون أنّ الذي رأوا كان من نور فاطمة (عليها السلام).

ولم يزل ذلك النور في وجهها حتى ولد الحسن، فهو يتقلب في وجوهنا الى يوم القيامة في الأئمة من أهل البيت، امام بعد امام^(١).

وفي رواية أخرى عن محمد بن عمار، عن أبيه، قال: سألت الصادق (عليه السلام) عن فاطمة (عليها السلام) لم سميت زهراء؟ فقال (عليه السلام): لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض^(٢).

وعن العسكري (عليه السلام): سميت فاطمة زهراء لأنه كان نور وجهها يزهر لأمر المؤمنين (عليه السلام) من أول النهار كالشمس الضاحية، وعند الزوال كالقمر المنير، وعند غروب الشمس كالكوكب الدري^(٣).

وفي خبر آخر في بيان كيفية ولادتها (عليها السلام) أنه حدث عند ولادتها في السماء نور ظاهر لم تره الملائكة قبل ذلك، بل في مكة وجميع الأرض، كما في الخبر الآخر^(٤).

وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنني رأيت ليلة الاسراء امرأة في الجنة في غاية البهاء والجلالة قد بهر نورها جميع الموجودات، وهي جالسة على سرير من أسرة الجنة، وعلى رأسها تاج مكلل، وفي أذنيها قرطان يزهران لأهل الأرض والسماء، أحدهما من الزمردة الخضراء والاخر من الياقوتة الحمراء، فسألت جبرئيل عنها فقال: هذه بنتك فاطمة الزهراء، والتاج على رأسها هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) زوجها، والقرطان في أذنيها الحسن والحسين (عليهما السلام) ولداها^(٥).

(١) علل الشرائع: ١٨٠ ح ٢، عنه البحار ٤٣: ١١ ح ٢، والعوالم ١١: ٧٦ ح ٦، والانوار النعمانية ١: ٧٢.
(٢) معاني الأخبار ٦٤ ح ١٥، علل الشرائع ١٨١ ح ٣، عنهما البحار ٤٣: ١٢ ح ٦، والعوالم ١١: ٧٧ ح ٧، ودلائل الامامة: ١٤٩ ح ٥٩، ودلائل الزهراء: ١١١ ح ٥٩.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٠ / في منزلتها عند الله، عنه البحار ٤٣: ١٦ ضمن حديث ١٤، والعوالم ٧٨: ١١ ح ١٠.

(٤) أمالي الصدوق: ٤٧٦ ح ١ مجلس ٨٧، عنه البحار ٤٣: ٣ ح ١، والعوالم ١١: ٥٦ ح ١.

(٥) لم نشر على هذا النص لكن هناك عدة أحاديث في أن الله تعالى لما خلق آدم وحواء تبخترتا ←

وروى جابر عن الصادق (عليه السلام) قال: قلت له: لم سميت الزهراء زهراء؟ فقال (عليه السلام): لأن الله تعالى خلقها من نور عظمته، فلما أشرقت أضاءت السماوات والأرضين، وغشيت أبصار الملائكة، وخرت الملائكة لله تعالى ساجدين، وقالوا: إلهنا وسيدنا ما هذا النور؟ فأوحى الله اليهم: هذا نور من نوري، أسكنته في سمائي، خلقتة من عظمتي، أخرجته من صلب نبي من أنبيائي، أفضله على جميع الأنبياء، وأخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري، ويهدون إلى حقي، وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وصي نبيي^(١).

وعن الصادق (عليه السلام): سميت فاطمة الزهراء لأن لها في الجنة قبة من ياقوتة حمراء ارتفاعها في الهواء مسيرة سنة متعلقة بقدره الجبار، لا علاقة لها من فوقها فتمسكها، ولا دعامة لها من تحتها فتلزمها، لها مائة ألف باب، وعلى كل باب ألف من الملائكة يراها أهل الجنة كما يرى أحدكم الكوكب الدري الزاهر في أفق السماء، فيقولون: هذه الزهراء لفاطمة. انتهى^(٢).

أقول: وعلى هذا الخبر يجوز إضافة فاطمة إلى الزهراء بمعنى فاطمة القبة الزهراء، سوى الوجه المشهور في اجتماع الاسم واللقب المشار إليه في ألفية ابن مالك بقوله:

وإن يكونا مفردين فأضف حتماً والا اتبع الذي ردف
وعن سلمان في حديث طويل سأل فيه العباس عم النبي (صلى الله عليه وآله)
وقال له: ما سبب فضل عليّ على ما سواك يا رسول الله مع أنّ المعادن واحدة،
فقال النبي (صلى الله عليه وآله): إنّ الله خلقني وعليّاً إذ لا سماء ولا أرض ولا غير

→ فراء يا جارية... إلى آخر الحديث، راجع مقتل الحسين للخوارزمي: ٦٥، وميزان الاعتدال للذهبي

٢: ٧٣ ومودة القري: ١٠٠، ونيابيع المودة: ٣٠٩، أحقاق الحق ٩: ٢٥٩.

(١) علل الشرائع: ١٧٩ ح ١، عنه البحار ٤٣: ١٢ ح ٥، والعوالم ١١: ٧٦ ح ٥، والمحجة البيضاء ٤: ٢١٣، كشف الغمة ٢: ٩٢.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٠ / في منزلتها عند الله، عنه البحار ٤٣: ١٦ ضمن حديث ١٤، والعوالم

ذلك - الى أن قال: - فلما أراد الله بدء خلقتنا تكلم بكلمة فكانت نوراً، ثم تكلم بكلمة ثانية فكانت روحاً، فمزج بينهما وخلقني وعلياً منهما.

ثم فتق من نوري نور العرش، فأنا أجل من العرش، ومن نور علي نور السماوات، فعلي أجل من السماوات، ومن نور الحسن نور الشمس فالحسن أجل من الشمس، ومن نور الحسين نور القمر، فالحسين أجل من القمر، فكانت الملائكة تسبح الله بقولهم: «سُبُّوحٌ قَدُّوسٌ مِنْ أَنْوَارٍ مَا أَكْرَمَهَا عَلَى اللَّهِ».

فلما أراد الله أن يبلو الملائكة أرسل عليهم سحاباً من ظلمة، وكانت الملائكة لا تنتظر أولها من آخرها وبالعكس، فقالت الملائكة: إلهنا نسألك بحق هذه الأنوار ألا ما كشفت عنا، فقال تعالى: لأفعلن، فخلق نور فاطمة الزهراء يومئذ كالقنديل، وعلقه في قرطي العرش، فزهرت السماوات والأرضون، وكانت الملائكة تسبح الله وتقديسه، فقال الله تعالى: لأجعلن ثواب تسبيحكم وتقديسكم الى يوم القيامة لمحبي هذه المرأة وأبيها وبعلمها وبنيتها^(١).

وروى عبدالله بن مسعود قال: دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقلت: يا رسول الله أرني الحق لأصل اليه، فقال: يا عبدالله ليج المخدع، فولجت المخدع فإذا علي بن أبي طالب (عليه السلام) يصلي ويقول في ركوعه وسجوده: «اللهم بحق محمد عبدك ورسولك اغفر للخاطئين من شيعتي».

فخرجت حتى أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فسمعتة يقول: «اللهم بحق علي بن أبي طالب عبدك ألا ما غفرت للخاطئين من أمتي».

فقال: فأخذني من ذلك الهلع العظيم، فأوجز النبي (صلى الله عليه وآله) في صلاته وقال: يا ابن مسعود أكفر بعد الايمان؟ فقلت: حاشا وكلاً يا رسول الله، ولكن رأيت علياً يسأل بك ورأيتك تسأل الله به، ولا أعلم أيكما أفضل عند الله، فقال (صلى الله عليه وآله): اجلس يا ابن مسعود، فجلست بين يديه فقال: اعلم أن الله تعالى خلقني وعلياً من نور عظمتة قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، إذ لا تسبيح ولا تقديس ولا تهليل.

(١) ارشاد القلوب: ٤٠٣، عنه البحار ٤٣: ١٧ ح ١٦، والعوالم ١١: ١٧ ح ١.

ففتق نوري فخلق منه السماوات والأرض، وأنا والله أجل من السماوات والأرض، وفتق نور علي بن أبي طالب فخلق منه العرش والكرسي، وعلي والله أجل من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم، والحسن والله أجل من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين وخلق منه الجنان والحدور العين، والحسين والله أجل من الجنان والحدور العين.

ثم أظلمت المشارق والمغارب، فشكت الملائكة الى الله عز وجل أن يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكلم الله جل جلاله بكلمة فخلق منها روحاً، ثم تكلم بكلمة فخلق من تلك الكلمة الاخرى نوراً، فأضاف النور الى تلك الروح وأقامها أمام العرش، فأزهرت المشارق والمغارب، فهي فاطمة الزهراء، فلذلك سميت الزهراء، يا ابن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل لي ولعلي: أدخلوا الجنة من شئتما وأدخلوا النار من شئتما.

وذلك قوله تعالى: ﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد﴾^(١) فالكافر من جحد نبوتي، والعنيد من جحد ولاية علي بن أبي طالب^(٢)، وهذه جملة من الأخبار المذكورة في المقام.

بيان: قال السيد الجزائري (رحمه الله) بعد ذكر الخبر الأول: ولعلك تطلب وجه اختصاص هذه الأنوار بهذه الأوقات، فنقول: يجوز أن يكون وجهه ان النور الأبيض يدخل اليهم وقت الصبح وهم نيام، ليكشف عنهم بقية ظلام الليل فيقوموا الى الصلاة، وأيضاً ينبغي أن يكون مخالفاً لأول نور الشمس عند طلوعها حتى لا يشتهبه على الناس أحد اللونين بالآخر، فان نور الشمس أصفر في ذلك الوقت. وأما عن انتصاف النهار فنور الشمس أبيض، فيكون نورها أصفر خلافاً له لتلك العلة ولأنه نور الخوف، لأن وقت الزوال يفتح أبواب السماء، وتنظر الملائكة

(١) ق: ٢٤.

(٢) الفضائل لابن شاذان: ١٢٨، عنه البحار ٤٠: ٤٣ ح ٨١، وتأويل الآيات: ٥٩١، وتفسير كنز الدقائق

١٢: ٣٨٦ / سورة ق، وأورده الجزائري في الأنوار النعمانية ١: ١٧.

الى الأرض، ونور الخوف أصفر، وأما آخر النهار فهو نور المحبة والشكر على أداء الفرائض، كما يظهر من قوله (عليه السلام): «فرحاً وشكراً لله عز وجل» ونور المحبة أحمر كما هو المتعارف، انتهى^(١).

ويجوز أن يذكر هنا وجه آخر أمتن وأقوى وأولى وأتقن، وهو يحتاج الى تمهيد مقدمة، وهي أن العرش في الأخبار جاء على معان كثيرة، حتى جعلوها منتهية الى ستين أو سبعين معنى، كما نقل عن تفسير نور الثقلين، منها الثمانية المشهورة، أولها: الفلك التاسع المحيط بالمخلوقات، ولذا سمّوه محدّد الجهات، ومنتهى الاشارات، والمشهور في اصطلاح الحكماء هو هذا.

والثاني: علم الله المحيط بجميع الأشياء المراد في قوله تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾^(٢)، وروي أن أربعة منهم من الأولين: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وأربعة من الآخرين: محمد، وعليّ والحسنان^(٣)، كما أن في عالم الظاهر نور الشرائع الظاهرة مستند الى هذه الثمانية.

والثالث: ملك الله المراد في قوله تعالى: ﴿لا اله الا هو رب العرش العظيم﴾^(٤). والرابع: عالم الامكان المراد في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^(٥).

والخامس: صفات الجلال والاكرام.

والسادس: قلوب العباد المؤمنين، كما في الحديث القدسي: «ما وسعني عرشي ولا سمائي، بل وسعني قلب عبدي المؤمن»^(٦)، كذا قيل.

(١) الأنوار النعمانية ١: ٧٢.

(٢) الحاقة: ١٧.

(٣) الكافي ٤: ٥٨٥ ح ٤، عنه البحار ١٠٠: ١٢٣ ح ٢٩، والتهذيب ٦: ٨٤ ح ٣، والاعتقادات للصدوق:

٢٤ / الاعتقاد في العرش، وكامل الزيارات: ٣٠٧، تفسير القمي ٢: ٣٨٤.

(٤) النمل: ٢٦.

(٥) طه: ٥.

(٦) راجع البحار ٥٨: ٣٩ ح ٦١.

والسابع: عالم الأمر أي التصرف الایجابي.

والثامن: مجموع مخلوقات الباري تعالى.

وهذا الأخير هو الشائع الكثير، فلعالم الخلق الذي هو المعنى الأخير، وهو العرش الحقيقي أربعة أركان: الخلق، والرزق، والحیات، والممات، ولكل ركن منها نور من الأنوار الأربعة: النور الأبيض والأصفر والأحمر والأخضر، وهذه الأركان الأربعة على كاهل الملائكة الأربعة.

وباطن هذه الأربعة العقل الكلّي، والروح الكلّي، والنفس الكلّي، والطبيعة الكلّيّة، وأول الألوان هو البياض لبساطته وعدم تراكم الطوارئ عليه، والثاني الصفرة الحاصلة بتراكم البياض واشتداده، ثم الحمرة باشتداد الصفرة، ثم الخضرة باشتداد الحمرة، ومن هذه الألوان تلوّنت كلّما في الكون من المكوّنات، أمّا بالنور الأصلي أو بأشعته العكسيّة، فالألوان البيض التي بها تزينت الجنّة من عكوس النور الأبيض، وهكذا البواقي، وألوان عالم البرزخ من عكوس ألوان الجنّة الاخرويّة، وألوان الدنيا من عكوس الجنّة البرزخيّة.

باغها و سبزه ها در عين جان	بر برون عكشش چو بر آب روان
باغها و سبزه ها اندر دل است	عكس لطف آن بر این آب و گل است
گر نبودی عكس آن سرو سرور	کی بخواندی ایزدش دار الغرور
این غرور آن است یعنی این خیال	هست از عكس دل و جان رجال
كلّ ما في الكون وهم أو خیال	أو عكوس في المرايا أو ظلال
جمله مغروران بر این عكس آمده	بر خیالی کاین بود جتتكده
می گریزند از اصول باغها	بر خیالی می کنند این لاغها
تا که خواب غفلتشان شد بسر	راست بینند و چه سود آنکه نظر

وبالجملة فنور العقل أبيض، ونور الروح أصفر، ونور النفس أحمر، ونور الطبيعة أخضر، وفي الرواية عن الباقر، عن عليّ بن الحسين (عليه السلام): إن الله عز وجل خلق العرش من أنوار مختلفة، فمن ذلك النور نور أخضر اخضرت منه

الخضرة، ونور أحمر احمّرت منه الحمرة، ونور أصفر اصفرّت منه الصفرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار، ومنه ضوء النهار^(١).

ثم إنّ اليوم من ابتداء طلوع الشمس ثمّ سيرها الى الغروب مثال حال للقوس النزولي، وهو القوس المفروض من تنزّلات العقل من عالم العقول الى عالم الطبائع المتجسّدة بالأجسام، والغروب الى الطلوع مثال حال للقوس الصعودي من عالم الأجسام الى عالم العقول، فإنّ زمان نزول العقل الى عالم الأجسام يعدّ خمسين ألف سنة، والرجوع الى عالم الآخرة بنحو الصعود أيضاً خمسون ألف سنة، فينزل الأمر من السماء الى الأرض - أي من سماء عالم العقول الى أرض الأجسام - ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

وقد ورد أيضاً أنّ عمر الدنيا مائة ألف سنة بمقدار اليوم واللييلة من أيّام السنة الإلهيّة، فإنّ كلّ يوم منها خمسون ألف سنة كاللييلة التي هي بدلها، بل هي أيضاً يوم بالاعتبار الآخر، ويدلّ عليه الآية السابقة، كما أنّ كلّ يوم من أيّام الرّبانيّة ألف سنة، لقوله تعالى: ﴿وإنّ يوماً عند ربّك كألف سنة ممّا تعدّون﴾^(٢).

وفاطمة الزهراء لكونها من جنس العقل الكلّي، فإنّ أنوار المعصومين (عليهم السّلام) جميعاً من طينة واحدة لكن بالتقدّم والتأخّر كالضوء من الضوء، على ما مرّت اليه الإشارة.

فمن جهة حكاية عالم الباطن والحقيقة، كان نورها (عليها السّلام) في ابتداء طلوع الشمس الحاكي لطلوع شمس فيض الوجود بوساطة العقل الكلّي أبيض، وفي وسط النهار الذي هو برزخ بين المشرق والمغرب الحاكي لتنزّل العقل إلى مقام الرّوح كان نورها أصفر، وفي زمان الغروب الذي هو مقام ظهور النفس لغروب شمس العقل في عالم الطبائع بتعلّق النفس بها كان نورها أحمر، وفي وسط اللّيل الذي هو مقام تحقّق الطبيعة يكون نورها (عليها السّلام) أخضر.

(١) تفسير القمي ٢: ٢٤ / سورة بني اسرائيل، عنه البحار ٢٤: ٣٧٥ ح ١٠٣.

(٢) الحج: ٤٧.

وقد يطلق النور الأخضر على نور النفس أيضاً، وهذا أيضاً صحيح باعتبار طرفها الأسفل الناظر إلى الطبيعة التي هي جبل القاف المحيط بالدنيا، وهو من زمردة خضراء منه اخضرت سماءات النفوس الكلّية، وانتقال نور فاطمة (عليها السلام) إلى الحسن والحسين (عليهما السلام)، ثم الأئمة من ولد الحسين، إنّما هو عبارة عن ظهور آثاره فيهم (عليهم السلام) من حيث المظهرية، فزال عنها (عليها السلام) صفة المظهرية لهذه الأنوار الفائضة، وليس المراد أنّها صارت خالية من هذا النور بالمرّة.

وأما تتوّر أهل السماء بنورها، فلأنّ الكدورات الدنيوية قد غلبت على أهل الأرض بالكلّية، فلا يستضيئون بنورها بل هم منها عمون، بخلاف أهل السماوات فإنّهم عن الكدورات الدنيوية منزّهون، فبنورها (عليها السلام) يستضيئون سواء كانوا أهل السماوات الظاهرية أو السماوات الباطنية، أي سماوات العوالم العالية الغير الجسمانية، فإنّ للباطن أيضاً سماوات كما للظاهر.

وهذا التنوير على نحو الكمال إنّما هو من حيث باطن المعصومين، فوجههم بالحقيقة إلى العوالم الباطنية، وهي السماوات الأصلية، وظاهرهم إلى أعلى هذا العالم بمنزلة الظهر، كما ورد أنّ ظهر الشمس إلى أهل الأرضين، ووجهها إلى فوق^(١).

فإذا كان يوم القيامة جعل وجه الشمس إلى الناس بعكس هذه الحالة، وذلك بترقيّ الناس إلى السماوات الأصلية أي إلى العوالم^(٢) العالية التي منها نزلوا وإليها يصعدون، إنّ الله وإنا إليه راجعون، إذ ما من أمر إلّا وله أصل وفصل، وكلّ شيء يرجع إلى أصله وينصرف إلى محلّه وفصله.

فرقتي لو لم تكن في ذا السكون لم يقل إنّنا إليه راجعون
راجع أنّ باشد كه باز آيد به شهر سوى وحدت آيداز تفريق دهر

(١) راجع البحار ٥٨: ١٤١ ح ١، وفيه: «إنّ وجهها لأهل السماء وقفها لأهل الأرض».

(٢) كذا الظاهر، وفي الأصل بياض.

ولمّا كان توجّه النّبيّ (صلى الله عليه وآله) غالباً إلى إرشاد الأُمّة والهداية المتحقّقة منه (صلى الله عليه وآله) بالنسبة إليهم بعد البعثة، لم يفد إلّا تنوير ظاهر المكلفين في هذه النشأة، فظهور نور ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) زادت النورية، فصارت سارية إلى البواطن أيضاً لكن إلى نهاية محدودة.

ثمّ تعمّق إلى عالم الباطن بتوجّه فاطمة (عليها السلام)، ومعرفة الناس إيّاها، ثمّ بتوجّه الحسن (عليه السلام) إليهم، ثمّ بتوجّه الحسين (عليه السلام) مجدداً في إنقاذ الأُمّة، فيصحّ أن يقع ذكر خلق السماوات والأرض وما فوقهما إلى منتهى العوالم العالية بعكس التدرّج الأصلي، كما وقع في الخبر الأخير المرويّ عن عبد الله بن مسعود.

وبعبارة أخرى إنّ هذا الترتيب المذكور في هذه الرواية إنّما هو باعتبار القوس الصعودي في مقام (أقبل فأقبل) لا النزولي في مقام (أدبر فأدبر) فتبصّر وتدبّر.

[الأخبار في تسميتها بالانسيّة الحوراء]

ومنها الانسيّة الحوراء، وقد ورد في التسمية بها أخبار مستفيضة.

منها الخبر عن ابن عباس قال: دخلت عائشة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يقبل فاطمة (عليها السلام)، فقالت له: أتحبّها يا رسول الله؟ قال (صلى الله عليه وآله): أما والله لو علمت حبّي لها لازددت لها حبّاً، أنّه لما عرج بي إلى السماء الرابعة أذن جبرئيل وأقام ميكائيل، ثمّ قال لي: أدن يا محمّد، فقلت: أتقدّم وأنت بحضرتي يا جبرئيل.

قال: نعم، إنّ الله عزّ وجلّ فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين، وفضلك أنت خاصّة عليهم، فدنوت وصليت بأهل السماء الرابعة، ثمّ التفّ عن يميني فإذا أنا بإبراهيم في روضة من رياض الجنّة، وقد اكتنفها جماعة من الملائكة.

ثمّ أتني سرت إلى السماء الخامسة، ومنها إلى السادسة، فنوديت: يا محمّد، نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك عليّ، فلمّا صرت إلى الحجب أخذ جبرئيل

بيدي فأدخلني الجنة، فإذا أنا بشجرة من نور في أصلها ملكان يطويان له الحلل والحلي، فقلت: حببي جبرئيل لمن هذه الشجرة؟ فقال: هذه لأخيك علي بن أبي طالب، وهذان الملكان يطويان له الحلي والحلل إلى يوم القيامة.

ثم تقدّمت أمامي فإذا أنا برطب ألين من الزبد، وأطيب رائحة من المسك، وأحلى من العسل، فأخذت برطبة فأكلتها فتحولت الرطبة نطفة في صليبي، فلمّا أن هبطت إلى الأرض واقعت خديجة، فحملت بفاطمة، ففاطمة (عليها السّلام) حوراء انسيّة، فإذا اشتقتُ إلى الجنة شممت رائحة فاطمة^(١).

وفي خبر آخر أنّه قال (صلى الله عليه وآله): دخلت الجنة في ليلة الاسراء، فأدنانني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها، فأكلته فحوّل الله ذلك ماء في ظهري خلق منه فاطمة، فما قبّلتها قطّ إلّا وجدت رائحة شجرة طوبى منها^(٢). وعن الصادق (عليه السّلام)، عن آبائه، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): خلق الله نور فاطمة قبل أن يخلق الأرض والسماء، فقال بعض الناس: يا نبيّ الله فليست هي انسيّة؟ فقال (صلى الله عليه وآله): فاطمة حوراء انسيّة، قالوا: يا نبيّ الله وكيف هي حوراء انسيّة؟.

قال (صلى الله عليه وآله): خلق الله عزّ وجلّ إياها من نوره قبل أن يخلق آدم (عليه السّلام)، إذ كانت الأرواح، فلمّا خلق الله آدم عرضت على آدم، قيل: يا نبيّ الله وأين كانت فاطمة؟ قال: كانت في حقّة تحت ساق العرش، قالوا: يا نبيّ الله فما كان طعامها؟.

قال (صلى الله عليه وآله): التسبيح والتهليل والتمجيد، فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم (عليه السّلام) وأخرجني من صلبه، وأراد الله عزّ وجلّ أن يخرجها من صليبي جعلها تفّاحة في الجنة، وأتاني بها جبرئيل فقال لي: السلام عليك ورحمة الله

(١) علل الشرائع: ١٨٣ ح ٢ باب ١٤٧، عنه البحار ٤٣: ٥ ح ٥، والعوالم ١١: ٣٤ ح ١، ونحوه في تفسير فرات الكوفي: ٧٥ ح ٤٩، وكشف الغمّة: ٨٦.

(٢) راجع تفسير القميّ ١: ٣٦٥/ سورة الرعد، عنه البحار ٤٣: ٦ ح ٦، والعوالم ١١: ٤٠ ح ١٦.

وبركاته يا محمد، قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل، فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام، قلت: منه السلام وإليه يعود السلام، قال: يا محمد إن هذه تفاعلة أهداها الله عز وجل إليك من الجنة.

فأخذتها وضممتها إلى صدري، قال: يا محمد يقول الله جلّ جلاله: كلها، ففلقتها فرأيت نوراً ساطعاً وفزعت منه، فقال: يا محمد مالك لا تأكلها؟ كلها ولا تخف فإنّ ذلك النور للمنصورة في السماء، وهي في الأرض فاطمة.

قلت: حبيبي جبرئيل ولم سميت في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: لأنّها تغطم شيعتها من النار وأعداءها عن حبّها، وهي في السماء المنصورة، وذلك قوله تعالى: ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء﴾^(١) يعني نصر فاطمة لمحبيها^(٢).

وفي حديث طويل في البحار عن عمّار، قال: شهدت عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وقد ولج فاطمة - وساق الحديث في مكالمة عليّ معها إلى أن قال: - فقالت فاطمة لعليّ: أعلم يا أبا الحسن أنّ الله خلق نوري وكان يسبّح الله جلّ جلاله، ثمّ أودعه بشجرة من شجرة الجنة فأضاءت، فلمّا دخل أبي الجنة أو ما الله إليه إلهاً ما أن اقتطف الثمرة من تلك الشجرة، وأدركها في لهواتك ففعل، فأودعني الله سبحانه صلب أبي، ثمّ أودعني خديجة بنت خويلد، فوضعتني وأنا من ذلك النور، أعلم ما كان وما يكون ومالم يكن، يا أبا الحسن المؤمن ينظر بنور الله تعالى^(٣).

وعن الصادق (عليه السلام)، عن أبيه، عن جدّه قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): معاشر الناس خلقت فاطمة حوراء أنسيّة لا أنسيّة، خلقت

(١) الروم: ٤ و ٥.

(٢) معاني الأخبار: ٣٩٦ ح ٥٣، عنه البحار ٤٣: ٤ ح ٣، والموالم ١١: ٣٩ ح ١٥، وتفسير البرهان ٣: ٢٥٨.

ح ٦.

(٣) البحار ٤٣: ٨ ح ١١، والموالم ١١: ١٨ ح ١ عن عيون المعجزات: ٥٧.

من عرق جبرئيل ومن زغبه، قالوا: يا رسول الله إستشكل ذلك علينا، تقول حوراء انسيّة لا انسيّة، ثمّ تقول من عرق جبرئيل ومن زغبه؟! قال (صلى الله عليه وآله): إذا أنبئكم، أهدئ إليّ ربّي تفّاحة من الجنة أتاني بها جبرئيل، فضمّها إلى صدره فعرق جبرئيل وعرقت التفّاحة، فصار عرقهما شيئاً واحداً، فأمرني بأكلها، ففلقته فرأيت منها نوراً ساطعاً فزعت من ذلك النور، قال: كُلْ فَإِنَّ ذَلِكَ النور نور المنصورة فاطمة.

قلت: يا جبرئيل ومن المنصورة؟ قال: جارية تخرج من صلبك، واسمها في السماء منصورة وفي الأرض فاطمة، فقلت: يا جبرئيل ولم سمّيت في السماء بمنصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: لأنّها تفتطم شيعتها من النار، إلى آخر ما مرّ^(١). بيان: قال الفاضل المجلسي (رحمه الله): والزغب الشعيرات الصفر على ريش الفرخ، وكونها من زغب جبرئيل أمّا لكون التفّاحة فيها وعرقت من بينها، أو لأنّه التصق بها بعض الزغب فأكله النّبّي (صلى الله عليه وآله)، إنتهى^(٢). ويمكن أن يكون المراد أنّ التفّاحة المهداة من الجنة إلى النّبّي (صلى الله عليه وآله)، هو نور فاطمة (عليها السلام) أهدي إلى النّبّي (صلى الله عليه وآله) في عالم البشريّة ليظهر من صلبه في صورة البشر في هذه النشأة، كما كان ذلك مقتضى طبعها في أصل الخلقة، وهذه التفّاحة يعبر عنها في بعض الأخبار برطب شجرة رآها النّبّي (صلى الله عليه وآله) في الجنة، أو بشمرة شجرة طوبى، أو غير ذلك.

والمراد في الجميع واحد، وإنّما اختلفت العبارات للإشارة إلى خواصّها الباطنيّة والظاهريّة، كتقوية قلوب الشيعة، ودفع رطوبات عالم الطبيعة وغير ذلك، وجبرئيل ملك الخلقة، وهو في الباطن مرتبة من مراتب عقل النّبّي (صلى الله عليه وآله) أي الحقيقة المحمّديّة، والزغب هو الريش الصغار، والريش

(١) تفسير فرات الكوفي: ٣٢١ ح ٤٣٥، عنه البحار ٤٣: ١٨ ح ١٧، والموالم ١١: ٨٦ ح ١.

(٢) البحار ٤٣: ١٨، ذيل حديث ١٧.

سبب قوّة الطائر في الطيران، واختلاط زغب جبرئيل للتفاحة مع عرقه الذي هو العصارّة إشارة إلى تعلّق الخلقة بها خلقة كاملة، يظهر بها في فاطمة (عليها السلام) آثار نور الحقيقة المحمّديّة، فتكون حوراء من جنس الحور التي هي من مكان الجنّة، ولكن ظهرت في الصورة الإنسانيّة بمقتضى البشريّة، فتكون حوراء إنسيّة لا إنسيّة حقيقة.

والمراد من كونها حوراء أنّها ليست بانسيّة، وإن كانت انسيّة في الصورة لا أنّها من جنس حور الجنّة، فإنّ الحور من جنس الملائكة أي من تلك الطينة، وفاطمة (عليها السلام) ليست من هذه الطبيعة، فكونها حوراء بين الحور العين من أهل الجنّة نظير كونها بشراً بين الأفراد البشريّة، فهي منها في الصورة لا الحقيقة، وإن كان الملك أيضاً جوهراً مجرداً نورانياً، يتشكّل بأشكال مختلفة حسنة لقوّة الروحانيّة، لكن:

فرق دارد آن سکون با این سکون گرچه نام هر دو باشد یک سخن
اشتباهی هست لفظی در میان لیک خود کوز آسمان تا ریسمان
وأصل الحور العين من طبيعة الملك في كونها نوريّة محضة، إلّا أنّ الملائكة ليست بحالة الذكوريّة والأنثويّة، بخلاف الحور المراد بها في أغلب الموارد من هي في صورة النسوة، فإنّها مؤنّثة مثل مؤنّث الطائفة البشريّة.

ولا يخفى أنّ الحور جمع الأحرور والحوراء، والعين جمع الأعين والعيناء، والمراد بالحور العين في أغلب الموارد هو جمع المؤنّث، وقد يستشكل في قولهم (عليهم السلام) في الأدعية: «وزوّجني من الحور العين» أنّه لو قرأ هذا الدعاء طائفة الاناث فما معناه؟ فيقال: إنّ المرأة الداعية بذلك تقصد الحور العين جمع المذكّر، وغفل بعضهم عن ذلك فقال: إنّ هذا الدعاء مخصوص بقراءة المذكّر، توهماً أنّ الحور العين مخصوص بالمؤنّث، وليس كذلك فتأمل.

[الفرق بين الملك والجنّ والشیطان]

وأما الجنّ والشیاطین فلهما مذكّر ومؤنّث البتّة، وهل توأدهما وتناسلهما

على نحو ما تقرّر في نوع البشر، أو أنّهما تبيضان وتفرخان كالطيور، أو بسحق الأرجل بعضها ببعض، أو بنحو آخر؟ وجوه محتملة ليس في تحقيقها كثير فائدة، لكنّ اللازم هنا هو بيان الفرق في الجملة بين البشر والملك، والجنّ والشيطان من حيث الجنس والطبيعة.

وهو أنّ البشريّة مستلزّمة للكثافة الجسميّة بخلاف البواقي، فإنّها إمّا أجسام لطيفة، أو أرواح لطيفة متعلّقة بالقوالب المثاليّة، والملك من بينها نوريّ صرف، كما أنّ الشيطان ناريّ محض، والجنّ مركّب من القوّتين النوريّة والناريّة، فلا يكون الملائكة إلّا كراماً بررة، ولا الشياطين إلّا لثاماً، والجنّ يكون منه أبرار ومنه أشرار كما في نوع الإنسان.

فباطن الإنسان كالجنّ مركّب من القوّتين النوريّة الملكيّة العقلانيّة والناريّة الشيطانيّة الوهميّة، مع زيادة قوّتين هما من لوازم القوّة الشيطانيّة، وهما: الشهويّة البهيميّة والغضبّيّة السبعيّة.

والجنّ إذا غلب ناريّته كان من الشيطان، وإذا غلب نوريّته كان من الملائكة، نظير الإنسان لكن مع حصول فضيلة كاملة من جهة تغليب القوّة العاقلة على الوهميّة وبالعكس، فيكون أفضل من الملائكة أو أشرّ من الشيطان.

وإبليس كان من الجنّ، كما في صريح الآية: ﴿فسجدوا إلّا إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه﴾^(١) ومن جهة شرارته سمّي بالشيطان فيسمّى أولاده أيضاً شياطين، ويطلق على شرير الإنسان أيضاً أنّه شيطان، قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾^(٢). وأمّا قوله تعالى: ﴿فسجد الملائكة كلّهم أجمعون﴾ إلّا إبليس^(٣) فالاستثناء منقطع كما قيل، أو متصل باعتبار لحوق إبليس بالملائكة ودخوله فيهم في

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) الأنعام: ١١٢.

(٣) الحجر: ٣٠-٣١.

الصورة، وقيل: ليس الشيطان نوعاً على حدة وإنما هم أشرار الجنّ، وعلى الوجهين يكون بين الملك والجنّ مباينة من حيث الطبيعة.

وقيل: الجنّ هم الروحانيّون المستترون من الحواس مطلقاً في مقابل الإنس، فيدخل فيه الملائكة والشياطين، فيكون بينهما العموم المطلق، وينقسم إلى أقسام ثلاثة: الأخيار وهم الملائكة، والأشرار وهم الشياطين، والمختلط الذي منه أشرار ومنه أخيار وهم الجنّ بالمعنى الأخص، وهذا قول الجاحظ على ما نقل في بعض شروح قصيدة البردة.

أو ينقسم إلى قسمين: الملائكة والشياطين، وعلى المباينة أيضاً قد يُطلق الجنّ على الملائكة لاستتارهم عن الحواس الظاهرية، والجنّي منسوب إلى أجنّ والمراد واحد من هذا النوع، فيكون ياء النسبة لافادة معنى الوحدة، كما في نحو روم وزنج وزنجي على ما ذكر.

وإنّ الفرق بين إسم الجنس ومفرده يكون بأحد وجوه ثلاثة، إمّا بادخال ياء النسبة على الجنس كما ذكر، أو تاء الوحدة كما في نحو تمر وتمرّة، أو حذف التاء كما إذا كان إسم الجنس إسماً له مع التاء، نحو كمأة وكمؤ.

والجنّة طائفة الجنّ أيضاً فالتاء للوحدة الجنسية، والجانّ إسم جمع للجنّ، وقال الزمخشري وغيره: إنّ الجانّ أبو الجنّ كآدم أبو البشر، والمراد من أبي الجنّ حينئذٍ قيل إبليس، وقيل غيره وإنّما إبليس أبو الشياطين، وقيل: إنّ الجانّ قوم مخصوص من الإنسان خلقوا قبل آدم (عليه السلام)، وأصل الجنّ بمعنى الاستتار أو المستتر.

ووضع هذه المادّة مطلقاً - أي الجيم مع النون المشدّدة - بمعنى الاستتار، ومنه الجنّ لاستتاره من العيون، والجنّة للجنّ لاستتار الإنسان به في الحرب، والجنون لاستتار العقل بسببه، ويقال للجنّ بالفارسيّة: «پري» كما يقال للشيطان بها: «ديو»، وهذا أيضاً يدلّ على المغايرة بين الجنّ والشيطان وعدم كونهما من واحد. وأصل الشيطان من شطن أي بعد، أو من الشطو بمعنى البعد أيضاً لبعده عن

الحقّ والرحمة، أو من الشيط بمعنى الإحتراق لكونه مخلوقاً من القوّة الناريّة، أو من الشيط بمعنى الهلاك لهلاكه في نفسه أو إهلاكه الإنسان، والتسمية أيضاً دليل المغايرة.

والملك أصله (ملأك) بالإتفاق لقولهم في جمعه: ملائك وملائكة، واستعمل أصله أيضاً في قوله:

فَلَسْتُ بِنَاسِيٍّ وَلَكِنْ بِمَلَأَكٍ تَنْزَلَ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(١)
ثم قيل أصله مألّك من الألوكة بمعنى الرسالة، فقلب قلباً مكانياً ورجّح هذا القول، لقوله تعالى: ﴿جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا...﴾^(٢) وغير ذلك، وقيل: فعال من الملك، وأورد عليه بأنّ لا نعرف فيه معنى الملك، وفيه نظر، وقيل: مفعّل من ألأك أي أرسل، وأورد عليه بأنّه مرسل (بالفتح) لا مرسل (بالكسر)، وأجيب بجواز جعله بمعنى موضع الرسالة، أو مصدرأ بمعنى المفعول.

والسعاء والسعلاة (بكسر السين فيهما) قيل: ساحرة الجنّ ويقال لها: الجادو، والمهول، والمهيب، والجمع: السعالي، وفي إطلاق لفظ الساحرة دلالة على أنّ من يسحر من الجنّ لا يكون إلّا من طائفة النسوان، كما في الإنسان كذلك غالباً. ويقال للسعلاة الغول أيضاً، فتتصوّر تلك الساحرة في البوادي، وتترأى للناس فتقول للقافلة: ها هو الطريق فتضلّ الناس وتوقعهم في الهلكة، وباتصافها بهذه الصفة تسمّى غولاً من الغيلة بمعنى الهلكة، وذكر بعضهم أنّها تظهر بصورة سوداء طويلة كالنخلة، وقد رأوها غالباً في شطوط البحار وأطراف الجزائر، وإنّها تخاف من سمك الجري، والظاهر أنّ هذا نوع من أنواع الساحرة المذكورة لا أنّها هي مطلقاً.

وبالجملة قال المولوي:

(١) راجع لسان العرب ١٣: ١٨٦/ملك.

(٢) فاطر: ١.

بانك غولان هست بانك آشنا آشنائی كه كشد سوى فنا
 چون بود آن بانك غول آخر بگو مال خواهم جاه خواهم آبرو
 ازدرون خویش این آوازا قطع كن تاكشف گردد رازها
 ذكر حق كن بانك غولان را بسوز چشم نرگس را از این كركس بدوز
 وقال (صلى الله عليه وآله): إذا تقولت الغيلان فبادروا بالأذان^(١)، ف قوله
 (صلى الله عليه وآله): (لا غول ولكن السعالى)^(٢) إشارة إلى ردّ ما هو مشهور بين
 العامة من كون الغول من حيوانات البوادي ويتراءى، حتى قيل: إنه قد يأكله
 الذئب، ونقلوا أنّ تأبط شراً قد قتل واحداً منه^(٣)، ونحو ذلك.

وقيل: إنّ الغول هي التوهّمات والخيالات الحاصلة من فعل الواهمة في حال
 الوحشة إلى غير ذلك، بل أنكر الفلاسفة الجن والشیاطین بالمرّة وقالوا: كلّ ما
 يتوهم من ذلك فإنما هي خيالات وهميّة مستندة إلى السوداء والصفراء، أي إلى
 غالبتهما.

وقال بعض الفلاسفة: إنّ المراد من الملائكة السماویّة القوى السمائيّة، ومن
 الملائكة الأرضيّة القوى^(٤) الأرضيّة، وملائكة الإنسان: العقل، والفكر، والقوى
 الروحانيّة العلميّة والعمليّة، وشيطانه: النفس الأمّارة والوهم المسمّى بالوسواس
 الخناس، والقوى النفسانيّة العلميّة والعمليّة أيضاً، كما قال إمام الحرمين في كتابه
 الشامل:

«إعلموا رحمكم الله أنّ بعض العقلاء أنكروا الملائكة وأولوها بالقوى
 الروحانيّة، وإنّ كثيراً من الفلاسفة وجماهير القدریّة وكافة الزنادقة أنكروا
 الشیاطین والجنّ أصلاً ورأساً، ولا یبعد ذلك ممّن لا یتشبّه بالشریعة، وإنّما

(١) النهاية ٣: ٣٩٦ / غول، عنه البحار ٦٣: ٢٦٨.

(٢) النهاية ٣: ٣٩٦ / غول، وفي البحار ٨٤: ١٦٢.

(٣) راجع القاموس المحيط: ١٣٤٤ / غول.

(٤) كذا الظاهر، وفي الأصل: الملائكة الأرضيّة.

العجب من إنكار القدرية ومعظم أهل الاعتزال ذلك مع تمسكهم بنصوص القرآن والأخبار، إنتهى».

وبالجملة إن الغول هي السعالى، وهي سواحر الجنّ، والجنّ موجود محقق على ما دلّ عليه الشرع وأجمع عليه جميع المليين، ولكنهم ممنوعون عن الاضرار بالناس إلا الغول منهم، فإنه قد يتلاعب بالإنسان وينادي في البادية لاضلال القافلة، لكنه لا يفعل كذلك إلا لأرباب الأرواح الخبيثة أو الطبائع الكثيفة، وفي خصوص الجانّ والشياطين مباحث مفصلة، وهذه جملة تكفي في المرحلة.

[في كونها (عليها السلام) أم أبيها]

ومنها أم أبيها كما ذكره الفاضل المجلسي (رحمه الله)، وقال: إن لها (عليها السلام) خمس كنى هي: أم الحسن، وأم المحسن، وأم الحسين، وأم الأئمة، وأم أبيها^(١)، ومرادنا في تعداد بعض أسمائها هنا أعم من الإسم واللقب والكنية، كما مرّت إليه الإشارة.

وقد روي في مقاتل الطالبين بإسناده إلى جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن أبيه: إن فاطمة كانت تكنى أم أبيها^(٢)، وذكر في كشف الغمة أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يحبها ويكنيها بأم أبيها^(٣).

وذكر بعضهم أن من جملة كناها: أم الخيرة، وأم المؤمنين، وأم الأخيار، وأم الفضائل، وأم الأزهار، وأم العلوم، وأم الكتاب، وعليه أول بعضهم قوله تعالى في

(١) البحار ٤٣: ٦١ ح ١٥، والعوالم ١١: ٨٩ ح ٢، عن مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٥٧ / في حليتها وتواريخها.

(٢) مقاتل الطالبين: ٥٧ / ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام)، عنه البحار ٤٣: ١٩ ح ١٩، والعوالم ١١: ٨٩ ح ١، ونحوه في مناقب لابن المغازلي: ٣٤٠ ح ٣٩٢، والاستيعاب ٤٠: ٣٨٠ والمعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٣٩٧ ح ٩٨٥ والإصابة ٤: ٣٧٧.

(٣) كشف الغمة ٢: ٩٠.

كتابه الكريم: ﴿وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾^(١).

ولا إشكال في الكنى الأخيرة، وإنما الكلام في بيان معنى الكنية الأولى، وهي أدق كناها من حيث المعنى، والأظهر في توجيهها ما اختاره النوّاب الأشرف الأعلى، والجناب الأرفع الأسنى، المقتعد على غارب المعالي، والمؤسس لهذا الأساس العالي، مؤيد الدولة والملة - أدام الله تأييده - وهو أن النكته في هذه التكنية إنما هي محض إظهار المحبة، فإن الإنسان إذا أحبّ ولده أو غيره وأراد أن يظهر في حقّه غاية المحبة، قال: يا أُمّاه في خطاب المؤنث، ويا أباه في خطاب المذكر، تنزيلاً لهما بمنزلة الأمّ والأب في المحبة والحرمة، على ما هو معروف في العرف والعادة.

ويؤيد ما اختاره المؤيد الكاشف للغمّة ما ذكر في كشف الغمة في فضل فاطمة (عليها السلام): إن النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يحبّها ويكنّيها بأُمّ أبيها^(٢)، ولا إشكال في صحّة هذا التوجيه، وأنّه الوجه الخالي عن ارتكاب التكلف في المقام، وكلام الملوك ملوك الكلام.

لكن ذكر الصدوق (رحمه الله) في العلل عن الحسن بن فضال أنّه قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) فقلت له: لم كنّى النبي (صلّى الله عليه وآله) بأبي القاسم؟ فقال: لأنّه كان له ابن يقال له (قاسم) فكنتى به، قال: قلت: يا ابن رسول الله فهل تراني أهلاً للزيادة، أو لا تراني أهلاً لما فوق ذلك؟

فقال (عليه السلام): نعم، أما علمت أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: أنا وعليّ أبوا هذه الأمة - بصيغة التثنية في الأب على النسخ المشهورة، وبصيغة المفرد على بعض النسخ - قلت: بلى، قل: أما علمت أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) واللّه لجميع الأمة؟ قلت: بلى، قال: أولم يكن عليّ (عليه السلام) من جملة أُمته؟ قلت: بلى، قال (عليه السلام): أوليس عليّ (عليه السلام) قاسم

(١) الزخرف: ٤.

(٢) كشف الغمة ٢: ٩٠.

الجنة والنار؟ قلت: بلى، قال: فقل له أبو القاسم، لأنه أبو قاسم الجنة والنار^(١)، إنتهى.

فعليّ (عليه السلام) قاسم الجنة والنار من جهة تميّز المؤمن وغيره بحبه وبغضه، وإيجاب حبه دخول الجنة وبغضه دخول النار، وكونه باباً باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وكونه نعمة للأبرار ونقمة على الفجار، قسيم الجنة والنار، بل كون رضوان ومالك خازنهما صادرين عن أمره (عليه السلام) بأمر القادر المختار فيما يأمره عليّ (عليه السلام) في خصوص الأبرار والفجار، كما نطق به الأخبار، فهو (عليه السلام) قاسم والنبيّ (صلى الله عليه وآله) أبوه في التربية والتقوية، فيكون (صلى الله عليه وآله) أبا القاسم بهذا المعنى لتلك النكتة. فإذا كان نحو هذا الاعتبار وارداً في الأخبار، فيمكن إعتبار مثله أيضاً في المرحلة، بأن يقال: إنّ الأمّ في اصطلاح أهل الحكمة يُطلق على ما يكون مظهر للشيء ومنشأ له، أو له جهة تقوية وتربية ولو بالنسبة، أو يكون محلّ تفاصيل الأمور في الجملة، ولذا كان عليّ (عليه السلام) أمّ الأئمة على تقدير التشية في (أبوا هذه الأئمة) مع البناء على التغليب كما هو الظاهر على معنى أنا أبو الأئمة وعليّ أمّ الأئمة.

والاسطقسات أي العناصر الأربعة أمّهات المواليد الثلاثة، فهي أمّهات سفليّة كما أنّ الأفلاك آباء علويّة، وكذا كان الماهية أمّ الوجود لكونها مظهره ومتعلّقه، إلى غير ذلك.

ولما كانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) في الدائرة العليا مظهر آثار تلك الأنوار العالية، ومحلّ تفاصيل الآثار العلويّة، صارت أمّاً بالنسبة إليها في هذه الدورة، لأنّ أول ما خلق الله هو الحقيقة المحمدية، كما تقرّر في الأخبار المروية، وهي مظهر الفيوضات الإلهية بالذات لا بالواسطة، ثمّ عليّ (عليه السلام) بوساطة الحقيقة المحمدية، ثمّ الأئمة (عليهم السلام) بوساطة الحقيقة العلوية،

(١) علل الشرائع: ١٢٧ ح ٢ باب ١٠٦، ومعاني الأخبار: ٥٢ ح ٣، عنه البحار: ١٦: ٩٥ ح ٢٩.

ثمَّ فاطمة (عليها السَّلام) بوساطة الأئمَّة.

فهم كالحديدة المحماة بنار أمر الله الموقدة التي تطلَّع على أفئدة هؤلاء الكرام البررة، وتفيض تلك الفيوض الربانيَّة، والآثار الإلهيَّة بوساطتهم إلى سائر الوجودات الكونية، والواسطة بينهم وبين من دونهم من النبيين والأدَمِيِّين والملائكة والجنِّ أجمعين، والحيوان والنبات والجماد، هو فاطمة الزَّهراء لوقوعها في آخر تلك السلسلة، وكونها الجزء الأخير من العلَّة التامة، فلها مظهريَّة كاملة بالنسبة إلى آثار تلك الأنوار العالية، وجهة تربية وتقوية لها بالنسبة إليهم من حيث كونها مظهر آثارهم، ومطرح أطوارهم، كما أنَّ لها تربية وتقوية وأُمِّيَّة كاملة إلى من دون تلك السلسلة العالية، آدم ومن دونه ومن فوقه في العوالم الباطنيَّة والظاهريَّة.

فهي (عليها السَّلام) بهذا الاعتبار أُمُّ بالنسبة إلى الحقيقة المحمَّديَّة والحقيقة العلويَّة أيضاً، كما بالنسبة إلى الأئمَّة (عليهم السَّلام)، وكذا بالنسبة إلى آدم أبي البشر ومن بعده ممَّن تقدَّم وتأخَّر، وهي أُمُّ أبيها أي محمَّد (صلى الله عليه وآله)، ولو جعل المراد كونها أُمُّ آدم (عليه السَّلام) فالوجه ظاهر، ولكن الظاهر هو الأوَّل كما يظهر من البيت المنسوب إلى عليِّ أمير المؤمنين (عليه السَّلام) حيث قال:

ولدت أُمِّي أباهَا إنَّ ذا من عجبات وأبي طفل صغير في حجور المرضعات
فجعلها أُمًّا لنفسه ولأبيها، فالظاهر إرادة كونها أُمَّهما، لكن يمكن أن يراد أنَّها أُمُّ لآدم من حيث خلقه آدم (عليه السَّلام) وكذا حواء من نورها، كما أشير إليه سابقاً من جهة فيضان الفيوض الإلهيَّة إليهما بوساطتها، وقد تولَّد منهما أبوها وزوجها، وهي تكون أُمُّ أبيها وزوجها أيضاً بالواسطة.

وهذا وجه آخر غير ما مرَّ، ومراده من قوله: «وأبي طفل صغير» هو أبو طالب، أي ولدت فاطمة الزَّهراء أباهَا، والحال أنَّ أبا طالب كان طفلاً صغيراً ولم يولِّدني بل لم يتزوَّج، وإنَّ أريد آدم (عليه السَّلام) ومن بعده فيجوز ظاهراً أيضاً بلا إشكال، كما مرَّ وجهه.

ويجوز أن يكون أُمِّيَّتها من جهة كونها من بين تلك الأنوار في مرتبة الماهيَّة،

وتلك الأنوار في مرتبة الوجود والماهية أم له، وهذا أيضاً يرجع إلى الأوّل بنوع من الاعتبار وإن كان غيره في الحقيقة.

ففاطمة الزهراء هي الماهية الكلية، وهي الخزانة التي فيها الصور العلمية الإلهية الكونية والإمكانية، فهي بهذا الاعتبار أم لجميع الموجودات السرمديّة والدهريّة والزمانية، فهي سيدة نساء العالمين، ولا مذكّر في عالم الخلق إلّا وهو مضمّن في بطن أم بالنسبة إليه تربية وتقوية، وتظهره إلى عالم الوجود وتؤدّيه إلى عالم الشهود، وسيدة الجميع هي سيّدة النساء، ولهذا ظهرت في هذا العالم في الصورة الاناثية إشارة إلى جهتها الماهويّة.

فهذه الأنوثيّة أشرف من الذكوريّة، بل كلّ مذكّر مؤنث بالنسبة إليها في قبول التأثيرات والإنفعالات الكونية والإمكانية.

أو المراد أنّ كلّ ثمر أم بالنسبة إلى الشجر، لأنّ المقصود من الشجر هو الثمر، وأوّل الفكر آخر العمل، كما قالوا: إنّ أوّل فكر الرجال آخر الأعمال.

گرنودی میل اُمید ثمر کی نشاندی باغبان بیخ شجر پس بمعنی آن شجر از میوه زاد گر بصورت از شجر بودش ولاد ومثل الأم في التأویل الأب، فقد يطلق الأب أيضاً للثمر بالنسبة إلى الشجر، وفي بعض الروایات: «أنا وعليّ أبوهذه الأُمّة» بصیغة المفرد أيضاً لا التثنية، كما يظهر من رواية العلل، أي عليّ (عليه السّلام) أيضاً أبو الأُمّة كما أنّ النّبيّ (صلّى الله عليه وآله) أبوها.

وقال (صلّى الله عليه وآله): كلّ مؤمن تقيّ نقيّ فهو إليّ إلى يوم القيامة. وقال (صلّى الله عليه وآله) أيضاً: آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر^(١).

وقال (صلّى الله عليه وآله) أيضاً: نحن الآخرون السابقون^(٢).

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١: ٢١٤ في اللطائف، عنه البحار ١٦: ٤٠٢ ح ١.

(٢) البحار ٦١: ٢٣٢ ح ٧٥، عن صحيح مسلم والبحاري، وانظر شرح دعاء الصباح للسبزواري: ٦٦.

وقال (صلى الله عليه وآله) أيضاً: أنا الأول والآخِر والباطن والظاهر^(١).

گربصورت من زادم زاده ام پس بمعنی جدّ جدّ افتاده ام
زين سبب فرموده است آن ذو فنون رمز نحن الآخرون السابقون
پس زمن زائيد در معنی پدر پس زميوه زاد در معنی شجر
قال ابن الفارض:

وَأَنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنُ آدَمَ صُورَةٍ فَلِي فِيهِ مَعْنَى شَاهِدٍ بِأُبُوتِي^(٢).

[في وجه تكنية الحسين (عليه السلام) بأبي عبد الله]

قد ورد في وجه تكنية الحسين (عليه السلام) بأبي عبد الله سوى وجهه
الظاهر المعروف من أنّه كان له ابن صغير مسمّى بعبد الله استشهد بالطّف، إنّ المراد
من عبد الله باطناً هو النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله)، كما قال تعالى: ﴿سبحان الذي
أسرى عبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾^(٣) وورد
في التشهد: «وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله».

وعبد الله أشرف ألقاب النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله)، ولا عبد الله تعالى في جميع
الموجودات أكمل منه في العبوديّة، وفيه أصل العبوديّة التي هي جوهره كنهها
الربوبيّة، ولا شيء من صفات الربوبيّة وآثار الألوهيّة إلّا ويوجد في العبوديّة
الكاملة التي هي مقام الحديدية المحمّاة بنيران الأنوار الإلهيّة، وهذه العبوديّة هي
جعل النفسانيّة مضمحلّة بالمرّة في مقام الفناء في الله والبقاء بالله الذي هو مقام:
«لنا مع الله حالات هو فيها نحن ونحن هو»^(٤).

رَقِّ الزَّجَاجِ وَرَاقَتِ الْخَمْرِ فَتَشَابَهَا وَتَشَاكُلُ الْأَمْرِ

(١) الإختصاص: ١٦٣، عنه البحار ٤٢: ١٨٩ ح ٨، ونحوه في مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٣٨٥ / في
قضاياها، ومشارك الأنوار: ١٦٨ / خطبة التنجية.

(٢) ديوان ابن الفارض: ١٢٠ / القصيدة الثابتة الكبرى المسماة بنظم السلوك.

(٣) الأسراء: ١.

(٤) الكلمات المكنونة للفيض: ١١٤ / في معنى الفناء، ومصباح الهداية للإمام الخميني: ٦٧.

فكأنَّما خمر ولا قدح وكأنَّما قدح ولا خمر^(١) وهو في عالم الأمر والكلمة الإلهية التي أُشير إليها في حديث كميل، وجعل لها خمس قوى منها البقاء في الفناء والنعيم في الشقاء، بل هو أعلى من هذه المرتبة أيضاً، وهذه المرتبة أقدم وأشرف بالنسبة إلى النبوة والرسالة بل فوقها بمراتب كثيرة.

ولهذا ذكر في آية الإسراء بلفظ العبد دون أن يقال: بنبئه ورسوله، إذ لولا هذا النحو من العبودية لم يكن له أن يعرج بالمعراج الجسماني، ويسير في جميع ذرات الموجودات من الذرة إلى الذرة، والدنيا والآخرة، والعوالم الزمانية والذهريّة والسرمدية كلّها في دقيقة واحدة، وفي بعض الأخبار في ساعة واحدة. وليس المراد الساعة المعهودة، بل المراد تقليل المدة، وبلحاظ هذا المقام قال عليه الصلاة والسلام: «من رآني فقد رأى الحق»^(٢) أي من حيث الحكاية لا الحلول ولا العينية، كما لو قال المرأة المقابلة للشمس المواجهة لها: من رآني فقد رأى الشمس، فإنّه صحيح بالوجه الأوّل دون الأخيرين لعدم صحتهما البتة. وكلّ من زكّى نفسه وأطاع ربّه، فيكون له في رسول الله (صلى الله عليه وآله) أسوة حسنة بقدر ما حصل من التزكية وما فيه من القابلية، فيحصل له نوع مظهرية

(١) راجع تفسير صدر المتألهين ٣: ١٩٠، ثم قال (قدّس سرّه):

وهذا الدعوى - أي فناء العبد عن نفسه وبقائه بنور الحق على ما هو مشهود العارفين بالعيان - ممّا أُقيم عليه البرهان، وهو معلوم من علم النفس وكيفية تطوّراتها في الأطوار واتحادها في مدارج الاستكمال بالعقل الفعّال... ومثاله حال الفراش مع الشمع واشتعاله بشعلة الشمع، فلما بذل الفراش للشمع وجوده نال من وجود الشمع مقصوده... ومثال آخر: الحديدية الحامية بالنار حيث أنّها لا يزال تنقرب وتتشبّه بالنار حتّى تزول عنها الهوية الحديدية، وتصير فانية في هوية النارية، وتعمل فعلها من الإحراق والإضاءة.

فلا تتعجّب من النفس إذا استشرقت بنور الله، واتصلت بعالم الربوبية وتخلّقت بأخلاق الله ففعلت ما فعلت بقدرة الله لا بقدرتها، وسمعت بسمع الله، وبصرت ببصره...

(٢) النهاية ١: ٤١٣ / حقق، عنه البحار ٦١: ٢٣٥، وتفسير صدر المتألهين ٢: ٢٠١، وشرح دعاء الصباح للسبزواري: ٣١، وأورده البخاري في صحيحه ٩: ٦٥٣ ح ١٨٣٠ كتاب التعبير.

للأوصاف العالية، ونحو ترقُّ إلى المدارج السامية، فيشاهد الآيات الكبرى الإلهية، ويكون منشأً للآثار الربانية، وذلك كما يشاهد في الأنبياء والأولياء والصدّيقين والشهداء، بل من دونهم أيضاً في الجملة.

برو اندرپی خواجه بأسری تفرّج کن همه آیات کبری
برون آاز سرای امّ هانی بگو مطلق حدیث من رآنی
والمراد من الخروج من دار أمّ هاني في الباطن هو الخروج والتخلّص عن
سجن الطبيعة، والخلاص من القيود النفسية حتى يغلب القوة العقلية على القوة
الوهمية والشهوية والغضبية، وإلى هذا يستند إحياء عيسى (عليه السلام) الموتى
وإبرائه الأكمه والأبرص، ومعجزات جميع الأنبياء وكرامات جميع الأولياء، فإنّ
ذلك كلّ خارج عن طوق البشر، مستند إلى أمر ربّ القضاء والقدر، إذ عند ذلك
يكون العبد مظهر الأوامر الإلهية، ومجمع الآثار الربانية، فيجوز أن يقول: «من
رآني فقد رأى الحق» أي من حيث الحكاية، ولكن:

این همه آوازها از شه بود گرچه از حلقوم عبد الله بود
وإلى هذا المقام أشار بعض الأعلام بقوله:

رو باشد أنا الله از در ختی چرا نبود روا از نیک بختی
وبالجملة فلما ذكر أيضاً (قدّم في التشهد العبودية على الرسالة) إشارة إلى أنّ
مرتبة الرسالة مؤخّرة عن العبودية، ولما كان الحسين (عليه السلام) في هذه النشأة
بل في النشآت السابقة أيضاً - بناءً على أنّ الخاتمة على طبق الفاتحة - أبا رسول
الله (صلّى الله عليه وآله) من جهة كونه مقوماً لما قرّره من الشريعة، ومربياً له
وموجباً لاستمراره إلى يوم القيامة، ولولاه لاضمحلت الشريعة، وبطل الدين
بالمرّة، بل هذا الكلام يجري في التكوين أيضاً لا التشريع وحده سمّى أبا عبد الله،
وقد أطلقوا على السماوات الآباء العلوية كما للعناصير الأرضيين الأمّهات السفلية.
وقالوا أيضاً: إنّ الآباء أربعة، أب ولدك، وأب زوجك، وأب علمك، وأب
ربّك، حتّى سرّوا حرمة عقوق الوالدين إلى هذه الآباء كما قرّر تفصيله في المقام

الآخر، ويشعر به ما نزل في قصّة إبراهيم (عليه السّلام) مع آزر عمّه بنحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَزْرَ﴾^(١).

و: ﴿مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾^(٢).

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابُ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾^(٣).

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾^(٤) إلى غير ذلك.

وبالجملة فكلّها راجعة إلى جهة التربية والتقوية، فهو (صلّى الله عليه وآله) كان أباً لجميع الموجودات حتّى آدم (عليه السّلام) الذي هو أبّ له في عالم البشريّة، كما أنّ عليّاً (عليه السّلام) هو الأمّ أو الأب أيضاً للجميع، وجميع الموجودات أمة بالنسبة إليهما، قال (صلّى الله عليه وآله): «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»^(٥).

وقد قال عيسى (عليه السّلام) كما في الانجيل -: إنّني أروح إلى أبي، وفي رواية أخرى بزيادة «وأبيكم» ومراده على تقدير صحّة الرواية هو المربّي - أي الله ربّ العالمين - كما قال تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قُمْ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾^(٦) فتوهم قومه من جهة الجهالة أنّ عيسى ابن الله، فوقعوا في الضلالة.

وقال عبد الباقي الأفندي المشهور، الذي كان بغداددي المسكن، موصليّ الموطن، في ديوانه المسمّى بالباقيات الصالحات الذي جمع فيه أشعاره التي أنشأها في مدائح آل الرسول ومراثيهم، في جملة ما قاله في مدح عليّ (عليه السّلام):
يَا أَبَا الْأَوْصِيَاءِ أَنْتَ لَطْفُهُ صَهْرُهُ وَابْنُ عَمِّهِ وَأَخُوهُ
إِنَّ اللَّهَ فِي مَعَانِيكَ سِرّاً أَكْثَرَ الْعَالَمِينَ مَا عِلْمُوهُ

(١) الأنعام: ٧٤.

(٢) التوبة: ١١٤.

(٣) مريم: ٤٥.

(٤) مريم: ٤٣.

(٥) مناقب ابن شهر آشوب ١: ٢١٤ / في اللطائف، عنه البحار ١٦: ٤٠٢ ح ١.

(٦) آل عمران: ٥٥.

أنت ثاني الآباء في منتهى الدو ر وأبـاؤه تعدّ بنوه خلق الله آدمًا من تراب وهو ابن له وأنت أبوه^(١). ونحو هذا كثير في الكلام، صحيح عند أولى الأفهام، وهذا الإطلاق والاستعمال مبني على ما بيّناه سابقاً من إعتبار الوضع الخاص والموضوع له العام، فالأخوذ في أصل معنى الأب والأمّ هو التربية على نحو الإجمال والتفصيل، فجميع ما فيه من لوازم الأمّ الظاهرية أمّ، ولذا أيضاً يفسّر الأمّ في الخبر: «السعيد سعيد في بطن أمّه.. الخ» بأمّ الكتاب، أو بعالم الذرّ، أو بالماهية، أو المادّة، أو الطبيعة، أو الأمّ الظاهرية، أو الدنيا، أو القبر، أو البرزخ، أو الولاية إلى غير ذلك، هذا، وليس المراد هنا إثبات هذا المطلب بالآيات والأخبار، وإتّما الغرض مجرد دفع سورة الإنكار.

[سائر ألقابها وكنّاها (عليها السلام)]

وأما الكنى الأخيرة للزهاء ممّا أُضيف فيها الأمّ إلى لفظ الخيرة، والمؤمنين، والأخيار، ونحو ذلك حيث جعلت فاطمة أمّاً لهم، فهم في الظاهر المؤمنون من هذه الأمّة، وأما في الحقيقة فعامّ شامل لجميع الأنبياء، والأولياء، والصديقين، والشهداء، والصالحين، ومن دونهم من المؤمنين من الأولين والآخرين، بل الملائكة أجمعين.

وأما الفضائل أي مجمعها، وأمّ الأزهار أي مبدأها ومنشأها، وأمّ العلوم أي مأخذها، وأمّ الكتاب أي الكتاب التدويني والتكويني حيث أنّها مشتملة على ما فيهما، وتفصيل هذه الأمور قد مرّت إليها الإشارة في الجملة، وبسطها لا يليق بالمرحلة.

[في تسميتها ببضعة الرسول]

وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة، مثل ما روي عن ابن أبي وقاص قال: سمعت

رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: فاطمة بضعة مني، من سرّها فقد سرّني، ومن ساءها فقد ساءني، فاطمة أعزّ الناس إليّ^(١).

وعن النّبّي (صلى الله عليه وآله): يا عليّ إنّ فاطمة بضعة مني، وهي نور عيني، وثمرة فؤادي، يسوءني ما ساءها، ويسرّني ما سرّها، وأنّها أوّل من يلحقني من أهل بيتي، فأحسن إليها بعدي^(٢).

وعنه (صلى الله عليه وآله): إنّ فاطمة شجّة منّي، يؤذيني ما آذاها، ويسرّني ما سرّها، وإنّ الله يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها^(٣).

وروى البخاري عن الصادق (عليه السلام)، عن النّبّي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني^(٤).

وعن حباب في هذا الخبر: ومن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله^(٥). وفي رواية أخرى عنه (صلى الله عليه وآله): يريني ما أرا بها ويؤذيني ما آذاها^(٦)، وفسّروا قوله (صلى الله عليه وآله) يريني بمعنى يسوءني ويزعجني.

(١) أمالي المفيد: ٢٥٩ ح ٢ مجلس ٣١، وأمالي الطوسي: ٢٤ ح ٣٠ مجلس ١، عنه البحار ٤٣: ٢٣ ح ١٧، وبشارة المصطفى: ٨٥، والعوالم ١١: ١٤٤ ح ٢، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٢.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٩٤ ح ١٨ مجلس ٧٣، عنه البحار ٤٣: ٢٤ ح ٢٠، والعوالم ١١: ١٤٨ ح ١٨، وروضة الواعظين: ١٥٠، بشارة المصطفى: ١٧٨.

(٣) معاني الأخبار: ٣٠٣ ح ٢ عنه البحار ٤٣: ٢٦ ح ٢٦، والعوالم ١١: ١٤٨ ح ١٩.

(٤) صحيح البخاري ٥: ٨٣ ح ٢٣٢، خصائص النسائي: ١٢٢ ح ١٣٣، نظم درر السمطين: ١٧٦، ينابيع المودة ٢: ٥٢ ح ١٨، مصابيح السنة للبغوي ٤: ١٨٥ ح ٤٧٩٩، صفة الصفوة ٢: ١٣ كنز العمال ١٢: ١١٢ ح ٣٤٢٤٤، المعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٤٠٤ ح ١٠١٢، مسند فاطمة للسيوطي: ٥٠ ط الهند، الفردوس ٣: ١٤٥ ح ٤٣٨٩، ذخائر العقبى: ٣٧، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٢، وإسعاف الراغبين: ١٧٣.

(٥) الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٤٤، نور الأبصار: ٩٦، إحقاق الحق ١٠: ٢١٢، كشف الغمة ٢: ٩٤، عنه البحار ٤٣: ٥٤.

(٦) صحيح مسلم ٧: ١٤٠، سنن الترمذي ٥: ٣٥٩ ح ٣٥٩، صفة الصفوة ٢: ١٣، الخصائص للنسائي: ١٢١ ح ١٣٠، حلية الأولياء ٢: ٤٠، تذكرة الخواص: ٣١٠، مسند فاطمة للسيوطي: ٥٣ ط الهند، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ٥٢، الصواعق المحرقة: ٢٨٩.

وفي رواية أخرى: يؤلمني ما يؤلمها^(١).

وعن طرق العامة، عنه (صلى الله عليه وآله): فاطمة شجنت مني، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها^(٢).

وفي رواية أخرى: يرضيني ما يرضيها ويسخطني ما يسخطها^(٣).

وعن جابر بن عبد الله، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: فاطمة شعرة مني، فمن آذى شعرة مني فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله ملء السماوات والأرض^(٤).

وعن أبي حمزة الثمالي، عن الباقر (عليه السلام)، عن جدّه أنّه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنّ الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها^(٥). وعن الصادق (عليه السلام): إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لفاطمة: إنّ الله عزّ وجلّ يغضب لغضبك ويرضى لرضاك، واستنكر بعض الرواة ذلك عن الصادق (عليه السلام) واستعظمه، فقال الصادق (عليه السلام) تقريباً لأفهام السامعين: ألستم تروون فيما تروون أنّ الله ليغضب لغضب عبده المومن، ويرضى لرضاها؟

→ ينابيع المودة ٢: ٤٧٨ ح ٣٤٠، كفاية الطالب: ٣٦٥، كنز العمال ١٢: ١١٢ ح ٣٤٢٤٣، مصابيح السنة للبغوي ٤: ١٨٥ ح ٤٧٩٩، المعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٤٠٤ ح ١٠١٠، إحقاق الحق ١٠: ١٩٠.

(١) المناقب للخوارزمي: ٣٥٣ ح ٣٦٤، كشف الغمة ١: ٣٧٣، البحار ٤٣: ١٣٣.

(٢) مستدرک الحاكم ٣: ١٦٨ ح ٤٧٣، حلية الأولياء ٣: ٢٠٦، مسند فاطمة للسيوطي: ٥٣، المعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٤٠٥ ح ١٠١٤، كنز العمال ١٢: ١١١ ح ٣٤٢٤٠، فرائد السمطين ٢: ٤٥ ح ٣٧٧، الصواعق المحرقة: ٢٨٥، ذخائر العقبى: ٣٨، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٢، البحار ٤٣: ٣٩ ح ٤١.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٢، كشف الغمة ٢: ٩٥، البحار ٤٣: ٥٤ ح ٤٨.

(٤) كشف الغمة ٢: ٩٥، عنه البحار ٤٣: ٥٤، ح ٤٨، والموالم ١١: ١٤٩ ح ٢١.

(٥) أمالي المفيد: ٩٤ ح ٤ مجلس ١١، عنه البحار ٤٣: ١٩ ح ٢، ونحوه المعجم الكبير للطبراني ٢٢:

قال الراوي: بلى، قال: فما تنكرون أن تكون فاطمة مؤمنة يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها؟ فقال الراوي: الله أعلم حيث يجعل رسالته^(١).

وقد ورد أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾^(٢) إنما نزل فيمن غصب حق أمير المؤمنين، وأخذ حق فاطمة وآذاها، وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله): من آذاها في موتي كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية^(٣).

وفي بعض الروايات أنه جاء النبي (صلى الله عليه وآله) يوماً إلى منزل فاطمة (عليها السلام)، فأخذ بيدها فهزّها إليه هزّاً شديداً، ثم قال: يا فاطمة إياك وغضب عليّ، فإن الله يغضب لغضبه ويرضى لرضاه، ثم جاء عليّ (عليه السلام) فأخذ النبي (صلى الله عليه وآله) بيده، ثم هزّه إليه هزّاً خفيفاً، ثم قال: يا أبا الحسن إياك وغضب فاطمة، فإن الله يغضب لغضبه ويرضى لرضاها^(٤).

وعن صحيح الدارقطني أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر بقطع لصّ، فقال للصّ: يا رسول الله قدّمته في الإسلام وتأمرها بالقطع؟ فقال: لو كانت ابنتي

(١) أمالي الصدوق: ٣١٣ ح ١ مجلس ٦١، وأما الطوسي: ٤٢٧ ح ٩٥٤ مجلس ١٥ عنهما البحار ٤٣: ٢١ ح ١٢ والعوالم ١١: ١٥٣ ح ٣٤، والمناقب لابن المغازلي: ٣٥٢ ح ٤٠١، والإحتجاج ٢: ٢٥٤ ح ٢٢٦، روضة الواعظين: ١٤٩، ومناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٥.

(٢) الأحزاب: ٥٧.

(٣) تفسير القميّ ٢: ١٩٦، عنه البحار ٤٣: ٢٥ ح ٢٣، والعوالم ١١: ١٤٣ ح ١، وتفسير الصافي ٤: ٢٠٢، وتفسير كنز الدقائق ١٠: ٤٣٩.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٤، عنه البحار ٤٣: ٤٢ ح ٤٢، والعوالم ١١: ٤٩٢ ح ٣.

وفي ذلك يقول عليّ (عليه السلام): «والله ما أغضبته ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عزّ وجلّ، ولا أغضبته ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتتكشف عني الهموم والأحزان»، البحار ٤٣: ١٣٤.

فاطمة، فسمعت فاطمة فحزنت، فنزل جبرئيل بقوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾^(١) فحزن رسول الله، فنزل: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾^(٢) فتعجب النبي (صلى الله عليه وآله) من ذلك، فنزل جبرئيل وقال: كانت فاطمة حزنت من قولك فهذه الآيات لموافقتها لترضى^(٣).

قال بعضهم: لعل المعنى أن هذه الآيات نزلت لتعلم فاطمة أن مثل هذا الكلام المشروط لا ينافي جلالة المخاطب والمسند إليه وبراءته، لوقوع ذلك بالنسبة إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)، وإلى الله تعالى أيضاً، أو لبيان أن قطع يد فاطمة بمنزلة الشرك، أو أن هذا النوع من الخطاب المراد به الأمة إنما صدر لصدور هذا النوع من الكلام بالنسبة إلى فاطمة (عليها السلام)^(٤).

وعن علي (عليه السلام): كنّا جلوساً عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: أخبروني أي شيء خير للنساء؟ فعيينا بذلك كلنا حتى تفرقنا، فرجعت إلى فاطمة فاخبرتها الذي قال لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإنه ليس أحد منا علمه ولا عرفه، فقالت: أنا أعرفه، خير للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال.

فرجعت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقلت: يا رسول الله سألتنا أي شيء خير للنساء؟ خير لهن أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال، قال: من أخبرك؟ قلت: فاطمة، فأعجب ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: إن فاطمة بضعة مني^(٥).

(١) الزمر: ٦٥.

(٢) الأنبياء: ٢٢.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٤، عنه البحار ٤٣: ٤٣ ح ٤٣، والعوالم: ١١: ٩٧ ح ١ عن صحيح الدار قطني.

(٤) راجع البحار ٤٣: ٤٣ ذيل حديث ٤٣.

(٥) كشف الغمة ٢: ٩٤، عنه البحار ٤٣: ٥٤ ح ٤٨، ونحوه حلية الأولياء ٢: ٤٠ باختصار. والمناقب لابن

المغازلي: ٣٨١ ح ٤٢٩.

وروى عن مجاهد قال: خرج النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يوماً وهو آخذ بيد فاطمة، فقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله^(١).

إلى غير ذلك من الأخبار المستفيضة بل المتواترة لفظاً أو معنى من الخاصة والعامة.

وقد روى مسلم في صحيحه في الجزء الرابع، والحميدي في الجمع بين الصحيحين، وصاحب كتاب الجمع بين الصحاح الستة في الجزء الثالث، وروا كلهم عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أنه قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني^(٢).

وإنه قال: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة^(٣).

قال في الأنوار: ويعجبني نقل مباحثة جرت بين شيخنا البهائي (رحمه الله) وبين عالم من علماء مصر، وهو أعلمهم وأفضلهم، وقد كان شيخنا البهائي (رحمه الله) يظهر لذلك العالم أنه على دينه، فقال له: ما تقول الرافضة الذين قبلكم في الشيخين؟

فقال له البهائي (رحمه الله): قد ذكروا لي حديثين فعجزت عن جوابهم، فقال: ما يقولون؟ قلت: يقولون: إن مسلماً روى في صحيحه أن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قال: من آذى فاطمة فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فقد كفر.

(١) كشف الغمة ٢: ٩٤، عنه البحار ٤٣: ٥٤، والموالم ١١: ١٤٨ ح ٢٠، ونحوه الفصول المهمة: ١٤٤، ونور الأبصار: ٩٦، وإحقاق الحق ١٠: ٢١٢.

(٢) صحيح مسلم ٧: ١٤١، محاضرات الأدباء ٤: ٤٧٩، ذخائر العقبى: ٣٧، الممعة: ٣٨٤ ح ٧٥٧، الطرائف: ٢٦٢ ح ٣٦٤، إحقاق الحق ١٠: ١١٦، البحار ٤٣: ٣٩.

(٣) مستدرک الحاكم ٣: ١٦٤ ح ٤٧٢١، الصواعق المحرقة: ٢٩٠، ينابيع المودة ٢: ٥٣ ح ٢٤، الطرائف ٢٦٣ ح ٣٦٦، الممعة: ٣٨٤ ح ٧٥٦، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٣.

وروى أيضاً مسلم بعد هذا الحديث بخمسة أوراق أنّ فاطمة خرجت من الدنيا وهي غاضبة على أبي بكر وعمر، فما أدري ما التوفيق بين هذين الحديثين. فقال له العالم: دعني الليلة أنظر، فلمّا صار الصبح جاء ذلك العالم وقال للبهائي (رحمه الله): ألم أقل لك أنّ الرافضة تكذب في نقل الأحاديث، البارحة طالعت الكتاب فوجدت بين الخبرين أكثر من خمسة أوراق، هذا اعتذاره من معارضة الحديثين^(١).

بيان:

إعلم أنّ البُضْعَة - بفتح الباء وقد يُكسر - الجزء من الشيء وقطعة منه، والبُضْع - بكسر الباء وقد يُفتح - هو العدد من الواحد أو الثلاثة إلى التسعة مطلقاً، أو الافراد منه لا الأزواج بمناسبة كون كلّ من هذه المراتب قطعة من العدد، قال تعالى في يوسف (عليه السلام): ﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾^(٢) أي تسعاً أو سبعاً أو أقلّ، قيل: والأصحّ سبع سنين بعدد حروف الكلمتين.

والشِجْنَة - بالكسر ويضمّ أيضاً - الشعبة والغصن من الشجر أو العروق الملتفّة منه، والحديث ذو شجون أي ذو شعب وامتسك بعضه ببعض، وحاصل المرام فيه أنّ الكلام يجرّ الكلام، وشجر مشجّن إذا التفّ بعضه ببعض، ونُقل عن القاسم بن سلام في معنى قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله): إنّ الرحم شجنة من الله عزّ وجلّ أي قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، إنتهى.

وحاصل معنى الشجنة في الأخبار يرجع إلى معنى البضعة أيضاً، فيكون المراد من الأخبار المذكورة أنّ فاطمة (عليها السلام) قطعة من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وبعض أجزائه، ومن ألم وآذى بعض أجزاء الإنسان أي عضواً من أعضائه فقد آلمه، بل ليس إيلامه إلّا إيلامه.

ولا يقدح في ذلك كون الجزء غير الكلّ لما تقرّر في محلّه من أنّ المعنى

(١) الأنوار النعمانية ١: ٩٣.

(٢) يوسف: ٤٢.

التركيبى غير الافراى بحسب العرف واللغة، فإن زيدا مثلاً إسم لمجموع هذا الشخص المعين، وإذا قيل: ضربت زيدا، كان معناه إيقاع الضرب إلى بعض جزء منه كالرأس أو اليد مثلاً لا استيعاب تمام بدنه بالضرب.

وكذلك مسح الجدار، وسكنت الديار، وجلست في المسجد والدار، فإن كل ذلك حقيقة لا مجاز، بخلاف غسلت الثوب، وأكلت الخبز وما شاكل هذا الباب، فإن ظاهر الإسناد في نحوه الاستيعاب، فالبعض وإن كان من حيث هو غير الكل من حيث هو إلا أن إيلام الكل يصدق حقيقة بإيلام البعض لا محالة.

مضافاً إلى أن الروح لا تركيب فيها، وإن كل جزء من أجزاء البدن واسطة في إيلامها، فحينئذ يكون قوله (صلى الله عليه وآله): «من آذاها فقد آذاني» بعد أن بين كونها بضعة منه كالتفسير له، كما قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلْقٌ هَلُوعاً﴾ إذا مسّه الشر جزوعاً * وإذا مسّه الخير منوعاً^(١) إن جملة «إذا مسّه الشر» تفسير للهلع، بناء على أن الهلوع هو الذي إذا مسّه الشر كان جزوعاً إلى آخر، لا أنه حيوان معروف مخصوص خلف جبل قاف، يأكل كل يوم علف سبع جزائر، ويشرب مياه سبعة أبحر، ومع ذلك يقول كل يوم في نفسه: ما أكل غداً، وما أشرب غداً؟ فإذا صار غداً رأى الجزائر والبحار كما كانت، ولا غير ذلك.

وكما ورد الخبر عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصمد﴾ لم يلد ولم يولد^(٢) أن الصمد هو الذي لا يخرج منه شيء ولا يخرج هو من شيء، أولاً يخرج منه شيء ولا يدخل فيه شيء، فيكون لم يلد ولم يولد تفسيراً للصمد على أحد الوجوه، لا أن الصمد بمعنى المعتمد أو المقصد للحوائج أو غير ذلك. وكما قيل في قول الشاعر:

الألمعي الذي يظنّ بك الظنّ كان قد رأى وقد سمعا
إنّ الألمعي هو الذي يكون كذلك، ممّا ورد من هذا الباب، ويكون حينئذ في

(١) المعارج: ١٩ - ٢١.

(٢) الإخلاص: ٢ - ٣.

الأخبار دلالة على أنّ فاطمة (عليها السلام) من جنس طينة النّبي المختار (صلى الله عليه وآله) ومن سنخه وأصله، وأنّ نورها شعبة وجزء من نوره، فيثبت لها المعصومية أيضاً كسائر الصفات الفاضلة الثابتة للنّبي (صلى الله عليه وآله) إلا ما خرج بالأدلة.

شه چو حوضی وآن خدم چون لولها آب از لوله روان در کولها
خوی شاهان در رعیت جا کند چرخ أخضر خاک را خضرا کند
الناس على دين ملوكهم يتبعونه في سيرهم وسلوكهم
فيكون حينئذٍ إيذاء فاطمة إيذاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإيلاهما إيلاهما لما بينهما من الاتحاد المشار إليه بلفظ البضعة والشجنة، مع الإشارة إلى ما أشار إليه أهل الإشارة.

مؤمنان معدود ليك إيمان يكي جسمشان معدود لكن جان يكي
غير آن فهمی که درگاو و خراست آدمی را عقل و جان دیگر است
جان شیران و سگان از هم جداست متحد جانهای شیران خداست
وَأَمَّا كَوْنُ إِيْذَاءِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) إِيْذَاءَ اللَّهِ، فَلأنَّ قلبه عرش الله، وهو الكعبة والبيت الحقيقي لله سبحانه، قال تعالى: (ما وسعني أَرْضِي ولا سَمَائِي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن)^(۱) فإذا تأذَى قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) اضطرب عرش الله، وتراكم الهموم والأحزان في بيت الله، فيكون كما قيل:

هست از ملال گرچه بری ذات ذوالجلال او در دل است و هیچ دلی نیست بی ملال
أو لأنَّ ذلك من جهة ما روى أنّه سُئِلَ (عليه السلام): إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هَلْ يَأْسِفُ كَأَسْفِنَا؟ قال: لا، قال السائل: فقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم فَأَعَرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين؟^(۲) قال (عليه السلام): إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى

(۱) البحار ۵۸: ۳۹.

(۲) الزخرف: ۵۵-۵۶.

خلق قلوباً اختارها لنفسه، وهي قلوب عباده المؤمنين المخلصين، وجعل أسفها أسفه، أو كأسفه^(١).

أو أن النبي (صلى الله عليه وآله) هو مظهر الصفات الإلهية، والآثار الربانية كالحديدية المحممة بالنار الحامية، فهو من حيث الحكاية في مقام الذات الظاهرة، وإن كان غيره في الحقيقة في مقام الذات الباطنة، بل لا مناسبة بينهما بالمرّة. وهذه الأخبار الواردة في المقام كلّها من باب المقدّمة والتمهيد والتوطئة لما كان (صلى الله عليه وآله) يعلم من أمر الشيخين وأتباعهما في غضب فذك عن فاطمة (عليها السلام)، وإيذانهم لها في ذلك وغيره، فقد تمّ عليهم الحجة والانحراف عن المحجّة بصدور هذه الأخبار المستفيضة بحيث لم يبق في ذلك شبهة وريبة عند الخاصّة والعامة.

تنبيه: قد ورد صدور قوله (صلى الله عليه وآله): «فاطمة بضعة منّي» في بعض الأخبار بنحو آخر طويل لا بأس بذكره ملخصاً، من جهة الإشارة إلى بعض المطالب اللازمة، وهو أنّه لمّا رأى المخالفون كثرة ما ورد على الخلفاء من القدح والظعن والنقيصة أراد بعضهم أن يثبت لعلّي (عليه السلام) طعناً فيشارك الثلاثة، فلم يجد بعد الفحص إلّا أنّ علياً أغار فاطمة بأن أراد أن يتزوّج عليها بنت أبي جهل أو غيرها، فشكته إلى أبيها فقال النبي (صلى الله عليه وآله) في ردّ عليّ (عليه السلام) خطاباً له: إنّ فاطمة بضعة منّي، إلى آخر الرواية.

وقد روى الصدوق (رحمه الله) أنّه ذكر تلك المقالة عند الصادق (عليه السلام)، فاستوى جالساً ثم قال: إنّ جاء شقي من الأشقياء إلى فاطمة (عليها السلام) ثلاث مرات بهذا الخبر حتى دخلها من الغيرة ما لا تملك نفسها، وذلك أنّ الله تعالى كتب الغيرة على النساء، وجعل على الرجال جهاداً، وجعل للمحتسبة الصابرة منهنّ من الأجر ما جعل للمرابط المجاهد في سبيل الله.

(١) نحوه الكافي ١: ١٤٤ ح ٦، التوحيد للصدوق: ١٦٨ ح ٢، تفسير الصافي ٤: ٣٩٦، وتفسير كنز الدقائق

فاشتدَّ غمُّ فاطمة لذلك وبقيت متفكِّرة حتى جاء الليل، فحملت الحسن والحسين (عليهما السلام) وأخذت بيد أم كلثوم، ثمَّ تحولت إلى حجرة أبيها، فجاء عليّ (عليه السلام) فلم يجدهم في الحجرة، فاطلع على الحالة واستحى أن يدعوها من منزل أبيها، فخرج إلى المسجد فصلى فيه ما شاء الله، ثمَّ جمع شيئاً من كتيب المسجد واتكأ عليه.

فلما رأى النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) غمَّ فاطمة ففهم كَيْفِيَّةَ الواقعة فقال: قومي يا بنتي، فقامت فحمل النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) الحسن وفاطمة الحسين، وأخذ بيد أم كلثوم فانتهى إلى عليّ (عليه السلام) وهو نائم في المسجد، فوضع رجله على رجل عليّ (عليه السلام) فغمزه وقال له: قم يا أبا تراب، فكم ساكن أزعتة، أدع لي أبا بكر وعمر وطلحة وجماعة أخرى من الأصحاب، فاستخرجهم من منزلهم حتَّى اجتمعوا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله).

فقال (صلى الله عليه وآله): يا علي أما علمت أنَّ فاطمة بضعة مِنِّي وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاها بعد موتي كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي.

قال: فقال عليّ (عليه السلام): يا رسول الله بلى، قال: فما دعاك إلى ما صنعت؟ فقال عليّ (عليه السلام): والذي بعثك بالحق نبياً ما كان ما بلغها، ولا حدثت به نفسي.

فقال النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله): صدَّقَتْ وَصَدَّقَتْ فاطمة، فعند ذلك تبسَّمت حتَّى بدى ثغرها، فأخذ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) بيد عليّ (عليه السلام) فشبك أصابعه بأصابعه، فحمل النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) الحسن وعليّ (عليه السلام) الحسين وفاطمة (عليها السلام) أم كلثوم، فأدخلهم النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) بيتهم، ووضع عليهم قطيفة واستودعهم الله ثم خرج.

ولما كان مرض فاطمة (عليها السلام) وجاء الشيخان مع الصحابة إلى عيادتها احتجَّت عليهم فاطمة بهذه الواقعة، فاستشهدتهم أولاً على ذلك فشهدوا

حتى أبو بكر وعمر، فقالت (عليها السلام): هل سمعتما النبي (صلى الله عليه وآله) في ليلة كذا جمعكم كذا وقال كذا؟ فقالا: اللهم نعم، قالت: الحمد لله، ثم قالت: اللهم إني أشهدك فاشهدوا يا من حضرني أنهما قد آذيانني في حياتي وعند مماتي، وأنني والله لا أكلّمكما من رأسي كلمة واحدة حتى ألقى ربي فأشكو إليه بما صنعتما لي. فدعى أبو بكر بالويل والثبور وقال: ياليت أُمّي لم تلدني، فقال عمر: عجباً للناس كيف ولّوك أمورهم وأنت شيخ قد خرفت، تجزع لغضب فاطمة امرأة وترضى برضاها، وما يبلغ من غضب امرأة؟! فقاما وخرجا^(١)، وسيجيء تفصيل الحالة عند بيان حالة وفاة فاطمة (عليها السلام).

وذكر بعض العامة الخبر بوجه آخر، هو أنّه لمّا سمعت فاطمة (عليها السلام) أنّ عليّاً يريد أن يتزوَّج عليها ابنة أبي جهل وشكته إلى أبيها، صعد النبي (صلى الله عليه وآله) المنبر في حضور جماعة الأصحاب وقال: سمعت عليّاً يريد أن يتزوَّج عليها ابنة عدوّ الله على ابنة وليّ الله، وما كان هذا يجوز له، فاطمة بضعة مني.. الخ^(٢).

ولا يخفى أنّ نحو ذلك الخصام لا يجوز بمرتبة النبي (صلى الله عليه وآله)، وكيف يخاصم لابنته من جهة الزوجيّة وهو الذي أباح هذه المسألة، والعادة جرت بقبح نحو هذه المخاصمة، حتى أنّ المأمون لمّا شكّت إليه ابنته أمّ الفضل أنّ الجواد (عليه السلام) تسرّى عليها كتب إليها: (أنا ما زوجناه إياك لنحرّم عليه حلالاً)^(٣).

(١) علل الشرائع: ١٨٥ ح ٢ باب ١٤٩، عنه البحار ٤٣: ٢٠١ ح ٣١، والعوالم ١١: ١٠٧٥ ح ١٢، والأنوار النعمانية ١: ٧٣، ملخصاً.

(٢) كنز العمال ١٢: ١٠٦ ح ٣٤٢١٣، وأورده السيد المرتضى (قدّس سرّه) في تنزيه الأنبياء صفحة: ١٦٧، ثم قال: «فوالله إنّ الطعن على النبي (صلى الله عليه وآله) بما تضمّنه هذا الخبر الخبيث أعظم من الطعن على أمير المؤمنين (عليه السلام)، وما صنع هذا الخبر إلا ملحد قاصد للطعن عليهما، أو ناصب معاند لا يبالي أن يشفي غيظه بما يرجع على أصوله بالقدح والهدم...».

(٣) الإرشاد للمفيد: ٣٢٢، عنه البحار ٥٠: ٧٩ ح ٥.

وروى أن عثمان لما ضرب رقية زوجته وهي بنت النبي (صلى الله عليه وآله) ضرباً مبرحاً حتى أثر السياط في بدنّها على غير جنابة تستحقّها، فأتت إلى النبي (صلى الله عليه وآله) شاكية قال: لا يليق بالمرأة أن تشكو من زوجها^(١). وهكذا كان يفعل أبداً، مع أن فاطمة (عليها السلام) كانت مطهرة معصومة من أدناس نساء الدنيا، فكيف جاز منها اعمال هذه الغيرة البشرية من غير أن تتفحص عن حقيقة الحال؟!.

ثم نقول: إن وقوع الواقعة على ما نقل لا يقدح أيضاً بأحد الطرفين، أمّا علي (عليه السلام) فلأنّ هذا أمر مباح أباحه الشريعة وإن كتب الغيرة على الزوجة أيضاً، فللرجل أن يتزوج على المرأة وللمرأة أن تأخذها الغيرة، وأمّا فاطمة (عليها السلام) فأولاً: بأن الغيرة من الصفات الفاضلة، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يتمدّح بها ويقول: (إن سعد الغيور وأنا أغير من سعد). والتمدّح بالغيورية ونفس صفة الغيورّة من الامور المباحة، وإلا فلا يتمدّح النبي بالأمور المحرّمة على الصحابة^(٢).

(١) الخرائج ١: ٩٦ ضمن حديث ١٥٦، عنه البحار ٢٢: ١٥٩ ضمن حديث ١٩.

(٢) أقول: هذا الاستدلال مخدوش من عدة جهات:

أولاً: إنّ الغيرة الممدوحة مختصة بالرجال لا النساء فإنّ غيرتهن كفر، كما جاء في نهج البلاغة في قصار الحكم: «غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل إيمان» وقال (عليه السلام) أيضاً في الغرر: «غيرة المرأة عدوان» وقال الباقر (عليه السلام): «غيرة النساء الحسد، والحسد هو أصل الكفر، إنّ النساء إذا غرن غضبن، وإذا غضبن كفرن إلاّ المسلمات منهن».

وثانياً: لو كانت الغيرة - حتى في النساء - من الصفات الفاضلة، لكانت عائشة أكثر فضلاً من الزهراء (عليها السلام) لشدة غيبتها وحسدها على خديجة وفاطمة (عليها السلام)، والشاهد على ذلك قول علي (عليه السلام) في نهج البلاغة: «وأما فلانة فأدركها رأي النساء، وضغن غلاً في صدرها كمرجل القين» ثم قال العلامة المجلسي (رحمه الله) في ذيل الحديث: قوله (عليه السلام): «وضغن» أي حقد، وكان من أسباب حقدّها لأُمير المؤمنين (عليه السلام) سدّ النبي (صلى الله عليه وآله) باب أبيها من المسجد وفتح بابها، وبعثه بسورة براءة بعد أخذها من أبي بكر، وإكرام رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفاطمة (عليها السلام) وحسدها عليها... [راجع البحار ٣٢: ٢٤٢].

فلعلّه لاحظ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وفاطمة ما في فلك من كون فاطمة ضرة لغيرها أو غيرها ضرة لها، فيحصل لها تحمّل المشقة حينئذٍ فأخذتهما الغيرة، وقد صدر من بنات الأنبياء ما هو أشدّ من ذلك، فإنّ سارة ألزمت إبراهيم (عليه السّلام) أن يخرج عنها هاجر وابنها إسماعيل إلى واد غير ذي زرع، ولا ينزل معهما بل يضعهما فيه وهو راكب ويرجع إليها، وقد أمر الله إبراهيم أن يمثل أمر سارة^(١).

وثانياً: إنّ المعصومين (عليهم السّلام) قد يتنزّلون عن مراتبهم إلى مراتب البشريّة، ويقع منهم الرضا والغضب والمحاورات المتعارفة لحكم ومصالح ملحوظة، مثل أن لا يظنّ بهم الربوبيّة، كما وقع من الغلاة والمفوّضة، ومثل أن يتعقّبهم المحبّة القويمة والخلة المستقيمة.

وثالثها: إنّ هذا كان كما يظهر من سياق الرواية إتماماً للحجة بنحو أبلغ وآكد على الصحابة عند غضب فذك والعوالي، حيث أنّه غضب بعضهم ورضى الآخرون، وكان النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) يعلم بوقوع تلك القضية، وكذا فاطمة وعليّ (عليهما السّلام)، ففعلوا كذلك من باب المقدّمة والتمهيد والتوطئة، فلم تكن المقدّمة قاذحة بوجه من الوجوه، وذلك واضح عند أهل البصيرة.

[في تسميتها بمشكاة الضياء وفي تفسير آية النور]

ومنها مشكاة الضياء، وهذا إشارة إلى كونها (عليها السّلام) مصداق آية النور، وهو كذلك على أحد الوجوه إذ للآية المذكورة تفسيرات كثيرة منقولة ومحتملة،

→ وثالثاً: إنّ الزهراء التي هي الحجة على الأنمة (عليهم السّلام) - كما ورد ذلك عن الإمام العسكري (عليه السّلام) - والتي قال الإمام الحجة فيها: «في ابنة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لي أسوة حسنة» والتي «فُطم الخلق عن معرفتها» والتي «دارت القرون الأولى على معرفتها» والتي قال النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لعلّي في حقّها: «يا عليّ وأنفذ لما أمرتك به فاطمة» كيف تصدر منها هذه الأمور؟!.

كما سنشير إليها في الجملة، والآية هي قوله تعالى في سورة النور: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾^(١).

قيل: هو بتقدير المضاف في المبتدأ أو في الخبر، أي نور الله نور السماوات والأرض، أو الله ذو نور السماوات والأرض، وهذا مثل قولهم زيدٌ كرمٌ وجود ينعش الناس بكرمه وجوده، أي ذو كرم وجود، أو الحمل للمبالغة بجعل الإسناد مجازياً، أو النور هنا بمعنى المنور أي منورهما بالنجوم مثلاً نظير الوجوهات الأربعة المشهورة في نحو زيد عدلٌ.

أو أن النور هنا إستعارة في الله سبحانه على أحد الوجهين في نحو زيد أسد، لتشبيهه تعالى بالنور في الوضوح والظهور، وإلا فليس هو تعالى من جنس الظلمة أو النور، أو المراد على سبيل الكناية معنى من لوازم النور، مثل معنى المضيء أو الهادي، أو المزين، أو النافع، أو المعطي، أو المفيض، أو المحسن، أو المنور أو نحو ذلك.

والإضافة إلى السماوات والأرض أمّا للدلالة على سعة إشراقهما وفشوّ ضيائهما ونحو ذلك، أو المراد أهلها أي ما فيهما وما بينهما وما تحتها وما فوقهما مجازاً مع استلزام تنورهما تنور سائر الموجودات الموجودة فيهما، والمراد من السماوات ما يعمّ الكرسي والعرش أيضاً وكذلك الأفلاك الكلية والجزئية.

وخصّ السماوات والأرض بالذكر دون الملائكة والجنّ والشياطين والإنس وسائر الحيوانات بل النباتات والجمادات، لأنّها مطارح الأنوار، وخزائن الأسباب، وعلل الأشياء، ويجوز أن يراد سماوات العقول، أي منورها بما فيها من أنوار المعرفة، وأراضي النفوس أي منورها بما فيها من أنوار العبادة والطاعة.

والحاصل أن الله تعالى مضيء السماوات والأرضين الظاهرية أو الباطنية

أيضاً أو أهلها، أي الموجودات المتكوّنة فيهما بالكواكب النورانيّة الظاهريّة أو الباطنيّة أيضاً، أو هاديهم إلى مصالحهم، أو مزيّتهم بالملائكة، والأنبياء، والصّدّيقين، والشهداء، وسائر الأولياء، والعلماء، والمؤمنين، والصلحاء، أو نافعهم، أو معطيهم بما ينفعهم من الانعام، أو المفيض عليهم، أو المحسن إليهم بإفاضته الكاملة وإحسانه العام، أو منوّرهم بنور الوجود التامّ ونحو ذلك.

والحقّ عدم الحاجة إلى شيء من هذه التوجيهات في المقام لصحّة حمل النور وإطلاقه على الله تعالى بلا كلام، فإنّ النور لغة هو الظاهر في نفسه المظهر لغيره، والله تعالى كذلك، غاية الأمر أنّه تعالى نور لا كالأنوار، كما أنّه شيء لا كالأشياء، وجوهر لا كالجواهر، ووجه الكلّ ظاهر.

فهو تعالى نور حقيقة بالنسبة إلى جميع الموجودات، وليس شيء من هذه الأنوار الظاهرة الزاهرة إلّا وهو من آثار هذا النور الحقيقي، فهو مبدء جميع الأنوار، ومنشأ جميع الآثار.

وقد ورد في الأدعية أنّه تعالى نور الأنوار، ونور النور، ومنوّر النور، ونور على نور، فالله تعالى نور السماوات والأرض بالحقيقة بلا حاجة إلى التأويل بالمرّة، وكونه تعالى مظهرًا لغيره ظاهر، وأمّا كونه ظاهرًا في نفسه فهو أيضاً ظاهر، بل أظهر عند أهل النظر، فإنّ كلّ ظاهر سواء فإنّما ظهر بفضل ظهوره تعالى، فهو تعالى أظهر في ظهوره من ظهور كلّ ما سواه بنوره.

أ يكون لغيره من الظهور ما ليس له حتى يكون هو المظهر له، متى غاب حتى يحتاج إلى دليل يدلّ عليه؟! ومتى بُعدَ حتى تكون الإشارة هي التي توصل إليه؟! وإنّ الذي لا يجوز إطلاقه عليه تعالى حقيقة هو النور بالمعنى العرفي الذي هو من الكيفيّات العارضة، لا النور بالمعنى الأصلي الحقيقي، وسيجيء بعض ما يتعلّق بالمقام من كلام القاضي البيضاوي، وحسام الدين الحلبي، وغيرهما.

«ومثل نوره» أي صفة نوره العجيب الشأن في الإضاءة، أو هيكله، أو نفسه، أو حالته «كمشكاة» أي كصفة مشكاة كذلك، والمشكاة قيل: إنّها لغة روميّة

معربة، وقال الزجاج: يجوز أن تكون عربيّة لأنّ في الكلام مثل لفظها، وهي شكوة بمعنى القربة الصغيرة، فعلى هذا تكون المشكاة مفعلة منها. وأصلها «مَشْكُوّة» وهي الكوّة في الحائط والجدار الغير النافذة، يوضع عليها الزجاج، ويجعل المصباح خلف الزجاج، ويكون للكوّة باب آخر يوضع المصباح منه، وقيل: المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة المشتعلة، وهو انبوبته وهو مثل الكوّة، وقيل: المشكاة هي نفس القنديل، والظاهر هو المعنى الأوّل.

«فيها مصباح» والمراد من المصباح آلة الضياء، وهي الشعلة الحاصلة من استحالة الأجزاء الدهنيّة المخالطة للفتيلة بمجاورة النار، أو هي الشعلة مع الفتيلة ويقال لها السراج أيضاً.

وإذا كان السراج قد يطلق على ظرف الفتيلة باعتبار علاقة الحالّيّة والمحليّة، أو المصباح هو السراج الضخم الثاقب، ولو كان معناه مطلق السراج فالمراد هنا هو المقيد بالوصف المذكور بمعونة تنوين التعظيم، وأصل المصباح من الصباح بمعنى البياض، ولذا يطلق على بياض النهار أيضاً فيقال: الصباح يغني عن المصباح، والأصبح: الأبيض، وهذا كلّ بملاحظة اللون الظاهري.

وقد يراد بالبياض والصباحة كثرة الافضال والإحسان والنفع والإهداء، ونوريّة الطينة، قال أبو طالب (عليه السلام) في مدح النّبيّ (صلّى الله عليه وآله): وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل ويجوز أن يكون مراده من الأبيض كونه نوراني الوجه كالشمس المشرقة بالأنوار الصوريّة والمعنويّة، والوجاهة الظاهريّة والباطنيّة.

«المصباح في زجاجة» الزجاج معروفة، والضمّ فيه أشهر من التثنية وبه قرأ السبعة، ويقال لبائعها: الزجاجيّ - بياء النسبة - ولصانعها: الزجاج، مثل النّجار والطار، والتنوين في (زجاجة) للتعظيم، كما أنّ تعريفها وإعادتها مرّة ثانية لذلك.

والمراد من الزجاجاة هنا كاسة القنديل من البلّور التي يجعل فيها الفتيلة مع الزيت، وهي غير زجاجاة المشكاة المجعولة في باب الكوّة، ولذا قال تعالى: ﴿الزجاجاة كأنّها كوكب دري﴾ قرئ الدُرِّيّ بضمّ الدال وتشديد الراء والياء، نسبة إلى الدرّ في الصفاء والضياء، والكوكب الدرّي هو أحد الدراري من الكواكب، وهي المشاهير منها كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها.

وقرئ الدرّيّ على وزن السكيت، والدُرّيّ على فعيل كالنبيّ، من الدرء بمعنى الدفع بقلب الهمزة ياءً فيهما أو إبقائها على أصلها، أي الدافع للظلام بكمال ضوئه، أو المندفع السريع الوقع في الانقضاء، ويكون ذلك أقوى لضوئه. قيل في نكتة جَعَلَ النور على هذا الوجه: إنّ وجهه المبالغة حيث أنّه ينبعث نور المصباح حينئذٍ من الزجاجاة، ويقع على حائط الكوّة، وينعكس منه إلى الزجاجاة، فيكون نور المصباح ونور الزجاجاة ونور الحائط ينعكس بعضها على بعض مع كونه في مكان ضيق، فيكون أضوء وأجمع للنور من جهة ضيق المكان، إذ الضوء ينبثّ في المكان الواسع وينتشر، والقنديل أعون شيء على زيادة الإنبارة وكذلك الزيت وصفائه، فيتضاعف النور، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿نور على نور﴾ على نحو ما يأتي.

أقول: ونظير المشكاة مع زجاجاة فيها، في الزجاجاة مصباح - على ما وصف في الآية - ما هو المعمول في هذه الأزمنة من المردنجي وما يجعل فيه من قنديل بلوريّ على رأسه كأسة صغيرة مدوّرة بلوريّة يجعل فيها الزيت مع الفتيلة. وأشدّ ما يكون الضوء في هذه الحالة لصفاء الزيت والزجاجاة المدوّرة البراقة، كالكوكب الدرّي التي فيها الفتيلة المشتعلة، فينتشر الأضواء في تلك الزجاجاة وفي أطراف المردنجي البلّوري، ويتراءى في حافاته الصور المتعدّدة من شعلة الفتيلة، كأنّها فتائل وشعلات في قناديل متعدّدة، فيحصل لها مضافاً إلى شدّة النوريّة حالة صفاء وبهاء وجلالة تبهر العقول والأنظار، يكاد سنا ضوئها تخطف الأبصار. والحاصل من إعتبار المعنى على السبك المستفاد من الآية، كون شيء برّاق

نوراني كالفتيلة المشتعلة الضخمة في جوف شيء كالزجاجة، وهو في جوف شيء صاف آخر كالمشكاة، فيكون هناك مظروف نوراني في أشد مراتب النورية، وظرفان متداخلان صافيان براقان بأنفسهما وبنورية المظروف الموجود فيهما أي في جوفهما.

«يوقد» قرئ بالياء، مخفف القاف ومشدّداً، مجهولاً فيهما، ويتوقّد من باب التفعّل معلوماً، ويوقد بالياء من الباب المذكور مع حذف التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب، وضمير الفاعل مطلقاً يراجع إلى المصباح، والمعنى على جميع القراءات المذكورة أنّه يشعل ذلك المصباح أي السراج الضخم الشاقب للظلام، «من شجرة مباركة زيتونة» وإبهاً الشجرة ووصفها بالمباركة ثم بيانها بالزيتونة، أو استبدالها بها تفخيم لشأنها.

والمراد أنّه زويت زبالة هذا المصباح بزيت شجر الزيتون الذي يكون دهنه أصفى من سائر الأدهان وأضوء، لا سيّما في السراج مع كونه متكاثراً المنفعة، فإنّ فيه أنواع المنافع حيث إنّ الزيت يسرج به، وهو أدام ودهان ودباغ، ويوقد بحطبه، ويدبغ بثقله، ويغسل برماده الابريسم، ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى عصّار. وهي أوّل شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان، ومنبتها منزل الأنبياء غالباً أي الشامات، وبارك فيها ستون نبياً أو سبعون، منهم إبراهيم (عليه السلام)، ولذا سمّيت مباركة، أو لأنّها تنبت في الأرض المباركة التي بارك الله فيها للعالمين، وعن النبيّ (صلّى الله عليه وآله): «عليكم بزيت هذه الشجرة الزيتونة، فتداولوها فإنّها مصحّحة من الناسور» ولها منافع كثيرة في الأدوية المختلفة.

«لا شرقية ولا غربية» أي لا يفيء عليها ظلّ شرق ولا غرب، فهي ضاحية للشمس لا يظلّها جبل ولا شجر ولا كهف، فثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى، فالمعنى أنّها ليست بشرقية لا يصيبها الشمس إذا غربت، ولا بغربية لا يصيبها الشمس إذا طلعت، بل هي شرقية غربية، وذلك بأنّها وقعت في رأس جبل، أو في صحراء واسعة بلا اختصاص بأحد الطرفين، فأخذت بحظّها من الأمرين.

أو المراد أنها ليست من جنس شجر الدنيا فتكون شرقية أو غربية، بل هي من أشجار البرزخ أو الآخرة فتكون في غاية الصفاء والجودة، أو أنها ليست في مقناة لا يصيبها الشمس، ولا هي في مضحة بارزة للشمس لا يصيبها الظل، بل يصيبها الشمس والظل فيتعاقبان عليها، وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها، قال (صلّى الله عليه وآله): «لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة، ولا خير فيهما في مضحة»^(١).

أو أنها ليست من شجر الشرق أي الشرق المعمورة، ولا من شجر الغرب أي غرب المعمورة، لأن ما اختص بإحدى الجهتين كان أقل زيتاً وأضعف ضوءاً، لكنّها من شجر الشام، ونقل أن أجود الزيتون زيتون الشامات، وهي ما بين شرق المعمورة وغربها.

أو المراد أنها على سواء الجبل^(٢) لا شرق لها ولا غرب، بل إذا طلعت الشمس طلعت عليها، وإذا غربت غربت عنها، وحاصل هذا المعنى من حيث المراد يرجع إلى الأوّل وإن كان مغايراً له في الطريق، أو المراد أن هذه الشجرة خضراء ناعمة التفّ بها الأشجار، فلا يصيبها الشمس على أي حال كانت، لا إذا طلعت ولا إذا غربت.

«يكاد يضيء» من صفائه، وفرط ضيائه في نفسه «ولو لم تمسه نار» بالتاء وقرئ بالياء أيضاً لكون المؤنث غير حقيقي، والمراد قبل أن تمسه وتشتعل فيه، وذلك من جهة كمال الاستعداد والقابلية.

«نور على نور» أي هذا المصباح في جوف الزيت الصافي في الزجاجية البراقة المجعلولة في المشكاة النورية، نور على نور، والتشبيه لافادة الكثرة لكونه على ما أشير إليه أنواراً متعدّدة متداخلة، نوراً على نور على نور، ونوراً في نور

(١) راجع شرح توحيد الصدوق للقاضي سعيد القمي ٢: ٥٩٧، ونحوه تفسير البيضاوي ٣: ١٩٩، والبحار

٤: ٢١.

(٢) سواء الشيء وسواء وسواء: وسطه، قال الله تعالى: «في سواء الجحيم»/لسان العرب.

في نور، ونوراً على نور في نور، ونوراً في نور على نور.
والحاصل أن النور متضاعف، فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت،
وزهرة القنديل الزجاجي، والمشكاة النورية، وضبطها للأشعة مع اجتماع الأنوار
وعدم حصول الإنتشار، على ما أشير إليه سابقاً.

«يهدي الله لنوره من يشاء» أي يهدي الله لهذا النور الثاقب الباهر - بأي معنى
أريد - من يشاء من عبادته بإعطاء الإستعداد، أو التوفيق واللفظ، أو إزالة الخذلان.
«ويضرب الله الأمثال للناس» تقريباً إلى الأفهام، وتسهيلاً لدرك المرام، بإدناء
المعقول إلى المحسوس إيضاحاً وبياناً وتوضيحاً وتبييناً «والله بكل شيء»
معقولاً كان أو محسوساً، ظاهراً كان أو باطناً «عليم» فيضع الأشياء مواضعها، أو
يعلم قابلية العباد فيهدي بعضهم إلى نوره بإفاضة الإستعداد، وبعضهم بإعانة
التوفيق واللفظ، وبعضهم بعدم الخذلان، وهو الكريم المنان ذو اللطف والإحسان.

تفصيل في بيان التمثيل:

إعلم أن المشكاة الموصوفة بما مرّ هو الممثل به ونور الله تعالى هو الممثل،
وتطبيق الممثل على الممثل به يتصور هنا على وجوه كثيرة منقولة وغير منقولة،
بأن يجعل المراد من الممثل أي نور الله هو خاتم الأوصياء، أي القائم
(عليه السلام) الثاني عشر من الأئمة الكرام، وهو نور الله في السماوات
والأرضين، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بنور ربّها﴾^(١) بأن
المراد من نور الرب هو القائم (عليه السلام)^(٢).

وهو النور الظاهر والباطن يظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً
وجوراً، فهو (عليه السلام) هو المصباح، والزجاجة هو الحسين (عليه السلام)،
والمشكاة هي فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وهذا المصباح يوقد من شجرة
الحقيقة المحمدية، وهي الزيتون المباركة لبركة آثارها وعدم تناهي أطوارها،

(١) الزمر: ٦٩.

(٢) الإرشاد للمفيد: ٣٦٣، عنه البحار ٥٢: ٣٣٧ ح ٧٧، وتفسير كنز الدقائق ١١: ٣٣٨.

وفي الزيارة الجامعة: «السلام على محال معرفة الله، ومساكن بركة الله، ومعادن حكمة الله... الخ».

فهي مباركة لافاضة جميع الفيوضات التشريعية والتكوينية منها، وهي الشجرة الكلية النابتة في مقام (أو أدنى)، وببداة الإبداع والإختراع، وصحراء المشيئة والإرادة، لتشعب وجوه تعلقاتها بذرات الوجود التي لا تتناهى في مراتب الإمكان شعوباً وقبائل وهي أصل البركة وفرعها: «إن ذكر الخير كنتم أوله وآخره وأصله وفرعه ... الخ».

وهي لا شرقية ولا غربية أي لا يهودية ولا نصرانية، لأن اليهود تصلي إلى المغرب والنصارى إلى المشرق، أو ليس من شرق عالم الوجوب والقدم، ولا من غرب عالم الإمكان الخاص والحدوث، بل أمر بين الأمرين، أي ليس بخالق ولا مخلوق بل هو من عالم الأمر وإن كان مخلوقاً أيضاً.

قال (عليه السلام): «نحن صنائع الله والخلق بعد صنائع لنا، أو صنائعنا»^(١)، وهو كائن بالكينونة لا بالتكوين مع قولهم (عليهم السلام) حق وخلق ولا ثالث بينهما.

أو ليست من الإمكان الصرف ولا الكون الخالص، بل الإمكان الراجح «يكاد زيتها يضيء» أي يكاد نور محمد (صلى الله عليه وآله) يتبين للناس ولولم يتكلم أي نور نبوته أو نور ظهوره، أو نور علمه وحكمته، أو نور وجوده لغاية استعداده، «ولولم تمسه نار» الأمر الإلهي تشريعاً أو تكويناً.

أو المراد من نور الله هو نور محمد (صلى الله عليه وآله) أي نور علمه وولايته ونحوهما ظهر في فاطمة (عليها السلام)، ومنها ظهر في الأئمة (عليهم السلام)، ففاطمة (عليها السلام) هي الزجاجة والأئمة (عليهم السلام) المشكاة.

قال الرضا (عليه السلام): نحن المشكاة فيها المصباح محمد (صلى الله عليه وآله) يهدي الله لولايتنا من أحب^(٢)، فيوقد هذا المصباح من

(١) مشارق الأنوار: ٢٩، البحار ٣٣: ٥٨ ح ٣٩٨.

(٢) مجمع البيان / الجزء الثامن عشر / سورة النور، عنه البحار ٤: ٢٣.

الشجرة المباركة أي شجرة القدرة الإلهية لا جبر فيها ولا تفويض، وبركتها لكثرة مقدرات الباري سبحانه، يكاد آثار تلك القدرة تظهر في صفحة الإمكان بالتكوين ولو لم تمسسها نار أمر الله.

أو الشجرة المباركة هي سلسلة إبراهيم (عليه السلام)، وبركتها لكونها مشتملة على الأنبياء الكثيرة، يكاد آثار نور محمد (صلى الله عليه وآله) تسطع ولو لم يأن وقت ظهوره، فنور محمد (صلى الله عليه وآله) نور على نور، أي نور طره آثاره على نور آخر هي فاطمة (عليها السلام)، أو المراد هو نفس محمد (صلى الله عليه وآله) فإنه نور الله في السماوات والأرضين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً^(١) وهو في صلب عبد الله وهو في صلب عبد المطلب، أو محمد (صلى الله عليه وآله) في صلب إسماعيل وهو في صلب إبراهيم (عليه السلام). «يوقد من شجرة مباركة» أي الشجرة النبوة أي سلسلة إبراهيم (عليه السلام) لكون أكثر الأنبياء من صلبه، وذلك من آثار البركة، ولأن من صلبه نبينا (صلى الله عليه وآله) الذي هو أصل البركة وفرعها، «لا شرقية ولا غربية» أي ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً فيكون شرقياً أو غربياً، أو شجرة الملة الإبراهيمية التي ليست يهودية ولا نصرانية.

يكاد آثار النبوة تطلع من تلك الشجرة والسلسلة، أو آثار الهدى من تلك الملة، «ولو لم تمسسه نار» الأمر الإلهي بإبداء آثار النبوة «نور على نور» نبي من نسل نبي أو ولي، أو لامتياز ملة إبراهيم (عليه السلام) عن الملل الشرعية الأخر بمزايا كثيرة، أو المراد هو نور العلم في صدر النبي (صلى الله عليه وآله).

و«المصباح في زجاجة» قال الباقر (عليه السلام): الزجاجة صدر علي (عليه السلام)^(٢)، أي صار علم النبي (صلى الله عليه وآله) صدر

(١) الأحزاب: ٤٥-٤٦.

(٢) البحار ٢٣: ٣١١، عن تفسير فرات الكوفي: ٢٨١ ح ٣٨١، ونحوه مجمع البيان سورة النور.

عليّ (عليه السّلام)، قال النّبّي (صلى الله عليه وآله): يا عليّ أنت نفسي التي بين جنبيّ، وفسرّ العلم هنا بالنبوة أيضاً، فيكون المراد العلوم الحاصلة بها لا نفسها. قال الباقر (عليه السّلام): «يوقد من شجرة مباركة» هي نور العلم الإلهي، «لا شرقية ولا غربية» لا يهودية ولا نصرانية، يكاد العالم من آل محمّد يتكلّم بالعلم قبل أن يُسأل، «نور على نور» أي إمام مؤيّد بنور العلم والحكمة في أثر الإمام من آل محمّد (صلى الله عليه وآله)، وذلك من لدن آدم (عليه السّلام) إلى أن تقوم الساعة، فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله خلفاء في أرضه وحججه على خلقه، لا تخلو الأرض في كلّ عصر من كلّ واحد منهم.

قيل: ويدلّ عليه قول أبي طالب سلام الله عليه:

أنت الأمير محمّد قمرٌ^(١) أغرٌ^(٢) مسودٌ^(٣)
لمسودين أطاهر كرموا وطاب المولدُ
أنت السعيد من السعد تكنتك الأسعدُ
من لدن آدم لم يزل فـينا وصيٌّ مرشدُ
ولقد عرفتك صادقاً والقول لا يتفندُ
ما زلت تنطق بالصواب وأنت طفل أمردٌ^(٤).

أو من شجرة النقي والرضوان، أو دوحة الهدى والإيمان، شجرة أصلها النبوة وفرعها الإمامة، وأغصانها التنزيل، وأوراقها التأويل، وخدمها جبرئيل وميكائيل، أو من شجرة عليّ (عليه السّلام) كما في بعض الأخبار، أي يظهر العلم من عليّ، وهو الشجرة المباركة التي ليست بشرقية ولا غربية، أي ليس هو يهود ولا نصارى... الخ.

(١) القُرْمُ من الرجال: السيد المعظم / لسان العرب.

(٢) الغُرّة - بالضم - : بياض في الجبهة، ورجل أغرّ: كريم الأفعال واضحا / لسان العرب.

(٣) المُسَوَّدُ: السَيِّد / لسان العرب.

(٤) راجع توحيد الصدوق: ١٥٨ ح ٤، ونحوه مجمع البيان، الجزء الثامن عشر، في سورة النور.

وفي خبر آخر عن الباقر (عليه السلام) أنَّ معنى الآية: أنا هادي من في السماوات والأرض مثل العلم الذي أعطيته، وهو نوري الذي يُهتدى به مثل المشكاة فيها المصباح، فالمشكاة قلب محمد (صلى الله عليه وآله)، والمصباح نوره الذي فيه العلم.

وقوله: «المصباح في زجاجة» يقول: إنِّي أريد أن أقبضك فاجعل الذي عندك عند الوصي كما يجعل المصباح في الزجاجة، «كأنَّها كوكب درِّي» فأعلمهم فضل الوصي، «يوقد من شجرة مباركة» هي إبراهيم (عليه السلام) وهو قوله تعالى: ﴿رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنَّه حميد مجيد﴾^(١).

وهو قوله تعالى: ﴿إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم^(٢).

«لا شرقية ولا غربية» يقول: لستم بيهود فتصلُّوا قبل المغرب، ولا بنصارى فتصلُّوا قبل المشرق، وأنتم على ملَّة إبراهيم (عليه السلام)، وقد قال تعالى: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾^(٣).

وقوله: «يكاد زيتها يُضيء» مثل أولادكم الذين يولدون منكم مثل الزيت الذي يعصر من الزيتون، يكادون أن يتكلَّموا بالنبوة ولو لم ينزل عليهم ملك^(٤).

أو المراد من نوره تعالى هو محمد (صلى الله عليه وآله)، «كمشكاة» هو صدر علي (عليه السلام)، «فيها مصباح» نور العلم من محمد (صلى الله عليه وآله) في صدر علي (عليه السلام)، «المصباح في زجاجة» هو الحسن بن علي (عليه السلام)، «الزجاجة» هو الحسين (عليه السلام)، «كأنَّها كوكب درِّي»

(١) هود: ٧٣.

(٢) آل عمران: ٣٣ - ٣٤.

(٣) آل عمران: ٦٧.

(٤) الكافي ٨: ٣٨٠ ح ٥٧٤، عنه البحار ٤: ١٩ ح ٧، وتفسير الصافي ٣: ٤٣٥، وتفسير كنز الدقائق ٩:

فاطمة (عليها السلام) تزهر لأهل السماء، «يوقد من شجرة» عليّ بن الحسين (عليه السلام)، «مباركة» محمّد بن عليّ (عليه السلام)، «زيتونة» جعفر بن محمّد (عليه السلام)، «لا شرقية» موسى بن جعفر (عليه السلام)، «ولا غربية» عليّ بن موسى (عليه السلام)، «يكاد زيتها يضيء» محمّد بن عليّ الجواد (عليه السلام)، «ولو لم تمسه نار» عليّ بن محمّد الهادي (عليه السلام)، «نور على نور» الحسن بن عليّ العسكري (عليه السلام)، «يهدي الله لنوره من يشاء» القائم المهديّ (عليه السلام)، هكذا ورد في بعض الروايات^(١).

وروي أخبار آخر في تفسير هذه الآية، أي تأويلها بالأئمة (عليهم السلام) بغير ترتيب هذه الرواية، وتطبيق الآية على معنى يستفاد منه هذا الترتيب يحتاج إلى بسط وتفصيل لا يليق بالمرحلة.

أو المراد من النور نور محمّد في روح محمّد في نفس محمّد (صلّى الله عليه وآله)، يوقد من شجرة العقل الكلّي المجرّد عن التعلّق بالبدن وعن الارتباط، أو نور محمّد في نفس محمّد (صلّى الله عليه وآله) في جسم محمّد، يوقد من شجرة الروح الكلّيّة التي هي لا شرقية مجردة عن الارتباط وتعلّق الانحطاط، ولا غربية منكرا لمبدئها لغلبة طبيعتها وغلظ مادّتها كالأجسام.

أو نور محمّد (صلّى الله عليه وآله) في مادّة محمّد في جسم محمّد، يوقد من شجرة النفس المطمئنة، لا أمانة في عالمه، ولا لؤامة تلوم على الخير والشر بل مطمئنة، أو لا شرقية عالية ولا غربية غالية، أو لا شرقية مسرفة ولا غربية مقترّة، أو لا شرقية متعزّزة على من يأهل له الذلّة، ولا غربية متذلّلة لمن يأهل عليه العزّة، بل أدلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين.

أو لا شرقية ناصبة للدين، ولا غربية تابعة للمجاهدين^(٢)، أو لا شرقية تثبت الألوهيّة والمعبوديّة لشيء من المخلوقين، ولا غربية تجحد ولاية

(١) راجع شرح توحيد الصدوق للقاظمي سعيد القمي ٢: ٦٦٦، نحوه.

(٢) كذا في المتن، ولعلّ الأنسب: تابعة للجاهليين.

أمير المؤمنين (عليه السلام)، أولاً مدعية مالميس لها ولا منكورة لما لها، أولاً قانطة من رحمة الله ولا آمنة من مكر الله، والحاصل في الجميع أنها متوسطة بين طرفي الإفراط والتفريط ومعتدلة.

أو يوقد ذلك النور في الجميع من شجرة الأرض الجرز، والأرض الميتة التي هي مغرس أغصان الحكمة ومنشأ هياكل التوحيد، وهي أرض الماهيات والقابليات والإستعدادات، أو من شجرة الإمكان والصلوح المجرد التي لها فروع متكثرة. يكاد زيتها يضيء أي يكاد قابلية عقله أو روحه أو نفسه ونحو ذلك تظهر في الكون لشدة تأهلها للوجود قبل أن تنفعل من نار الجود، أو تكاد تنفي ظلمتها قبل أن يستولي عليها نور الحق، أو تكاد تنوجد الماهية لقرب رتبته من المبدأ قبل أن توجد بتبعية الوجود، أو تكاد أن تنبت أرض الماهية تلك الأشجار المباركات، أو تكاد شجرة الإمكان تثمر بشمار الموجودات.

أو المراد من النور هو النبوة، والزجاجة قلب النبي (صلى الله عليه وآله)، والمشكاة صدره، وهذا النور يوقد من شجرة الوحي المباركة بإفاضة الأحكام الشرعية، وهذه الشجرة حادثة في عالم الأمر لا عالم الخالق أو المخلوق، كما ورد أن القرآن لا خالق ولا مخلوق بل هو من عالم الأمر^(١).

يكاد زيت هذه الشجرة وهو الحجج القرآنية تتضح وإن لم تُقرأ، أو أن حجج الله تُضيء وإن لم ينزل القرآن ولم يُتدبر، وهذا المصباح نور على نور أي مع سائر الأدلة قبله في الآفاق والأنفس، أو مع سائر الكتب الإلهية.

أو المراد من النور هو القرآن في قلب النبي (صلى الله عليه وآله) في صدره الشريف، قال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين﴾^(٢) وقال تعالى أيضاً: ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾^(٣) والأنوار

(١) تفسير العياشي ٦: ١، ح ١٤، عنه البحار ٩٢: ١٢٠ ح ٨.

(٢) الشعراء: ١٩٣-١٩٥.

(٣) النساء: ١٧٤.

الحقيقتة ترجع كلها إلى القرآن الظاهري والباطني، والبواقي كما مرّ.
أو المراد من النور هو الأدلة الدالة على توحيده، وهي في القرآن في قلب
النبي (صلى الله عليه وآله)، والشجرة هو الوحي، ومعنى لا شرقية ولا غربية كما
مرّ، أو بمعنى أنه ليس بمجمل بالكلية ولا بمفصل بالكلية.

أو المراد من النور الهدى، أو العلم والمعرفة في القلوب في صدور الذين
أوتوا العلم، يوقد من شجرة الطينة الصافية، كما ورد أنه ليس العلم في السماء
فينزل إليكم، ولا في تخوم الأرض فيصعد إليكم، وإنما جبل في جبلتكم فتخلقوا
بأخلاق الله يظهر لكم.

لا (شرقية ولا غربية): لا يهودية ولا نصرانية، أو لا عالمة بالضرورة والبداهة
ولا جاهلة بليدة، أو لا نورانية صرفة ولا ظلمة محضة، ونحو ذلك، أو لا مشبهة
صرفة لا تفيق من جهلها، ولا مستقيمة أصيلة غير محفوفة بظلمات الأوهام
والحجب والخيالات، يكاد من قابليتها تعلم العلوم بداهة، ولو لم تمسه نار
الإكتساب بالنظر.

أو المراد من النور هو القرآن في لسان المؤمن في فمه، يوقد هذا النور من
شجرة الوحي المباركة بكونها منشأ الأحكام الشرعية الموجبة للنجاة الأخروية،
وبواقي على نحو ما مرّ.

أو المراد عدله تعالى أو أمره الذي قامت به السماوات والأرض، أو وجهه
الباقى بعد فناء كل شيء، أو صفته تعالى أي صفة كانت كل ذلك في قلب النبي
(صلى الله عليه وآله) في صدره، أو سبحات جلاله وجماله الدالة على توحيدة
تعالى ذاتاً ووصفاً وفعلاً وعبادة، أو الأدلة الآفاقية والأنفسية كذلك في قلب
المؤمن في صدره، والشجرة هو الفيض الإلهي الجاري من عالم الأمر والمشية
والإرادة، يكاد ذلك الفيض يجري في أودية العوالم الإمكانية، ولو لم تمسه نار
المشيئة والإرادة.

أو المراد ميل الطاعة في قلب المؤمن في صدره، يوقد من شجرة الطينة

النورانية الاعتدالية، يكاد الإيمان يظهر منه من جهة كمال الاستعداد والقابلية. أو المراد النور الذي خلق منه المؤمن، فهو في طينته الكامنة في باطنه، يوقد من شجرة القدرة الإلهية، أو الرحمة الرحيمية التي لا إفراط فيها ولا تفريط، يكاد زيتها يضيء لأنه أرحم الراحمين وأقدر القادرين، ولو لم تمسسه نار تتقد من أشجار القابليات.

أو المراد هو نور الإيمان في قلب المؤمن في صدره، ويؤيده قراءة أبي: مثل نور من آمن به، أو مثل نوره الذي أعطى المؤمن، قال محمد بن إبراهيم البوسجي: من قال إن النور الذي في قلب المؤمن هو مخلوق فهو جهنمي. أو المراد من النور هو الحق، شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كما في آية: ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾^(١) أي من الباطل إلى الحق، يوقد هذا النور من شجرة مباركة هي المؤمن نفسه، كما في الخبر، أو هي نفس المؤمن فإن النفس كالشجرة في تطوراتها، وتشعب تعلقات أفعالها، وثمرتها الأحكام الوجودية والتشريعية، والمؤمن أو نفسه لا يهودي ولا نصراني، يكاد نوره الأصلي يظهر بالإيمان ولو لم تمسسه نار الدعوة.

أو الشجرة هي شجرة الإخلاص لله وحده لا شريك له في مراتب التوحيد الأربع، وهذه الشجرة لا يصيبها الشمس على أي حال لا إذا طلعت ولا إذا غربت، وكذلك المؤمن يحترز من أن يصيبه شيء من الفترة، فهو بين خصال أربع: إن أعطي شكر، وإن ابتلي صبر، وإن حكّم عدل، وإن قال صدق، نور على نور أي ينقلب في خمسة من نور: علمه نور، وكلامه نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره يوم القيامة إلى الجنة نور^(٢).

أو أن إيمان المؤمن من نور، وقلبه نور، وصدره نور، بل ظلّه نور، وإلا لم يقبل الإيمان، وحاصل إخلاصه نور، ونظير الوجهين هنا في معنى (نور على نور)

(١) البقرة: ٢٥٧.

(٢) مجمع البيان / الجزء الثامن عشر / سورة النور، عنه البحار ٤: ٢٣ ح ٧.

يجري في جميع الوجوه السابقة، أو أن إيمانه نور على نور أي فريضة على فريضة، وسنة على سنة، وشجرة الإخلاص مستقيمة في القلب لا تميل إلى أحد الطرفين، وهي مباركة إذ جميع الخير إنما يحصل من هذه الشجرة، يكاد زيتها وهو النور الذي جعله الله في قلبه يضيء وإن لم يتكلم به.

تتميم الكلام بكلام أربعة نفر من الأعلام:

الأول: ما ذكره القاضي البيضاوي^(١) بقوله: «الله نور السماوات والأرض» النور في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولاً وبوساطتها سائر المبصرات، كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما، وهو بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله إلا بتقدير مضاف أو ارتكاب تجوُّز، أي الله تعالى منور السماوات والأرض بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار، أو بالملائكة والأنبياء.

أو مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير: نور القوم، لأنهم يهتدون به في الأمور، أو موجدهما فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره، وأصل الظهور هو الوجود كما أن أصل الخفاء هو العدم، والله سبحانه موجود بذاته موجد لما عداه، أو الذي به يدرك أو يدرك أهلها من حيث أنه يطلق على الباصرة لتعلقها به، أو لمشاركتها له في توقّف الإدراك عليه، ثم على البصيرة لأنها أقوى إدراكاً، فإنها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات، ويغوص في بواطنها، ويتصرّف فيها بالتركيب والتحليل.

ثم إن هذه الإدراكات ليست لذاتها وإلا لما فارقتها، فهي إذن من سبب يفيضها عليها، وهو الله سبحانه وتعالى ابتداءً أو بتوسط الملائكة والأنبياء ولذلك سموا أنواراً، ويقرب منه قول ابن عباس: معناه هادي من فيهما، فهم بنوره يهتدون.

ثم ذكر في بيان التمثيل وجهين، أحدهما الهدى الذي دلّ عليه الآيات

(١) تفسير البيضاوي ٣: ١٩٨، عنه البحار ٤: ٢٠.

البيّنات، والثاني ما نور الله به قلب المؤمن من العلوم والمعارف، ثم قال: أو أنّه تمثيل لما منح الله به عباده من القوّة الدّراكة الخمس المترتبة التي ينامط بها المعاش والمعاد، وهي الحسّاسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس، والخياليّة التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوّة العقليّة متى شاءت، والعقليّة التي تدرك الحقائق الكلّيّة، والمفكّرة وهي التي تؤلّف المعقولات لتستنتج منها علم مالم يعلم، والقوّة القدسيّة التي يتجلّى فيها لوائح الغيب، وأسرار الملكوت المختصّة بالأنبياء والأولياء، والمعنيّة بقوله تعالى: ﴿ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا﴾^(١) بالأشياء الخمسة المذكورة في الآية، وهي المشكاة، والزجاجة، والمصباح، والشجرة، والزيت.

فإنّ الحسّاسة كالمشكاة لأنّ محلّها كالكوئ، ووجهها إلى الظاهر لا يدرك وراؤها، وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات، والخياليّة كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب، وضبطها للأنوار العقليّة، وإنارتها بما يشتمل عليها من المعقولات، والعاقلة كالمصباح لإضاءتها بالإدراكات الكلّيّة والمعارف الإلهيّة، والمفكّرة كالشجرة المباركة لتأديّها إلى ثمرات لا نهاية لها، والزيتونة المثمرة للزيت الذي هو مادّة المصابيح التي لا تكون شرقيّة ولا غربيّة، لتجردها عن اللواحق الجسميّة، أو لوقوعها بين الصور والمعاني متصرّفة في القبيلتين منتفعة من الجانبين، والقوّة القدسيّة كالزيت فإنّها لصفائها وشدة ذكائها تكاد بالمعارف من غير تفكّر ولا تعليم.

أو تمثيل للقوّة العقليّة في مراتبها بذلك، فإنّها في بدء أمرها خالية عن العلوم، مستعدّة لقبولها كالمشكاة، ثمّ ينتقش بالعلوم الضروريّة بتوسط إحساس الجزئيّات بحيث يتمكّن من تحصيل النظريّات، فيصير كالزجاجة متألّثة في

نفسها قابلة للأنوار، وذلك التمكن إن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتون، وإن كان بالحدس فكالزيت، وإن كان بقوة قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء، لأنها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والإلهام الذي مثله النار من حيث أن العقول تشتعل عنها، ثم إذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كانت كالمصباح، فإذا استحضرتها كانت نوراً على نور على نور.

الثاني: ما ذكره حسام الدين الحلبي تلميذ المولوي المعنوي، الذي ألف ونظم لأجله المثنوي، في تفسيره بقوله: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ أي وجود السماوات والأرض وظهورهما، فإنَّ النور والوفور والظهور ألفاظ مترادفة، ومفهومها المطابق للحقيقي ولازمها الذاتي - وهو الظاهر بذاته والمظهر لغيره - واحد.

ويطابق هذا قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ أَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾^(١) أي ذاته ووجوده، وكذا قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾^(٢).

وهذا حكم صريح، وإدراك واضح، وعلم صحيح، فإنَّ الله تعالى وجود السماوات والأرض وما فيهما من الموجودات الكائنات، فليس للأشياء وجود سوى الله، وإنَّ الله تعالى عين الأشياء الظاهرة والباطنة والأولية والآخرية، ووجودها إجمالاً وتفصيلاً، ووجود كل شيء من المجرّدات الإلهية والكونية، العقلية والنفسية، والجسمية والجوهرية، والعرضية البسيطة والمركبة، فإطلاق كلام الله تعالى على المعنى المجازي الغير الظاهري المطابق وعلى غير مراده، خارج عن حسن الأدب والإنصاف.

نعم إنَّ هذا النوع من الأسرار الإلهية، والأطوار الغيبية الغير المتناهية طور وراء طور العقل، ولا يدركه العقل بالاستقلال من غير التأييد الإلهي، والتوفيق الرباني، والجهد الصمداني، والرياض السبحاني، بل المؤثر في طور التحقيق

(١) البقرة: ١١٥.

(٢) الحديد: ٣.

ظاهراً وباطناً، صورةً ومعنىً، أنما هو الحق الواجب بذاته، المؤثر في الممكنات بذاته وأسمائه وصفاته، والممكن بالذات بالمعنى الأخص ليس له من ذاته لا ذات، ولا أثر، ولا صفات، ولا وجود، ولا عدم، ولا حدوث، ولا قدم، ولا يد، ولا رجل، ولا قدم، ولا عمل، ولا علم، بل كل من الله، هذا هو ما درسوا إليه المحققون من الأنبياء والأولياء والحكماء المتألهين.

ثم ذكر في مقام بيان التمثيل الوجهين الأولين الذين ذكرهما القاضي أولاً، ثم قال: الثالث: إنه تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الخمسة: الحاسة الدراكة المباركة التي ينتظم بها أمور عالم المحسوس، وأحوال المعاش بالاصالة وبتبعيته أحوال المعاد، والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية التي تدرك الحقائق الكلية، وتقبل إشراقات الأنوار الإلهية والعلوم الربانية، والمفكرة وهي التي تؤلف المعاني الحاصلة والمحصلة لتستنتج منها علوماً نظرية ونتائج فكرية، والقوة القدسية التي هي القوة العقلية، تقدست عن الصور الوهمية والهيئات الخيالية التي هي عقال العاقلة، ولذا سميت عقلاً لأنه يعقل النفس الشيطانية عن التصرفات الباطلة، والتعطّفات العاطلة.

فالأمور الخمسة المذكورة في الآية - وهي المشكاة، والمصباح، والزجاجة، والكوكب، والشجرة - إشارة إلى الأمور الخمسة المذكورة التي هي المشاعر العشرة، خمسة في الظاهر وخمسة في الباطن، والشجر إشارة إلى صورة جمعية الكل التي لا من شرق عالم المعقولات، ولا من غرب مشكاة عالم المحسوس، والزيتون هو كمال استعداد النفس الناطقة لقبول إشراقات أنوار المعارف الإلهية، ثم قال: وهذا ممّا قاله أهل التفسير والتنزيل.

والظاهر أنّ هذا المعنى الذي ذكره هو الذي ذكره القاضي البيضاوي، وهما متقاربان عصرًا، والقاضي مقدّم ظاهراً، فيكون القاضي هو المتقدّم في هذا المعنى، والفضل للمتقدّم كما لا يخفى.

الثالث: ما ذكره عبد الرزاق الكاشي بقوله: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ أي

وجودهما وظهورهما، ووجود ما فيهما ظاهراً وباطناً.

ثم ذكر ما يقرب لفظاً ومعنى مما ذكره حسام الدين الحلبي، ثم قال: «مثل نوره...» أي صفة وجوده وظهوره في العالمين بظهورهما به، كمثل مشكاة فيها مصباح، وهي إشارة إلى الجسد الظلماني في نفسه، وتنوره بنور الروح الذي أُشير إليه بالمصباح، وتشبكه بشباك الحواس، وتلاؤ النور من خلالها كحال المشكاة من المصباح والمصباح في زجاجة، والزجاجة هي القلب المستنير بنور الروح والعقل.

والفتيلة علقة الدم، والدهن الدم الأصفر القائم بالعلقة الذي يحمل الطبايع الأربع، والدخان ما اعتدل نضجه من أنجزة الدم الأصفر، وقد يكون بمشاركة العلقه، واستنارة الكون من الزجاجة بإشراق المصباح عليها كاستنارة الجسد بنور الحياة، وما يلزمها من القلب بإشراق الروح أو العقل عليه.

وزجاجة القلب كأنها كوكب دري يشرق بجوهريّة صفائه ونوريّته وبما يشرق عليه من نور الروح، وذلك المصباح يوقد من شجرة مباركة زيتونة هي النفس وتطوّراتها، وتشعب تعلّقات أفعالها كلّ منها بما يليق له من الجسد والجسم أغصان لها، وما يترتب على ذلك من الأحكام الوجوديّة والتشريعيّة ثمرات لها، (لا شرقيّة ولا غربيّة) أي لا واجبة ولا ممتنعة.

«يكاد زيتها يضيء» يكاد أن تتكوّن لقوّة استعدادها، «ولو لم تمسسه نار» نور العقل أو الوجود، «نور على نور» من جهة تنور الجسم والجسد والقلب بنور الروح والعقل.

هذا في العالم الصغير، وهو في العالم الكبير مثل لاستنارة العالم السفلي من محدّد الأفلاك بما يفيض على الأفلاك، وما فيها من الأرواح والأشعة المنبسطة منها على العالم السفلي بإشراق العقل الأوّل عليه.

فالعقل الأوّل كالمصباح، والمحدّد كالزجاجة البرّاقة لأنّه خزائن الأنوار الوجوديّة، ومنه تنبسط الأنوار إلى الأفلاك وما فيها من الكواكب المنيرة للعالم

السفلي الذي هو كالمشكاة، والشجرة المباركة هي أمر الله التكويني، وهي كثيرة المنافع، لا شرقية ولا غربية لا واجبة ولا ممتنعة، يكاد يصدر من مبدئه لقوة استعداده من حيث صلوح الإمكان، ولو لم تمسسه نار المشيئة، نور على نور لتنور العالم السفليّة والعقليّة به.

الرابع: ما ذكره الإمام الغزالي في مشكاة الأنوار^(١)، وقد نقله النواب الأعلي، والجناب المعلّي، مؤيد الدولة العلّيا، والملة البيضاء - أدام الله تأييده - بخطه الشريف ورسمه المنيف، في حاشية نسخة شريفة من تفسير الإمام أبي الفتوح الرازي (رحمه الله) كانت عنده، وأمرني بنقله في هذه النسخة.

وهو من أحسن المعاني للآية الشريفة، ونقلته بلفظه على ما نقله، وهو قوله: لا بد في المقام من بيان مراتب الأرواح البشريّة النورانيّة، إذ بمعرفتها يعرف أمثلة قوله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ وهي خمسة.

فالأوّل منها: الروح الحساس، وهو الذي يتلقّى ما تورده الحواس الخمس، وكأنّه أصل للروح الحيواني وأوّله إذ به يصير الحيوان حيواناً، وهو موجود للصبّي الرضيع أيضاً.

الثاني: الروح الخيالي، وهو الذي يستثبت ما أوردته الحواس الخمس، ويحفظه عنده مخزوناً ليعرضه على الروح العقلي الذي فوقه عند الحاجة إليه، وهذا ما يوجد للصبّي الرضيع في بداية نشوه.

الثالث: الروح العقلي الذي به يدرك المعاني الخارجة عن الحس والخيال، وهو الجوهر الإنسيّ الخاصّ، ولا يكون للبهائم ولا للصبيان، ومدرّكاته المعارف الضروريّة الكلّيّة.

الرابع: الروح الفكري، وهو الذي يأخذ العلوم العقليّة المحضة فيوقع بينها تأليفات وإزدواجات، ويستنتج منها معارف شريفة، ثمّ إذا استفاد نتيجتين مثلاً ألف بينهما مرّة أخرى واستفاد نتيجة أخرى، ولا يزال يتزايد كذلك إلى غير نهاية.

(١) مشكاة الأنوار ٧٦/القطب الثاني، وانظر شرح توحيد الصدوق للقاظمي سعيد القمي ٢: ٦١٢.

الخامس: الروح القدسي النبوي الذي يختصّ به الأنبياء وبعض الأولياء، وفيه يتجلّى لوائح الغيب، وأحكام الآخرة، وجملة من ملكوت السماوات والأرض، بل من المعارف الربانيّة التي يقصر دونها الروح العقلي والفكري، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به﴾^(١) الآية.

وإذا عرفت ذلك فلنرجع إلى تطبيق ما ذكرناه على المذكور في الآية، فنقول: أمّا الروح الحساس فإذا نظرت إلى خاصيّته وجدت أنواره من ثقب عدّة كالعينين والأذنين والمنخرين وغيرها، وأوفق مثال له في عالم الشهادة المشكاة.

وأمّا الروح الخيالي فتجد له خواصّ ثلاثة: إحداها: أنّه من طينة العالم السفلي الكثيف، لأنّ الشّي المتخيّل ذو مقدار وشكل وجهات محصورة مخصوصة، وهو على نسبة من المتخيّل من قرب أو بعد، وشأن الكثيف الموصوف بأوصاف الأجسام أن يحجب عن الأنوار العقليّة المحضة التي تتنزّه عن الوصف بالجهات والمقادير والقرب والبعد.

الثانية: إنّ هذا الخيال الكثيف إذا صُفّي ورُقّق وهُدّب وضُبط صار موازياً للمعاني العقليّة مؤدياً لأنوارها، وغير حائل عن إشراق نورها منها.

الثالثة: إنّ الخيال في بداية الأمر يحتاج إليه جدّاً ليضبط به المعارف العقليّة، فلا تضطرب ولا تتزلزل ولا تنتشر إنتشاراً يخرج عن الضبط، فنعم المعين الخيالات المثاليّة للمعارف العقليّة.

وهذه الخواصّ الثلاثة لا تجدها في عالم الشهادة بالإضافة إلى الأنوار المبصرة إلّا الزجاجة، فإنّها في الأصل من جوهر كثيف صُفّي ورُقّق حتى لا يحجب نور المصباح، بل يؤدّيه على وجهه ثمّ يحفظه عن الإنطفاء بالرياح العاصفة، فهو أولى مثال له.

وأما الثالث وهو الروح العقلي الذي به يدرك المعارف الشريفة الإلهية، فلا يخفى عليك وجه تمثيله بالمصباح، ولذلك سَمِيَ الأنبياء سُرْجاً.

وأما الرابع فهو الروح الفكري، ثُمَّ خاصيته أن يبتدئ من أصل واحد ثُمَّ يتشعب شعبتان ثُمَّ كُلُّ شعبة شعبتان، وهكذا إلى أن يكثر الشعب بالتقسيمات العقلية، ثُمَّ يفضي بالآخرة إلى نتائج هي ثمراتها، ثُمَّ تلك الثمرات تُعَوَّل فتصير بذوراً لأمثالها إذا أمكن تلقيح بعضها ببعض حتى يتمادى إلى ثمرات وراثتها، فبالحرى أن يكون مثاله في هذا العالم الشجرة.

وإذا كانت ثمراته مادة لتضاعف أنوار المعارف وثباتها وبقائها، فبالحرى أن لا يمثل بشجرة السفرجل والتفاح والرمان وغيرها، بل من جملة سائر الأشجار بالزيتونة خاصة لأنَّ لبَّ ثمراتها هو الزيت الذي هو مادة المصابيح، ويختص من سائر الأدهان بخاصية زيادة الإشراق مع قلة الدخان.

وإذا كانت الماشية التي تكثر نسلها، والشجرة التي تكثر ثمرتها تسمى مباركة، فالذي لا يتناهى ثمرته إلى حدٍّ محدود أولى أن يسمى شجرة مباركة، وإذا كانت الأفكار العقلية المحضة خارجة عن قبول الإضافة إلى الجهات والقرب والبعد فيه، فبالحرى أن تكون لا شرقية ولا غربية.

وأما الخامس فهو الروح القدسي النبوي المنسوب إلى الأولياء، وإذا كانت الروح المفكرة منقسمة إلى ما يحتاج إلى علم، وتنبيه، ومدد من خارج حتَّى يستمرَّ في أنواع المعارف، وبعضها يكون من شدة الصفاء كأنَّه متنبه من نفسه من غير مدد من خارج، فبالحرى أن يعبر عن الصافي البالغ الصافي الاستعداد بأنَّه يكاد يضيء ولو لم تمسه نار، وفي الأولياء يكاد يشرق نوره حتَّى يكاد يستغني عن مدد الملائكة، فهذا المثل موافق لهذا القسم.

وإن كانت هذه الأمور مترتبة بعضها على بعض، والحسي هو الأول وهو كالنوطنة والتمهيد للروح الخيالي، إذ لا يتصور الخيال إلّا موضوعاً بعده، والفكري والعقلي يكونان بعدهما، فبالحرى أن يكون المشكاة كالمحلّ

للزجاجة، فيكون المصباح في زجاجة والزجاجة في مشكاة، وإذا كانت هذه أنواراً بعضها فوق بعض، فبالحرى أن يكون نوراً على نور.

ثم اعلم أن هذا المثل إنما يصلح لقلوب المؤمنين، وقلوب الأنبياء والأولياء لا لقلوب الكفار، فإنَّ النور سببٌ للهداية، فالمصروف عن طريق الهدى باطل وظلمة بل أشدَّ من الظلمة، لأنَّ الظلمة لا تهدي إلى الباطل كما لا تهدي إلى الحق، وعقول الكفار انتكست وكذا سائر إدراكاتهم، وتعاونت على الإضلال في حقهم، فمثاله كرجل في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض، والبحر اللجّي هو الدنيا لما فيها من الأخطار المهلكة، والأشغال المردية، والكدورات المعمية.

والموج الأول الشهوات الداعية إلى الصفات البهيمية، والإشتغال باللذات الحسية، وقضاء الأوطار الدنيوية حتى يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام، وبالحرى أن يكون هذا الموج مظلماً لأنَّ حبَّ الشيء يعمي ويصم.

والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة إلى الغضب، والعداوة، والبغضاء، والحسد، والحقد، والمباهاة، والتفاخر، والتكاثر، وبالحرى أن يكون مظلماً لأنَّ الغضب نحول^(١) العقل، وبالحرى أن يكون هذا هو الموج الأعلى، لأنَّ الغضب في الأكثر مستول على الشهوات حتى إذا هاج أذهل عن الشهوات، وغفل عن اللذات المشتهيات.

وأما الشهوة فلا تقاوم الغضب الهائج أصلاً، وأما السحاب فهو الاعتقادات الخبيثة، والظنون الكاذبة، والخيالات الفاسدة التي صارت حجاباً بين الكفر والإيمان ومعرفة الحق، والإستضاءة بنور شمس القرآن والعقل، فإنَّ خاصية السحاب أن يحجب إشراق نور الشمس، وإن كانت هذه كلها مظلمة فبالحرى أن تكون ظلمات بعضها فوق بعض.

(١) كذا الظاهر، وفي المتن: غول العقل.

وإذا كانت هذه الكلمات تحجب عن معرفة الأشياء القريبة فضلاً عن البعيدة، فكذلك حجب الكفار عن معرفة عجائب أحوال النبي (صلى الله عليه وآله)، مع قرب تناوله وظهوره بأدنى تأمل، فبالحري أن يعبر عنه بأنه لو أخرج يده لم يكد يراها، وإذا كانت منبع الأنوار كلها من النور الأول الحق، فبالحري أن يعتقد كل موحد أن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، إنتهى.

[تحقيق من المصنف]

وأقول في تحقيق الحال وتوضيح المقال في المجال بحيث يشمل جميع الأقوال، وكلما يمكن هنا من وجوه الإحتمال كلاماً مشتملاً على التفصيل وإن كان في صورة الإجمال، وهو:

إن الله تعالى في عالم الذات الباطنة الذي هو عالم الذات البحت البات لا إسم له ولا رسم له، وليس بنور ولا ظلمة، عار عن جميع الحدود والكيفيات، عال عن تصوّر الأوهام والخيالات متعال عن التعيينات والإشارات، مطلق عن جميع القيود والإعتبارات، السبيل إليه في هذا العالم مسدود، وطلبه في ذلك المقام الشامخ مردود، دليله آياته، ووجوده إثباته، كل ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود اليكم.

آن مگوکاندر عبارت نایدت وین مگوکاندر اشارت نایدت
وأما في عالم الذات الظاهرة فهو النور الحقيقي الظاهر بنفسه المظهر لغيره، وهو نور الأنوار، ومبدأ الأدوار، ومنتهى الأكوار، ومقام لم أعبد رباً لم أره، وما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه، وهو تعالى في هذا العالم نور السماوات والأرض، وكذا ما بينهما وما فوقهما وما تحتهما، وسبب نورهما ومنورهما وهاديهما ومزيّنهما، وغير ذلك من المعاني المذكورة هنا المشار إليها في جملة ما أسلفناه، فيصحّ اعتبار جميعها بلا اختصاص ببعضها.

ويجوز في لفظ السماوات والأرض حينئذٍ إعتبار ظاهرهما وباطنهما، وظاهرهما حاوٍ لباطنهما ومشتمل لجميع ما فيهما، فيشملان جميع الموجودات

من العلويات والسفليات والباطنيات والظاهريات، ويجوز جعل السماوات بمعنى مطلق العلويات، والأرض بمعنى مطلق السفليات، ويرجع ذلك إلى الأوّل بالإعتبار، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وقوله تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ الضمير لله أو للنور، وحينئذٍ إن جعل إضافة النور بيانية، فالنور هو النور المذكور في الفقرة السابقة، وإن جعلت لامية أو ظرفية كان المقصود من نوره نور الله، ونور النور السابق المذكور، كما ورد في الدعاء: «يا نور النور، يا مدبر الأمور»^(١)، وكما ورد أيضاً: «يا نوراً، يا من هو نور».

وهذا أدخل في المبالغة، وأنسب بالواقع والحقيقة، فيكون الممثل هو نور الله سبحانه، وأمّا الممثل به فهو نور محسوس بالخصوص، وهو نور السراج الضخم الثاقب النافذ في قنديل من الزجاج الصافية، والزجاجة في جوف المشكاة النورية الزاهرة، فيكون المراد حينئذٍ نوراً في شيء ذي نور، وهو في شيء آخر ذي نور، فيكون هناك أنوار بعضها فوق بعض، وأضواء بعضها تحت بعض مع شدة الضياء وقوته على ما ظهر ممّا مرّ.

والمراد من المثل الصفة، فيكون المراد أنّ صفة نوره تعالى صفة المشكاة المذكورة، والمراد تشبيه الجملة بالجملة أي المركّب بالمركّب، لا تشبيه المفرد والجزء كما في قوله تعالى: ﴿أو كصيّب من السماء﴾^(٢) أو ﴿كماء أنزلناه من السماء﴾^(٣). ولما كان أصل النور هو الوجود إذ لا نور أكمل منه بالنسبة إلى كلّ موجود، كما ورد في الخبر: «إنّ الله تعالى خلّق الخلق في ظلمة، ثمّ رشّ عليهم من نور الوجود»^(٤) والوجود هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره الذي هو معنى النور حقيقة،

(١) البحار ٨٦: ١٧٥ ح ٤٥.

(٢) البقرة: ١٩.

(٣) يونس: ٢٤.

(٤) الفتوحات ٢: ٦١ صدره فقط، تفسير صدر المتألهين ٢: ٣١٣، وشرح الأسماء للحكيم السيزواري: ١٧٥.

وهو نور الله الساري في جميع الموجودات، وهو جهة ظهور جميع المخلوقات، فكل شيء منور بنوره تعالى، وظاهر بظهوره.

ثم إن كل شيء موجود من الذرة إلى الذرة مشتمل على ثلاث مراتب متداخلة، فالعالم الكبير مثلاً مشتمل على الجبروت والملكوت والناسوت، فالجبروت هو المصباح، والملكوت هو الزجاجة، والناسوت هو المشكاة، وكذلك العالم الصغير والوسيط، وبوجه آخر كل شيء مركب من روح ونفس وجسد، فالروح هو المصباح، والنفس هو الزجاجة، والجسد هو المشكاة، وكذلك القلب مع الصدر والجسد، والروح مع القلب والصدر ونحو ذلك.

وبوجه آخر كل شيء مركب من القشر واللّب، وبرزخ بينهما لا يبغيان، وبوجه آخر كل ممكن زوج تركيب، وفي المركبين أيضاً برزخ بين الأمرين، وهكذا كل زوجين اثنين حتى نفس المصباح ونفس المشكاة أيضاً كذلك، وكل ذرة من الذرات كذلك أي (مطلق كل)^(١) أمور ثلاثة متداخلة كذلك، فصفة المشكاة موجودة في كل شيء لا تغادر صغيرة ولا كبيرة، فجميع الأشياء مشكاة على الصفة السابقة، وفي كل منها صفة نوره وآثار ظهوره، وهو الذي اختفى لفرط نوره، والظاهر الباطن في ظهوره ظاهر عند كل من شاهده، باطن عن منافق جحده، وإلى ذلك أشار من قال:

فبواعجها كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدلّ على أنه واحد
وهذا المصباح الوجودي النوري يوقد من شجرة مباركة، هي القدرة الإلهية الكاملة المنشعبة من جهة اختلاف أنواع الموجودات الكونية، وبركتها من جهة صدور جميع الموجودات الخيرية منها، وهي زيتونة في كثرة منافعها، أو في كونها سبباً للفيوضات النورية السارية الجارية من الذرة إلى الذرة، أو في كونها

(١) كذا في الأصل، والظاهر أنها هكذا: «أي كل مطلق أمور ثلاثة متداخلة» بمعنى أن كل شيء مطلق له ثلاثة أمور، والله العالم.

سبباً لوجود ذلك المصباح المنور، أو في كونها سبباً للتضوء والتنور ونحو ذلك. «لا شرقية ولا غربية» أي لا جبر بالنسبة إليها ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين، يكاد زيت هذه الشجرة - وهو الوجود الثاني - يضيء أي يصير فعلياً، «ولو لم تمسه نار» الأمر أو المشيئة أو الإرادة في ضمن فتيلة الاستعداد والقابلية، أو الصور العلمية، أو الماهيات الثابتة والأعيان النابتة المشهورة بالمثل الافلاطونية.

وهذا المصباح نور على نور أي في نور هو الزجاجة أو المشكاة، أو المشكاة نور على نور هو الزجاجة، أو الزجاجة نور على نور هو المصباح وفي نور هو المشكاة، أو المراد تعدد النور وتكرره، والمراد نور على نور على نور، أو نور في نور في نور.

﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ أي يوجد الله في عالم ملكه من يشاء وما يشاء كيف يشاء، أو يهدي الله إلى جهة نوره وملاحظة آثار ظهوره من يشاء، أو يهدي الله إلى تدبر نوره وتصوّر آثار ظهوره من يشاء، ﴿والله بكلّ شيءٍ عليم﴾ يضع الأشياء موضعها بحسب مقتضى الحكمة على طبق الاستعداد والقابلية.

«في بيوت» أي هذا المصباح والمشكاة موضوعة في بيوت «أذن الله أن ترفع» وهذه بيوت مختلفة كالبيوت الإمكانية أي مراتب الإمكانات المختلفة، فإنّ إيمان كلّ شيء بنحو خاص مختصّ به لا يتعدّى غيره، وكالبيوت الكونية العقلانية، والروحانية، والنفسانية، والجسمانية، وغير ذلك من البيوت الكلية والجزئية المتنوعة، وبيت كلّ ذرة وذرة محلّه ومستقرّه.

وبيت المشكاة المركّب من العقل والروح والنفس من البيوت الخارجية هو الطبيعة، وبيت المشكاة المركّبة من الروح والنفس والطبيعة هو المادّة، وبيت المشكاة المركّبة من النفس والطبيعة والمادّة هو المثال، وبيت المشكاة المركّبة من الطبيعة والمادّة والمثال هو الجسد وهكذا، وبيت المشكاة المركّبة من القرآن والقلب والصدر هو بدن المؤمن وهكذا، فيشمل الممثل به جميع المعاني السابقة

وغيرها، وسيجيء ما ذكره القوم في تفسير البيوت عند تفسير الآية الثانية اللاحقة بهذه الآية السابقة النورية.

وفي تفصيل معنى الآية كلام طويل للفاضل سعيد القمي (رحمه الله) أيضاً في شرح توحيد ابن بابويه^(١)، يقرب من ألف ومائة بيت تقريباً، من أراد فليطلبه من محله، وفيما ذكرناه كفاية لأهل الدراية، وعلى ما ذكرناه في معنى الآية يكون للآية من المعاني ما لا يعد ولا يحصى، وينطبق على ما ذكرناه وما لم يذكر، وهو مجمل يفصل كل ما مرّ، فتأمل وتدبر.

«في بيوت» قيل: والمراد بيوت الله أي المساجد التي تكون قناديلها أعظم، قال النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): «المساجد بيوت الله في الأرض، وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض»^(٢) ثم قيل: إنها أربع مساجد لم بينها إلا نبي: الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل، ومسجد بيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة ومسجد قبا بناهما رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وقيل: هي بيوت الأنبياء.

وفي الكافي عن الصادق (عليه السلام): هي بيوت النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)^(٣) وفيه وفي الإكمال عن الباقر (عليه السلام): هي بيوتات الأنبياء (عليهم السلام) والرسل والحكماء وأئمة الهدى^(٤).

والقمي عنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): هي بيوتات الأنبياء، وبيت علي (عليه السلام) منها^(٥).

(١) شرح توحيد الصدوق ٢: ٥٨٣، باب ١٥.

(٢) مجمع البيان / الجزء الثامن عشر / سورة النور، عنه البحار ٢٣: ٣٢٦، تفسير كنز الدقائق ٩: ٣١٢.

(٣) الكافي ٨: ٣٣١ ح ٥١٠، عنه البحار ٢٣: ٣٣٢ ح ١٨، تفسير الصافي ٣: ٤٣٦، وتفسير كنز الدقائق ٩: ٣١٤.

(٤) الكافي ٨: ١١٩ ح ٩٢، كمال الدين: ٢١٨ ح ٢ باب ٢٢، عنه البحار ١١: ٥٠ ح ٤٩، وتفسير الصافي ٣: ٤٣٦، وتفسير كنز الدقائق ٩: ٣١٤.

(٥) تفسير القمي ٢: ١٠٤، عنه البحار ٢٣: ٣٢٧ ح ٦، وتفسير الصافي ٣: ٤٣٦، ونحوه تفسير فترات:

٢٨٢، وتفسير كنز الدقائق ٩: ٣١٣.

وروي أنّه قرأ النّبيّ (صلى الله عليه وآله) الآية وقال: هذه البيوت بيوت الأنبياء، فقام أبو بكر وقال: يا رسول الله هذا البيت منها - أي بيت عليّ وفاطمة - قال (صلى الله عليه وآله): نعم من أفاضلها^(١).

قيل: ويعضده قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^(٣).

وفي الكافي عنه (عليه السلام) أنّ قتادة قال له: والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدامهم، فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك، فقال له: أتدري أين أنت؟! أنت بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع، فأنت ثمة ونحن أولئك، فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجارة ولا طين^(٤).

أو المراد من البيوت مطلق أجسام الأنبياء والأولياء والمؤمنين والصلحاء، أو بيوت عباداتهم فإنّ البيوت التي يُعبد فيها تزهّر لأهل السماء كما تزهّر النجوم لأهل الأرض، وقوله تعالى: ﴿فِي بَيْتٍ﴾ أي كمشكاة في بيوت، كأنّه قيل: مثل نوره كما ترى في المسجد مثلاً نور المشكاة التي من صفتها كيت كيت.

ولا ينافي جميع البيوت وحدة المشكاة، إذ المراد بعض البيوت أو مطلق مشكاة لها هذا الوصف بلا اعتبار الوحدة والكثرة، أو التقدير: يوقد في بيوت كذلك، أو هو متعلّق بما بعده وهو يسبّح أي يسبّح له رجال في بيوت، وفيها تكرير كقولك: زيد في الدار جالس فيها، أو بمحذوف كقوله تعالى: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾^(٥) أي سبّحوا.

(١) مجمع البيان / الجزء الثامن عشر / سورة النور، عنه البحار ٨٣: ٣، تأويل الآيات: ٣٥٩، تفسير

فرا: ٢٨٦ ح ٣٨٦، وتفسير كنز الدقائق: ٩: ٣١٢.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) هود: ٧٣.

(٤) الكافي ٢٥٦: ٦ ح ١، عنه البحار ١٠: ١٥٥ ح ٤، وتفسير الصافي ٣: ٤٣٧، وتفسير كنز الدقائق: ٩: ٣١٦.

(٥) النمل: ١٢.

﴿في بيوت أذن الله أن ترفع﴾ والمراد من الإذن الأمر، ورفعها بناؤها وتعميرها فقلوله تعالى: ﴿بناها﴾ رفع سمكها فسواها^(١) وقوله تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾^(٢)، أو المراد رفعها من حيث القدر بالتعظيم ونحوه أو بالذكر، ورفع الحوائج فيها إلى الله ونحو ذلك.

«ويذكر فيها اسمه» هو عامٌ فيما يتضمّن ذكره حتى المذاكرة في أفعاله والمباحثة في أحكامه، أو المراد ذكره بذكر أسمائه الحسنى، أو بتلاوة كتابه. «يسبّح له فيها بالغدو والآصال» ببناء المعلوم في يسبّح أي يصلي فيها بالبرك والعشايا، أي أوقات الغدو والعشاء، وقال ابن عباس: كلّ تسبيح في القرآن صلاة^(٣).

وقيل: المراد بالتسبيح تنزيه الله تعالى عمّا لا يجوز عليه، ووصفه بالصفات التي يستحقّها لذاته وأفعاله التي كلّها حكمة وصواب، وقُرئ: الأيصال أي الدخول في الأصل، يقال: أصل كأظهر وأعتم، وقُرئ: يسبّح (بفتح الباء) مجهولاً، كأنّه قيل: من يسبّح؟ فقال: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾^(٤).

والتجارة الشراء والبيع، والمراد بها هنا الشراء لذكر البيع بعدها، أو تخصيص بعد التعميم، أو المراد من التجارة الجلب، يقال: تجر في كذا إذا جلبه، والربح يتعلّق بالبيع ويتوقّع بالشراء، وأقام الصلاة أصله إقامة، والتاء عوض عن العين المحذوفة فلماً أضيف جعل المضاف إليه بدل التاء، كما قيل: وأخلفوك وعد الأمر الذي وعدوا، وإيتاء الزكاة أي إخلاص الطاعة والزكاة المفروضة.

في الفقيه عن الصادق (عليه السلام) في هذه الآية: كانوا أصحاب تجارة، فإذا حضرت الصلاة تركوا التجارة وانطلقوا إلى الصلاة، وهم أعظم أجراً ممّن

(١) النازعات: ٢٧ - ٢٨.

(٢) البقرة: ١٢٧.

(٣) مجمع البيان / سورة النور، عنه البحار ٨٣: ٤.

(٤) النور: ٣٧.

لا يتجر^(١).

وفي الكافي قال: هم التجار الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، إذا دخل مواقيت الصلاة أدّوا إلى الله حقّه فيها^(٢).

وعن الصادق (عليه السّلام) أنّه سأل عن تاجر ما فعل؟ ف قيل: صالح ولكنّه قد ترك التجارة، فقال (عليه السّلام): عمل الشيطان - ثلاثاً - أما علم أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إشتري غيراً أتت من الشام، فاستفضل فيها ما قضى به دينه وقسّم في قرابته، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾^(٣) الآية، يقول القصّاص^(٤): إنّ القوم لم يكونوا يتّجرون، كذبوا ولكنّهم لم يكونوا يدعون الصلاة في مواقيتها، وهو أفضل ممّن حضر الصلاة ولم يتّجر^(٥).

«يخافون يوماً» مع ما هم عليه من الذكر والطاعة وعدم الغفلة، «تتقلّب فيه القلوب والأبصار» أي تضطرب وتتغيّر من الهول، أو تزعج القلوب وتشخص الأبصار، أو تتقلّب حالتهما فلا يفهم القلب ولا تبصر العين، أو يفهم القلب مالم يكن يفهم وتبصر العين مالم تكن تبصر، أو تتقلّب القلوب من توقّع النجاة وخوف الهلاك، والأبصار من أيّ ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم.

أو تتقلّب من حال إلى حال فتلفحها النار ثم تنضجها ثمّ تحرقها، أو تتقلّب بين طمع النجاة وخوف الهلاك، وتتقلّب الأبصار يمنة ويسرة، أو تتقلّب القلوب ببلوغها الحناجر، والأبصار بالعمى بعد البصر، أو تتقلّب القلوب من الشك إلى

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ١٩٢ ح ٣٧٢٠، عنه البحار ٨٣: ٤، وتفسير الصافي ٣: ٤٣٧، وتفسير كنز الدقائق ٩: ٣١٨، أورده صاحب مجمع البيان في سورة النور.

(٢) الكافي ٥: ١٥٤ ح ٢١، عنه البحار ٨٣: ٤، وتفسير الصافي ٣: ٤٣٧.

(٣) النور: ٣٧.

(٤) قال العلامة المجلسي (رحمه الله) في مرآت العقول (١٩: ١٩) ما لفظه: القصّاص رواة القصص والأكاذيب، عبّر (عليه السّلام) عن مفسّري العامة وعلماهم به لابتناء أمورهم على الأكاذيب.

(٥) الكافي ٥: ٧٥ ح ٨، عنه البحار ٨٣: ٤، وتفسير الصافي ٣: ٤٣٧، وتفسير كنز الدقائق ٩: ٣١٦.

اليقين والإيمان، والأبصار عما كانت تراه غيًّا فتراها رشداً، فمن كان شاكاً في دنياه أبصر في آخرته، ومن كان عالماً ازداد بصيرة وعلماً، فهو مثل قوله تعالى: ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصر لك اليوم الجديد﴾^(١).

«ليجزئهم الله» متعلق بيسبِّح، أو لا تلهيهم، أو يخافون، «أحسن ما عملوا» أي أحسن جزاء ما عملوا، «ويزيدهم من فضله» أشياء لم يعدهم على أعمالهم، ولا تخطر ببالهم، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(٢).

«والله يرزق من يشاء بغير حساب» وهو ما يتفضل به، وأما الثواب فله حساب لكونه على حسب الإستحقاق، وهذا تقرير للزيادة، وتنبيه على كمال القدرة، ونفاذ المشيئة، وسعة الإحسان.

[في تسميتها (عليها السلام) بسيدة النساء]

ومنها سيِّدة النساء، وقد ورد في أخبار كثيرة من طرق الخاصة والعامة، فعن العباس، عن النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنَّهُ قَالَ: ابْنَتِي فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ^(٣).

وعن الحسن بن زياد العطار قال: قلت للمصادق (عليه السلام): قول رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَمْ سَيِّدَةُ نِسَاءِ عَالَمِهَا؟ قَالَ: ذَاكَ مَرِيَمُ وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَقُلْتُ: قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): وَاللَّهِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ^(٤).

وعن النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي رِوَايَةٍ رَوَاهَا فِي كَشْفِ الْغَمَةِ أَنَّهُ قَالَ: حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرِيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ

(١) ق: ٢٢.

(٢) يونس: ٢٦.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٤٥ ح ١٢ مجلس ٤٩، عنه البحار ٤٣: ٢٢ ح ٦٣، والعوالم ١١: ١٢٦ ح ٢٠، وإحقيق الحق ٥: ٤١، والفردوس ٣: ١٦١ ح ٤٢٨٣.

(٤) أمالي الصدوق: ١٠٩ ح ٧ مجلس ٢٦، عنه البحار ٤٣: ٢١ ح ١٠، ومناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٣.

محمد (صلى الله عليه وآله)، وآسية امرأة فرعون^(١).

وفي الخبر عن عائشة أنها قالت يوماً لفاطمة (عليها السلام): ألا أبشرك؟ أني سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: سيّدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله)، وخديجة بنت خويلد، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون^(٢).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾^(٣) الآية فقال: يا عليّ خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله)، وآسية بنت مزاحم.

وفي الخبر الآخر: إنّ كلّاً من الأربعة سيّدات نساء عالمها إلا فاطمة، فإنّها سيّدة النساء في الدنيا والآخرة من الأولين والآخرين.

ومن كتاب مولد فاطمة لابن بابويه عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: إشتاقت الجنة إلى أربع من النساء: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون، وهي زوجة النبي (صلى الله عليه وآله) في الجنة، وخديجة بنت خويلد زوجة النبي (صلى الله عليه وآله) في الدنيا والآخرة، وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله)^(٤).

وفي خبر آخر إنّ مريم وآسية وخديجة وكلثوم أخت موسى أو أم يحيى،

(١) كشف الغمة ٢: ٧٧، عنه البحار ٤٣: ٥١ ح ٤٨، والمناقب لابن المغازلي: ٣٦٣ ح ٤٠٩، المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٢ ح ١٠٠٣، الفصول المهمة: ١٤٣، ذخائر العقبى: ٤٣، مستدرک الحاكم ٣: ١٧١ ح ٤٧٤٥، صحيح مسلم ٥: ٧٠٣، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٢، تهذيب التهذيب ١٢: ٤٦٩ ح ٢٨٦٠، كفاية الطالب: ٣٦٣، احقاق الحق ١٠: ٥٨.

(٢) كشف الغمة ٢: ٧٧، عنه البحار ٤٣: ٥١ ح ٤٨، والعوالم ١١: ١١٩ ح ٥، ونحوه في الفصول المهمة: ١٤٣، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٢٦٦، وكنز العمال ١٢: ١٤٤ ح ٣٤٤٠٦.

(٣) آل عمران: ٤٢.

(٤) كشف الغمة ٢: ٩٤، عنه البحار ٤٣: ٥٣ ح ٤٨.

هؤلاء الأربعة من أزواج النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي الْجَنَّةِ^(١)، وليس في الجنة لعليّ (عليه السلام) زوجة غير فاطمة (عليها السلام).

وعن عائشة: ما كان من الرجال أحبّ إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) من عليّ، ولا من النساء أحبّ إليه من فاطمة، وإنّ يوماً أقبلت فاطمة تمشي لا والله الذي لا إله إلا هو ما تكلمت فاطمة معه في شيء، فقال لها: أما ترضين أن تأتي يوم القيامة سيّدة نساء العالمين.

وفي خبر آخر: سيّدة نساء هذه الأمّة^(٢).

وعن ابن عباس أنّه قال: إنّ رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كان جالساً ذات يوم وعنده عليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلَ بَيْتِي، وَأَكْرَمَ النَّاسِ عَلَيَّ، فَأُحِبُّ مِنْ أَحِبِّهِمْ، وَأُبْغِضُ مِنْ أَبْغَضِهِمْ، وَوَالٍ مِنْ وَالَاهُمْ، وَعَادٍ مِنْ عَادَاهُمْ، وَأَعْنُ مِنْ أَعَانِهِمْ، وَاجْعَلْهُمْ مَطْهَرِينَ مِنْ كُلِّ دَنْسٍ، مَعْصُومِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، وَأَيِّدْهُمْ بِرُوحِ الْقُدُسِ مِنْكَ.

ثمّ قال: يا عليّ أنت إمام أمتي - إلى أن قال: - وكأني أنظر إلى بنتي فاطمة قد أقبلت يوم القيامة على نجيب من نور، عن يمينها سبعون ألف ملك، وعن يسارها كذلك، وكذلك بين يديها وخلفها، تقود مؤمنات أمتي إلى الجنة، وأنّها لسيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وأنّها لتقوم في محرابها فيسلم عليها سبعون ألف من الملائكة المقرّبين، فيقولون لها ما قالوا للمريم: يا فاطمة إنّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين^(٣).

وعن النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): الحسن والحسين خير أهل الأرض بعدي وبعد أبيهما، وأمّهما أفضل نساء أهل الأرض^(٤).

(١) راجع تفسير نور الثقلين ٥: ٣٧٧.

(٢) نحوه أمالي الطوسي: ٣٣٣ ح ٦٦٩، عنه البحار ٤٣: ٢٣ ح ١٩، والعوالم ١١: ٢٩ ح ٢٤.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٩٣ ح ١٨ مجلس ٧٣، عنه البحار ٤٣: ٢٤ ح ٢٠، والعوالم ١١: ٢٨ ح ٢٣.

(٤) البحار ٤٣: ١٩ ح ٥، عن عيون أخبار الرضا (عليه السلام).

وعن أبي حمزة، عن الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحدى الكبر * نذيراً للبشر﴾^(١) قال: يعني فاطمة^(٢).

وعن النَّبِيِّ (صَلَّى الله عليه وآله): يا عَلِيُّ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَشْرَفَ على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثُمَّ اطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين، ثُمَّ اطلع الثالثة فاختار الأئمة على رجال العالمين بعدك، ثُمَّ اطلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين^(٣).

وفي خبر طويل ذكر فيه نزول المائدة على فاطمة (عليها السلام)، فقال (صَلَّى الله عليه وآله): الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى رأيت في ابنتي ما رأى زكريّا في مريم بنت عمران، فقالت فاطمة: يا أبة أنا خير أم مريم؟ فقال (صَلَّى الله عليه وآله): أنت في قومك ومريم في قومها^(٤) أي كلّ منكما خير، فبقي الكلام بالنسبة إلى كون فاطمة خيراً من مريم في محلّ السكوت، وحكمه يستفاد من الأخبار السابقة العامة أو المطلقة.

وروى حذيفة اليمان قال: قال رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله): هذا ملك لم ينزل قطّ إلى الأرض قبل هذه الليلة، إستأذن ربّه أن يسلم عليّ ويبشّرني بأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة^(٥).

وعن الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾^(٦) أنّه

(١) المدثر: ٣٥-٣٦.

(٢) تفسير القمّي ٢: ٣٩٦، البحار ٤٣: ٢٣ ح ١٦، العوالم ١١: ٩٨ ح ٤، تفسير البرهان ٤: ٤٠٢ ح ١، تفسير كنز الدقائق ١٤: ٢٧.

(٣) الخصال: ٢٠٦ ح ٢٥ باب الأربعة، عنه البحار ٤٣: ٢٦ ح ٢٤.

(٤) سعد السعود: ٩١، عنه البحار ٤٣: ٧٦.

(٥) أمالي الطوسي: ٨٤ ح ١٢٧، عنه البحار ٣٧: ٣٩ ح ١٠، ونحوه المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٣ ح ١٠٠٥.

مستدرک الحاكم ٣: ١٦٤ ح ٤٧٢١، صحيح الترمذي ٥: ٦٦٠ ح ٧٣٨١، كنز العمال ١٢: ٩٦ ح ٣٤١٥٨.

حلية الأولياء ٤: ١٩٠، كفاية الطالب: ٤٢٢، فرائد السمطين ٢: ٢٠ ح ٣٦٣، مقتل الحسين للخوارزمي:

٥٥، مسند أحمد ٥: ٣٩١.

(٦) الليل: ٣.

قال: الذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) والأنثى فاطمة (عليها السلام)^(١). وهذا أيضاً يدلّ أيضاً بالإستلزام أنّ فاطمة (عليها السلام) سيّدة نساء العالمين، فإنّ تخصيص فاطمة (عليها السلام) بلفظ الأنثى إما أن يكون لأنّه ليس في العالم أنثى غيرها وليس كذلك، أو لأنّها أكمل الأفراد وأشرفها وأفضلها وهو المطلوب، وهذا الكلام يجري في الذكّر أيضاً بالنسبة إلى عليّ (عليه السلام). وروي عن ابن عباس، عن النّبّي (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: فاطمة سيّدة نساء العالمين ما خلا مريم بنت عمران^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): فاطمة خير نساء أهل الجنّة إلّا ما كان من مريم بنت عمران^(٣). وفي خبر آخر: إلّا ما كان لمريم بنت عمران^(٤).

وفي خبر آخر مشهور: إنّ فاطمة خير نساء العالمين إلّا ما ولدته مريم^(٥). إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالة على كونها سيّدة النساء، بالعبارات المختلفة، والمضامين المتقاربة.

بيان: لا إشكال في كونها سيّدة النساء في الدنيا والعقبى، وكونها سيّدة نساء أهل الجنّة كما ورد في الروايات يفيد ذلك أيضاً، إذ جميع النساء المؤمنات نساء أهل الجنّة من الأولين والآخرين، فتكون سيّدة نساء العالمين، وأمّا نساء أهل النار فهنّ ساقطات عن درجة الإعتبار، ويلزم من سيادتها على نساء أهل الجنّة كونها سيّدة نساء أهل النار أيضاً بالأولويّة، إذ المراد من ذلك كونها حاكمة

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٠، عنه البحار ٤٣: ٣٢، والموال ١١: ٩٨ ح ٣، ونحوه تفسير الصافي ٥: ٣٣٦، وتفسير كنز الدقائق ١٤: ٣٠٥.

(٢) الفردوس ٣: ١٤٥ ح ٣٨٨، عنه البحار ٤٣: ٧٦، ومناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٣.

(٣) كشف الغمّة ٢: ٧٨، ذخائر العقبى ٤٣: مستدرک الحاکم ٣: ١٦٨ ح ٤٧٣٣، الاستيعاب ٤: ٣٧٥، الإصابة ٤: ٣٧٨، نظم درر السمطين: ١٧٨، تهذيب التهذيب ١٢: ٤٦٩ ح ٢٨٦٠.

(٤) كشف الغمّة ٢: ٨٣، الموالم ١١: ١٣٦ ح ٤٨، مسند فاطمة للسيوطي: ٥٥ ح ١٣٠.

(٥) الموالم ١١: ١٣٤ ح ٤٢، عن مصباح الأنوار.

عليهنّ، نافذة الحكومة فيهنّ.

وحقيقة السيادة كون المسود صادراً عن أمر السيّد ونهيه، وهذا المعنى بإطلاقه شامل على الأوامر والنواهي التشريعيّة والتكوينيّة، فتكون خلقة جميع النساء أيضاً بوساطة فاطمة (عليها السلام)، بل بناء على ما أُشير إليه سابقاً ممّا قرّره أهل الحكمة أنّ جميع أنواع الذكور أنشئ بالنسبة إلى من هو مؤثّر فيهم باعتبار صفة التأثير والانفعال، فيعمّ سيادتها على جميع ذرّات الموجودات من الأولين والآخرين سوى الأنوار المعصومين (عليهم السلام).

ثمّ إنّ العالم إسم لما يُعلم به الشيء مطلقاً كالخاتم لما يختم به، والقالب لما يقلب به، وسمّي ما سوى الله عالماً من جهة أنّه يعلم به الباري سبحانه، ويسمّي كلّ جماعة من شيء عالماً فيقال: جاءني عالم من البقرة أو الإنسان مثلاً، بل يسمّي كلّ جزء من أجزاء العالم أيضاً عالماً، إذ كلّ درّة وذرة من حيث أنّه أثر يدلّ على المؤثّر، إذ الشيء ولو كان جزئياً لا يوجد نفسه لاستحالته، وكذا لو كان كلياً لاستحالته، فلا بد له من موجد يوجده، إذ كون الشيء مطلقاً موجداً لنفسه يستلزم تقدّم الشيء على نفسه، فكلّ شيء يدلّ بوجوده على موجد، ولذا قيل: فوا عجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يججده الجاحد ففي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد فكلّ جزءٍ وجزئيّ، وكلّ وكليّ عالم، فيصير هذا الإسم شاملاً لجميع ذرّات الكائنات من الأجزاء والمركبات والجزئيات والكليّات، وجميع الأصناف والأنواع، وكلّ جنس من الأجناس من الجواهر، والأعراض، والعقول، والأرواح، والنفوس، والأشباح.

وإذا جمع العالم على العوالم فيعمّ العاقل وغير العاقل، وإذا جمع على العالمين - بالواو والنون^(١) - اختصّ بذوي العقول، ويجوز التعميم لغيرهم أيضاً من باب التغليب، وقول بعضهم: «إنّ العالمين إسم جمع مختصّ بالعقلاء ولا واحد له» لا

(١) أو الياء والنون في حالتي الجرّ والنصب.

وجه له، كقول من قال: إِنَّ العالم أيضاً مختصّ بمن يعقل، والظاهر من الآيات والأخبار تعدّد العوالم الظاهريّة والباطنيّة.

لكن ذهب أكثر المتكلّمين إلى أنّ العالم هو الجسماني المنحصر في الفلكي العلوي والعنصري السفلي.

وعن بعض العارفين: إنّ المصنوع إثنان: عالم الماديّات، وعالم المجرّدات، والكائن في الأوّل هو الجسم، والفلك والفلكيّات، والعنصر والعنصريّات، والعوارض اللازمة له، وفي الثاني الملائكة المسماة بالملا الأعلى، والعقول والنفوس الكلّيّة، والأرواح البشريّة المسماة بالنفوس الناطقة، إنتهى، ويمكن تطبيق كلّ ذلك على ما هو الحقّ في الواقع والحقيقة.

وقوله (صلّى الله عليه وآله): «فاطمة سيّدة نساء العالمين ما خلا مريم بنت عمران» ينافي أكثر الأخبار الواردة الظاهرة في أنّها سيّدة نساء العالمين بلا استثناء شيء، بل صرح به في بعضها كقوله (صلّى الله عليه وآله): (من الأولين والآخرين).

ويمكن توجيه الخبر المذكور بجعل (ما) نافية، وحينئذٍ أمّا أن يجعل مريم مفعولاً أي ما تجاوز هذا التفضيل عن مريم، أو ما تجاوز بعضهم عنها، أو فاعلاً أي لم تخل مريم أيضاً من هذا التفضيل، فتكون هي أيضاً داخلة في المفضل عليهنّ.

والتذكير حينئذٍ في الفعل المسند إلى المؤنث الحقيقي أمّا بناء على جوازه عند الإسناد إلى الظاهر، أو جعلها للشرف بمنزلة المذكر، أو لأنّها لم تتزوّج فكأنّها ليست بمؤنث، أو لأنّ «ما خلا» يستعمل غالباً في مقام الإستثناء، فلا يتبدّل حاله كما قرّر في الكتب النحويّة، لئلاّ يتغيّر الصورة الإستثنائيّة، وإن كان يجعل (ما) حينئذٍ زائدة أو مصدرية لا نافية، إلّا أنّ الصورة واحدة فأجرى عليه حكم الحالة الغالبة، أو أنّ (خلا) هنا من الأفعال الجامدة الصرفة.

أو المراد إستثناء مريم من المفضوليّة الكاملة، ومن كونها مساوية لسائر

النساء، من جهة أنّ الله تعالى خصّها أيضاً بهذه الصفة في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

أو المراد إستثناء مريم حقيقة، وعدم تفضيل فاطمة (عليها السلام) عليها في هذه الرواية من باب المصلحة، حيث ارتكز في الأنظار لظاهر الآية أنّ مريم أيضاً بهذه الصفة، فلعلّه (صلّى الله عليه وآله) لو لم يستثنها وقع في التهمة بأنّ النّبّي إنّما يفضل فاطمة كذلك من جهة المحبة، أو إرادة كونها سيّدة مجازيّة لا حقيقة.

أو كان ذلك موجّباً لعداوة النصارى ونحو ذلك، فيكون مراده (صلّى الله عليه وآله) أنّي أستثني في تفضيلي هذا مريم، وأحكم فيها بعدم المفضوليّة، أو أجعلها في محلّ السكوت في تلك الجملة، على الخلاف في أنّ الإستثناء من الإثبات نفي أو في محلّ السكوت وكذا الإستثناء من النفي.

أو يكون قوله: «ما خلا مريم» من كلام الراوي، أي ما استثنى النّبّي (صلّى الله عليه وآله) مريم أيضاً، كما قيل بذلك في الخبر المشهور عن النّبّي (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: «أُسامة أحبّ الناس إليّ ما حاشا فاطمة» حيث قيل: إنّ لفظ (ما حاشا) من الراوي بمعنى أنّ النّبّي (صلّى الله عليه وآله) ما استثنى فاطمة، وذلك بقرينة ما في خبر الآخر: «ما حاشا فاطمة ولا غيرها» مع صحّة جعله إستثناء أيضاً، فيكون لفظه (ولا غيرها) بمعنى لا استثنى غير فاطمة.

وأما قوله (صلّى الله عليه وآله): «فاطمة خير نساء أهل الجنّة إلّا ما كان لمريم أو من مريم» فمعناه القريب أنّ فاطمة أفضل في جميع الصفات الكاملة للنساء إلّا صفة كمال كانت لمريم وهو كونها سيّدة النساء، ففاطمة (عليها السلام) في هذه الصفة ليست بأفضل منها، بل مساوية لها في ذلك ولو بحسب مجرد صدق الاسم بلا تفاوت في ظاهر الصورة، حيث أنّ مريم أيضاً سيّدة النساء كما أنّ فاطمة سيّدة النساء، ويجوز بعض توجيهات آخر تظهر لمن تأمل وتدبّر.

وأما قوله (صلّى الله عليه وآله): «فاطمة خير نساء العالمين إلّا ما ولدته

مريم» فذكر فيه أيضاً وجوه، مثل أنّ «إلا» هنا بمعنى لكن وما نافية أي لكن لم تلده مريم، وتذكير الضمير حينئذٍ بجعلها في الشرف كالمذكر، أو باعتبار الإنسان أو الشخص المذكور.

أو أنّ إلا بمعنى الواو أي وما ولدته مريم، بجعل ما نافية أيضاً على نحو مامرّ، أو موصولة كناية عن عيسى (عليه السلام) أي أفضل من عيسى أيضاً، أو بمعنى حتى وما موصولة أيضاً على المعنى السابق.

أو أنّ إلا للإستثناء المنقطع والمراد من الموصولة أيضاً عيسى (عليه السلام)، أو للإستثناء المتصل مراداً من الموصولة البنت المفروضة لمريم، وتذكير الضمير حينئذٍ باعتبار لفظ ما، أي إلا بنت مريم لو كان لها بنت، فيكون من باب التعليق بالمحال، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، مثل قوله:

ولا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول^(١) من قراع^(٢) الكتائب

[في تسميتها (عليها السلام) بأُمّ الأئمة]

ومنها أمّ الأئمة النقباء النجباء، كما ورد في الأخبار عن النبيّ (صلى الله عليه وآله): إنّ فاطمة أحصنت فرجها، فحرّم الله ذريتها على النار، وتلك الذريّة هم الأئمة^(٣).

وعن عبد الله بن سليمان قال: قرأت في الإنجيل في وصف النبيّ (صلى الله عليه وآله): نكّاح النساء، ذو النسل القليل، إنّما نسله من مباركة، لها بيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب، يكفلها هو في آخر الزمان كما كفل زكريّا أمّك، لها فرخان مستشهدان^(٤).

(١) الفلّ: الثلم في السيف / لسان العرب.

(٢) القراع: المضاربة بالسيوف، وقيل: مضاربة القوم في الحرب / لسان العرب.

(٣) مستدرک الحاكم ٣: ١٥٢، حلية الأولياء ٤: ١٨٨، مقتل الحسين للخوارزمي ٥٥، تاريخ بغداد ٣: ٥٤

رقم ٩٩٧، المناقب لابن المغازلي: ٣٥٣ ح ٤٠٣، الجامع الصغير للسيوطي ١: ٣٥٢ ح ٢٣٠٩.

(٤) كمال الدين: ١٦٠ ح ١٨ باب ٨، أمالي الصدوق: ٢٢٤ ح ٨ مجلس ٤٦، عنهما البحار ١٦: ١٤٤ ح ١.

وورد في قوله تعالى: ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾^(١) أنه قال: عليّ وفاطمة بهران عميقان لا يبغي أحدهما على الآخر^(٢).

وفي رواية: ﴿بينهما برزخ﴾^(٣) رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾^(٤) الحسن والحسين (عليهما السلام). ذكرهما في الصافي وغيره^(٥).

وعن الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل﴾^(٦) كلمات في محمد، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، والأئمة من ذريتهم (عليهم السلام)، أنه كذا نزلت على محمد (صلى الله عليه وآله)^(٧).

وسئل الحسين بن روح - أحد النواب الأربعة للقائم (عليه السلام) -: كم بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: أربع، فقيل: أيهن أفضل؟ فقال: فاطمة، قيل: ولم صارت فاطمة أفضل وكانت أصغرهن سنّاً، وأقلهن صحبة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: لخصلتين خصّها الله بهما: أنّها ورثت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ونسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) منها، ولم يخصّها بذلك إلا بفضل إخلاص عرفه من نبيّها^(٨).

وروى ابن خالويه عن كتاب الآل، عن أبي عبد الله الحنبلي، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه لما خلق الله آدم وحواء تبخترا في الجنة، فقال آدم

(١) الرحمن: ١٩.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣١٨، عنه البحار ٤٣: ٣٢٢ ح ٣٩، ونحوه نور الأبصار: ٢٢٦.

(٣) الرحمن: ٢٠.

(٤) الرحمن: ٢٢.

(٥) تفسير الصافي ١٠٩: ٥، وتفسير القمي ٣٤٤: ٢، وتفسير البرهان ٤: ٢٦٦ ح ٩، ومناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣١٨ عنه البحار ٤٣: ٣٢٢ ح ٣٩، ونحوه روضة الواعظين: ١٤٨، وشواهد التنزيل ٢: ٢٨٥ ح ٩١٩.

(٦) طه: ١١٥.

(٧) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٠، عنه البحار ٤٣: ٣٢٢ ح ٣٩، ونحوه الكافي ١: ٤١٦ ح ٢٣، وتفسير الصافي ٣: ٣٢٣، وتفسير كنز الدقائق ٨: ٣٦١.

(٨) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٣، عنه البحار ٤٣: ٣٧، والموالم ١١: ١٤١ ح ٦٢.

(عليه السلام) لحواء: ما خلق الله خلقاً هو أحسن منّا، فأوحى الله إلى جبرئيل: إئت بعبدى الفردوس الأعلى.

فلما دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على درنوك من درانيك الجنة، وعلى رأسها تاج من نور قد أشرقت الجنان من حسن وجهها، فقال آدم (عليه السلام): حبيبي جبرئيل من هذه الجارية التي قد أشرقت الجنان من حسن وجهها؟ فقال: هذه فاطمة بنت محمد نبي من ولدك يكون في آخر الزمان.

قال: فما هذا التاج على رأسها؟ قال: بعلمها علي بن أبي طالب (عليه السلام). قال: فما القرطان اللذان في أذنيها؟ قال: ولداها الحسن والحسين، قال آدم (عليه السلام): حبيبي جبرئيل أخلقوا قبلي؟ قال: هم موجودون في غامض علم الله قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة^(١).

وروي في زبدة المعارف عن الصادق (عليه السلام) أنه طلب أبي - محمد الباقر (عليه السلام) جابر بن عبد الله الأنصاري وقال له: إن لي إليك حاجة متى يكون لك أن تلاقيني في الخلوة حتى أسألك عن شيء أريده، قال جابر: جعلت فداك أنا حاضر كلما أردت.

فطلبه أبي إلى الخلوة فقال: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة (عليها السلام)، وعمّا أخبرت به أنه مكتوب في اللوح.

قال جابر: أشهد بالله أنني دخلت على أمك فاطمة في حياة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لأهنيها بولادة الحسين (عليه السلام)، فرأيت في يدها لوحاً أخضر ظننت أنه من زمرد، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه النور، فقلت لها: بأبي وأمي أنت يا بنت رسول الله ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا اللوح أهداه الله إلى رسوله فيه إسم أبي وبعلي، وإسم ابني، وأسماء الأوصياء من ولدي، فأعطانيه

(١) راجع كشف الغمة ٢: ٨٣، عنه البحار ٤٣: ٥٢ ح ٤٨، ونحوه في مقتل الحسين للخوارزمي: ٦٥، ولسان الميزان ٣: ٤٠٣ رقم ٤٨١٥ في ترجمة عبد الله بن محمد بن شاذان، ينابيع المودة ٢: ٣١٩ ح ٩٢٢، الصراط المستقيم ١: ٢٠٩ فصل ٨٧، العوالم ١١: ٤١ ح ١٨.

ليسّرني بذلك.

قال جابر: فأعطنيهِ أمّك فاطمة فقرأته واستنسخته، فقال أبي (عليه السّلام): هل لك يا جابر أن تعرضه عليّ؟ قال: نعم، فمشى معه أبي (عليه السّلام) حتى انتهى إلى منزل جابر، فأخرج إلى أبي صحيفة من رقّ، قال جابر: أشهد بالله أنّي هكذا رأيته في اللوح مكتوباً:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز العليم لمحمّد نوره وسفيره وحجّته ودليله، نزل به الروح الأمين من عند ربّ العالمين، عظم يا محمّد أسمائي، واشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي، أنّي أنا الله لا إله إلا أنا، قاصم الجبارين، مذلّ الظالمين، وديّان يوم الدين، أنّي أنا الله لا إله إلا أنا فمن رجا غير فضلي، وخاف غير عدلي، عذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين، فايّاي فاعبد وعليّ فتوكّل.

إنّي لم أبعث نبياً فأكملت أيّامه، وأنقضت مدّته إلا جعلت له وصيّاً، وإنّي فضّلتك على الأنبياء، وفضّلت وصيّك على الأوصياء، وأكرمتك بشبابك بعده وبسبطيك الحسن والحسين، فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدّة أبيه، وجعلت حسيناً خازن وحيي، وأكرّمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة عندي، جعلت كلمتي التامة معه، وحجتي البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب.

أوّلهم عليّ سيد العابدين، وزين الأولياء الماضين، وإبنة شبيه جدّه المحمود محمّد الباقر لعلمي، والمعدن لحكمي، سيهلك المرتابون في جعفر، الراد عليه كالراد عليّ، حقّ القول منّي لأكرّم منّ مشوى جعفر، ولاسرّته في أشياعه وأنصاره وأوليائه.

وانتجبت بعده موسى، ودفعت به فتنة عمياء حندس، لأنّ خيط فرضي لا ينقطع، وحجتي لا تخفى، وإنّ أوليائي لا يشقون، ألا ومن جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي، ومن غير آية من كتابي فقد افترى عليّ، وويل للمفترين الجاحدين

عند انقضاء مدة عبدي موسى، وحببي وخيرتي.
 إن المكذب بالثامن مكذب بكل أوليائي، وعلي وليي وناصري، ومن أضع
 عليه أعباء النبوة، وأمتحنه بالإضطلاع، يقتله عفريت مستكبر، يدفن بالمدينة
 التي بناها العبد الصالح إلى جنب شرّ خلقي.

حقّ القول منّي لأقرنّ عينيّه بمحمّد إبنه، وخليفته من بعده، فهو وارث علمي،
 ومعدن حكمي، وموضع سرّي، وحجتي على خلقي، لا يؤمن به عبد إلا جعلت
 الجنة مثواه، وشفعته في سبعين من أهل بيته كلّهم قد استوجبوا النار، وأختم
 بالسعادة لابنه عليّ وليي وناصري، والشاهد في خلقي، وأميني على وحيي،
 أخرج منه الداعي إلى سبيلي، والخازن لعلمي الحسن.

ثمّ أكمل ذلك بإبانه رحمة للعالمين، عليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر
 أيوب، سيّد أوليائي في زمانه، ويتهادى رؤوسهم كما يتهادى رؤوس الترك
 والديلم، فيقتلون ويشردون، ويحرقون ويكذبون، خائفين مرعوبين وجلين،
 تصبغ الأرض بدمائهم، يفسح الويل والأنين في نساءهم، أولئك أوليائي حقاً، بهم
 أرفع كلّ فتنة عمياء حنّاس، وبهم أكشف الزلازل، وأدفع الآصار والأغلال،
 أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون»^(١).

وفي الكتاب المزبور، وفي توحيد ابن بابويه أيضاً أنّه روى عبد العظيم بن
 عبدالله الحسني قال: دخلت على مولاي وسيدي عليّ بن محمّد (عليه السلام)،
 فلمّا نظر بي قال: مرحباً بك يا أبا القاسم، أنت وليّنا حقاً، قال: فقلت له: يا ابن
 رسول الله أنّي أريد أن أعرض عليك ديني، فإن كان مرضياً ثبتّ عليه حتى ألقى
 ربّي عز وجل، قال: هات يا أبا القاسم.

فقلت: إنّّي أقول: إنّ الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء، خارج عن
 الحدّين: حدّ الإبطال وحدّ التشبيه، وأنّه ليس بجسم، ولا صورة، ولا جوهر، ولا

(١) زبدة المعارف: ٤٨٦، وفي كمال الدين: ٣٠٨ ح ١، الاختصاص: ٢١٠، أمالي الطوسي: ٢٩١ ح ٥٦٦.

البحار: ٣٦، ١٩٥ ح ٢، العوالم ١١: ٨٤٨ ح ٦، مشارق الأنوار: ١٠٣.

عرض، بل هو مجسم الأجسام، ومصوّر الصور، وخالق الأعراض والجواهر، وربّ كلّ شيء ومالكة وجاعله ومحدثه، وإنّ محمّداً (صلّى الله عليه وآله) عبده ورسوله خاتم النبيين لا نبيّ بعده إلى يوم القيامة.

وأقول: إنّ الإمام والخليفة ووليّ الأمر بعده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام)، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ الرضا، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ أنت يا مولاي.

فقال (عليه السّلام): ومن بعدي الحسن ابني، وكيف الناس بالخلف من بعده، قال: فقلت: وكيف ذلك يا مولاي؟ قال: لأنّه لا يرى شخصه، ولا يحلّ ذكره بإسمه حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

قال: قلت: أقررت وأقول: إنّ وليّهم وليّ الله، وإنّ عدوّهم عدوّ الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، وأقول: إنّ المعراج حق، والمساءلة في القبر حق، وإنّ الجنّة حق، والنار حق، والصراف حق، والميزان حق، وإنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وإنّ الله يبعث من في القبور، وأقول: إنّ الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

فقال عليّ بن محمّد (عليه السّلام): يا أبا القاسم والله هذا دين الله الذي ارتضاه لعباده، فأثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة^(١). وأيضاً في الكتاب المذكور روى عن عبد الله بن أبي أوفى، عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لمّا خلق الله إبراهيم الخليل كشف الله عن بصره، فنظر إلى جانب العرش فرأى نوراً فقال: إلهي وسيدي ما هذا النور؟ قال: يا إبراهيم هذا محمّد صفيّ، فقال: إلهي وسيدي أرى إلى جانبه نوراً آخر، فقال: يا إبراهيم هذا عليّ ناصري، فقال: إلهي وسيدي أرى إلى جانبيه نوراً ثالثاً، فقال: يا إبراهيم

(١). التوحيد للصدوق: ٨١ ح ٣٧، عنه البحار ٣: ٢٦٨ ح ٣، كمال الدين: ٣٧٩ ح ١، عنه البحار ٦٩: ١ ح ١،

وأمالى الصدوق: ٢٧٨ ح ٢٤ مجلس ٥٤.

هذه فاطمة تلى أبيها وبعلمها، فطمعت محببها عن النار.

قال: إلهي وسيدي أرى نورين يليان الأنوار الثلاثة، قال الله: يا إبراهيم هذان الحسن والحسين يليان أباهما وجدّهما وأُمّهما، قال: إلهي وسيدي أرى تسعة أنوار أحرقوا بالخمسة الأنوار، قال: يا إبراهيم هؤلاء الأئمة من ولدكم، قال: إلهي وسيدي بمن يعرفون؟

قال: يا إبراهيم أولهم عليّ بن الحسين، ومحمّد ولد عليّ، وجعفر ولد محمّد، وموسى ولد جعفر، وعليّ ولد موسى، ومحمّد ولد عليّ، وعليّ ولد محمّد، وحسن ولد عليّ، ومحمّد ولد الحسن القائم المهدي.

قال: إلهي وسيدي أرى أنواراً حولهم لا يحصى عدّتهم إلا أنت، قال: يا إبراهيم هؤلاء شيعتهم ومحبّوهم، قال: إلهي وبم يعرفون؟ قال: بصلاة الاحدى والخمسين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، والقنوت قبل الركوع، وسجدة الشكر، والتختم باليمين، قال إبراهيم: اللهم اجعلني من شيعتهم ومحبيهم، قال: قد جعلتك.

قال المفضل بن عمر: إنّ أبا حنيفة لما أحسّ بالموت روى هذا الخبر وسجد، فقبض في سجدة الشكر^(١).

وفي الكتاب المذكور أيضاً عن عبدالله بن أبي أوفى، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه لما فتحت خيبر قالوا له (صلى الله عليه وآله): إنّ بها حبراً قد مضى له من العمر مائة سنة، وعنده علم التوراة، فأحضره بين يديه فقال له: أصدقني بصورة ذكرى في التوراة وإلاّ ضربت عنقك.

قال: فانهملت عيناه بالدموع وقال له: إنّ صدقتك قتلني قومي، وإنّ كذبتك تقتلني، قال له: قل وأنت في أمان الله وأماني، قال له الحبر: أريد الخلوة بك، قال له: لست أريد تقول إلاّ جهراً.

قال: إنّ في سفر من أسفار توراة إسمك ونعتك وأتباعك، وأنك تخرج من

(١) راجع الفضائل لابن شاذان: ١٥٨، عنه البحار ٣٦: ٢١٣ ح ١٥.

جبل فاران، وينادي بك وبإسمك على كل منبر، فرأيت في علامتك بين كتفيك خاتم يختتم به النبوة ولا نبي بعدك، ومن ولدك أحد عشر سبطاً يخرجون من ابن عمك واسمه علي، ويبلغ ملكك المشرق والمغرب، وتفتح خير وتقلع بابها، ثم تعبر الجيش على الكف والزند، فإن كان فيك هذه الصفات آمنت بك وأسلمت على يدك.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أيها الحبر أما النشانة فهي لي، وأما العلامة فهي لناصري علي بن أبي طالب، قال: فالتفت إليه الحبر وإلى علي (عليه السلام) وقال: أنت قاتل مرحب الأعظم؟ قال علي (عليه السلام): بلى قتلت مرحب الأحقر، أنا جدلته بقوة إلهية، أنا معبر الجيش على زندي وكفي، فعند ذلك قال: مديديك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنك معجزه، وأنه يخرج منك أحد عشر نقيباً... الحديث^(١).

بيان: اعلم إن الأئمة جمع إمام على وزن فعال لما يفعل به، كاللباس ويجمع على الألبسة كالإمام على الأئمة، ومثل النظام والقوام والكتاب والعصام، فالإمام من يؤتم به، قال تعالى: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾^(٢) أي يأتّم بك الناس فيتبعونك، ويسمى كل من يتبع به إماماً لأن الناس يأمون أفعاله أي يقصدونها ويتبعونها. ويقال للطريق أيضاً إمام لأنه يؤم أي يقصد ويتبع، وفسر قوله تعالى: ﴿وإنهما لإمام مبين﴾^(٣) بالطريق الواضح.

وقوله تعالى: ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾^(٤)، قيل: أي بكتابهم، أو بدينهم لما فيهما من المقصودية والمتبوعية، ولذلك يطلق أيضاً على كل نبي أو وصي، وعلى إمام الجماعة والجمعة ونحو ذلك، وهو من أمة يؤمّه أماً - من باب قتل - إذا

(١) راجع البحار ٣٦: ٢١٢ ح ١٤.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) الحجر: ٧٩.

(٤) الاسراء: ٧١.

قصده، ومعنى التبعية لازم للقصد، ويقال للمقتدى: المؤتم، لكونه طالباً للإتباع. وأصل الأئمة أئمة، نقلت حركة الميم إلى الهزرة الثانية وأدغمت فصار أئمة، فحينئذ فمنهم من يُبقي الهزرة مخففة على الأصل، ومنهم من يسهلها أي يخففها بقلبها ياءً لكونها حرف حركتها، ومنهم من يقلبها ألفاً كما في آدم، وآخر بلحاظ الأصل، ومنهم من يسهلها بين بين أي يجعلها بين نفسها وبين حرف حركتها.

والمراد من الأئمة هم الإثنى عشر المعصومون (عليهم السلام)، وهذا معنى اللفظ بالحقيقة العرفية الثانوية، وهو المعنى الإصطلاحي المتشاعي، أو أنّ اللفظ ينصرف إليه لأنّه الفرد الشائع في الإستعمالات العرفية إنصرف المطلق إلى الأفراد الشائعة أو الكاملة، بناء على جعل الكمال أيضاً موجِباً للإنصراف كالغلبة، أو أنّ اللفظ ينصرف إليه بمعونة القرينة الجاعلة لكون اللام للعهد الخارجي.

والنقباء: جمع النقيب كالكرماء في الكريم، والشرفاء في الشريف، فعيل بمعنى الفاعل، من نقب الجدار ونحوه - من باب قتل - إذا خرّقه، والمصدر النقّب وكذلك النقابة - بالفتح -، والإسم النقابة - بالكسر - الكولاية والولاية. ونقب البيطار بطن الدابة كذلك ليعلم ما فيها من العيوب والأمراض، ومنه النقب في الجبل للطريق الواسع فيه كأنّه خرّقه فيه، ولذا فسّر قوله تعالى: ﴿فنبقوا في البلاد﴾^(١) بمعنى طافوا وتباعدوا، أو ساروا في نقوبها أي في طرقها طلباً للهرب.

ونقيب القوم كالكفيل والضمين ينقب عن الأسرار، ومكنون الضمائر والأخبار، وهو كالعريف سمّي به لأنّه يعلم دخيلة أمر القوم، ويعرف الطريق إلى معرفة أمورهم، قال تعالى: ﴿وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾^(٢) أي أمرنا موسى

(١) ق: ٣٦.

(٢) المائدة: ١٢.

بأن يبعث من الأسباط الإثني عشر إثني عشر رجلاً كالطلائع، يتجسسون ويأتون بأخبار أرض الشام وأهلها للجبارين، واختار من كل سبط رجلاً يكون لهم نقيباً.

وفي الخبر أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قد جعل ليلة العقبة كلّ واحد من الجماعة الذين بايعوه بها نقيباً على قوم أي رئيساً متقدماً عليهم، وكانوا إثني عشر نقيباً كلّهم من الأنصار^(١).

وكان سهل بن حنيف من النقباء الذين اختارهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان بدرية عقيباً أحياناً، وكان له خمس مناقب، وكان عبادة بن الصامت أيضاً منهم، وقد تكرر ذكره في الخبر.

والمنقبة: الفضيلة والمعجزة والكرامة ونحو ذلك، لأنها يُنقب عنها أي يُفتش عنها للعلم بها، وفي الخبر: لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، أي أفتش وأكشف^(٢). والنجباء: جمع النجيب نظير ما مرّ، وأصل النجيب هو الفاضل من كلّ شيء، وقد نجب - بالضم - نجابة إذا كان فاضلاً نقيّاً في نوعه، والأنثى نجيبة، وجمعها النجب والنجائب كالكرام في الكريم والكُرُم، والكرائم في الكريمة، وفي الخبر: الأنعام من نجائب القرآن^(٣)، أي من أفاضل سورة.

ومنه المنتجب بمعنى المختار من إنتاجه إذا اختاره واصطفاه واستخلصه، وأصل النجب - بالتحريك - لحاء الشجر، وبالتسكين مصدر نجبت الشجرة إذا أخذت قشر ساقها وبقي خالصه، وهذا مستلزم للإخلاص والخلوص والخيرة والصفاء، فاستعمل في المعنى السابق.

وهذا الذي ذكر في معنى النقيب والنجيب إنما هو المعنى اللغوي بالعرف العام، وباعتباره يطلقان على الأئمة (عليهم السلام)، واللام فيهما للعهد، ولكلّ

(١) النهاية ٥: ١٠١، لسان العرب ١٤: ٢٥٢ / نقب.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) النهاية ٥: ١٧، لسان العرب ١٤: ٤١ / نجب.

منهما معنى آخر بالعرف الخاص من باب الحقيقة العرفية الخاصة المتشرعية، وهو صنف من الأولياء وعباد الله الصالحين.

كما ذكروا أنه لا بد أن لا يكون العالم خالياً عن القطب، والأركان الأربعة، والأوتاد السبعة، والأبدال الثلاثين، والنقباء الأربعين، والنجباء السبعين، والصلحاء الثلاث مائة والثلاثة عشر، واختلف في بعض الأصناف إسماء ورسماء، ووجوداً وعدماً، وتقدماً وتأخراً، وقلة في العدد وكثرة.

مثلاً قيل في الأبدال أنهم أربعون، إستناداً إلى ما روي عن أبي الدرداء، عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: إن الأنبياء كانوا أوتاد الأرض، فلما انقطعت النبوة أبدل الله مكانهم قوماً من أمتي يقال لهم الأبدال، لم يفضلوا على الناس بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن بحسن الخلق، وصدق النية، وسلامة القلوب لجميع المسلمين، والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله، أولئك خلفاء الأنبياء قوم اصطفاهم الله لنفسه، واستخلصهم بعلمه، وهم أربعون صديقاً منهم ثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن، بهم تقوم الأرض، وبهم يمطرون، وبهم يرزقون، وبهم ينصرون على الأعداء... الخبر.

وهكذا، والتفصيل موكول إلى محلّه، وقد أشرنا إليه في الجملة في مبحث المعاد من كتابنا المسمّى بالاصول المهمة، الذي ألفناه في أصول الدين والملة، عند الإشارة إلى بعض أحوال الرجعة، ومن أرادته فليراجعه.

[في تسميتها (عليها السلام) بالمحدثة]

ومنها المحدثّة، روي في العلل عن زيد بن عليّ قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إنما سمّيت فاطمة محدّثة لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة إنّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا مريم اقتني لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدّثهم ويحدّثونها، فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضّلة على نساء نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنّ مريم كانت سيّدة نساء عالمها،

وإنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلك سيِّدة نساء عالمك وعالمها، وسيِّدة نساء الأولين والآخِرِينَ^(١).

وفيه عن سليمان قال: قال محمَّد بن أبي بكر: لما قرأ (عليه السَّلام): «وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي ولا محدِّث» قلت: وهل تحدَّث الملائكة إلَّا الأنبياء؟ قال: مريم لم تكن نبيَّة وكانت محدِّثة، وأمُّ موسى بن عمران كانت محدِّثة ولم تكن نبيَّة، وسارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة، فبشَّروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ولم تكن نبيَّة، وفاطمة بنت رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) كانت محدِّثة ولم تكن نبيَّة^(٢).

قال الصدوق (رحمه الله): فلمَّا قرَّر الله عزَّ وجلَّ في كتابه أنَّه ما أرسل من النساء أحدًا إلى الناس في قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلَّا رجالاً نوحى إليهم﴾^(٣) ولم يقل نساء، فالمحدِّثون ليسوا برسل ولا أنبياء^(٤).

وقد روي أنَّ سلمان الفارسي كان محدِّثاً، فسئل الصادق (عليه السَّلام) عن ذلك وقيل له: من كان يحدثه؟ فقال: رسول الله وأمير المؤمنين كانا يحدثانه بما لا يحتمله غيره من مخزون علم الله ومكنونه.

وذكر حمَّاد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السَّلام) يقول: تظهر الزنادقة سنة ثمانية وعشرين ومائة، وذلك لأنَّني نظرت في مصحف فاطمة، قال: فقلت: وما مصحف فاطمة؟

فقال: إنَّ الله تعالى لَمَّا قبض نبيَّه (صَلَّى الله عليه وآله) دخل على فاطمة من

(١) علل الشرائع: ١٨٢ ح ١ باب ١٤٦، عنه البحار ٤٣: ٧٨ ح ٦٥، والموالم ١١: ٨٨ ح ١، وفي دلائل الإمامة: ٨٠ ح ٢٠.

(٢) علل الشرائع: ١٨٣ ح ٢ باب ١٤٦، عنه البحار ٤٣: ٧٩ ح ٦٦، والموالم ١١: ٨٨ ح ٢، وفي مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٦ في معجزاتها.

(٣) يوسف: ١٠٩.

(٤) علل الشرائع: ١٨٣ ذيل حديث ٢، عنه البحار ٤٣: ٧٩ ذيل حديث ٦٦.

وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فأرسل إليها ملكاً يسلي عنها غمها ويحدثها، فحكّت ذلك إلى أمير المؤمنين فقال لها: إذا أحسست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته فجعل (عليه السلام) يكتب كلما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً، قال: ثم قال: أما أنّه ليس فيه من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون^(١).

وعن أبي عبيدة قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) بعض أصحابنا عن الجفر، فقال: هو جلد ثور مملوء علماً، فقال له: ما الجامعة؟ قال: تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج، فيها كلّ ما يحتاج إليه الناس، وليس من قضية إلا وفيها حتى أرش الخدش.

قال له: فما مصحف فاطمة؟ فسكت طويلاً ثم قال: أنكم تبحثون عما تريدون وعما لا تريدون، إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) خمسة وسبعين يوماً، وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان عليّ (عليه السلام) يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة^(٢).

وفي رواية أخرى عن الصادق (عليه السلام): مصحف فاطمة فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد^(٣)، وليس فيه من حلال ولا حرام، ولكن فيه علم ما يكون^(٤).

من نمی گویم که آن عالی جناب هست پیغمبر ولی دارد کتاب و ذکر بعض علماء الجفر في رسالة جمعها في القواعد الجفريّة مسنداً

(١) الكافي ١: ٢٤٠ ح ٢، وبصائر الدرجات: ١٧٧ ح ١٨، عنه البحار ٤٣: ٨٠ ح ٦٨، والعوالم ١١: ٨٣٦ ح ٤.

(٢) الكافي ١: ٢٤١ ح ٥، وبصائر الدرجات: ١٧٣ ح ٦، البحار ٤٣: ٧٩ ح ٦٧، والعوالم ١١: ٨٣٥ ح ٣.

(٣) الكافي ١: ٢٣٩، بصائر الدرجات: ١٧٢، عنه البحار ٢٦: ٣٨ ح ٧٠، والعوالم ١١: ٨٣٧ ح ٦.

(٤) الكافي ١: ٢٤٠ ح ٢، عنه البحار ٢٢: ٥٤٥ ح ٦٢.

إلى الرواية: إن فاطمة الزهراء (عليها السلام) لما صارت بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) محزونة بالأحزان الشديدة، كان جبرئيل يجيء إليها كل يوم للوعظ والتسليّة من جانب الله سبحانه، وكان يحدثها بعض الأخبار، ويتلو عليها جملة من الأسرار بما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر أو أحد من الأنام حتى الأنبياء العظام والرسل الكرام.

وكانت (عليها السلام) تكتب كل ما سمعت حتى اجتمعت عندها صحيفة مشتملة على أربعين ورقاً، فلما تمت جعلتها في ظرف من الأديم، فختمتها بخاتمها الكريم وسلّمتها إلى سعد ملازمها وخادمها وقالت له: اذهب به إلى شرق المدينة في خارج البلدة، وسر حتى يظهر لك كتيب عظيم من الرملة، فاصعد على الكتيب ترى هناك رجلاً جليلاً نجيباً في الغاية، أبيض اللحية، معتدل القامة، فسلمها إليه وبلغ سلامي عليه وقل: يا سيدي هذه أمانة من سيّدة النساء إليك، ووديعه أودعتها لديك لتوصلها وتؤدّيها إلى ولدي الأجد حجّة الله في الأرضين وخاتم الوصيّن، فإذا سلّمت الأمانة فاحفظ كلّما يقوله لك حتى تأتيني بكلّ ما يقول.

ففعل سعد ما أمرته به إلى أن أراد أن يصعد على الكتيب هبّت هناك ريح عاصف، وزعزع^(١) قاصف، وأخذ طرف الصحيفة من يده، وضربه على أطراف هذا الجبل وتلك الأرض حتى تخرّق الظرف، وطارت الريح بكلّ ورق من الصحيفة إلى طرف غير طرف الآخر، وسعى سعد واجتهد لياخذ بعض الأوراق ولو واحداً منها فلم يتمكّن بذلك، فجعل يبكي ويتضرّع فإذا هو بالشخص الموصوف الذي أمرته بايداع الصحيفة عنده، فسأل سعداً عن جهة بكائه، فحكى قصّة الواقعة وما فعل بها الريح الشديدة العاصفة، فقال: يا سعد اصبر إلى الليل بالاتفاق لعلنا نظفر ببعض الأوراق في أثناء الليل لما يظهر حينئذٍ من نورها كالبدر.

(١) ريح زَعَزَعٌ وَزَعَزَاعٌ وَزَعُوعٌ: شديدة / لسان العرب.

فلما جنّ عليهما الليل رأى سعد في البداء أنواراً في مواضع متفرقة بعدد أوراق الصحيفة، كلّ منها كأنّه شروق الشمس المشرقة، فقال ذلك الشيخ: قم يا سعد نطلب الأوراق، فقاما معاً وتفحصا وجمعا من الأوراق تسعة وثلاثين، وكان نور الورق المتمّم لأربعين يظهر لهما من مكان بعيد، فكلّما طلباه لم يظفرا به إلى أن طلع الصبح.

فقال ذلك الرجل: يا سعد قد فات منّا هذا الورق البتة، وإنّما يصل هو إلى شيعة الزهراء ممّن كان أهلاً له، فأخذ الرجل الأوراق التسعة والثلاثين، وسلّم بعض ودائع إلى سعد ليوصلها إلى فاطمة (عليها السلام).

فرجع سعد إليها فأخبرها الخبر، ثمّ أنّه وقع هذا الورق الفاتت إلى سمت المغرب، وكان فيه أسرار وقعت في أيدي الغربيّين، وذلك بأنّهم أخذوا ذلك الورق فوجدوا فيه أربعين سطراً، في كلّ سطر علم معظم ممّا هو مجموع عند الغربيّين، ومن جملة تلك العلوم: الطلسمات، والنيرنجات، والإخفاء، وطّي الأرض، والكيمياء، والليمياء، والهيما، والسيما، والريما، والنصب، والعزل، والقبض، والبسط، والعقد، والحلّ، والتصرّف في الحياة والممات، والرزق، والرمل، والأعداد، والجفر.

وهي أحد وعشرون علماً متداولاً بين غير الغربيّين أيضاً، ولكن تسعة عشر من هذه العلوم موجودة بين الغربيّين وحدهم لم تصل إلى غيرهم، وقد جمع العلوم الأحد والعشرين السيد حسين الأغلاطي وغيره من أهل هذا الفنّ في كتبهم، إنتهى.

بيان: لفظ المحدثّة - بضمّ الميم، وفتح الحاء، وتشديد الدال المهملة - قرئ بفتح الدال إسم مفعول من حدّثه تحديثاً إذا أخبره، سمّيت بذلك لما ظهر من الأخبار المذكورة من أنّ الملائكة كانت تحدّثها، وفي وصف فاطمة: «أيتها المحدثّة العليمة»^(١).

(١) البحار ١٠٠: ١٩٥ ح ١٢، وفي المتن: (العليلة) وما أثبتناه فمن البحار.

وسلمان أيضاً كان يسمّى بالمحدث - كما مرّ - من جهة كون محمد وعليّ صلوات الله عليهما يحدثانه بالعلوم المكنونة، وفي الخبر أنّ أوصياء محمد (صلّى الله عليه وآله) محدّثون، أي تحدّثهم الملائكة وفيهم جبرئيل من غير معاينة، ومثله قوله: إنّ في كلّ أمة محدّثين من غير نبوة.

وقرئ بكسر الدال أيضاً بمعنى أنّها كانت تحدّث أمّها في بطنها قبل الولادة، كما يظهر من الأخبار الواردة في حمل خديجة بها ووضعها لها، وسيجيء الإشارة إلى بعضها، أو أنّها أيضاً كانت تحدّث الملائكة كما كانت الملائكة يحدثونها، على ما مرّ في الأخبار السابقة.

والمصحف - بضمّ الميم وكسر ها، والضّم أشهر، والحاء المفتوحة فيهما - وهو مجتمع الصحف أي مجمعها، ومنه سمّي القرآن الذي صنّفه عثمان مصحفاً، لأنّ القرآن كان قبل ذلك سوراً متفرقة، وآيات متقطعة، وأوراق منتشرة، وصحفاً متشتتة، فإذا جمعوا الصحف وجعلوها مجتمعة في نسخة واحدة سمّوها مصحفاً، فهو كان في الأصل إسماعاً للقرآن الذي كتبه عثمان بخطّه، وكان يقال له الإمام أيضاً أي إمام المصاحف، لكون سائر المصاحف مستنسخة منها، ثم استعمل في تلك المصاحف أيضاً، ولهذا المقام تفصيل آخر.

فظاهر إطلاق مصحف فاطمة كون أصله صحفاً متعدّدة اجتمعت في نسخة واحدة، كما يظهر ممّا ذكره بعض علماء الجفر أنّه كان أوراقاً متعدّدة، ويسمّى كلّ قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه شيء صحيفة.

وفي النهاية^(١) أنّه (صلّى الله عليه وآله) كتب لعينة بن حصين كتاباً، فلمّا أخذه قال: يا محمد أتراني حاملاً إلى قومي كتاباً كصحيفة المتلمّس، والصحيفة الكتاب، والمتلمّس شاعر معروف واسمه عبد المسيح بن جرير، كان قدم هو وطرفة الشاعر على الملك عمرو بن هند، فنقم عليهما أمراً فكتب لهما كتابين إلى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما وقال: إنّني قد كتبت لكما بجائزة.

فاجتازا بالبحيرة فأعطى المتلمّس صحيفته صبيّاً فقرأها فإذا فيها يأمر عامله بقتله، فألقاها في الماء ومضى إلى الشام وقال لطرفة: افعل مثل فعلي فإنّ صحيفتك مثل صحيفتي، فأبى عليه ومضى بها إلى العامل، فأمضى فيه حكمه وقتله، فضرب بهما المثل.

[في تسميتها (عليها السلام) بالبتول]

ومنها البتول، وكان ذلك يُطلق على مريم أيضاً، وفي العلل عن عليّ (عليه السلام) أنّه سئل النّبي: ما البتول، فإنّا سمعناك تقول: إنّ مريم بتول وفاطمة بتول؟ فقال (صلى الله عليه وآله): البتول التي لم تر حمرة قطّ أي لم تحض، فإنّ الحيض مكروه في بنات الأنبياء^(١).

وعن أسماء بنت عميس قالت: قلت لرسول الله (صلى الله عليه وآله): قد كنت شهدت فاطمة وقد وَلَدَتْ بعض ولدها فلم أر لها دمأ، فقال (صلى الله عليه وآله): إنّ فاطمة خلقت حوريّة في صورة إنسيّة^(٢).

وقال (صلى الله عليه وآله) لعائشة: يا حميراء إنّ فاطمة ليست كنساء الآدميين، لا تعتلّ بما تعتلّ به^(٣).

وإطلاق حميراء على عائشة لكونها بيضاء والعرب تقول للبيضاء حمراء، كما ذكر السيد أحمد العاصم، ويجوز كون اللفظ على أصل معناه، أو كناية عن مطلق الحسناء، والتصغير بحسب الظاهر تصغير المحبة كما في بُنَيّ، وبحسب الباطن تصغير التحقير.

وعن الصادق (عليه السلام) قال: حرّم الله النساء على عليّ (عليه السلام) ما

(١) علل الشرائع: ١٨١ ح ١ باب ١٤٤، عنه البحار ٤٣: ١٥ ح ١٣، ومعاني الأخبار: ٦٤ ح ١٧، ومناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٠، ودلائل الإمامة: ١٤٩ ح ٦١، كشف الغمة ٢: ٩٢، والعوالم ١١: ٨٠ ح ٥.

(٢) المناقب لابن المغازلي: ٣٦٩ ح ٤١٦، ذخائر العقبى: ٤٤، دلائل الإمامة: ١٥٠ ح ٦٢، كشف الغمة ٢: ٩١، العوالم ١١: ٨٣ ح ١، ونحوه لسان الميزان ٣: ٢٩١ ح ٤٤٦٤ في ترجمة العباس بن بكار الضبيّ.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٠، والبحار ٤٣: ٦، والعوالم ١١: ٨٠ ح ٥.

دامت فاطمة حيّة، لأنها كانت طاهرة لا تحيض^(١).

وقال عبيد الهروي في الغريبين: سمّيت مريم بتولاً لأنها بتلت عن الرجال، وسمّيت فاطمة بتولاً لأنها بتلت عن النظير^(٢).

وفي مصباح الأنوار عن الباقر (عليه السلام) قال: إنّما سمّيت فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) الطاهرة لطهارتها من كلّ دنس، وطهارتها من كلّ رفت، وما رأت قطّ يوماً حمرة ولا نفاساً^(٣).

وعن أنس بن مالك، عن أمّه قالت: ما رأت فاطمة دمأ في حيض ولا في نفاس^(٤).

وعن الباقر (عليه السلام): إنّ بنات الأنبياء لا يطمنن، إنّما الطمّث عقوبة، وأوّل من طمّثت سارة^(٥).

بيان: يمكن أن يراد من البتول معنى المنقطعة عن الضرة، إذ لا ضرة لها لا في الدنيا ولا في الآخرة، أمّا في الدنيا فلاّن عليّاً (عليه السلام) لم يتزوج عليها ما دامت حيّة، سواء قلنا بجواز تزويجه عليها أم لا، وإن كان الأظهر هو الأخير، وأمّا في الآخرة فقد رووا أنّه لا يكون لعليّ في الجنّة زوجة إلاّ فاطمة (عليها السلام)^(٦).

ويجري هذا الإحتمال في معنى فاطمة أيضاً، وقد بيّنا أنّ اختلاف الأخبار

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٣٠، عنه البحار ٤٣: ١٦، والعوالم ١١: ٨٢ ح ٤، ونحوه تهذيب الأحكام ٧: ٤٧٥ ح ١٩٠٨، وأمالى الطوسي ٤٣ ح ٤٨ مجلس ٢.

(٢) راجع المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٣٠، عنه البحار ٤٣: ١٦، والعوالم ١١: ٨٠ ح ٧، عن الغريبين.

(٣) البحار ٤٣: ١٩ ح ٢٠، والعوالم ١١: ٨٢ ح ٧، عن مصباح الأنوار.

(٤) أمالي الصدوق: ١٥٣ ح ٩ مجلس ٣٤، عنه البحار ٤٣: ٢١ ح ٩، والعوالم ١١: ٨٤ ح ٣، واحقاق الحق ٣٠٩: ١٠.

(٥) علل الشرائع: ٢٩٠ ح ١ باب ٢١٥، عنه البحار ٤٣: ٢٥ ح ٢١، والعوالم ١١: ٨٥ ح ٨، ومستدرک الوسائل ٢: ٣٨ ح ٧.

(٦) راجع مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٢٤، عنه البحار ٤٣: ١٥٤ ح ١٣.

في وجه التسمية يكشف عن اعتبار معنى كلّي يصدق مع كلّ من الوجوه المحتملة، على ما مرّ في بيان معنى لفظ فاطمة.

وأصل البتل القطع أي أنها منقطعة عمّا ذكر، وعن نساء زمانها بعدم رؤية الدم حيضاً ولا نفاساً ولا استحاضة، ومن هنا أيضاً سمّيت إنسيّة حوراء.

وفي النهاية^(١): امرأة بتول: منقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم، وبها سمّيت مريم أمّ عيسى (عليه السلام)، وسمّيت [فاطمة] بالبتول أيضاً لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً ودينياً وحسباً، أو لانقطاعها عن الثوبه لكونها بكرّاً دائماً، أو لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى، من قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِلًا﴾^(٢).

تكميل: [في باقي أسائها (عليها السلام)]

ولها (عليها السلام) أسماء غير ذلك كما ذكره الصدوق وغيره، مثل: الحصان، الحرّة، العذراء، المباركة، الطاهرة، الزكيّة، الراضية، المرضية، الصديقة الكبرى، ومريم العذراء، إلى غير ذلك.

والحصان - بفتح الحاء - بمعنى المرأة العفيفة، وقد حصنت المرأة - مثلت الصاد - أي عفّت، وهي بيّنة الحصانة - بالفتح - أي العفة، أصله من الحصن - بالكسر - وهو المكان الذي لا يُقدر عليه لارتفاعه، ولهذا أيضاً سمّي الفرس الكريم العتيق بالحصان - بالكسر - لكون ظهره كالحصن لراكبه.

وجفّل الحصان - بالفتح - للمرأة الكريمة، وبالكسر للفرس بملاحظة مناسبة كون الفرس مركوباً والإنسان راكباً، فالفتح لل فوق والكسر لل تحت، كما قيل في الجنّازة والجنّازة بالنسبة إلى الميت والسرير على وجه، وإن قيل بالعكس أيضاً وباستعمال كلّ في كلّ.

وأحصن الرجل إذا تزوّج فهو محصّن - بالكسر - على القياس، والهمزة

(١) النهاية ١: ٩٤، لسان العرب ١: ٣١٢ / بتل، العوالم ١١: ٨١ ح ٩.

(٢) المزمل: ٨.

حينئذٍ للصيرورة أي صار ذا حصن، مثل أغدّ البعير أي صار ذا غدة، وأثمر الرجل أي صار ذا ثمر، ومحصّن - بالفتح - على غير القياس على ما قيل.

ويجوز أن يجعل الهمزة للتعدية فيكون الفتح أيضاً قياساً، قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾^(١) بصيغة المجهول وقرئ بالمعلوم أيضاً، والتي أحصنت فرجها بمعنى في فرجها على الصيرورة، وبمعنى منعه على التعدية، والمراد أنّها عَفَّتْ فهي محصّنة ومحصنة - بالكسر والفتح -.

والمحصنات من المؤمنات، والمحصّنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أي النساء الحرائر، وحَصَّنَ - بالضم - حصانة فهو حصين أي منيع، ويتعدى بالهمزة والتضعيف.

وفي الدعاء: «أَسْأَلُكَ بِدَرْعِكَ الْحَصِينَةِ»^(٢) أي التي يتحصّن بها ويستدفع بها المكاره، وفي دعاء الإستنجاء: «اللَّهُمَّ حَصِّنْ فَرْجِي»^(٣) المراد من تحصينه ستره وعفته وصونه عن المحارم، ومنه الخبر: «حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ»^(٤)، وتحصّن العدو إذا دخل الحصن واحتوى به.

والحرّة - بضمّ الحاء - أنثى الحرّ، وهي الشيء الخالص الصافي من كلّ شوب وريبة، ومنه الحرّ خلاف العبد لاستخلاصه عن تصرّف الغير وتعلّقه، واستخلاصه من الرقيّة، والحرّ من الطين والرمل ما خلص من الإختلاط بغيره، ومنه الحديث: «الطين الحرّ يجعل على دم الميت الذي لا ينقطع».

والحرّة خلاف الأمة، وجمعها على حرائر على غير قياس، مثل شجرة مرّة وشجر مرائر، قال السهيلي: ولا نظير لهما لأنّ باب فُعْلَةٌ - بضمّ الفاء - يجمع على فُعْلٍ مثل عُرفة وعُرف، وإنّما جمعت حرّة على حرائر لأنّها بمعنى كريمة وعقيلة،

(١) النساء: ٢٥.

(٢) البحار ٩٨: ١٢٥ ح ٣.

(٣) البحار ٨٠: ١٨٠ ح ٢٩.

(٤) قرب الاسناد: ١١٧ ح ٤١٠، عنه البحار ٩٣: ٢٨٨ ح ٣، وفي مكارم الأخلاق: ٣٨٨.

ومرة بمعنى مريرة أو بمعنى خبيثة الطعم، فجمعت أيضاً جمع فُعْلَةٍ.
والعذراء بمعنى البكر، يقال: امرأة عذراء أي بكر، لأنَّ عذرتها - بضم العين -
وهي جلدة البكارة باقية، ودم العذرة دم البكارة، وهي (عليها السلام) كانت بكرًا
دائمًا، فيكون بمعنى البتول على أحد الوجوه.
والمباركة بمعنى كثير اليمن والبركة أي الزيادة، لكون الأئمة من نسلها،
واستفاضة عالم الكون من ضوئها، وهي الشجرة المباركة الزيتونة التي هي لا
شرقية ولا غربية.

والطاهرة والزكية معناهما المطهرة عن الذنوب، وسوء الخلق، وجميع
الأرجاس الظاهرية والباطنية، فالطاهرة عن الظاهرية، والزكية عن الباطنية، أو
كل في كل، وفي إطلاق لفظ الطاهرة إشارة إلى طهارتها في الأصل، دون أن
يعرض لها الطهارة بعد الخبثاء.

وإطلاق الرضية لرضاها عن الله ورسوله حين ذهبت إلى النبي
(صلى الله عليه وآله) فطلبت منه خادمة وقالت: «لا أطيق على شدائد البيت»
فعلمها النبي (صلى الله عليه وآله) تسبيح فاطمة، وبشر لها بثوابه، فقالت ثلاثاً:
«رضيتُ عن الله ورسوله» فرجعت إلى بيتها وقالت: «طلبت من أبي خير الدنيا
فأعطاني خير الآخرة»^(١).

أو لرضاها عن الله تعالى فيما أعطاهَا من القرب، والمنزلة، وطهارة الطينة،
وغير ذلك من المراتب العالية في الدنيا والبرزخ والآخرة من حيث الجاه،
والمنزلة، والنعمة، والشرف، والفضيلة.

أو لرضاها عنه تعالى في جعل الشفاعة الكبرى بيدها من الانتقام من قتلة
ولدها في الدنيا والآخرة، وإطلاق الرضية لأنَّ الله تعالى يعطي لها في الآخرة من
الكرامات الفاخرة حتى ترضى، كما قال لأبيها: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾^(٢)

(١) راجع المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٤٢، عنه البحار ٤٣: ٨٥ ح ٨.

(٢) الضحى: ٥.

أو لأنَّ الله تعالى ورسوله وبـِـعلها راضون عنها، أو لأنَّ جميع الموجودات راضية عنها لاستفاضتها بفيوضها إلى غير ذلك.

والصديقة الكبرى لأنَّها الصديقة ظاهراً وباطناً، لفظاً كما قالت عائشة: «ما كان أصدق منها إلّا الذي ولدها»^(١)، ومعنى بتصديقها وعد ربّها بما لا مزيد عليه قولاً وفعلاً.

ومن أسمائها في السماء: المنصورة، النورية، السماوية، الحانية، لكونها منصوره في قتل ولدها بقيام القائم (عليه السّلام)، «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله» «ينصر من يشاء».

والنورية ظاهرة، والسماوية لكونها من العوالم العالية على ما أشير إليه فيما مرّ، والحانية المشفقة على زوجها وأولادها، وقيل: الحانية التي تقيم على ولدها ولا تتزوج عطفاً وشفقة لأولادها، ومن فضائل النساء كونهنّ أحنى على ولدها، وأرعى على زوجها، وهذه كناية عن غاية العطفة وعدم القساوة.

ولها (عليها السّلام) أسماء آخر في الأرض والسماء ك: الميمونة، والمعصومة، والدرّة البيضاء، والكوثر على أحد التفاسير في معنى الآية، مراداً من الكوثر معنى كثير الخير والبركة، من جهة كون الذّرية الطاهرة النبوية من نسلها، مع أنّ السادات العلوية الفاطمية تختلط وتشتبك من جهة التكاثر والتزاوج، والتوالد والتناسل مع سائر الأئمة حتى تصير جميع الرعيّة من نسلها (عليها السّلام) في آخر الأزمنة، وكلّها محرمة لها بلا شبهة وريبة.

[في بيان الفواطم]

واعلم أنّ المسماة بفاطمة من الدوحة النبوية والسلسلة الهاشمية ثلاث

(١) مستدرک الحاكم ٣: ١٧٥ ح ٤٧٥٦، ذخائر العقبى: ٤٤، مقتل الحسين للخوارزمي: ٥٦، الاستيعاب

٣٧٧، حلية الأولياء ٢: ٤١، كشف الغمة ٢: ١٠٠.

مشهورات: فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) زوجة أمير المؤمنين (عليه السلام).

وفاطمة بنت أسد بن هاشم أمه (عليها السلام)، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي، وكانت هي أول امرأة هاجرت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من مكة إلى المدينة على قدميها، وكانت من أبر الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولما ماتت ألبسها رسول الله (صلى الله عليه وآله) قميصه، واضطجع في قبرها لتكسى من حلل الجنة، ويهون عليها القبر، وتزول عنها الوحشة.

وفاطمة بنت عبد الله بن عمرو بن عمران بن مخزوم جدّة النبي (صلى الله عليه وآله) لأبيه، ومنه قيل للحسن والحسين (عليهما السلام): ابنا الفواطم. وفي الحديث: قد ولدت محمد بن الحنفية ثلاث فواطم^(١)، أراد فاطمة بنت عمران بن عائذ، وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت زائد بن الأصم، وفي الخبر أنه (صلى الله عليه وآله) أعطى علياً (عليه السلام) حلّة سرياء وقال: شققها خُمرًا بين الفواطم^(٢)، أراد فاطمة بنت رسول الله، وفاطمة بنت أسد الله، وفاطمة بنت حمزة عمّه.

(١) راجع الكافي ١: ٣٠٣ ضمن حديث ٣، عنه البحار ٤٤: ١٤٤ ضمن حديث ٩.

(٢) الرياض النضرة ٣: ١٩٤، إحقاق الحق ٦: ٥٥٧.

فصل

في بيان أفضليّة بعض الأنوار الأربعة عشر على بعض آخر وبيان

أفضليّتهم مطلقاً على من سواهم من الأنبياء والأولياء وغيرهم
إعلم أنّ من تتبّع الأخبار والآثار، وجاس خلال تلك الديار، ظهر عنده
كالشمس في رابعة النهار أنّ أفضل جميع المخلوقات، وأشرف جميع
الموجودات، هم الأنوار الأربعة عشر، وهم أهل دائرة واحدة هي أعلى الدوائر
الكونيّة، لا دائرة فوقها في الشرف والفضيلة، وهم من طينة واحدة، ونور كلّ منهم
من جنس نور الآخر، لكن بالتقدّم والتأخّر كالضوء من الضوء على ما في الخبر.
والمبدأ في تلك الدورة العليّة، والسلسلة الجليّة هو ختم الأنبياء
(صلّى الله عليه وآله)، والمنتهى هي فاطمة الزهراء (عليها السّلام)، وبعد ختم
الأنبياء في درجة الفضيلة هو ختم الأولياء، وبعده أولاده المعصومون على نحو
التدرّج الوجودي، فالترتب الصوري إنّما وقع على طبق الترتب المعنوي إلّا في
فاطمة (عليها السّلام) فإنّها متأخّرة.

ومادّل على أفضليّة الحسين (عليه السّلام) على أخيه الحسن (عليه السّلام)،
أو أفضليّة القائم (عليه السّلام) على من سبقه فدلالته غير واضحة، إذ الأفضليّة
قسمان: ذاتيّة ووصفيّة، أي أصليّة وعارضيّة، وكلامنا إنّما هو في الأصليّة، ودلالة
الأدلة ليست على أزيد من العارضيّة، فكون الحسين (عليه السّلام) مثلاً منشأ

للآثار الظاهرية من قبول الشهادة والألام، والمصائب الجليلة لأحياء الشريعة وغير ذلك، يوجب له صفة فضيلة ليست للحسن (عليه السلام)، لكنه لا يوجب كون الحسين (عليه السلام) بالذات أشرف منه.

وعلى هذا النحو كون القائم (عليه السلام) مظهر الآثار الجلالية والجمالية، ومنشأ القدرة الإلهية، فإنَّ كلَّ ذلك منوط بمصلحة الوقت والزمان، وغير ذلك خارج عن محلِّ الكلام البتة.

ففي درجات الجنة، ومراتب القرب والمنزلة، درجة الحسن أعلى من الحسين البتة، والحسين القرط الأيسر من العرش، والحسن هو القرط الأيمن، فلو فرض مجلس واحد للأخيار وجلس فيه هؤلاء الأنوار، كما في مقعد صدق عند مليك مقتدر، لا يجلس الحسين (عليه السلام) إلا تحت يد الحسن (عليه السلام)، وكذا القائم (عليه السلام) تحت يد أبيه الحسن (عليه السلام) لا فوق يد جدّه عليّ السجاد (عليه السلام)، ولا غيره ممّن بعده.

فلو كان للسلطان ولدان أصغر وأكبر، فالحشمة الظاهرية في الولد الأصغر بكونه مثلاً قائد الجيوش، ومكابد الحروب من جهة مناسبتة وقابليته لتلك المرتبة الظاهرية، لا توجب أفضليته على الولد الأكبر الذي فوقه في الفضيلة الذاتية من جهة التدبير والعلم والحكمة، وسائر الصفات الفاضلة الكمالية.

مثلاً إذا كان الولد الأصغر دون الأكبر في هذه الصفات الكاملة، وإن كان يحصل للولد الأصغر فضيلة أخرى من الجهة السابقة، ومع ذلك لا يقال عند الإطلاق إنَّ الولد الأصغر للسلطان أفضل من الأكبر، فتأمل وتدبر فإنَّ هذه الجملة تكفي لمن كان من أهل البصر والبصيرة.

ثمَّ إنَّ المحقق من الروايات والأخبار إنَّ مرتبة الأنبياء مطلقاً تحت مرتبة هؤلاء الأنوار، فيكون كلُّ من الأنوار الأربعة عشر أفضل من الأنبياء حتى أولى العزم منهم أيضاً، لكون الأنبياء مطلقاً مخلوقين من أنوار هؤلاء الأنوار، والنور أسفل من المنير من حيث المرتبة بمراتب كثيرة.

وأنا لا أطيل الكلام في المرحلة لوضوح الحال عندي، بل عند كلِّ من كان له

أدنى ممارسة للآثار والأخبار المأثورة، وأقول كما قال ابن أبي الحديد في السبعة العلوية:

هذا اعتقادي قد كشفت غطاءه سبيضاً معتقداً له أو ينفع^(١) ولكنني أذكر هنا ما ذكره في هذا المقام بعض العلماء الأعلام، ليكون الناظر في كتابنا هذا على بصيرة ممّا ذكره القوم، مع كونه من جهة بعض فقراته وأستشهاداته مؤيداً لما ذكرنا، ومفضلاً لما أجمعنا.

قال: قد تحقّق أنّ النّبّي والأئمة (عليهم السّلام) قد خلقوا من نور واحد، والنّبّي (صلّى الله عليه وآله) له فضيلة على عليّ (عليه السّلام)، وذكروا أنّ له الفضل على سائر الأئمة (عليهم السّلام) ووجهه ظاهر، وأمّا الحسنان فالذي يظهر من أخبارهم أنّ لهما الفضيلة على باقيهم، ولعلّ وجهه القرب من النّبّي (صلّى الله عليه وآله)، ومشاهدة الوحي، وهبوط الملائكة في منازلهم، والقرب من زمن الإسلام، وغير ذلك، وأمّا هما فلم نعرف الأفضليّة بينهما، لأنّ الإمامة والخلافة قد أتهما معاً، وقد كانا في الكمالات كفرسي رهان، مع ما خصّ به الحسين (عليه السّلام) عوض الشهادة، بأن جعل الشفّاء في تربته والأئمة من ذرّيته، واستجابة الدعاء تحت قبّته، ونحو ذلك.

وفي الروايات الخاصّة أنّ فاطمة (عليها السّلام) أتت بهما إلى النّبّي (صلّى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله ورّث ولديك، فقال (صلّى الله عليه وآله): أمّا الحسن فله سؤددي وعلائي، وأمّا الحسين فله سخاوتي وشجاعتني^(٢).

ومنّ هذا كان الحسين (عليه السّلام) في الدرجة القصوى من الكرم والشجاعة، أمّا الكرم فقد كان الحسن (عليه السّلام) يكتب إليه بأنك تعطي الشراء ونحوهم كثيراً من الأموال، فأجابه الحسين (عليه السّلام): بأنك تعلم يا

(١) الروضة المختارة: ١٤٣.

(٢) أنظر الإرشاد للمفيد: ١٨٧، والخصال: ٧٧: ١٢٢ باب ٢، عنه البحار: ٤٣: ٢٦٣ ح ١١، والمناقب لابن شهر آشوب: ٣: ٣٩٦، ومسند فاطمة: ٥٥، وكنز العمال: ١٢: ١١٣ ح ٣٤٢٥٠، ومختصر تاريخ دمشق: ٧: ٢١ رقم ١، والمعجم الكبير: ٢٢: ٤٢٣ ح ١٠٤١، والأنوار النعمانية: ١: ١٩.

أخي إنّ خير المال ما وقى به العرض^(١).

وفيه دلالة على أنّ الإعطاء بقصد صون العرض حسنة ولولم يكن من أهل الإستحقاق، وروى مصرّحاً به في بعض الأخبار أنّ العطاء لصون العرض يكتب فيه ثواب الصدقة^(٢).

وأما الشجاعة فناهيك بواقعة الطفوف، وقدمه على الجهاد مع ستين ألفاً، وإنّه (عليه السلام) قتل منهم الجماعات، ولم يتسلّطوا عليه حتى احتالوا عليه بأن زاحموا عليه كلّهم، وقد كانت العادة بينهم قديماً أن يبرزوا واحد لواحد، مع ما لحقه من العطش والأذى بقتل أهل بيته واخوته، ولكن قد سبق الكتاب أجله.

وفي الروايات أنّ الحسين (عليهما السلام) قد تكاتبا فجاء إلى النّبي (صلّى الله عليه وآله) ليميّز بين كتابتيهما، وقد كانا طفلين من حيث ظاهر الحالة، فقال (صلّى الله عليه وآله) لهما: إنّني أُمّي ولكن إمضيا إلى أبيكما، فجاء إليه فقال أبوهما: إمضيا إلى أمكما لتميز بينكما، فلما أتيا إليها قالت: يا ولديّ عقدي فيه سبع من اللثالي، فأنا أقطعه فكلّ من يحوز الأربع فسطره الأحسن، فلما ألقتهما تبادرا إلى الالتقاط، فالتقط كلّ واحد منهما ثلاثاً، وأتى جبرئيل فضرب بجناحه اللؤلؤة وقذّها نصفين، فأخذ كلّ منهما نصفاً^(٣).

فانظر إلى رعاية حرمتها حيث لم يرد الله ورسوله وأبوهما إدخال غمّ الترجيح عليهما، وأمثال هذه الروايات الدالّة على المساوات بينهما لا تكاد تحصى، مع أنّه (صلّى الله عليه وآله) ورّثهما من إرثه الشريف، فكان الحسن يشبهه من السّرة إلى فوق، والحسين يشبهه في النصف الباقي^(٤). وفي الروايات الكثيرة أنّ الجنّة قالت: يا ربّ أسكنني الضعفاء والمساكين،

(١) العدد القوية: ٢٩٢ ح ١٨، عنه البحار ٧٨: ٣٥٢ ح ٩، الأنوار النعمانية ١: ١٩.

(٢) راجع الأنوار النعمانية ١: ١٩.

(٣) راجع البحار ٤٥: ١٩٠ ضمن حديث ٣٦، والأنوار النعمانية ١: ١٩.

(٤) راجع الأنوار النعمانية ١: ٢٠ وانظر أيضاً إرشاد المفيد: ١٩٨، كشف الغمّة ٢: ١٤٥، مسند عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) للسيوطي ١: ١٧٤ رقم ٥٤٤، مختصر تاريخ دمشق ٧: ١١٧ رقم ١٢٦، حياة الإمام الحسن من تاريخ دمشق: ٣٣ ح ٦١، إحقاق الحق ١٩: ٢٨٦.

قال لها الله تعالى: ألا ترضين أني زينت أركانك بالحسن والحسين؟! قال: فماست كما تميز العروس فرحاً^(١)، إلى غير ذلك.

وأما باقي الأئمة فالأخبار قد اختلفت في أحوالهم في المساوات والأشرفيّة، فروى الصدوق مسنداً إلى مولانا أبي عبدالله الحسين (عليه السلام) قال: دخلت أنا وأخي علي جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأجلس أخي علي فخذة الأيمن وأجلسني علي فخذة الآخر، ثم قتلنا وقال: بأبي أنتما من إمامين صالحين إختاركما الله منّي ومن أبيكما وأمكما، واختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة تاسعهم قائمهم، كلّهم في الفضل والمنزلة عند الله سواء^(٢).

وفي الروايات الآخر (إنّ أفضلهم قائمهم)^(٣)، ولعلّ أفضليّته باعتبار تشييد أركان الدين، وكثرة جهاده، وإعزاز المؤمنين به ونحو ذلك.

ثمّ قال: أعلم أنّه لا خلاف بين أصحابنا (رحمهم الله) في أشرفيّة نبيّنا علي سائر الأنبياء للأخبار المتواترة، وإنّما الخلاف بينهم في أفضليّة أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) على الأنبياء ما عدا جدّهم، فذهب جماعة إلى أنّهم أفضل من باقي الأنبياء ما خلا أولى العزم، فهم أفضل من الأئمة، وبعضهم إلى مساواتهم، وأكثر المتأخّرين إلى أفضليّة الأئمة على أولى العزم وغيرهم وهو الصواب، والدليل عليه وجوه:

الأوّل: قول النّبّي (صلى الله عليه وآله): «لولا عليّ لم يكن لفاطمة كفو آدم ومن دونه»^(٤)، وقد اعترض الرازي^(٥) على هذا بأن إبراهيم وإسماعيل أبواها فلا

(١) إرشاد المفيد: ٢٤٩، ومناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٩٥، عنه البحار ٤٣: ٢٩٣ ح ٥٤، وكشف الغمّة ٢:

١٤٩، والمقتل للخوارزمي: ١٠٣، تاريخ بغداد ٢: ٢٣٨، والأنوار النعمانية ١: ٢٠.

(٢) كمال الدين: ٢٦٢ ح ٩، عنه البحار ٢٥: ٣٥٦ ح ٤، والأنوار النعمانية ١: ٢٠.

(٣) راجع البحار ٣٦: ٣٧٢، والأنوار النعمانية ١: ٢٠.

(٤) الخصال: ٤١٤ ح ٣ باب التسعة، علل الشرائع: ١٧٨ ح ٣، أمالي الصدوق: ٤٧٤ ح ١٨ مجلس ٨٦،

روضة الواعظين: ١٤٨، أمالي الطوسي: ٤٣ ح ٤٦، دلائل الإمامة: ٧٩ ح ١٩، كشف الغمّة ٢: ٩١، البحار

٤٣: ١٠ ح ١، مقتل الحسين للخوارزمي: ٦٥، الفردوس ٣: ٣٧٣ ح ٥١٣٠، ينابيع المودة ٢: ٢٤٤

ح ٦٨٦، والأنوار النعمانية ١: ٢١.

(٥) راجع الأنوار النعمانية ١: ٢١.

يدخلان في هذا العموم، والجواب ظاهر وهو أنّ المراد النظر إلى الكفويّة مع قطع النظر عن الأبوة، مع أنّ غيرهما كاف في باب التفضيل، إذ لا قائل بالفرق بين موسى وإبراهيم (عليه السلام).

الثاني: ما رواه المفضّل بن عمر قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمّد وعليّ والحسن والحسين والأئمة (عليهم السلام) فعرضها على السماوات والأرض والجبّال فغشيها نورهم، فقال الله تبارك وتعالى للسماوات والأرض والجبّال: هؤلاء أحبّائي وأوليائي، وحجّجي على خلقي، وأئمة بريّتي، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منهم، ولمن تولّاهم خلقت جنّتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري.

قال: فلما أسكن آدم وحوّاء الجنّة نظرا إلى منزلة النّبّي (صلّى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) فوجدها أشرف منازل أهل الجنّة، فقال لهما سبحانه: لولاهم ما خلقتكما^(١).

الثالث: ما روي مستفيضاً من قوله (صلّى الله عليه وآله): إذا كان يوم القيامة أقام الله عزّ وجلّ جبرئيل ومحمّداً (صلّى الله عليه وآله) على الصراط، لا يجوز أحد إلّا من كان معه براءة من عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وإلّا هلك وأنزله الله الدرك الأسفل^(٢).

وكذا روي أنّه لا يدخل الجنّة أحد إلّا من كان معه براءة من عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)^(٣) ولفظ (أحد) في الموضعين نكرة في سياق النفي يفيد العموم.

(١) معاني الأخبار ١٠٨ ح ١، عنه البحار ١١: ١٧٣ ح ١٩، والأنوار النعمانية ١: ٢١.

(٢) بشارة المصطفى: ١٢٢، عنه البحار ٣٩: ٢٠٨ ح ٢٧، وانظر فرائد السمطين ١: ٢٨٩ ح ٢٢٨، المناقب للخوارزمي: ٣١٩ ح ٣٢٤، المقتل للخوارزمي: ٣٩٠، المناقب لابن المغازلي: ١٣١ ح ١٧٢، ينابيع المودة ١: ٣٣٥ ح ١٤، والأنوار النعمانية ١: ٢١.

(٣) نحوه المناقب لابن المغازلي: ٢٤٢ ح ٢٨٩، وذخائر العقبى: ٧١، الرياض النضرة ٣: ١٣٧، المناقب للخوارزمي: ٣١٩ ح ٣٢٤، فرائد السمطين ١: ٢٨٩، والأنوار النعمانية ١: ٢١.

وروي أن يوم القيامة يبعث الله رضوان بمفاتيح الجنة، ومالكاً بمفاتيح النار فيدفعهما إلى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، ويأتي إلى شفير جهنّم فيقف والملائكة تسوق الناس إلى الصراط وهو واقف عنده، فيقول: يا نار هذا لي وهذا لك^(١)، وهذا معنى كونه قسيم الجنة والنار على ما تواترت به الأخبار.

وفي أحاديث عيون أخبار الرضا (عليه السلام) أن النبيّ (صلى الله عليه وآله) سمى أبا القاسم لأنّه ربّي عليّاً (عليه السلام) في حجره لمّا أخذه من أبي طالب عام قحط، وعليّ قاسم الجنة والنبيّ (صلى الله عليه وآله) أبوه، فهو أبو القاسم^(٢). الرابع: ما رواه ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ وأنا لنحن المسبّحون^(٣) قال: كنّا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأقبل عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فلمّا رآه النبيّ (صلى الله عليه وآله) تبسّم في وجهه وقال: مرحباً بمن خلقه الله قبل أبيه آدم (عليه السلام) بأربعين ألف عام، فقلت: يا رسول الله كان الإبن قبل الأب؟

فقال: نعم، إنّ الله سبحانه خلقني وخلق عليّاً قبل أن يخلق آدم بهذه المدة، خلق نوراً فقسّمه نصفين، فخلقني من نصفه وخلق عليّاً من النصف الآخر قبل الأشياء، فنورها من نوري ونور عليّ، ثمّ جعلنا من يمين العرش، ثمّ خلق الملائكة فسبّحنا فسبّحت الملائكة، وهللنا فهلّلت الملائكة، وكان ذلك في علم الله السابق أن الملائكة تتعلّم منّا التسبيح والتهليل والتكبير، وكلّ شيء يسبّح الله ويكبره ويهلّله بتعليمي وتعليم عليّ.

وكان في علم الله السابق أن لا يدخل النار محبّ لي ولعليّ، وكذا كان في علمه أن لا يدخل الجنة مبغض لي ولعليّ.. الحديث^(٤).

(١) الأنوار النعمانية ١: ٢٢، نحوه المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٥٨، عنه البحار ٣٩: ٢٠٤ ضمن حديث ٢٣.

(٢) راجع البحار ١٦: ٩٥ ح ٢٩، الأنوار النعمانية ١: ٢٢.

(٣) الصفات: ١٦٥-١٦٦.

(٤) إرشاد القلوب: ٤٠٤، عنه البحار ٢٦: ٣٤٥ ح ١٨، وتأويل الآيات: ٤٨٧، وتفسير كنز الدقائق: ١١.

١٩٣، والأنوار النعمانية ١: ٢٢.

وتسبيح الأنبياء وتهليلهم وتكبيرهم مطلقاً بتعليم الملائكة المتعلمين من محمد (صلى الله عليه وآله) ومن علي (عليه السلام)، وظهر أن مرتبة الاستاد المعلم أعلى درجة من التلميذ، سيما إذا كان تلميذ التلميذ.

الخامس: ما استفاض في الأخبار من أن علم الأئمة أكمل من علوم كل الأنبياء، وذلك أن من جملة علم الاسم الأعظم وهو ثلاثة وسبعون حرفاً، حرف منها استأثر به الله تعالى نفسه وإثنان وسبعون علّمها لرسوله وأمره أن يعلمها لأهل بيته، وأمّا باقي الأنبياء (عليهم السلام) فقال الصادق (عليه السلام): «إن عيسى بن مريم أعطي حرفين كان يعمل بهما، وأعطى موسى أربعة أحرف، وإبراهيم ثمانية أحرف، ونوح خمسة عشر حرفاً، وآدم خمسة وعشرون حرفاً، وقد جمع كل ذلك لمحمد (صلى الله عليه وآله)»^(١).

وروى صاحب كتاب الأربعين عن عبد الملك بن سليمان قال: وُجد في ذخيرة حوارى عيسى (عليه السلام) في رق مكتوب أنه: لَمّا تشاجر موسى وخضر في قصة السفينة والغلام والجدار ورجع موسى إلى قومه، فسأله أخاه هارون ممّا شاهده من عجائب البحر.

قال موسى: بينما أنا والخضر على شاطئ البحر إذ سقط بين أيدينا طائر، فأخذ في منقاره قطرة من ماء البحر ورمى بها نحو المشرق، وأخذ ثانية ورمى بها نحو المغرب، وأخذ ثالثة ورمى بها نحو السماء، وأخذ رابعة ورمى بها نحو الأرض، ثم أخذ خامسة فألقاها في البحر.

فبهت أنا والخضر من ذلك وسألته منه فقال: لا أعلم، فبينما نحن كذلك وإذا بصياد يصيد في البحر، فنظر إلينا فقال: مالي أراكما في فكرة من أمر الطائر؟ فقلنا: هو كذلك، فقال: أنا رجل صياد وقد علمت إشارته، وأنتما نبيان لا تعلمان؟! فقلنا: لا نعلم إلا ما علّمنا الله عزّ وجلّ.

(١) بصائر الدرجات: ٢٢٨ ح ٢، عنه البحار ٢٧: ٢٥ ح ٢، ونحوه الكافي ١: ٢٣٠ ح ٢، والأنوار النعمانية

فقال: هذا الطائر في البحر يسمّى (مسلمًا) لأنّه إذا صاح يقول في صياحه: (مسلم)، وإشارته برمي الماء يقول: يأتي في آخر الزمان نبيّ يكون علم أهل السماوات والأرض والمشرق والمغرب عند علمه مثل هذه القطرة الملقاة في هذا البحر، ويرث علمه ابن عمّه ووصيّه عليّ بن أبي طالب، فعند ذلك سكن ما كنّا فيه نتشاجر، واستقلّ كلّ منّا علمه^(١).

وأما حوادث العلوم المتجدّدة بحوادث الأيام في أعصار الأئمة، فقد روي أنّ علمها يعرض على روح النّبيّ (صلّى الله عليه وآله) ومن بعده من الأئمة (عليهم السّلام)، ثمّ يعرض على الإمام الحيّ، حتى لا يكون لآخرهم فضل على أولهم بالعلم، ومن كان أعلم فهو أفضل، قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^{(٢)(٣)}.

السادس: قد روي في عدّة أخبار أنّه قد اجتمع في عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) من الصفات ما وجد في غيره متفرّقاً من الأنبياء السابقين. روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى سليم^(٤) بن قيس قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): عليّ في السماء السابعة كالشمس بالنهار في الأرض، وفي السماء الدنيا كالقمر بالليل في الأرض، أعطى الله عليّاً من الفضل جزء لو قسّم على أهل الأرض لوسعهم، وأعطاه الله من الفهم جزء لو قسم على أهل الأرض لوسعهم، شبّه لينه بلين لوط، وخلقه بخلق يحيى، وزهده بزهد أيّوب، وسخاؤه بسخاء إبراهيم، وبهجته بهجة سليمان بن داود، وقوّته بقوّه داود، وله إسم مكتوب على كلّ حجاب في الجنّة بشرني ربّي^(٥)..... الحديث.

السابع: في صفة منبر الوسيلة من النّبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنّه منبر يؤتى به

(١) راجع البحار ١٣: ٣١٢ ح ٥٢، والأنوار النعمانية ١: ٢٣.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) راجع الأنوار النعمانية ١: ٢٣.

(٤) في أمالي الصدوق: سلمة.

(٥) أمالي الصدوق: ١٧ ح ٧ مجلس ٢، عنه البحار ٣٩: ٣٧ ح ٧، والأنوار النعمانية ١: ٢٤.

في يوم القيامة فيوضع عن يمين العرش، فيرقى النبي (صلى الله عليه وآله)، ثم يرقى من بعده أمير المؤمنين (عليه السلام) فيجلس في مراقبة دونه، ثم الحسن (عليه السلام) في مراقبة دونه إلى آخرهم، ثم يؤتى بإبراهيم وموسى وعيسى والأنبياء، فيجلس كل واحد على مراقاته من دون المراقى.. الحديث^(١).

الثامن: ما رواه أبو حمزة الثمالي قال: دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين (عليه السلام) وقال له: يا ابن الحسين أنت الذي تقول إن يونس بن متى إنما لقي من الحوت ما لقي لأنه عرض عليه ولاية جدي فتوقف عندها؟ فقال: بلى ثكلتك أمك، قال: فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين.

فأمر بشد عيني بعصاة وعيني بعصاة، ثم أمر بعد ساعة بفتح أعيننا، فإذا نحن على شاطئ بحر تضطرب أمواجه، فقال ابن عمر: يا سيدي دمي في رقبتك، الله الله في نفسي، ثم قال (عليه السلام): يا أيها الحوت، فأطلع حوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول: لبيك لبيك يا ولي الله، فقال: من أنت؟

فقال: أنا حوت يونس يا سيدي، إن الله لم يبعث نبياً من آدم إلى أن صار جدك محمد (صلى الله عليه وآله) إلا وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت، فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلص، ومن توقف عنها وتتعن في حملها لقي ما لقي آدم من المصيبة، وما لقي نوح من الفرق، وما لقي إبراهيم من النار، وما لقي يوسف من الحب، وما لقي أيوب من البلاء، وما لقي داود من الخطيئة، ألا إن الله بعث يونس فأوحى إليه أن يا يونس تولّ أمير المؤمنين علياً والأئمة الراشدين من صلبه، فقال: كيف أتولّى من لم أره ومن لم أعرفه؟ فذهب مغاضباً، فأوحى الله تعالى لي: أن التقم يونس ولا توهنن عظمه.

فمكث في بطني أربعين صباحاً يطوف معي البحار في ظلمات ثلاث، ينادي: «أن لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين، قد قبلت ولاية علي بن أبي طالب والأئمة الراشدين من ولده» فلمّا أن آمن بولايتكم أمرني ربّي ففدفته على ساحل

البحر، فقال زين العابدين (عليه السلام): ارجع أيها الحوت إلى وكرك، فرجع الحوت واستوى الماء^(١).

التاسع: ما أورده الصدوق (رحمه الله) نقلاً عن جماعة ثقات قال: لما وردت حرّة بنت حليمة السعدية على الحجاج بن يوسف الثقفي وجلست بين يديه، فقال لها: أنت حرّة بنت حليمة، قد قيل عنك أنك تفضلين عليّاً على أبي بكر وعمر وعثمان؟! قالت: لقد كذب الذين قالوا أنني أفضله على هؤلاء خاصة.

قال: وعلى من غير هؤلاء؟ قالت: أفضله على آدم، ونوح، ولوط، وإبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، وعيسى بن مريم (عليهم السلام)، فقال لها: ويملك أقول لك أنك تفضلينه على الصحابة، فتزيدين عليهم سبعة من الأنبياء من أولي العزم، فإن لم تأتي ببيان ما قلت ضربت عنقك.

ف قالت: ما أنا فضلته على هؤلاء الأنبياء، بل الله تعالى فضّله في القرآن العظيم عليهم في قوله في حقّ آدم: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾^(٢) وقال في حقّ عليّ (عليه السلام): ﴿كان سعيهم مشكوراً﴾^(٣).

فقال: أحسنت يا حرّة فبم تفضيله على نوح ولوط؟ قالت: الله تعالى فضّله عليهما بقوله: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾^(٤) وعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) كان زوجته بنت محمد (صلى الله عليه وآله) فاطمة الزهراء، التي يرضى الله لرضاها، ويسخط بسخطها.

فقال الحجاج: أحسنت يا حرّة، فبم تفضيله على أبي الأنبياء إبراهيم خليل الله؟ ف قالت: الله فضّله عليه بقوله: ﴿وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتى قال

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٣٨، عنه البحار ٤٦: ٣٩ ح ٣٤، ومدينة المعاجز ٢: ٢٨ ح ٣٧١، وتفسير

البرهان ٤: ٣٧ ح ٨، ونحوه دلائل الإمامة: ٢١٠ ح ١٣٤، والأنوار النعمانية ١: ٢٤.

(٢) طه: ١٢١.

(٣) الاسراء: ١٩.

(٤) التحريم: ١٠.

أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴿^(١)﴾ وأمير المؤمنين (عليه السلام) قال قولاً لم يختلف فيه أحد من المسلمين: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، وهذه كلمة لم يقلها قبله ولا بعده أحد.

قال: أحسنت يا حرة، قال: فبم تفضيله على موسى نجى الله؟ قالت: يقول الله تعالى فيه: ﴿فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ ﴿^(٢)﴾ وعلي بن أبي طالب (عليه السلام) بات على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يخف حتى أنزل الله في حقّه: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ ﴿^(٣)﴾.

قال: أحسنت يا حرة، فبم تفضيله على داود؟ فقالت: الله فضله عليه بقوله: ﴿يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾ ﴿^(٤)﴾، قال لها: فأيّ شيء كانت حكومته؟ قالت: في رجلين أحدهما كان له الكرم وللآخر غنم، فنفتشت الغنم في الكرم فرعته، فاحتكما إلى داود فقال: تباع الغنم ويسنق ثمنها على الكرم حتى يعود على ما كان عليه، فقال له ولده: يا أبة بل يؤخذ من صوفها ولبنها، فقال الله عز وجل: ﴿ففهمناها سليمان﴾ ﴿^(٥)﴾، وإن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: إسألوني عما فوق السماء، واسألوني عما تحت الأرض، واسألوني قبل أن تفقدوني.

فقال لها: أحسنت يا حرة، فبم تفضيله على سليمان؟ فقالت: الله فضله عليه بقوله: ﴿وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ ﴿^(٦)﴾ ومولانا قال: يا دنيا طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعند ذلك أنزل الله عليه: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ ﴿^(٧)﴾.

(١) البقرة: ٢٦٠.

(٢) القصص: ٢١.

(٣) البقرة: ٢٠٧.

(٤) ص: ٢٦.

(٥) الأنبياء: ٧٩.

(٦) ص: ٣٥.

(٧) القصص: ٨٣.

فقال لها: أحسنت يا حرّة، فبم تفضيله على عيسى بن مريم؟ قالت: الله فضّله عليه بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ الْهَيْنَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟﴾^(١)، وعليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) لما ادعوا النصيريّة فيه ما ادعوا لم يعاتبه الله سبحانه، فقال: أحسنت يا حرّة خرجت من جوابك، وأعطائها وسرّحها سراحاً حسناً^(٢).

أقول: هذا الجواب منها قد ورد في الأخبار ولكن لم يجتمع في خبر. وفي كتاب المناقب مسنداً إلى صعصعة بن صوحان، أنّه دخل على أمير المؤمنين لمّا ضرب فقال: يا أمير المؤمنين أنت أفضل أم آدم أبو البشر؟ قال عليّ (عليه السّلام): تزكية المرء نفسه قبيح، قال الله تعالى لآدم: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾^(٣) وإنّ أكثر الأشياء أباحها الله تعالى وتركها وما قاربها. ثمّ قال: أنت أفضل أم نوح؟ فقال عليّ (عليه السّلام): إنّ نوحاً دعا على قومه وأنلما دعوت على ظالمي حقّي، وابن نوح كان كافراً وابنائي سيّدا شباب أهل الجنّة. قال: أنت أفضل أم موسى؟ قال: إنّ الله تعالى أرسل موسى إلى فرعون فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكْذِبُونَ﴾^(٤) حتّى قال الله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٥)، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون﴾^(٦) وأنا ما خفت حين أرسلني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بتبليغ سورة براءة أن أقرأها على قريش في الموسم، مع أنّي كنت قتلت كثيراً من صناديدهم، فذهبت بها إليهم وقرأتها عليهم وما خفتهم.

قال: أنت أفضل أم عيسى بن مريم؟ فقال: عيسى كانت أمّه في بيت المقدس،

(١) المائدة: ١١٦.

(٢) راجع الأنوار النعمانية ١: ٢٥، والفضائل لشاذان بن جبرئيل: ١٣٦، عنه البحار ٤٦: ١٣٤ ح ٢٥.

واحقاق الحق ٥: ٤٧.

(٣) البقرة: ٣٥.

(٤) الشعراء: ١٢.

(٥) النمل: ١٠.

(٦) القصص: ٣٣.

فلما جاء وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول: اخرجي، هذا بيت العبادة لا بيت الولادة، وأنا أُمِّي فاطمة بنت أسد لما قرب وضع حملها كانت في الحرم، فانشق حائط الكعبة وسمعت قائلاً يقول لها: ادخلي، فدخلت في وسط البيت وأنا ولدت به، وليس لأحد هذه الفضيلة لا قبلي ولا بعدي^(١).

العاشر: ما رواه الصدوق بإسناده إلى عمار بن ياسر قال: لَمَّا سار عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) إِلَى صَفِّينَ، وَقَفَ بِالْفَرَاتِ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَيُّنَ الْمَخَاضِ؟ فَقَالُوا: أَنْتَ أَعْلَمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ (عليه السلام) لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: إِمَضِ إِلَى هَذَا التَّلِّ وَنَادِ: يَا جَلَنْدَا فَأَيْنَ الْمَخَاضِ؟ قَالَ: فَسَارَ حَتَّى وَصَلَ التَّلَّ وَنَادَى: يَا جَلَنْدَا، فَأَجَابَهُ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ خَلْقٌ عَظِيمٌ، قَالَ: فَبَهِتَ وَلَمْ يَعْلَمْ مَاذَا يَصْنَعُ، فَأَتَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) فَقَالَ: جَاوِبْنِي خَلَقْتُ كَثِيرًا، فَقَالَ الْإِمَامُ (عليه السلام): يَا قَنْبَرُ إِمَضِ وَقُلْ: يَا جَلَنْدَا بَيْنَ كَرَكْرَ أَيْنَ الْمَخَاضِ؟

قال: فمضى وقال: يا جلندا بين كركر أين المخاض؟ فكلّمه واحد وقال لهم: ويلكم من عرف إسمي وإسم أبي عرف أين المخاض، وأنا في هذا المكان وقد بقيت تراباً وقدمت من ثلاثة آلاف سنة، وقد عرفكم بإسمي واسم أبي وهو لا يعلم أين المخاض؟! فوالله هو أعلم بالمخاض منّي، يا ويلكم ما أعصى قلوبكم، وأضعف يقينكم، امضوا إليه واتبعوه فإنه المخاض، فخوضوا فيه فإنه أشرف الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)^(٢).

أقول: وجه الاستدلال بهذا الخبر: أَنَّ أَخَصَّ أَوْصَافِ عِيسَى (عليه السلام) ومعجزاته هو إحياء الموتى، وهنا قد أحى الله تعالى الأموات لرسول عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، فأين هذا من ذاك.

الحادي عشر: ما رواه صاحب كتاب القدسيّات، وهو من أعظم محققي الجمهور، عن النّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) أنّه قال لعليّ (عليه السلام): أَنْتَ مِنْنِي

(١) راجع الأنوار النعمانية ١: ٢٧.

(٢) راجع الأنوار النعمانية ١: ٢٩، وفي الفضائل لشاذان بن جبرئيل: ١٤٠، عنه البحار ٣٣: ٤٥ ح ١٤.

بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، ليعلموا أن باب النبوة قد ضمّ، وباب الولاية قد فتح، وهو إشارة إلى بعث عليّ (عليه السلام) مع الأنبياء باطناً، وإلى سرّ الولاية التي ظهرت بعد محمّد (صلّى الله عليه وآله)، ليكون علماء أمته الذين هم الأولياء وأعين الناس في سواديّة دائرة الولاية وبياضيتها بالنسبة إلى الحقّ^(١).

أقول: هذا الذي رواه من بعثة عليّ باطناً قد روى مضمونه في أخبار أهل البيت عن عليّ (عليه السلام)، وهو إشارة إلى سرّ إلهي في الغاية القصوى من التحقيق، وهو أنّه قد روي عنه (عليه السلام) أنّه قال في جواب من ذكر فضائل الأنبياء الذين ذكرهم الله في القرآن، وخصّ كلّ منهم بنوع من التأييدات الإلهيّة، كنجات إبراهيم (عليه السلام) من نار نمرود وجعلها عليه برداً وسلاماً... الخ، فقال (عليه السلام): والله كنت مع إبراهيم في النار، وأنا الذي جعلتها عليه برداً وسلاماً، وكنت مع نوح في السفينة فأنجيته من الغرق، وكنت مع موسى فعلمته التوراة، وأنطقت عيسى في المهد وعلمته الانجيل، وكنت مع يوسف في الجبّ فأنجيته من كيد إخوته، وكنت مع سليمان على البساط وسخرت له الرياح^(٢).

وفي الروايات الخاصّة أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) كان جالساً يوماً معه رجل من الجنّ يسأله عن أشياء من أحكام الدين، فدخل عليّ (عليه السلام) فتصاغر ذلك الجنّي خوفاً حتى صار مثل العصفور، فقال: يا رسول الله أجرتني من هذا الشاب، فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله): ولم تخافه؟ فقال: «أنّي تمرّدت على سليمان بن داود وسلكت البحار، فأرسل إليّ جماعة من الجنّ والشياطين فلم يقدروا عليّ، وأتاني هذا الشاب وبيده حربة، فضربني بها على كتفي وإلى الآن أثر جراحته، فقال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله): أدن من عليّ حتى تطيب جراحتك، وتؤمن به، وتكون من شيعته، ففعل^(٣).

(١) راجع الأنوار النعمانية ١: ٣٠.

(٢) راجع الأنوار النعمانية ١: ٣١.

(٣) المصدر نفسه.

وخطبة البيان^(١) المنقولة منه تبين هذا كله، وهي مشتملة على الأسرار التي لا يعرف معناها إلا العلماء الراسخون.

الثاني عشر: استفاض من الروايات من أن إبراهيم (عليه السلام) طلب في مدة عمره من الله سبحانه مرة واحدة تطلعه على الملكوت ليشاهده عياناً، فقال: يا رب أرني ملكوت السماوات والأرض، فرفع الحجاب عن وجهه حتى نظر بهذه العين الباصرة إلى ما خلق الله في الأرض والسماء^(٢)، وأما مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد كانت له هذه الحالة طول عمره.

كما روي أنه (عليه السلام) كان يخطب يوماً على المنبر فقال: أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، وأسألوني عن طرق السماوات فأني أعرف بها مني بطرق الأرض، فقام رجل من القوم فقال: يا أمير المؤمنين أين جبرئيل في هذا الوقت؟ فقال (عليه السلام): دعني أنظر.

فنظر إلى فوق، وإلى الأرض، وإلى يمينه ويساره، فقال: أنت جبرئيل، فطار من بين القوم وشق سقف المسجد بجناحه، فكبر الناس وقالوا: الله أكبر يا أمير المؤمنين من أين علمت أن هذا جبرئيل؟

فقال: إني لمّا نظرت إلى السماء بلغ نظري إلى ما فوق العرش والحجاب، ولما نظرت إلى الأرض خرق بصري طبقات الأرض إلى الثرى، ولما نظرت يمناً ويسرة رأيت ما خلق الله ولم أر جبرئيل في هذه المخلوقات، فعلمت أنه هو^(٣).

وروى الشيخ الطوسي (رحمه الله) عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: أعطاني الله تعالى خمساً وأعطى علياً خمساً، أعطاني جوامع الكلم وأعطى علياً جوامع العلم، وجعلني نبياً وجعله وصياً، وأعطاني

(١) راجع الأنوار النعمانية ١: ٣١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) راجع الأنوار النعمانية ١: ٣٢، ونحوه الفضائل لشاذان بن جبرئيل: ٩٨، عنه البحار ٢٩: ١٠٨ ح ١٣.

ومدينة المعاجز ١: ١١٢ ح ٦٤.

الكوثر وأعطاه السلسيل، وأعطاني الوحي وأعطاه الإلهام، وأسرى بي إليه [وفتح له أبواب السماء والحجب حتى نظر إليّ فنظرت إليه^(١)] كان أول ما كلمني به أن قال: يا محمد أنظر تحتك، فنظرت [إلى] الحجب قد انخرقت، وإلى أبواب السماء قد فتحت، ونظرت إلى عليّ (عليه السلام) وهو رافع رأسه إليّ يكلمني وكلمته. وكلمني ربّي عزّ وجلّ وقال لي: يا محمد أتني جعلت عليّاً وصيّك ووزيرك وخليفتك من بعدك فأعلمه فيها هو يسمع كلامك، فأعلمته وأنا بين يدي ربّي عزّ وجلّ، فقال لي: قد قبلت وأطعت، فأمر الله الملائكة أن تسلم عليه، ففعلت فردّ (عليه السلام)، ورأيت الملائكة يتباشرون به، وما مرت بملائكة من ملائكة السماء إلّا هتوني.

ورأيت حملة العرش قد نكسوا رؤوسهم إلى الأرض فقلت: يا جبرئيل لم يكس حملة العرش رؤوسهم إلى الأرض؟ فقال: يا محمد ما من ملك من الملائكة إلّا وقد نظر إلى وجه عليّ بن أبي طالب استبشاراً به ما خلا حملة العرش، فإنهم استأذنوا الله عزّ وجلّ في هذه الساعة فأذن لهم أن ينظروا إلى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فنظروا إليه، فلما هبطت جعلت أخبره بذلك وهو يخبرني به، فعلمت أنّي لم أطأ موطاً إلّا وقد كشف لعلّي عنه حتّى نظر إليه^(٢). أقول: هذا الحديث يدلّك على أنّ عليّاً (عليه السلام) عرج إلى ملكوت السماء وهو جالس في بيته.

هذي المناقب لا قعبان من لبن شييا بماء فصارا بعد أبوالا
هذي المآثر لا ثوبان من يمن خيطا قميصاً فعادا بعد اسمالا
وهذه الحالة قد كانت للأئمة أعني مشاهدات الملكوت، وبها فضّلوا على

(١) أثبتناه من المصدر.

(٢) أمالي الطوسي: ١٠٤ ح ١٦١ مجلس ٤، عنه البحار ١٦: ٣١٧ ح ٧، ومدينة المعاجز ٢: ٦٠٣ ح ٢٥٣، ونحوه الفضائل لشاذان بن جبرئيل: ١٦٨، وأورد ابن بابويه صدر الحديث في الخصال: ٢٩٣ ح ٥٧ باب الخمسة، وابن شهر آشوب في المناقب ٣: ٢٦١، والأنوار التعمانية ١: ٣٢.

سائر الأنبياء.

وروى صاحب مشارق الأنوار باسناده إلى مفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الإمام كيف يعلم ما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره، ثم قال: يا مفضل إن الله جعل فيه أرواحاً: روح الحياة وبها يذب ويدرج، وروح القوة وبها ينهض، وروح الشهوة وبها يأكل ويشرب، وروح الإيمان وبها يأمر ويعدل، وروح القدس وبها حمل النبوة.

فإذا قبض النبي انتقل روح القدس إلى الإمام، فلا يغفل ولا يلهو، وبها يرى ما في الأقطار، وإن الإمام لا يخفى عليه شيء مما في الأرض ولا ما في السماء، وأنه ينظر إلى ملكوت السماوات فلا يخفى عليه شيء، ولا هممة، ولا شيء فيه روح، ومن لم يكن بهذه الصفات فليس بإمام^(١).

والدلائل والأخبار الدالة على هذا المطلب كثيرة جداً، والذي اطلعت عليه منها زهاء ألف حديث.

وروى الصدوق (رحمه الله) في الفقيه عن الرضا (عليه السلام) قال: للإمام علامات: يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأتقى الناس، وأحلم الناس، وأشجع الناس، وأعبد الناس، وأسخى الناس، ويلد مختوناً، ويكون مطهراً، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه، ولا يكون له ظل.

وإذا وقع على الأرض من بطن أمه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين، ولا يحتلم، وتنام عيناه ولا ينام قلبه، ويكون محدثاً، ويستوي عليه درع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولا يرى له بول ولا غائط، لأن الله عز وجل قد وكل الأرض بابتلاع ما خرج منه، ويكون رائحته أطيب من رائحة المسك.

ويكون أولى الناس منهم بأنفسهم، وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم، ويكون أشد الناس تواضعاً لله جلّ ذكره، ويكون آخذ الناس بما يأمر به، وأكف الناس

(١) راجع الأنوار النعمانية ١: ٣٣، ونحوه بصائر الدرجات: ٤٧٤ ح ١٣، عنه البحار ٢٥: ٥٧ ح ٢٥.

والكافي ١: ٢٧٢ ح ٣، ومختصر بصائر الدرجات: ٢.

عَمَّا نَهَى عَنْهُ، وَيَكُونُ دَعَاؤُهُ مُسْتَجَاباً حَتَّى أَنَّهُ لَوْ دَعَى عَلَى صَخْرَةٍ لَانْشَقَّتْ
بِنَصْفَيْنِ، وَيَكُونُ عِنْدَهُ سِلَاحُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَسَيْفُهُ ذُو الْفَقَارِ.
وَيَكُونُ عِنْدَهُ صَحِيفَةٌ فِيهَا أَسْمَاءُ شِيعَتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَصَحِيفَةٌ فِيهَا أَسْمَاءُ
أَعْدَائِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَكُونُ عِنْدَهُ الْجَامِعَةُ - وَهِيَ صَحِيفَةٌ طَوَّلَهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً -
فِيهَا جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلَدَ آدَمَ - وَيَكُونُ عِنْدَهُ الْجُفْرُ الْأَكْبَرُ وَالْأَصْغَرُ أَهَابُ
مَا عَزَّ وَاهَابُ كَبَشٍ، فِيهَا جَمِيعُ الْعُلُومِ حَتَّى أَرَشَ الْخَدَشَ، وَحَتَّى الْجِلْدَةَ، وَنَصْفَ
الْجِلْدَةِ، وَثُلُثَ الْجِلْدَةِ، وَيَكُونُ عِنْدَهُ مَصْحَفُ فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) ^(١)، إِنْ تَنَهَى.

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٤١٨ ح ٥٩١٤ باب النوادر، ومعاني الأخبار: ١٠٢ ح ٤، معنى الإمام المبين،
والخصال: ٥٢٧ ح ١، أبواب الثلاثين، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١: ٤٢٢ ح ١٧٠، ونحوه في
الإحتجاج ٢: ٤٤٨ ح ٣١١، وكشف الغمة ٣: ٨٢، وفي البحار ٢٥: ١١٦ ح ١، والأنوار النعمانية ١: ٣٤.

فصل

[في ولادة الزهراء (عليها السلام)]

وكان مولد الزهراء (عليها السلام) بمكة بعد النبوة بخمس سنين، وقريش تبني البيت، فيكون بثلاث سنين بعد الاسراء على المشهور، وهي السنة الخامسة والأربعون من عام الفيل، وقيل: إنه كان بالحساب الواقعي بأربع سنين وعشرة شهور وخمسة وعشرين يوماً بعد البعثة، أو ثلاثة أيام بدل الخمسة والعشرين، والقول الغير المشهور كونه بسنة أو بسنتين بعد المبعث.

وفي مقاتل الطالبين: إن ولادتها كانت قبل النبوة وقريش حينئذ تبني الكعبة^(١).

وبالجملة كان زمان ولادتها (عليها السلام) أيام حكومة يزيد جرد بن شهر يار من ملوك العجم، الذي كان دار سلطنته قلعة الجولاء قرب بغداد دار السلام، وكان أمر سلطنته مستقرّاً في تلك الأيام إلى أن انهزم في عصر عمر من جيش الإسلام، ففرّ بعد أن انهزم إلى بلاد العجم، وقتل بقلعة هرات أو بنيشابور أو غير ذلك على اختلاف الأقوال والروايات، وكان آخر ملوك العجم، (ونقص أمره إذا تم).

وقد ولدت (عليها السلام) يوم الجمعة وقت الصبح أي في آخر جزء من ليلة الجمعة، وهي الساعة الأخيرة التي هي أفضل الساعات ومحلّ استجابة الدعوات،

(١) مقاتل الطالبين: ٥٩، عنه البحار ٤٣: ٩ ضمن حديث ١٢، والعوالم ١١: ٤٦ ح ٢.

ووجه اختصاص تولدها بتلك الساعة لعلّه أن تكون مستورة عن عيون الأجانب، وبها (عليها السلام) فسّر قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ ﴿﴾ فيها يفرق كلّ أمر حكيم﴾^(١) أي إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ (عليها السلام) في ليلة الجمعة، أو أنزلنا نور الإمامة في فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وهي الليلة المباركة، فالضمير في «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» راجع إلى نور الإمامة، ولذا ورد استحباب قراءة سورة القدر عشر مرّات في تلك الساعة من كلّ ليلة خصوصاً ليلة الجمعة، وليلة القدر أيضاً هي تلك الليلة المباركة.

وروي أنّه لما حان وقت حملها نزل جبرئيل بأمر الله تعالى، فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أن يترك المخالطة مع الناس، ويختار الخلوة والعزلة، ويشغل بعبادة الله سبحانه، ولا يأكل من طعام أهل الدنيا ولو لقمة، ولا يشرب من مياههم ولو جرعة، بل يكون صائماً أبداً ويفطر برطب الجنة أو تينها أو تفاحها، إلى أن انعقد النطفة من طعام الجنة بعد أن تكون أصل تلك النطفة في ليلة الاسراء بأكل هذه الطيبات، على ما مرّ في تسميتها بالإنسيّة الحوراء.

وفي الليلة المتممة للأربعة قارب (صلّى الله عليه وآله) مع خديجة أم المؤمنين قبل عشاء الآخرة، فانعقد تلك النطفة الطيبة النورية، فولدتها بعد تسعة أشهر من الحمل في متمّ العشرين من جمادي الآخرة، وكان حملها وولادتها بمكة في دار خديجة، وهي دار كريمة معروفة نزلت فيها حواء ومريم وآسية مع جمع كثير من الملائكة.

كما ورد في الرواية المبيّنة لكيفية ولادتها التي رواها الصدوق في أماليه عن الفضل بن عمر حيث قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): كيف كان ولادة فاطمة (عليها السلام)؟ فقال: نعم، إنّ خديجة لما تزوّج بها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) هجرتها نسوة مكة، فكنّ لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها، ولا يتركن امرأة تدخل عليها.

فاستوحشت خديجة لذلك، وكان جزعها وغمها حذراً عليه، فلمّا حملت بفاطمة كانت فاطمة تحدّثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتّم ذلك من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فدخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوماً فسمع خديجة تحدّث فاطمة فقال لها: يا خديجة من تحدّثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنّسني.

قال (صلّى الله عليه وآله): يا خديجة هذا جبرئيل يخبرني - أو قال: يبشّرني - أنّها أنثى وأنّها النسلة الطاهرة الميمونة، وإنّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة ويجعلهم خلفائه في أرضه بعد انقضاء وحيه.

فلم تزل خديجة على ذلك إلى أن حضرت ولادتها، فوجّهت إلى نساء قريش وبني هاشم: أن تعالين لتلين منّي ما تلي النساء من النساء، فأرسلن إليها: أنت عصيتنا ولم تقبلي قولنا، وتزوجت محمّداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له، فلسنا نجىء ولا نلي من أمرك شيئاً.

فاغتمت خديجة لذلك، فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال كأنهنّ من نساء بني هاشم، ففرغت منهنّ لمّا رأتهنّ، فقالت إحداهنّ: لا تحزني يا خديجة فإنّا رسل ربك إليك، ونحن أخواتك، أنا سارة، وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة، وهذه مريم بنت عمران، وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران - وفي رواية أخرى: صفوراء بنت شعيب زوجة موسى - بعثنا الله إليك لنلي منك ما تلي النساء من النساء.

فجلست واحدة عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة طاهرة مطهرة.

فلمّا سقطت إلى الأرض أشرق منها النور حتى دخل بيوتات مكة، ولم يبق في مشرق الأرض ولا في مغربها موضع إلّا أشرق فيه ذلك النور، ودخل عشر من الحور العين مع كلّ واحدة منهنّ طست من الجنة وابريق من الجنة، وفي الابريق ماء من الكوثر، فتناولته المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر،

وأخرجت خرقتين بيضاوتين أشدَّ بياضاً من اللبن، وأطيب ريحاً من المسك والعنبر، فلفتها بواحدة وقنعتها بالثانية.

ثمَّ استنطقها فنطقت فاطمة (عليها السَّلام) بالشهادتين وقالت: «أشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ أبي رسول الله سيد الأنبياء، وأنَّ بعلي سيد الأولياء، وولدي سادة الأسباط» ثمَّ سلَّمت عليهنَّ وسَمَّت كلَّ واحدة باسمها، وأقبلن يضحكن إليها، وتباشرت الحور العين، وبشر أهل السماء بعضهم بعضاً بولادة فاطمة، وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك، وقالت النسوة: خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة، زكيَّة ميمونة، بورك فيها وفي نسلها.

فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقمتها ثديها فدرَّ عليها، فكانت فاطمة تنمي في اليوم كما ينمي الصبي في الشهر، وتنمي في الشهر كما ينمي الصبي في السنة^(١). وفي رواية أخرى: تنمي في اليوم كالجمعة، وفي الجمعة كالشهر^(٢)، إلى آخر الحديث، وكانت (عليها السَّلام) قبل أن تتولَّد بثلاثة أشهر تتكلَّم في بطن أمِّها خديجة، وكانت تسلِّيها ممَّا كانت تلومها عليه نساء مكَّة من تزوَّجها بمحمَّد (صلى الله عليه وآله) يتيم أبي طالب ونحو ذلك، وقد كانت تتلو من القرآن سوراً عديدة لها.

ونقل عن خديجة أنَّها قالت: لمَّا انعقد نطفة فاطمة (عليها السَّلام) في رحمي ظهر فيَّ نور وصفاء طويَّة وطينة ارتفع به حجب السماوات والأرضين عن نظري، ولم يبق شيء خفياً عنيَّ ومستوراً عن بصري، فلمَّا وضعتها زالت عنيَّ تلك الحالة.

[في فضائل خديجة سلام الله عليها]

وكانت خديجة أمِّها معروفة بالنجابة والبهاء والجلالة، وأحبَّ النساء عند

(١) أمالي الصدوق: ٤٧٥ ح ١ مجلس ٨٧، عنه البحار ٤٣: ٢ ح ١، والمواالم ١١: ٥٥ ح ١، وروضة

الواعظين: ١٤٣ والخرائج ٢: ٥٢٤ ح ١، والثاقب في المناقب: ٢٨٦ ح ٢٤٥، والعدد القوية ٢٢٢ ح ١٥،

ودلائل الإمامة: ٧٦ ح ١٧، وقطعة منه في المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٤٠.

(٢) دلائل الإمامة: ٨١ ح ٢١، عنه البحار ٤٣: ٩ ح ١٦.

رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكانت أنيسه ومونسه عند الشدائد والمحن، وبذلت أموالاً كثيرة في مصارف ختم الأنبياء.

وهي أول من آمن برسول الله (صلى الله عليه وآله) من النساء، وقد نزل جبرئيل إلى النبي عليه الصلاة والسلام مراراً عديدة بالسلام من الله السلام على خديجة (عليها السلام)، وكانت تقول في جواب كل سلام: إن الله هو السلام، ومنه السلام، وإليه يعود السلام، وعلى جبرئيل السلام، وعليك يا رسول الله الصلاة والسلام^(١).

وهذا من كمال فضلها وفضل كمالها، حيث كانت هي عارفة فطنة عاقلة عالمة بأنه لا يصح السلام على الله سبحانه، وقد مرّت الإشارة إلى جملة من فضائلها (عليها السلام)، وإلى أن سيّدة نساء أهل الجنة أربعة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله)، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم. وروي أنهما رفيقتا خديجة في الجنة، وهما أيضاً من جملة أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) فيها، وروي كلثوم أخت موسى بن عمران (عليها السلام) أيضاً معهما.

وكانت خديجة سلام الله عليها تزوّجت قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بزوجين، أولهما عتيق بن العائد المخزومي، وولدت منه بنتاً واحدة وهي أم محمد بن صفى المخزومي، ثم تزوّجت هند بن زرارة التيمي وولدت منه هند بن هند، ولذا كانت كنيّتها أم هند^(٢).

(١) نحوه في تفسير العياشي ٢: ٢٧٩ ح ١٢، عنه البحار ١٦: ٧ ح ١١، وفي تفسير البرهان ٢: ٤٠١.

(٢) هناك من يذهب إلى أن خديجة سلام الله عليها كانت بكرأ لم تتزوّج بأحد قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله)، راجع لمزيد الإطلاع إلى كتاب (بنات النبي أم ربابه) تأليف العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي، ويؤيد ذلك ما روي في كتاب المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٥٩ حيث قال: وروى أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمترضى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص: أن النبي (صلى الله عليه وآله) تزوّج بها [أبي خديجة] وكانت عذراء، ويؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الأنوار والبدع: أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة.

ثم تزوجت برسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد مضى من عمرها الشريف أربعون سنة، أو ستة وعشرون، أو ثمانية وعشرون على الخلاف والاختلاف، والنبي (صلى الله عليه وآله) يومئذ ابن خمس وعشرين سنة.

وكانت هي تحبه حباً شديداً، وكانت تُنشيء الأشعار في اظهار المحبة للنبي المختار (صلى الله عليه وآله)، ومن أشعارها التي أنشأتها فيه على ما ذكره في المقام، قولها سلام الله عليها:

أيا ريح الجنوب لعلّ علماً
ولولا حملوك إليّ منهم
وحقّ ودادكم أنّي كتوم
أراني الله وصلكم قريباً
فيوم من فراقكم كشه
ومنها أيضاً:

يا سعد إن جزت بوادي الأراك
واستفت غزلان النقاء سائلاً
وإن ترى ركباً بوادي الحمى
نعم سرّوا واستصبحوا مهجتي
ما فيّ من عضو ولا مفصل
أوعدتني بالهجر بعد الوفاء
فاحكم بما شئت وما ترتضي

وكانت هي أوّل من آمن برسول الله (صلى الله عليه وآله) من النساء، وصدّقت بما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) عن الله تعالى، ووازرته على أموره بعد البعثة بل في كلّ حالة، فحفظ الله تعالى بذلك عن النبي (صلى الله عليه وآله) كلّ شديدة.

وكان (صلى الله عليه وآله) لا يسمع شيئاً يكرهه من ردّ عليه وتكذيب وغير ذلك ممّا كان يصدر من جهّال قومه من جهة الإيذاء له، فيحزنه ذلك إلّا فرج الله عنه ذلك إذا رجع إليها، حيث كانت تثبّت وتخفّف عنه، وتهوّن عليه أمر الناس، وكانت على هذه الحالة حتى اختارت الدار الآخرة في السنة العاشرة من البعثة بعد ثلاثة أيّام من فوت أبي طالب (عليه السلام).

وتفاصيل هذه الأمور موكولة إلى محلّها، والغرض هنا مجرد الإشارة إليها والتنبيه عليها، ليكون الناظر في هذا الكتاب على بصيرة في الجملة.

[في تاريخ ولادة الزهراء (عليها السلام) ومدة عمرها]

وبالجملة فالمشهور أنّ فاطمة (عليها السلام) تولّدت بمكة ليلة الجمعة في الساعة الأخيرة منها بخمس سنين بعد البعثة، وأقامت مع أبيها ثماني سنين بمكة، ثم هاجرت (عليها السلام) - بعد الهجرة - إلى المدينة، وأقامت فيها مع أبيها عشر سنين، ومع عليّ (عليه السلام) بعد وفاة أبيها مدة قليلة اختلف في تعيين قدرها كما ستجيء إليه الإشارة، وزوّجها عليّ (عليه السلام) بعد مقدمها المدينة بستين في اليوم الأوّل من ذي الحجة أو غيره على ما يأتي.

وقُبض النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) ولها ثماني عشر سنة بلا زيادة ونقص، أو مع نقیصة سبعة عشر يوماً، أو ثلاثة وثمانين يوماً، أو مع زيادة سبعة أشهر، أو ما دونها.

واختلف في مدة عمرها بعد النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) أنّها ثمانية أشهر، أو سبعة أشهر، أو أربعة أشهر، أو ثلاثة أشهر، أو مائة يوم، أو خمسة وسبعون يوماً، أو إثنان وسبعون، أو شهران، أو خمسة وأربعون، أو أربعون.

وقال جماعة: عمرها (عليها السلام) على التحقيق ثماني عشر سنة وأربعون يوماً، منها ثماني سنة قبل الهجرة وعشرة بعد الهجرة، والباقي بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقال آخرون: الأصحّ أنّ عمرها ثماني عشر سنة إلّا سبعة عشر يوماً، فسبع

سنتين وتسعة أشهر في مكة قبل الهجرة، وعشر سنين إلّا يومين بعد الهجرة، وخمسة وسبعون يوماً بعد وفاة أبيها، وبالجملة عمرها (عليها السلام) ثمانية عشر سنة بزيادة في الجملة أو نقيصة كذلك.

وروي أنّه لما هاجر النّبيّ (صلى الله عليه وآله) من مكّة إلى المدينة وابتنى بها مسجداً، وعلت كلمته، واعتلى علمه وحكمته، وتحدّث به الملوك والشّراف، وخاف نقمة سيفه الأكابر والأشراف، هاجرت فاطمة (عليها السلام) مع أمير المؤمنين ونساء المهاجرين إلى المدينة، وكانت عائشة فيمن هاجر مع فاطمة (عليها السلام)، فقدمت هي المدينة وكان النّبيّ (صلى الله عليه وآله) قد تزوّج في أوّل دخوله المدينة سودة بنت زمعة، ونقل فاطمة (عليها السلام) بعد الورود في المدينة إلى حجرة زمعة، ثمّ تزوّج أمّ سلمة ونقل فاطمة (عليها السلام) من عند زمعة إلى حجرة أمّ سلمة لتربّيها وتنظر إلى أمرها.

قالت أمّ سلمة: تزوّجني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفوّض إليّ أمر ابنته فاطمة (عليها السلام)، فكنّت أءدبها، وكانت والله آدب منّي وأعرف بالأشياء كلّها^(١).
تتميم: [في خصائصها وبعض معجزاتها]

وكان لها خصائص ومعجزات مفصّلة في مواضعها، وقد أشرنا إلى بعضها فيما مرّ، وذلك مثل كونها بعد ولادتها تتشأ في اليوم كالجمعة، وفي الجمعة كالشهر، وفي الشهر كالسنة، ومثل تنوّر جمالها، وظهور نور وجهها كلّ يوم لعلّي (عليه السلام) ثلاث مرّات، على ما مرّ تفصيله في وجه تسميتها (عليها السلام) بالزّهراء.

وانّها كانت أبداً بتولاً عذراء، وكان ثدياها طويلين بحيث كانت تلقيهما من أعلى كتفها على عقبها، وترضع أولادها من وراء ظهرها، على ما ذكر بعضهم ذلك مسنداً إلى الرواية^(٢).

(١) دلائل الإمامة: ٨١ ح ٢١، عنه البحار ٤٣: ٩ ح ١٦، والموالم ١١: ٦١ ح ١.

(٢) أتول: هذا كلام غريب لا يقبله العقل السليم.

وكانت تدعو في أدعية صلاة الليل أولاً لجيرانها ثم لنفسها، فسألها الحسن (عليه السلام) في ذلك فقالت: يا بني الجار ثم الدار^(١).

وكانت (عليها السلام) معصومة مع عدم الإمامة، ذات معجزات وكرامات مع عدم النبوة والإمامة، وكانت من أهل العباء والكساء والمباهلة، وقد عُقِدَ عَقْدُ تزويجها في السماء على ما يأتي إليه الإشارة، وكانت تكلمها الملائكة وتحدثها. وهي أم الأئمة النقباء النجباء، وأنجب الورى من بين النساء، ساطعاً عطر الجنة ورائحتها من بين ثدييها، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يمسّ وجهه لما بين ثدييها كل يوم وليلة يشمّها ويلتذّ من إستشمامها، ولذا كانت تسمّى ريحانة نفس النبي (صلى الله عليه وآله) ومهجتها وبهجتها.

ويختصّ بها التسبيح المشهور بتسبيح فاطمة الزهراء مع فضائله المشهورة على ما سنذكره، وهو مستحبّ مؤكّد عند النوم، وبعد الصلاة المفروضة اليومية، وكانت تكلم مع أمّها في بطنها، وامتلأت الأرض حين ولادتها من الأزهار والرياحين وغيرها، وتنوّر جميع الموجودات من نورها حين ولادتها.

وكانت إذا اشتغلت ببعض الأمور حين الحاجة إلى الرحي والإشتغال بها تحرّك الرحي التي في دارها بلا محرّك، والحنطة تطرح في الرحي بنفسها^(٢)، وقد كانت تدخل يدها في قدر الطعام حين الغليان وتقلّبها كالمرقة^(٣).

وأتى إليها في محرابها المائدة من الجنة مراراً عديدة كمرّيم في موارد متعدّدة مفضّلة في الأخبار المأثورة، وكانت تجعل رغيفين مع قطعة لحم في طرف، وتظهر منه طعاماً معطراً يشبع الخلق الكثير مع بقاءه على حالته.

وظهرت لها (عليها السلام) أربع جوار من الجنة: سلمى لسلمان، وذرة لأبي ذر، ومقدودة لمقداد، وعمارة لعمّار - كما ورد في الأخبار - أظهرت لسلمان من

(١) علل الشرائع: ١٨١ ح ١، عنه البحار ٤٣: ٨١ ج ٣، والعوالم ١١: ٩١٥ ح ١٨٢.

(٢) راجع الخرائج: ٥٣٠ ح ٦، عنه البحار ٤٣: ٢٨ ح ٣٣، والعوالم ١١: ١٩١ ح ١.

(٣) الثاقب في المناقب: ٢٩٣ ح ١، عنه العوالم ١١: ١٩٧ ح ٢.

رطب الجنة ولم يكن له نواة، وعلمته دعاء الحمى الذي أوله «بسم الله النور»^(١) كما سيذكر، وقد اشتفى به أكثر من ألف نفر بالمدينة.

وكانت (عليها السلام) تغلي القدر بلانار^(٢)، وتلاً من كسائها النور لمارهنته عند اليهودي، حتى أشرق نوره على الحيطان والجدران، وأسلم جماعة كثيرة من هذه الجهة^(٣).

وأنها أتت إليها من جانب الله سبحانه بوساطة جبرئيل عشرة أنواع من حلل الجنة، وعشرة قطعة من حلّيها مع مسند وتاج وخدمة في مجلس سرور استدعاها إليه نساء المنافقين بقصد الإستهزاء في السخرية، فتحيّرت الفرقة الحاضرة وآمنوا من جهة هذه الكرامة الزاهرة، إلى غير ذلك من العلامات الظاهرة، والإمارات الباهرة^(٤).

(١) مهج الدعوات: ٥، عنه البحار ٤٣: ٦٦ ح ٥٩، والخرائج ٢: ٥٣٣ ح ٩، والشاقب في المناقب: ٢٩٧ ح ٢٥٣.

(٢) الثاقب في المناقب: ٣٠١ ح ١، عنه العوالم ١١: ١٩٧ ح ١.

(٣) الثاقب في المناقب: ٣٠١ ح ٢، وفي الخرائج ٢: ٥٣٧ ح ١٣، والعوالم ١١: ٢٢٨ ح ١.

(٤) الخرائج ٢: ٥٣٨ ح ١٤، عنه البحار ٤٣: ٣٠ ح ٣٧، والعوالم ١١: ٢٢٩ ح ٣.

عقد مفصل بالشذور في عقد النور من النور:

إعلم أن تزويج فاطمة من عليّ (عليهما السلام) كان في أوّل يوم من ذي الحجة، أو اليوم السادس منه لاختلاف الروايات، وزفافها في الليلة الحادية والعشرين من المحرم سنة ثلاث من الهجرة، وقيل: لأيّام خلت من شوال بعد وفاة أختها رقية زوجة عثمان بستة عشر يوماً حين رجع النّبّي (صلّى الله عليه وآله) من غزوة بدر.

وروي زواجها في رمضان وزفافها في ذي الحجة في السنة الثانية من الهجرة، وفي رواية أخرى أن زواجها في السماء كان في ليلة أربعة وعشرين من رمضان، وفي الأرض بأربعين يوماً بعد ذلك وزفافها في ذي الحجة، أو أن زواجها في الأرض كان في النصف من رجب وزفافها في ذي الحجة، أو أن زواجها في السماء في رجب وفي الأرض في رمضان، وزفافها في ذي الحجة.

فصل: [في خطبتها (عليها السلام)]

وقد كان خطب فاطمة (عليها السلام) جماعة كثيرة من أعيان العرب ووجهها، وسلاطين الأطراف وملوكها، فخابوا ممّا أملوا ولم يصلوا إلى ما طلبوا، كما خطبها أيضاً أبو بكر وعمر وغيرهما من الصحابة.

وكان (صلّى الله عليه وآله) يجيب كلّ أحد ويردّ كلّ خاطب بنوع من الرد، فكان يقول: إن أمر فاطمة إلى ربّها، أو أنّها صغيرة ليس أوان نكاحها، أو نحو ذلك

من الأعداء الشرعية والعرفية، فردّهم في ذلك وجبههم بوجه حالك إلى أن زوجها من عليّ (عليه السلام) على نحو ما يأتي.

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾^(١)، أن النسب ما يحرم نكاحه والصهر ما يحلّ نكاحه، ولم يجتمع النسبة والصهرية بالنسبة إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لأحد من الصحابة إلا لعليّ (عليه السلام)، حيث أنّه كان ابن عمّه وزوج ابنته دون سائر الصحابة^(٢).

وتفصيل هذه الجملة على ما روي في الأخبار الكثيرة، بألفاظ مختلفة ومعان متفقة أنّه لما بلغت فاطمة خطبها أكابر قريش من أهل الإسلام والسابقة والشرف والمنزلة، وأرباب الجاه والثروة والمال والدولة، فردّ كلّ منهم بنحو من الجواب ونوع من الفصل الخطاب.

وكان من جملة الخطّاب أبو بكر وعمر بن الخطاب وغيرهما من وجوه الأصحاب، ولقد أتى أولاً أبو بكر إلى النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لخطبة فاطمة (عليها السلام) وقال بعد السلام والجواب: يا رسول الله أنّك تعلم إسلامي وسابقة صحبتي، وأنا من كبار قريش، وأتّي قد سمعت منك أنّك تقول: «كلّ سبب ونسب ينقطع إلا سببي ونسبي»، وأتّي لراغب في أن تزوّجني فاطمة، وتخصّني بهذه الكرامة. فأعرض عنه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولم يجبه، فأعاد الكلام إلى ثلاث مرّات وكان النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لا يجيبه كلّ مرّة، فقال في المرّة الثالثة: إنّ أمر فاطمة إلى ربّها يزوّجها ممّن يشاء.

فخرج أبو بكر بعد سماع الجواب فلقية عمر بن الخطاب، فحكى له الحال وقال: إنّي أخاف أن يكون في قلب رسول الله كراهة منّي أو ملال، وله عليّ سخط من جهة عارضة، وهذا الإعراض من تلك الجهة، فقال عمر: كن على حالك حتى أخطب أنا أيضاً من رسول الله فاطمة، فإن أجاب لي بما أجاب لك فكن آمناً ممّا يخطر ببالك.

(١) الفرقان: ٥٤.

(٢) نحوه المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٨١، والبحار ٤٣: ١٠٦ ح ٢٢، والموالم ١١: ٣٧٠ ح ١٢.

فأتى عمر إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال مثل ما قاله أبو بكر، وخطب لنفسه فاطمة (عليها السلام)، فأجابه النبي (صلى الله عليه وآله) بما أجاب به أبا بكر، فرجع عمر فذكر له القصة، ثم قال: وأنا أظنّ أنّ رسول الله أخرها لبعض رؤساء العرب ممّن له قدر وشوكة حتى يعتضد به في أمره، ويصل له القدرة والقوّة. وهما كانا في تلك الحالة إذ أتاهما عبد الرحمن بن عوف، فسمع المقال وعرف الحال فقال: أنا أروح إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وأخطبها لنفسي، وأنا أظنّ أن يزوّجها منّي لكثرة مالي ورفاه حالي، وإنّ النبي (صلى الله عليه وآله) رجل فقير لا مال له يمكن أن يميل إلى المال ليصرفه في بعض المهمّات والأشغال. فذهب إلى داره بدّل ثيابه بالبسة فاخرة، وتزيّاً بهيئة رائقة، وطيب ثيابه، وعطر أثوابه، فجاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فخطبها لنفسه بنحو ما خطب غيره، فلم يجبه النبي (صلى الله عليه وآله) وسكت، فظنّ عبد الرحمن أنّ غرض النبي (صلى الله عليه وآله) أن يعيّن مهرها فقال: يا رسول الله وأصدّقها إبلاً كذا، وغنماً كذا، وعبداً كذا، ومن الذهب والفضّة كذا.

فغضب النبي (صلى الله عليه وآله) ومدّ يده الشريفة وأخذ قبضة من رمال المسجد وطرحها في حجر عبد الرحمن، فقال: خذها إليك حتى يكثر بذلك مالك، فسبح تلك الرمال والأحجار في كفّ النبي المختار، فلمّا استقرّت الرمال في حجر عبد الرحمن فإذا هي درّ ومرجان، فقال (صلى الله عليه وآله): يا عبد الرحمن ألم أقلّ لكم مرّة بعد أخرى أنّ أمرها إلى ربّها، فوالله لو خطبها منّي أحد بعد ذلك لدعوت الله تعالى عليه، فأنشأ حينئذٍ كعب بن مالك الأنصاري هذه الأبيات:

فان يك موسى كلّم الله جهرة	على جبل الطور المنيف المعظم
فقد كلّم الله النبي محمّداً	على الموضع العالي الرفيع المسوم
وإن يك نمل البرّ يوهّم كلّمت	سليمان ذا الملك الذي ليس بالعمى
فهذا نبيّ الله أحمد سبّحت	صغار الحصى في كفّه بالترنم
عليه سلام الله ما هبّت الصبا	وما دارت الأفلاك طوراً بأنجم ^(١)

فخرج عبد الرحمن وهو خجلان، وجاء إلى أبي بكر وعمر، وسعد بن معاذ الأنصاري أيضاً معهما، وتكلّموا في ذلك وقد أيسوا عن الطمع في زواج فاطمة (عليها السّلام)، إلى أن قالوا: وإنّ عليّاً لم يخطبها إلى الآن من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ولعلّ ذلك من جهة أنّه فقير لا مال له، وما نرى أنّ الله ورسوله أخرّ فاطمة إلّا له، فلنذهب إلى عليّ ونسأله عمّا يمنعه عن تلك الخطبة. فجاؤوا في جمع كثير من أكابر قريش إلى عليّ (عليه السّلام) وهو في بستان لبعض الأنصار يسقيه بالناضح للاجرة، فجاء عليّ (عليه السّلام) بالرطب الذي أخذه أجرة فوضعه بين أيديهم فأكلوه.

فلما فرغوا شرعوا في ذكر المقدّمة السابقة، فقالوا له: يا عليّ لو أتيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فذكرت له فاطمة فما نراه أخرّها إلّا لك، فإنّ الله تعالى قد جمع فيك مجامع الفضل والشرف، وخصّك بأنواع الكرامات، ولا نعلم شيئاً من خصال الخير إلّا وفيك موجود، ومكانك من رسول الله في القرابة والصّحة والسابقة مشهود، فما منعك من هذه الخطبة وفيها خير الدنيا والآخرة؟!.

فتفرّغت عيناه (عليه السّلام) بالدموع وقال: إنّ هذه لموضع رغبة لا محالة، ولكن يمنعي من ذلك أمران، أحدهما قلّة ذات اليد وضيق المعاش، والآخر أنّي أستحيي من أن أواجه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بهذه الخطبة.

وبالجملة تكلّموا في ذلك كثيراً ولم يتركوا شيئاً في المرحلة إلى أن حرّضوه على تلك المسألة، فأتى عليّ (عليه السّلام) إلى منزله، فبدّل ثيابه وأتى إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو في حجرة أمّ سلمة، ففرع الباب فعرف رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من كيفة قرعه أنّ القارع هو عليّ (عليه السّلام)، فقبل أن يقول هو (عليه السّلام) أنا عليّ قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا أمّ سلمة قومي وافتحي الباب، فإنّ هذا رجل يحبّه الله ورسوله وهو يحبّ الله ورسوله.

قالت أمّ سلمة: يا رسول الله من ذا بهذه المنزلة وقد أمرنا الله تعالى بالحجاب؟ فقال: يا أمّ سلمة منّ بالباب رجل ليس بالخرق ولا التزق، وهو أخي وابن عمّي، وأحبّ الخلق إليّ وأعزّهم عليّ.

قالت أم سلمة: ففتحت الباب ورجعت بالسرعة، وهو (عليه السلام) آخذ بحلقتي الباب حتى عرف أنني دخلت الحجاب، ثم فتح الباب ودخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال (صلى الله عليه وآله): وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

فجلس عليّ (عليه السلام) بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساعة وهو مطرق رأسه، وكان كأنه يريد أن يقول شيئاً لكن يتركه حياءً، فضحك النبي (صلى الله عليه وآله) عند ذلك وقال: يا عليّ ألك حاجة؟ فقال: نعم يا رسول الله، أنك تعلم أنك أخذتني من أبي طالب وجعلتني بمنزلة ولدك، وربيتني في حجرك، وأدبتني بأدبك، وكنت أراف بي من أبي وأمي، وأنت في الدنيا والآخرة حرزي وذخري.

ثم ذكر عليّ (عليه السلام) قرابته منه وقدمه في الإسلام، ونصرته له في كلّ مقام، وجهاده معه في جنب الله، ومكابدته في سبيل الله، فقال: يا عليّ صدقت وأنت أفضل ممّا نطق، وأكمل ممّا ذكرت.

فقال: يا رسول الله أنني قد سمعت منك أنك قلت: كلّ نسب وسبب منقطع إلاّ سببي ونسبي فقال (صلى الله عليه وآله): أمّا النسب فقد سبّب الله، وأمّا السبب فقد قرّب الله^(١).

فقال عليّ (عليه السلام): يا رسول الله ففاطمة تزوّجنيها؟ فقال (صلى الله عليه وآله): يا عليّ أنه قد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك، - قال المجلسي (رحمه الله): الرسل: التأني والرفق، إنتهى -^(٢).

فدخل (صلى الله عليه وآله) عليها، فقامت إليه وأخذت رداءه عن عاتقيه، ونزعت نعليه، وأتته بالوضوء فغسلت رجله، ثم قعدت بين يديه، فقال لها

(١) تفسير روض الجنان لأبي الفتوح ١٤: ٢٤٩ / سورة الفرقان.

(٢) البحار ٤٣: ٩٣.

رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة، فقالت: لبيك لبيك حاجتك يا رسول الله. فقال: يا فاطمة إن عليّ ابن أبي طالب من قد عرفت قرابته، وفضله، وكرامته، ونبله، وسابقتها، وإسلامه، ومنزلته عندي ومقامه، وأنتي قد سألت ربّي أن يزوّجك خير خلقه وأحبهم إلى حضرته، وقد ذكر عليّ (عليه السلام) من أمرك شيئاً في تلك الساعة، فما ترين في ذلك يا فاطمة؟.

فسكتت (عليها السلام) ولم تولّ وجهها، ولم يظهر كراهة منها، فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) من عندها وهو يقول: الله أكبر سكوتها إقرارها، وفي رواية أخرى أنها قالت في الجواب: يا رسول الله أنت أولى بما ترى، غير أن نساء قريش تحدّثنني عنه أنّه رجل دحداح البطن، طويل الذراعين، ضخم الكراديس، أنزع، عظيم العينين، ضاحك السن، فقير لا مال له.

قال المجلسي (رحمه الله): الدحداح: القصير السمين، واندحّ بطنه اتسع، والكردوس: كلّ عظيمين التقيا في مفصل كالركبتين والوركين والمنكبين، والأنزع: هو الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته^(١).

فبيّن النبي (صلى الله عليه وآله) جملة من فضائل عليّ (عليه السلام) في خبر طويل حاصله إن عليّاً أمير المؤمنين مختار الله بين الناس بعده، وأنّه تعالى جعله وزيراً له، وكتب ذلك في صخرة بيت المقدس، وفي سدرة المنتهى، وفي قوائم العرش وشجرة طوبى التي يجري من أصلها نهر ينفجر منه الأنهار الأربعة، أي نهر ماء غير آسن، ونهر لبن لم يتغيّر طعمه، ونهر خمر لذّة للشاربين، ونهر عسل مصقّى، وهي الأنهار المذكورة في قوله تعالى:

﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذّة للشاربين وأنهار من عسل مصقّى ولهم فيها من كلّ الثمرات...﴾^(٢) الآية.

(١) البحار ٤٣: ١٠١.

(٢) محمد: ١٥.

وأنه أول من ينشق الأرض عنه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأول من يقف معه على الصراط ويقول للنار: «خذي هذا وذري هذا» وأول من يكسى إذا اكتسى النبي (صلى الله عليه وآله)، وأول من يقرع معه باب الجنة، وأول من يسكن معه في عليين، وأول من يشرب معه من الرحيق المختوم، فلا يضره أنه فقير لا مال له.

وأما أنه بطين فإنه مملوء من علم خصه الله به وأكرمه من بين الأمة، وأما أنه أنزع عظيم العينين فإن الله تعالى خلقه بصفة آدم، وأما طول يديه فإن الله تعالى طولهما يقتل بهما أعداء الله وأعداء رسوله، وبه يظهر الله الدين، وهو يقاتل المشركين على تنزيل القرآن، والمنافقين من أهل البغي والنكث والفسوق على تأويل الفرقان.

ويخرج الله من صلبه سيدي شباب أهل الجنة، ويزين بهما عرشه، وإن الله جعل ذرية كل نبي من صلبه، وجعل ذرية خاتم الأنبياء من صلب علي، وأنه لولا علي ما كانت له ذرية^(١).

ومن جملة ما ذكره (صلى الله عليه وآله) في فضل علي (عليه السلام) في هذه المرحلة أنه قال: لا يرد على الله تعالى ركباً أكرم منا أربعة: أخي صالح على ناقته، وعمي حمزة على ناقتي العضباء، وأنا على البراق، وعلي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنة هي من النور، وعيناها من الياقوت، وبطنها من الزبرجد الأخضر، وقوائمها من الذهب الأصفر، إلى غير ذلك، فقالت فاطمة (عليها السلام): يا رسول الله إذا ما أختار عليه أحداً من أهل الأرض.

وبعض هذه الفضائل ذكره النبي (صلى الله عليه وآله) لفاطمة (عليها السلام) تسلياً لها بعد زواجها أيضاً، حين ظهر منها كآبة وشكاية مما كانت تقول له نساء قريش لفاطمة (عليها السلام)، عند تغييرها بأن أباهاً زوجها علياً وهو فقير لا يملك شيئاً.

فصل: [في تزويجها في السماء]

وروي أن علياً لما جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) لخطبة فاطمة على ما مرّت إليه الإشارة، وحصل منها الرضا بتلك الخطبة، قال (صلى الله عليه وآله) لعلّي: يا أمير المؤمنين إذا زوّجتها فما تصدقها؟

قال: يا رسول الله إنك تعلم أنه ليس لي إلا سيفي وفرسي ودرعي وناضحي، ولا شيء لي غير ذلك، قال: أما ناضحك فهو وجه معيشتك، وأما سيفك وفرسك فلا غناء بك عنهما تقاتل المشركين بهما، وأما درعك فشأنك بها، فذهب عليّ من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى مصلاه وكان يصلي ويتضرّع إلى مولاه.

فأرسل النبي (صلى الله عليه وآله) سلمان إليه وقال له: ادع لي علياً، فذهب سلمان وسلّم عليه ثم قال: يا عليّ أجب رسول الله فإنه يدعوك إليه، فلما جاء عليّ (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله) قال له رسول الله: أبشر يا عليّ فإنّ الله قد زوّجك بفاطمة في السماء قبل أن أزوّجها في الأرض، فهذا ملك مسمّى بنسطائيل له وجوه متعدّدة وأجنحة مختلفة، وهو من جملة حملة قوائم العرش العظيم، ولم ينزل عليّ قبل ذلك، ويقول لي: أبشر يا محمّد باجتماع الشمل وطهارة النسل، فإنّ الله العليّ الأعلى زوّج فاطمة من عليّ في السماوات العلى، وأمر شجرة طوبى أن تحمل الدرّ الأبيض والياقوت والمرجان، وتنثرها على أهل الجنان.

ثمّ نزل ملك له أربعة وعشرون وجهاً ولم ينزل للنبي قبل ذلك، فقال (صلى الله عليه وآله): حبيبي جبرئيل لم أرك في مثل هذه الصورة قبل هذه الحالة، قال الملك: لست بجبرئيل أنا ملك إسمي محمود، بعثني الله عزّ وجلّ إليك أن أزوّج النور من النور، أو لتزوّج النور من النور، فقال (صلى الله عليه وآله): مَنْ مَن؟ فقال: فاطمة من عليّ^(١).

وروى عبد الله بن ميمون عن أبي حنيفة خبراً كان ينقله بمكة في جماعة من الطالبين، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه لما نزل هذا الملك قال له: السلام عليك يا أول، يا آخر، يا حاشر، يا ناشر، فقال (صلى الله عليه وآله) له: ما تعني بهذه الأسماء؟

قال: أنت أول من يبعث من القبر، وآخر النبيين، وأنت صاحب الحشر والنشر، فقال (صلى الله عليه وآله): ما اسمك؟ قال: إسمي محمود، قال: فلماذا جئت؟ قال: نزلت إليك بأمر الله النور أن تزوج النور من النور، قال (صلى الله عليه وآله): من من؟ قال: فاطمة من علي، فإن الله زوجهما في السماء. قال: فلما ولي الملك فإذا مكتوب بين كتفيه: محمد رسول الله، وعلي وصيه - وفي رواية أبي حنيفة: أيده بعلي ونصرته به - فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): منذ كم كتب ذلك بين كتفيك؟ فقال: قبل أن يخلق الله آدم باثنين وعشرين ألف عام^(١)، وفي خبر آخر: بأربعة وعشرين ألف عام^(٢).

وفي خبر آخر: إنه كان له عشرون رأساً في كل رأس ألف لسان^(٣)، وكان يسبح الله تعالى ويقدسه في كل لسان بلغة لا تشبه لغة أخرى، وراحته أوسع من سبع سماوات وسبع أرضين، واسمه صرائيل، ويمكن أن يكون هو غير الملك المسمى بمحمود.

ثم نزل جبرئيل فقال: يا محمد زوج فاطمة من علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فإن الله تعالى قد رضيها له ورضيه لها - وفي خبر آخر قال جبرئيل: إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة من علي، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) حينئذ لعلي: يا علي أمرت تزويجك بالبيضاء من السماء^(٤).

(١) نحوه كشف الغمة ١: ٣٦١، عنه البحار ٤٣: ١٢٣ ح ٣١، والمناقب للخوارزمي: ٣٤ ح ٣٦٠ وتفسير روض الجنان ١٤: ٢٤٣ / سورة الفرقان.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٤٩.

(٣) كشف الغمة ٢: ٣٦١، عنه البحار ٤٣: ١٢٣ ح ٣١.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٥٠، عنه البحار ٤٣: ١١١.

وورد أيضاً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن زوج علياً بفاطمة قال لعليّ (عليه السلام): يا علي لقد عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة فقالوا: قد خطبناها إليك فمعتنا وزوجت علياً؟! فقلت لهم: والله ما أنا بمنعتكم وزوجته بل الله منعكم وزوجه، وهبط عليّ جبرئيل فقال: يا محمد إنّ الله جلّ جلاله يقول: لو لم أخلق علياً لما كان لفاطمة كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه^(١).

وروي عن عليّ (عليه السلام) أنّه قال: إنّني قد كنت هممت بتزويج فاطمة ولم أتجرأ أن أذكر ذلك للنبي (صلى الله عليه وآله)، وكان ذلك يختلج في صدري ليلي ونهاري، إلى أن قال لي النبي (صلى الله عليه وآله) يوماً: يا عليّ هل لك في التزويج؟ قلت: رسول الله أعلم، وإذا هو يريد أن يزوّجني بعض نساء قريش، وآنني لخائف على فوت فاطمة.

فما مرّ إذ أتاني رسول رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما حضرت رأيته مستبشراً وهو في حجرة أمّ سلمة، فتهلّل فرحاً وتبسّم فقال: أبشر يا عليّ فإنّ الله قد كفاني ما أهمني في أمر تزويجك، وهذا من سنبل الجنة وقرنفلها أتاني بهما جبرئيل، وإنّ الله تعالى أمر سكّان الجنة من الملائكة فزيّنوا الجنان، وأمروا الحور العين بقراءة طه، والطواسين، ويس، وحمسق، وأمر الرياح فنشرت أنواع الطيب والعطر في حافات الجنّة^(٢).

واجتمعت الملائكة في السماء الأولى والثانية والثالثة والرابعة، ثمّ أمر الله رضوان فنصب منبر الكرامة على باب البيت المعمور - أو في البيت المعمور - وهو الذي خطب عليه آدم يوم عرض الأسماء على الملائكة وهو منبر من نور. ثمّ أمر الله ملكاً يسمّى راحيل - ولم يكن في الملائكة أبلغ منه وأفصح - فصعد المنبر فخطب بخطبة لم يسمع بمثلها أهل السماء ولا أهل الأرض في جمع

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١: ٤٣٩ ح ١٧٦، عنه البحار ٤٣: ٩٢ ح ٣.

(٢) أمالي الصدوق: ٤٤٨ ح ١ مجلس ٨٣، عنه البحار ٤٣: ١٠١ ح ١٢. وعيون أخبار الرضا (عليه السلام)

٤٣٦ ح ١٧٤، روضة الواعظين: ١٤٤.

من أهل السماوات والأرضين، وحضور الملائكة العالين والسافلين، فقال في خطبته:

«الحمد لله الأول قبل أولية الأولين، الباقي بعد فناء العالمين، نحمده إذ جعلنا ملائكة روحانيين، وبربوبيته مذعنين، وله على ما أنعم علينا شاكرين، حجبنا من الذنوب، وسترنا من العيوب، أسكننا في السماوات، وقرَّبنا إلى السراقات، وحجب عنا النهم للشهوات، وجعل نهمتنا وشهوتنا في تقديسه وتسيحجه، الباسط رحمته، الواهب نعمته، جلَّ عن إلحاد أهل الأرض من المشركين، وتعالى بعظمته عن إفك الملحدين، أُنذَرنا بأسه، وعَرَّفنا سلطانه، تَوَحَّدَ فَعَلَى فِي الْمَلَكُوتِ الْأَعْلَى، واحتجب عن الأبصار، وأظلم نور عزَّته الأنوار، فكان من إسباغ نعمته، وإتمام فضيلته أن رَكَّبَ الشهوات في بني آدم، إذ خَصَّهم بالأمر اللازم لينشر لهم الأولاد، ويهيئ لهم البلاد، فجعل الحياة سبيل ألفتهم، والموت غاية فرقتهم، وإلى الله المصير».

ثمَّ قال بعد كلام له: «وقد اختار الملك الجبار، صفوة كرمه وعبد عظمته لأُمته سيِّدة النساء، بنت خير النبيِّين، وسيِّد المرسلين، وإمام المتقين، صاحب المقام المحمود، واليوم المشهود، والحوض المورد، فوصل حبله بحبل رجل من أهله، صاحبه المصدِّق، وعونه المبادر إلى كلمته، عليّ الوصول بفاطمة البتول إبنة الرسول»^(١).

ثمَّ نزل جبرئيل عقب الخطبة بالحديث القدسي من عند الله سبحانه، وهو قوله: «الحمد ردائي، والعظمة كبريائي، والخلق كلُّهم عبيدي وإمائي، زوّجت فاطمة أمتي من عليّ صفوتي، فاشهدوا ملائكتي» فشهدت بذلك حملة العرش وسائر الملائكة^(٢).

(١) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٥٢ / سورة الفرقان، والمناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٤٧، عنه البحار ٤٣:

١١٠، والعوالم ١١: ٣٩٦ ح ٢٧.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٤٨، عنه البحار ٤٣: ١١٠، والعوالم ١١: ٣٩٧.

وفي خبر آخر: إنَّ الشهود كانوا أربعين ألفاً من الملائكة^(١)، وفي خبر آخر: ملائكة السماوات والأرضين^(٢).

وروي أنَّ العاقد في هذه المعاقدة كان هو الله سبحانه، والقابل جبرئيل كما أنَّ الخاطب راحيل^(٣)، وفي خبر آخر: أنَّ جبرئيل كان هو الخاطب خطب على صفوف الملائكة في السماء الرابعة، والعاقد والقابل هو الله سبحانه^(٤).

وفي رواية أخرى: إنَّ جبرئيل وميكائيل عقدا نكاح عليّ وفاطمة (عليهما السّلام)، فكان جبرئيل هو المتكلّم عن عليّ (عليه السّلام)، وميكائيل عن فاطمة^(٥).

وفي رواية أخرى: إنَّ الله تعالى أوحى إلى جبرئيل أن زوج النور من النور، وكان الوليّ هو الله، والخطيب جبرئيل، والمنادي ميكائيل، والداعي إسرافيل، والنائر عزرائيل، والشهود ملائكة السماوات^(٦)، ويجوز اتحاد الخطيب والعاقد واتحادهما مع القابل.

وبالجملة فلمّا تمّ العقد نادى المنادي تحت العرش من جانب الله سبحانه: ألاَّ أنَّ اليوم يوم وليمة عليّ بن أبي طالب، وأني زوجته فاطمة بنت محمّد (صلّى الله عليه وآله)، وأمر الله سبحانه سبحانه بيضاء فقطرت عليهم من لؤلؤها وزبرجدها ويواقيتها، فقامت الملائكة فنثرت من سنبل الجنة وقرنفلها^(٧).

وصاحب النثار هنا رضوان، وطبق النثار شجرة طوبى، وأوحى الله إلى سدرة المنتهى أن انثري ما عليك، فنثرت الدر والجوهر والمرجان، فابتدرت الحور

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٤٧، عنه البحار ٤٣: ١٠٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٨٢، عنه البحار ٣: ١٠٧.

(٤) كشف الغمّة ١: ٣٥٩، عنه البحار ٤٣: ١٢٠ ح ٣٠.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٤٦، عنه البحار ٤٣: ١٠٩.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) أمالي الصدوق: ٤٤٩ ح ١، مجلس ٨٣، عنه البحار ٤٣: ١٠٢ ح ١٢.

العين فالتقطن منها، فهنّ يتفاخرن بما أخذن من ذلك ويقلن: هذا من نثار فاطمة بنت محمّد (صلّى الله عليه وآله) ^(١).

وفي الخبر أنّه دخلت أمّ أيمن يوماً على النّبّي (صلّى الله عليه وآله) وفي ملحفتها شيء، فقال لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ما معك يا أمّ أيمن؟ فقالت: إنّ فلانة أملكوها فنثروا عليها فأخذت من نثارها، ثمّ بكت أمّ أيمن وقالت: يا رسول الله زوجت فاطمة ولم تنثر عليها شيئاً.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لم تكذّبين فإنّ الله تعالى لمّا زوج فاطمة عليّاً أمر أشجار الجنّة أن تنثر عليهم من حلّيها وحللها وياقوتها ودرّها وزمردّها واستبرقها، فأخذوا منها ما لا يعلمون، ولقد نحل الله طوبى في مهر فاطمة (عليها السلام) فجعلها في منزل عليّ (عليه السلام) ^(٢).

وفي رواية أخرى أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لمّا زوج فاطمة من عليّ أنّه أناس من قريش فقالوا: إنّك زوجت فاطمة عليّاً بمهر خسيس، فقال (صلّى الله عليه وآله): ما أنا زوجت عليّاً ولكنّ الله زوجة ليلة أسرى بي عند سدرة المنتهى، وأوحى الله إليّ السدرة أن انثري ما عليك، فنثرت الدرّ والجوهر والمرجان، فابتدرت الحور العين فالتقطن وهنّ يتهادينه ويقلن: هذا من نثار فاطمة بنت محمّد (صلّى الله عليه وآله) ^(٣).

وأمر شجرة طوبى فحملت رقاعاً أي صكاً كأ بعدد محبّي أهل البيت، وأنشأ من تحتها ملائكة من نور، ودفع إلى كلّ ملك صكاً، فإذا استوت القيامة بأهلها نادى الملائكة في الخلائق فلا يبقى محبّ لأهل البيت إلّا دفعت إليه صكاً فيه

(١) أمالي الطوسي: ٢٥٧ ح ٤٦٤ المجلس العاشر، عنه البحار ١٠٣: ٢٧٤ ح ٣١.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٣٦ ح ٣ مجلس ٤٨، عنه البحار ٤٣: ٩٨ ح ١٠، والعوالم ١١: ٤٣٣ ح ٦٠، وروضة الواعظين: ١٤٦.

(٣) أمالي الطوسي: ٢٥٧ ح ٤٦٤ المجلس الماشر، عنه البحار ٤٣: ١٠٤ ح ١٥، ونحوه من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٠١ ح ٤٤٠٢، ومكارم الأخلاق: ٢٠٨ الفصل الثالث.

فكاكه من النار، قال النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): بِأَخِي وَابْنِ عَمِّي وَابْنَتِي فَكَاكِ رِقَابَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ مِنْ أُمَّتِي مِنَ النَّارِ^(١).

وفي تفسير أبي الفتوح الرازي أَنَّ اللَّهَ سبحانه أمر أيضاً بسحابة بيضاء فقطرت وأمطرت صكاً مختومة بالمسك، فقالت الملائكة: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الصَّكَّاءُ المختومة؟ قال تعالى: إِنَّهَا وَدَائِعُ شِيعَةِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عِنْدَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَقُومُوا عَلَى الصَّرَاطِ فَمَنْ مَرَّ بِكُمْ وَفِي قَلْبِهِ مِنْ مُحَبَّتَيْهِمَا حَبَّةٌ أَعْطَوْهُ وَاحِداً مِنْ هَذِهِ الصَّكَّاءِ المختومة، وَأَدْخَلُوهُ الْجَنَّةَ، وَهَذَا حُكْمُ حَكَمَتِ بِهِ قَبْلَ أَنْ تُنْشَأَ الْخَلْقُ.

فإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَقَفَ جَبْرَائِيلُ عَلَى الصَّرَاطِ وَمَعَهُ هَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ، وَفِي أَيْدِيهِمْ تِلْكَ الصَّكَّاءُ المختومة، فَإِذَا جازَ أَحَدٌ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ إِلَيْهِمْ يُعْطُونَ صَكَّةً بِيَدِهِ، وَمَكْتُوبٌ فِي عُنْوَانِهِ هَذَا الْمَكْتُوبُ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذِهِ بَرَاءَةٌ مِنَ الْعَلِيِّ الْجَبَّارِ لِشِيعَةِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ مِنَ النَّارِ».

ثُمَّ يُوْتَى بِنَجَائِبٍ مِنْ نُورٍ، رَحَالُهَا مِنَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ، وَالْفَرَشِ الْحَرِيرِ، وَالِدِيَابِجِ الْعَبْقَرِيِّ الْأَخْضَرِ، فَتَرْكِبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهَا وَيَمْشُونَ قَدَامَهُمْ فِي غَايَةِ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالْإِعْزَازِ وَالْأَعْظَامِ، إِلَى أَنْ يَصْلُوا إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ وَفِي أَيْدِيهِمُ الصَّكَّاءُ، فَيَنَادُونَ مَلَائِكَةَ اللَّهِ هَلِّمُوا وَاقْرَءُوا جَوَائِزَ اللَّهِ، فَيَقُولُ الرِّضْوَانُ وَالْمَلَائِكَةُ الْخِزْنَةُ لِلْجَنَّةِ: يَا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ ادْخُلُوا بِسَلَامٍ آمَنِينَ، فَيَدْخُلُونَ وَيَتَرَقَّوْنَ دَرَجَةً فَدَرَجَةً.

قال (عليه السَّلام): إِلَى أَنْ يَكُونُوا مَعْنَا فِي دَرَجَاتِنَا، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْيِيَ حَيَاتِنَا، وَيَمُوتَ مَوْتَنَا، وَيَحْشُرَ حَشْرَنَا، وَيَكُونَ مَعْنَا فِي دَرَجَاتِنَا فَلْيَتَوَلَّانَا، وَلْيَتَبَرَّأْ مِنْ أَعْدَاتِنَا، وَيُوَالِي وَلِيَّنَا، وَيُعَادِي عَدُوَّنَا وَيَلْعَنَهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ^(٢).

(١) كشف الغمة ١: ٣٦٢، عنه البحار ٤٣: ١٢٣ ح ٣١، ونحوه الخرائج ٢: ٥٣٦ ح ١١، والمناقب

للخوارزمي: ٣٤١ ح ٣٦١.

(٢) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٥٤ / سورة الفرقان.

فلَمَّا جرى العقد هزَّت السماوات من السرور والبهجة والحبور، وفرح أهل السماوات بهذه المعاقدة، وبارك الله وبارك الملائكة وسكَّان الجنة بأمر الله سبحانه على عقد عليٍّ وفاطمة، ومن بركة الله سبحانه أن جعل من نسلهما الذرية الطاهرة. وفي خبر آخر أنه لَمَّا جرى العقد نادى المنادي من جانب الله سبحانه: يا ملائكتي وسكَّان جنتي برِّكوا عليَّ تزويج عليٍّ وفاطمة فقد باركت عليهما، فقال راحيل: بأيِّ بركة أعظم من كرامتك إياهما وشيعتهما بالجنة وهم في الحياة الدنيا؟ قال تعالى: يا راحيل من بركتي عليهما أني جبلتهما على محبتي، وجعلت من نسلهما أئمة يدعون إلى ديني، وهم حجتني على خلقي إلى يوم القيامة^(١).

قال جبرئيل: ثمَّ نسخت الكتابة في قطعة من حرير مختومة بخواتيم الملائكة، وهاهي هذه نزلت بها إليك، وأمرني الله تعالى أن أعرضها عليك، ثمَّ أختمها بالمسك الأذفر، وأجعلها دبيعة عند رضوان خازن الجنة - وروي أنها كانت قطعة حرير مطوية من حرائر الجنة -.

فوضعها جبرئيل في يد رسول الله، فنشرها النبي المحبور، فإذا فيها سطر مكتوب بالنور: «إِنَّ الله تعالى اطلع على الأرض فاختر منهم عليًّا وزوجه بنتك فاطمة، وهو أخوك في الدين وابن عمِّك في النسب».

ثمَّ قال جبرئيل: وأمرني الله تعالى أن أقول لك أن تزوج فاطمة من عليٍّ، وتبشِّرهما بولدين زكَّيين طاهرين نجيبين خيَّرين فاضلين في الدنيا والآخرة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا عليٍّ فما أنا أريد أن أعمل بما أمر الله به في تزويج فاطمة، فقال عليٍّ (عليه السلام): يا رسول الله قد بلغ أمري إلى أن يذكرني الله في الملأ الأعلى، ويجري حديثي في الجنة، ويزوجني فاطمة في حضور الملائكة.

قال النبي (صلى الله عليه وآله): يا عليٍّ إذا أكرم الله وليَّه أعطاه ما لا عين

(١) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٥٥ / سورة الفرقان.

رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فقال عليّ (عليه السّلام): ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ^(١).

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا عليّ قم إلى المسجد وأنا على عقبك حتى أحضر المهاجرين والأنصار، وأتمم هذا الأمر العظيم على رؤوس الأشهاد والأنظار، وأبين لهم من فضلك ما تقرّ به القلوب والأبصار.

فصل: [في تزويجها في الأرض]

روي عن عليّ (عليه السّلام) أنّه قال: لما أمرني النّبيّ (صلى الله عليه وآله) بالخروج إلى المسجد ليخرج هو أيضاً على الأثر ويتم هذا الأمر، فخرجت من عنده ولا أدري كيف أسير من غاية الحبور وشدة الفرح والسرور، فلقيني أبو بكر وعمر فقالا لي: ما الخبر؟ فقلت: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) زوّجني فاطمة وقال: إنّ الله تعالى عقدها لك في السماء، والنّبيّ البشير يجيء على أثري إلى المسجد لیتّم هذا الأمر الخطير، ففرحاً أيضاً بذلك وأتياً معي إلى المسجد.

فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الأثر أقرب من مدّ الطرف ورجع البصر، ووجهه يتهلّل ويتبسّر، فدعا (صلى الله عليه وآله) بلال وقال له: إذهب في الحال وناد المهاجرين والأنصار^(٢).

وفي خبر آخر أنّه بعد أن نزل محمود الملك وصر صائيل وجبرئيل بهذا الخبر، أرسل (صلى الله عليه وآله) أنس بن مالك - وكان حاضراً عنده حين نزول الوحي - بهذه المقدّمة وقال: انطلق وادع لي أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليّاً، وطلحة، والزبير، ومن حضر من الأصحاب، فلما اجتمعت الصحابة وأخذوا مجالسهم وهو (صلى الله عليه وآله) جالس حينئذٍ في المسجد عند المنبر،

(١) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٥٥ / سورة الفرقان، والبحار ٤٣: ١٠٣ ح ١٢.

(٢) نحوه كشف الغمة ١: ٣٦٧.

فأخبرهم الخبر، وبلغ اليهم ما نزل في أمر علي وفاطمة.

ثم صعد المنبر وخطب في حضور الصحابة وقال: «الحمد لله الم محمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع لسلطانه، المرهوب من عذابه، المرغوب إليه فيما عنده، النافذ أمره في أرضه وسمائه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميّزهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيّه محمد.

ثم إن الله تعالى جعل المصاهرة نسباً لاحقاً، وأمراً مفترضاً، وشج بها الأرحام، وألزمها الأنام، فقال تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾^(١)، فأمر الله سبحانه يجري إلى قضائه، وقضائه يجري إلى قدره، فلكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب، يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوّج فاطمة من عليّ، وأنا أشهدكم أنّي قد زوّجتها إياه على أربع مائة مثقال فضّة إن رضي بذلك عليّ»^(٢)، ثم توجه (صلى الله عليه وآله) إلى عليّ (عليه السلام) وتبسم إليه وقال له: أَرْضَيْتَ يَا عَلِيّ؟ قَالَ عَلِيّ (عليه السلام): رَضِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

ثم خرّ عليّ (عليه السلام) ساجداً لله شكراً له على هذه النعمة الجزيلة والكرامة الجميلة، وقال: الحمد لله الذي قرب من حامديه، ودنا من سائليه، ووعد الجنة من يتقيه، وأنذر بالنار من يعصيه، نحمده على قديم إحسانه وأياديه، حمد من يعلم أنّه خالقه، وبارئ، ومميته، ومحبيه، وسائله عن مساوئه، ونستعينه ونستهديه، ونؤمن به ونستكفيه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغه وترضيه، وإنّ محمداً عبده ورسوله، صلاة ترفله، تحظيه وترفعه وتصطفيه، وإنّ خير ما أفتتح به وأختم قول الله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾^(٣).

(١) الفرقان: ٥٤.

(٢) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٥٦ / سورة الفرقان.

(٣) النور: ٣٢.

والنكاح ممّا أمر الله به ويرضيه، واجتماعنا لما قدّر الله وأذن فيه، وهذا رسول الله زوّجني ابنته فاطمة على أربعمئة مثقال فضّة، وقد رضيت بذلك فاسألوه واشهدوا^(١).

وفي رواية أخرى: فقال النّبيّ (صلى الله عليه وآله): نعم وقد زوّجتك إبنتي فاطمة على ما زوّجها الرحمن، وقد رضيت ما رضي الله لها، ثم قال (صلى الله عليه وآله): فنعم الأخ لي ونعم الختن، وهو السيد في الدنيا والآخرة وهو من الصالحين.

فقال المسلمون: بارك الله فيكما وعليكما، وجمع شملكما، وأسعد جدكما، وأخرج منكما الكثير الصالح، ثم أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بطبق بسر فقال للناس: إنتهبوا، فنهبوا وباركوا وتفرّقوا، فانصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أزواجه^(٢).

وفي رواية أخرى: إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) بعد أن نزل جبرئيل عقب الملائكة الثلاثة، وأخبر النبي (صلى الله عليه وآله) بتزويج الله سبحانه فاطمة من عليّ (عليه السلام) على نحو ما مرّ في السماء الرابعة، وأمره بتزويجها منه في الأرض أيضاً، وأخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّاً (عليه السلام) بذلك، أرسله إلى المسجد وأتى على أثره إليه، وأمر بلالاً بجمع المهاجرين والأنصار، فاجتمع الأصحاب من الباب إلى المحراب، ثم ترقّى (صلى الله عليه وآله) درجة المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«معاشر المسلمين إنّ جبرئيل أتاني آنفاً فأخبرني عن ربّي عزّ وجلّ أنّه جمع الملائكة عند البيت المعمور، وأشهدهم جميعاً أنّه زوّج أمته فاطمة ابنة رسول الله من عبده عليّ بن أبي طالب، وأمرني أن أزوجه في الأرض واشهدكم على ذلك».

(١) نحوه المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٥٠، والمناقب للخوارزمي: ٣٣٦ ح ٣٥٧، عنه كشف الغمة ١:

٣٥٨، والبحار ٤٣: ١١٩ ح ٢٩، تفسير روض الجنان ١٤: ٢٥٧ / سورة الفرقان.

(٢) راجع المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٥١، عنه البحار ٤٣: ١١٢ ح ٢٤.

ثم جلس وقال لعليّ (عليه السلام): قم يا أبا الحسن فاخطب لنفسك، فخطب عليّ (عليه السلام) وقال: الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه، ولا إله إلا الله شهادة تبليغه وترضيه، وصلى الله على محمد صلاة ترفقه وتحظيه، ومقامنا هذا ممّا أمر الله عزّ وجلّ ورضيه، ومجلسنا ممّا قضى الله به وأذن فيه، وقد زوجني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ابنته فاطمة، وجعل صداقها درعي هذه، وقد رضيت بذلك فاسألوه واشهدوا.

فقال المسلمون لرسول الله (صلى الله عليه وآله): زوجت يا رسول الله؟ فقال (صلى الله عليه وآله): نعم، فقالوا: بارك الله لهما وعليهما، وجمع شملهما... الخ^(١)، وهذا مبتن على ما مرّ سابقاً من خبر الدرع الذي مرّت الإشارة عليه. وكيف كان فانصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أزواجه، فأمرهنّ أن يدفنن لفاطمة كما في رواية، وفي رواية أخرى أنّ أمره (صلى الله عليه وآله) بالدّف إنّما كان في ليلة الزفاف لا في هذه الحالة.

ثمّ إنّ الأخبار في قدر مهرها مختلفة، ففي بعضها أنّ صداقها كان أربعمئة مثقال فضّة كما مرّ، وفي بعضها أنّه كان درعاً له باعها من عثمان بن عفان بأربعمئة درهم سود هجريّة^(٢)، أو أنّه باعها من شخص أعرابي في ظاهر الصورة وهو جبرئيل في الحقيقة بخمسمئة درهم كما يأتي^(٣)، وفي بعضها أنّه كان درعاً باعها بأربعمئة وثمانين درهماً قطريّة، والقطر قرية ببحرين.

وفي بعضها عن الصادق (عليه السلام): إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) زوج عليّاً فاطمة على درع له حطميّة تسوي ثلاثين درهماً^(٤)، وسمّيت بالحطميّة

(١) المناقب للخوارزمي: ٣٤٨، ضمن حديث ٣٤٦، عنه كشف الغمّة ١: ٣٦٨، عنه البحار ٤٣: ١٢٩

ح ٣٢.

(٢) المناقب للخوارزمي: ٣٤٩ ح ٣٦٤، عنه كشف الغمّة ١: ٣٦٨، البحار ٤٣: ١٣٠ ح ٣٢.

(٣) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٥٨ / سورة الفرقان.

(٤) قرب الإسناد: ١٧٣ ح ٦٣٤، عنه البحار ٤٣: ١٠٥ ح ٢٠، والموالم ١١: ٤٥٨ ح ٢٤، والتهذيب ٧: ٣٦٤

ح ٤٠.

لكونها تحطم السيوف أي تكسرها، أو أنها كما قيل الدرع العريضة الثقيلة، وقيل: هي منسوبة إلى بطن من عبد القيس يقال له حطمة بن محارب، كانوا يعملون الدروع.

وفي رواية أخرى أن صداقها كان درعاً حطميّة، واهاب كبش أو جدي، كانا يفرشانه وينامان عليه^(١)، وفي بعضها أن مهرها كان برد جرد واهاب شاة^(٢)، وفي الرواية المشهورة أن صداقها كان خمسمائة درهم، وعليه ما ورد في خبر تزويج أبي جعفر الثاني أنه قال: إن محمد بن علي بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون، وبذل لها من الصداق مهر جدّته فاطمة (عليهما السلام)، وهو خمسمائة درهم جياذ^(٣).

وهو الأصح المشهور، وهو يومئذ خمسون ديناراً من حيث القيمة، إذ كان كلّ درهم يومئذ عُشر المِثقال الشرعي الذي هو الدينار الشائع في هذه الأزمنة، ولعلّ هذا المبلغ كان قيمة الدرع المذكورة في أكثر الأخبار المأثورة، والظاهر دخول الدرع في الصداق على أيّ تقدير كان، سواء كانت وحدها أو مع شيء آخر، والإختلافات في القدر إنما هي بملاحظة حالة القيمة.

هذا كلّهُ هو حال المهر بحسب الظاهر، وأمّا في الباطن فورد أنه لمّا زوّج رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليّاً فاطمة دخل عليها وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟ فوالله لو كان في أهل بيتي خير منه زوّجتك إياه، وما أنا زوّجتك ولكنّ الله زوّجك وأصدق عنك الخمس ما دامت السماوات والأرض^(٤).

وفي رواية أخرى: إن الله أصدقها طوبى وهي شجرة في بيت عليّ (عليه السلام)^(٥)، وفي خبر آخر: إن مهر فاطمة شجرة طوبى والخمس إلى يوم

(١) الكافي ٥: ٣٧٧ ح ٤، عنه البحار ٤٣: ١٤٤ ح ٢٤، والوسائل ١٥: ١٠ ح ٦.

(٢) نحوه المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٥١، عنه البحار ٤٣: ١١٣ ح ٢٤.

(٣) إرشاد المفيد: ٣٥٩، عنه البحار ٥٠: ٧٦، والموالم ١١: ٤٦٠ ح ٣٠.

(٤) الكافي ٥: ٣٧٨ ح ٦، عنه البحار ٤٣: ١٤٤ ح ٤٣، والموالم ١١: ٥٩٩ ح ٢٩.

(٥) أمالي الصدوق: ٢٣٦ ح ٣ مجلس ٤٨، عنه البحار ٤٣: ٩٨ ح ١٠، والموالم ١١: ٤٣٣ ح ٦٠.

القيامة، وفي الخبر الآخر: أنَّ مهرها في السماء خمس الأرض^(١)، وفي رواية أخرى: تمام الأرض، فمن مشى عليها مغضباً لها ولولدها، مشى عليها حراماً إلى أن تقوم الساعة^(٢).

وفي رواية طويلة عن الباقر (عليه السلام): إنَّ جبرئيل لما نزل بالوحي إلى النبي (صلى الله عليه وآله) في تزويج فاطمة، فقال في جملة ما أوحى به من قول الله تعالى: إِنِّي جَعَلْتُ نَحْلَهَا مِنْ عَلِيِّ خَمْسِ الدُّنْيَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَثَلَّثَ الْجَنَّةَ، وَجَعَلْتُ لَهَا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَنْهَارٍ: الْفَرَاتِ، وَنِيلَ مِصْرَ، وَنَهْرَ وَاوَانَ، وَنَهْرَ بَلْخَ، فَزَوَّجَهَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ بِخَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ تَكُونُ سَنَةً لِأُمَّتِكَ^(٣).

وفي خبر آخر أنَّه قال النبي (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام) عند تزويج فاطمة: يَا عَلِيُّ زَوَّجْتُ فَاطِمَةَ ابْنَتِي مِنْكَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى صَدَاقِ خَمْسِ الْأَرْضِ وَأَرْبَعِمِائَةِ وَثَمَانِينَ دِرْهَمًا، الْآجِلُ خَمْسُ الْأَرْضِ، وَالْعَاجِلُ أَرْبَعِمِائَةِ وَثَمَانُونَ دِرْهَمًا^(٤).

وفي بعض الروايات أنَّ الله أمهرها ربع الدنيا فربعها لها، وأمهرها الجنة والنار تدخل أعداءها النار وأولياءها الجنة، وهي الصديقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى^(٥).

وبالجملة فلما تفرَّق مجلس المعاقدة، وانصرف الطوائف المجتمعة، قال النبي (صلى الله عليه وآله) لعليّ (عليه السلام): يَا أَبَا الْحَسَنِ انْطَلِقِ الْآنَ فَبِعِ دِرْعِكَ وَأَتِي بِثَمَنِهَا حَتَّى أُهَيِّئَ لَكَ وَلابْنَتِي فَاطِمَةَ مَا يَصْلِحُكُمْ.

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٥١، عنه البحار ٤٣: ١١٣ ح ٢٤.

(٢) المناقب للخوارزمي: ٣٢٨ ح ٣٤٥، والمناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٥١، والفردوس ٥: ٤٠٩ ح ٨٣١٦، وفرائد السمطين ١: ٩٤ ح ٦٤، ينابيع المودة ٢: ٣٣٥ ح ٩٧٥، والبحار ٤٣: ١٤١ ح ٣٧.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٥١، عنه البحار ٤٣: ١١٣ ح ٢٤، والعوالم ١١: ٤٦٠ ح ٣١.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٥٢، عنه البحار ٤٣: ١١٣ ح ٢٤، والعوالم ١١: ٤٦١ ح ٣١.

(٥) أمالي الطوسي: ٦٨٨ ح ١٣٩٩، عنه البحار ٤٣: ١٠٥ ح ١٩، نحوه المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٥٢.

فذهب عليّ (عليه السّلام) إلى السوق لبييعها، فلقيه عثمان بن عفان فاطلع على الحال، فساومه عليها فباعها عليّ (عليه السّلام) منه بأربعمائة درهم سود هجريّة، وأخذ الدراهم منه وأعطاه الدرّع، فلما استقرّت الدرّع في يد عثمان وأراد عليّ (عليه السّلام) أن يرجع قال عثمان: يا أبا الحسن لستُ أولى منك بالدرّع وأنت أولى منّي بالدراهم، فقال عليّ (عليه السّلام): بلى يا عثمان، فقال عثمان لعليّ (عليه السّلام): الدراهم لك والدرّع هديّة منّي إليك.

فأخذ عليّ (عليه السّلام) الدرّع والدراهم ورجع إلى النّبي (صلّى الله عليه وآله)، فطرح الدرّع والدراهم بين يديه، وأخبره بما كان من عثمان في بيع الدرّع وردّها عليه^(١).

وفي رواية أخرى: إنّ عليّاً (عليه السّلام) لَمَّا أخذ الدرّع إلى السوق لبييعها على ما أمر به النبي (صلّى الله عليه وآله) لقيه شخص أعرابي، فقال: يا عليّ تبيع الدرّع؟ فقال: نعم، قال: هذه درّع ثمينة؟ فقال: نعم، قال: بكم؟ قال: بخمسائة درهم، فأخرج الأعرابي من كمّته خمسائة درهم وأعطاهها عليّاً (عليه السّلام) وأخذ الدرّع وذهب.

فلَمَّا جاء عليّ بالدراهم وطرحها بين يدي النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا عليّ ممّن بعت الدرّع؟ قال: لأعرابيّ لم أعرفه، قال (صلّى الله عليه وآله): لم يكن هو أعرابياً وإنّما كان هو جبرئيل، وقد أتى بالدرّع إليّ قبلك فما هي درّعك، وهذا من فضل الله عليك^(٢).

وبالجمّة فلَمَّا سبك^(٣) الدراهم بين يدي النبي (صلّى الله عليه وآله) - وعلى الرواية الأخرى: في حجره - قبض رسول الله (صلّى الله عليه وآله) منها قبضة وأعطاهها بلائاً وقال: إتبع بها لفاطمة طيباً، وروي أنّه (صلّى الله عليه وآله) أعطى

(١) المناقب للخوارزمي: ٣٤٩ ح ٣٦٤، عنه كشف الغمّة ١: ٣٦٨، البحار ٤٣: ١٢٩ ح ٣٢.

(٢) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٥٨ / سورة الفرقان.

(٣) أي أفرغها.

هذه القبضة لأُم أيمن أو لأسماء بنت عميس، وأعطى قبضة أخرى لأُم سلمة لتشتري بعض ما يصلح للمرأة، وقبض قبضتين أعطاها أبا بكر وقال: إبتع لفاطمة ما يصلحها من الثياب وأثاث البيت وغيرها، وأردفه بسلمان وعمّار بن ياسر وبعدة من أصحابه، قال أبو بكر: وكان الدراهم التي أعطاها النبي (صلى الله عليه وآله) في هذه المصلحة ثلاثة وستين درهماً، أو تسعة وستين.

فحضروا السوق واشتروا ما أمروا به، فكان ممّا اشتروه قميص بسبعة دراهم، وخمار بأربعة دراهم، وقطيفة سوداء خيبرية، وسرير مزمل بشريط، وفراشين من خيش مصر حشو أحدهما ليف وحشو الآخر من جز^(١) الغنم، وأربع مرافق من آدم الطائف حشوها إذخر^(٢)، وستر من صوف، وحصير هجري، ورحاء لليد، ومخضب من نحاس، وسقاء من آدم، وقعب للبن، وشنّ للماء، ومطهرة مزقّفة، وجرة خضراء، وكيزان خزف، ونطع من آدم، وعباء قطواني^(٣).

فحمل أبو بكر بعض المتاع وسائر الأصحاب البعض الآخر، فجاؤوا بها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو في حجرة أُم سلمة، فلما وضع الأمتعة عنده فجعل يقلّب المتاع بيده ويقول: بارك الله لأهل البيت فيه، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهمّ بارك لأقوام جُلّ آتيتهم الخزف، اللهمّ بارك لآل محمّد في جهازهم، وسلّم (صلى الله عليه وآله) ما بقي من الدراهم لأُم سلمة وقال: احفظيها لأمر زفاف عليّ وفاطمة^(٤).

قال عليّ (عليه السلام): فأقمت بعد ذلك شهراً أصليّ مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأرجع إلى منزلي، ولا أذكر شيئاً من أمر فاطمة استحياء من

(١) الجزز: الصوف لم يستعمل بعدما جُرّ / لسان العرب.

(٢) الإذخر: حشيش طيب الريح أطول من الثيل ينبت على نبتة الكولان، واحدها إذخرة، وهي شجرة صغيرة / لسان العرب.

(٣) أمالي الطوسي: ٤٠ ح ٤٥، عنه البحار ٤٣: ٩٤ ح ٥.

(٤) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٥٩ / سورة الفرقان.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع غاية شوقي عليها، واشتغال قلبي بها، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كلما لقيني قال: زوجتك خير النساء، ونعم الزوجة زوجتك.

وكنت كذلك إلى أن قال لي أخي عقيل وغيره: ألا تطلب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخول فاطمة عليك لتقرّ عيوننا باجتماع شملكما؟ فقلت: استحيي أن أواجه بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو أعلم بالحال، إلى أن قلن لي أزواج رسول الله مثل ذلك فأجبت بمثل الجواب، فقلن: نحن نطلب ذلك لك من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقلت: افعلن.

فدخلن عليه، فقالت أمّ أيمن وأمّ سلمة: يا رسول الله أقرّ عين فاطمة ببعلها، واجمع شملهما، وقرّ عيوننا بذلك.

وفي رواية أخرى: إن النبي (صلى الله عليه وآله) لمّا رأى اجتماع النساء عنده قال: لم اجتمعن؟ قلن: لأمر لو كانت خديجة في حال الحياة لقرّت عينها بذلك، فلمّا سمع النبي (صلى الله عليه وآله) إسم خديجة قال: وأين مثل خديجة؟! صدّقني مع تكذيب الناس لي، وأنستني عند استيحاش الناس مني، وقوّتني على دين الله، وواسّني في سبيل الله، وساعدتني بأموالها، وأسرتني بأحوالها، وأوحى الله إليّ أن أبشّرها بدار لها في الجنة من الزمرد الأخضر، وأخرى من قصب كعابها من الذهب، ليس فيها تعب ولا نصب.

فقالت النساء: يا رسول الله كانت خديجة أفضل ممّا ذكرت، وأجمل ممّا وصفت، إلّا أنّها اختارت جوار رحمة ربّها، فحشرنا الله تعالى معها، يا رسول الله إنّ علياً أخاك وابن عمّك يريد أن تجمع شمله بفاطمة ابنتك.

قال (صلى الله عليه وآله): فما بال عليّ لا يطلب هو منّي زوجته، فقد كنّا نتوقّع منه هذه المسألة؟ قلن: يا رسول الله الحياء يمنعه من ذلك، فقال (صلى الله عليه وآله): يا أمّ أيمن أدعي لي عليّاً، فدعته وهو مترصد للجواب وأنّه

ما يقول النبي (صلى الله عليه وآله) في هذا الباب^(١).
فأتت أم أيمن بالخبر، فجاء عليّ (عليه السلام) على الأثر، فسلم عليه وجلس بين يديه، وهو مطرق من الحياء غير رافع رأسه إلى السماء، فقال (صلى الله عليه وآله): يا عليّ أتريد أن أعطيك زوجتك؟ قال: بلى يا رسول الله حباً وكرامة، فقال: فما منعك عن طلب ذلك؟ فقال عليّ (عليه السلام): الحياء يا رسول الله.

فالتفت رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى النساء وقال: هيئن لابنتي وابن عمّي بيتاً في حُجْرِي، فقالت أم سلمة: في أيّ حجرة يا رسول الله؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): في حجرتك يا أم سلمة.
وأمر النساء أن يزيّن ويصلحن من شأن فاطمة فقال النبي (صلى الله عليه وآله) لأم سلمة: ايتيني بالدرهم التي أعطيتكها لأمر علي وفاطمة فجاءت بها، فقبض النبي (صلى الله عليه وآله) قبضة منها وأعطاهما عليّاً وقال: إشتري بها سمناً وزيتاً، واصنع لأهلك طعاماً فاضلاً، فعليك السمن والتمر ومن عندنا اللحم والخبز، وأعطى (صلى الله عليه وآله) قبضة منها لعمر وقال: إشتري بها طيباً وألبسة.
فذهبا إلى السوق للشراء، فاشترى وأتيا بما أمرا، وأمر هو من عنده بكبس سمين وخبز كثير، فأمر عليّاً (عليه السلام) بذبح الكبش واشتغل بشدخ^(٢) التمر في السمن لاتخاذ الحيس^(٣) حتى حضر الطعام، فأمر بدعوة الناس للطعام^(٤).

فصل: [مجيء الأصحاب بالتحف والهدايا]

وروي في رواية طويلة أنه أتى الأصحاب حينئذٍ أيضاً بتحف وهدايا كثيرة،

(١) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٦٠ / سورة الفرقان.

(٢) الشدخ: الكسر في كل شيء رطب / لسان العرب.

(٣) الحيس: الأقط يخلط بالتمر والسمن / لسان العرب.

(٤) البحار ٤٣: ١٣١ ح ٣٢.

فجاء سعد بن معاذ بإبل وبقر وعشرة أغنام، وسعد الربيع بإبل وعشرة أغنام، وسعد [بن خَيْثَمَة] ^(١) بإبلين، وأبو أيوب الأنصاري بغنم ومائة رطل تمر، وخارجة بنت زيد بإبل وبقر وأربعة أغنام، وعبد الرحمن بن عوف بخمسائة رطل من التمر، وعشرين غنماً، وأرطال من السمن ^(٢).

وجاء كل من الصحابة بشيء من التحف والهدايا إلى أن اجتمع هدايا كثيرة، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يقبل الهدية، ويعطي في مقابلها عوضاً، ويردّ الصدقة.

فأمر (صلى الله عليه وآله) بطحن البرّ والخبز بقدر ما يكفي للأمر، فاشتغل الأصحاب باصلاح الأمور من كل باب، وأمر علياً بنحر الإبل وذبح البقر والغنم، فكان (عليه السلام) يذبح ويسلخ وينحر، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يفضل ويقطع، فلم يسفر الصبح إلا وقد فرغا من عمل اللحم، ولم ير على يده أثر الدم ^(٣). وقال (صلى الله عليه وآله) لأصحابه: أعينونا بأبدانكم وساعدونا بأعمالكم، فوضعوا القدور والجوابي، وأحضروا الظروف والأواني، ولما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) جدّهم واجتهادهم في الفعل والعمل قال: اللَّهُمَّ أعنهم على طاعتك، ولا تؤيسهم من رحمتك، ولا تخلهم من فضلك، فلما فرغوا من الطبخ وتهية الأمر قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا عليّ أدع إلى الوليمة من أحببت من أهل المدينة ^(٤).

وفي رواية أخرى: أدع جملة المهاجرين والأنصار، ولا تدع أحداً من الكبار والصغار، فقال عليّ (عليه السلام): إن القوم متفرّقون في البساتين والبراري والقفار والصحاري، فقال (صلى الله عليه وآله): إصعد على السطح أو موضع عال

(١) أثبتناه من تفسير روض الجنان، وفي المتن كلمة غير مفهومة.

(٢) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٦١ / سورة الفرقان.

(٣) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٦١ / سورة الفرقان.

(٤) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٦٢ / سورة الفرقان.

وناد: أيها الناس أجيئوا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإن الله تعالى يوصل بذلك لكل أحد من الفريقين، ولو كان بينك وبينه بعد المشرقين لكرامتي على الله رب العالمين، كما بلغ نداء إبراهيم (عليه السلام) بالحج لكل أحد من الأولين والآخرين في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا...﴾^(١) الآية، ففعل عليّ كذلك، فأجاب جميع الناس بقولهم: لبيك يا داعي رسول الله وسعديك^(٢).

وفي رواية أخرى أنه (صلى الله عليه وآله) لما أمر علياً (عليه السلام) بدعوة الناس إلى وليمة فاطمة، أتى عليّ (عليه السلام) إلى المسجد وهو مشحون بالصحابة، فاستحى أن يدعو قوماً ويدع قوماً، فصعد على ربوة هناك ونادى: أجيئوا وليمة فاطمة.

فأقبل الناس إرسالاً من النخلات والزرورع، فبُسط في المسجد النطوع، واجتمع الناس من كل جانب، وازدحموا من الأطراف والجوانب، كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداعي.

فاستحى عليّ (عليه السلام) من كثرة الناس وقلة الطعام، فعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما واصله فقال: يا عليّ سادعو الله بالبركة، فأكل القوم عن آخرهم وشربوا ودعوا بالبركة وصدروا، وهم أكثر من أربعة آلاف، ولم ينقص شيء من الطعام.

ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالصحاف فملئت بأمره، ووجهت إلى منازل أزواجه ومنزل فاطمة، وكل من أراد أن يأخذ شيئاً من طعام الوليمة أخذه، وبقي طعام كثير من بركة دعاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم عادوا مرة ثانية فأكلوا باقي الطعام^(٣).

ولم يبق هناك شيء من تحف الأصحاب الكرام من الإبل والبقر والأغنام إلّا

(١) الحج: ٢٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) البحار ٤٣: ٩٥ ح ٥.

غنم لأبي أيوب الأنصاري حيث لم يذبح ولم يطعم، فقال: يا رسول الله ما بال هذا الغنم هل هو مبغوض عند الله، أو مستحقر عند رسول الله، أو أن لحمه حرام فلم يصرف في الإطعام، فوالله لم يكن لي غيره وإلا لفديت به؟!

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا أبا أيوب إن علياً أراد أن يذبحه فنزل جبرئيل فقال: لا تذبحه فإن له شأنًا البتة، ثم أمر النبي (صلى الله عليه وآله) يزيد بن جبير الأنصاري أن يذبحه ويسلخه، ويفصل لحمه ويطبخه دون أن يكسر عظمه، ففعل كذلك فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) بنداء الأصحاب مرة ثالثة، فاجتمعوا جملة فأكلوا وشبعوا قاطبة، ثم جمع (صلى الله عليه وآله) عظامه في جلده ودعا الله تعالى باحيائه، فقام الغنم حيًّا.

ونزل جبرئيل وقال: إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول: «لو أردت مني أن أزيل عن محلّه جميع الدنيا شرقاً وغرباً، وسهلاً وجبلاً، وبراً وبحراً لفعلت، ولو أردت أن أعيد جميع ما مضى من الأولين لفعلت، من جهة بركة الأسماء الكريمة التي بها دعوت».

فقال النبي (صلى الله عليه وآله): إن الله أحبب هذا الغنم لأردّه إلى أبي أيوب حيث أنّه فقير لا مال له، وقال له: يا أبا أيوب أنظر أنّه هل هو غنمك أو غيره؟ فتأمل أبو أيوب فقال: هو هو بلا تغيير بالمرّة، لأنّه كان إحدى عينيه سوداء والأخرى زرقاء وها هو كذلك.

وأعطاه الله تعالى له من نسله الخير والبركة، وجعل في لبنه شفاء الأمراض المعضلة بحيث لم يأكل منه مريض إلا برئ، فزاد يقين المسلمين من جهة هذه المعجزة، وأهل المدينة سمّوا هذا الغنم بالمبعوثة، وأنشأ عبد الرحمن بن عوف في هذا المعنى أبياتاً هي هذه:

عجبت لأمر الله والله قادر	على ما يشاء من خلق ويريد
ولا عجب من أمر ربّي وإنما	عجبت لمرء في الضلال يبيد
ومن قد ثوى في قلبه الكفر والعمى	وقارنه الشيطان وهو شريد

ألم يبصروا شاة ابن زيد وحالها
 ألا يرجعوا عن كفرهم وضلالهم
 وقد ذبحت ثم استجرّ أهابها
 وأنضج منها اللحم والعظم والكلّى
 وجمّعنا حتى نحوّنا لأكله
 أتى باهاب الشاة والعظم أجرد
 فجلّله بالرد ثم دعا به
 فأحيى له ذو العرش والله قادر
 فسأل عثمان عن الدعاء الذي دعا به لآحياء الغنم، فقال رسول الله
 (صلى الله عليه وآله): «إني قلت: «إلهي أنت خلقتها، وأنت أفنيتها، وأنت قادر على
 إعادتها، فأحيها يا حيّ يا قيّوم، يا لا إله إلا أنت»^(١).

فلما تفرّق القوم وانصرفت الشمس للغروب، أمر النبي (صلى الله عليه وآله)
 أمّ سلمة، وأمّ أيمن، وسودة، وحفصة، ونساء المهاجرين والأنصار، أن يقمن
 بإصلاح شأن فاطمة وتزيينها بما تزيّن به النساء.

قالت أمّ أيمن وعائشة وغيرهما: فإذا أردنا أن تزيّن فاطمة رأينا نوراً ساطعاً
 من بين عينيها كالشمس الساطعة، وجماً وحسناً لم نر لأحد من النساء مثله،
 فأخذنا في تزيينها وألبسناها ثياب خديجة أمّها، وطبّيناها بالطيب الذي اشتريناه
 من السوق لها، فقالت: إن لي طيباً أحسن من هذا فهلاًّ حتى أجيء به، فلما
 جاءت به فإذا هو ماء ورد لم نر في الدنيا مثله.

قالت أمّ سلمة: يا بنت رسول الله ممّ هذا الطيب؟ قالت: من عرق أبي

(١) هَرَدْتُ اللحم أَهْرَدُهُ - بالكسر - هَرَدًا: طبخته حتى تَهَرَّأَ وَتَفَسَّخَ، فهو مُهَرَّدٌ. / لسان العرب.

(٢) القرق - بالسكون -: العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم / لسان العرب.

(٣) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٦٣ إلى ٢٦٥ / سورة الفرقان، نحوه باختصار المناقب لابن شهر آشوب

١: ١٣١ / في إيجازه، عنه البحار ٤٣: ٢٠ ح ٤٦.

رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كنت آخذه وأحفظه حين كان يجيء في وقت الحرّ وينام ويعرق من جهة الحرارة، وجاءت معه بشيء آخر أبيض أطيب من المسك الأذفر، فسألت عنه فقالت: كان يجيء إلى أبي أحياناً رجل يقال له: «دحية الكلبي» فإذا قام وذهب كان يسقط منه هذا الزغب، فسمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك فقال: يا بنيّ إنما كان هو جبرئيل، وطوبى لك حيث أنّ طيبك كان من زغب جبرئيل روح الأمين، وعرق أبيك سيّد المرسلين^(١).

فلما صار وقت صلاة المغرب ذهب عليّ (عليه السّلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وهو كان في المسجد يستغفر ويسبّح، فلما رآه النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا عليّ تهياً فإنّ أهلك تجيء إليك هذه الليلة، فراح عليّ (عليه السّلام) إلى الحجرة المهيّئة له، فأتى برمل لّين وفرشه، وأخذ خشباً فوضعه من الجدار إلى الجدار الآخر ليلقي عليه الثياب قبال الباب، وفرش جلد شاة، ووضع مخدّة من ليف.

ثمّ أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بنقل جهاز فاطمة (عليها السّلام) إلى دار عليّ، وأمر أسماء بنت عميس فأخبرت بنات عبد المطلب ونساء قريش وسائر الأنصار والمهاجرين أن يحضرن هذه الليلة لزفاف فاطمة بنت سيّد المرسلين. فجاء النبي (صلى الله عليه وآله) بعد العتمة وأمر أم سلمة أن تأتي إليه بفاطمة محلّاة بحلي أمها خديجة، وقال للنساء: سرن مع فاطمة إلى بيت عليّ، وأمرهنّ باظهار السرور والإبتهاج والفرح والإرتجاز بلا فحش وكذب، مكبرات ومهلّلات ومحمّدات، ونزلت سبعون حوريّة أحاطوا بفاطمة قائلات: «لا إله إلاّ الله، ما أكرم محمداً وأهل بيته على الله».

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: ثمّ أمر النبي (صلى الله عليه وآله) فأتى ببغلته الدلدل أو الشهباء، وثنى عليها قطيفة فأخرج فاطمة إلى باب الحجرة،

(١) تفسير روض الجنان: ١٤: ٢٦٥-٢٦٦ / سورة الفرقان.

فأركبها على البغلة، وقد أمسك جبرئيل بلجام الدابة، وإسرافيل بالركاب، وميكائيل بالثفر^(١)، وسوى عليها الثياب.

وأمر سلمان أن يقودها والنبى كان بنفسه يسوقها، وحولها حور الجنة، وخلفها سبعون ألف ملك يسبحون الله ويقدمونه، ومع النبى (صلى الله عليه وآله) جعفر وعقيل وحمزة شاهرين سيوفهم حوله، وجبرئيل في سبعين ألف من الملائكة قدّامها، وإسرافيل مع سبعين ألفاً عن يمينها، وميكائيل كذلك عن يسارها، فكبر جبرئيل وميكائيل حينئذٍ وكبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أيضاً، فجرت في العرائس تلك السنة.

وأمر النبى (صلى الله عليه وآله) بنات عبد المطلب، ونساء الأنصار والمهاجرين أن يمضين في صحبة فاطمة، وأن يفرحن ويرجزن ويكبرن ويحمدن، ولا يقولنّ مالا يرضى الله سبحانه، وكانت النساء تمشي قدّامها، فأنشأت أم سلمة قولها:

سرن بحول الله جاراتي	واشكرنه في كلّ حالات
واذكرن ما أنعم ربّ العلى	من كشف مكروه وآفات
فقد هدانا بعد كفر وقد	أنعشنا ربّ السماوات
وسرن مع خير نساء الورى	تفدى بعمّات وخالات
يابنت من فضله ذو العلى	بالوحي منه والرسالات
ثمّ قالت عائشة:	

يا نسوة استرن بالمعاجر ^(٢)	واذكرن ما يحسن في المحاضر
واذكرن ربّ الناس أو يخصّنا	بدينه مع كلّ عبد شاكر
والحمد لله على إفضاله	والشكر لله العزيز القادر

(١) التّفَرُّ: التّبيُّر الذي في مؤخّر السّرج. / لسان العرب.

(٢) المعجّر والعجّاز: ثوب تلقفه المرأة على استدارة رأسها ثمّ تجلبّب فوقه بجلبائها، والجمع المعاجر.

لسان العرب.

بنت النبي ذي الكمال الفاخر
وحسنها مع الجمال الزاهر
وخصّها منه بطهر طاهر

وَمَنْ لَهَا وَجْهٌ كَوَجْهِ الْقَمَرِ
بِفَضْلٍ مِنْ خَصِّ بَآيِ الزَّمَرِ
أَعْنِي عَلِيًّا خَيْرَ مَنْ فِي الْحَضَرِ
كَرِيمَةَ بِنْتِ عَظِيمِ الْخَطَرِ
أَكْرَمِ مَبْعُوثِ أَتَى بِالسُّورِ

وأذكر الخير وأبديه
ما فيه من كبر ولاتيه
فأله بالخير يجازيه
على جزيلات أياده
من بين ذي الخلق بواليه
ويقمع الكفر ويخزيه
أقوله والله يرضيه
من خالق الخلق ومنشيه
ذي شرف قد مكنت فيه
فما أرى شيئاً يدانيه^(١)

وكانت النسوة يرجعن أول بيت من كل رجز، ثم يكترن حتى دخلن الدار،
ودخل النبي (صلى الله عليه وآله) في حجرة أخرى، فأرسل إلى عليّ

سرن تهادين كذا بفاطمة
سرن بها تُشترّ في ثيابها
سرن بها فالله أعلى ذكرها
ثم قالت حفصة:

فاطمة خير نساء البشر
فضلك الله على كل الوري
زوّجك الله فستياً فاضلاً
فسرن جاراتي بها فإنّها
أعني النبي المصطفى أحدا
ثم قالت معاذة أم سعد بن معاذ:

أقول قولاً فيه ما فيه
محمّد خير بني آدم
بفضله عرّفنا رشداً
والشكر لله وسبحانه
نحن الذين اختارنا ربنا
وينصر الدين بأسيا فنا
صويحباتي فاستمعن قولاً
وأرتجي العزّ بافضاله
ونحن مع بنت النبي الهدى
في ذروة شامخة أصلها

(١) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٦٧ - ٢٦٩ / سورة الفرقان، نحوه المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٥٤، عنه

البحار ٤٣: ١١٥، والعوالم ١١: ٣٩٢.

(عليه السلام) وهو في المسجد، فجاء علي (عليه السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو مطرق من جهة الحياء رأسه.

فأجلسه رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن يمينه، وأمر أم سلمة أو أم أيمن أن تأتي بفاطمة إليه، فلما أتت إليها قالت فاطمة: من عند أبي؟ قالت: علي بن أبي طالب، فبكت استحياءً وقالت: واسوأته، كيف أحضر عند أبي ومعه رجل غيره؟! قالت أم سلمة: جعلت فداك ليس هو بأجنبي منك، بل هو ابن عمك وزوجك وأقرب الناس سبباً ونسباً إليك.

فلما أتت بها إليه، وهي تسحب أذيالها، وقد تصببت عرقاً استحياءً من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فعثرت فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله): أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة، فلما وقفت بين يديه أجلسها عن يساره، وكشف الرداء عن وجهها حتى رآها علي (عليه السلام)، فقال (صلى الله عليه وآله): يا علي بارك الله لك في ابنة رسول الله، نعم الزوجة فاطمة، ويا فاطمة نعم البعل علي.

وكانت فاطمة (عليها السلام) حينئذ تبكي، فقال (صلى الله عليه وآله): يا بني تي ليس هذا أوان البكاء بل أوان السرور والابتهاج، فأخذ بيد فاطمة وجعلها في يد علي وقال: خذها فإنك أحق بها، نعم الختن، ونعم الأخ، ونعم الصاحب أنت.

ثم قال: مرحباً ببحرين يلتقيان ونجمين يقتربان^(١)، اللهم اجمع شملهما، وآلف بين قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم، وارزقهما ذرية طيبة طاهرة مباركة، واجعل في ذريتهما البركة، ثم قال لفاطمة: كوني خادمة لعلي حتى يكون علي خادماً لك^(٢)، ثم قال لعلي (عليه السلام): نعم الزوجة زوجتك، وقال لفاطمة (عليها السلام): نعم البعل بعلك.

(١) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٦٩ - ٢٧٠ / سورة الفرقان.

(٢) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٧٠ / سورة الفرقان.

ثم قال: بارك الله لكما بالسعادة، وجعل من نسلكما أولاداً طيبة كثيرة، ثم قال لهما: إنطلقا إلى منزلكما ولا تحدثا شيئاً حتى آتيكما.

فانطلقا ودخلا الدار، فجلسا فيها منتظرين لقدوم النبي المختار حتى دخل عليهما رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأجلس فاطمة عن جانبه وتلطف بها، ثم أمرها بماء فقامت إلى قعب في البيت فملأته ماء ثم أتته به، فأمر (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) أن يشرب نصفه، فشرب فأخذ النبي (صلى الله عليه وآله) جرعة من النصف الآخر فتمضمض بها، ثم مجّها في القعب ثم صبّ منها على رأسها، ثم قال: أقبلي، فنضح منه بين ثدييها، ثم قال: أدبري، فنضح منه بين كتفيها، ثم قال: اللّهُمَّ هذه ابنتي وأحبّ الخلق إليّ، وهذا أخي وأحبّ الخلق إليّ، اللّهُمَّ اجعله لك ولياً، وبك حفيّاً، وبارك له في أهله.

وروي أنّه (صلى الله عليه وآله) أخذ في فيه ماء ودعا فاطمة وأجلسها بين يديه، ثم مجّ الماء في المخضب - وهو المكن - وغسل قدميه ووجهه، ثم أخذ كفّاً من ماء فضرب به على رأسها، وكفّاً أخرى ضرب بين ثدييها، ثم رشّ على جلدها الباقي من الماء، ثم دعا بمخضب آخر فدعا علياً (عليه السلام)، فصنع به كما صنع بها، ثم التزمهما فقال: اللّهُمَّ أنهما منّي وأنا منهما، اللّهُمَّ كما أذهبت عني الرجس وطهرتني تطهيراً، فأذهب عنهم وطهرهم تطهيراً^(١).

وروي في كتاب ابن مردويه: اللّهُمَّ بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في شبليهما^(٢).

وروي أنّه قال أيضاً: اللّهُمَّ أنهما أحبّ خلقك إليّ فأحبّهما، وبارك في ذريّتهما، واجعل عليهما منك حافظاً، وأنّي اعيزهما بك وذريّتهما من الشيطان الرجيم^(٣).

(١) البحار ٤٣: ١٤١ ح ٣٧ نحوه.

(٢) راجع المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٥٥ عنه البحار ٤٣: ١١٦ ح ٢٤.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٥٥ عنه البحار ٤٣: ١١٧ ح ٢٤.

وروي أنه دعا لها وقال: أذهب الله عنك الرجس وطهرك تطهيراً، ثم دعا له (عليه السلام) بمثله، ثم قال: يا علي أنت وأهلك بارك الله لك، ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد.

وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لَمَّا زَوَّجَ فاطمة وزفَّ بها، قالوا في الدعاء لهما: بالرفاء والبنين، قال (صلى الله عليه وآله): لا بل على الخير والبركة^(١). قيل: مقصود النبي (صلى الله عليه وآله) النهي عن هذا الدعاء لأنه كان دعاء أهل الجاهلية، والرفاء هو الإلثام والاتفاق.

ثم وثب (صلى الله عليه وآله) ليخرج تعلقت به فاطمة وبكت، فقال (صلى الله عليه وآله): ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: إن نساء قريش تعيرني بأن أباك زوّجك رجلاً فقيراً لا مال له، قال (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة أما ترضين عني فقد زوّجتك أقدم الناس إسلاماً، وأعظمهم حِلماً، وأكثرهم علماً، وإن عليّاً كفؤ شريف، وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقرّبين، فقالت: رضيت بما رضى الله به ورسوله.

ثم خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وطبق باب الحجر، وأخذ بعضادته وقال: طهر كما الله وطهر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما، وحرب لمن حاربكما، وأمر النساء المجتمعات بالرجوع وقال لهنّ: إرجعن رحمكن الله.

فتفرقت النساء إلا واحدة منهنّ فأقامت هناك، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أنت ولم وقفت هناك؟ قالت: أنا أسماء بنت عميس، وأريد أن أعمل بوصيّة خديجة، فقال (صلى الله عليه وآله): ما هي؟ قالت: كنت يوماً عند خديجة وعندها فاطمة فنظرت إليها وبكت، فقلت: لم تبكين وقد أعطاك الله مالم يعط غيرك؟ قالت: كذلك وأشكره على ذلك، لكنني أخاف أن أموت وتبقى فاطمة منفردة بلا رحم يأنسها، ولا يكون لها عند تزويجها من يتعهد حالها ويؤنسها.

(١) الكافي ٥: ٥٦٨ ح ٥٢، عنه البحار ٤٣: ١٤٤ ح ٤٦.

ثمّ قالت: وأنا أوصيك وأعزم عليك بالله سبحانه لو كنت في حال الحياة أن تكوني عندها في تلك الحالة ولا تتركها وحيدة، وقبلت تلك الوصية منها فأريد أن أعمل بها ولا أخالفها، فبكى النبي (صلى الله عليه وآله) ودعا لها وقال: اللهم استر أسماء واحفظها في ليلها ونهارها، واسترها في دنياها وآخرتها، واقض لها حاجاتها، ثمّ قال: يا أسماء نعم الرأي رأيك، فكوني معها ثلاثة أيّام أو سبعة^(١).

فلما ذهب النبي (صلى الله عليه وآله) أخذت فاطمة (عليها السلام) المصباح في البيت حياء، إلّا أن نور وجهها يكاد يخطف الأبصار، فأضاء منه الدار، قال عليّ (عليه السلام): فلما نظرت إلى وجه فاطمة أخذتني هيبة عظيمة من جهة كونها أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) في السمائل الحسنة، والكلام والإشارة، فذهبت إلى زاوية البيت وجلست ساعة، ثم قلت: يا بنت رسول الله إنّ لي ورد صلاة أريد أن أؤديها، قالت فاطمة: عليك بها، فقامت هي أيضاً ووقفت في عقيب تصليّي معي حتى طلع الصبح، فأتى النبي (صلى الله عليه وآله) ودقّ الباب وقال: السلام عليكم أهل البيت، أءدخل رحمكم الله؟!^(٢).

قالت أسماء: ففتحت الباب وكانت غداة قرّة، وهما مجتمعان من جهة قرّ السحر تحت العباءة، وكان فراش عليّ وفاطمة حين دخلت عليه اهاب كبش إذا أراد أن يناما عليه قلباه فناما على صوفه، وكانت وسادتها أدماً حشوه ليف، وكان سترهما عباءة، فأرادا أن يقوما ويفترقا، فأقسم عليهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يكونا كما كانا، فجاء وجلس بينهما ومدّ رجله على فراشهما، فأخذ بإحدهما عليّ وبالأخرى فاطمة فضمّاهما إليهما حتى دفنتا.

ثمّ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا عليّ كيف وجدت أهلك؟ قال: نعم العون على طاعة الله، وقال لفاطمة مثل ذلك فأجابت كذلك، ثمّ قال: يا عليّ جئني بكوز من الماء، فلما أتى به قرأ النبي (صلى الله عليه وآله) آياً من القرآن الكريم

(١) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٧٠ / سورة الفرقان.

(٢) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٧١ / سورة الفرقان.

عليه وقال لعليّ (عليه السلام): اشرب بعضه وابق بعضه، ففعل كما أمر، ثم رَشَ النبي (صلى الله عليه وآله) البعض الباقي على وجه عليّ (عليه السلام) وصدره وقال: أذهب الله عنك الرجس وطَهَّرَكَ تطهيراً.

ثم طلب شيئاً من الماء مرّة أخرى وقرأ عليه آيات من القرآن أيضاً، فقال لفاطمة: اشربي بعضه وأبقي بعضه، ففعل (صلى الله عليه وآله) بباقيه كما فعل أوّل مرّة، وقال لها ما قال له^(١).

ثم أمر بقدر من اللبن فقال لفاطمة: اشربي من هذا فذاك أبوك، ثم قال لعليّ: اشرب من هذا فذاك ابن عمّك، ودعا لهما بالخير والبركة، وقد ظنّ أنّهما كانا في تمام الليلة على تلك الهيئة الاجتماعية، فنزل جبرئيل بقوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع...﴾^{(٢)(٣)} الآية.

ثم جاء النبي (صلى الله عليه وآله) في اليوم الثاني فرأى أنّ كلاهما جالس في زاوية من البيت، فأخذ بيدهما وأجلسهما على نمط موروث من خديجة لفاطمة، وأمرهما بالاجتماع عند الجلسة والنومة، وقد كانت خديجة أحرزت لفاطمة جميع ما كان لها دون ابنتيها الآخرين: زينب زوجة أبي العاص بن الربيع، ورقية زوجة عتبة بن أبي لهب.

ثم جاء الرسول إليهما في الليلة الثالثة فطبخا حسواً له فأكلا معه، ثم قام النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المسجد، وكان يصلي ويدعو لهما تمام الليلة، فلما طلع الصبح أتى إليهما وكانا تحت العباءة، فأرادا الفرقة قال: حالكما، فدخل وهما على حالهما، ثم أمر علياً بالخروج إلى المسجد ساعة، ففعل كما أمر، فسأل النبي (صلى الله عليه وآله) فاطمة (عليها السلام) عن بعلاها، فقالت فاطمة: يا رسول الله خير بعل إلا أنّ نساء قريش تعيرني أن زوجك رسول الله رجلاً فقيراً لا مال له،

(١) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٧٢ / سورة الفرقان، البحار ٤٣: ١٣٣ ح ٣٢.

(٢) السجدة: ١٦.

(٣) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٧٢ / سورة الفرقان.

فسلّاها النبي (صلى الله عليه وآله) ببعض فضائل عليّ (عليه السلام) التي مرّت إلى ذكرها الإشارة وسيأتي بعضها.

ثمّ دعا عليّاً (عليه السلام) وقال له: يا أبا الحسن لا أراك غداً إلّا وقد بنيت بزوجتك، ثمّ قال لأسماء بنت عميس: جزاك الله خيراً أرجعي إلى بيتك، فرجعت ورجع النبي (صلى الله عليه وآله)، فخلّى (عليه السلام) بفاطمة^(١) بإذن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ثمّ جاء النبي (صلى الله عليه وآله) إليهما في اليوم الرابع وقرّ عينه بهما، قالت فاطمة: يا أبة إذ أتو بي إلى هذا البيت في أوّل ليلة، رأيت هنا نساء لم أر في نساء الدنيا أحسن منهنّ، ولم يكن لهنّ مشابهة بهنّ، قال (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة كنّ هنّ من الحور العين، أرسلهنّ الله إلى عرسك كرامة لك ولبعلك.

فهم (عليهم السلام) كانوا في مقام الإستيناس والصحة بتلك المقالة وغيرها إذا أتى الخبر بأنّ نساء قريش جاءت لتهنئة فاطمة (عليها السلام)، وهنّ محليّات بحليهنّ وحللهنّ، فحزن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انهنّ يجئن إلى فاطمة فتري حليهنّ وحللهنّ فتخجل عندهنّ، ويشقّ عليها تلك الحالة، إذ نزل جبرئيل بحلّة من الجنّة قيمتها تزيد على الدنيا وما فيها بالكليّة، فلبستها فاطمة فجلست، فلمّا جئن ورأين تلك الحلّة قلن: أنّى لك هذا يا فاطمة؟ قالت: من عند الله سبحانه^(٢).

هذا وما مرّ في أمر البوّابة وغيرها من ذكر أسماء بنت عميس، فهو محلّ إشكال على ما ذكره الفاضل المجلسي (رحمه الله)^(٣)، وإنّ الحقّ أن تكون هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاري لا بنت عميس، فإنّ أسماء بنت عميس كانت حينئذٍ مع زوجها جعفر بن أبي طالب بالحبشة، وقدم بها يوم فتح خيبر سنة

(١) في الاصل: لفاطمة.

(٢) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٧٥ / سورة الفرقان.

(٣) البحار ٤٣: ١٣٤.

سبع من الهجرة - كما يأتي ذكره - وكان زواج فاطمة (عليها السلام) بأيام يسيرة بعد وقعة بدر.

وروي عن عليّ (عليه السلام) أنّه قال: لمّا خرج النبي (صلى الله عليه وآله) من عندنا ليلة الزفاف مكث بعد ذلك ثلاثاً لا يدخل علينا، فلمّا كان في صبيحة اليوم الرابع جاءنا ليدخل علينا، فصادف في حجرتنا البوّابة، فقال لها: ما يقفك هنا؟ قالت: إنّ الفتاة إذا زوّجت إلى زوجها تحتاج إلى امرأة تتعاهدها وتقوم بحوائجها، قال (صلى الله عليه وآله): قضى الله لك حوائج الدنيا والآخرة.

قال عليّ (عليه السلام): وكانت غداة قرّة وكنت أنا وفاطمة تحت العباء، فلمّا سمعنا كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع البوّابة ذهبنا لنقوم، فقال (صلى الله عليه وآله) بحقّي عليكما لا تفترقا حتى أدخل عليكما، فرجعنا إلى حالنا.

فدخل (صلى الله عليه وآله) وجلس عند رؤوسنا، وأدخل رجله فيما بيننا، وأخذت رجله اليمنى فضممتها إلى صدري، وأخذت فاطمة رجله اليسرى فضممتها إلى صدرها، وجعلنا ندفيّ رجله من القرّحتى إذا دفتنا فطلب كوزاً من ماء وقرأ عليه آيات من كتاب الله وقال لي: اشرب بعضه وابق بعضه، ففعلت فرش الباقي على رأسي وصدري، وقال: أذهب الله عنك الرجس يا أبا الحسن وطهرك تطهيراً.

وأمرني بالخروج من البيت، وخلا بابنته وسأل عن حالها وزوجها، قالت: يا أبة خير زوج إلّا أنّه دخل عليّ نساء من قريش وقلن لي: زوّجك رسول الله من رجل فقير لا مال له.

فقال لها: يا بنيّة ما أبوك بفقير ولا بعلك بفقير، ولقد عُرِضت عليّ خزائن الأرض من الذهب والفضّة فاخترت الفقر، يا بنيّة لو تعلمين ما علم أبوك لسمحت الدنيا في عينك، يا بنيّة ما ألوتك نصحاً أن زوّجتك أقدمهم إسلاماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حِلماً، يا بنيّة إنّ الله اطّلع على الأرض اطّلاعة فاختر

من أهلها رجلين، جعل أحدهما أباك والآخر بعلك، يا بنتي نعم الزوج زوجك، لا تعصي له أمراً.

ثم صاح بي رسول الله وقال: يا عليّ أدخل بيتك، وألطف بزوجتك، وأرفق بها فإن فاطمة بضعة مني، يؤلمني ما يؤلمها ويسرني ما يسرّها.

ثم قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) لينصرف قالت له فاطمة: إن أسماء خدمتني مدة وأنا أستحي منها، ولا طاقة لي أيضاً بخدمة البيت، فأخدمني خادمة تخدمني وتعينني على أمر البيت، فقال (صلى الله عليه وآله) لها: يا فاطمة أولا تريدن خيراً من الخادم؟ فقلت لها: قولي بلى، قالت: يا أبة خيراً من الخادم.

قال: تسبّحين الله في كلّ يوم ثلاثاً وثلاثين مرّة، وتحمدينه ثلاثاً وثلاثين مرّة، وتكبرينه أربعاً وثلاثين مرّة، فذلك مائة باللسان وألف حسنة في الميزان، يا فاطمة إنك إن قلتها صبيحة كلّ يوم كفاك الله ما أهّمك من أمر الدنيا والآخرة^(١).

وفي رواية أخرى: إن طلبها الخادم من أبيها إنما كان بعد مدة مديدة، حيث جاءت إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وقالت: يا أبة لا أطيق على أشغال البيت، فأعطني خادمة تعينني على الخدمة، فعلمها النبي (صلى الله عليه وآله) التسبيحة المذكورة وقالت: رضيت بذلك عن الله سبحانه ورسوله، ورجعت إلى بيتها وقالت لعليّ (عليه السلام): ذهبت إلى أبي لخير الدنيا فأعطاني خير الدنيا والآخرة.

فكانت فاطمة بعد ذلك تباشر بنفسها لمهمات البيت، فكلّت يوماً ونامت، فجاء عليّ إلى الباب ودقّه فلم يجبه أحد، فنظر من شق الباب إلى البيت فإذا الرحي تدور بلا مدير لها، وتلق الحنطة عليها بلا مُلّقي، والمهد يتحرّك بلا محرّك، فعجب من ذلك فحكى القصّة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا عليّ أما علمت إنّ الله في الأرض ملائكة موكلين بمعونة محمّد وآل محمّد^(٢).

(١) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٧٤ / سورة الفرقان، المناقب للخوارزمي: ٣٥٢ ح ٣٦٤، عنه كشف الغمة

١: ٣٧٢، عنه البحار ٤٣: ١٣٣ ح ٣٢.

(٢) تفسير روض الجنان ١٤: ٢٧٥ / سورة الفرقان.

وردد أن علياً (عليه السلام) إقتسم أشغال البيت مع فاطمة (عليها السلام)، فكان عليّ يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز^(١).
وروي أن النبي (صلى الله عليه وآله) رأى فاطمة يوماً وعليها كساء من أجلّة الابل، وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينار رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا بنتاه تعجّلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقالت: يا رسول الله الحمد لله على نعمائه، وأشكره على آلائه، فأنزل الله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾^(٢)، ثم أرسل إليها بعد مدة فضة الخادمة المشهورة لتخدمها^(٣).

وروي أنه كان عند النبي (صلى الله عليه وآله) أسارى، وكانت فاطمة (عليها السلام) تشتكي إلى عليّ (عليه السلام) يديها ممّا تطحن بالرحى، فأمرها عليّ (عليه السلام) أن تطلب من النبي (صلى الله عليه وآله) خادمة، فدخلت على النبي (صلى الله عليه وآله) وذكرت حالها وسألت جارية، فبكى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا فاطمة أتريد أن لا ينفك عنك أجرك إلى الجارية، وأني أخاف أن يخصمك عليّ بن أبي طالب يوم القيامة بين يدي الله عزّ وجلّ إذا طلب حقّه منك، ثمّ علّمها صلاة التسبيح، فقال عليّ (عليه السلام): مضيت تريدن من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الدنيا فأعطانا الله ثواب الآخرة.

فلما خرجت فاطمة (عليها السلام) أنزل الله على رسوله: ﴿وامّا تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربّك ترجوها﴾^(٤) يعني عن قرابتك وابنتك فاطمة «إبتغاء» يعني طلب «رحمة من ربّك» يعني رزقاً من ربّك ترجوها «فقل لهم قولاً ميسوراً» يعني قولاً حسناً، فلما نزلت هذه الآية أنفذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) جارية إليها

(١) الكافي ٥: ٨٦ ح ١، عنه البحار ٤٣: ١٥١ ح ٧، ونحوه من لا يحضره الفقيه ٣: ١٦٩ ح ٣٦٤٠، وأمالي الطوسي: ٦٦٠ ح ١٣٦٩، وقرب الاسناد: ٥٢ ح ١٧٠.

(٢) الضحى: ٥.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٤٢، عنه البحار ٤٣: ٨٥ ح ٨، ونحوه تأويل الآيات: ٧٨٣ وتفسير كنز الدقائق: ١٤: ٣١٨، والصابي ٥: ٣٤٠.

(٤) الاسراء: ٢٨.

للخدمة سَمَّاهَا فَضَّة^(١).

وورد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) صار يوماً بعد الفجر إلى بيت فاطمة (عليها السلام) وهو محزون، فأبصر علياً (عليه السلام) نائماً بين يدي الباب على الدقعاء^(٢) والتراب، فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول: قم فذاك أبي وأُمِّي يا أبا تراب، فأخذ بيده ودخلا منزل فاطمة (عليها السلام)، ثم خرج (صلى الله عليه وآله) مستبشراً ضاحكاً يقول: أصلحت بين إثنين أحبَّ أهل الأرض إلى أهل السماء^(٣).

وفي رواية أخرى أنه كان بين عليّ وفاطمة كلام، فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وألقى له مثال، فاضطجع فجاءت فاطمة (عليها السلام) واضطجعت من جانب وعليّ (عليه السلام) من جانب، فأخذ بيد عليّ ووضعها على سَرتِه، ثم أخذ بيد فاطمة فوضعها أيضاً كذلك، فلم يزل كذلك حتى أصلح بينهما، ثم خرج مستبشراً فقال ما مرَّ من الكلام^(٤)، ولا يخفى أن نحو هذه الأخبار مؤوَّلة بما يرجع إلى ضرب من المصلحة.

وروي أنه أهديت لجعفر في بلاد الحبشة حين هاجر إليها مع المؤمنين جارية قيمتها أربعة آلاف درهم، فلمَّا قدم المدينة أهداها لعليّ (عليه السلام) تخدمه، فدخلت فاطمة يوماً ورأت رأس عليّ في حجر الجارية، فقالت: يا أبا الحسن فعلتها؟ فقال: لا والله يا بنت محمّد (صلى الله عليه وآله)، فما تريدین؟ قالت:

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٤١، عنه البحار ٤٣: ٨٥ ح ٨، وتفسير كنز الدقائق ٧: ٣٩٥.

(٢) الدقعاء: عامّة التراب، وقيل: التراب الدقيق على وجه الأرض / لسان العرب.

(٣) علل الشرائع: ١٥٥ ح ١، عنه البحار ٤٣: ١٤٦ ح ١، والعوالم ١١: ٤٩١ ح ١، كشف الغمة ٢: ٩٥، قال الصدوق (رحمه الله): ليس هذا الخبر عندي بمعتمد، ولا هو لي بمعتقد في هذه العلة، لأنَّ عليّاً وفاطمة (عليهما السلام) ما كانا ليقع بينهما كلام يحتاج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الإصلاح بينهما، لأنَّه (عليه السلام) سيّد الوصيين وهي سيّدة نساء العالمين، مقتديان بنبي الله (صلى الله عليه وآله) في حسن الخلق. [راجع البحار ٤٣: ١٤٧].

(٤) علل الشرائع: ١٥٦ ح ٢، عنه البحار ٤٣: ١٤٦ ح ٢، والعوالم ١١: ٤٩١ ح ٢.

تأذن لي في المصير إلى منزل أبي؟ فأذن.

فذهبت فنزل جبرئيل بالخبر، وإن فاطمة تريد الشكاية من عليّ فلا تقبل منها في عليّ شيئاً، فدخلت فاطمة فقال النبي (صلى الله عليه وآله): جئت تشكين عليّاً؟ فقالت: إي وربّ الكعبة، فقال لها: أرجعي إليه فقولِي له: رغم أنفي لرضاك، ففعلت كذلك فقالت القول المذكور ثلاثاً.

فقال عليّ (عليه السلام): شكوتني إلى خليلي وحببي رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ واسوأته من رسول الله، أشهد الله يا فاطمة أن الجارية حرّة لوجه الله، وإن الأربعمائة درهم التي فضلت من عطائي صدقة على فقراء المدينة. ثم ذهب عليّ (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فهبط جبرئيل من الله تعالى أن يا محمّد قل لعليّ: قد أعطيتك الجنّة بعقك الجارية في رضاء فاطمة، والنار بالأربعمائة درهم التي تصدّقت بها، فادخل الجنّة من شئت برحمتي، واخرج من النار من شئت بعفوي، فعندها قال عليّ (عليه السلام): أنا قسيم الله بين الجنّة والنار، والصلاة والسلام على محمّد وآله الأبرار^(١).

فصل: [في أولاد فاطمة (عليها السلام)]

وكان للزهراء (عليها السلام) خمسة أولاد، الأول والثاني: الحسن والحسين (عليهما السلام)، ولها إحدى عشر سنة أو إثنتا عشرة سنة.

وفي كشف الغمة: أنّها ولدت في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وقيل: ولدت لسته أشهر، والصحيح خلافه.

ونقل أنّها ولدت بعد أحد بسنتين، وكان بين وقعة أحد ومقدم النبي (صلى الله عليه وآله) المدينة سنتان وستة أشهر ونصف، فولادته لأربع سنين وستة أشهر ونصف من التاريخ، وبين أحد وبدر سنة ونصف، وروي أنّها ولدت

(١) علل الشرائع: ١٦٣ ح ٢، عنه البحار ٤٣: ١٤٧، ح ٣، وبشارة المصطفى: ١٠١، وتفسير البرهان ٤:

٢٢٤ ح ٨، والعوامل ١١: ٤٩٣ ح ٤.

في شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، إنتهى^(١).

وأما الحسين (عليه السّلام) فروى المجلسي (رحمه الله) أنّ الحسين (عليه السّلام) وُلد عام الخندق يوم الخميس أو الثلاثاء لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة بعد أخيه الحسن (عليه السّلام) بعشرة أشهر وعشرين يوماً^(٢). وقال في كشف الغمة: كان ولادته لخمس خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة، علقت فاطمة (عليها السّلام) به بعد أن ولدت أخاه الحسن (عليه السّلام) بخمسين ليلة، إنتهى^(٣).

والمشهور في مدّة حملهِ (عليه السّلام) أنّه ستة أشهر، وأنّه كان بينه وبين يحيى مشابهة في ذلك، وفي المظلوميّة، والشهادة، وإهداء رأسه إلى ظالم عتلّ زعيم مولود من الزينة، وغير ذلك من الأمور الكثيرة المفصلة في محلّها. الثالث: زينب الكبرى، وكانت في الفصاحة، والبلاغة، والأزهد، والعبادة، والفضل، والشجاعة أشبه الناس بأبيها وأمّها، وكان بعد شهادة الحسين (عليه السّلام) أمور أهل البيت بل جميع بني هاشم قاطبة بيدها، وخطبها ومكالماتها مع يزيد وابن زياد لعنهما الله مشهورة مأثورة مذكورة في كتاب الإحتجاج وغيره، وكانت زوجة عبد الله بن جعفر، وكان لها منه ولدان استشهدا في الطف بين يدي الحسين (عليه السّلام).

الرابع: زينب الصغرى المكنيّة بأُمّ كلثوم التي اختلف الأخبار فيها، ففي بعضها أنّ عمر بن الخطاب خطبها في أيّام خلافته فامتنع عليّ (عليه السّلام) من ذلك، فدعا عمر العباس عمّ النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال له: خطبت إلى ابن أخيك فردّني، فوالله لأعيدنّ زمزم، ولأنزغنّ منك السقاية، ولا أدع لكم مكرمة إلّا

(١) كشف الغمة ٢: ١٣٧، عنه البحار ٤٤: ١٣٦ ح ٤، وانظر أيضاً الذريّة الطاهرة للدولابي:

١٠١ ح ٩٣.

(٢) البحار ٤٣: ٢٣٧ ح ١.

(٣) كشف الغمة ٢: ٢١٢، عنه البحار ٤٤: ٢٠٠ ح ١٩.

هدمتها، ولا قيمنّ عليه شاهدين بأنّه سرق، ولأقطعنّ يمينه^(١). وفي خبر آخر قال له: احضر غداً في المسجد عند خطبتي للناس، فلما حضر قال عمر في آخر خطبته: أيّها الناس لو اطلع الخليفة على رجل منكم أنّه زنا بامرأة، ولم يكن هناك شهود فماذا كنتم تفعلون؟ قالوا: قول الخليفة حجة لو أمر برجمه لرجمناه.

فسكت عمر ثم نزل فدعا العباس في خلوة وقال: رأيت الحال؟ قال: نعم، قال: والله لو لم يقبل عليّ خطبتي لقلت غداً في خطبتي أنّ هذا الرجل عليّ فارجموه، فأتى العباس عليّاً (عليه السلام) وأصرّ عليه في ذلك حتى حوّل عليّ (عليه السلام) أنرها بيده، فزوّجها منه^(٢). وفي خبر آخر قيل للصادق (عليه السلام) في ذلك قال: هو أوّل فرج غُصِبناه، وإنّ ذلك لم يكن أشدّ وأعظم وأفضح من غضب الخلافة^(٣).

وفي بعضها أنّه ذكر ذلك الخبر عند الصادق (عليه السلام) وكان متكئاً، فجلس وقال: سبحان الله ما كان أمير المؤمنين يقدر أن يحول بينه وبينها، كذبوا لم يكن ما قالوا، وإنّما عليّ لما أصرّ العباس عليه بذلك أرسل إلى جنيّة من أهل نجران يهوديّة يقال لها: «سحيقة بنت جريرية» فأمرها فتمثّلت مثال أمّ كلثوم، وحجبت الأبصار عن أمّ كلثوم، وبعث بها إلى الرجل.

فلم تزل عنده حتى أنّه استراب بها يوماً فقال: ما في الأرض أهل بيت أسحر من بني هاشم، ثم أراد أن يظهر للناس فقتل، ثم أخذت الميراث وانصرفت إلى نجران، وأظهر أمير المؤمنين (عليه السلام) أمّ كلثوم حينئذٍ^(٤).

(١) الكافي ٥: ٣٤٦ ح ٢، ونحو البحار ٤٢: ٩٤ ح ٢٢ عن الطرائف، وانظر الصراط المستقيم ٣: ١٢٩.

والعوامل ١١: ٩٨٧ ح ٢، والوسائل ١٤: ٢١٧ ح ٢.

(٢) نحوه في الاستغاثة للكوفي ١: ٧٨، عنه العوامل ١١: ٩٩٠ ح ٦.

(٣) راجع الكافي ٥: ٣٤٦ عنه البحار ٤٢: ١٠٦ ح ٣٤، والعوامل ١١: ٩٨٧ ح ١، والوسائل ١٤: ٤٣٣ ح ٢.

(٤) الخرائج ٢: ٨٢٥ ح ٣٩، عنه البحار ٤٢: ٨٨ ح ١٦، ومدينة المعاجز ٣: ٢٠٢ ح ٨٢٨، والعوامل

وبالجملة فعلى فرض صحة الرواية السابقة لا قدح في ذلك لعليّ (عليه السلام) ولو بملاحظة التقيّة، فإنّ الضرورات تبيح المحظورات، وكذلك بالنسبة إلى أمّ كلثوم مع أنّ ظاهر الإسلام يوجب صحة المناكحة، كما يشهد بذلك تزويج النبي (صلى الله عليه وآله) لعائشة وحفصة، وتزويجه عثمان لرقية واختها^(١).

الخامس: محسن، وكان قريباً بالوضع فسقط بصدمة عمر حين صدم الباب عليها، لما أراد إخراج عليّ (عليه السلام) من بيته قهراً إلى المسجد ليبيع أبا بكر بعد أن بويع بالخلافة.

وفي الاحتجاج أنّ عمر أرسل قنفذاً مع جماعة كثيرة - وكان رجلاً فظاً غليظاً جافياً من الطلقاء أحد بني تيم - فذهبوا إلى عليّ (عليه السلام)، فاستأذنوا للدخول فلم يأذن عليّ (عليه السلام)، فرجع أصحابه وجدل هو عند الباب، فأمرهم عمر بالرجوع والدخول وإن لم يأذن عليّ، فلما رجعوا حرّجهم^(٢) فاطمة أن يدخلوا البيت بغير إذن، فرجعوا إلى عمر فأخبروه، فقال: مالنا وللنساء. ثمّ أمر أناساً حوله فحملوا الحطب معه فجعلوه حول منزل عليّ (عليه السلام)، ثمّ نادى عمر حتى أسمع عليّاً (عليه السلام): والله لتخرجنّ

(١) قال الشيخ المفيد في المسائل السروية صفحة ٨٦ (المجلد السابع من مجموعة مصنفات الشيخ المفيد): إنّ الخبر الوارد بتزويج أمير المؤمنين (عليه السلام) ابنته من عمر غير ثابت، وطريقه من الزبير ابن بكار، ولم يكن موثقاً به في النقل، وكان متهماً فيما يذكره، وكان يبغض أمير المؤمنين (عليه السلام) وغير مأمون فيما يدّعيه على بني هاشم.... والحديث بنفسه مختلف، فتارة يروي أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) تولّى العقد له على ابنته، وتارة يروي أنّ العباس تولّى ذلك عنه، وتارة يروي أنّه لم يقع العقد إلا بعد وعيد من عمر وتهديد لبني هاشم، وتارة يروي أنّه كان عن إختيار وإيثار. ثمّ إنّ بعض الرواة يذكر أنّ عمر أولدها ولداً أسماه زيداً، وبعضهم يقول: أنّه قتل قبل دخوله بها، وبعضهم يقول: إنّ لزيد بن عمر عقباً، ومنهم من يقول: أنّه قتل ولا عقب له، ومنهم من يقول: إنّ أمّه قتلا، ومنهم من يقول: إنّ أمّه بقيت بعده، ومنهم من يقول: إنّ عمر أمهر أمّ كلثوم أربعين ألف درهم، ومنهم من يقول: مهرها أربعة آلاف درهم، ومنهم من يقول: كان مهرها خمسمائة درهم، وبدوّ هذا الاختلاف فيه يُطل الحديث، فلا يكون له تأثير على حال.

(٢) أي ضيق عليهم.

ولتبايعن خليفة رسول الله أو لأضرمنّ عليك، ثمّ رجع إلى أبي بكر خوفاً أن يخرج عليّ (عليه السلام) بسيفه وقال لقنفذ: إن خرج وإلاّ فاقتحم عليه، فإن امتنع فأضرم عليهم بيّتهم ناراً.

فاقتحم قنفذ وأصحابه بغير إذن فأحاطوا بعليّ (عليه السلام) وضبطوه، وألقوا في عنقه حبلاً، وحالت فاطمة (عليها السلام) بين زوجها وبينهم عند باب البيت، فضربها قنفذ بالسوط على عضدها، وألجأها إلى عضادة باب بيتها فدفعها، فكسر ضلعاً من جنبها وألقت جنيناً من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت من ذلك شهيدة^(١).

وهذا أيضاً مستند إلى عمر، فلا ينافي هذه الرواية ما ورد أنّ أوّل معاملة تعامل يوم القيامة هي معاملة المحسن مع عمر بن الخطاب، مع أنّ عمر صدمها ثانية في المسجد عند مطالبته فدك - كما يأتي إليه الإشارة - وفي هذه المقامات تفصيلات لا تليق بالباب.

[فصل]

[في نقش خاتمها وأدعيتها (عليها السلام)]

وكان نقش خاتم الزهراء (عليها السلام): «الله وليّ عصمتي»، وقيل: كان خاتمها من الفضّة ونقشه: «نعم القادر الله»، وقيل: «آمن المتوكلون»^(١). وذكروا أنّ لنقش هذه الكلمات في فصّ الخاتم تأثيراً عجيباً لدفع الأعداء، وحفظ الأموال والأولاد والبدن عن شرّ الإنس والجنّ والأهرمن، وجميع المكاره والآفات والأسواء والبليّات.

وقيل: نقش خاتمها (عليها السلام) نقش خاتم سليمان بن داود، وهو: «سبحان من ألبم الجنّ بكلماته».

وكان دعاؤها (عليها السلام): «بسم الله الرحمن الرحيم، يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث فأغثني، ولا تكلني إلى نفسي طرفه عين، وأصلح لي شأني كلّهُ»^(٢). ودعاؤها المشهور بدعاء الحمى ذكره في البحار على ما أُشير إليه سابقاً، وعلمته سلمان وهو هذا:

«بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور على نور، بسم الله الذي هو مدبّر الأمور، بسم الله الذي خلق النور من النور، الحمد لله

(١) البحار ٤٣: ٩ ح ١٤، عن مصباح الكفعمي.

(٢) مهج الدعوات: ٥، عنه العوالم ١١: ٢٩٩ ح ١، ونحوه مسند فاطمة للسيوطي: ٢ ح ٤.

الذي خلق النور من النور، وأنزل النور على الطور، في كتاب مسطور، في رق منشور، بقدر مقدور، على نبيّ محبوب، الحمد لله الذي هو بالعزّ مذكور، وبالفخر مشهور، وعلى السراء والضراء مشكور، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين. قال سلمان: تعلّمت هذا الدعاء ولقد علّمته أكثر من ألف نفس من أهل المدينة ومكة ممّن بهم الحمى، فبرئ كلّ من مرّضه باذن الله تعالى^(١).

وروى ابن طاووس هذين الدعاءين في باب حرز فاطمة. وروي أنّه أصابت عليّاً (عليه السلام) شدة، فأنت فاطمة (عليها السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله ما طعام الملائكة عند ربنا؟ فقال: التحميد، فقالت: ما طعامنا؟ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا بنيّة والذي نفسي بيده ما اقتبس في آل محمد شهر ناراً، وأعلمك خمس كلمات علّمنهنّ جبرئيل، قالت: يا رسول الله ما الخمس الكلمات؟ قال: «يا ربّ الأولين والآخرين، يا إله العالمين، يا ذا القوّة المتين، يا راحم المساكين، يا أرحم الراحمين». فتعلّمنهنّ ورجعت، فلمّا أبصر بها عليّ (عليه السلام) قال: بأبي وأمي ما وراءك يا فاطمة؟ قالت: ذهبت للدنيا وجئت بالدنيا والآخرة، قال عليّ (عليه السلام): خير أياّمك خير أياّمك^(٢).

ومن جملة أدعيتها (عليها السلام) ما علّمه إيّاها أبوها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال ابن طاووس (رحمه الله): ووجدنا أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال للزهراء (عليها السلام): يا فاطمة ألا أعلمك دعاء لا يدعو به أحدٌ إلّا استجيب له، ولا يجوز فيك سحر ولا سمّ، ولا يشمت بك عدوّ، ولا يعرض لك الشيطان، ولا يعرض عنك الرحمن، ولا ينزع عنك نعمة، ولا يردّ لك دعوة، ويقضي حوائجك كلّها؟! قالت: يا أبة لهذا أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها، قال: تقولين:

(١) مهج الدعوات: ٥، عنه البحار ٤٣: ٦٦ ح ٥٩ دلائل الإمامة: ١٠٧ ح ٣٥، والخرائج: ٢: ٥٣٣ ح ٩.

(٢) الدعوات للراوندي: ٤٧ ح ١١٦، عنه البحار ٤٣: ١٥٢ ح ١٠.

«يا أعزّ مذكور وأقدمه قدماً في العزّ والجبروت، يا رحيم كلّ مسترحم، ومفرع كلّ ملهوف إليه، يا راحم كلّ حزين يشكو بهّ وحزنه إليه، يا خير من سئل المعروف منه وأسرع إعطاءً، يا من تخاف الملائكة المتوقّدة بالنور منه، أسألك بالأسماء التي تدعوك بها حملة عرشك، ومن حول عرشك بنورك يسبحون شفقة من خوف عقابك، وبالأسماء التي يدعوك بها جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، إلّا أجبتني وكشفت يا إلهي كرتي، وسترّت ذنوبي.

يا من يأمر بالصيحة في خلقه فإذا هم بالساهرة يُحشرون، وبذلك الإسم الذي أحيت به العظام وهي رميم، أحي قلبي، واشرح صدري، وأصلح شأنِي، يا من خصّ نفسه بالبقاء، وخلق لبريّه الموت والحياة والفناء، يا من فعله قول، وقوله أمر، وأمره ماض على ما يشاء.

أسألك بالإسم الذي دعاك به خليلك حين ألقى في النار فدعاك به فاستجبت له، وقلت: (يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم)، وبالإسم الذي دعاك به موسى من جانب الطور الأيمن فاستجبت له، وبالإسم الذي خلقت به عيسى بن مريم من روح القدس، وبالإسم الذي تبت به على داود، وبالإسم الذي وهبت به لزكريّا يحيى، وبالإسم الذي كشفت به عن أيّوب الضرّ، وتبت به على داود، وسخرت به لسليمان الريح تجري بأمره والشياطين، وعلمته منطق الطير، وبالإسم الذي خلقت به العرش، وبالإسم الذي خلقت به الكرسي، وبالإسم الذي خلقت به الروحانيّين، وبالإسم الذي خلقت به الجنّ والإنس، وبالإسم الذي خلقت به جميع الخلق، وبالإسم الذي خلقت به جميع ما أردت من شيء، وبالإسم الذي قدرت به على كلّ شيء، أسألك بحقّ هذه الأسماء إلّا ما أعطيتني سؤلي، وقضيت حوائجي، يا كريم».

فإنّه يقال لك: يا فاطمة نعم نعم^(١).

(١) مهج الدعوات: ١٣٩، عنه البحار ٩٥: ٤٠٤ ح ٣٥، والعوالم ١١: ٣٢٥، وانظر دلائل الإمامة: ٧٢ ح ١٢.

ومن جملة أدعيتها (عليها السلام) في حوائج الدنيا والآخرة هذا الدعاء:
 «اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَاسْتَرْنِي وَعَافْنِي أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنِي، وَاعْفِرْ لِي
 وَارْحَمْنِي إِذَا تَوَفَّيْتَنِي، اللَّهُمَّ لَا تَعِينِي فِي طَلَبِ مَالٍ تَقْدَرُهُ لِي، وَمَا قَدَّرْتَهُ عَلَيَّ
 فَاجْعَلْهُ مَيْسَرًا سَهْلًا، اللَّهُمَّ كَافِ عَنِّي وَالِدَيَّ وَكُلَّ مَنْ نَعِمَ عَلَيَّ خَيْرَ مَكَافَاةٍ، اللَّهُمَّ
 فَرِّغْنِي لِمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَلَا تَشْغَلْنِي بِمَا تَكْفَلْتَنِي بِهِ، وَلَا تَعَذِّبْنِي وَأَنَا أَسْتَغْفِرُكَ، وَلَا
 تَحْرِمْنِي وَأَنَا أَسْأَلُكَ، اللَّهُمَّ ذَلِّلْ نَفْسِي فِي نَفْسِي، وَعَظِّمْ شَأْنَكَ فِي نَفْسِي، وَأَلْهَمْنِي
 طَاعَتَكَ، وَالْعَمَلَ بِمَا يَرْضِيكَ، وَالتَّجَنُّبَ مِمَّا يَسْخُطُكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»^(١).

ومن جملة أدعيتها (عليها السلام) للفرج من الحبس والضيق، ما روي أن رجلاً كان محبوساً بالشام مدة طويلة مضيقة عليه، فرأى في منامه كأن الزهراء (عليها السلام) أتت فقالت له: أدع بهذا الدعاء، فتعلّمه ودعا به فتخلّص ورجع إلى منزله، وهو:

«اللَّهُمَّ بِحَقِّ الْعَرْشِ وَمَنْ عِلَاهُ، وَبِحَقِّ الْوَحْيِ وَمَنْ أَوْحَاهُ، وَبِحَقِّ النَّبِيِّ وَمَنْ نَبَّاهُ، وَبِحَقِّ الْبَيْتِ وَمَنْ بَنَاهُ، يَا سَامِعَ كُلِّ صَوْتٍ، يَا جَامِعَ كُلِّ فَوْتٍ، يَا بَارِي
 النُّفُوسِ بَعْدَ الْمَوْتِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَآتِنَا وَجْمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فَرْجًا مِنْ عِنْدِكَ عَاجِلًا بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِنَّ
 مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِ
 الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا»^(٢).

ومنها غير ذلك. ومن جملة ما اختصّ بها (عليها السلام) التسبيح المشهور بتسبيح الزهراء، المؤكّد عقيب الصلاة وعند النوم، كما أُشير إلى كَيْفِيَّتِهِ بالتكبير أولاً ثمّ تقديم الحمد على التسبيح أو بالعكس، وفي بعض الأخبار التسبيح أولاً ثمّ التحميد ثمّ التكبير، والأصل هو التكبير أولاً ثمّ التسبيح ثمّ التحميد.
 وقد مرّ أنّها مائة في الحساب وألف في الميزان، وإنّ من قالها صبيحة كلّ يوم

(١) مهج الدعوات: ١٤١، عنه البحار ٩٥: ٤٠٦ ح ٣٦، والعوالم ١١: ٣٢٨.

(٢) مهج الدعوات: ١٤٢، عنه البحار ٩٥: ٢٠٣ ح ٣٦.

كفاه الله ما أهمته من أمر الدنيا والآخرة، ولقد أعطاها النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك حين طلبت الخادمة منه، فأمرها بذلك، وأنه خير مما طلبته على ما مرّ تفصيله.

وعن الباقر (عليه السلام): ما عبد الله بشيء من التمجيد أفضل من تسبيح فاطمة (عليها السلام) لو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله (صلى الله عليه وآله) لها^(١).

ومراده (عليه السلام) أن فاطمة كانت أحب الأشياء عنده وأعزّها، فتخصيصها (عليها السلام) بالتسبيح المسطور دليل على كون التسبيح المذكور عنده في غاية درجات الشرف والفضيلة.

وعن الصادق (عليه السلام): تسبيح فاطمة (عليها السلام) في كلّ يوم في دبر كلّ صلاة أحبّ إليّ من صلاة ألف ركعة في كلّ يوم^(٢).

وعنه (عليه السلام): من سبّح تسبيح فاطمة (عليها السلام) قبل أن يثني رجليه من صلاة الفريضة غفر الله له، ويبدأ بالتكبير^(٣).

وكانت صلاتها المخصوصة بها انتساباً صلاتين مندوبتين، إحداهما: ركعتان يُقرأ في كلّ ركعة بعد الحمد سورة التوحيد مرّتين، والثانية: ركعتان أيضاً يُقرأ في الركعة الأولى بعد الحمد سورة القدر مائة مرّة، وفي الثانية سورة التوحيد مائة مرّة، ويُقرأ بعد الفراغ على كلّ تقدير التسبيح الآخر المشهور بتسبيح الزهراء، وهو أقلّ شهرة من الأوّل المذكور، وهو هذا:

(١) الكافي ٣: ٣٤٣ ح ١٤، عنه البحار ٤٣: ٦٤ ح ٥٦، والوسائل ٤: ١٠٢٤ ح ١، ونحوه في التهذيب ٢: ١٠٥ ح ١٦٦، العوالم ١١: ٢٨٨ ح ١٩.

(٢) الكافي ٣: ٣٤٣ ح ١٥، وفي البحار ٨٥: ٣٣١ ح ٩، والوسائل ٤: ١٠٢٤ ح ٢، وكشف الغمة ٢: ٩٩، والتهذيب ٢: ١٠٥ ح ٣٩٩، ومكارم الأخلاق: ٢٨١.

(٣) قرب الاسناد: ٤ ح ١١، عنه البحار ٨٥: ٣٢٨ ح ٢، وفي الكافي ٣: ٣٤٢ ح ٦، ومكارم الأخلاق ص: ٢٨١، والوسائل ٤: ١٠٢٢ ح ٦، وثواب الأعمال: ١٩٦ ح ٤، العوالم ١١: ٢٨٩ ح ٢٣، وكشف الغمة ٢: ٩٩، والتهذيب ٢: ١٠٥ ح ٣٩٥.

«سبحان من لبس البهجة والجمال، سبحان من تردى بالنور والوقار، سبحان من يرى أثر النمل في الصفا، سبحان من يرى أثر الطير في الهواء، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره». وهي سريع الأثر في المطالب والحاجات^(١).

ونقل الفاضل المجلسي (رحمه الله) في زاد المعاد في وظائف اليوم الأول من ذي الحجة، الذي ورد وقوع تزويج الزهراء (عليها السلام) من أمير المؤمنين في ذلك اليوم، صلاة أخرى لها عن الشيخ (رحمه الله)، وأنه قال: يستحب في اليوم الأول من ذي الحجة صلاة الزهراء (عليها السلام)^(٢).

وورد أنها أربع ركعات مثل صلاة علي (عليه السلام)، كل ركعتين بتسليمة واحدة يُقرأ في كل ركعة بعد الحمد سورة التوحيد خمسين مرة، ويُقرأ بعد الفراغ من الركعات تسبيح الزهراء (عليها السلام)، وهي: «سبحان ذي العز الشامخ...» إلى آخر مأمّر.

وجعل الفاضل المذكور الأحوط في عمل ذلك اليوم الجمع بين هذه الصلاة وبين الصلاة السابقة، وكذا في قراءة التسبيح بعد الصلاة الجمع بين التسبيح المذكور وبين التسبيح الآخر المشهور.

ونقل السيد ابن طاووس في كتاب الإقبال صلاة أخرى لها (عليه السلام)، وسيأتي ذكرها^(٣).

وتحييتها المشهورة: «اللَّهُمَّ صلّ على الصديقة فاطمة الزكّية، حبيبة حبيبك، وأمّ أحبائك وأصفيائك التي انتجبتها وفضلتها واخترتها على نساء العالمين، اللَّهُمَّ كن الطالب لها ممّن ظلمها واستخفّ بحقّها، وكن النائر اللَّهُمَّ بدم أولادها، اللَّهُمَّ وكما جعلتها أمّ أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وحليلة صاحب اللواء، والكريمة

(١) مصباح المتجهّد: ٦٧١ في شهر ذي الحجة، وجمال الأسبوع: ٢٦٣ الفصل: ٢٩، والبحار: ٩١: ١٨٠.

ح ٧ و ٨، والعوالم ١١: ٣٠٠.

(٢) مصباح المتجهّد: ٦٧١ أعمال شهر ذي الحجة.

(٣) الإقبال ٣: ١٦٦، البحار ١٠٠: ١٩٩.

عند الملائكة، فصلّ عليها وعلى أمّها صلاة تکرّم بها وجه أبيها محمّد (صلّى الله عليه وآله)، وتقرّب بها عين ذريّتها، وأبلغهم في هذه الساعة أفضل التحيّة والسلام»^(١).

ونقل الفاضل المجلسي تحيّة أخرى لها (عليه السّلام) نقلها عن ابن طاووس، وإنّ من زارها بهذه الزيارة، وطلب من الله سبحانه المغفرة غفر الله ذنوبه البتّة، ويدخله الجنة، وهي أن تقول:

«السلام عليك يا سيّدة نساء العالمين، السلام عليك يا والدة الحجج على الناس أجمعين، السلام عليك أيّها المظلومة الممنوعة حقّها» ثمّ تقول: «اللهم صلّ على أمّتك، وابنة نبيّك، وزوجة وصيّ نبيّك، صلاة تزلفها فوق زلفى عبادك المكرمين من أهل السماوات وأهل الأرضين»^(٢).

وقال ابن طاووس في صلاة الزيارة لها: لو أمكنك أن تفعل صلاة الزهراء (عليها السّلام) فافعل، وهي ركعتان تقرأ في كلّ ركعة بعد الحمد سورة التوحيد ستين مرّة، ولو لم تقدر على ذلك ففي الركعة الأولى بعد الحمد سورة التوحيد مرّة، والركعة الثانية سورة الجحد مرّة^(٣).

وروي في كشف الغمّة عن عليّ عن فاطمة (عليها السّلام) قالت: قال لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله): من صلّى عليك غفر الله له وألحقه بي حيث كنت من الجنة^(٤).

قال الفاضل المجلسي (رحمه الله): والأولى والأفضل زيارتها (عليها السّلام) في الأوقات الشريفة والأزمنة المخصوصة بها، مثل يوم ولادتها، وهو متّمم العشرين من الجُمادى الآخرة عند الشيخ المفيد والسيد ابن طاووس، أو اليوم

(١) جمال الأسبوع: ٤٨٦، عنه البحار ٩٤: ٧٤ ح ١.

(٢) الإقبال ٣: ١٦٦، البحار ١٠٠: ١٩٩.

(٣) الإقبال ٣: ١٦٦، البحار ١٠٠: ١٩٩.

(٤) كشف الغمّة ٢: ١٠٠، عنه البحار ٤٣: ٥٥ ح ٤٨.

العاشر منه كما عند جماعة.

ومثل يوم وفاتها (عليها السلام)، وهو اليوم الثالث منه عند السيد وجماعة، أو الحادي والعشرون من شهر رجب عند ابن عباس، ومثل يوم تزويجها (عليها السلام) وهو النصف من شهر رجب، أو اليوم الأوّل من ذي الحجة، أو اليوم السادس منه. ومثل ليلة زفافها وهي التاسعة عشر من ذي الحجة، أو الحادية والعشرون من محرّم، وفي يوم المباهلة وهو الرابع والعشرون من ذي الحجة، ويوم نزول سورة هل أتى، والخامس والعشرون منه، ونحو ذلك ممّا أوردناه في كتاب بحار الأنوار، إنتهى^(١).

(١) زاد المعاد، أعمال شهر ذي الحجة.

فصل

وأما الكلام في ذكر فذك والعوالي وغصبها عنها

فهو أن العوالي جمع العالية، وهي من الأراضي في الشهرة العرفية على ما في الصحاح ما فوق نجد إلى أرض تهامة، وإلى ما وراء مكة وهي الحجاز وما والاها، والنسبة إليها عالي، ويقال أيضاً: علويّ على غير قياس، يقال: عالي الرجل وأعلى إذا أتى عالية نجد^(١)، وكذا في صراح اللغة.

وقال في المجمع: وفيه - أي في الخبر - العالية والعوالي، وهي قرى بأعلى أراضي المدينة، وأدناها من المدينة على أربعة أميال، وأبعدها من جهة نجد ثمانية أميال، والنسبة إليها علويّ على غير القياس^(٢).

وفي المغرب نقلاً عنه: العوالي موضع على نصف فرسخ من المدينة^(٣). وقال في النهاية: وذكر العالية والعوالي في غير موضع من الحديث، وهي أماكن بأعلى أراضي المدينة، والنسبة إليها علويّ على غير قياس، وأدناها من المدينة على أربعة أميال، وأبعدها من جهة نجد ثمانية أميال، ومنه حديث ابن عمر: جاء أعرابيّ علويّ جاف، إنتهى^(٤).

(١) الصحاح ٦: ٢٤٣٦ / علا.

(٢) مجمع البحرين / علا.

(٣) المغرب ٢: ٥٧ / علو.

(٤) النهاية ٣: ٢٩٥ / علا.

والظاهر من الأخبار أنَّ العوالي أيضاً كانت للنبي المختار دون سائر المسلمين مثل فدك - على ما يأتي تفصيله - وإنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) أعطاهما أيضاً لفاطمة (عليها السلام) في حياته بعد إعطاء فدك لها، وإنَّ الخلفاء لما غصبوا فدك غصبوها أيضاً معها، ولكن لم يجر للعوالي ذكر كثير في الأخبار عند القدح على الخلفاء الأشرار أعداء الملك الجبار.

ولعلَّ ذلك من جهة كونها تابعة لفدك، وكونها أقلَّ منفعة منها، فلم يعتنوا بذكرها واستغنوا بذكر فدك عنها، فلم يجر لها ذكر بخصوصها، ونحن أيضاً نكتفي في خصوص العوالي بالجملة التي ذكرنا، ونفصل الكلام في تحقيق حال فدك، فيعلم في ضمنه ما يتعلق بها.

فنقول: أمَّا فَدَكُ - فهي بفتح الحين - قرية من قرى اليهود، وكانت للنبي (صلى الله عليه وآله)، بينها وبين مدينة الرسول ثلاثة أيام، وبينها وبين خيبر دون مرحلة، وفي شرح المواقف: أنها قرية بخير^(١).

وقيل: هي بلدة بقرب المدينة بينها وبين خيبر، وأنها من بلا خيبر، وفي المصباح: أنها بلدة بقرب مدينة النبي (صلى الله عليه وآله) يومان، ويقال: أنها من بلاد خيبر وبينها وبين خيبر دون مرحلة، وأنها ممَّا أفاء الله على رسوله، وتنازعها عليّ والعباس في خلافة عمر، فقال عليّ: النبي جعلها لفاطمة وولدها، وأنكرها العباس فسلمها عمر لهما^(٢).

وفي المجمع: أنها قرية من قرى اليهود بينها وبين مدينة النبي (صلى الله عليه وآله) يومان، وبينها وبين خيبر دون مرحلة، وهي ممَّا أفاء الله على رسوله (صلى الله عليه وآله)، منصرف وغير منصرف، وكانت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنَّه فتحها هو وأمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن معهما أحد، فزال عنها حكم الفيء ولزمها إسم الأنفال، فلمَّا نزل: ﴿فَاتِذَا الْقُرْبَى﴾

(١) شرح المواقف ٨: ٢٥٥ / المرصد الرابع في الإمامة.

(٢) المصباح المنير: ٤٦٥، فَدَكُ.

حقّه^(١) أي أعطى فاطمة فداً أعطاه رسول الله إياها.

وكانت في يد فاطمة إلى أن توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأخذت من فاطمة (عليها السلام) بالقهر والغلبة، وقد حدّها عليّ (عليه السلام)، حدّ منها جبل أحد، وحدّ منها عريش مصر، وحدّ منها سيف البحر، وحدّ منها دومة الجندل يعني الجوف، إنتهى^(٢)، وهكذا في الرواية التي رواها ابن أسباط.

وروي في المناقب عن كتاب أخبار الخلفاء، أن هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر (عليه السلام): خذ فداك حتى أردّها إليك، فيأبى حتى ألحّ عليه فقال (عليه السلام): لا آخذها إلاّ بحدودها، قال: وما حدودها؟ قال: إن حددتها لم تردّها، قال: بحقّ جدك إلاّ فعلت.

قال: أمّا الحدّ الأوّل فعدن، فتغيّر وجه الرشيد وقال: أيها، قال: والحدّ الثاني سمرقند، فأربد وجهه، قال: والحدّ الثالث أفريقية، فاسودّ وجهه وقال: هيه، قال: والرابع سيف البحر ممّا يلي الخزر وأرمينية، قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء فتحول إلى مجلسي، قال موسى (عليه السلام): قد أعلمتك أنّي إن حددتها لم تردّها، فعند ذلك عزم على قتله^(٣).

قال الفاضل المجلسي (رحمه الله): وهذان التحديدان خلاف المشهور بين اللغويين، ولعلّ مراد المعصوم (عليه السلام) أنّ تلك كلّها في حكم فداك، وكان الدعوى على جميعها، وإنّما ذكروا فداك على المثل أو تغليبا، إنتهى^(٤).

وحاصله أنّ فداك عنوان للأراضي التي تجري عليها يد الخلافة الإسلامية، فيكون مصداقه بهذا الاعتبار جميع بلاد الإسلام، فمن أراد فداك فلا بدّ أن يردّ أمر الخلافة برمّته إلى محلّه ومنزلته، ومن لا فلا.

وكان فتح خيبر وفداك في السنة السابعة من الهجرة، وكان ذلك في أوائل هذه

(١) الروم: ٣٨.

(٢) مجمع البحرين مادة فداك.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٣٢٠، عنه البحار ٤٨: ١٤٤ ح ٢٠، وأيضاً ٢٩: ٢٠٠ ح ٤١.

(٤) البحار ٢٩: ٢٠١.

السنة، وقد وعد الله لنبيّه (صلى الله عليه وآله) فتح خيبر ومضافاتها بقوله: ﴿وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها..﴾ الآية^(١).

وهذه الوعدة كانت عند صلح الحديبية، ولما رجع النبي (صلى الله عليه وآله) بعد الصلح في الحديبية - على التفصيل الواقع في الأخبار المروية - رجع إلى المدينة في السنة السادسة من الهجرة، نهض بألف وأربعمائة من جيشه المنتصر إلى فتح خيبر، وفتحها على النحو المفصل في كتب الأخبار والسير.

وقد وقعت خيبر من المدينة إلى سمت الشام على مسافة ثمانية بريدات، كلّ يريد أربعة فراسخ، لها مزارع معمورة وحصون موفورة، بناها خيبر أخو يثرب من العمالقة الذي بنا المدينة، فسَمَّى كلّ باسم بانيه، وقيل: خيبر في لغة اليهود بمعنى الحصن، فيقال لتلك الحصون خيابر من هذه الجهة.

وكان حصونها مسمّاة بثلاثة أسماء نوعيّة، الأوّل: حصن نطاة، وهي ثلاثة حصون: حصن الناعم، وحصن الصعب، وحصن القلة، الثاني: حصن الشق، وهي حصن أبيّ وحصن البراء، والثالث: حصن الكُتَيْبَة - بصيغة التصغير - وهي حصن قموص، وحصن وطيح، وحصن سُلام - بضّ السين - ويقال له «سُلام» أيضاً، والمجموع ثمانية حصون.

وفي يوم فتح خيبر قدم جعفر بن أبي طالب، وقد كان هاجر من مكة إلى الحبشة في جمع قليل من المؤمنين مع ستة نفر من الأشعريّين منهم أبو موسى الأشعري، فاتفق قدوم جعفر إلى النبي (صلى الله عليه وآله) يوم فتح خيبر، فلما قدم جعفر عليه في خيبر يوم فتحها وبُشِّر النبي (صلى الله عليه وآله) بقدومه، قال: «والله ما أدري بأيّهما أشدّ سروراً بقدوم جعفر أو بفتح خيبر»^(٢).

فلما قدم وثب إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فالتزمه، وقبّل ما بين عينيه وقال: يا جعفر ألا أمنحك، ألا أعطيك، ألا أحبك؟ فقال جعفر: بلى يا رسول الله،

(١) الفتح: ٢٠.

(٢) البحار ٢١: ٢٣.

فظنّ الناس أنّه يعطيه ذهباً أو فضّة وتشرّفوا لذلك، فقال: ألا أعلمك صلاة إذا أنت صليتها وكنت فررت من الزحف، وكان عليك مثل زبد البحر ورمل عالج ذنباً غفر لك؟ قال: بلى.

فعلمه الصلاة المشهورة بصلاة جعفر الطيار، وهي أربع ركعات بتسليمتين في الركعة الأولى بعد الحمد الزلزلة، وفي الثانية بعدها العاديات، وفي الثالثة بعدها النصر، وفي الرابعة بعدها التوحيد، وبعد القراءة في كلّ من الركعات خمس عشرة مرّة «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وفي كلّ من الركوع والرفع منه، وفي كلّ من السجّادات والرفع منها قولها عشر مرّة^(١)، وأعطى لأصحاب جعفر من غنائم خيبر.

وروي أنّه لما ورد النبي (صلى الله عليه وآله) مع أصحابه إلى حوالي خيبر، أرسل محيصة بن مسعود الحارثي إلى فذك ليّدعو أهلها إلى الاسلام، ويحذّرهم عن مخالفة سيّد الأنام، فلمّا وصل محيصة إليهم، وبلغ الرسالة من معدن الرسالة عليهم، وخوّفهم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) جاء إلى حربهم كما أتى إلى حرب أهل خيبر، فهم أجابوه بالكلام الخشن، والجواب الغير الحسن، واعتمدوا على شجعان خيبر وأبطالها، وأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لا يمكنه فتحها بل يكون هناك مغلوباً، فيكون عن التوجّه إلى فذك محروماً.

وقالوا: إنّ عامراً وياسراً وحارثاً وسيّد اليهود - يعنون مرحباً - في حصن نطا، ومعهم ألف مقاتل من الكماة^(٢)، وما نظنّ أن يقاومهم جيش محمّد ولا غيره، ولم يعلموا أنّ الله غالب أمره، فأرادوا ردّ محيصة، ولمّا رأى أن لا ميل لهم في المصالحة والمسالمة أراد أن يرجع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فتأمّل بعض عقلاء الجماعة في عاقبة المقدّمة، وخافوا من الوحامة وسوء الخاتمة، فتعلّلوا في الجواب بين التقض والإبرام، ولم يدروا ما يلقون إليه من الكلام، حتى وصل إليهم

(١) جمال الأسبوع: ٢٨٢.

(٢) الكمي - كفتي -: الشجاع أو لابس السلاح / القاموس.

الخبر بعد ثلاثة أيّام أن فتحت خير بجيش سيّد الأنام عليه الصلاة والسلام. فتقدّموا حينئذٍ بقدّم الإعتذار، وأرسلوا إلى النبي المختار واحداً من أكابرهم مسمّى بنون بن يوشع مع جماعة كثيرة لتهديد بساط المصالحة، وتأسيس بنيان المسالمة.

فلما تشرّفوا بخدمة سيّد الأنام، وتكلّموا بما يليق من الكلام، وقع القيل والقال في أمر المصالحة وكيفيّتها بالنقض والإبرام، إلى أن انعقد المصالحة بينهم وبين رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على أن يكون نصف أراضي فدك لرسول الله (صلّى الله عليه وآله)، والنصف الآخر لأهلها بأن لا يتعرّض النبي (صلّى الله عليه وآله) عليهم، ويعفو عنهم، ويقرّهم على دينهم.

فعامل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) معهم بهذه المعاملة، وهم كانوا على تلك الحالة حتى أخرجهم عمر بن الخطاب في أيّام خلافته إلى الشام، بعد أن اشترى منهم النصف الذي كان حصّتهم بشيء من بيت المال.

وروي أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) لما فتح خير أرسل عليّاً (عليه السلام) إلى فدك، فصالح أهلها معه بأن يكون نصف أراضي فدك لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) مع الحوائط والأبنية العالية الموجودة فيها، فصالح (عليه السلام) معهم على هذا، فنزل جبرئيل بقوله تعالى: ﴿فَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(١) فقال (صلّى الله عليه وآله): من ذا القربى وما حقّه؟ قال جبرئيل: ذا القربى فاطمة، وحقّها ما كان لك من أراضي فدك وحوائطها.

فكتب (عليه السلام) بذلك صكاً وثيقة وجعلها لفاطمة (عليها السلام)، وهذه الوثيقة هي التي أتت بها فاطمة (عليها السلام) إلى أبي بكر حين غضب فدكاً بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، على ما سيجيء تفصيله.

وفي رواية أخرى: إنّ لما سمع أهل فدك أنّ المسلمين قد صنعوا ما صنعوا بأهل خير، بعثوا إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يسألونه أن يسيرهم، ويخلي

عنهم فيخلّوا له أموالهم، فقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذلك منهم، ففعلوا كما فعلوا وتقبلوا.

وروي أيضاً أن أهل خيبر لما ضاق عليهم الخناق طلبوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأمان بأن يكون دماءهم محقونة، ويترك لهم نساءهم وأولادهم، ويكون للنبي (صلى الله عليه وآله) أراضيتهم وجميع أموالهم إلا ثيابهم على أبدانهم، فصالح (صلى الله عليه وآله) على ذلك معهم، ولما سمع أهل فدك ذلك سألوا النبي (صلى الله عليه وآله) أن يعامل معهم معاملتهم، ففعل (صلى الله عليه وآله) كذلك.

وفي رواية أخرى: إنّه لما بقيت بقيّة من أهل خيبر تحصّنوا وسألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يحقن دماءهم ويسيرهم ففعل، فسمع ذلك أهل فدك فكانوا على مثل ذلك، ثم قالوا له: إنّا بتعمير هذه الأراضى أولى من غيرنا، فسلمها لنا نعرّها على أن يكون نصف المنافع لنا ونصفها لك.

فرضي (صلى الله عليه وآله) بذلك، وعاقدهم على ذلك، وشرط عليهم أن يخرجوا كلّما أراد خروجهم، فصار خيبر مال جميع المسلمين لما أوجفوا عليها من خيل وركاب، وكان فدك مخصوصة بالنبي (صلى الله عليه وآله) دون المسلمين وسائر الأصحاب لحصول فتحها بلا منازعة، ولا قرع باب.

وروي عن الباقر (عليه السلام) أنّه لما فرغ النبي (صلى الله عليه وآله) من أمر خيبر أراد إرسال الجيش إلى قلاع فدك، ففقد لواء وقال: من يأخذ هذا اللواء؟ فقام الزبير فردّه النبي (صلى الله عليه وآله)، ثمّ قام سعد فردّه أيضاً وقال: قم يا عليّ فإنّ هذا حقّك.

فأخذ عليّ (عليه السلام) اللواء وصار إلى فدك، وصالح معهم على أن يحقن دماءهم ويكون أموالهم للنبي (صلى الله عليه وآله)، فصار قلاعهم وبلادهم ومزارعهم وبساتينهم للنبي (صلى الله عليه وآله)، دون أن يكون للمسلمين حقّ فيها، لأنّها ممّا لم يوجف عليها من خيل ولا ركاب، فنزل جبرئيل بقوله تعالى:

﴿فَاتَ ذا القربى حقّه...﴾ الآية^(١)، فقال (صلى الله عليه وآله): من ذو القربى وما الحق؟ قال جبرئيل: ذو القربى فاطمة (عليها السلام) وحقها فذلك، فطلب (صلى الله عليه وآله) فاطمة وكتب بذلك وثيقة وأعطاهها فذلكاً، فلما مضى غضبها عنها أبو بكر وعمر... إلى آخر الخبر^(٢).

وفي كتاب الاختصاص عن الصادق (عليه السلام) أن أمّ أيمن شهدت عند أبي بكر وعمر بأنّي كنت يوماً في منزل فاطمة ورسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس، فنزل جبرئيل وقال: يا محمد قم بأمر الله سبحانه، فإن الله أمرني بأن أخطّ لك بجناحي ملك فذلك وأعرّفها لك وأسخرها منك.

فقام (صلى الله عليه وآله) وذهب ثم رجع، فقالت فاطمة (عليها السلام): إلى أين ذهبت يا أبة؟ قال: إنّ جبرئيل خطّ لي أملاك فذلك بجناحه وعرفني حدودها، وأمرني أن أسلمها لك، فسلمها (صلى الله عليه وآله) إياها وأشهدني على ذلك مع عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)^(٣).

وفي البحار عن الصادق (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج في غزاة، فلما انصرف راجعاً نزل في بعض الطريق والناس معه إذ أتاه جبرئيل فقال: يا محمد قم فاركب، فركب النبي (صلى الله عليه وآله) وجبرئيل معه، فطويت له الأرض كطيّ الثوب حتى انتهى إلى فذلك، فلما سمع أهل فذلك وقع الخيل ظنّوا أنّ عدوّهم قد جاءهم، فغلقوا أبواب المدينة، ودفعوا المفاتيح إلى عجوز لهم في بيت لها خارج من المدينة، ولحقوا برؤوس الجبال، فأتى جبرئيل إلى العجوز حتى أخذ المفاتيح.

ثم فتح أبواب المدينة ودار النبي (صلى الله عليه وآله) في بيوتها وداراتها، فقال جبرئيل: يا محمد هذا ما خصّك الله به وأعطاكه دون الناس، وهو قوله تعالى:

(١) الروم: ٣٨.

(٢) راجع البحار ٢١: ٢٢ ح ١٧.

(٣) الاختصاص: ١٨٣ عنه البحار ٢٩: ١٨٩ ح ٣٩، والحوالم ١١: ٦٤٧ ح ٢.

﴿ما أفاء الله على رسوله...﴾ الآية (١).

ثم غلق الباب ودفع المفاتيح إليه، فجعله رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غلاف سيفه وهو معلق بالرحل، ثم ركب وطويت له الأرض، فأتاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهم على مجالسهم لم يتفرقوا ولم يبرحوا، فقال (صلى الله عليه وآله): قد انتهينا إلى فذك، وإني قد أفاءها الله عليّ. فغمز المنافقون بعضهم بعضاً فقال (صلى الله عليه وآله): هذه مفاتيح فذك، فأخرجها من غلاف سيفه، فركبوا ولما دخلوا المدينة دخل النبي (صلى الله عليه وآله) على فاطمة (عليها السلام) وقال: يا بنيّة إن الله قد أفاء على أبيك فذك واختصّها بها، فهي له خاصّة دون المؤمنين، أفعل بها ما أشاء، وإنّه قد كان لأمك خديجة على أبيك مهر، وإنّ أباك قد جعلها لك بذلك، وأنحلها لك ولولدك بعدك. ودعا عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: أكتب لفاطمة بذك نحلة من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فشهد على ذلك عليّ (عليه السلام) ومولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمّ أيمن، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنّ أمّ أيمن امرأة من أهل الجنة، وجاء أهل فذك إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقاطعهم في النصف على أربعة وعشرين ألف دينار في كلّ سنة (٢).

وفي رواية أخرى: سبعين ألف دينار.

قال ابن أبي الحديد بعد ذكر مصالحة فذك مع أهلها على النصف: فلم يزل الأمر كذلك حتى أخرجهم عمر وأجلاهم، بعد أن عوّضهم عن النصف الآخر الذي كان لهم عوضاً عن إبل وغيرها (٣).

وروى أيضاً أنّه لما أجلاهم عمر بعث إليهم من يقوم الأموال، بعث أبا الهيثم بن التيهان، وفروة بن عمر، وحباب بن صخر، وزيد بن ثابت، فقوّموا أرض فذك

(١) الحشر: ٦.

(٢) الخرائج ١: ١١٢ ح ١٨٧، عنه البحار ٢٩: ١١٤ ح ١٠.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٠ باب ٤٥.

ونخلها، فأخذها عمر ودفع إليهم قيمة النصف الذي لهم، وكان مبلغ ذلك خمسين ألف درهم، أعطاهم إياها من مال أتاه من العراق، وأجلّاهم إلى الشام^(١).

وروى ابن شهر آشوب أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لما توجه إلى فتح قلاع فلك تحصّن أهلها في واحدة منها، فناداهم بقوله: ما تفعلون، وما يؤمنكم أن تكونوا آمنين في هذا الحصن، لو تركتكم في هذه القلعة وأمضي إلى سائر قلاعكم وأفتحها، وأتصرّف جميع أموالكم التي فيها؟ قالوا: إنّ لنا حفظة عليها وهي مقفلة عندهم أو عندنا مفاتيحها.

قال (صلى الله عليه وآله): بل أعطاني الله مفاتيحها وهي الآن في يدي، فأخرجها من كمّ وقال: أنظروا إليها، فلمّا رأوا ذلك اتهموا رجلاً سلّموا المفاتيح إليه بأنّه صبا إلى دين محمّد (صلى الله عليه وآله)، وأعطى المفاتيح له وعاتبوه في ذلك أشدّ معاتبة، فحلف أنّ المفاتيح عنده، وأنّه جعلها في سبط في صندوق أخفاه في دار محكمة مقفلة.

فلما ذهب إليها رأى الأقفال على حالها ولم ير المفاتيح في مكانها، فرجع وقال: أنا علمت أنّ هذا الرجل نبّي لا غير، لأنّي كنت ضبطت الأقفال، وقرأت عليها آيات من التوراة لدفع السحر عنها باعتقاد أنّ هذا الرجل ساحر، وقوّة عمله بالسحر، وحال جميع الأقفال على حالها، والمفاتيح مفقودة من مواضعها ومحالّها، فقالوا له (صلى الله عليه وآله): من أعطاك المفاتيح؟ قال: الذي أعطى الألواح لموسى أرسلها إليّ بيد جبرئيل، ففتحوا حينئذ القلعة وأسرعوا إلى خدمته. فأسلم بعضهم فأخذ النبي (صلى الله عليه وآله) الخمس من أموالهم، وترك الباقي لهم، ومن لم يسلم تصرّف أملاكهم وأموالهم وخلاهم وبألهم.

فنزّل جبرئيل بقوله تعالى: ﴿فَاتِذَا الْقَرْبَىٰ حَقَّ﴾ أي فاطمة فدكاً، فإنّها ميراثها أي بدل ميراثها من أمّها خديجة واختها هند بنت أبي هاله، فرجع (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة وطلب فاطمة (عليها السلام)، وكتب الوثيقة

وأعطاهما الغنائم الفدكيتة.

فقسّمت فاطمة (عليها السّلام) الأموال المنقولة على فقراء المدينة، وكان الأملاك من أراضي فذك بيدها، وهي متصرّفة فيها تأخذ قوت سنتها من منافعها، وتفرّق إلى الفقراء ما بقي من حاصلها، إلى أن غصبها العمران منها بعد وفاة أبيها^(١). وفي رواية رواها في البحار عن السّجاد (عليه السّلام) أنّه قال: لمّا نزل جبرئيل على النبي (صلّى الله عليه وآله) بأمر الله تعالى له بفتح أراضي فذك شدّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سلاحه وأسرج دابّته، وشدّ عليّ (عليه السّلام) سلاحه وأسرج دابّته، ثمّ توجّه في جوف الليل وعليّ (عليه السّلام) لا يعلم حيث يريد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتى انتهى إلى فذك، فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا عليّ تحملني أو أحملك؟ قال عليّ (عليه السّلام): أحملك يا رسول الله، فقال رسول الله: يا عليّ أنا أحملك لأنّي أطول بك ولا تطول بي.

فحمل عليّاً (عليه السّلام) على كتفه ثمّ قام به، فلم يزل يطول به حتى علا على سور الحصن، فصعد عليّ على الحصن ومعه سيف رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فأذن على الحصن وكبّر، فابتدر أهل الحصن إلى باب الحصن هراباً حتى فتحوه وخرجوا منه، فاستقبلهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بجمعهم ونزل عليّ (عليه السّلام) إليهم، فقتل عليّ ثمانية عشر من عظمائهم وكبرائهم، وأعطى الباقر البيعة بأيديهم.

وساق رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ذراريهم ومن بقي منهم وغنائمهم يحملونها على رقابهم إلى المدينة، فلم يوجف عليها غير رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فهي له ولذريته خاصّة دون المؤمنين^(٢).

وفي العيون عن الرضا (عليه السّلام) في فضل العترة الطاهرة قال: الآية الخامسة، قال تعالى: ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(٣) خصوصيّة خصّهم العزيز الجبار بها

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٤٢، عنه البحار ٢٩: ١١٧ ح ١١، والعوالم ١١: ٦١٩ ح ٢٢.

(٢) البحار ٢٩: ١٠٩ ح ٣، عن تفسير فرات: ٤٧٣ ح ٦١٩ / سورة الحشر.

(٣) الاسماء: ٢٦.

واصطفاهم على الأمة، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: أدعولي فاطمة، فدُعيت له فقال: يا فاطمة، قالت: لبيك يا رسول الله، فقال: فدك هي ممّال يوجف عليه خيل ولا ركاب، وهي لي خاصّة دون المسلمين، وقد جعلتها لك لما أمرني الله به، فخذوها لك ولولدك... الخ^(١).

ولذا فسر كثير من المفسرين كالطبرسي وغيره الآية بذلك وقالوا: إنّ المراد من ذوي القربى قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله)^(٢).

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم: إنّ الآية نزلت في فاطمة (عليها السلام)، فإنّها قرابة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فجعل لها فدك، وللمساكين من ولد فاطمة وابن السبيل منهم^(٣).

وفي الرواية عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد نزول الآية: يا جبرئيل قد عرفت المسكين فمن ذو القربى؟ قال: هم أقاربك، فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة (عليهم السلام) فقال: إنّ ربي أمرني أن أعطيكم ما أفاء عليّ، قال: أعطيتكم فدكاً^(٤).

وفي رواية أخرى قال أبان بن تغلب: فالنبي (صلى الله عليه وآله) أعطاه، فغضب الباقر (عليه السلام) ثم قال: الله أعطاه^(٥).

وفي خبر آخر: فأعطاها فدكاً، كلّما لم يوجف عليه أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) بخيل ولا ركاب فهو لرسول الله (صلى الله عليه وآله) يضعه

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١: ٤٥٢ ضمن حديث ١٨٤ باب ٤٥، عنه البحار ٢٩: ١٠٥ ح ١، والموالم ١١: ٦١٩ ح ٢٠، والبرهان ٢: ٤١٥ ح ٢، ونور الثقلين ٥: ٢٧٥، وكنز الدقائق ٧: ٢٨٨، وتفسير الصافي ٣: ١٨٦.

(٢) مجمع البيان ٣: ٤١١، عنه البحار ٢٩: ١٠٧.

(٣) تفسير القميّ ٢: ١٨، عنه البحار ٢٩: ١١٣ ح ٨، والموالم ١١: ٦١٩ ح ٢١، والصافي ٣: ١٨٦.

(٤) تفسير العياشي ٢: ٢٨٧ ح ٤٦، عنه البحار ٢٩: ١١٩ ح ١٣، والصافي ٣: ١٨٧.

(٥) تفسير فرات: ٢٣٩ ح ٣٢٢، عنه البحار ٢٩: ١٢١ ح ١٩، ونحوه تفسير العياشي ٢: ٢٨٧ ح ٤٧،

وكشف الغمّة ٢: ١٠٥.

حيث يشاء، وفدك ممّا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب^(١).
 وورد في رواية أخرى في قوله تعالى: ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ وذلك حين
 جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) سهم ذي القربى لقربته، وأعطى فدكاً لفاطمة
 ولولدها، فكانوا على ذلك على عهد النبي (صلى الله عليه وآله) حتى توفي ثم
 حجبوها عن قربته^(٢)، إلى غير ذلك ممّا يتعلّق بالمسألة.

وحاصل المقال على ما ظهر بنحو الإجمال، أنّ فدكاً كانت لرسول الله
 (صلى الله عليه وآله) خاصّة دون سائر المسلمين كافّة، فأمّا أن تكون نحلة وعطيّة
 لفاطمة (عليها السلام) أعطاهما النبي (صلى الله عليه وآله) لها في حياته، وكانت في
 يدها يتصرّف فيها عاملها ووكيلها، كما دلّ عليه الأخبار، وأفصح عنه الآثار، أو
 تكون إرثاً لفاطمة (عليها السلام) حيث لم يكن لرسول الله (صلى الله عليه وآله)
 وارث غيرها.

وعلى أيّ تقدير كانت مختصّة بها، وسيأتي بعد شرح الخطبة إن شاء الله تعالى
 ما يدلّ على تفصيل المسألة من أخبار العامة والخاصّة، والاستدلالات
 والإحتجاجات الواردة من الفريقين، والنقوض والإبرامات الصادرة من الطرفين،
 بحيث لا يبقى شبهة عند أحد من أهل الدراية وأرباب الرواية أنّها (عليها السلام)
 كانت محقّة في دعوى فدك إمّا إرثاً أو نحلة أو عطية، وإنّ الخلفاء غصبوها كما
 غصبوا الخلافة لأغراض دنيويّة دعتهم إلى ذلك، فأغشت أبصارهم، وأعمت
 أنظارهم، بل جعلوا غصبها مقدّمة لاستحكام غصبها، وكانت هي مظلومة في ذلك،
 مغصوبة في حقّها كبعليها وزوجها.

فصل: العلة في غصب فدك والعوالي

إنّهم وضعوا حديثاً من لسان النبي (صلى الله عليه وآله) وهو قوله: «نحن
 معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.. الخ»، وسيتضح بأوضح بيان أنّ هذا

(١) تفسير فرات: ٣٢٣ ح ٤٣٨، عنه البحار ٢٩: ١٢٢ ح ٢١.

(٢) تفسير فرات: ٣٢٣ ح ٤٤١، عنه البحار ٢٩: ١٢٢ ح ٢٢.

الخبر كان موضوعاً صرفاً جعلوه من عند أنفسهم حتى لا يكون لعلّي وفاطمة والحسنين (عليهم السّلام) وسعة في وجوه المعيشة، فيؤدّي ضيق حالهم إلى استيصالهم، وصرف وجوه الناس عنهم ليستقرّ أمر الخلافة المغصوبة.

وكان أبو بكر متفرّداً في نقل الرواية، ولم يكن له شاهد على ذلك بالمرّة، فظهر بعد مدّة مديدة بل في عهد عمر شهود على المسألة، فشهد عمر وعائشة وأوس بن حذثان على صدور الرواية من النبي (صلّى الله عليه وآله)، وشهد بعض آخر على أن أبا بكر نقلها من النبي (صلّى الله عليه وآله)، بل قيل: إنّ شهادة الثلاثة المذكورة أيضاً إنّما كانت على نقل أبي بكر تلك الرواية لا كون الرواية نبويّة، وسيأتي تفصيل المرحلة.

وبالجملة فادّعت فاطمة (عليها السّلام) أولاً كون فذك نحلة لها من أبيها، فطلبوا منها الوثيقة على ذلك فمزّقوها، والشهود فردّوها ولم يقبلوها، ثمّ ادّعت على سبيل التنزّل والمماشاة كونها إرثاً لها من أبيها، فردّوها بتلك الرواية التي وضعوها، فلم يبق سنّة إلّا بدّلوها، ودبابة إلّا دحروها.

وما في بعض الروايات أنّها ادّعت الإرث أولاً ثمّ ادّعت النحلة، فذلك على تقدير الصّحة إنّما هو بلحاظ أنّها في محلّ إرثها لا محالة، فلمّا ألقوا الشبهة بنقل الرواية أبدت ما هو الواقع من حقيقة النحلة.

وروى العلامة في كشكوله المنسوب إليه عن مفضل بن عمر، عن الصادق (عليه السّلام) قال: لمّا ولى أبو بكر بن قحافة قال له عمر: إنّ الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها، فامنع عن عليّ وأهل بيته الخمس والفيء وفدكاً، فإنّ شيعته إذا علموا ذلك تركوا عليّاً، وأقبلوا إليك رغبة في الدنيا وإيثاراً لها ومحاماة عليها، ففعل أبو بكر ذلك وصرف عنهم جميع ذلك^(١).

قال ابن أبي الحديد: قال لي علويّ من أهل الحلة يعرف بعليّ بن مهنا، ذكيّ ذو فضائل: ما تنظّن قصد أبي بكر وعمر بمنع فاطمة فذك؟ قلت: ما قصداً؟! قال:

(١) الكشكول: ٢٠٣، عنه البحار ٢٩: ١٩٤ ح ٤٠، والعوالم ١١: ٦٣٣ ح ٢٧.

أراد أن لا يظهره عليّ وقد اغتصبا الخلافة رقةً وليناً وخذلاناً، ولا يرى عندهما خوراً، فاتبعوا القرع بالقرح^(١).

وقال أيضاً: وقلت لمتكلم من متكلمي الإمامية، يُعرف بعليّ بن تقي من بلدة النيل: وهل كانت فدك إلا نخلاً يسيراً، وعقاراً ليس بذلك الخطير؟ فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلة جداً، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا أن لا يتقوى عليّ بحاصلها وغلتها على المنازعة في الخلافة، ولهذا اتبعوا بمنع فاطمة وعليّ وسائر بني هاشم وبني المطلب حقهم في الخمس، فإنّ الفقير الذي لا مال له يضعف همته، ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولاً بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرئاسة^(٢). وقال أيضاً: وسألت عليّ بن الفارقي - مدرّس المدرسة الغربية ببغداد - فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟!

فتبسّم ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا مع ناموسه وحرمة وقلة دعابته، قال: لو أعطاه اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء، لأن يكون قد أسجل على نفسه بأنّها صادقة فيما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود. قال ابن أبي الحديد: وهذا كلام صحيح، وإن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل. انتهى^(٣).

وبالجملة لقد اقتضت مصلحة أمر الخلافة والحكومة أن يظلموا بنصبها عن تلك المعصومة المظلومة، ليكون عليّ (عليه السلام) وأولاده فقراء مبتلين بقلّة الرياش، وضنك المعيشة، وضيق المعاش ليكون وجوه الناس عنهم منصرفه،

(١) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٣٦ باب ٤٥.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٣٦ باب ٤٥.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٨٤ باب ٤٥.

ورأس الجماعة عن التوجه إليهم منحرفة، فلا يتمكن عليّ (عليه السلام) من المنازعة في الخلافة، ولا يميل الناس إليه بالمرّة حتى لا يشتعل ناره، ويقلّ أعوانه وأنصاره، ويتسلّم أمر الخلافة لأبي بكر ومن معه، فيكون في أيديهم الحلّ والقبض في الجميع، ويخضّموا^(١) مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، ويعطوا منه من شأؤوا ويمنعوه ممّن شأؤوا، وأيم الله ما أشبه حالهم بحال كفّار قريش حين قالوا في مثله: «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله» رأى عمر هذا الرأي بعد أن بوبع أبو بكر بالخلافة، فاستحسنه أبو بكر وأرسل إلى وكيل فاطمة (عليها السلام) في فذك والعوالي ومنعه.

قال في كشف الغمة: وما كان لأبي بكر وعمر^(٢) لمّا وليا هذا الأمر، يرتبان في الأعمال والبلاد القريبة والنائية من الصحابة والمهاجرين والأنصار من لا يكاد يبلغ مرتبة عليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) ولا يقاربها، فلو اعتقدا هم مثل بعض الولاة، وسلّموا إليهم هذه الصدقة التي قامت النائرة في أخذها، وعزّاهم ما روياه وقالاهم: أنتم ذو القربى، وأنتم أهل بيت العصمة الذين شهد الله لكم بالطهارة، وأذهب عنكم الرجس، وقد عرفناكم أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) قال: «لا نورث ما تركناه صدقة» فعليكم تبعة هذه الفعلة وقد سلّمناها إليكم، فإن فعلتم الواجب الذي أمرتم به، وفعلتم فيها فعل النبي (صلّى الله عليه وآله) فقد أصبتم وأصبنا، وإن تعدّيتم الواجب فقد أخطأتم وأصبنا، ولو فعلا كذلك لكان من الإنصاف كما ترى^(٣).

وحكى ابن الحديد عن كلام قاضي القضاة نقلاً عن بعض الشيعة أنّه قال في المقام: قد كان الأجمل أن يمنعهم التكرّم ممّا ارتكبوا منها فضلاً عن الدين، ثمّ

(١) الخَضْمُ: الأكل عامة، وقيل: هو مَلء الفم بالمأكول، وقيل: الخضم الأكل بأقصى الأضراس. / لسان العرب.

(٢) كذا، وفي المصدر: «وعلى هذا فقد كان أبو بكر وعمر».

(٣) كشف الغمة ٢: ١٠٥.

قال ابن أبي الحديد: وهذا الكلام لا جواب عنه، ولقد كان التكرّم ورعاية حقّ رسول الله وحفظ عهده، يقتضي أن تعوّض إبنته بشيء يرضيها إن لم يستنزل المؤمنون عن فذك، ويسلّم إليها تطيباً لقلبها، وقد يسوغ للإمام أن يفعل مثل ذلك من غير مشاورة المسلمين إذا رأى المصلحة فيه، إنتهى^(١).

أقول: مع أنّ المسلمين أيضاً كانوا لا يضايقون بذلك لو قال لهم ذلك، أو أمرهم بأن يفعلوا كذلك، والوجه الآخر أنّ من لوازم الخلافة وآثارها الظاهرية أخذ الوجوهات الإسلامية، فهم فعلوا ذلك ليتبين للناس أنّ الأمر انتقل إليهم بحيث قد أخذوا ما شاؤوا من أهل بيت النبوة، فلا يبقى لسائر الناس كلام بعد ذلك في صرف الوجوه إليهم، ويزول طمعهم في أهل البيت فيصرف وجوههم عنهم، إذ لا يبقى للضعيف قوّة دافعة بعد جريان الحكم في القوى البتة.

وعلى أيّ نحو كان فلما بويع لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة، وكان عليّ (عليه السلام) حينئذ مشغولاً بتجهيز رسول الله (صلّى الله عليه وآله) - على ما ورد تفصيل الأمر في الأخبار المروية - رجعوا إلى منازلهم، وأقبلوا على إصلاح شأنهم وحالهم، فأول ما اقتضاه مصلحة الدولة والخلافة بعد استقرار الأمر في الجملة أن يرسلوا إلى فذك ويخرجوا عنها وكيل فاطمة الزهراء (عليها السلام).

فرجع الوكيل إلى المدينة وأخبر بالواقعة، فبعد ذلك احتجّ عليّ وفاطمة (عليهما السلام) على أبي بكر وعمر باحتجاجات كثيرة في مجالس مختلفة، وأتيا إليهما بحجج شافية، واستدلالات وافية، فلم ينفع ذلك في تلك القلوب القاسية شيئاً بالمرّة، بل زادوا قسوة على قسوة لكونها كالحجارة أو أشدّ قسوة.

فصل

في ذكر احتجاجات فاطمة (عليها السلام)

منها ما رواه في كتاب الإحتجاج عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لمّا بويع أبو بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار، بعث إلى فذك من أخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) منها، فجاءت فاطمة (عليها السلام) إلى أبي بكر فقالت له: يا أبا بكر لم تمنعني ميراثي من أبي رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وأخرجت وكيلي من فذك وقد جعلها لي رسول الله بأمر الله تعالى، فقال: هاتي على ذلك بشهود - وفي رواية أخرى قال: هاتي أسود أو أحمر يشهد بذلك -.

فجاءت بأمّ أيمن فقالت: لا أشهد يا أبا بكر حتّى أحتجّ عليك بما قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، أنشدك بالله ألست تعلم أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: أمّ أيمن امرأة من أهل الجنّة؟ فقال: بلى، قالت: فأشهد أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ﴿فَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّ﴾^(١) فجعل فذك طعمة لفاطمة (عليها السلام) بأمر الله سبحانه، وجاء عليّ (عليه السلام) فشهد بمثل ذلك. فكتب أبو بكر لها كتاباً برّد فذك إليها ودفعه لها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: إنّ فاطمة ادعت في فذك، وشهدت لها أمّ أيمن وعليّ فكتبته لها،

فأخذ عمر الكتاب من يد فاطمة (عليها السلام) فتنفل فيه ومحاه ومزقه، وقال: هذا فيء للمسلمين.

وقال: أوس بن حدثان، وعائشة، وحفصة يشهدون على رسول الله بأنه قال: إننا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، وإن علياً زوجها يجرّ إلى نفسه، وأما أمّ أيمن فهي امرأة صالحة لو كان معها غيرها لنظرنا فيه، فخرجت فاطمة (عليها السلام) تبكي وتقول: بقر الله بطنك كما بقرت كتابي، فاستقبلها عليّ (عليها السلام) فقال: مالك يا بنت رسول الله غضبي؟ فذكرت له ما صنع عمر، فقال (عليه السلام): ما ركبوا منّي ومن أبيك أعظم من هذا^(١).

ومنها ما رواه في كتاب الاختصاص عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: لما قبض رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وجلس أبو بكر مجلسه، بعث إلى وكيل فاطمة فأخرجه من فذك، فأتته فاطمة (عليها السلام) فقالت: يا أبا بكر ادعيت أنّك خليفة أبي وجلست مجلسه، وأنت بعثت إلى وكيلي فأخرجته من فذك، وقد تعلم أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) صدق بها عليّ وإن لي بذلك شهوداً، فقال: إنّ النبي لا يورث.

فرجعت إلى عليّ (عليه السلام) فأخبرته فقال: إرجعي إليه وقولي له: زعمت أورث سليمان داود، وورث يحيى زكريّا، وكيف لا أرث أنا أبي؟! فقال عمر: أنت معلّمة، قالت: وإن كنت معلّمة فإنّما علّمني ابن عمّي وبغلي، فقال أبو بكر: فإنّ عائشةشهد وعمر أنّهما سمعا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو يقول: النبي لا يورث، فقالت (عليها السلام): هذا أوّل شهادة زور شهدا بها في الإسلام.

ثمّ قالت: فإنّ فذك إنّما صدق بها عليّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولي بذلك بيّنة، فقال لها: هلمّي بيّنتك، قال: فجاءت بأُمّ أيمن وعليّ (عليه السلام)، فقال أبو بكر: يا أمّ أيمن أنّك سمعت من رسول الله ما يقول في فاطمة، فقالا: سمعنا

(١) الإحتجاج ١: ٢٣٤ ح ٤٧، عنه البحار ٢٩: ١٢٧ ح ٢٧، والموالم ١١: ٧٥١ ح ١، ونحوه تفسير التمي

رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إن فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة، ثم قالت أم أيمن: فمن كانت سيّدة نساء أهل الجنة تدّعي ما ليس لها؟! وأنا امرأة من أهل الجنة ما كنت لأشهد بما لم أكن سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال عمر: دعينا يا أم أيمن من هذه القصة، بأي شيء تشهدين؟

فقالت: كنت جالسة في بيت فاطمة ورسول الله (صلى الله عليه وآله) جالس حتى نزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد قم فإن الله تبارك وتعالى أمرني أن أخط لك فداً بجناحي، فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع جبرئيل فما لبث أن رجع، فقالت فاطمة (عليها السلام): يا أبة أين ذهبت؟ فقال (صلى الله عليه وآله): خطّ جبرئيل لي فداً بجناحه، وحدّ لي حدودها، فقالت: يا أبة أنسي أخاف العيلة والحاجة من بعدك فصدّق بها عليّ، فقال (صلى الله عليه وآله): هي صدقة عليك فاقبضها، قالت: نعم، فقال رسول الله: يا أم أيمن اشهدي ويا علي اشهد.

فقال عمر: أنت امرأة ولا نجز شهادة امرأة وحدها، وأما عليّ فيجرّ إلى نفسه، قال: فقامت مغضبة وقالت: اللهمّ أنّهما ظلما ابنة نبيّك حقّها فاشدد وطأتك عليهما. ثم خرجت وحملها عليّ (عليه السلام) على اتان عليه كساء له خمل، فدار بها أربعين صباحاً في بيوت المهاجرين والأنصار والحسن والحسين (عليهما السلام) معها وهي تقول: يا معشر المهاجرين والأنصار نصروا الله وابنة نبيكم، وقد بايعتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم بايعتموه أن تمنعوه وذريّته ممّا تمنعون منه أنفسكم وذرايكم، ففوالرسول الله (صلى الله عليه وآله) ببيعكم، قال: فما أعانها أحد ولا أجابها ولا نصرها.

قال: فانتهدت إلى معاذ بن جبل فقالت: يا معاذ بن جبل أني قد جئتكم مستنصرة، وقد بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن تنصره وذريّته، وتمنعه ممّا تمنع منه نفسك وذريّتك، وإنّ أبا بكر قد غصبني على فداك، وأخرج وكيّلي منها، قال: فمعي غيري؟ قالت: لا ما أجابني أحد، قال: فأين أبلغ أنا من نصرك. قال: فخرجت من عنده ودخل ابنه فقال: ما جاء بابنة محمد إليك؟ قال:

جاءت تطلب نصرتي على أبي بكر فإنه أخذ منها فدياً، قال: فما أجبته به؟ قال: قلت وما يبلغ من نصرتي أنا وحدي؟! قال: فأبيت أن تنصرها؟ قال: نعم، قال: فأني شيء قالت لك؟ قال: قالت لي: والله لا نازعتك^(١) الفصيح من رأسي حتى أرد على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قال: فقال: أنا والله لا نازعتك الفصيح من رأسي حتى أرد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ لم تجب ابنة محمد (صلى الله عليه وآله)، [قال: (٢)] وخرجت فاطمة من عنده وهي تقول: والله لا اكلمك كلمة حتى أجمع أنا وأنت عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم انصرفت.

فقال علي (عليه السلام) لها: ايتي أبا بكر وحده فإنه أرق من الآخر، وقولي له: ادعيت مجلس أبي وأنت خليفة، وجلست مجلسه، ولو كانت فديك لك ثم استوهبتها منك لوجب ردّها عليّ.

فلما أتته وقالت له ذلك قال: صدقت، قال: فدعا بكتاب فكتبه لها بردّ فديك، فخرجت والكتاب معها، فلقبها عمر فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك؟ فقالت: كتاب كتب لي أبو بكر بردّ فديك، فقال: هلمّيه إليّ، فأبت أن تدفعه إليه، فرفسها برجله، وكانت حاملة بابت اسم المحسن، فأسقطت المحسن من بطنها، ثم لطمها فكأنّي أنظر إلى قرط في أذنها حين نُقف، ثم أخذ الكتاب فخرقه، فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوماً مريضة ممّا ضربها عمر، ثم قبضت^(٣).

بيان: قال في النهاية: الوطء في الأصل الدوس بالقدم، فسُمّي به الغزو والقتل لأنّ من يطأ برجله فقد استقصى في إهلاكه وإعانتته، ومنه الحديث: «اللَّهُمَّ اشدّد وطأتك على مضر» أي خذهم أخذاً شديداً، إنتهى^(٤).

(١) في المصدر: لأنازعتك.

(٢) أثبتناه من المصدر.

(٣) الاختصاص للمفيد: ١٨٣، عنه البحار ٢٩: ١٨٩ ح ٣٩، والموالم ١١: ٦٤٧ ح ٢.

(٤) النهاية ٥: ٢٠٠ وطأ.

والخمل - بالتحريك - هذب القطيفة ونحوها، وقولها (عليها السلام): «لا نازعتك الفصيح» أي لا أنازعك بما يفصح عن المراد أي بكلمة من رأسي، فإنَّ محلَّ الكلام في الرأس، أو المراد بالفصيح اللسان، قوله: «حين نُقف» على بناء المجهول أي كسر من لطم اللعين.

ومنها ما روى العلامة في كشكوله عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أَنَّهُ لَمَّا قَامَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ بِالْأَمْرِ نَادَى مُنَادِيَهُ: «مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ دِينَ أَوْ عِدَّةٌ فَلْيَأْتِنِي حَتَّى أَقْضِيَهُ» وَأَنْجَزَ لَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَلِجَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ، قَالَ عَلِيٌّ (عليه السلام) لِفَاطِمَةَ (عليها السلام): صِيرِي إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَذَكَرِيهِ فَدَكَاً.

فصارت فاطمة وذكرت له فدكاً مع الخمس والفيء، فقال: هاتي بيّنة يا بنت رسول الله، فقالت: أَمَا فَدَكَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ قُرْآنًا يَأْمُرُ فِيهِ بِأَنْ يُعْطِنِي وَيُؤْتِنِي وَوَلَدِي حَقِّي، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾^(١) فَكَنتُ أَنَا وَوَلَدِي أَقْرَبَ الْخَلَائِقِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فَحَلَنِي وَوَلَدِي فَدَكَاً. فَلَمَّا تَلَا عَلَيْهِ جِبْرِئِيلُ: «الْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): مَا حَقَّ الْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ؟! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(٢) فَقَسَمَ الْخُمْسَ سِتَّةَ أَقْسَامٍ، فَقَالَ: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾^(٣).

فما لله فهو لرسوله، وما لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فهو لذي القربى ونحن ذو القربى، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٤).

(١) الروم: ٣٨.

(٢) الأنفال: ٤١.

(٣) الحشر: ٧.

(٤) الشورى: ٢٣.

فنظر أبو بكر بن أبي قحافة إلى عمر بن الخطاب فقال: ما تقول؟ فقال عمر: ومن اليتامى والمساكين وأبناء السبيل؟ فقالت فاطمة: اليتامى الذين يأتون بالله وبرسوله وبذي القربى، والمساكين الذين أسكنوا معهم في الدنيا والآخرة، وابن السبيل الذي يسلك مسلكهم.

قال عمر: فإذا الخمس والفيء كله لكم ولمواليكم وأشياعكم؟! فقالت فاطمة: أمّا فذك فأوجبها الله لي ولولدي دون موالينا وشيعتنا، وأمّا الخمس فقسّمه الله لنا ولموالينا وأشياعنا كما يقرأ في كتاب الله، قال عمر: فما لسائر المهاجرين والأنصار والتابعين باحسان؟

قالت فاطمة: إن كانوا موالينا ومن أشياعنا فلهم الصدقات التي قسّمها الله وأوجبها في كتابه، فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ...﴾^(١) قال عمر: فذك لك خاصّة والفيء لكم ولأولئكم، لا أحسب أصحاب محمّد يرضون بهذا.

قالت فاطمة: فإن الله تعالى رضي بذلك ورسوله رضي به، وقسّم على المولاة والمتابعة لا على المعاداة والمخالفة، ومن عادانا فقد عادى الله، ومن خالفنا فقد خالف الله، ومن خالف الله فقد استوجب من الله العذاب الأليم، والعقاب الشديد في الدنيا والآخرة، فقال عمر: هاتي بيّنة يا بنت محمّد على ما تدّعين.

فقالت فاطمة (عليها السلام): قد صدّقتم جابر بن عبد الله وجريّر بن عبد الله ولم تسألوهما البيّنة، ويّنتي في كتاب الله، فقال عمر: إنّ جابراً وجريراً ذكرا أمراً هيّئاً، وأنت تدّعين أمراً عظيماً يقع به الردّة من المهاجرين والأنصار.

فقالت (عليها السلام): إنّ المهاجرين برسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأهل بيت رسول الله هاجروا إلى دينه، والأنصار بالإيمان بالله وبرسوله وبذي القربى أحسنوا، فلا هجرة إلّا إلينا، ولا نصرة إلّا لنا، ولا اتباع بإحسان إلّا بنا، ومن ارتد عنّا فإلى الجاهليّة، فقال لها عمر: دعينا عن أباطيلك واحضرينا من يشهد لك بما تقولين.

فبعثت إلى عليّ والحسن والحسين (عليهم السلام) وأمّ أيمن وأسماء بنت عيسى - وكانت تحت أبي بكر بن أبي قحافة - فأقبلوا إلى أبي بكر وشهدوا لها بجميع ما قالت وادعته، فقال: أمّا عليّ فزوجها، وأمّا الحسن والحسين فابناها، وأمّا أمّ أيمن فمولاتها، وأمّا أسماء بنت عيسى فقد كانت تحت جعفر بن أبي طالب، فهي تشهد لبني هاشم، وقد كانت تخدم فاطمة، وكلّ هؤلاء يجزّون إلى أنفسهم. فقال عليّ (عليه السلام): أمّا فاطمة فبضعة من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ومن آذاها فقد آذى رسول الله، ومن كذبها فقد كذب رسول الله، وأمّا الحسن والحسين فابنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وسيّد شباب أهل الجنّة، من كذبهما فقد كذب رسول الله، إذ كان أهل الجنّة صادقين.

وأما أنا فقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أنت منّي وأنا منك، وأنت أخي في الدنيا والآخرة، الرادّ عليك هو الرادّ عليّ، من أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني.

وأما أمّ أيمن فقد شهد لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالجنّة، ودعا لأسماء بنت عيسى وذريتها، فقال عمر: أنتم كما وصفتم به أنفسكم، ولكن شهادة الجار إلى نفسه لا تقبل.

فقال عليّ (عليه السلام): إذا كنّا نحن كما تعرفون ولا تنكرون، وشهادتنا لأنفسنا لا تقبل، وشهادة رسول الله لا تقبل، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون إذا ادعينا لأنفسنا تسألنا البيّنة فما من معين يعين، وقد وثبتم على سلطان الله وسلطان رسوله، فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بيّنة ولا حجة، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون، ثمّ قال لفاطمة (عليها السلام): إنصرفي حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

قال المفضل بن عمر: قال مولاي جعفر (عليه السلام): كلّ ظلامة حدثت في الإسلام أو تحدث، وكلّ دم مسفوك حرام، ومنكر مشهور حرام، وأمر غير محمود، فوزره في أعناقهما وأعناق من شايعهما وتابعهما، ورضي بولايتهما إلى

يوم القيامة^(١).

بيان: قال الفاضل المجلسي (رحمه الله): يظهر من هذا الخبر أنّ لذي القربى حقين، حقاً مختصاً وحقاً مشتركاً، وأشار سبحانه في الآية الأولى إليهما جميعاً، فلما سألوا عن حقّ المسكين وابن السبيل أنزل آية الخمس لبيان أنّ اشتراكهما إنّما هو في الخمس لا في سائر الفيء، فلا ينافي اختصاص فذك بهم (عليهم السلام). وأمّا تفسيرها (عليها السلام) اليتامى بالذين يأتمون، فلعلّ المعنى أنّ المراد بهم يتامى الشيعة لا مطلق الأيتام، فلا يكون الغرض بيان أنّ اليتيم مشتقّ من الإئتمام لاختلاف بناء الكلمتين، مع أنّه يحتمل أن يكون مبنياً على الإشتقاق الكبير، ويحتمل أن يكون تأويلاً لبطن الآية، بأنّ المراد من اليتيم من انقطع عن والديه الروحانيين أي النبي والإمام من الشيعة، موافقاً للأخبار الكثيرة الواردة في ذلك.

وأمّا ما فسّرت به المسكين فلا ينافي البناء، لأنّ المسكين والمسكن والسكنى متساوقة في الإشتقاق، وهو على وزن فعيل، يقال: تمسكن كما يقال: تمدرع وتمندل، وابن السبيل أظهر فإنّه فسّرت به بسبيل الحقّ والصراط المستقيم. ثمّ أنّه يدلّ ظاهراً على عدم اختصاص الخمس ببني هاشم - كما هو مذهب أكثر العامة - فيمكن أن يكون هذا على سبيل التنزّل، أو يكون المراد أنّه غير شامل لجميع بني هاشم بل مختصّ بمن كان منهم تابعاً للحقّ^(٢).

ومنها الإحتجاج المشهور كالنور على الطور المسطور، في كتاب مسطور، في رقّ منشور، المعروف بخطبة تظلم الزهراء (عليها السلام) التي مقصودنا من هذا الكتاب شرحها، وكلّ ما ذكر إلى هنا كان مقدّمة بالنسبة إليها، ونحن نشرع الآن في إيراد تلك الخطبة الشريفة المشتملة على الآيات البيّنات، والبراهين الساطعات، والحجج الواضحات، والدلائل القاطعات.

(١) الكشكول: ٢٠٣، عنه البحار ٢٩: ١٩٤ ح ٤٠، والعوالم ١١: ٦٣٣ ح ٢٧.

(٢) البحار ٢٩: ١٩٩.

ونشرح فقراتها الكريمة على القواعد العربيّة، والضوابط اللفظيّة، ونشير في بعض المواضع إلى بعض المعاني الخفيّة بالإشارة الإجماليّة لا التفصيليّة، إذ ليس الغرض هنا إلاّ شرح ظواهرها، وبسط الكلام في تنقيح ظاهرها. وبعد إتمام الخطبة نذكر ما يتعلّق بمضامينها الشريفة، من تحقيق حقيقة المسألة في أمر مرافعة فذك الواقعة بين فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأبي بكر على وجه النقض والإبرام توضيحاً للمرام، وتنقيحاً للحال والمقام. [مصادر الخطبة الشريفة]

فنقول وبالله التوفيق: إعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة من الخطب المشهورة، والاحتجاجات المأثورة التي روتها الخاصّة والعامة بأسانيد متظافرة، وطرق متكاثرة.

قال عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، فيما ذكر من الأخبار الواردة في ذكر قصّة فذك، عند شرح قوله (عليه السلام): «بلى كانت في أيدينا فذك من كلّ ما أظلمت السماء، فشخت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين.. الخ» خطب (عليه السلام) بها بسبعة أيّام قبل موته كما قيل، قال: الفصل الأوّل فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم، لا من كتب الشيعة ورجالهم، وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيفة وفذك.

وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدّث، كثير الأدب، ثقة، ورع، أثنى عليه المحدثون، ورووا عنه مصنّفاته وغير مصنّفاته، ثمّ قال: قال أبو بكر: حدّثني محمّد بن زكريّا - إلى آخر الطريق - وحدّثني عثمان بن عمران - إلى آخر - وحدّثني أحمد بن محمّد - إلى آخر - قالوا جميعاً: لمّا بلغ فاطمة إجماع أبي بكر على منعها فذك... الخ^(١).

وقد أورد الخطبة عليّ بن عيسى الأربلي في كتاب كشف الغمة، وقال أيضاً:

(١) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٠، باب ٤٥، عنه البحار ٢٩: ٢١٦ ح ١.

نقلتها من كتاب السقيفة تأليف أحمد بن عبد العزيز الجوهري من نسخة قديمة مقروءة على مؤلفها المذكور، قُرئت في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، روى عن رجاله من عدة طرق أن فاطمة (عليها السلام) لما بلغها اجماع أبي بكر ... إلى آخر الخطبة^(١).

وقد أشار إليها المسعودي في تاريخ مروج الذهب^(٢)، وذكرها السيد المرتضى بعدة طرق منتهية إلى عائشة وغيرها^(٣)، والطبرسي في كتاب الاحتجاج^(٤)، ولها طرق أخرى من كتاب أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر الذي صنّفه في بلاغات النساء^(٥)، وروى الصدوق بعض فقراتها المتعلقة بالعلل في كتابه علل الشرائع^(٦)، وذكر السيد ابن طاووس في كتاب الطرائف مواضع الشكوى منها^(٧)، إلى غير ذلك^(٨).

وبالجملة لا إشكال ولا شبهة في كون الخطبة من فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وإنّ مشايخ آل أبي طالب كانوا يروونها عن آبائهم، ويعلمونها أبناءهم، ومشايخ الشيعة كانوا يتدارسونها بينهم، ويتداولونها بأيديهم وألسنتهم.

ونقل ابن أبي الحديد في الشرح عن السيد الأجل المرتضى (رحمه الله) أنّه قال: وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني، عن عليّ بن هارون، عن عبيد الله بن أحمد، عن أبيه قال: ذكرت لأبي الحسين زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) كلام فاطمة عند منع أبي بكر أيّاها فدك، وقلت له: إنّ هؤلاء

(١) كشف الغمّة ٢: ١٠٨، عنه البحار ٢٩: ٢١٧ ح ٢.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٠٤.

(٣) الشافي ٤: ٦٩.

(٤) الاحتجاج ١: ٢٥٣ ح ٤٩، عنه البحار ٢٩: ٢٢٠ ح ٨.

(٥) بلاغات النساء: ١٤، عنه احقاق الحق ١٠: ٢٩٦.

(٦) علل الشرائع: ٢٤٨ ح ٢ - ٤.

(٧) الطرائف: ٢٦٣ ح ٣٦٨.

(٨) وانظر شرح الأخبار ٣: ٣٤، ودلائل الإمامة: ١٠٩ ح ٣٦، ودلائل الزهراء للطبري ٧١ ح ٣٦.

وتلخيص الشافي للطوسي ٣: ١٣٩، والمقتل للخوارزمي ١: ٧٧، وأعلام النساء ٤: ١١٦.

يزعمون أنّه مصنوع، وأنّه من كلام أبي العيناء، لأنّ الكلام منسوق البلاغة. فقال لي: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم، ويعلمونه أولادهم، وقد حدثني به أبي عن جدّي يبلغ به فاطمة (عليها السلام) على هذه الحكاية، وقد رواه مشايخ الشيعة، وتدارسوه قبل أن يوجد جدّ أبي العيناء.

وقد حدّث الحسين بن علوان، عن عطية العوفي أنّه سمع عبد الله بن الحسن بن الحسين يذكر عن أبيه هذا الكلام، ثم قال أبو الحسين زيد: وكيف ينكرون هذا من كلام فاطمة (عليها السلام)، وهم يروون من كلام عائشة عند موت أبيها ما هو أعجب من كلام فاطمة (عليها السلام) ويحقّقونه لولا عداوتهم لنا أهل البيت؟! ثم ذكر الحديث بطوله على نسقه، انتهى^(١).

فقول بعض العامة العمياء بأنّ هذه الخطبة مصنوعة، وأنّها من كلام أبي العيناء، حيث ذكروا أنّ أبا العيناء ادعى هذا الكلام لنفسه - كما ذكره أبو الفضل المذكور -^(٢) نظير ما ذكروا أنّ خطب نهج البلاغة، أو الخطبة الشقشقية وحدها من كلام الرضيّ ومصنوعاته، مع ما تحقّق من وجود تلك الخطب والكلمات قبل ولادة الرضي بأعوام كثيرة، كما حقّقها في شرح نهج البلاغة^(٣)، وما تلك النسبة في المقامين إلّا لاختفاء مثالب الخلفاء، حتى لا يتحقّق شكاية أهل البيت (عليهم السّلام) منهم بين العامة فيوجب ذلك قدحهم.

وأبو العيناء المذكور هو أبو عبد الله محمّد بن قاسم بن خلّاد الضرير المعروف بأبي العيناء مولى أبي جعفر المنصور، أصله من اليمامة وولد بالأهواز سنة إحدى وتسعين ومائة ونشأ بالبصرة، وكان من أحفظ الناس، وأفصحهم لساناً، وأسرعهم جواباً، كفّ بصره حين بلغ أربعين سنة، مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، كان صاحب النوادر والشعر والأدب، وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وغيرهما،

(١) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٥٢ باب ٤٥.

(٢) بلاغات النساء: ١٢.

(٣) راجع شرح نهج البلاغة ١: ٢٠٥ باب ٣.

والخَلَاد - بفتح الخاء المعجمة، وتشديد اللام - .

ولَقَّبَ بأبي العِناء لأنَّه قال لأبي زيد الأنصاري: كيف تُصَغَّر عينا؟ فقال: عُيْنًا يا أبا العِناء.

وبالجملة لا شبهة في صدور أصل الخطبة منها (عليها السلام)، لكن الروايات مختلفة من حيث تبديل بعض الفقرات، وتغيير بعض الكلمات مع زيادة أو نقص، حتى في أواخر بعض روايات أحمد بن أبي طاهر أنَّه قال عطية الأوفي: سمعت أبا بكر يومئذ يقول لفاطمة (عليها السلام): يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين رحيمًا، وعلى الكافرين عذاباً أليماً، وإذا عزوناه كان أباك دون النساء، وأخا ابن عمك دون الرجال، أثره على كلِّ حميم، وساعده على الأمر العظيم، لا يحبك إلاَّ العظيم السعادة، ولا يبغضكم إلاَّ الردي الولادة، وأنتم عترة الله الطيبون، وخيرة الله المنتجبون، على الآخرة أدلّتنا، وإلى باب الجنة مسالكنا، وأما منعك ما سألت فلا ذلك لي، وأما فذك وما جعل أبوك لك فإن منعك فأنا ظالم، وأما الميراث فقد تعلمين أن أباك قال: لا نورث وما أبقيناه صدقة.

قالت: إنَّ الله تعالى يقول عن نبيٍّ من أنبيائه: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾^(١) وقال: ﴿وورث سليمان داود﴾^(٢) فهذان نبيان وقد علمت أن النبوة لا تورث، وإنما يورث مادونها، فمالي أُنعم إرث أبي؟ أنزل الله في كتابه إلاَّ فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله)، فتدلّني عليه فأقنع به؟

فقال: يا بنت رسول الله أنت عين الحجة، ومنطق الرسالة، لا يدلي بجوابك، ولا أدفعك عن صوابك، ولكن هذا أبو الحسن بيني وبينك هو الذي أخبرني بما تفقّدت، وأنبأني بما أخذت وتركت، قالت: فإن يكن ذلك كذلك فصبراً لمرّ الحقِّ والحمد لله إله الحقِّ، إنتهى^(٣).

(١) مريم: ٦.

(٢) النمل: ١٦.

(٣) بلاغات النساء: ١٩، عنه البحار ٢٩: ٢٤٥.

ولا يخفى لذي عينين أن ما ألحقوه في آخر الخبر إن كان له أصل وفصل، فهو تعريض للعمرين، وإلا فلا يوافق شيئاً من الروايات، ولا يلائم ما يأتي من الفقرات والتظلمات والشكايات.

وسنفصل المقال في ذلك المجال حتى يتبين جليّة الحال، بعد أن نوضح تلك الخطبة الغراء الساطعة عن سيّدة النساء التي تحيّر من العجب منها والإعجاب بها أحلام الفصحاء والبلغاء، ونبني الشرح على رواية الإحتجاج، ونشير أحياناً إلى بعض مواضع الاختلاف الواقع في الروايات الأخرى.

[دفع إشكالين]

ولابدّ أولاً قبل الشروع في شرح الخطبة من التنبيه على أمرين، والإشارة إلى دفع إشكالين، أحدهما: إن فاطمة (عليها السلام) قد كانت سيّدة النساء، وبنت خير الأنبياء، وزوجة سيّد الأوصياء، وهي المخدّرة العظمى، ومحلّ العصمة الكبرى، فكيف يصحّ لسانها في شرع أبيها أن تخرج من خدرها، وتدخل المسجد الغاصّ بالمهاجرين والأنصار، والأخيار والأشرار وهم أجنبية عنها، تسمعهم صوته، وتتكلّم معهم ويتكلّمون معها؟ وكيف رضى أمير المؤمنين (عليه السلام) بذلك منها، مع أنّه كان يمكنه أن يطالب حقّها الذي كانت تطلبه بالوكالة عنها حتى لا يسمع الأجنبية كلامها؟!]

الثاني: إنّها كانت من أهل بيت العصمة والطهارة، الذين اختاروا الزهادة في الدنيا بحسن اختيارهم، وكانت الدنيا أزهد عندهم من عطفة عنز، أو قلامة حافر، أو لحم خنزير في يد مجذوم كافر، ولم تكن الدنيا تزن عندهم جناح بعوضة، بل تركوا اختياراً لا اضطراراً جميع اللذائذ الدنيويّة لأجل الحظوظ الآخرويّة، ولم يذهبوا طيّباتهم في حياتهم الدنيا.

وقد جاء جبرئيل بمفاتيح جميع خزائن الأرض إليهم فلم يقبلوها، وأعرضوا بالكلّيّة عن الدنيا وما فيها، مع أنّهم لو شاؤوا أن يبدّل الله جميع ما في الأرض لهم

ذهباً، أو أن يبتغوا إلى دفائن الأرض سبيلاً، لكان ذلك أقرب إليهم وأسرع من رجوع الطرف ومدّ البصر.

فما وجه هذا الإصرار في خصوص فذك على هؤلاء الكفار الفجار، حتى انتهى الأمر إلى الخروج إلى مجامع المهاجرين والأنصار، ومحضر الشهود والنظار، والمكالمة مع الفجار والأبرار، وكذا البكاء والأنين عند جماعة الموافقين والمنافقين، وخطاب المعاتبة على أمير المؤمنين، وغير ذلك ممّا يأتي تفصيله في محله؟!

والجواب عن الأمرين معاً كما يظهر من الروايات: إنّ الضرورات تبيح المحذورات، وأنهم (عليهم السلام) لم يكونوا مكلفين إلّا بالعمل على طبق الصورة الظاهرية، والإتصاف بلوازم البشرية، وتأذّيهم ممّا يخالف القواعد الشرعية أشدّ من تأذّيها، لما فيهم من الأسرار الباطنية، والسرائر الداخلية، مع ما في هذا الإصرار من الإشارة إلى فظاعة أمر تلك الولاية الباطلة، وشناعة هذه الخلافة التي تقمّصها غصباً ابن أبي قحافة، وإنه كان يعلم أنّ محلّ عليّ أمير المؤمنين منها محلّ القطب من الرحي.

والتنبيه على كفر العمرين للناس من باب إتمام الحجة، وإيضاح المحجّة، لأنّما يقولوا يوم القيامة أنا كنّا عن هذا غافلين، أو كنّا نحن بهذا الأمر جاهلين، نظير ما فعل موسى بهارون أخيه من الأخذ بلحيته، والضرب على رأسه حتى يتضح عند الناس قبح عبادة العجل وشناعتها، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة، بل كان معنى كلامه هذا في فذك راجعاً إلى الكلام في خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) التي غصبها أهل الجور والعناد، الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، وكان في هذه المعركة العظمى، والبناء^(١) العظيم تمييز أهل الجنة من أهل الجحيم.

وكان بكاؤها (عليها السلام) في الباطن لأجل الهالكين من أمة أبيها.

والسالكين لمسالك الضلالة التاوين في مهاوئها، إلى غير ذلك ممّا يظهر من الأخبار والآثار لمن كان من أولى الأيدي والأبصار.

وقال الفاضل البهبهاني في المقام: إنّ أخبار تكلم فاطمة في أمر فدك في المسجد في حضور الصحابة متواترة البتة، وكانت هي (عليها السلام) أعلم من غيرها بالأحكام الشرعيّة، ولعلّه من باب الضرورة التي يجوز لأجلها تكلم النساء مع الرجال بإجماع الأمة.

وأما تكلمها مع سلمان وجابر وسائر الصحابة فلم يتحقّق لنا، وبعض النظرات الواقعة منهم ومنها لعلّه من باب الإتفاقيّات الضروريّة، أو أنّ الأحكام بالنسبة إلى الأعصار مختلفة، ولعلّه لم ينزل في تلك الأوقات آية الحجاب ونحوه، وعلى نحوه يحمل ما ورد أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) سمع صوت جماعة من النساء في ليلة زفاف فاطمة (عليها السلام)، على فرض أن كانت فيهنّ من لم تكن محرماً بالنسبة إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، إنتهى.

وقال الفاضل الدربندي (رحمه الله): إنّ تكلم فاطمة (عليها السلام) في غير مقام الضرورة المجوّزة إنّما كان مع الصحابة الذين لم يكونوا من جملة أولى الاربة، كسلمان وأبي ذر ونحوهما لا مطلقاً، وكذلك الكلام في مسألة النظر فإنّه نظير الكلام في الكلام.

وقد استثنى الله في آية الحجاب غير أولى الاربة من الرجال والطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، والمناطق في النظر والكلام متحد، والكلام فيهما من واد واحد، إذ المدرك في حرمتها - كما يظهر من الأخبار أيضاً - هو كون الرجال من أولى الاربة في النساء لا غيره.

وعلى ذلك يحمل ما ورد أنّ الحسين (عليه السلام) أمر أهل بيته يوم الطف عند اشتداد الحرب بالخروج من الخدور، تحريضاً للأصحاب على المجاهدة والقتال في ميدان المعركة، حيث قال: يا زينب، ويا أمّ كلثوم، ويا رقية، ويا سكينه، ويا أهل بيت النبوة اخرجن من خدوركنّ.

فخرجن بارزات الوجوه، ناشرات الشعور، لا طمات الصدور، يندبن ويبكين ويقلن: يا أنصار دين الله ألا تدفعون عن بنات رسول الله؟ ألا تذبّون عن حرم رسول الله؟ والأصحاب ينظرون اليهنّ ويبكون بين أيديهنّ، فقالوا للحسين (عليه السّلام): يا ابن رسول الله والله لا يصيبك أحد بسوء مادام منّا عرق نابض، إلى غير ذلك، مع كون ذلك من باب الضرورة أيضاً.

وقال الفاضل المجلسي (رحمه الله) بعد ذكر السؤال والجواب الواقع بين عليّ وفاطمة (عليها السلام) في آخر الخطبة - كما يأتي - ما لفظه: ولندفع الإشكال الذي قلّما لا يخطر بالبال عند سماع هذا الجواب والسؤال، وهو أن اعتراض فاطمة على أمير المؤمنين (عليه السّلام) في ترك التعرّض للخلافة، وعدم نصرتها، وتخطئته فيهما، مع علمها بإمامته ووجوب اتباعه وعصمته، وأنّه لم يفعل شيئاً إلاّ بأمره تعالى ووصيّة الرسول، ممّا ينافي عصمتها وجلالته.

فأقول: ويمكن أن يجاب عنه بأنّ هذه الكلمات صدرت منها لبعض المصالح، ولم تكن واقعاً منكراً لما فعله بل كانت راضية، وإنّما كان غرضها أن يتبيّن للناس قبح أعمالهم، وشناعة أفعالهم، وأنّ سكوتهم (عليه السّلام) ليس لرضاه بما أتوا به. ومثل هذا كثيراً ما يقع في العادات والمحاورات، كما أنّ الملك يعاتب بعض خواصّه في أمر بعض الرعايا مع علمه ببراءته من جنائيتهم ليظهر لهم عظم جرمهم، وأنّه ممّا استوجب به أخصّ الناس بالملك منه المعاتبة.

ونظير ذلك ما فعله موسى (عليه السّلام) لمّا رجع إلى فومه غضبان أسفاً من إلقاءه الألواح، وأخذه برأس أخيه يجرّه إليه، ولم يكن غرضه الإنكار على هارون، بل أراد بذلك أن يعرف القوم عظم جنائيتهم وشدة جرمهم، كما مرّ الكلام فيه.

وأما حمله على أنّ شدة الغضب والأسف والغيظ حملتها على ذلك مع علمها بحقيقة ما ارتكبه (عليه السّلام)، فلا ينفع في دفع الفساد، وينافي عصمتها وجلالته التي عجزت عن إدراكها أحلام العباد.

وبقي هنا إشكال آخر، وهو أنّ طلب الحقّ والمبالغة فيه وإن لم يكن منافياً

للعصمة، لكن زهدا (عليها السلام)، وتركها للدنيا، وعدم اعتدادها بنعيمها ولذاتها، وكمال عرفانها ويقينها بفناء الدنيا، وتوجّه نفسها القدسيّة، وانصراف همّتها العالية دائماً إلى اللذات الدنيويّة والدرجات الأخرويّة، لا تناسب مثل هذا الإهتمام في أمر فذك، والخروج إلى مجمع الناس، والمنازعة مع المنافقين في تحصيله.

والجواب عنه من وجهين:

الأوّل: إنّ ذلك لم يكن حقّاً مخصوصاً لها، بل كان أولادها البررة الكرام مشاركين لها فيه، فلم يكن يجوز لها المداهنة والمساهلة والمحابة وعدم المبالاة في ذلك، ليصير سبباً لتضييع حقوق جماعة من الأئمة الأعلام، والأشراف الكرام، نعم لو كان مختصّاً بها كان لها تركه والزهد فيه، وعدم التأثير من فوته^(١).

الثاني: إنّ تلك الأمور لم تكن لمحبة فذك وحبّ الدنيا، بل كان الغرض إظهار ظلمهم وجورهم وكفرهم ونفاقهم، وهذا كان من أهمّ أمور الدين، وأعظم الحقوق على المسلمين، ويؤيّد أنّها (عليها السلام) صرّحت في آخر الكلام به حيث قالت: «قلت ما قلت على معرفة منّي بالخذلة» وكفى بهذه الخطبة بيّنة على كفرهم ونفاقهم، إنتهى^(٢).

وظفرت بهذا الكلام منه بعدما قدّمته في المقام، وبينهما عموم من وجه، إشتمل كلّ منهما على ما يشمل عليه الآخر، فلا يُعدّ ذلك من باب الإعادة الخالية عن الفائدة.



(١) مضافاً إلى أنّها (عليها السلام) لو تركت المطالبة بحقّها لقال الذين في قلوبهم مرض: لم تركت حقّها ولم تطلبه؟! لماذا لم تحاج القوم في نحلّتها؟ فيكون هذا الأمر ذريعة عندهم لنفي أساس القضية، مدعين بأنّ فذك لو كانت مختصة بها دون المسلمين لوجب عليها المطالبة وعدم السكوت.

[الشروع في شرح الخطبة]

إذا عرفت هذا فنقول: روى الشيخ أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (رحمه الله) في كتاب الإحتجاج^(١)، عن عبد الله بن الحسن عن آبائه (عليهم السلام) أنه:

«لَمَّا أَجَمَعَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى مَنَعِ فَاطِمَةَ (عليها السلام) فَذَكَ
وَبَلَّغَهَا ذَلِكَ، لَأَثَتْ خِمَارَهَا عَلَى رَأْسِهَا، وَاشْتَمَلَتْ بِجِلْبَابِهَا،
وَأَقْبَلَتْ فِي لَمَّةٍ مِنْ حَقْدَتِهَا وَنِسَاءِ قَوْمِهَا، تَطَأُ ذُيُولَهَا، مَا تَحْرِمُ
مَشْيَتِهَا مَشْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حَتَّى دَخَلَتْ
عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ فِي حَشْدٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
وغيرِهِمْ».

بيان:

يقال: أجمع على الأمر أي أحكم النية والعزيمة عليه، قال: تعالى: ﴿وَأَجْمَعُوا
أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ﴾^(٢) أي عزموا على إلقائه فيها، و(أجمعوا أمركم) أي
إعزموا عليه، وأصله على أمركم، وحقيقة معنى الجمع واضح، والإجتمع: طلب
الجمع أي المجموعية، والإجماع جعل الأمر مجموعاً.

(١) الإحتجاج ١: ٢٥٣ ح ٤٩، عنه البحار ٢٩: ٢٢٠ ح ٨.

(٢) يوسف: ١٥.

[في معنى الإجماع]

وإجماع القوم: جمعهم أنفسهم على شيء، وهو مستلزم للإتفاق وللعزم، فاستعمل تارة بمعنى الإتفاق، وأخرى بمعنى العزم حتى جعل كلّ منهما بحسب العرف من جهة كثرة الإستعمال معنى حقيقياً، والإجماع بالمعنى الإصطلاحي مأخوذ منه بمعنى الإتفاق، كما عرّفه العامّة بأنّه إتفاق أهل الحلّ والعقد من أمة محمّد (صلّى الله عليه وآله) في عصر من الأعصار، على أمر من الأمور الدينيّة. وعرّفه الخاصّة بأنّه الإتفاق الكاشف عن رأي المعصوم، أو قوله، أو فعله، أو تقريره الكاشف عن رأيه أيضاً، والإتفاق المشتمل على المعصوم قولاً أو فعلاً أو تقريراً على الخلاف بين المتأخّرين منهم والقدماء على طريق اللّف والنشر المرتب، أو منه بمعنى العزم.

كما أنّ ابن إدريس ادّعى كون فطرة الزوجة الناشئة على زوجها، خلافاً للمشهور حيث لم يجعلوها عليه، واستدلّ على ذلك بأنّ إطلاقات كون فطرة الزوجة على زوجها أو عموماته دالّة على وجوبها عليه مطلقاً أو عموماً، والعمل بالإطلاقات والعمومات الواردة من الكتاب والسنة واجب إجماعاً، فصارت المسألة إجماعيّة^(١).

ورده المحقق (رحمه الله) بأنّ الإجماع مأخوذ منه بمعنى العزم من قوله تعالى: ﴿فأجمعوا أمركم﴾^(٢) أي اعزموا، ومالم يعلم العزم من جميع الأصحاب على المسألة بخصوصها لا تصير المسألة إجماعيّة، ولو أجمعوا على وجوب العمل بالإطلاقات والعمومات، إذ لا يلزم من الإجماع على العمل بها الإجماع على كلّ من مواردها بخصوصها.

وهذا الطريق الذي مشيتُ من إرجاع الإجماع بمعنى الإتفاق والعزم إلى

(١) السرائر ١: ٤٦٦ و ٤٦٨ / باب وجوب زكاة الفطرة.

(٢) يونس: ٧١.

معنى الاجتماع، هو مذاقي في أكثر اللغات المشتركة التي لها معان متعددة بل في جميعها، حيث أدى نظري فيها إلى أن جميع المعاني المتعددة للفظ الواحد راجع إلى معنى واحد هو المعنى الأصلي اللغوي، فانشعب منه تلك الفروع مجازاً من جهة المناسبة والعلاقة، إلى أن صارت من جهة كثرة الإستعمال حقائق عرفية عامة.

و (والمنع): خلاف الإعطاء ويستعمل بعن، يقال: منعت الرجل عن الشيء، واستعماله بعن إشارة إلى ما فيه من معنى التجاوز والتخلف، وقد يحذف لفظة (عن) فيوصل الفعل، كما في قوله هنا: «منع فاطمة فذك» والمفعول الأول هنا هو المفعول بلا واسطة وهو فاعل في المعنى، نظير المفعول الأول في أعطيت. ومنع الشخص لا يتصور إلا بمنعه وهو فاعل مختار من الفعل الذي هو في اختياره أو ما هو بمنزلته، فمنع الرجل عن الشيء منعه عن التصرف فيه، والمراد في الخبر منع فاطمة عن التصرف في فذك.

وقد مرّ بيان فذك وأنه ينصرف ولا ينصرف، وعدم الإنصراف من جهة العلمية والتأنيث باعتبار البلدة أو الأرض مثلاً، والإنصراف باعتبار البلد أو المكان ونحوهما، وذلك إشارة إلى إجماعه على المنع أو إلى نفس المنع، والمراد على التقديرين أنه بلغها خبر ذلك أو أثره، إما بلسان الناس أو برجوع وكيلها في فذك إليها وإخباره لها بذلك.

(ولاثت خمارها على رأسها) أي عصبتها، يقال: لاثت العمامة على رأسه يلوثها لوثاً أي شدّها وربطها.

وفي النهاية^(١): اللوث الطيّ والجمع، يقال: لثت العمامة ألوثها لوثاً، ومنه حديث بعضهم: فحللت من عمامتي لوثاً أو لوثين أي لفّة أو لفّتين، وأصل اللوث التلطيخ، استعمل في التعصّب بالعمامة وإدارتها على الرأس، واللوث المشهور في

(١) النهاية ٤: ٢٧٥ / لوث.

مقام القتل هو التفاف القرائن المفيد للظن به.

و (الخجار) - بالكسر - المقنعة، سميت بذلك لأن الرأس يخمر بها أي يغطي، وكل شيء غطيته فقد خمرته، والتخمير هو التغطية ومنه سمي الخمر خمراً لتغطيتها العقل، وقال ابن الأعرابي: سميت بذلك لأنها تركت فاختمت أي تغيرت ريحها^(١).
و (الجلباب) - بالكسر - يُطلق على الملحفة، والرداء، والإزار، والثوب الواسع للمرأة دون الملحفة، والثوب كالمقنعة.

تغطي به المرأة رأسها وصدرها وظهرها، قيل: والأول هنا أظهر، والظاهر أنه كذلك.

وفي النهاية في حديث عليّ (عليه السلام): من أحبنا أهل البيت فليعدّ للفقير جلباباً، أي ليزهد في الدنيا وليصبر على الفقر والقلة، كنى به عن الصبر لأنه يستر الفقر كما يستر الجلباب البدن.

وقيل: إنما كنى بالجلباب عن اشتماله بالفقر أي فليلبس إزار الفقر، ويكون منه على حالة تعمّه وتشمله، لأنّ الغنى من أحوال أهل الدنيا، ولا يتهياً الجمع بين حب الدنيا وحب أهل البيت^(٢).

وفي المجمع: الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها ويبقى منه ما ترسله على صدرها، وقيل: الجلباب الملحفة وكلّ ما ستر به من كساء أو غيره، وفي القاموس^(٣): الجلباب - كسرداب - القميص، ومعنى «يدنين عليهنّ من جلابيهنّ»^(٤) أي يرخينها عليهنّ، ويغطين به وجوههنّ وأعطافهنّ^(٥).

(١) راجع لسان العرب ٤: ٢١١/خمر.

(٢) النهاية ١: ٢٨٣/جلب.

(٣) القاموس المحيط: ٨٨/جلبه.

(٤) الأحزاب: ٥٩.

(٥) مجمع البحرين / جلب.

وسرداب - بكسر السين - معرّب السرداب - بفتحها - وهو البناء تحت الأرض سمي به لتبريده الماء، ونقل ضبط الجلباب كسينمار أيضاً، فيكون كسر الجيم واللام وتشديد الباء صحيحاً أيضاً.

والإشتمال بالشيء جعله شاملاً ومحيطاً لنفسه، والإشتمال على الشيء بالعكس أي الإحاطة به، والمراد أنّها (عليها السلام) غطّت رأسها وصدرها أولاً بالمقنعة، ثم لبست ملحفة تغطّي جميع بدنّها، فالتفت بها، وهذا كناية عن غاية التستر وهي عادة النساء الخفّرات^(١) إذا أردن الخروج من الدار إلى الخارج تحفظاً عن الأجانب.

و (اللّمة) - بضم اللام وتخفيف الميم - الجماعة، قال في النهاية: في حديث فاطمة (عليها السلام) أنّها خرجت في لمة من نسائها، تتوطأ ذيلها إلى أبي بكر فعاتبته، أي في جماعة من نسائها، قيل: هي ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل: اللّمة المثل في السن والترب.

وقال الجوهرى: الهاء عوض من الهمزة الذاهبة من وسطه^(٢)، وهو ممّا أخذت عينه كـ (مُذٍ) و(سَهٍ)، قالوا: أصلها منذوسته، وقد يؤخذ لام سته فيقال: ست أو إست، بتعويض الهمزة المكسورة عن المحذوف.

قال: وأصل لمة فعل من الملاءمة وهي الموافقة، ومنه حديث عمر: إنّ شابة زوّجت شيخاً فقتلته، فقال عمر: أيّها الناس لينكح الرجل لمتّه من النساء، ولتنكح المرأة لمتها من الرجال أي شكله وترّبه.

ومنه حديث عليّ (عليه السلام): ألا وإنّ معاوية قادم لمة من الغواة أي جماعة، ومنه الحديث: لا تسافروا حتى تصيبوا لمة أي رفقة، إنتهى^(٣). والهاء التي جيء بها عوضاً أمّا تاء التأنيث، سمّيت هاءً باعتبار حال الوقف،

(١) الخفّرة - بالتحريك - شدّة الحياء / لسان العرب.

(٢) الصحاح ٥: ٢٠٢٦.

(٣) النهاية ٤: ٢٧٣/لمة.

أو هي الهاء عوملت معاملة تاء التأنيث لشبهها بها في الوقوع في آخر الكلمة مع كون الصورة واحدة، كما أن لام شفّه هو الهاء على قول لا الواو، فيبدّل الهاء تاءً لذلك.

ويحتمل أن يكون لمة بتشديد الميم، قال الفيروز آبادي: اللمة - بالضم - صاحب والأصحاب في السفر والمونس للواحد والجمع^(١).

وفي المجمع في مادة اللّم: في حديث فاطمة (عليها السلام): خرجت في لمة من نساؤها أي في جماعة منهن من غير حصر في عدد، وقيل: هي ما بين الثلاثة إلى العشرة، والهاء عوض عن الهمزة في وسطه، وهي فُعلة من الملاءمة بمعنى الموافقة، إنتهى^(٢).

ولا يخفى ما فيه من الخلط والشبهة، والظاهر أن اللمة إذا كانت بتشديد الميم فهي من الإلمام بمعنى النزول، أطلق على الجماعة النازلة كما يطلق اللمة على الخطرة^(٣) والزورة والأتية بمعنى النزول والقرب.

ومنه الخبر: إن للشيطان لمة وللملك لمة، وإن لابن آدم لمتان لمة من الملك ولمة من الشيطان، فأما لمة الشيطان فأيعاد بالشر وتكذيب بالخير، وأما لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد هذا فليحمد الله، ومن وجد الآخر فليتعوذ بالله^(٤). فيكون جميع المعاني الموجودة للمم راجعة إلى هذا المعنى.

وفي نسخة كشف الغمة: «في لُيمة»^(٥) بصيغة التصغير، وهو يؤيد قراءة تشديد الميم بمعنى الجماعة، ويكون التصغير إمّا للتقليل أي في جماعة قليلة، أو للتكثير نظير التعظيم والتحقيق.

(١) القاموس المحيط: ١٤٩٦ / لمة.

(٢) مجمع البحرين / لم.

(٣) قال في لسان العرب: قال شمر: اللمة اللهمة والخطرة تقع في القلب.

(٤) نحوه لسان العرب ١٢: ٣٣٤ / لم، والبحار ٧٠: ٣٩.

(٥) كشف الغمة ٢: ١٠٩.

و (الحَفْدَة) - بالتحريك - الأعوان والخدم وقيل ولد الولد أيضاً، والمراد هنا الأول، والواحد حافدٌ، وأصله من الحفد بمعنى السرعة، يقال: حَفَدَ البعيرُ والظليم - من باب ضرب - حَفْدًا وحَفْدَانًا إذا أسرع لإسراعهم في الخدمة.

قال في النهاية: وفي حديث أمّ معبد: محفود محشود، المحفود الذي يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته، يقال: حَفَدْتُ وأَحَفَدْتُ فأنا حافد ومحفود.

ومنه دعاء القنوت: «وإليك نسعى ونحفد» أي نسرع في العمل والخدمة، ومنه حديث عمر وذكر له عثمان للخلافة فقال: أخشى حفده أي إسراعه في مرضات أقاربه، إنتهى^(١).

وفي عبارات السلف عند الدعاء لأحد: «حفد حاسده وحسد حافده» أي كان حاسده من الأعاظم المحفودين، وكان خادمه من المحسودين، والإتيان بلفظ (في) في قوله: «وأقبلت في لمة من حفدتها» دون أن يقول «مع لمة» إشارة إلى أنها كانت بينهنّ وهنّ مجتمعات حولها، محيطات بها، والإضافة في حفدتها لامية، وفي نساء قومها كذلك أيضاً، بناء على كون الإضافة لامية فيما كان المضاف بعض المضاف إليه، أو بمعنى (من) بناء على تعميم الإضافة بمعنى من على التبعية والتبعية.

قوله: (تطأ ذيوها) أي كانت أثوابها طويلة تستر قدميها، وتضع عند المشي قدمها عليها.

وجمع الذيل باعتبار الأجزاء، أو تعدد الذيول باعتبار الأطراف الأربعة، أو باعتبار تعدد الشياب، ويمكن أن يكون وطى الذيول كناية عن التبخر، فإن العرب كان يطولون ذيولهم حتى كانت تنجرّ على الأرض إظهاراً للهيمنة والشوكة، فنزل قوله تعالى: ﴿وَيُثَابِكْ فَطَهْرٌ﴾^(٢) أي نزعها عن الإنسحاب على الأرض والتلطّخ

(١) النهاية ١: ٤٠٦ / حفد.

(٢) المدثر: ٤.

بالتراب ونحوه، ولذا فسر قوله تعالى فطهر بمعنى فقصر، ثم صار تطويل الذبول كناية عن مطلق التبختر.

وفي نسخة كشف الغمة: «تجرّ أذراعها»^(١) ودرع المرأة قميصها والجمع أذراع، وهو مذكّر مأخوذ من درع الحديدية وهي مؤنثة في الأكثر، وجرّ الأذراع كناية عن كون أذيال قميصها طويلة ملاصقة للأرض مراداً به جرّها على الأرض، فيرجع إلى معنى تطأ ذبولها.

و (الحُرْمُ) - بضم الخاء المعجمة، وسكون الراء المهملة - الترك والنقص والعدول. و (المِشْيَةُ) - بكسر الميم - الاسم من مشى يمشي مشياً، وبالفتح مصدر مثل مشى ومشية كرحم ورحمة، أي لم ينقص مشيها من مشي رسول الله (صلى الله عليه وآله) شيئاً كأنّه هو بعينه تميل من جانب إلى جانب، وفي الأخبار: إنّ فاطمة (عليها السلام) كانت أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) خلقاً وخلقاً، وقولاً وفعلًا، وسكوناً وحركة^(٢).

قال في النهاية: فيه ما خرمت من صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) - من باب ضرب - أي ما تركت، ومنه الحديث «لم أخرم منه حرفاً» أي لم أدع^(٣). وأصل الخرم القطع والشق، وهو يستلزم النقص وترك شيء من المقطوع والعدول عن الحالة الأصلية، فاستعمل في هذه المعاني للمناسبة.

والدخول في الشيء الحركة إلى داخله مع الإنتهاء إليه، كما في نحو دخلت في المسجد لدلالة الفاء على الظرفيّة، وأمّا الدخول على الشيء فهو الحركة إليه بلا دخول في جوفه، لكن إذا كان المفعول أي ذلك الشيء في داخل شيء آخر كالدار والبيت مثلاً، وأمّا الحركة إلى الشيء الذي هو في فضاء خارج فلا يقال حينئذٍ دخلت عليه، بل يقال وردت عليه إلّا أن يشبّه بالمدخول عليه في الدار مثلاً،

(١) كشف الغمة ٢: ١٠٩.

(٢) راجع إحقاق الحق ١٠: ٢٥١ - ٢٥٥.

(٣) النهاية ٢: ٢٧ / خرم.

وبالجملة فلفظ على مع الدخول يشير إلى كون الداخل مستعلياً عليه، فإنّ الوارد عال بالنسبة إلى المورد عليه.

و (الحشد) - بالفتح وقد يُحرّك - الجماعة، وحشدت القوم - من باب قتل أو ضرب - إذا جمعتهم، يستعمل لازماً ومتعدّياً، وفي الحديث: «ولمّا حشد الناس قام خطيباً» واحتشد القوم لفلان إذا اجتمعوا وتهيّؤا وتأهبوا، وجاء فلان حاشداً أي مستعدّاً متأهباً، ورجل محشود أي من كان الناس يسرعون إلى خدمته لأنّه مطاع، وفي رواية الكشف: «وقد حشد المهاجرين والأنصار»^(١) أي جمعهم أبو بكر في المسجد.

و (المهاجرون) الذين هاجروا مع النبي (صلّى الله عليه وآله) أو بعده من مكّة إلى المدينة، أو من مكّة إلى الحبشة، ومنها إلى المدينة، أو من بلاد الكفر مطلقاً إلى بلاد الإسلام، ويقال لكلّ من ترك موطنه الأصلي أنّه مهاجر، وهو من الهجر بمعنى ضدّ الوصل من هجرة هَجْراً - من باب قتل - أي قطعه أو تركه أو رفضه، قال تعالى: ﴿واجرهم هجراً جميلاً﴾^(٢).

والمهاجرة من أرض إلى أخرى ترك الأولى للثانية، ويقال للثانية مُهاجرة - بضمّ الميم وفتح الجيم - أي محلّ الهجرة ودار الهجرة، والإسم الهجرة - بالكسر - فإن كانت قرينة لله فهي الهجرة الشرعيّة، أو لا فهي الهجرة العرفيّة، والهجرة الشرعيّة المعروفة هجرتان: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة.

قال في النهاية: وفي الخبر: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية» وفي حديث آخر: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة»^(٣).

والهجرة بوجه آخر أيضاً هجرتان، إحداها التي وعد الله عليها الجنّة في قوله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة﴾^(٤) فكان الرجل

(١) كشف الغمّة ٢: ١٠٩.

(٢) المزمّل: ١٠.

(٣) النهاية ٥: ٢٤٤ / هجر.

(٤) التوبة: ١١١.

يأتي النبي (صلى الله عليه وآله) ويدع أهله وماله لا يرجع في شيء منه، وينقطع بنفسه إلى مهاجرة، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يكره أن يموت الرجل بالأرض التي هاجر منها، فلما فتحت مكة صارت دار الإسلام كالمدينة وانقطعت الهجرة.

والهجرة الثانية من هاجر إلى الأعراب وغزاه مع المسلمين، ولم يفعل كما فعل أصحاب الهجرة الأولى فهو مهاجر، وليس بداخل في فضل من هاجر تلك الهجرة السابقة، وهو المراد بقوله: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة» وهذا وجه الجمع بين الحديثين.

وإذا أطلق في الحديث ذكر الهجرتين فإنهما يراد بهما هجرة الحبشة وهجرة المدينة، ومنه الحديث: «ستكون هجرة بعد الهجرة»^(١) والمهاجرون عند الإطلاق هم المهاجرون من أهل مكة إلى المدينة، ما لم ينضم إليه قرينة دالة على إرادة المهاجرين من غيرهم من سائر بلاد الكفر مطلقاً، أو من مكة إلى الحبشة.

وابتداء الهجرة إنما وقع في السنة الخامسة والأربعين من سن النبي (صلى الله عليه وآله)، وهي السنة الخامسة من البعثة حيث هاجر المؤمنون، وهم يومئذ أحد عشر رجلاً وخمسة نسوة، من مكة إلى الحبشة من جهة ما بنى عليه الكفار بالنسبة إليهم من الأذى والأذية، فالتجأوا إلى أصحابمة النجاشي^(٢) ملك تلك البلاد، فاستراحوا في الحبشة.

ثم قرع سمعهم أن الكفار صالحوا النبي المختار على ترك الأذية له ولمن تابعه فرجعوا إلى مكة، وكان الحال أنه لما نزل سورة النجم كان النبي (صلى الله عليه وآله) يقرأها في المسجد الحرام في الصلاة حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ يَبْهَرُهُمْ إِذْ تُنْفَخُ الصُّفُوفُ فَهُمْ لَا حُمُومَ﴾^(٣) فألقى الشيطان في أثناء صوت

(١) النهاية ٥ : ٢٤٤، ولسان العرب ١٥ : ٣٢ / هجر.

(٢) قال في القاموس: أصحابمة بن بخر ملك الحبشة النجاشي، أسلم في عهد النبي (صلى الله عليه وآله)، (صحم).

(٣) النجم: ٢٠.

النبي (صلى الله عليه وآله) على آذان الكفار، لا أن الشيطان أجرى على لسانه (صلى الله عليه وآله) كما رواه العامة قوله: «تلك الغرائق العلى، منها الشفاعة ترتجي» وسجد (صلى الله عليه وآله) في آخر السورة^(١).

فلما شاهد المنافقون هذه الحالة، وكان فيهم وليد بن مغيرة المخزومي، فرحوا بذلك وقالوا: إن محمداً يعظم آلهتنا، ويمدح أصنامنا، ويقرّ بشفاعة اللات والعزى، فلا نزاع لنا معه.

فوصل من هذه الجهة شبهة المصالحة إلى آذان مهاجري الحبشة، ولما رجع النبي (صلى الله عليه وآله) من المسجد سمع من الناس هذه المقالة فحزن لذلك، فنزل جبرئيل تسليّة له بقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾^(٢).

فلما علم المنافقون بالكيفية عادوا إلى الأذية، وللآية تفاسير أخر من الخاصة والعامة ليس هنا موضع تفصيلها، فلا حظها في مظانها.

وبالجملة فبناء على التفسير المذكور لما رجع المهاجرون إلى مكة، وعلموا بالحال وما عليه الكفار هاجروا في تلك السنة ثانية إلى الحبشة بأمر النبي (صلى الله عليه وآله)، وهم حينئذٍ غير الأولاد الصغار ثمانون رجلاً وثمانية عشر امرأة.

فبقوا هناك إلى أن هاجروا من الحبشة إلى المدينة سنة فتح خيبر وفدك، وفيهم حينئذٍ جعفر بن أبي طالب، وأم المؤمنين أم حبيبة، مع جمع من قبيلة أشعر من قبائل اليمن منهم أبو بردة الأشعري، وأبو موسى الأشعري، واخوانهما في ستين نفراً وهم على زي أهل الحبشة، وثمانية من أهل الروم، وثمانين من قبيلة دوس منهم أبو هريرة، واسمه على المشهور عبد الشمس بن عامر، وسمّاه رسول

(١) راجع لمزيد الاطلاع تلخيص التمهيد لمحمد هادي معرفة ١: ٤٦ (اسطورة الغرائق).

(٢) الحج: ٥٢.

الله (صلى الله عليه وآله) بعد الإسلام بعبد الله، وكان هو في الأصل راعي غنم، وكان له هرة كبيرة تصاحبه وتكون معه فكتنى بأبي هريرة.

وفي هذه السنة أيضاً هاجر خالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة، وعمر وبن العاص بعد قضاء العمرة إلى المدينة، وبالجمل فكل من هاجر من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فهو مهاجر، والأغلب في ذلك أهل مكة، والأغلب منهم قريش، فينصرف إطلاق المهاجرين إليهم إلا مع القرينة.

«والأنصار» جمع نصر بمعنى المعاون والناصر، أو جمع نصير كشریف وأشرف، وفي سيرة الحلبي للسيد أحمد عاصم^(١) أنه جمع ناصر كصاحب وأصحاب.

وهم أهل المدينة سموا بذلك لنصرتهم النبي (صلى الله عليه وآله)، أو لوعدهم إياه بالنصر حين آمن جماعة منهم بالنبي (صلى الله عليه وآله) في مكة، وذلك أنه (صلى الله عليه وآله) بعد البعثة كان يدعو الناس إلى الإسلام في موسم الحج في كل سنة إذا ورد فرق الأنام من الأطراف والأقطار إلى مكة للحج والعمرة.

وكان ينادي لأهل الموسم في أيام الحج بقوله (صلى الله عليه وآله): قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فآمن نفر يسير من أهل المدينة في السنة الحادية والخمسين من سنه (صلى الله عليه وآله)، ثم أسلم إثنًا عشر منهم في السنة الثانية والخمسين، وبايعوه في العقبة أي عقبة المدنيين على النصرة والمعاونة، رئيسهم أسعد بن زرارة وهي البيعة الأولى في العقبة.

وفي السنة الثالثة والخمسين أسلم منهم سبعون نفرًا وامرأتان، وبايعوه أيضاً على النصر والمعاونة أولهم براء بن معرور، وقالوا له: لو هاجرت إلى المدينة وجئت إلينا لنصرناك، ولو قاتلت الروم والفرس، فهاجر (صلى الله عليه وآله) إليهم

(١) أحمد عاصم العيتابي المشهور بمرجم عاصم، توفي عام ١٢٣٥هـ، وقد ترجم السيرة الحلبية المسمى بإنسان العيون إلى التركية.

راجع معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت ١: ٣٧٨ رقم ١٧١٠ و ١٧١٢.

في السنة الرابعة والخمسين من الغار المشهور المسمى بغار الثور.

[كتاب تبّع اليمين إلى النبي (صلى الله عليه وآله)]

وروي أن حمير بن دروع من تبابعة اليمن لثا وصل إلى المدينة في أثناء فتحه البلاد، ومعه حينئذٍ سوى جيشه الطمطم أربعة آلاف نفر من الحكماء العظام، رئيسهم حكيم ماهر مسمى بشامول، تأمل هؤلاء الحكماء أرض المدينة، وعلموا من الكتب السالفة أن هذا المكان هو مهاجر نبي آخر الزمان، فعموا على التوطن في هذا المقام:

فلما علم الملك بذلك من الحكماء الأعلام إختار منهم أربعمئة نفر، وبنى لكلّ منهم منزلاً في المدينة وأقامهم هناك، وبنى داراً عظيم البنيان عالي المكان لنبي آخر الزمان، وكتب لذلك كتابة فيها قوله:

«إلى محمد بن عبدالله خاتم النبيين، ورسول ربّ عالمين من تبّع بن دروع، أما بعد يا محمد فأني آمنت بك وبكتابك الذي أنزل الله عليك، وأنا على دينك وستتك، وآمنت برّبك وربّ كلّ شيء، وبكلّ ما جاء من ربّك من شرائع الإسلام والإيمان، وأنا قبلت ذلك فإن أدركتك فيها ونعمت، وإن لم أدركك فاشفع لي يوم القيامة، ولا تنسني فأني من أمتك من الأولين، وتابعتك قبل مجيئك، وقبل أن يرسل الله إليك، وأنا على ملّتك وملّة أبيك إبراهيم».

ثمّ ختم الكتاب ونقش عليه قوله: «الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذٍ يفرح المؤمنون» وسلّم الكتاب إلى شامول، وأوصاه أن يوصله بيده أو بيد أولاده إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)، حتى انتهى ذلك بعد أحد وعشرين بطناً إلى أبي أيّوب الأنصاري - وكان من أولاد شامول -.

فلما هاجر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة فأرسل أبو أيّوب هذه الكتابة مع شخص معتمد مسمى بأبي ليلى إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فوصل إليه في أثناء الطريق^(١) في قبيلة بني سليم، فلما لقيه قال له

(١) كذا الظاهر، وفي المتن: «في أثناء الطريق فوصل إليه».

النبي (صلى الله عليه وآله): أنت أبو ليلى؟ قال: نعم، قال: ومعك كتاب من تبع الملك؟ قال: نعم، فتحرّر أبو ليلى من ذلك ولم يكن يعرفه، فقال: من أنت فأنّي لست أعرف في وجهك أثر السحر؟ فقال (صلى الله عليه وآله): أنا محمّد هات الكتاب فسلمه إليه، فلمّا فتحه قال ثلاثاً: مرحباً بالأخ الصالح.

فلمّا وصل (صلى الله عليه وآله) المدينة نزل في دار أبي أيّوب الأنصاري، وهي الدار التي بناها تتبع الملك للنبي (صلى الله عليه وآله)، وسلمها أمانة إلى يد شامول جدّ أبي أيّوب، وذكر أنّ الأنصار كلّهم من نسل هؤلاء الحكماء الأربعمئة. وبالجملّة يحمل إطلاق الأنصار على المؤمنين من أهل المدينة، والمهاجرين على من هاجر إليها من أهل مكّة، وكان الأنصار والمهاجرون يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتى نسخ بآية «أولي الأرحام» أي قوله تعالى: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾^(١).



قَالَ الرَّاويُّ:

«فَنِيَطَتْ دُونَهَا مُلَاءَةٌ، فَجَلَسْتُ ثُمَّ أَنْتَ أَنْتَ أَجْهَشَ الْقَوْمُ
هَلَا بِالْبُكَاءِ فَارَاجَ الْمَجْلِسُ، ثُمَّ أَمْهَلْتُ هُنَيْتَةً حَتَّى إِذَا سَكَنَ نَشِيْجُ
الْقَوْمِ وَهَدَأَتْ قُوْرُهُمْ إِفْتَتَحَتِ الْكَلَامَ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَالشَّائِءِ عَلَيْهِ،
وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُوْلِهِ، فَعَادَ الْقَوْمُ فِي بُكَائِهِمْ، فَلَمَّا أَمْسَكُوا
عَادَتْ فِي كَلَامِهَا فَقَالَتْ».

بيان:

«نيطت» بمعنى علقت من قولهم: ناط الشيء ينوطه نوطاً أي علقه، وهو من
اللغات المشهورة واستعمالها في غاية الكثرة.

قال الحريري: كلفت مذ ميّطت عني التمام، ونيطت بي العمائم، بأن أغشى
معان الأدب، وأنضى إليه ركاب الطلب لأعلق منه بما يكون زينة بين الأنام، ومزنة
عند الأوام.

وقال في السبعة العلوية^(١):

يُنَاطُ عَلَيْهَا لِلنَّجْمِ قِلَانِدٌ وَيَسْفِلُ عَنْهَا لِلْغَمَامِ أَهَاضِيبٌ^(٢)
ومنها نياط القلب - ككتاب - للعرق الغليظ الذي يعلّق به القلب إلى الوتين،
وفعال شايع فيما يفعل به مثل نظام، وقوام، وعصام، ولباس، وكتاب، وإدام، إلى
غير ذلك من الأمثلة الكثيرة، ويقال للنياط النيط أيضاً، كما في ما نقل عن معاوية:
(ما بقي من بني هاشم نافخُ ضَرْمَةٍ إِلَّا وَقَدْ طُعِنَ فِي نَيْطِهِ)^(٣).

وكل شيء عُلّق في شيء فهو منوط، وموضع التعليق مناط، كما يقال: مناط
المسألة كذا، وهل المراد من المناط هو النياط أم لا؟! والظاهر المغايرة، مثلاً إذا
علّقت قنديلاً إلى سقف المسجد بعلاقة فأنت ناطط، والقنديل منوط، والعلاقة نياط،

(١) الروضة المختارة: ٨٦، القصيدة الأولى.

(٢) الهضبة: المطرة الدائمة، العظيمة القطر / لسان العرب.

(٣) النهاية ٥: ١٤١، ولسان العرب ١٤: ٣٤٨ / نيط، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١٩: ١٢٩.

والسقف مناط، وإذا قطعت النياط سقط المنوط، وانقطعت العلاقة بينه وبين المناط، فتأمل.

و (دون) وهو عند بعضهم مقلوب الدنو ضدّ فوق، وهو تقصير عن الغاية، ويكون ظرفاً حينئذٍ يقال: هو دونه ضدّ فوقه، وبمعنى أمام يقال: مشى دونه أي أمامه، وبمعنى وراء يقال: هو دونه أي وراءه، فيكون من الأضداد، وبمعنى غير مثل هو دونه أي غيره.

وفي الدعاء: «ليس دونه منتهى» أي ليس غيره منتهى ينتهي إليه الآمال، وقيل معناه: ليس لقربه نهاية، بناءً على إرادة القرب منه، بمعنى أنّ مراتب القرب منه لا نهاية لها، ويقال: شيء دون أي خسيس أو ردي، ومنه أنفق عليها نفقة دون. ويقال: شيء دون أي شريف، فيكون من الأضداد أيضاً حينئذٍ، ودونكه أي خذه، فيكون من باب أسماء الأفعال، ودونه خرط القتاد أي أقرب منه فيكون ظرفاً، وأرجع بعضهم هذا إلى معنى التقريب عن الغاية.

ودون النهر جماعة أي قبل أن يصل إليه، وهذا رجل من دون أي من حقير ساقط، قيل: ولا يقال (رجل دون) بدون من، وقال في الصحاح: الدون الحقير الخسيس أيضاً، واستشهد عليه بقوله:

إذا ما علا المرء رام الثُلَى ويقنع بالدون من كان دوناً^(١)
ودونكه أي ألزمه واحتفظ به فيكون إغراء، ولا يكون الجارّ الداخل على دون في بعض معانيه إلّا من - وهو الغالب - أو الباء، فيقال: من دونه أو بدونه.

قال بعض المحققين: إنّ دون في الأصل بمعنى أدنى مكان من الشيء، يقال: هذا دون ذاك إذا كان أخطّ منه قليلاً، وإنّ تدوين الكتاب بمعنى جمعه مأخوذ منه لأنّ بعض ورقه يقرب من بعض.

ويقال: دونك هذا أي خذه من أدنى مكان منك، ثمّ اتسع واستعمل في

الأحوال والرتب بنحو الاستعارة، وعلى ما ذكر قيل فالديوان مأخوذ منه، وأصله الدوّان - بكسر الدال وتشديد الواو - قلب أحد الواوين ياءً، وهو مصدر دَوَّن يدوّن دَوَاناً مثل كَذَب يكذب كَذَاباً، وقد يفتح الدال للتخفيف، ثم جعل الديوان إسمًا للكتاب الذي يضبط أهل الجيش وأهل العطية، ومنه ديوان الأشعار لجمعها فيه على الترتيب أو بدونه، ويجمع على الدواوين، وقد يستعار الديوان لصحائف الأعمال.

ومنه الخبر: «إذا ماتت المرأة في النفاس لم ينشر لها ديوان يوم القيامة»^(١)، ومنه: «الدواوين ثلاثة»^(٢) أي صحائف الأعمال، وهي ديوان النعم، وديوان الحسنات، وديوان السيئات، ويقال: إنَّ عمر أوّل من دَوَّن الدواوين في العرب، أي أوّل من رتّب الجرائد والدفاتر للعمّال وغيرهم.

ولم يشتق من لفظ دون فعلٌ، فلا يبنى منه فعل التعجّب أيضاً، فلا يقال: ما أدونه، وقيل: إنَّ في اللغة فعلاً مشتقاً منه مثل دان يدون دوناً وأدانه وإدانة، والجائز هنا من معاني دون هو مثل ضدّ فوقه وأمامه والأقرب، والحاصل في الجميع أنّه ضربت عندها ملاءة.

و (الملاء) - بالضم والمدّ - الربطة والإزار، والواحد الملاءة، وفي حديث الاستسقاء: «فرأيت السحاب يتمزّق كأنّه الملاء حين يطوي»^(٣)، وفي المجمع: أنّه كلّ ثوب لثين رقيق، ومنه قولهم: فلان لبس العباء وترك الملاء^(٤).

والمعنى أنّها (عليها السلام) لما أتت إلى المسجد في القوم ضربوا بينها وبينهم حجاباً عظيماً تعظيماً لها، فجلست وراءها، وفي نسخة الكشف: «فضرب بينهم بربطة بيضاء وقيل قبطية، فأنت ..» الخ^(٥).

(١) نحوه البحار ٨١: ٨٠.

(٢) البحار ٧: ٢٧٣ ح ٤٤.

(٣) لسان العرب ١٣: ١٦٧ / ملأ.

(٤) مجمع البحرين / ملأ.

(٥) كشف الغمّة ٢: ١٠٩.

والريطة - بالفتح - الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين أي قطعتين، وفي حديث وصف عليّ (عليه السلام) في الجنة: «وعليه ريطتان ريطه من أرجوان النور، وريطة من كافور»^(١) ومثله في وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله): «مرتد بريطين»^(٢) والجمع رباط ككلبة وكلاب.

والقبطيّة - بالكسر - ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر، وقد يضمّ لأنهم يغيّرون في النسب.

وفي المجمع في الحديث: الفجر الصادق هو المعترض كالقباطي - بفتح القاف وتخفيف الموحدة قبل الألف وتشديد الياء بعد الطاء المهملة - ثياب بيض رقيقة تجلب من مصر، واحدها قُبْطِيّ - بضمّ القاف - نسبة إلى قِبط - بكسر ها - وهم أهل مصر، والتغيير في النسبة هنا للإختصاص كما في الدهري نسبة إلى الدهر - بالفتح - وهذا التغيير إنّما اعتبر في الثياب فرقاً بين الإنسان وغيره، فأما في الناس فيبنى على اعتبار الأصل، فيقال: رجل قِبطيّ - بالكسر - ومنه حديث من ردّ الله عليهم أعمالهم فجعلها هباء، قال (عليه السلام): «أما والله كانت أعمالهم أشدّ بياضاً من القباطي، ولكن إذا فتح لهم باب من الحرام دخلوا فيه» انتهى^(٣).

وكذلك الأمر في النسبة إلى الدهر، حيث يطلق الدهريّ - بضمّ الدال - للإنسان الكبير في غاية الكبر، وبالفتح لمن اتخذ الدهر إلهاً ورباً، فيقال: فلان دَهرِيٌّ مذهباً.

قوله: (أنت) هو من أن الرجل من الوجة يانّ - بالكسر - أنيباً وأناثاً - بالضمّ - صوت.

و (الجهش) - بالفتح - أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو مع ذلك يريد البكاء، كالصبيّ يفزع إلى أمّه وقد تهيتاً للبكاء، يقال: جهش إليه كمنع وأجهش، وفي

(١) الكافي ٨: ٢٥ ح ٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مجمع البحرين / قبط.

الحديث: «أصابنا عطش فجهشنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)»^(١).
وعن القاموس: أجش فلان بالبكاء: تهيأ له^(٢)، فالمعنى أن القوم تهيؤوا
لأجل فاطمة (عليها السلام) أو من جهة أنتها للبكاء.

و (الإرتجاج) الإضطراب، وعن القاموس: الرجوجة الإضطراب كالإرتجاج^(٣).
ورج الباب رجاً شديداً أي زعزعه وحركه، وارتج البحر اضطرب، وارتج الظلام
التبس، وفي الخبر: «من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له»^(٤) أي حين تضرب
أمواجه، وقوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتْ الْأَرْضُ رَجاً﴾^(٥) قيل: أي يدق بعضها على بعض.
وفي الحديث: «إن القلب ليترجج فيما بين الصدر والحنجرة حتى يعقد على
الإيمان فيستقر»^(٦) والمراد من ارتجاج المجلس إرتجاج أهله، كما أن المراد من
إرتجاج البحر إرتجاج مائه.

و (الإمهال) الإنظار، والإسم منه المهلة، ومهلته كأمهلت: أنظرته، ومنه قوله
تعالى: ﴿وَمَهْلَمٌ فَلَيْلاً﴾^(٧) وأمهلهم رويداً^(٨).

و (هنية) قال في المجمع: وفي حديث الميت: (يوضع دون قبره هنية ليأخذ
أهبتة، لأن للقبر هبة)، وهنية - بضم الهاء، وفتح النون، وتشديد الياء المثناة
التحتانية - الزمان اليسير، ومنه مكث هنية، وفي بعض النسخ: «هنية» بثلاث
هاءات، وهو أيضاً صحيح وفصيح، وأما هنية فغير صواب^(٩).

وفي المصباح: إن الأصل فيها (هن) ولامها محذوفة، وفي لغة هي هاء

(١) أمالي الطوسي: ١٢٨ ح ٢٠٣، عنه البحار ١٨: ٥٣ ح ٣، وفي لسان العرب ٢: ٤٠١ / جهش.

(٢) القاموس المحيط: ٧٥٨ / جهش.

(٣) القاموس المحيط: ٢٤٣ / الرج.

(٤) النهاية ٢: ١٩٧، لسان العرب ٥: ١٤١ / رجج.

(٥) الواقعة: ٤.

(٦) المحاسن ١: ٣٨٨ ح ٨٦٥، عنه البحار ٦٨: ٢٥٥ ح ١٣، ونحوه الكافي ٢: ٤٢١ ح ٤.

(٧) المزمل: ١١.

(٨) الطارق: ١٧.

(٩) مجمع البحرين / هنا.

فيصغر على هنيهة، ومنه يقال: مكث هنيهة أي ساعة لطيفة دقيقة والمراد القلّة^(١). وفي لغة هي واو وأصله هنو، فيصغر على هنيوة فتصير هنيّة، والهمزة كما صرّحوا به مع أنّ الإستعمال بالهمزة لعلّة أكثر، والمراد من الفقرة أنّها (عليها السلام) أمهلت القوم عن كلامها هنيّة أي صبرت زماناً قليلاً عن الكلام وسكتت.

و (النشيج) صوت معه توجّع وبكاء كما يردّد الصبي بكاءه في صدره، وفي حديث وفاة النبي (صلى الله عليه وآله): «فنشج الناس ييكون»^(٢). قال في النهاية: ومنه حديث عمر: إنّ قرأ سورة [يوسف] في الصلاة فبكي حتى سمع نشيجه خلف الصفوف، ومنه حديثه الآخر: فنشج حتى اختلفت أضلاعه^(٣).

وفي المجمع: ومنه أقبل الشيخ ينتحب بنشيج^(٤). وفي المصباح: نشج الباكي نشيجاً إذا غصّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب^(٥).

و (هدأ) هذأ وهذوءاً - من باب منع - أي سكن عن الحركة، وأهدئ فلان ممّا كان أي أسكن عن الحركات التي كان عليها كناية عن الموت، وأهدأه: سكّته، يقال: أهدأت الصبيّ إذا جعلت تضرب بكفّك عليه وتسكنه لينام. و (الفورة) من فارت القدر تفور فوراً فوراناً جاشت، والإسم الفورة، أو هي مصدر أيضاً بمعنى الجيش والغليان.

قال في المصباح: قولهم والشفعة على الفور من هذا أي على الوقت الحاضر

(١) المصباح: ٦٤١ / الهن.

(٢) لسان العرب ١٤: ١٣٧ / نشج.

(٣) النهاية ٥: ٥٣ / نشج، لسان العرب ١٤: ١٣٧ / نشج.

(٤) مجمع البحرين / نشج.

(٥) القاموس المحيط: ٢٦٥ / نشج، ولم نجده في المصباح.

الذي لا تأخير فيه، ثم استعمل في الحالة التي لا بُطء فيها، يقال: جاء فلان في حاجته ثم رجع من فوره، أي من حركته التي وصل فيها ولم يسكن بعدها، وحقيقته أن يصل ما بعد المجيء بما قبله من غير بُتٍّ^(١)، وفار الماء يفور إذا نبع وجرى وكأَنَّهُ جاش من الأرض وغلا.

و (الإفتاح) بالشيء الإبتداء به، وافتتاح الكلام بحمد الله جعله إبتداءً، وسيجيء معنى الحمد والثناء والصلاة، والبواقي واضحة إلا أن البكاء ممدوداً أو مقصوراً، قيل: كلاهما بمعنى واحد وهو البكاء المطلق، وقيل: هو بالقصر البكاء بلا صوت، وبالمدة البكاء معه بناءً على أن زيادة المباني تدلّ على زيادة المعاني، ولا يبعد أن يكونا من باب (إذا اجتمعاً إفترقا وإذا افترقا اجتمعاً)، وهو باب واسع يدخل فيه أمور كثيرة.

والظاهر من كلام الراوي هنا أنها (عليها السلام) حمدت الله أولاً وأثنت عليه، وصلت على رسوله بنحو الإجمال، فشرع القوم حينئذٍ في البكاء مرّة ثانية بعد أن بكوا أولاً عندما جلست وأنت، وحينئذٍ سكنت (عليها السلام) لبكاء القوم وعدم سماعهم كلامها، فأمهلتهم ريثما سكنوا عن بكائهم وسكتوا، فعادت (عليها السلام) حينئذٍ في كلامها.



وقالت (عليها السلام):

«الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَىٰ مَا أَلْهَمَ، وَالثَّنَاءُ بِمَا
قَدَّمَ، مِنْ عُمومٍ نِعَمٍ ابْتَدَأَهَا، وَسُبُوحُ آلَاءِ أَسْدَاهَا، وَتَمَامُ مَنَنِ
وَلَاهَا، جَمَّ عَنِ الْإِخْصَاءِ عَدْدُهَا، وَتَأَيَّ عَنِ الْجَزَاءِ أَمَدُهَا،
وَتَفَاوَتْ عَنِ الْإِذْرَاكِ أَبَدُهَا، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِرَادَتِهَا بِالشُّكْرِ
لِاتِّصَالِهَا، وَاسْتَحْصَدَ إِلَى الْخَلَائِقِ بِإِجْزَالِهَا، وَثَنِي بِالْتَدْبِ إِلَى
أَمْثَالِهَا».

بيان:

(الحمد) هو الثناء باللسان على الجميل الإختياري بقصد التعظيم والتبجيل
للممدوح، سواء كان على النعمة أو غيرها، والشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم
بسبب الإنباع أي الاتيان به من جهة إحسانه سواء كان ذلك ذكراً باللسان، أو
إعتقاداً بالجنان، أو عملاً بالأركان، وعليه قول القائل:
أفادتكم النعماء مني ثلاثة يداً ولساناً والضمير المحجّباً
فالحمد أعم من جهة المتعلّق وأخص من جهة المورد، والشكر بالعكس
فبينهما عموم من وجه، وفي الحديث: «الحمد رأس الشكر»^(١) ووجهه أن ذكر
النعمة باللسان، والثناء به على المنعم بالنعمة أدلّ على مكانها من الإعتقاد، لخفاء
عمل القلب وما في عمل الجوارح والأعمال من الإحتمال بخلاف عمل اللسان،
هو الذكر الجليّ المفصح عن كلّ خفيّ، المنبئ عن الضمائر والمنهى عن اسرار
السرائر.

وفي النهاية: إنّ الحمد والشكر متقاربان والحمد أعظمهما، فإنّك تحمد الإنسان
على صفاته الذاتية وعلى عطائه، ولا تشكره على صفاته^(٢).
وفي المصباح: حمدته على صفاته الجميلة، وأفعاله الإختياريّة التي ليست

(١) راجع النهاية ١: ٤٣٧ / حمد، لسان العرب ٣: ٣١٤ / حمد.

(٢) النهاية ١: ٤٣٧ / حمد، لسان العرب ٣: ٣١٤ / حمد.

خَلْقِيَّة، كما يقال: حمدته على شجاعته، وحمدته على إحسانه أي أثبتت عليه، ومن هنا كان الحمد غير الشكر، لأنَّه يستعمل للصفة في الشخص وفيه معنى التعجُّب، ويكون فيه معنى التعظيم للممدوح وخضوع المادح، كقول المبتلي: (الحمد لله) إذ ليس هنا شيء من نعم الدنيا ليكون في مقابلة إحسان يصل إلى الحامد، وأمَّا الشكر فلا يكون إلَّا في مقابلة الصنيع، فلا يقال: شكرته على شجاعته، إنتهى^(١).

و (الثناء) إسم من أثبتت على زيد بالألف أي مدحته، واستعماله في الذكر الجميل أكثر من القبيح، وفي مشارق الأنوار للهروي: أنَّه ورد في الخبر «من أثبتتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثبتتم عليه شراً وجبت له النار، وأنتم شهداء الله في الأرض».

قال في مطالع الأنوار - شرح الكتاب المزبور -: فإن قلت: الثناء بتقديم المثلثة على النون إنما يستعمل في الخير، والثناء بتقديم النون على المثلثة يستعمل في الشر، فكيف وقع في الحديث استعمال الثناء في الشر؟ قلت: ليجانس استعماله في الخير، وفيه رمز أيضاً إلى أنَّ في ذلك خيراً أيضاً، لأنَّه ربما يصير سبب التوجه إلى الطاعة للسامعين، ويكون موجباً للتوبة والإقدام عليها وفيه خير كثير، وقيل: الثناء بتقديم المثلثة يستعمل فيهما، وبتقديم النون لا يستعمل إلَّا في الشر، إنتهى. وأمَّا المدح فهو الثناء الحسن، ومَدَحُه وامتدحه بمعنى وكذا المدحة - بكسر الميم -، ومدحته من باب نفع أثبتت عليه بما فيه من الصفات الجميلة خلقية كانت أو إختيارية، ولهذا كان المدح أعم من الحمد فيقال: مدحت اللؤلؤ لصفاته، ولا يقال: حمدته.

و (الانعام) بالشيء على أحد إعطائه له، وأصل النعمة ينبئ عن معنى النعمة واللين والسهولة، فتطلق لكل ما فيه جهة وسعة واستراحة للإنسان وهو ينتعم به

مطلقاً، فتطلق على الأمن، والصحة، والمال، والدين، والمعرفة وغير ذلك من الفيوض الدنيوية والاخروية، ويجمع النعمة على النعم.

و (ما) في (على ما أنعم) أما مصدرية أي على إنعامه، أو موصولة بحذف العائد أي على ما أنعم به، وعلى قياسه قولها (عليها السلام): (على ما ألهم) أي على إلهامه أو على ما ألهمه، وبما قدّم أي بتقديمه أو بما قدّمه، وعلى الموصولية يكون قولها (عليها السلام): «من عموم نعم» بياناً للموصولة، ويجوز بدل الموصولة جعلها نكرة موصوفة، والعموم على كون (من) بيانية على أحد الوجهين بمعنى العام.

و (السبوغ) بمعنى السايغ و (التمام) بمعنى التام، عبّر بالمصدر دلالة على المبالغة مثل زيد عدل، وعلى المصدرية يجعل (من) تبعيضية أو تعليلية، والمراد ممّا أنعم به النعم الظاهرية كالحياة والصحة ونحوهما لظهور النعمة في النعم الظاهرية، والمراد ممّا ألهم النعم الباطنية كالعلم والمعرفة وغيرهما.

ويؤيده الاتيان بلفظ الشكر الحاصل بعمل القلب أيضاً، بملاحظة مناسبة الشكر والمشكور عليه مع دلالة لفظ الإلهام على كونها من الأمور القلبية، والمراد ممّا قدّمه هو النعم المقدّمة على النعمتين المتقدمتين، وهي نعم الإستعدادات والقابليات بقرينة الاشعار الموجود في التعبير بلفظ التقديم.

أو المراد ممّا قدّم خصوص نعم أعطاه الله العباد قبل أن يستحقّوها، والمراد بالتقديم الإيجاد والتفضّل بلا ملاحظة معنى الإبتداء، وحينئذ يكون (من عموم نعم) ناظراً إلى ما أنعم، و(سبوغ ألاء) إلى ما ألهم، و (تمام منن) إلى ما قدّم على طريق اللف والنشر المرتب، ويحتمل المشوش، وأن يجعل كلّ فقرة عامّاً لكلّ وناظراً إلى كلّ، والموصولات حينئذ متغايرة في المعنى أو متحدة وكذا البيانات، فيحصل صور كثيرة.

والتكرار الحاصل في بعض الصور في المبين والبيان أو كليهما إفادة للتأكيد،

كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَنَّا فِيهَا نِصْبَ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾^(١) مبالغة في إبداء نعم الله وإظهارها ليكون ذلك ثناءً آخر من باب: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٢).

والحمد لله اخبار عند الفراء، قال: وفيه إضمار كأنه قال: إحمدوه وقولوا: الحمد لله، والأظهر أن يقال: أنه جملة إخبارية في الأصل، ثم أُستعمل في معنى الإنشاء، فإنَّ المتبادر من قول هذه الجملة - أي الحمد لله - إنشاء الحمد لله، واستعمال الجمل الخبرية في مورد الإنشاء كثير في الجملة، إمَّا فعلية ما ضوية مثل صيغ العقود والأدعية نظير: بعث، وأنكحت، وأيدك الله، ورحمك الله، أو فعلية استقبالية مثل: لا يمسّه إلا المطهرون، أو اسمية مثل: الحمد لله وله الشكر ونحو ذلك.

والإضمار خلاف الأصل مع أنَّ التبادر العرفي يحكم بكون الجملة إنشائية، كما تقول بعد حصول النعمة: (الحمد لله) بقصد أن تحمده، ثمَّ أنهم قالوا: إنَّ العبد إذا حمد الله فقد ظفر بأربعة أشياء: قضى حقَّ الله، وأدى شكر النعمة الماضية، وتقرب من استحقاق ثواب الله، واستحقَّ المزيد من نعمائه.

و (الإلهام) هو الإلقاء في الروح، يقال: ألهمه الله خيراً أي لقَّنه، وفألهمها فجورها وتقواها^(٣) أي بيَّنها.

والإلهام قسم من الوحي، وهو والإيحاء الإعلام في خفاء، فيستعمل كلُّ منهما بمعنى الإلقاء في الروح لكونه نوعاً من الإعلام في خفاء، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾^(٤) أي ألهمها وقذف في قلوبها، وعلمها على وجه لا سبيل لأحد على الوقوف عليه، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾^(٥) فإنه أيضاً وحي إليها، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾^(٦).

(١) فاطر: ٣٥.

(٢) الضحى: ١١.

(٣) الشمس: ٨.

(٤) النحل: ٦٨.

(٥) القصص: ٧.

(٦) الأنعام: ١٢١.

ثم غلب الوحي والإيحاء بمعنى الإلهام فيما يلقي إلى الأنبياء بواسطة الملك، والإلهام فيما يلقي مطلقاً بلا وساطته، فيكون الإلهام أعم من الوحي، فالوحي مخصوص بالأنبياء والإلهام أعم منهم ومن الأولياء.

و (العموم) في الأصل الكثرة، ويتولد منه معنى الشمول والإحاطة، وهو هاهنا إما بمعناه الأصلي أو الإستيلادي، بلا تأويل ومع تأويله بمعنى الوصف.

و (الابتداء) بالشيء الإفتتاح به، وهو كناية عن إيجاده أول حالة فيشمل معنى الإختراع، وهو بمعنى الإيجاد لا من شيء كما قيل.

و (الإبداع) وهو الإيجاد بلا علة، وقيل: الإبداع والاختراع كلاهما بمعنى واحد، قال الجوهرى: أبدعت الشيء إختراعه^(١)، وقال الزمخشري: أبدع الله الأشياء إبتدعها من غير سبب.

ويؤيد الفرق ما رواه الصدوق (رحمه الله) في كتاب التوحيد: «الحمد لله فاطر الأشياء إنشاء، ومبتدعها إبتداء بقدرته وحكمته، لا من شيء فيبطل الإختراع، ولا لعلّة فلا يصحّ الإبتداء»^(٢) ولكن في هذه الخطبة - كما سيجيء عن قريب -: «إبتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة أمثلها».

ويظهر من هذا أن الإبداع بمعنى الإيجاد لا من شيء فينعكس الفرق، لكن الظاهر عند الإطلاق هو الفرق على النحو المذكور في خبر التوحيد، وجواز استعمال كلّ في كلّ عند التقييد، والوارد في الخطبة من هذا القليل. ويمكن أن يقال: إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

وفي الدعاء: «يا مبتدئ بالنعم قبل استحقاقها»^(٣) أمّا بمعنى المبدع أو المخترع، أو بمعناه الأصلي الذي هو مطلق الإبتداء، ويقال: إبتدأه بمعنى أوجده

(١) الصحاح ٣: ١١٨٣ / بدع.

(٢) التوحيد: ٩٨ ح ٥، وعلل الشرائع: ٩ ح ٣، عنهما البحار ٤: ٢٦٣ ح ١١، وفي الكافي ١: ١٠٥ ح ٣.

(٣) البحار ٨٦: ٧٥ ح ١٠.

وأنشأه بلا مثال، والمبدئ للشيء هو الذي أنشأه واخترعه ابتداءً من غير سابق مثال أيضاً، فيكون هو بمعنى المنشئ أيضاً على وجه كالمبتدئ، وقد يقال: اخترع وابتدع وابتدأ وأبدأ وأنشأ كلها بمعنى أوجد وأحدث مطلقاً.

والبادي في أسماء الله تعالى أما بمعنى الأول أو الظاهر أو المبدئ، والسبوغ من سبغ الثوب سبوغاً تمّ وكمل، وسبغت الدرع وكلّ شيء إذا طال من فوق إلى أسفل.

ونعمة سابغة أي كاملة طويلة، وسبغت النعمة اتسعت وأسبغها الله تعالى وأكملها، قال تعالى: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾^(١) وبمعنى الشمول أيضاً استلزماً واستيلاداً، وقوله: «يا سابغ النعم، يا دافع النقم» أي تامّ النعم أو كاملها أو شاملها.

(والآلاء) النعم أيضاً، واحدها (آلى) بالقصر والفتح وقد تكسر الهمزة، وفي الغريب^(٢): واحدها (الى) بالحركات الثلاث، قيل: وبسكون اللام أيضاً وهي مطلق النعمة، وقيل: الآلاء هي النعم الباطنية، والنعم هي الظاهرية وقد يعكس الأمر فيهما، والظاهر أنهما من باب إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

وفي الحديث: تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله^(٣)، قيل: أي في نعمه الباطنية، ويجوز إرادة الظاهرية، بل الأعم أيضاً، والظاهر أن المراد في الحديث من الآلاء هو الموجودات مطلقاً، أي تفكروا في موجوداته تعالى وفي آثار صنعه، ولا تفكروا في ذات الله فإنّ التفكير في ذات الله لا يزيد إلاّ تحيراً كما في خبر آخر.

و (الإسداء) بمعنى الإعطاء، يقال: أسداه كأولاه وأعطاه لفظاً ومعنى، من سدى الثوب - كحصى - وهو ما امتدّ طويلاً من خيوطه مقابل اللحمة، يقال:

(١) إيمان: ٢٠.

(٢) راجع غريب القرآن الكريم للطريحي: ٧ / آلاء.

(٣) النهاية ١: ٦٣ / آلى، والبحار ٧١: ٣٢١ ح ٣، وكنز العمال ٣: ١٠٦ ح ٥٧٠٧.

أسديته معروفاً وأسديت إليه أي أعطيته، وفي الخبر: «من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه»^(١).

و (التمام) الكمال من تمّ يتّم من باب ضرب، قال:

إذا تمّ أمر دنّا نقصه توقع زوالاً إذا قيل تمّ
وتّم الشيء تماماً - بالفتح - وأتمّه غيره وتّمّه واستتمّه بمعنى، قيل: والاسم من الاتمام أيضاً التمام - بالفتح - ووُلد الولد لتمام الحمل - بالفتح والكسر - بمعنى، وألقت المرأة الولد لغير تمام بالوجهين، وكذا قمر تمام وتمام إذا تمّ ليلة البدر، وليل التمام - مكسورة لا غيره - وهو أطول ليلة في السنة، قال الشاعر:

فبتّ أكابد ليل التما م والقلب من خشيةٍ مقشعر^(٢)
ويقال: بدرتمّ بالإضافة وبدونها مع تثليث التاء والكسر، ويقال: مضى لثمّ خمس أي عند تمامها.

و (المنن) جمع المنّة - بالكسر - بمعنى النعمة، والمنّان هو المنعم المعطي من المنّ بمعنى العطاء والإحسان لا المنّة، وقد يقع المنّان على الذي لا يعطي شيئاً منّة واعتدّ به، وأصله أيضاً من المنّ بمعنى الإحسان، فالمراد من المنّان العادّ لمننه بأنّي فعلت لك كذا وكذا، وهو من قباح الأوصاف وشيمة الأراذل لا الأشراف، قال تعالى: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى﴾^(٤).

ومن بلاغة الزمخشري: «طعم الألاء أحلى من المنّ، وهو أمرّ من الإلاء عند المنّ» أراد بالمنّ الأوّل المنّ المذكور في قوله تعالى: ﴿وأنزلنا عليهم المنّ والسلوى﴾^(٥) وبالثاني تعديد النعم، وهو محمود من الله مذموم من العبد مطلقاً.

(١) النهاية ٢: ٣٥٦/لسان العرب ٦: ٢٢٢/سدا، مستدرک الوسائل ١٢: ٣٥٧-٣٥٨/١٤٢٨٣.

(٢) راجع لسان العرب ٢: ٥٣/تمم.

(٣) المدثر: ٦.

(٤) البقرة: ٢٦٤.

(٥) الأعراف: ١٦٠.

وبالألاء الأول: النعم، وبالثاني: الشجر المرّ.

و (والاها) أي تابعها باعطاء نعمة بعد أخرى بلا فصل من الموالاة في الأشياء، أي المتابعة بينها بأن يتبع بعضها بعضاً، ومنه الموالاة في أعضاء الوضوء أي في غسلها، فيكون والاها بمعنى والا فيها، أو هو متعدّ أي أتبع بعضها بعضاً. أو أنّ والاها بمعنى باشرها أي باشر إعطاءها، وأصله من الولي بمعنى القرب، ومنه انشعب معنى المتابعة والمحبة والنصرة والسيادة وغير ذلك من الفروع الكثيرة.

(وجمّ) الشيء أي كثر، والجمّ الكثير صفة أو مصدر بمعنى الفاعل، قال تعالى: ﴿وتحبّون المال حباً جماً﴾^(١) أي كثيراً، ويقال: جاء القوم جمّاً غفيراً والجمّاء الغفير أي مجتمعين كثيرين، والجمّاء الغفير: الجماعة من الناس أيضاً.

وورد في الخبر جمّ الغفير، بحذف اللام من الجمّ وإضافته إلى الغفير، نظير صلاة الأولى، ومسجد الجامع، وأصل الكلمة من الجموم والجمّة وهو الاجتماع والكثرة، والغفير من الغفر وهو التغطية والستر، ومنه الغفور أي الساتر للذنوب كناية عن العفو، فاستعمل الكلمتان في موضع الشمول والإحاطة كأن الجماعة الكثيرة ساترون لوجه الأرض من جهة الكثرة.

وفي نحو (جاؤوا الجمّاء الغفير) قيل: النصب على المصدر كطراً وقاطبة، وهي أسماء وضعت موضع المصدر، والمشهور أنّها منصوبة على الحالية أي مجتمعين، وأنّها أي الجمّاء الغفير معرفة لفظاً ونكرة معنى مثل وحدك بمعنى منفرداً، وتأنّث الجمّاء باعتبار الجماعة، وعدم تغير الغفير لكونه على وزن المصدر فعومل معاملة، مثل قوله تعالى: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾^(٢) لكونه على وزن سهيل ونهيق.

وفي المصباح: جمّ الشيء جمّاً من باب ضرب كثر [فهو جمّ تسمية بالمصدر،

(١) الفجر: ٢٠.

(٢) التحريم: ٤.

ومال^(١) جمّ أي كثير، وجأوا الجمّ أي بجملتهم^(٢)، وظاهره أيضاً الحالة، وتعديّة جمّ بعن لتضمين معنى التعدي والتجاوز.

و (الإحصاء) العدّ والحفظ، والمحصى من أسماء الله تعالى بمعنى الذي أحصى كلّ شيء بعلمه وأحاط به، فلا يفوته دقيق منها ولا جليل، وفي الحديث: (إنّ الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنّة)^(٣).

قيل: أي من أحصاها علماً بها دخل الجنة، وقيل: أي حفظها على قلبه، وقيل: أراد من استخرجها من كتاب الله وأحاديث رسوله، لأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لم يعدّها مجمعة، وقيل: من أطاق العمل بها مثل من يعلم أنّه بصير، فيكفّ لسانه وسمعه عمّا لا يجوز له، وكذلك في الأسماء.

وقيل: أراد من أخطر بباله عند ذكرها معناها، وتفكّر في مدلولها، معظماً لمسمّاها، ومقدّساً لذاته تعالى، ومعتبراً بمعانيها، ومتدبراً راغباً فيها وراهباً، وبالجملّة ففي كلّ اسم يجريه على لسانه يخطر بباله الوصف الدالّ عليه، بانياً على العمل بمفاده ومضمونه.

وفي خبر آخر: (لا أحصي ثناء عليك)^(٤) أي لا أحصي نعمك والثناء بها عليك، ولا أبلغ الواجب فيه، وقوله تعالى: ﴿أحصى كلّ شيء عدداً﴾^(٥) هو أيضاً من أحصى الشيء إذا عدّه كلّهُ، أي أحصى ما كان وما يكون منذ خلق الله آدم الى أن تقوم الساعة من فتنة، أو زلزلة، أو خسف، أو أمة أهلكت أو تهلك فيما بقي، وكم من إمام عادل وجائر يعرفه باسمه ونسبه، ويموت موتاً أو يقتل قتلاً إلى غير ذلك.

(١) أنبتاه من المصدر.

(٢) المصباح: ١١٠ / جمّ.

(٣) النهاية ١: ٣٩٧ / لسان العرب ٣: ٢١٢ / حصي، البحار ٤: ١٨٦ ح ١.

(٤) النهاية ١: ٣٩٧ / لسان العرب ٣: ٢١٢ / حصي، البحار ٨٥: ١٦٩ ح ٧.

(٥) الجن: ٢٨.

و (نأى) عنه أي بعد، وقوله تعالى: ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾^(١) أي تباعد عن ذكر الله من النأي بمعنى البعد.

و (الجزاء) إسم من جازاه إذا كافاه من أجزاء الشيء أي كفاني، ومجرّده جزی بمعنى كفى أيضاً، وجزاء العمل عوضه وما يترتب عليه لأنّه بدله وهو عوض لازم له كاف عنه.

و (الأمد) - بالتحريك - الغاية والمنتهى أي بعد عن الجزاء بالشكر غايتها، فالمراد بالأمد أما الأمد المفروض إذ لا أمد لها حقيقة، أو الأمد الحقيقي لكلّ حدّ من حدودها المفروضة، ويحتمل أن يكون المراد بأمدّها ابتدائها أي نهايتها من الطرف الأوّل، وورد بهذا المعنى في الموارد الكثيرة.

قال في النهاية: في حديث الحجاج قال للحسن: ما أمدك؟ قال: سنتان من خلافة عمر، أراد أنّه ولد لسنتين من خلافته، وللإنسان أمدان مولده وموته، إنتهى^(٢).

وإذا حمل عليه كان الكلام أبلغ وأفصح كما لا يخفى، وفي المجمع: الأمد هو نهاية البلوغ وجمعه امداد، يقال: بلغ أمدّه أي غايته، وعن الراغب^(٣): الأمد والأبد متقاربان لكنّ الأبد عبارة عن مدّة الزمان التي ليس لها حدّ محدود ولا يتقيّد، فلا يقال: أبد كذا، والأمد مدّة مجهولة إذا أطلق وقد ينحصر ويقيّد، نحو أن يقال: أمد كذا، والفرق بين الزمان والأمد أنّ الأمد يقال باعتبار الغاية والزمان عامّ في المبدأ والغاية، ولذلك قال بعضهم: المدى والغاية متقاربان في قوله تعالى: ﴿أَمْداً بعيداً﴾^(٤) أي مسافة واسعة، وفي حديث وصفه تعالى: (لا أمد لكونه، ولا غاية لبقائه)^(٥)، وقيل: أي لا أول، وفي الدعاء: (جعلت له أمداً محدوداً) أي

(١) الاسراء: ٨٣.

(٢) النهاية ١: ٦٥ / أمد.

(٣) المفردات: ٢٤ / أمد.

(٤) آل عمران: ٣٠.

(٥) التوحيد: ٥٦ ح ١٤، عنه البحار ٤: ٢٨٤ ح ١٧، وفي الكافي ١: ١٣٩ ح ٥.

منتهى إليه^(١).

ويحتمل على بُعد أن يُقرأ الأمد في الخطبة بكسر الميم، قال الفيروز آبادي:
الآمدُ المملوء من خير وشرٍّ، والسفينة المشحونة^(٢).

و (التفاوت) البعد وأصله من الفوت، و﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾^(٣) أي اضطراب واختلاف، وتفاوت الشئان تفاوتاً - قيل بحركات الواو والضم أكثر - أي تباعد ما بينهما، وفاة الأمر فوتاً أي انقضى وقت فعله، وفاتت الصلاة خرج وقتها، وفاته الشيء فوتاً وفواتاً أعوزه، وفاته فلان بذراع سبقه بها. و (الأبد) الدهر ويقال الدهر الطويل الذي ليس بمحدود، قال الرماني: فإذا قلت: لا أكلّمه أبداً، فالأبد من لدن تكلمته إلى آخر عمرك، ويقال: أبد أبيد كما يقال: دهر داهر، ويقال: أبد الأبيد وأبد الأبدين كما يقال: دهر الداهرين وعوض العائضين، والأبد أيضاً الدائم.

وفي حديث الحجّ قال له سراقه بن مالك: أرايت مُتعتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد؟ قال (صلى الله عليه وآله): لا بل لأبد الأبد^(٤)، أي هذه لآخر الدهر والتأبيد، ومنه: اعمل لدينك كأنك تعيش أبداً أي مخلصاً إلى آخر الدهر - واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً^(٥)، وافعله أبداً أي دائماً.

ويطلق الأبد على القديم الأزلي الذي لا نهاية له من الطرف الأول، والقديم الأبدي الذي لا نهاية له من الطرف الآخر كالأبدي نظير الأوحى والأوحد، وبُعدها عن الإدراك لعدم انتهائها، إذ لو كان لها انتهاء تعلّق بها الإدراك بخلاف ما لا نهاية له.

و (ندبه) للأمر وإليه فانتدب أي دعاه فأجاب فهو نادب وذاك مندوب،

(١) مجمع البحرين / أمد.

(٢) القاموس المحيط: ٣٣٩ / أمد.

(٣) الملك: ٣.

(٤) النهاية ١: ١٣ / أمد، لسان العرب ١: ٤٠ / أمد، البحار ٩٩: ٩٠ ح ٨.

(٥) البحار ٤٤: ١٣٩ ح ٦.

والأمر مندوب إليه، والإسم الندبة كغرفة، ويقال: إنتدبه للأمر بمعنى ندبه أيضاً فهو يتعدّى ولا يتعدى، وانتدب الله لمن خرج في سبيله أي أجابه إلى غفرانه، أو ضمن، أو تكفل، أو سارع بثوابه.

والندب - بالتحريك - كالخطر لفظاً ومعنى وهو عوض الإجابة، فالمندوب الشرعي بمعنى المندوب إليه لكن حذفت الصلة لفهم المعنى كما يقال: المشترك بمعنى المشترك فيه، والظرف المستقرّ بمعنى المستقرّ فيه على وجه.

ومن الندب المذكور ندب الميّت بمعنى بكى عليه وعدّ محاسنه، كأنّ النادب يذكر محاسنه ويدعو الناس إلى البكاء عليه، وفي الخبر: «كلّ نادبة كاذبة إلا نادبة سعد»^(١) وندبته بعثته أيضاً تفرّغاً من معنى الدعوة.

و (الإستزادة) طلب الزيادة والضمير للنعمة، واللام في قولها (عليها السلام): «لاستزادتها» بمعنى إلى، أي دعاهم إلى استزادتها أي إلى أن يطلبوا زيادة نعمه بأن يكون طلبهم لها بسبب الشكر الموجب للمزيد، واللام في اتصالها لتعليل الندب أي رغبتهم في استزادة النعمة بسبب الشكر لتكون نعمه متصلة لهم غير منقطعة عنهم، ويحتمل أن يجعل اللام الأولى للتعليل والثانية للصلة متعلّقة بالشكر، أي بأن يشكروا على اتصال نعم الله ليحصل لهم الزيادة أيضاً.

ويؤيّد ما في بعض النسخ من قولها (عليها السلام): «لإفضالها» بدل لاتصالها، لتعلّق اللام حينئذٍ بالشكر البتة، وبالجملة فالفقرة المذكورة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾^(٢).

و (الخلائق) جمع الخليقة بمعنى الطبيعة والجبلة المطبوع عليها الشيء، ويكنّى بها عن مطلق المخلوق، وفي حديث الخوارج «هم شرّ الخلق والخليقة»^(٣) قال بعض الشارحين: الخلق الناس والخليقة البهائم، وقيل: هما بمعنى ويريد بهما

(١) النهاية ٥: ٣٤ / ندب، لسان العرب ١٤: ٨٧ / ندب.

(٢) إبراهيم: ٧.

(٣) البحار ١٨: ١٢٤ ح ٣٦.

جميع الخلائق، يقال: هم خلق الله وخليقة الله، ولا يخفى أن أصل الخلق في اللغة التقدير، يقال: خلقت الأديم للسقاء أي قدّرت له، وخلق الرجل القول إفتراه. وفي تفسير النعماني عن الصادق (عليه السلام)، عن عليّ (عليه السلام) أنه سئل عن الخلق فقال: هو على ثلاثة أوجه، فمنه خلق الإختراع كقوله تعالى: ﴿خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾^(١) وخلق الإستحالة مثل قوله تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم﴾^(٢) و﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾^(٣) وخلق التقدير كقوله تعالى: ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾^(٤) والمراد التقدير المحض^(٥).

وقال الصدوق في التوحيد: إعتقادنا في أفعال العباد أنها مخلوقة لله خلق تقدير لا خلق تكوين، ومعنى خلق التقدير أن الله عالم بمقاديرها^(٦). وقال أيضاً في الكتاب المذكور في معنى الخالق: إن الخلق في اللغة تقديرك الشيء، وإن أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، وخلق عيسى من الطين كهيئة الطير هو خلق تقدير أيضاً، ومكوّن الطير وخالقه في الحقيقة هو الله تعالى^(٧).

وقال بعض الأعلام: قد يظن أن الخالق البارئ المصور في أسماء الله تعالى ألفاظ مترادفة، وإن الكل يرجع إلى معنى الخلق والإختراع، وليس كذلك بل كلما يخرج من العدم إلى الوجود مفتقر إلى تقديره أولاً، وإيجاده على وفق التقدير ثانياً، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثاً، فالله تعالى خالق من حيث هو، مقدّر وبارئ

(١) الفرقان: ٥٩.

(٢) الزمر: ٦.

(٣) غافر: ٦٧.

(٤) المائدة: ١١٠.

(٥) راجع البحار ٦٠: ٣٣٣ ح ٢.

(٦) راجع الإعتقادات للصدوق: ٩ رقم ٤، عنه البحار ٥: ١٩ ح ٢٩.

(٧) التوحيد: ٢١٦، باب أسماء الله، عنه البحار ٤: ٢٠٧ ح ٢.

من حيث هو، مخترع وموجد ومصوّر من حيث أنّه مرتّب صور المخترعات أحسن ترتيب، وقوله: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾^(١) بمعنى أحسن المقدّرين والمصوّرين.

أو أنّ الخالق قد يطلق بمعنى الأعمّ، وهو ما يشمل لمعنى الموجد ولمعنى مظهر الخلق، إذا كان ذلك المظهر فاعلاً مختاراً، فيشمل الله تعالى وسائر الخلق، فقليل بهذا الاعتبار أحسن الخالقين نظير قوله تعالى: ﴿والله خير الرازقين﴾^(٢).

وذكر الصدوق في التوحيد أنّه دخل عبد الكريم ابن أبي العوجاء على الصادق (عليه السّلام) فقال: أليس تزعم أنّ الله خالق كلّ شيء؟ فقال الصادق (عليه السّلام): بلى، فقال: وأنا أخلق، فقال له: وكيف تخلق؟ قال: أحدث في الموضع ثمّ ألبث عنه فيصير دواً فأكون أنا الذي خلقتها، فقال (عليه السّلام): أليس خالق الشيء يعرف كم خلقه؟ قال له: بلى، قال: فتعرف الذكر منها من الأنثى، وتعرف كم عمرها؟ فسكت^(٣).

ويظهر ممّا ذكر أنّ الخالق في أسماء الله تعالى من الخلق بمعنى الإنشاء بلا مادّة ولا مثال ولا سبب ولا علّة، وأنّه يستلزم أموراً ثلاثة: التقدير، ثمّ الإنشاء على وفقه بلا تغيير ولا تبديل، ثمّ العلم بما يؤدّي إليه خلقه، ونحو هذا هو التقدير الكامل.

وهذا الخلق مخصوص لله تعالى، ولا خالق بهذا المعنى إلّا الله، وهل من خالق غير الله، ولا مؤثّر في الوجود إلّا الله، وهو خالق النور والظلمة، والخير والشرّ، والرحمة والغضب، والنجاة والعطب، والأنبياء والشياطين، والسعادة والشقاوة. وورد في الأخبار الكثيرة أيضاً في الكافي وغيره ما حاصله أنّ خالق الخير والشرّ هو الله، وأنّه تعالى أجرى الخير بيد من أحبّه، وأجرى الشرّ بيد من أبغضه،

(١) المؤمنون: ١٤.

(٢) الجمعة: ١١.

(٣) التوحيد: ٢٩٥ ح ٥، عنه البحار ٣: ٥٠ ح ٢٤.

وإنَّ من قال أنَّ الشيطان خلق الشرَّ فقد أشركه مع الله في سلطانه، وقال تعالى في القرآن المجيد بعد ذكر الحسنه والسيئة: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾^(١).

ومن أوَّل الأحاديث المذكورة بأنَّ المراد من خلق الخير والشرَّ هو خلق الخير والشرَّ بخلق التقدير لا خلق التكوين، وإنَّ معنى خلق التقدير أنَّه منقوش في اللوح المحفوظ، وإنَّ خلق التكوين وهو وجود الخير والشرَّ في الخارج من فعلنا، فلم يفقه الحديث بل ضلَّ ضلالاً بعيداً، ولم يفرِّق بين الخلق والفعل، وأشرك العبد مع الله، بل صار حاله أشدَّ من الثنوية، فإنَّهم جعلوا الشيطان خالق الشرِّ وحده، وهذا أشرك معه تعالى جميع العباد، وأضاف الخير أيضاً إلى الشرِّ، فجعل الأفعال الخيرية أيضاً مخلوقة لغير الله سبحانه مع أنَّ الخالق غير الفاعل، والعبد مظهر الفعل باختيار، وخالق الفعل ومخرجه من العدم إلى الوجود هو الله سبحانه، هل من خالق غير الله فأنتى توفكون، له الملك وله الحمد وإليه ترجعون، لا إله إلاَّ الله، ولا مؤثِّر في الوجود إلاَّ الله، ولا معنى لنسبة خلق التكوين في الأفعال إلى عباد الله. نعم الله تعالى خالق كلِّ شيء بالخلق التقديري أيضاً في كلِّ المراتب، وله التقدير الكامل فيما اشتمل على القيود الثلاثة المذكورة، وله التقدير في الجملة مع قطع النظر عن الأوَّل والآخر فيما كان له مادة سابقة، وبلحاظ التقدير الأخير ورد قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٢).

فالخالق لأفعال العباد أيضاً في الحقيقة هو الله سبحانه، ولا يلزم من ذلك أن يكون هو الفاعل لها، فإنَّ الفاعل غير الجاعل، إذ الفاعل للفعل هو المظهر المختار، والجاعل هو الموجد باختيار هذا المظهر المختار له، فالعبد يختار المشي إلى المسجد أو الخمَّار، والله يخلقه بذلك الاختيار، فيكون العبد فاعلاً لا جاعلاً،

(١) النساء: ٧٨.

(٢) المؤمنون: ١٤.

والله تعالى خالقاً لا فاعلاً، وليس في الأخبار ما ينافي ما ذكرنا بل كلّها منطبقة على ما قرّرنا.

وقد بسطنا الكلام في المقام في كتاب (الأصول المهمة) الذي صنّفناه في أصول الدين، ومن أراد التفصيل فليراجع ثمّة حتى يتبدّل شكّه باليقين.

و (الإجزال) من الجزيل بمعنى العظيم، يقال: عطاء جزل وجزيل، وأجزلت لهم في العطاء أي أكثرت، وأجزلهم نصيباً أي أكثرهم وأوفرهم، وأجزل الله عليهم العطاء أي وسّعه.

وأصل الجزل من جزل الحطب جزالة أي عظم وغلظ، ثمّ استعير للعطاء الكثير والأمر الخطير، ومنه الجزل للعاقل الكريم والجزيل للشيء الأفضل الحسن للإشتمال على العظم الصوريّ أو المعنويّ، ورأي جزيل أي حسن، ويحيى بمعنى التامّ الكامل أيضاً، وقال في النهاية: وكلام جزل أي قويّ شديد^(١).

وقولها (عليها السلام): (واستحمد إلى الخلائق بإجزالها) أي طلب منهم الحمد بسبب إجزال النعم وإكمالها عليهم، أو أنّ إجزال النعم كأنّه طلب الحمد منهم، وعلى التقديرين التعديّة بإلى لتضمين معنى الإتياء أو التوجّه، وهذه التعديّة في الحمد شائعة، ويجوز أن يكون استحمد بمعنى تحمّد، يقال: فلان يتحمّد عليّ أي يمتنّ عليّ، فيكون إلى بمعنى على وهو بعيد.

وفي الأخبار: أمّا بعد فإنّي أحمد إليك الله، أو أحمد الله إليك، أي منهيّاً حمدي أو موجّهاً له إليك، وفي المجمع: إنّ إلى هنا بمعنى مع، أي أحمد معك وأحمد إليك نعمة الله بتحديثك إيّاه^(٢)، وهو قد أخذ هذين المعنيين من النهاية.

و (الثناء) بالكسر والمدّ أن يفعل الشيء مرّتين، وقيل بالكسر والقصر الأمر يعاد مرّتين، ومنه التثنية للإثنين، والاثناء جمع الثني بالكسر فالسكون بمعنى العطف، فالاثناء بمعنى أوساط أعطاف الثوب وهي معاطيفه وتضاعيفه.

(١) النهاية ١: ٢٧٠ / جزل.

(٢) مجمع البحرين / حمد.

وفي حديث عوف بن مالك أنه سأل النبي (صلى الله عليه وآله) عن الإمارة فقال (صلى الله عليه وآله): أولها ملامة، وثناؤها ندامة، وثلاثها عذاب يوم القيامة، أي ثانيها وثالثها^(١).

وثبت الشيء ثنياً - من باب رمى - إذا عطفته ورددته، وثنيته عن مراده إذا صرفته عنه، قال في المصباح: ومنه الإستثناء لصرف العامل عن تناول المستثنى، فيكون حقيقة في المتصل والمنفصل^(٢)، وقيل: بمعنى الإخراج، وفيه يتصور الصرف الحقيقي فيكون حقيقة في المتصل وحده، وهذا كله بحسب معناه اللغوي، وإلا فالإستثناء في الإصطلاح حقيقة فيهما، وهو الواقع بعد أدواته مطلقاً.

وثنيته - من باب رمى - إذا صرت معه ثانياً، والثاني إسم فاعل منه كالثالث من قولهم: ثلاثة، أي صار ثالثاً له، قال المتنبي:

أثْلِتْ فَإِنَّا أَيُّهَا الطَّلُّ نبكي وتُرْزَمُ تَحْتَنَا الْإِبِلُ^(٣)
وثناه كرماء إذا منعه ودفعه، قال في العلوية:

مارمت بعدك بالمدائن صبوة إلا ثني الثاني هواك الأول^(٤)
وثنيته - بالتفعيل - جعلته إثنين، وثنى في الخطبة يجوز أن يكون بالتخفيف والتشديد، أي بعد أن أكمل الله لهم النعم الدنيوية ندبهم إلى تحصيل أمثالها من النعم الأخروية، أو الأعظم منها ومن مزيد النعم الدنيوية.

وبجوز أن يكون المراد من الندب إلى أمثالها أمر العباد بالإحسان والمعروف، وهو إحسان على المحسن إليه والمحسن أيضاً، لأنه به يصير مستوجباً للأعواض والمثوبات الدنيوية والأخروية.

و (الأمثال) جمع المثل - بالكسر - بمعنى المشابه والمماثل، وفي حديث علي

(١) النهاية ١: ٢٢٥ / ثنا، لسان العرب ٢: ١٣٧ / ثنى.

(٢) المصباح المنير: ٨٥ / الثنية.

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي: ٤٣٧ / المضديات.

(٤) الروضة المختارة: ١٥١، القصيدة السابعة.

(عليه السّلام) في قصّة ذي القرنين: (وفيكم مثله)^(١) أي شبيهه ونظيره، وهو بفتحيتين بمعنى الصفة مثل ﴿ضرب الله مثلاً﴾^(٢) أي صفة بمعنى يبين، و﴿لله المثل الأعلى﴾^(٣) أي الوصف الأعلى، و﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾^(٤) أي صفتها. وبمعنى الصورة مثل قوله تعالى: ﴿مثل الحياة الدنيا﴾^(٥) وبمعنى العبرة العجيبة أيضاً تشبيهاً بالمثل السائر، وهو ما شبّه مضربه بمورده وكأنّه صفته أو صورته، وهو المسمّى بالإستعارة التمثيلية، ومنه قوله تعالى: ﴿وجعلناه مثلاً لّبنِي إِسْرَائِيلَ﴾^(٦) و﴿نجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين﴾^(٧).

وبمعنى المثل أيضاً كالمثيل بمعنى الشبه والنظير، يقال: هو مثله أي شبيهه، وبمعنى الدليل والحجة يقال: أقام له مثلاً أي حجةً ودليلاً، وبمعنى الحديث يقال: بسط له مثلاً أي حديثاً، وقيل: المثل والمثل كلاهما بمعنى واحد، وقيل: إذا اجتماعا إفترقا وإذا افترقا اجتماعا، ويجمع كلاهما على الأمثال، مثل جمل وأجمال، وجمل وأحمال، وأما الأمثلة فهي جمع مثال كألبسة ولباس.

وفي حديث كميل بن زياد عن عليّ (عليه السّلام): يا كميل مات خزّان الأموال والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة^(٨).

قال بعض الشارحين: الأمثال جمع مثل - بالتحريك - وهو في الأصل بمعنى النظير، ثمّ استعمل في القول السائر الممثل الذي له شأن وغرابة، وهذا هو المراد

(١) الإحتجاج ١: ٥٤٥ ح ١٣٢، عنه البحار ١٢: ١٨٠ ح ٦، وتفسير العيّاشي ٢: ٣٣٩ ح ٧١.

(٢) النحل: ٧٥.

(٣) النحل: ٦٠.

(٤) الرعد: ٣٥.

(٥) يونس: ٢٤.

(٦) الزخرف: ٥٩.

(٧) الزخرف: ٥٦.

(٨) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٤٧.

بقوله (عليه السلام): (وأمثالهم في القلوب موجودة) أي حكمهم ومواعظهم محفوظة عند أهلها، يعملون بها ويهتدون بمنارها.

ويجوز أن يكون المراد أن صورهم محفوظة في قلوب الناس لأنهم يذكر ونهم أبداً، ويتصورونهم دائماً من جهة تذكرة علومهم وحكمهم ومصنفاتهم ومؤلفاتهم، ويؤيدهم مقابلة الأمثال بالأعيان، وذكر الشيء يوجب تصوّره وحفظ صورته أبداً في القلب والبال.

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما فاته وفضول العيش أشغال ثم أن في بعض النسخ بدل قولها (عليها السلام) (على ما ألهم) بما ألهم، وبدل (ابتدأها) أتبعها، وبدل (أسداها) أنشأها، وبدل (تمام ممن أولاهها) واحسان ممن أولاهها، وبدل (الجزاء) المجازاة، وبدل (أمدها) مزيدها، وبدل (نديهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها) قولها: واستتبّ الشكر بفضائلها واستخذأ الخلق بإنزالها، وبدل (ثنى بالندب) أمر بالندب، والإستباب للأمر التهيؤ له، والإستخذاء التذليل أي ذلّل الخلق بإنزال نعمه عليهم، فجعلهم تحت نعمه مغمورين، فذلّت أعناقهم لها خاضعين.



قالت (عليها السلام):

«وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةً جَعَلَ
الْإِخْلَاصُ تَأْوِيلُهَا، وَضَمَّنَ الْقُلُوبُ مَوْصُولُهَا، أَثَارَ فِي التَّفَكُّرِ
مَعْقُولُهَا، الْمُتَمَتِّعُ مِنَ الْأَبْصَارِ رُؤْيَاهُ، وَمِنَ الْأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ
الْأَوْهَامِ كَيْفِيَّتُهُ، ابْتَدَعَ الْأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنْشَأَهَا
بِلَا اخْتِدَاءٍ أَمْثَلِيَّةٍ أَمْثَلُهَا».

بيان:

الشهادة تجية بمعنى الحضور والمعاينة، يقال: شاهده متعدياً بنفسه أي حضره
وعاينه، ومنه الشاهد يرى ما لا يراه الغائب، و«فمن شهد منكم الشهر
فليصمه»^(١).

وقال في البصائر: الشهود والشهادة حضور مع المعاينة والمشاهدة، سواء كان
بالبصر أو البصيرة، والثاني يرجع إلى معنى العلم، قال: والأولى أن يستعمل في
الحضور المجرد (الشهود)، وفي الحضور مع المشاهدة (الشهادة)، وإن الشهادة قد
تطلق على القول الصادر من العلم الحاصل بالبصر أو البصيرة، ويقال: شهد فلان
على كذا متعدياً بعلنى أي اطلع عليه وعاينه، ومنه المشاهدة بمعنى المعاينة، وهو
أعم من الحضور لجواز الإطلاع من بُعد بدون صفة الحضور.

قال في المصباح: وبناء الخلف والسلف في مقام أداء الشهادة أنهم يقولون:
أشهد، دون غيره مما يدل على تحقيق الشيء مثل أعلم وأيقن، والظاهر أنه مبتني
على أمر تعديي لكونه موافقاً للكتاب والسنة أيضاً، ولعل السر فيه أنه اشترط في
الأداء ما يبنى على المشاهدة وهي الإطلاع على الشيء عياناً، وأما الأتيان بلفظ
المضارع دون الماضي نحو شهدت لأنه موضوع للاخبار عن الماضي، فيحتمل أن
يكون المتكلم به غير مخبر في الحال، فقيل: أشهد دلالة على الاخبار الحال، وإن

حكم الماضي مستمر إلى الحال^(١).

ويقال: شهد كذا متعدياً بنفسه أيضاً إذا علمه، كما نقل ذلك عن القاموس^(٢) في تفسير (أشهد أن لا إله إلا الله) وفي تفسير: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾^(٣)، ويقال: شهد له بكذا متعدياً بالباء بمعنى أدّى عنده من الشهادة، ويرجع هذا المعنى إلى معنى أخبر عن يقين حاصل بالحضور أو بالمشاهدة ولهذا يتعدى بالباء، وفي النهاية: الشهادة في الأصل الاخبار عما شاهده وعايينه^(٤).

وزاد بعضهم في هذا المعنى وقال: هي الاخبار عن مشاهدة أو ما يقوم مقامه المشاهدة، وقد يقال: شهد بكذا بمعنى نقل الخبر به أي أخبر به عن يقين وعلم كما ذكره في المسالك^(٥)، وهذا أعم من الحاصل بالحضور وبالمعاينة وغيرهما، وفي الصحاح: الشهادة خبر قاطع، منه شهد الرجل على كذا^(٦)، ولا يخفى أن الظاهر في هذا المعنى أن يقول بكذا.

ويجيء بمعنى أخبر مطلقاً، قال في المجمع^(٧): ومنه قوله تعالى: ﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾^(٨)، وبمعنى أعلم وبيّن أيضاً مثل أشهد أن لا إله إلا الله، وشهد الله أنه لا إله إلا هو، وبمعنى حلف كما في الصحاح والمجمع والمصباح، ومنه قوله تعالى: ﴿قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾^(٩) الآية، وأشهد بالله أنه فعل كذا أي أحلف به، وبمعنى كتب أو قضى أو قال، كما قيل بهذه المعاني في آية شهد الله أيضاً، وذكر

(١) المصباح المنير: ٣٢٥ / شهد، باختلاف.

(٢) القاموس المحيط: ٣٧٣ / الشهادة.

(٣) آل عمران: ١٨.

(٤) النهاية ٢: ٥١٤ / شهد.

(٥) مسالك الافهام ٢: ٣٢٠ / كتاب الشهادات.

(٦) الصحاح ٢: ٤٩٤ / شهد.

(٧) مجمع البحرين / شهد.

(٨) يوسف: ٨١.

(٩) المنافقون: ١.

بعضهم أن معنى قال لشهد أنما هو لغة قيس غيلان. والشهيد من أسماء الله تعالى هو الذي لا يغيب عليه شيء، قيل: إذا اعتبر فيه العلم مطلقاً فهو العليم، وإذا أُضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أُضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد.

وفي حديث صلاة الفجر: أنها مشهودة محضرة أي تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار، هذه صاعدة وهذه نازلة^(١)، إشارة إلى تفسير قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾^(٢) فإن المراد من قرآن الفجر صلاة الصبح، كما في الخبر الصادقي (عليه السلام)، وفي المجمع: إن قرآن الفجر كان مشهوداً أي يشهده المسلمون، يسمعون القرآن فيكثر الثواب^(٣).

والشهيد من قُتل في معركة القتال بيد الكفار بين يدي المعصوم (عليه السلام) في جهاد سائع، سمي بذلك لأن الله تعالى وملائكته يشهدون له بالجنة، أو لأن ملائكة الرحمة تشهد بالرحمة، أو تشهد غسله وتجهيزه، أو نقله إلى الجنة، أو لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل، أو لأنه قام بشهادة الحق في أمر الله حتى قُتل، أو لأنه ممن يشهد يوم القيامة مع النبي (صلى الله عليه وآله) على الأمم الخالية، على طبق قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾^(٤).

أو لشهوده عالم الملكوت، أو لسقوطه على الشاهدة أي على وجه الأرض، أو لأنه حي في الحقيقة وكأنه شاهد حاضر لم يمت، قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾^(٥) فعيل بمعنى مفعول أو

(١) راجع لسان العرب ٧: ٢٢٥.

(٢) الاسراء: ٧٨.

(٣) مجمع البحرين / شهد.

(٤) البقرة: ١٤٣.

(٥) آل عمران: ١٦٩.

فاعل على اختلاف في التأويل.

واستشهد الرجل بالبناء للمفعول من قتل شهيداً على نحو ما ذكر، ويجوز على بعض الوجوه المذكورة في الشهيد قراءته على بناء الفاعل أيضاً، فيجوز قوله (عليه السلام) في الزيارة: «وجعلنا من التابعين لك، والمستشهدين بين يديك»^(١) بفتح الهاء وكسرها كما وقع مختلفاً أيضاً في النسخ، فيكون على الفتح بمعنى الشهيد بمعنى المفعول، وعلى الكسر بمعنى الشهيد بمعنى الفاعل على بعض تلك المعاني، أو بمعنى طالب الشهادة.

وبالجملة فإذا عرفت ما ذكرنا من الوجوه المختلفة في معنى الشهادة، عرفت المراد من قول أشهد أن لا إله إلا الله وشهد الله أنه لا إله إلا هو، وأنه يجري في نحوه وجوه متعددة من جهة المعاني السابقة، مثل معنى أعلم وأخبر أو أقول وغيرها، والشهادة حينئذ متعديّة، أو لازمة بتقدير حرف الباء أو غيرها.

وأما كلمة التوحيد ففي تحقيق معناها عرض عريض لا يليق بسطه بالمقام، وحاصل معناه الدال على التوحيد الإجمالي واضح عند الخواص والعوام.

ولفظ (وحده) قال: معرّف في معنى النكرة أي منفرداً عن غيره ومتوحدّاً، و (لا شريك له) حال بعد حال، وكلاهما حال عن لفظ الجلالة لكونه في موضع المفعول من جهة استلزام (إلا) معنى أستثنى، والحال الأوّل دالّ على ثبوت الصفات الكمالية له تعالى لدلالة اللفظ على انفراده وتمييزه عن غيره، أي متوحدّاً في الصفات الكمالية لا نظير له في شيء من ذلك البتة، والحال الثاني دالّ على نفي جهات النقيصة وسلبها عنها، وبعبارة أخرى: الفقرة الأولى مشتملة على إثبات الصفات الثبوتية، والثانية على سلب الصفات السلبية.

قولها (عليها السلام): «كلمة جعل الإخلاص تأويلها» المراد بالكلمة هنا هو قول أشهد أن لا إله إلا الله، أو هو نفس كلمة التوحيد أعني لا إله إلا الله.

والكلمة في اللغة هي اللفظة الواحدة الموضوعة لمعنى سواء كانت إسمًا أو فعلاً أو حرفاً، ثم تستعمل في الجملة المركبة من الكلمات المتعددة باعتبار جعلها بهيأتها التركيبية شيئاً واحداً كأنها كلمة واحدة، ولهذا يطلق بالكلمة على كل قطعة من الكلام، وعلى كل قضية، وعلى البيت، وعلى تمام القصيدة أيضاً.

ومنه كلمة الإخلاص لقول (لا إله إلا الله) وكذا كلمة التوحيد له، ثم يتسع فيها وتستعمل في كل معنى وعين من الكائنات - كما يتضح مما سيذكر - تشبيهاً لتأليف الموجودات على تأليف الكتاب من الحروف والكلمات، بل يقال لا تشبيه وإنما الكتاب في الحقيقة كتابان: تدويني وتكويني، ولكل منهما كلام، وجملات، وحروف، وكلمات، وسور، وآيات، وإعراب، وحركات، وسكنات.

ولذا قيل في قوله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾^(١) إن المراد بتلك الكلمة الإمامة كما في الرواية^(٢)، وإن المراد أن الله تعالى جعلها في عقب الحسين (عليه السلام) إلى يوم القيامة، وقيل: إن إبراهيم (عليه السلام) جعل كلمة التوحيد التي تكلم بها كلمة باقية في ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله سبحانه ويدعو إلى توحيدِهِ، وأطلق على عيسى (عليه السلام) كلمة الله لأنه كلمة من كتاب الله التكويني.

وقال الجوهري: سمي بذلك للإنتفاع به في الدين كما انتفع بكلامه تعالى على نحو ما يقال: سيف الله وأسد الله^(٣)، وقيل: لأنه وجد بأمر الله من دون أب فشابه البدعيّات في الوجود بقول كُنْ.

وكلمة التقوى قيل: هي الإيمان، وقيل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيل: بسم الله الرحمن الرحيم، وكلمة ربك العليا هي دعوته إلى الإسلام، أفمن حقّ عليه كلمة العذاب هي قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٤).

(١) الزخرف: ٢٨.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٣٨٧، وتفسير كنز الدقائق ١٢: ٤٨.

(٣) الصحاح ٥: ٢٠٢٤ / كلم.

(٤) هود: ١١٩.

وقوله (عليه السلام): إِتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ وَإِنَّمَا أَخَذْتُموهنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله^(١)، قيل: الأمانة هنا قوله تعالى: ﴿فَامْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾^(٢) والكلمة إذنه في النكاح أو العقد الذي قرّره الله تعالى في الشريعة.

وقوله (عليه السلام): «وَأَسْأَلُكَ بِكَلِمَتِكَ الَّتِي غَلَبَتْ كُلَّ شَيْءٍ»^(٣) قيل: يحتمل أن تكون هي القوّة والقدرة، وأن تكون الحجج والبراهين الواضحة، وقوله تعالى: ﴿وَيَحَقِّقِ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾^(٤) أي بحججه.

وسبحان الله عدد كلماته أي عدد أوصافه إذ هي لا تنحصر في عدد، قيل: ويحتمل أن يريد عدد الأذكار، أو عدد الأجور على ذلك، والكلم الطيّب هو قول المؤمن: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلَيَّ وَلِيٌّ اللَّهُ وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ».

وأعوذ بكلمات الله التامّات، قيل: هي أسماءه الحسنى وكتبه المنزلة، وقيل: علمه أو كلامه مطلقاً، أو القرآن خاصّة، أو الاسم الأعظم فإنه إثنان وسبعون كلمة، وكلّ منها كلمة تامّة، أو المراد بالكلمات التامّات محمّد وآل محمّد الهداة.

والكلام في أصل اللغة عبارة عن أصوات متتابعة لمعنى مفهوم، وفي عرف النحاة إسم لما تركّب من مسند إليه، وهو إسم جنس يقع على القليل والكثير، وليس هو عبارة عن فعل المتكلّم، وربّما جعل كذلك مثل عجبت من كلامك زيداً، وقيل: هو حينئذٍ مصدر كلّم يكلم، كسلام مصدر سلّم يسلم على وجه.

وقد يطلق الكلام على المعاني النفسانيّة، وهل هو حقيقة فيها أو مجاز؟ قيل: أصحّهما الثاني وهو المشهور، وقيل الأوّل.

قال في المصباح: وقول الرافي: «وينقسم الكلام إلى مفيد وغير مفيد» لم يرد

(١) نحوه المصباح: ٥٣٩ / كلّمته، لسان العرب ١٢: ١٤٧ / كلم، البحار ٢١: ٤٠٥ ح ٤٠.

(٢) البقرة: ٢٢٩.

(٣) البحار ٩٠: ٩٩ ح ١٢.

(٤) الشورى: ٢٤.

به الكلام الإصطلاحي فإنه لا يطلق إلا على المفيد، وإنما أراد اللفظ، وأما ما في كلمات بعض المصنفين من أنه يطلق على غير المفيد أيضاً، ولذا يقال هذا كلام لا يفيد فغير معروف وتأويله ظاهر.

ثم قال: والكلام في الحقيقة هو المعنى القائم بالنفس لأنه يقال: في نفسي كلام، وقال تعالى: ﴿يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله﴾^(١)، وقال الآمدي وجماعة: وليس المراد من إطلاق لفظ الكلام إلا المعنى القائم بالنفس، وهو ما يجده الإنسان في نفسه إذا أمر غيره أو نهاه أو أخبره أو استخبره، وهذه المعاني هي التي تدلّ عليها العبارات وينبّه عليها بالإشارات، كقوله:

إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنّما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً ومن جعله حقيقة في اللسان فإطلاق إصطلاحي ولا مشاحة فيه، إنتهى^(٢).

أقول: وللكلام في تحقيق معنى التكلم والكلام بالنسبة إلى الله سبحانه، وإنّ كلامه تعالى حادث أو قديم، عرض عريض لا يليق بالمقام، وقد بسطنا القول فيه في شرحنا على القوانين من أراد الإطلاع عليه فليرجع إليه.

و (خلص) الشيء خلوصاً - من باب قعد - أي صار خالصاً صافياً، كما يقال: خلص الماء من الكدر أي صفاً، وبهذه المناسبة يستعمل الخلاص في معنى السلامة والنجاة أيضاً.

والإخلاص جعل الشيء خالصاً عن شوب الغير، وإخلاص الدين في قوله تعالى: ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾^(٣) أن لا يكون فيه شوب النظر إلى الغير برياء أو سمعة أو غيرهما، وذلك إنّما يكون بتمحيض العمل للقربة، ولذا استدّلوا بالآية على لزوم نيّة القربة في العبادة.

فالمراد بالإخلاص في الخطبة جعل الأعمال كلّها خالصة لله تعالى، وعدم

(١) المجادلة: ٨.

(٢) المصباح المنير: ٥٣٩ / كلمته.

(٣) غافر: ١٤.

شوب الرياء والأغراض الفاسدة، وعدم التوسّل بغيره تعالى في شيء من الأمور، فهذا تأويل كلمة التوحيد، لأنّ من أيقن بأنّه الخالق المدبّر، وأنّه لا شريك له في الألوهيّة، فحقّق له أن لا يشرك في العبادة غيره، ولا يتوجّه في شيء من الأمور إلى سواه، ولا يتعدّى ممّا أمره مولاه ونهاه.

وأصل التأويل إرجاع الكلام وصرفه عن وجهه أي عن معناه الظاهري إلى معنى أخفى منه، مأخوذ من آل يؤول إذا رجع، ومنه المؤئل بمعنى المرجع، فثمّ يطلق على نفس ذلك المعنى ويقال له المؤؤل أيضاً بمعنى المؤؤل إليه، وقد يقال: المؤؤل عليه، فالكلام مؤؤل، والمعنى الخفيّ مؤؤل إليه، والظاهر مؤؤل منه.

والتنزيل مقابل التأويل، وهو المعنى الظاهري، نزل الكلام عليه وصدر من مصدره إليه، فيقال مثلاً: قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾^(١) إنّ تنزيهه معناه الظاهري الذي هو الخطاب لموسى بن عمران (عليه السّلام) بالإقبال وعدم الخوف من عصاه التي كانت تهتزّ كأنّها جانّ، وتأويله الخطاب للقلب بأن لا يخاف من قوّته الوهيّة التي هي عصاه إذا أخذها بالقوّة العقليّة، وهي الآلة الدافعة لفساد النفس من البدن.

وقوله تعالى: ﴿إِذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾^(٢) إنّ تنزيهه هو معناه الظاهري الذي هو الخطاب لموسى (عليه السّلام) بالذهاب إلى فرعون مصر، وتأويله هو الخطاب لموسى العقل أن يذهب إلى فرعون النفس الطاغية في أرض مصر البدن، وهكذا.

ومدلول الكلام مطلقاً أمّا نصّ أو ظاهر أو مجمل أو مؤؤل، فالتنصّ ما لا يحتمل الخلاف، والظاهر ما يحتمله احتمالاً مرجوحاً، والمجمل ما تساوى فيه الطرفان، والمؤؤل المرجوح، والقدر المشترك بين الأولين - وهو مطلق الراجح - هو المحكم، والمشارك بين الأخيرين - وهو غير الراجح - هو المتشابه، قال

(١) القصص: ٣١.

(٢) طه: ٢٤.

تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات﴾^(١) وهذه الأقسام الأربعة للكلام في وزان الأقسام الأربعة للإدراك أي العلم والظن والشك والوهم.

ولمّا كان التأويل على معنى المؤول هو باطن الكلام وسرّ المرام، استعير لفظ التأويل لباطن الشيء وحقيقته، فالمراد من كون الإخلاص تأويل كلمة التوحيد، أنّ باطنها وحقيقتها الإخلاص بمعنى كون تلك صادرة وناشئة عن ماهية الإخلاص الموجود في الباطن، ومشملة عليها كأنها حقيقتها.

وكلمة منصوبة على الحال من مفعول أشهد، أي أخبر بقول لا إله إلا الله، أو أعلمه، أو أقوله، والحال أنّها في حال نطقي بها كلمة صادرة عن وجه الإخلاص، ويجوز التمييزية وكونها مفعولاً مطلقاً.

ولفظ جعل مبني على المفعول، والإخلاص نائب فاعله، وجعل الإخلاص تأويلها إنّما يكون بأمرين: إستعداد القائل، وإفاضة الله سبحانه له، ولذا أتى بصيغة المجهول إشارة إلى أنّ الفاعل مجهول الحال، ولو قرئ معلوماً فهو وإن صحّ أيضاً إلاّ أنّه يوهّم الإستقلال، فيتولّد منه الجبر.

والإتيان بصيغة الماضي للإشارة إلى تحقّقه، وإنّه أمر سابق في قدر الله من حيث الإستعداد والقابلية الملازمة لوجود أصل المادة في ابتداء الخلقة، ويجوز قراءته معلوماً أيضاً وإسناده إلى الله تعالى بواسطة الضمير، إشارة إلى أنّ الأمر بيد الله، وأن لا مؤثّر في الوجود إلاّ الله، وإن كان للبعد أيضاً مدخلية في الجملة ومداخلة في العمل، ولو من جهة الاختيار والقابلية.

قولها (عليها السلام): «وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَهَا» ضمن الشيء - بالكسر - طيّه، وضمنه ضماناً - بالفتح من باب علم - كفه كما أنّه جعله في ضمن نفسه، ويتعدّى بالتضعيف فيقال: ضمنت المال أي ألزمته إتياء بمعنى جعلته محتوياً عليه فتضمنه أي فاشتمل عليه واحتوى، وتضمن الكتاب كذا أي حواه ودلّ عليه.

والمضمّن من البيت ما لا يتمّ معناه إلّا بالذي يليه، كأنّ معناه جعل في ضمن البيت الآخر، فالصفة بحال المتعلّق أي مضمّن المعنى في غيره، إلّا أن يجعل البيت عبارة عن معناه باعتبار الحكاية.

والقلوب جمع القلب، وهو على ما ذكره الجوهري وغيره هو الفؤاد، قال: وقد يعبر به عن العقل، قال الفراء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (١) أي عقل (٢).

وفي الخبر: ما قلبك معك أي عقلك، ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ (٣) قيل: لأنّ ذلك لا يعقل أن يكون الجملة الواحدة متصفة بكونها مريدة وكارهة لشيء واحد في حالة واحدة، إذا أراد بأحدهما وكره بالآخر.

وقيل: القلب أخصّ من الفؤاد، أي الفؤاد يطلق على العقل وعلى شيء آخر هو القلب، وفي الحديث: قلب الإنسان مضغة من جسده (٤)، وفيه أيضاً: القلب ما فيه إيمان ولا كفر (٥)، وفيه: القلب أمير الجوارح ولا تصدر إلّا عن رأيه (٦).

وفيه: القلوب أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان، إذا أدرك الموت صاحبه على نفاقه هلك، وإن أدركه على إيمانه نجى، وقلب منكوس وهو قلب المشرك، وقلب مطبوع وهو قلب المنافق، وقلب أزهر أجرد وهو قلب المؤمن فيه كهية السراج، إن أعطاه الله شكر وإن ابتلاه صبر (٧).

وعن بعض أهل التحقيق: إنّ القلب يطلق على معنيين: أحدهما اللحم

(١) ق: ٣٧.

(٢) الصحاح ١: ٢٠٤ / قلب، لسان العرب ١١: ٢٧١ / قلب.

(٣) الأحزاب: ٤.

(٤) الصحاح ٤: ١٣٢٦ / مضغ، مجمع البحرين / قلب، البحار ٤٤: ٢٥٥.

(٥) مجمع البحرين / قلب.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) الكافي ٢: ٤٢٢ ح ٢، ومعاني الأخبار: ٣٩٥ ح ٥١، عنه البحار ٧٠: ٥١ ح ١٠، ومجمع

البحرين مادة قلب.

الصنوبري المتشكّل المستودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود، وهو منبع الروح ومعدنه، وهذا المعنى من القلب موجود في البهائم بل في الميت أيضاً.

الثاني لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب تعلق، وتلك اللطيفة هي المعبر عنها بالقلب تارة، وبالنفس أخرى، وبالروح أخرى، وبإنسان أيضاً، وهو المدرك العالم العارف، وهو المخاطب والمطالب والمعاقب، وله علاقة مع القلب الجسداني، وقد تحير أكثر الخلائق في إدراك وجه علاقته، وإن تعلّقه يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام، أو الأوصاف بالموصوفات، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة، أو تعلق المتمكّن بالمكان وشبه ذلك، إنتهى^(١).

وقال بعض المحققين: القلب هو شيء غير الفؤاد والعقل والروح والنفس، وإنه يرزخ بين الروح والنفس، أو النفس والبدن، وإن الفؤاد هو الطرف الأعلى من العقل، وقيل غير ذلك، وكلّ ذلك مستند إلى اختلاف الإصطلاحات وتغاثر الإعتبارات، وملاحظة بعض المراتب وعدمها، ويمكن الجمع بين جميع الأقوال باعتبار الحيثيات.

ثم قد يطلق القلب بمعنى الخالص، لأنّ قلب الإنسان خالصة ولبّه، فيقال: هذا قلبه أي خالصة وخلاصته، وبه فسّر قوله (عليه السلام): (يس قلب القرآن)^(٢) وقيل في توجيه الخبر غير ذلك أيضاً.

نمّ إن أصل القلب كما قيل من قولهم: قلبت الشيء قلباً - من باب ضرب - حوّلت عن وجهه، وبالتضعيف للمبالغة في معنى المجرّد، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾^(٣).

ومنه كلام مقلوب أي مصروف عن وجهه، وقلب الرداء: حوّلت وجعلت

(١) راجع مجمع البحرين / قلب.

(٢) البحار ٩٢: ٢٨٨ ح ١.

(٣) التوبة: ٤٨.

أعلاه أسفله أو قلبته ظهراً لبطن، سَمَّى القلب بذلك لانقلابه في الأمور وتقلبِه آنأً فآنأً باختلاف الأحوال وتبدُّل الكيفيات، كما ورد في الخبر: «إنَّ القلب كريشة في فلاة تقلِّبها الرياح كيف شاءت»^(١).

وهو كناية عن عدم استقراره في حال من الحالات، وهو على نحو الإجمال واضح معلوم الحال، وتفصيله موجب للإطناب والإملال، وفي خبر آخر عن النبي (صلى الله عليه وآله): «القلب بين إصبعين من أصابع الرحمان يقلِّبه كيف شاء، ثم قال (صلى الله عليه وآله): اللَّهُمَّ مصرف القلوب اصرف قلبي إلى طاعتك»^(٢).

وفي خبر آخر: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)^(٣) وفي الأدعية أيضاً: «يا مقلب القلوب والأبصار، يا مدبِّر الليل والنهار... الخ».

وفي كون القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن وجوه من البيان، قيل: هو تمثيل عن سرعة تقلِّبه، وتيسر تصريف القلوب عليه تعالى ظاهر كما يقولون: هذا الشيء في خنصري وبنصري وفي يدي وقبضتي، كل ذلك إذا أرادوا تسهله وتيسره بلا مشقة.

وقيل: لا يبعد أن يشتمل على القلب جسمان على شكل الإصبعين يحركه الله بهما، فشيهاً بالأصابع وأضيفا إلى الله تعالى لأنَّه تعالى جعلهما كذلك، وقيل: المراد بالإصبعين نعمتان، نعمة الدنيا ونعمة الآخرة، وقيل: المراد هو البطش والقدرة أي أن القلب معقود بمشيئة الله، وتخصيص الأصابع كناية عن إجراء القدرة والبطش لأنَّه باليد والأصابع إجرائهما، وقيل: المراد إصبعاً غضبه ورحمته أي قهره ولطفه، كما قال المولوي:

ديده و دل هست بين الاصبعين چون قلم در دست کاتب ای حسین
این حروف حالهاست از نسخ اوست عزم و فسخت هم ز عزم و فسخ اوست

(١) البحار ٦١: ١٥٠، وكنز العمال ٢٤٢: ١ ح ١٢١١.

(٢) راجع مجمع البحرين / صرف.

(٣) البحار ٥٢: ١٤٨ ح ٧٣.

اصبع لطف است وقهر اندر میان كلك دل با قبض و بسطی در میان
ای قلم بنگر گرا جلالیستی كه میان اصبعین کیستی
وقیل غیر ذلك.

والموصول إسم مفعول من الوصل، يقال: وصلت إليه أصلُ وصولاً أي
إتصلت به، و وصلني الخبر أي بلغني، و وصلت المرأة شعرها بشعر غيرها،
و وصلت الشيء بغيره وصلأً، ومنه وصل الثوب بالخيط، وقد تكرر في الخبر ذكر
صلة الرحم في مقابلة قطع الرحم، وكان الواصل لذي القرابة بالإحسان قد وصل
ما بينه وبينه بإحكام علاقة القرابة فلم تنقطع.

وأصل الرحم ككتف هو ما يشتمل على ماء الرجل من المرأة، ويكون فيه
الولد وهو المشيمة، ولما كان أغلب القرابات منتهية إليه أطلق الرحم كثيراً على
نفس القرابة، فصلة الرحم بمعنى صلة القرابة تشبيهاً لها بالعلاقة.

فإذا عرفت ذلك فاعلم أنّ معنى الكلمة متصل بالكلمة لأنّه فيها كالب في
القشر، ولذا يفهم المعنى منها ويتبادر من حاقها كأنّه مندرج فيها، بل في الحقيقة
إتصال بينه وبينها، فيكون موصول الكلمة معناها الذي تعلّقت به، وحينئذ يكون
المراد من الفقرة أنّ الله تعالى جعل معنى كلمة التوحيد من جهة الاعتقاد به
مندرجة في ضمن القلوب بالكلية إلى جعل جميع القلوب مشتملة على معناها،
ومحتوية على مغزاها إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾^(١)
وهي الفطرة التوحيدية الإسلامية، كما قال (صلّى الله عليه وآله): كلّ مولود يولد
على الفطرة - أي على فطرة الإسلام - ثمّ أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه^(٢).

وهذا هو الأوجه في معنى الفقرة من الأوجه المحتملة التي من جملتها أنّ معناها
أنّ الله تعالى ألزم وأوجب على القلوب ما تستلزمه هذه الكلمة من عدم تركه
تعالى، وعدم زيادة صفاته الكمالية الموجودة وأشباه ذلك ممّا يؤول إلى التوحيد.

(١) الروم: ٣٠.

(٢) البحار ٦١: ١٨٦ ج ٥٢.

ومنها أن يكون المعنى أنه جعل ما يصل إليه العقل من تلك الكلمة مدرجاً في القلوب، بما أراهم من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم، ومنها أنه لم يكلف العقول الوصول إلى منتهى دقائق كلمة التوحيد وتأويلها، بل إنما كلف عامة القلوب بالاذعان لظاهر معناها وصريح مفادها، وهو المراد بالموصول.

ومنها أن يكون الضمير في موصولها راجعاً إلى القلوب، أي لم يلزم القلوب إلا ما يمكنها الوصول إليها من تأويل تلك الكلمة الطيبة، والدقائق المستنبطة منها أو مطلقاً، قيل: ولولا التفكيك لكان هذا أحسن الوجوه بعد الوجه الأول بل مطلقاً. قولها (عليها السلام): «وأنار في التفكر معقوها» الإنارة الإضاءة، يقال: أنار ينير إنارة أي أضاء فهو منير من النور، وهو الظاهر في نفسه المظهر لغيره بمعنى الضياء على ما ذكره الجوهري^(١)، فيكون بينهما حينئذٍ تساوي من حيث المعنى، وأضاء يتعدى ولا يتعدى فيكون أنار أيضاً كذلك، وكذلك أشرق.

وقيل: النور هو ما كان بالعرض والتبعية، والضياء ما كان بالذات والاصالة، فيكون حينئذٍ بينهما المباينة، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً﴾^(٢) لاكتساب ضوءه كسائر الكواكب من نور الشمس، ويحتمل أن يكون الضياء هو الفرد القوي من النور، فيكون بينهما عموم مطلق ولعله الأظهر، والظاهر أنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

والنار أيضاً مشتقة من تلك المادة بمناسبة الإنارة، وأصل النار أيضاً واويّ بدليل تصغيرها على نوية، وجمع النور أنوار، وجمع النار نيران أصله نوران، والمَنارة - بفتح الميم - التي يؤذن عليها، والتي يوضع عليها السراج والمشعل ونحوهما لإضاءة الأطراف، والمناسبة واضحة.

ثم يطلق النور لكل ما كان سبباً للهداية مثل التوفيق، كقوله تعالى: ﴿ومن لم

(١) الصحاح ٢: ٨٣٨ / النور.

(٢) يونس: ٥.

يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴿^(١)﴾ أي من لم يجعل الله له نوراً من توفيقه وهو في ظلمة الجهالة، ومثل إمام الحق في قوله تعالى: ﴿ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾ ^(٢) أي إماماً تأتمون به، وقوله: ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ ^(٣) قال (عليه السلام): النور والله الأئمة، هم الذين ينورون قلوب المؤمنين ^(٤).

ومثل القرآن في قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ ^(٥) أي القرآن، والعلم في قوله (عليه السلام): ليس العلم بكثرة التعلم والتعليم بل هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء ^(٦)، إلى غير ذلك وقد مرّ تفصيل متعلّق بلفظ النور في تفسير آية النور.

والتفكر من الفكر - بالكسر - وهي في اللغة التأمل، إسم مصدر للفكر - بالفتح -، وأفكر في الشيء وفكر وتفكر بمعنى، على ما ذكره الجوهري ^(٧).

وهو في العرف حركة النفس بالقوة التي آلتها مقدّم الدورة الواقعة في البطن الأوسط من الدماغ مطلقاً، أي سواء كان من المطلوب إلى المبادي أو بالعكس، وهو المراد من قولهم: الفكر هو انتقال النفس في المعاني إنتقالاً بالقصد، وهذه الحركة تسمّى في المعقولات فكراً وفي المحسوسات تخيلاً، فهي قوة واحدة تسمّى مفكرة ومتفكرة باعتبار، ومخيّلة ومتخيّلة باعتبار، والتضعيف للمبالغة لا للتعدي.

وذكر المحققون من أهل المعقول: أنّ الحواس والمشاعر الإنسانية عشرة،

(١) النور: ٤٠.

(٢) الحديد: ٢٨.

(٣) التغابن: ٨.

(٤) الكافي ١: ١٩٤ ح ١، وتفسير القمي ٢: ٣٧١، عنه البحار ٢٣: ٣٠٨ ح ٥، وتفسير الصافي ٥: ١٨٣.

(٥) النساء: ١٧٤.

(٦) البحار ١: ٢٢٥ ح ١٧.

(٧) الصحاح ٢: ٧٨٣ / فكر.

خمسة منها الحواس الظاهرية وهي: السامعة، والباصرة، والشامّة، والذائقة، واللامسة، وخمسة منها الحواس الباطنية وهي: الحافظة، والواهمة، والمفكرة، والمخيّلة، والحسّ المشترك.

وفي دماغ الإنسان بطون ثلاثة، لكلّ منها مقدّم ومؤخّر، ففي مقدّم البطن المقدّم من سمت الجبهة الحسّ المشترك، وهي القوّة التي يتأدّى إليها صور المحسوسات من طرق الحواس الظاهرة فتدركها، وهي الحاكمة بين المحسوسات الظاهرة كما يحكم بأنّ هذا الأصفر، هذا الحلو، والمراد بالصورة هنا ما يمكن إدراكه باحدى الحواس الظاهرة.

وفي مؤخّر المقدّم المخيّلة ويقال لها الخيال أيضاً - بالفتح - وهي قوّة تجتمع فيها صور المحسوسات وتبقى فيها بعد غيبتها عن الحس المشترك، وفي مؤخّر الأوسط القوّة الوهميّة ويقال لها الواهمة أيضاً، وهي القوّة المدركة للمعاني الجزئية الموجودة في المحسوسات من غير أن يتأدّى إليها من طرق الحواس كادراك العداوة والصداقة من زيد، وكادراك الشاة معنى من الذئب.

وفي مقدّم الأوسط بين الواهمة والمخيّلة العقل، وهي القوّة العاقلة المدركة للكليات، ولها قوّة التركيب والتفصيل بين الصور المأخوذة من الحسّ المشترك، والمعاني المدركة بالوهم بعضها مع بعض، وهي دائماً لا تسكن نوماً ولا يقظة، وليس من شأنها أن يكون عملها منظماً منتظماً، بل النفس تستعملها على أيّ نظام نريد، فإن استعملها بواسطة القوّة الوهميّة فهي المخيّلة، وإن استعملها بواسطة القوّة العاقلة وحدها أومع القوّة الوهميّة فهي المفكرة، فللمخيّلة اعتباران كما ظهر ممّا مرّ.

وفي مقدّم المؤخّر الحافظة، وهي قوّة تحفظ بها المركبات التي ركبها المفكرة من الصور الخيالية، والمعاني الجزئية الوهميّة وسلّماتها إليها، فهي خزينة المركبات وخازنة القوّة العقلية، والأنسب أن يترتب الحواس الباطنية من الطرف الأسفل إلى الأعلى أي من مقدّم الرأس إلى مؤخّره بترتيب آخر، وهو اعتبار الحسّ المشترك

أولاً، ثمّ الخيال، ثمّ الواهمة، ثمّ الحافظة، ثمّ العاقلة، وإن صحّ الترتيب الأول أيضاً بوجه آخر.

وفي بعض النسخ الفكر - بالكسر -، وفي بعضها الفكر - كعنب - جمع الفكرة بمعنى الفكر كسدره وسدر.

والمعقول مصدر من قولك عقلت الشيء - من باب ضرب - عقلاً ومعقولاً أي منعتَه وحجزته ونهيتَه عن الضياع، فيرجع في بعض المقامات إلى معنى الحفظ، ومنه العقال لما يعقل به البعير لمنعه إتياء عن السير والحركة، قال (صلى الله عليه وآله): اعقل بعيرك وتوكل على الله^(١)، قال المولوي:

گفت پیغمبر با واز بلند با توکل زانوی اشتر ببد
ومنه أيضاً العقل للإنسان لمنعه له عن الإرتكاب بالمهالك والإقتحام في المسالك، والمعقول كما جاء مصدراً جاء بمعنى المفعول أيضاً أي المدرك بالعقل، وقد يقال لمطلق المدرك بالحواس الباطنية، من عقله إذا أدركه وحفظه وتصوره، وعقلت عن فلان غرمت عنه جنايته، وعقلت له دم فلان إذا تركت القود للذية، فليفرق في الإستعمالات بين عقلته، وعقلت عنه، وعقلت له.

وفي الخبر: «لا تعقل العاقلة عمداً ولا عبداً ولا صلحاً ولا اعترافاً»^(٢)، قال أبو حنيفة: هو أن يجني العبد على حرّ، وقال ابن أبي ليلى: هو أن يجني الحرّ على عبد، وصوّبه الأصمعي وقال: لو كان المعنى على ما قال أبو حنيفة لكان الكلام لا يعقل العاقلة عن عبد ولا يعقل عبداً، وقال: كلّمْتُ أبا يوسف القاضي في ذلك بحضرة الرشيد، فلم يفرّق بين عقلته وعقلت عنه حتى فهمته^(٣).

قال في النهاية في معنى الحديث: أي إن كلّ جناية عمد فهي من مال الجاني

(١) أمالي المفيد: ١١٠ مجلس ٢٢، وأمالي الطوسي: ١٩٣ ح ٣٢٦، عنهما البحار ٧١: ١٣٧ ح ٢٠، وفيه: اعقل راحلتك.

(٢) أنظر لسان العرب ٩: ٣٢٨ / عقل. والنهاية ٣: ٢٧٩ / عقل.

(٣) راجع لسان العرب ٩: ٣٢٨ / عقل.

خاصّة، ولا يلزم العاقلة منها شيء، وكذا ما اصطلحوا عليه من الجنايات في الخطأ، وكذا إذا اعترف الجاني بالجناية من غير بيّنة تقوم عليه، وإن ادّعى أنّه خطأ لا يقبل منه ولا تلزم بها العاقلة، وأمّا العبد فهي أن يجني على حرّ فليس على عاقلة مولاة شيء من جناية عبده، وإنّما جنايته في رقبته، وهو مذهب أبي حنيفة.

وقيل: هو أن يجني حرّ على عبد، فليس على عاقلة الجاني شيء إنّما جنايته في ماله خاصّة، وهو قول ابن أبي ليلى، وهو موافق لكلام العرب، إذ لو كان المعنى على الأوّل لكان الكلام: (لا تعقل العاقلة على عبد) ولم يكن (لا تعقل عبداً) واختاره الأصمعي وأبو عبيد^(١).

ثم إنّ العقل في الإنسان هو أحد الجواهر الخمسة، وعرف بأنه جوهر مجرد نوراني يتعلّق بالبدن تعلّق تديير وتصرف.

وقالوا: إنّ الممكن إمّا أن يكون موجوداً في الموضوع أي المحلّ المتقوم بنفسه وهو العرض، أو لا سواء لم يحلّ أصلاً أو يحلّ لكن لا في الموضوع وهو الجوهر، وهو إمّا مفارق عن المادّة أي المحلّ المتقوم بالحال في ذاته وفعله وهو العقل، أو مفارق في ذاته دون فعله وهو النفس، أو مقارن، فإمّا أن يكون محلاً لجوهر آخر وهو المادّة، أو حالاً في جوهر وهو الصورة، أو ما يتركّب منهما وهو الجسم.

وعن عليّ (عليه السّلام): العقل ما عبّد به الرحمن، واكتسب به الجنان، قيل: فعقل معاوية؟ قال (عليه السّلام): إنّما هي نكراء وشيطنة وليس بعقل^(٢).

وللعقل معان مستنبطة من الأخبار متجاوزة على عشرين وجهاً ليس هنا مقام بسطها، وقال بعض أهل المعرفة: إنّ القوى العقليّة أربعة، منها القوّة التي يفارق بها الإنسان البهائم، وهي القوّة الغريزيّة التي يستعدّ بها الإنسان لادراك

(١) النهاية ٣: ٢٧٩ / عقل.

(٢) المحاسن ١: ٣١٠ ح ٦١٣، والكافي ١: ١١ ح ٣، ومعاني الأخبار: ٢٣٩، عنه البحار ١: ١١٦ ح ٨.

العلوم النظرية، فكما أنّ الحيوان تهَيَّ الجسم للحركات الاختيارية، والادراكات الحسية، فكذلك القوة الغريزية تهَيَّ الإنسان للعلوم النظرية، والصناعات الفكرية.

ومنها قوة عواقب الأمور، فتقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة، وتتحمل المكروه العاجل لسلامة الآجل، فإذا حصلت هذه القوة يسمّى صاحبها عاقلاً، من حيث أنّ أقدامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة، والقوة الأولى بالطبع والأخيرة بالاكْتساب.

وإلى ذلك أشار عليّ (عليه السلام) بقوله:

رَأَيْتَ الْعَقْلَ عَقْلِينَ فَمَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ
وَلَا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ إِذَا لَمْ يَكْ مَطْبُوعٌ
كَمَا لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ وَضُوءَ الْعَيْنِ مَمْنُوعٌ^(١)
قيل: والمطبوع هو المراد بقوله تعالى خطاباً له: «ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك»^(٢) والمسموع هو المراد بقوله (عليه السلام): «ما كسب الإنسان شيئاً أفضل من العقل»^(٣).

ومنها قوتان أخريان، إحداهما ما يحصل بها العلم بأنّ الاثنين أكثر من الواحد، والشخص الواحد لا يكون في مكانين، فيقال له التصوّرات والتصديقات الحاصلة للنفس الفطرية، والأخرى التي يحصل بها العلوم المستفادة من التجارب بمجاري الأحوال، فمن اتصف بها يقال أنّه عاقل في العادة، والأولى منها حاصلة بالطبع، والأخرى بالاكْتساب كالأولين، إنتهى.

وهذه عقول أربعة مشهورة، وترتيبها على ما ذكره بعضهم: العقل الهولاني كما في الطفل، ويقال العقل بالقوة، والعقل المنفعل وهو الأوّل من الأولين، ثم

(١) ديوان الامام عليّ (عليه السلام): ٩٢ رقم ١٨٩.

(٢) المحاسن ١: ٢٠٦ ح ٦٠٢، عنه البحار ١: ٩٦ ح ٣، وفي الكافي ١: ١٠ ح ١.

(٣) المحاسن ١: ٢٠٨ ح ٦٠٩، عنه البحار ١: ٩١ ح ١٢، وفيه: ما قَسَمَ الله للعباد شيئاً.

العقل بالملكة وهو الأول من الآخرين، ثم العقل المستفاد وهو الثاني من الآخرين، ثم العقل الفعّال وهو الثاني من الأوليين، وزاد بعضهم العقل بالفعل قبل العقل الفعّال، فجعلها خمسة، وزاد بعضهم بالنسبة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) عقلاً سادساً وهو العقل الكلّي.

وأول دخول العقل في الإنسان عند ابتداء إنشاء روحه وهو جنين، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكمل البلوغ، وقيل: ابتداء دخوله عند البلوغ وتكميله عند أربعين، والظاهر أن كلاهما صحيح، والأولى من القوّة والثاني من ابتداء الفعل بالمعنى الأعم إلى زمان الكمال.

وبالجملة فاطلاق العقل بالنسبة إلى كلّ أحد ينصرف إلى النوع الكامل من عقوله، وفي الحديث: «إذا تمّ العقل نقص الكلام»^(١)، قيل: وذلك لضبط العقل إتياءه. وفيه: «نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل»^(٢) فإنه لا فائدة فيه.

وفيه: «ليس بين الإيمان والكفر إلا قلة العقل»^(٣).

وفيه: «العقل غطاء ستير»^(٤) أي ساتر للعيوب.

وفي حديث عليّ (عليه السلام): «العقل شرع من داخل، والشرع عقل من خارج»^(٥) إلى غير ذلك ممّا ورد في فضله.

ثم إنّ معقول كلمة التوحيد هو المعنى الذي يتعلّق منها، ولمعناها نور واضح، وبرهان لائح في الأذهان عند التفكّر فيه، إذ لكلّ حقّ حقيقة، ولكلّ صواب نور، فالمعنى أن الله تعالى قد جعل لمعنى هذه الكلمة في عالم التفكّر المتعلّق به نوراً به يتنوّر القلب، ويتّضح سبيل الحقّ لما هو ظاهر من مطابقة معناها للواقع مع جبلة

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٧١، عنه البحار ٧١: ٢٩٠ ح ٦٢، غرر الحكم: ٥٢ ح ٤٠٧.

(٢) تحف العقول: ٢٩٦، عنه البحار ١: ١٥٤ ح ٣٠.

(٣) مجمع البحرين / عقل.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

القلوب على التوحيد من حيث فطرتها.

أو يقال: إن الله تعالى أوضح في الأذهان ما يتعقل من تلك الكلمة بالتفكر في الدلائل والبراهين الساطعة، ويجوز أن يجعل المعقول مصدراً أي أن تعقلها منير للقلوب، ويحتمل إرجاع الضمير إلى القلوب أيضاً مراداً بمعقولها ما يتعقله القلوب من تلك الكلمة.

وفي ذكر التفكير مع المعقول إشارة لطيفة إلى كون القوة العاقلة هي المفكرة، وإشارة أيضاً إلى كليات المدركات هنا لما أُشير إليه من أن المدرك بالعقل هو الكليات، ولكن تفصيل المسألة يحتاج إلى بسط من الكلام لا يليق به المقام. قولها (عليها السلام): «المتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كفيته».

المتنع من الإمتناع مشتقاً من المنع بمعنى الإباء، وهو المراد من تفسيره بخلاف الإعطاء كما فعله بعض أهل اللغة، ومنعته من كذا فامتنع أي قبل المنع، ويقال: إمتنع عن الشيء أي كف عنه، وهو أيضاً مستند إلى مانع من كراهة القلب أو غير ذلك، وهو المانع الباطني إذ المانع أعَم منه ومن الظاهري. والامتنع في الإصطلاح كل ما كان عدمه ضرورياً ووجوده ليس بضروري، وهو مقابل للواجب الذي وجوده ضروري دون عدمه، وللممكن الخاص الذي ليس شيء من عدمه ووجوده بضروري.

وكل من هذه الثلاثة من أفراد الممكن العام الذي يسلب فيه الضرورة عن الطرف المخالف للحكم، مثلاً إذا قيل: زيد موجود بالإمكان العام أي عدمه ليس بضروري، فإن كان وجوده ضرورياً فواجب ألا فممكن بالإمكان الخاص، وإذا قيل: زيد ليس بموجود بالإمكان العام معناه أنه ليس وجوده بضروري، فإن كان عدمه ضرورياً فممتنع وإلا فممكن خاص أيضاً، فيتولد من مثال الإيجاب الواجب والممكن الخاص، ومن السلب الممتنع والممكن الخاص.

ثم الممتنع على أقسام ثلاثة، لأنه إما ممتنع بالذات، كشريك الباري،

واجتماع المتناقضين أو المتضادين في محلّ واحد وآن واحد ونحو ذلك، أو بالغير وهذا إما ليس بالإختيار كطيران الإنسان في الهواء، فإن امتناعه لم يحصل باختياره في ظاهر الإعتبار، أو هو من جهة سوء الإختيار كمن دخل باختياره في المكان المغصوب، فهو مكلف بالخروج وعدم الخروج، لأنّ كلّاً منهما منهيّ عنه من جهة التصرف في المغصوب، وهذا ممتنع لكنّه حصل بسوء اختيار الشخص. والمذكور في الخطبة هو الممتنع الذاتي، إذ امتناع رؤيته تعالى بالأبصار ليس بعرضيّ من جهة المانع الخارجي، بل هو ذاتي أصلي.

والأبصار جمع بصر كسبب وأسباب، قيل: وهو النور الذي تدرك به العين المبصرات، وقد يطلق البصر على نفس العين المبصرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾^(١) على ما قيل، ويمكن إرادة المعنى الأوّل أيضاً، واختلف في إدراك البصر أنّه بخروج الشعاع أو بالانطباع، والحقّ عندي اعتبار كليهما أي خروج الشعاع أولاً والانطباع بوساطته ثانياً.

ويقال: أبصرته برؤية العين إبصاراً، يتعدّى بنفسه ولا يتعدّى، فيقال: أبصر إليه أي نظر، ويقال: بصّرت به - بالتضعيف - بمعنى جعلته بصيراً به.

قال عليّ (عليه السّلام) في نهج البلاغة في وصف الدنيا: «فمن أبصر بها بصّرت، ومن أبصر إليها أعمته»^(٢).

وبصرت بالشيء - بالضمّ، والكسر لغة - بصراً - بفتحين - : علمت به فأنا بصير به، يتعدّى بالباء في اللغة الفصيحة وقد يتعدّى بنفسه، وهو ذو بصر وبصيرة أي علم وخبرة، كذا ذكره في المصباح^(٣) وهذا صحيح، وبه فُسرّ قوله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾^(٤) أي علمت على وجه.

(١) الملك: ٤.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٢، عنه البحار ٧٢: ١٣٢ ح ١٣٦.

(٣) المصباح المنير: ٥٠ / البصرة.

(٤) طه: ٩٦.

ولكن استعمل البصر بمعنى الإبصار أيضاً، فيكون بصره بمعنى أبصره أيضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون﴾^(١) أي نَظَرْتُ إليه ورأته على وجهه، وكذا الآية السابقة على وجهه، فالقياس يقتضي مجيء كلٍّ من البصر والبصيرة بمعنى الإبصار العيني والعلم القلبي، إلا أنه أغلب استعمال البصر في رؤية العين والبصيرة في رؤية القلب، أو الأول في نور العين والثاني في نور القلب. وقد يجيء كلٌّ بمعنى كل، مثل: ﴿أولى الأيدي والأبصار﴾^(٢) أي أيدي من الإحسان وبصائر في الدين، و﴿لا تدركه الأبصار﴾^(٣) أي الأوهام، و﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾^(٤) أي الحجج والبيّنات، فيكونان من باب إذا اجتماعاً افتراقاً وإذا افتراقاً اجتماعاً.

ويجمع البصر على الأبصار كما في قوله تعالى: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾^(٥)، والبصيرة على البصائر كقوله تعالى: ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾^(٦) أي سبب البصائر وهي البيّنات والدلائل، وأمّا قوله تعالى: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾^(٧) فإنه بمعنى بصير على معنى الفاعل، فالتاء للمبالغة أو صفة باعتبار نفس الإنسان، أو أنّ البصيرة إسم أو مصدر حُمِلَ على الإنسان من باب المبالغة، أو بإضمار مضاف أي هو ذو بصيرة.

ويطلق البصير على من أدرك بالعين وبالقلب، وبمعنى مطلق المدرك، ومنه البصير في أسماء الله بمعنى العالم كالسميع أيضاً، إلا أنّ ظاهر معناه هو الذي يشاهد الأشياء كلّها ظاهرها وباطنها لكن من غير جارحة، فالبصر في حقّه تعالى

(١) القصص: ١١.

(٢) ص: ٤٥.

(٣) الأنعام: ١٠٣.

(٤) الأنعام: ١٠٤.

(٥) الحشر: ٢.

(٦) الأنعام: ١٠٤.

(٧) القيامة: ١٤.

عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات.

وفي الحديث: «سمّيناه بصيراً لأنّه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من لون أو شخص أو غير ذلك»^(١)، ويمكن أن يُقرأ الابصار في الخطبة بالكسر مصدر أبصر - كالفتح - جمع بصر.

والرؤية: النظر، وهي رؤية بالعين ويتعدّى إلى مفعول واحد، ورؤية بالقلب بمعنى العلم ويتعدّى إلى مفعولين، والمراد هنا الأوّل بقرينة الأبصار. والمراد من الفقرة أنّ الله تعالى لا يدرك بالحواس الظاهرة مطلقاً، وذكر رؤية الأبصار لأنّ المتعلّق بإدراك الشخص في مقام معرفته أولاً بالوجه المناسب هو الرؤية بالعين، مع أنّ هذا ردٌّ لمن ادعى الرؤية في الله سبحانه، مضافاً إلى أنّ الشيء الموجود الخارجي لا يدرك منه بالحواس الظاهرة إلاّ أعراضه الطارئة، كالصوت بالسمع، واللون بالبصر، والرائحة بالشمّ، والطعم بالذوق، واللين باللمس، والأظهر منها في النظر هو الإدراك بالبصر.

والمراد من إدراك الشيء الخارجي بالحواس، إدراك وجوده في الخارج بواسطة إدراك تلك الأمور العارضة، وكلّ ما يدرك بالبصر لا يلزم أن يكون مدرّكاً بغيره بخلاف العكس، لأنّ كلّما يدرك بغير البصر يدرك بالبصر البتة، فمدرّك البصر أعظم، كذا قيل وفيه نظر.

والأكمل الأشيع الأوضح من إدراك الحواس هو الإدراك البصري، ولذا خُصّ بالذكر كما قال تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(٢)، وفُسّر الأبصار في الآية بالأوهام أيضاً كما قد يعبر عنها بالأنظار.

وهذا إشارة إلى قول عليّ (عليه السلام) في حديث ذعلب اليماني: ويملك لا تدركه الأبصار بمشاهدة العيان، وإنّما يدركه القلوب بحقائق الإيمان^(٣).

(١) التوحيد: ١٩٤ ح ٧، والإحتجاج ٤٦٨: ٢ ح ٣٢١، عنهما البحار ٤: ١٥٤ ح ١، وفي الكافي ١: ١١٦ ح ٧.

(٢) الأنعام: ١٠٣.

(٣) التوحيد: ٣٠٥ ح ١، أمالي الصدوق: ٢٨١ ح ١، مجلس ٥٥، والإختصاص: ٢٣٥، البحار ٤: ٢٧ ح ٢.

وفي إرشاد القلوب: ٣٧٤.

وفي حديث هشام بن الحكم في إثبات الصانع: إن الأشياء لا تدرك إلا بأمرين، الحواس والقلب، والحواس إدراكها على ثلاثة معان: إدراك بالمداخلة، وإدراك بالتماسة، وإدراك بلا مداخلة ولا تماسة، فاما الإدراك الذي بالمداخلة فالأصوات والمشام والطعوم، واما الإدراك بالتماسة فمعرفة الاشكال من الترتيب والتثليث، ومعرفة اللين والخشن، والحرّ والبرد.

واما الإدراك بلا تماسة ولا مداخلة فالبصر، فإنه يدرك الأشياء بلا تماسة ولا مداخلة في حيّز غيره ولا في حيّزه، ولإدراك البصر سبيل وسبب، فسبيله الهواء وسببه الضياء، فإذا كان السبيل متصلاً بينه وبين المرئي والسبب قائماً، أدرك ما يلاقي من الأمور والأشخاص، فإذا حمل البصر على ما لا سبيل له في إنفاذه لم يدركه.

وأما القلب فإنه سلطانه على الهواء، فهو يدرك جميع ما في الهواء، فلا ينبغي للعقل أن يحمل قلبه على ما ليس موجوداً في الهواء من أمر التوحيد، فإنه إن فعل ذلك لم يتوهم إلا ما في الهواء موجود، كما قلناه في البصر، تعالى الله عن ذلك كله. واللسان العضو المخصوص، قال في المصباح: هو يذكر ويؤنث، فمن ذكر جمعه على السنة، ومن أنث جمعه على السن، قاعدة كلية حيث قالوا: فعيل أو فعال - بالتثليث - إذا كان مؤنثاً، جمع على أفعل نحو يمين وأيمن، ولسان وألسن، وإن كان مذكراً جمع على أفعله كزغيف وأرغفة، ولسان وألسنة^(١).

قال أبو حاتم: والتذكير في اللسان أكثر، وهو في القرآن كله مذكر، وأما اللسان بمعنى اللغة كاللّسن - بكسر اللام - فهو مؤنث، وقد يعتبر معنى اللفظ فيذكر فيقال: لسانه فصيح كما يقال فصيحة، قال تعالى: ﴿بلسان عربي مبين﴾^(٢)، وفي الخبر قال: «يبين الألسن ولا تبيته الألسن»^(٣).

(١) المصباح المنير: ٥٥٣ / اللسان.

(٢) الشعراء: ١٩٥.

(٣) مجمع البحرين / لسن.

وَلَسِنْ لَسْنَا - كتعب تعباً -: فَصَحَ فهو لَسِنْ كَخَشِنَ، وأفعل التفضيل منه ألسن، ويحتمل أن يقرأ كذلك في الخطبة.

والصفة إسم أو مصدر كالوصف من قولهم: وصفه وصفاً وصفة - من باب وعد - نعت بهما فيه، والتاء في الصفة بدل من الواو كما في عدة، ويقال: الصفة إنما هي بالحال المنتقلة، والنعت بما كان في خَلَق أو خُلِق.

وفي نهج البلاغة: «ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود» أي لعظمته أو لفيوضاته، أو لآثار صفاته التي هي عين ذاته، أو لصفة أفعاله، أو لحقيقته وذاته، وفيه: «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه» أي المعاني الزائدة كما يقوله الأشاعرة «لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه»^(١) أي أثبت له قريناً واجب الوجود.

وفي الحديث: «فمن وصف الله سبحانه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن عدّه فقد أبطل أزله»^(٢).

قال بعض الشارحين: المراد من الوصف هنا أيضاً القول بأنّ له صفة زائدة ومعنى زائد، ومن قال بأنّ لله صفة زائدة فقد ميّزه بصفة، ومن ميّزه فقد قال بالتعدّد، ومن قال بالتعدّد فقد أبطل أزله.

ومن كلام عليّ (عليه السّلام) في إثبات الصانع: «ليست له صفة تُنال، ولا حدّ يُضرب له الأمثال»^(٣) فنفي (عليه السّلام) بهذه العبارة أقاويل المشبهة حيث شبهوه بالبلور والسبيكة وغير ذلك ممّا يكتنفه العرض، والعمق، والطول، والإستواء، وسائر أنحاء العوارض الطارئة الخارجيّة والذهنيّة.

ومن أوصافه تعالى أنّه ليس مختلف الذات بأن يكون مركّباً من الأجزاء، ولا مختلف الصفات بأن يكون له صفات زائدة على ذاته، أو ممّا ثبت له صفات الذات

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١، والإحتجاج: ١: ٤٧٣ ح ١١٣، عنهما البحار ٤: ٢٤٧ ح ٥.

(٢) التوحيد: ٥٧ ح ١٤، عنه البحار ٤: ٢٨٤ ح ١٧.

(٣) التوحيد: ٤١ ح ٣، عنه البحار ٤: ٢٦٩ ح ١٥.

وصفات الفعل، والفرق بينهما أن كل صفة من صفاته تعالى توجد في حقه دون نقيضها كالعلم والقدرة ونحوهما، فهي من صفات الذات، وكل صفة توجد فيه تعالى مع نقيضها فهي من صفات الفعل كالإرادة والمشية.

وفرق آخر هو أن كل صفة من صفاته تعالى تتعلق بها قدرته وإرادته فهي من صفات الفعل، وكل صفة ليست كذلك فهي من صفات الذات، فالصفة الزائدة للذات منفية مطلقاً، كما أشير إليه في الروايات، ولم يبق حينئذ إلا صفة الذات مع كونها عينة لا زائدة عليه، وصفة الفعل مع كونها غيره، وهما حاصلتان لله سبحانه إلا أن صفة الذات لا تنالها الألسن، لأنها هي الذات البحت البات الذي لا إسم له ولا رسم له.

وأما صفة الفعل فلا تدرك ولا توصف أيضاً إلا بالرسم والأثر لا بالحقيقة، مع أن الألسن لا تنال الرسم بتمامه، وإنما تحدّ الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها.

والأوهام جمع الوهم، وهو القوة الوهميّة التي مرّت إليها الإشارة، وهي تدرك المعاني الجزئية وبمعنى العقل أيضاً، إذ عمل كل قوة إنما يكون لتأييده وتشديده، والعقل يدرك المعاني الكلّية، والله سبحانه ليس من جنس المعاني لا كليّة ولا جزئية، قال (عليه السلام): كلّمَا ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم، مردود إليكم^(١).

ولمّا كان الوهم بمعنى القوة الوهميّة، يحصل منه الغلط كثيراً لابتنائه على الأمور الاعتباريّة غالباً، أطلق الوهم - بالتحريك - على معنى الغلط والسهو أيضاً، يقال: وهم في الحساب يوهّم وهماً مثل غلط غلطاً - لفظاً ومعنى - أي سهى، ووهم إلى الشيء يهّم - من باب وعد - سبق إليه مع إرادة غيره، ووهمت وهماً وقع في خلدي، ويتعدّى بالهمزة والتضعيف، وقد يستعمل في المهموز لازماً، وأوهم في الحساب مائة أي أسقط، ومنه أوهمت في الكلام أو الكتاب إذا أسقطت منه شيئاً.

والكيفية حال الشيء وصفته من الكيف الذي يستفهم بها عن حال الشيء وصفته، وتستعمل مصدراً أيضاً وهو الأصل لمكان الياء والتاء، ويطلق الكيفية في الإصطلاح على الهيئة القارة التي لا تقتضي قسمة ولا نسبة لذاته، قيل: والهيئة والعرض متقاربا المفهوم، إلا أن العرض يقال باعتبار عروضه، والهيئة باعتبار حصوله.

ثم الكيفية إن اختصت بذوات الأنفس فتسمى كيفية نفسانية، وحينئذ إن كانت راسخة في موضوعها تسمى ملكة وإلا فتسمى حالاً، فالملكة كيفية راسخة في النفس، والحال كيفية غير راسخة.

وبالجملة فالكيفية عرض غير قابل للقسمة، بخلاف الكم فإنه عرض يقبل القسمة لذاته كالعدد والزمان ويقال له الكمية أيضاً، وأصلها كم الذي يستفهم به عن المقدار، وكل من الكم والكيف من الأعراض التسعة المشهورة التي تطلق عليها - مع إضافة الجوهر - المقولات العشر، وهي: الجوهر، والكم، والكيف، ومتى، وأين، والملك، والوضع، والفعل، والإنفعال، والإضافة، وكلها مجتمعة في قوله:

زيد طويل أسود بن مالك في داره بالأمس كان متكي
في يده سيف لواه فالتوى فهذه عشر مقولات سوى
ويقال للهيئة المجتمعة من الأعراض التسعة: الشكل، والصورة، ومدلول
الفقرة أنه يمتنع على الأوهام كفيته تعالى، أي إن القوى الوهمية والعقلية كلها عاجزة عن إدراك كفيته تعالى، وهذا يوهم أن الله تعالى كيفية ولكن لا تدركها العقول والأوهام، وليس ذلك بمراد البتة إذ ليس لله كيفية وإلا لكان محل العوارض الحادثة الكونية، فيلزم فيه التركيب والحدوث، بل المراد نفي أصل الكيفية من باب السالبة بانتفاء الموضوع، أي لا كيفية له تعالى حتى تدرك.

ويمكن أن يكون إطلاق الكيفية على سبيل الفرض، أي لو فرض له تعالى كيفية أيضاً كانت بحيث لا تدركها العقول، وكيف وليست له كيفية وهو تعالى كيف

الكيف، كما أنه لا أين له تعالى وهو أين الأين، أو يفرض أن الله تعالى أيضاً في نفسه كيفية لكن لا كالكيفيات، والمنفي أنما هي الكيفية الخلقية لا الخلقية، كما يقال: إنه تعالى شيء لا كالأشياء، وجوهر لا كالجواهر.

أو المراد هو الكيفية الموجودة للعناوين العالية، والمبادي البادية التي هي الهادية إليه والدالة عليه، كما ورد: إن الله تعالى لا يأسف كأسفنا، وإنما خلق قلوباً اختارها لنفسه، وجعل أسفها أسفه، في قوله: ﴿فَلَمَّا أَسْفَنَّا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾^(١)، فيقال: إنه تعالى خلق لنفسه عناوين هي مظاهره، فجعل صفتها صفته، وكيفية كفيته، فتأمل.

قولها (عليها السلام): «ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امثلها».

ابتدع الأشياء أي أحدثها، قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾^(٢) أي أحدثوها من عند أنفسهم، فيكون ابتدعها بمعنى أبدعها، فيكون ابتدع مبالغة أبدع، وقد مر معنى الإبداع والفرق بينه وبين الإختراع، والإبتداء، والإبداء، والإنشاء، فراجع. والأشياء جمع الشيء، والشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه، قال المفسرون: وهو أعم عام يجري على الجسم والعرض والقديم والحادث، تقول: شيء لا كالأشياء أي معلوم لا كسائر المعلومات، وعلى المعدوم والمحال.

قالوا: إن قلت: كيف قيل أنه تعالى على كل شيء قدير، وفي الأشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر؟ قلنا: مشروط في حدّ القادر أن لا يكون الفعل مستحيلاً، فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الأشياء كلها، فكأنه قال: إنه على كل شيء مستقيم مستقدر قدير.

وقال في مجمع البيان: الشيء ما يصح أن يعلم ويخبر عنه، قال سيبويه: وهو

(١) الزخرف: ٥٥.

(٢) نحوه التوحيد: ١٦٨ ح ٢، والكافي: ١: ١٤٤ ح ٦، والبحار: ٤: ٦٥ ح ٦، وتفسير الصافي: ٤: ٣٩٦.

(٣) الحديد: ٢٧.

أَوَّلُ الأَسْمَاءِ وَأَعْمَهَا وَأَبْهَمَهَا، يَقَعُ عَلَى الْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى الْمَوْجُودِ، وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ وَهُوَ مَذْهَبُ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)، وَالشَّيْءُ الْمَحْدُوثُ بَعْدَ الْوُجُودِ خَارِجٌ عَنِ الْمَقْدُورِيَّةِ، فَالْقُدْرَةُ عَلَيْهِ فِي حَالِ عَدَمِهِ، وَعَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يَدُورُ أَكْثَرُ مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ، إِنْتَهَى^(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئاً﴾^(٣) قَالَ الصَّادِقُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): أَيُّ لَا مَقْدَرًا وَلَا مَكُونًا^(٤)، فَإِنَّ الْمَقْدُورَ هُوَ الْمُمْكِنُ وَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الْمَكُونِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ لَا مَقْدَرًا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَلَا مَكُونًا مَخْلُوقًا فِي الْأَرْضِ.

ومادة الشيء من المشيئة ولعلّه مخفف الشيء، كما يقال: مِيتَ وَبَيْنَ فِي مِيتَ وَبَيْنَ، وَهَيْنَ وَلَيْنَ فِي هَيْنَ وَلَيْنَ، وَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ أَيُّ الْمَشَاءِ. وَقَوْلُنَا: الْأَشْيَاءُ جَمْعُ شَيْءٍ يَنْحَلُّ إِلَى وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَنَّهُ أَفْعَالٌ كَمَا قَالَ الْكِسَائِيُّ، كَمَا يَقَالُ: قَوْلٌ وَأَقْوَالٌ، وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ الْأَشْيَاءَ، شَيْءٌ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ، وَالثَّانِي أَنَّهُ أَفْعَاءٌ كَمَا قَالَ الْفَرَّاءُ وَأَصْلُهُ أَفْعَلَاءٌ، كَمَا يَقَالُ: صَدِيقٌ وَأَصْدِقَاءٌ وَبَيْنَ وَأَبْنَاءٌ، ثُمَّ خَفَّفَ بِخِلَافِ اللَّامِ لِلثَّقَلِ، وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ الشَّيْءَ مُخَفَّفٌ شَيْءٌ. وَهَذَا قَوْلٌ ثَالِثٌ وَهُوَ لِسَبِيوِيَّةٍ، وَهُوَ أَنَّ أَشْيَاءَ لَفْعَاءَ، وَأَصْلُهَا شَيْئَاءٌ عَلَى صَحْرَاءَ، فَقَلْبَتِ الْهَمْزَةُ الَّتِي هِيَ اللَّامُ قَلْبًا مَكَانِيًّا كَرَاهَةِ اجْتِمَاعِ أَلْفٍ بَيْنَ هَمْزَتَيْنِ فَجِيءَ بِهِ قَبْلَ الْفَاءِ.

وَرَجَّحَ بَعْضُهُمْ قَوْلَ سَبِيوِيَّةٍ لِثَلَاثِ يَلْزَمُ مَنَعُ الصَّرْفِ بِلَا سَبَبٍ، فَإِنَّ أَشْيَاءَ غَيْرَ مُنْصَرَفٍ عَلَى الْمَشْهُورِ، وَلَا وَجْهَ لَهُ عَلَى الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ، فَلِإِشْكَالِ الْأَمْرِ فِي

(١) البقرة: ٢٠.

(٢) مجمع البيان، سورة البقرة، آية: ٢٠.

(٣) مريم: ٦٧.

(٤) الكافي ١: ١٤٧ ح ٥، عنه البحار ٥٧: ٦٣ ح ٣٣، وفي المتن: لَا مَقْدُورًا.

أشياء قال بعضهم في المقام بعد النقض والإبرام، إيهاماً لما في أمره من الإشكال والإيهام: إنَّ الأولي فيها إجمال الكلام كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تَبَدَّلَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^(١).

وقولها (عليها السلام): «لا من شيء كان قبلها» أي لا من شيء آخر أي لا من مادة، ولم تقل (من لا شيء) حتى لا يتوهم أنَّ لا شيء - وهو العدم - مادة الأشياء، لأنَّ من تدخل على المادة، فقدَّم النفي على من إفادة أنَّ كونها من مادة منفي، بل ابتدائها إنما هو بلا مادة.

والإحتذاء بشخص بمعنى الإقتداء به في الأمور، والمساواة معه بالاتيان بمثل ما أتى به من الحذو في قولهم: حذوت النعل بالنعل حذواً وحذاء - بالكسر - قدَّرتها بها وقطعتها على مثالها وقدرها، وفي الخبر: لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذَّة بالقذَّة^(٢).

وفي خبر آخر: حتى لو دخلوا جحر ضبَّ لدخلتموه^(٣)، أي تعملون مثل أعمالهم كما تقطع إحدى النعلين على قدر النعل الأخرى، وكما تقدَّر القذَّة بالقذَّة، وهي ريش السهم.

وفي خبر آخر: يكون في هذه الأمة كلُّ ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل...، ويكون كلُّ من الحذو والحذاء إسماءً أيضاً، يقال: رفع يديه حذو أذنيه وحذاء أذنيه، ومنه المحاذاة بمعنى الموازاة والمساوات.

والحذاء للنعل - بالكسر - مصدراً بمعنى المفعول، وكذا الحذاء لما يطأ عليه البعير من خُفِّه والفرس من حافره، والحذاء إسم للإسكاف وهو من يعمل الحذاء، وبالجمله فيقال: إحتذى مثاله أي اقتدى به واتبعه في فعله، والإقتداء أن يعمل الشخص مثل عمل الآخر.

(١) المائدة: ١٠١.

(٢) البحار ١٣: ١٨٠ ح ١٠.

(٣) البحار ٩: ٢٤٩ ح ١٥٤.

والمثال: الصورة كما مرّ، والجمع أمثلة، وامثلها أي أخذها مثلاً وعنواناً أي تبعها، والمراد أنّه تبع صاحبها في فعلها، ومنه إمتثل الأمر أي أطاعه، كأنّه أخذه صورة وعنواناً في يده فعمل على طبقه، وكذا إمتثل به بتضمين معنى أذعن، وفي بعض النسخ أمثلها من باب الافعال أي صوّرها بأن أنشأ صورها أولاً ثم خلق على مثالها.

ويظهر من الفقرة أنّ الإنشاء هو الإيجاد بلا مثال، والإبداع هو الإيجاد بلا مادة، وقد مرّ تحقيق الكلام في المرحلة، والحاصل في معنى الفقرة أنّ الله تعالى أنشأ الأشياء بلا مادة سابقة، ولا اتباع صورة قبلها موجودة سواء كانت الصورة من صنع نفسه أو صنع غيره.



قالت (عليها السلام):

«كَوْنَهَا بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَّأَهَا بِمَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَى تَكْوِينِهَا، وَلَا فَائِدَةٍ لَهُ فِي تَصْوِيرِهَا إِلَّا تَبَيُّناً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبِيْهاً عَلَى طَاعَتِهِ، وَإِظْهَاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وَإِعْزَازاً لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَضَعَ الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِيَاثَةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ».

بيان:

التكوين: الإيجاد من قولهم: كوّن الله شيء فكان أي أوجده، أو هو بمعنى التصوير من قولهم: كوّن الله الولد فتكوّن أي صوّره فتصوّر، فلا مطاوعة على الأوّل لعدم شيء هناك أولاً بالمرّة لا مادة ولا صورة، كما قيل في مقام اثبات انّ القابليّة والاستعداد في كلّ شيء أيضاً من فيض الله سبحانه.

ما نبوديم و تقاضمان نبود لطف توناگفته ما می شنود
وقيل أيضاً:

آن چنین دلها که شدشان ما و من نعتشان شد بل اشدّ قسوة
چاره آن دل عطای مبدلیست داد حق را قابلیت شرط نیست
بلکه شرط قابلیت داد اوست داد لبّ و قابلیت هست توست
نیست از اسباب تصریف خداست نیستها را قابلیت از کجاست
قابلی گر شرط فعل حق بدی هیچ معدومی به هستی نامدی
بخلاف الثاني إذ المطاوعة فيه واضحة، ويمكن المطاوعة في الأوّل أيضاً باعتبار ما يأتي إليه الإشارة.

وقوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١) قيل: معناه أحدث فيحدث، قال في الكشف: وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول، ثمّ قال: وإنما المعنى انّ ما قضاه من

الأمر وأراد كونه، فإنّما يتكوّن ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقّف، كالأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل، ولا يمتنع، ولا يتوقّف، ولا يكون منه الاباء، إنتهى^(١).

وكذا في تفسير الصافي^(٢) بأدنى تغيير في العبارة، ثمّ نقل عن العيون، عن الرضا (عليه السّلام): إنّ كن منه تعالى صنع وما يكون به المصنوع^(٣)، قال: وفي نهج البلاغة: إنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه^(٤)، قال (عليه السّلام): يقول ولا يلفظ، ويريد ولا يضر^(٥)، وقال: يريد بلا همّة^(٦).

وفي مجمع البيان: «إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» التقدير أن يكونه فيكون، فعبر عن هذا المعنى بكن لأنّه أبلغ فيما يراد وليس هنا قول، وقيل: إنّ المعنى إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول من أجله كن فيكون، فعبر عن هذا المعنى بكن، وقيل: إنّ هذا إنّما هو في التحويل، نحو قوله: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾^(٧) و﴿كونوا حجارة أو حديداً﴾^(٨) وما أشبه ذلك^(٩).

أقول: ويمكن أن يكون هناك قول ومخاطب، وذلك إمّا بأن يقال إنّ لكلّ شيء إمكاناً مخصوصاً به لتفاوت الإمكانيات بالأشرفيّة وغير الأشرفيّة، فيمكن أن يخاطب الله تعالى إمكان كلّ شيء بقوله: «كن» أي صر كوناً، أو أنّ في لوح

(١) الكشف ١: ١٨١ / سورة البقرة.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٢٦٢ / سورة يس.

(٣) عيون الأخبار ١: ٣٦٧ ح ١٦٣، مجلسه (عليه السّلام) مع أهل الأديان، البحار ١٠: ٣١٤، الصافي ٤: ٢٦٢.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٦، تفسير كنز الدقائق ١١: ١٠٤، البحار ٤: ٢٥٥، الصافي ٤: ٢٦٢.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٦، تفسير كنز الدقائق ١١: ١٠٤، البحار ٤: ٢٥٤، الصافي ٤: ٢٦٢.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٩، تفسير كنز الدقائق ١١: ١٠٤، البحار ٤: ٥٢ ح ٢٩.

(٧) البقرة: ٦٥.

(٨) الاسراء: ٥٠.

(٩) مجمع البيان / سورة يس، آية: ٨٢.

الإمكان صوراً علميّة غير متناهية، ولكلّ شيء يدخل في الوجود في أيّ زمن كان صورة مخصوصة به هناك، فيمكن أن يخاطب الله لتلك الصورة عند خلقه بقوله: (كن، فيكون) ويشير إلى هذا ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله): إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمه ثمّ رش عليهم من نور الوجود، فتكوّنوا فظهروا^(١).

فيكون الخلق هنا بمعنى التصوير والتقدير، ويجعل الإمكان لكونه الصلوح المجرد عن الوجود ظلمة ساترة لكلّ موجود، فالتكوين يحصل بإخراج الشيء عن ظلمة العدم من جهة إفاضة نور الوجود، فيكون ويتحقق حينئذ الأمر والمخاطب في قوله تعالى: ﴿كن فيكون﴾، ويستغني عن التكاليف التي ارتكبتها الأكثرون في هذا المقام الذي هو من مزال الأقدام.

والمكان هو موضع كون الشيء، وكون الشيء هو حدوثه ووقوعه، وهو بهذا المعنى تامّ لا يحتاج إلى الخبر، تقول: كان الأمر كذا، وأنا أعرفه مذ كان.

قال الجوهري: وتقول: كان كوناً وكيونة أيضاً تشبيهاً بحيدودة والطيورة من ذوات الياء، ولم يجئ من الواو على هذا إلا أحرف: كيونة، وهيوعه، وديمومة، وقيدودة، والأصل في كيونة كيّونة - بتشديد الياء - فحذفوا إحدى اليائين كما حذفوها من هيّن وميّت، ولولا ذلك لقالوا: كونونة^(٢).

والقدرة مصدر من قولك: قدرت على الشيء قدرة - من باب ضرب - إذا قويت عليه وتمكّنت منه، وهي تستعمل إسم مصدر أيضاً، والفاعل قدير وقادر وفي الأوّل دلالة على المبالغة، والشيء مقدور عليه.

وأصل القدرة هو أنّ الفاعل إن شاء فعل وإن شاء ترك، وهي بالنسبة إلى طرفي الفعل وعدمه متساوية، وإلا لكان وجوباً أو امتناعاً، والغالب تعليقها على المعدوم الممكن، بل قيل: إنها لا تتعلّق بالموجود أصلاً، لأنّ القدرة على الشيء أنّه إن شاء فعله أي أحدثه وآلا فلا، والشيء لو تعلّق به القدرة بعد الوجود لزم تحصيل

(١) مسند أحمد ٢: ٣٦٩ ح ٦٦٠٦، وتفسير صدر المتألهين ٢: ٣١٢.

(٢) الصحاح ٦: ٢١٩/كون.

الحاصل، ولذا قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي على كل شيء معدوم ممكن الوجود.

والحق أن القدرة كما تتعلّق بالمعدوم الممكن باعتبار إبقائه على عدمه، أو إخراجه من عدم إلى الوجود كما هو الغالب، فكذا تتعلّق على الموجود الممكن باعتبار إبقائه على حال وجوده أو إخراجه من الوجود إلى عدم.

وأما اعتبار كونه ممكناً فلأن الإرادة التي لا تفعل القدرة، ولا تؤثر إلّا بها لا تتعلّق بالمستحيل إلّا للعجز عنه، بل لعدم قابلية نفس المستحيل للوجود، فإن الشيء إذا كان له قابلية الوجود ولم تتعلّق القدرة به فهو عجز، لأن العجز عدم القدرة على ما من شأنه القدرة عليه، نظير العمى فإنّه عدم البصر عمّا من شأنه البصر، فكما لا يطلق على الجدار أنّه أعمى، فكذا لا يطلق على المستحيل أنّه معجوز عنه، فإنّه ليس بموضوع للقدرة والعجز، كما أن الموجود قبل وجوده ليس بموضوع للجبر والإختيار.

وفي حديث هشام بن الحكم مع عبد الله أبي شاعر الديصاني، عن الصادق (عليه السلام) وقد سأله أن الله قادر أن يدخل الدنيا كلّها بالبيضة، لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة، فأجابه بما حاصله عدم امتناع ذلك في القدرة ممثلاً باجتماع الدنيا كلّها في إنسان العين، حيث أنّه إذا نظر إلى الدنيا رأى السماء، والهواء، والأرض، والجبال، والبراري، والقفار، والصحاري، والأشجار، والأنهار، والظلم، والأنوار، مع أنّه بقدر الحمصة، فإنسان العين لم يكبر والدنيا لم تصغر^(١).

قيل: وكأنّه جواب إقناعي يقنع به السائل ويسكت، ويكتفي به ويرتضيه، وإلّا فما ذكره من الأمور المستحيلة الممتنعة في ذاتها، الممتنعة الوجود في الخارج في جميع حالاتها.

والتحقيق ما أجاب به عليّ (عليه السلام) حين سئل عن ذلك وقال: إنّ الله

(١) التوحيد للصدوق: ١٢٢ ح ١ باب القدرة، عنه البحار ٤: ١٤٠ ح ٧.

تعالى لا يوصف بالعجز، ولكن الذي سألتني عنه لا يجوز -أولا يكون- ومن أقدر ممن يلفظ الدنيا ويعظم البيضة^(١).

ولما كان يحصل من فعل القادر للأمر المقدور عليه صورة وحالة فيه، أطلق القدر -بالتحريك- على تلك الحالة، فيكون إسماً كما يكون مصدراً أيضاً نظير المقدور -بالفتح فالسكون-، والتقدير جعل قَدْرٍ وقَدْرٍ للشيء، وفي الخبر: إن الله تعالى قَدَّرَ التقادير، ودَبَّرَ التدابير^(٢).

والقدر -بالتحريك- ما قَدَّرَهُ الله أيضاً، وهو أخو القضاء، وكلّ منهما من جملة المراتب الستة اللازمة في تكوين كلّ مكُون كما سيذكر، وفي الخبر: سُئِلَ عن القدر فقال (عليه السلام): طريق مظلم فلا تسلكوه، وبحر عميق فلا تلجوه^(٣). وفي مسألة القضاء والقدر أبحاث مفصلة لا تليق بالمقام، مع أنّ سدّ باب البحث عنهما بالمرّة أولى للخواص والعوام.

قولها (عليها السلام): «وذراها بمشيئته...».

الذرة: الخلق من قوله تعالى: ﴿هو الذي ذرأكم﴾^(٤) من باب منع أي خلقكم ويذرأكم أي يخلقكم، وقوله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس﴾^(٥) أي خلقناهم لجهنم أي على أن مصيرهم إلى جهنم بسوء اختيارهم، وهم الذين علم الله أن لا لطف لهم، وفي الخبر: هم ذرة النار^(٦)، أي خلقوا لها. والذريّة -مثلثة- إسم لنسل الإنسان مطلقاً من ذكر وأنثى كالأولاد وأولاد

(١) التوحيد: ١٣٠ ح ١٠ باب القدرة، عنه البحار ٤: ١٤٣ ح ١١.

(٢) التوحيد: ٣٧٦ ح ٢٢، وعيون الأخبار ١: ٣١٨ ح ١٥٠، ما جاء عنه (عليه السلام) من الأخبار بالتوحيد، وصحيفة الرضا (عليه السلام): ١٥١ ح ٨٩، البحار ٥: ٩٣ ح ١٢، ومختصر بصائر الدرجات: ١٣٧.

(٣) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٨٧، عنه البحار ٥: ١٢٤ ح ٧٢، ونحوه الاعتقادات: ١٤.

(٤) المؤمنون: ٧٩.

(٥) الأعراف: ١٧٩.

(٦) النهاية ٢: ١٥٦، ولسان العرب ٥: ٢٩ / ذراً.

الأولاد، وأصلها الهمزة لأنها فعולה من ذرأ الله الخلق أي خلقهم، وقيل: أصلها ضرورة فعلولة من الذر بمعنى التفريق، لأن الله تعالى ذرهم في الأرض أي فرّقهم، ولثقل التضعيف أبدلوا الراء الأخيرة ياء، ثم أعلّ البنية فصارت ذرّية، ويمكن أن يكون اشتقاقها من الذر بمعنى النمل، أو مفرد ذرات الشمس، أو الذر بمعنى النقطة، أو الجزء الغير المتجزّي.

والمشيّة مصدر قولك: شاء يشاء، وأصلها مشيئة - بالهمزة - وهي المرتبة الثانية من المراتب الستة اللازمة في تكوين كلّ شيء كما أشير إليه آنفاً، وهي: العلم، والمشيّة، والإرادة، والقدر، والقضاء، والإمضاء التي سمّيت بستة أيّام في قوله تعالى: ﴿خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيّام﴾^(١) على وجه من وجوه المعاني في الآية الشريفة.

وأصل المشيّة هو تأكّد العلم والإرادة تأكّد المشيّة، ولا يكون شيء من الأشياء إلّا بهذه، وقد تُطلق المشيّة على الإرادة، وفي الخبر: «خلق الله الأشياء بالمشيّة والمشيّة بنفسها»^(٢) أي بلا واسطة أخرى غير نفسها، والظاهر أنّ المراد من المشيّة فيه هو الإرادة، والأولى فيهما أن يجعلاه من باب إذا اجتماعاً إفتراقاً وإذا افتراقاً اجتماعاً.

وفي الخبر في التوحيد وغيره: إنّ الله تعالى إرادتين ومشيتين، إرادة حتم وإرادة عزم، وكذلك المشيّة، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء، نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء أن يأكلا، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت إرادتهما مشيّة الله، وأمر إبراهيم أن يذبح إسماعيل ولم يشأ أن يذبحه، ولو شاء لما غلبت مشيّة إبراهيم مشيّه تعالى^(٣).

وفيه أيضاً: أمر الله ولم يشأ، وشاء ولم يأمر، أمر إبليس أن يسجد لآدم وشاء

(١) الفرقان: ٥٩.

(٢) الكافي ١: ١١٠ ح ٤، عنه البحار ٥٧: ٥٦.

(٣) التوحيد: ٦٤ ح ١٨، عنه البحار ٤: ١٣٩ ح ٥، والكافي ١: ١٥١ ح ٤، وتفسير كنز الدقائق ١: ٣٦٤.

أن لا يسجد، ولو شاء لسجد، ونهى آدم عن أكل الشجرة وشاء أن يأكل منها، ولو لم يشأ لم يأكل^(١).

والحتم أن يعطي الله الشيء ويريد منه بقدر اقتضاء قابليته واستعداده، والعزم أن يحكم فيه لقدرته المطلقة بلا لحاظ الاستعداد والقابلية، ويمكن العكس كما قيل به أيضاً.

والظاهر عندي هو الأصل لا العكس، وعلى ذلك يتنى توجيه الأجل الحتمي والأجل المعلق، وإن كان المعلق أيضاً يرجع في الحقيقة إلى الحتمي كما هو الحق المحقق.

والحاجة: الإحتياج، يقال: حاج الرجل يحوج إذا احتاج، وكذلك أحوج فهو محوج، قال في المصباح: وقياس جمعه بالواو والنون لأنه صفة، والناس يقولون: محاويج مثل مفاطير ومفالس، وبعضهم ينكره ويقول: هو غير مسموع، ويستعمل أحوج متعدياً أيضاً، يقال: أحوجه الله إلى كذا^(٢).

والحاجة كما تستعمل مصدرأ تستعمل إسم مصدر، كما أنها تستعمل إسمأ أيضاً بمعنى الشيء المحتاج إليه، وبمعنى مطلق المقصود لما فيه من جهة الحاجة، وتكرر في الحديث: «من لم يفعل كذا فليس لله فيه حاجة»، والحاجة فيه مصدرأ أو إسم مصدر، وهو كناية عن التخلي عنه، وعدم الالتفات إليه بالرأفة والرحمة.

وجمع الحاجة حاج وحاجات وحوج وحوائج على غير قياس كأنه جمع حائجة، وكان الأصمعي ينكره ويقول هو مولد^(٣)، قيل: وإنما أنكره لخروجه عن القياس وإلا فهو كثير في كلام العرب.

والحوجاء أيضاً الحاجة، يقال: مالي فيك حوجاء ولا لوجاء، قال ابن السكيت^(٤): كلّمته فمارد عليّ حوجاء ولا لوجاء، وهذا كقولهم: فما ردّ عليّ

(١) الكافي ١: ١٥٠ ح ٣، وتفسير كنز الدقائق ١: ٣٦٤.

(٢) المصباح المنير: ١٥٥ / الحاجة.

(٣) راجع لسان العرب ٣: ٢٧٩ / حوج.

(٤) راجع الصحاح ١: ٢٠٨ / حوج.

سوداء ولا بيضاء، أي كلمة قبيحة ولا حسنة.

والفائدة: الزيادة تحصل للشخص، وهي إسم فاعل من قولك: فادت له فائدة فيدأ - من باب باع - إذا حصلت وزادت، وأفدته مالاً: أعطيته، وأفدت منه مالاً: أخذته بمعنى استفدت، قيل: وكرهوا أن يقال: أفاد بمعنى استفاد، وإن كان بعض العرب يقول:

نَاقَتُهُ تَزْرُمُ فِي النُّقَالِ مُهْلِكُ مَالٍ وَمُفِيدُ مَالٍ
هذا ولكن الظاهر أن المعنى مهلك مال على صاحبه ومفيد مال له، فالمفيد هنا متعدي لا لازم بمعنى مستفيد.

والتصوير: إنشاء الصورة أي إحداث الشكل والهيئة، وتصوير الشيء تمثيله، والتساوير التماثيل، وفي الخبر: «إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة»^(١). وهو إما لكون عملها مضاهياً لخلق الله، أو لأن حفظ الصورة في البيت تشبه بعبد الأصنام، أو المراد من الصورة صورة ما كانوا يعبدون من دون الله، أو لاحتمال أداء حفظ الصورة إلى عبادة الصور، أو لكونه موجباً للإشتغال عن ذكر الله تعالى ونحو ذلك.

وحديث (إن الله خلق آدم على صورته) معروف، وله توجيهات مشهورة في مجمع البحرين وأنوار السيد الجزائري^(٢) وغيرهما، وقد استوفينا ما يحتمل في معناه بما لا مزيد عليه في كتابنا المسمى بـ «الأصول المهمة» حتى أنهيناها إلى ما يقرب من عشرين وجهاً.

وقد تطلق الصورة ويراد بها الصفة، كقولهم: صورة الأمر كذا أي صفته، ومنه صورة المسألة كذا أي صفتها، وليس ذلك بمراد هنا، وتصورت الشيء مثلت صورته وشكله في الذهن، والمصور من أسماء الله تعالى، وهو الذي صور صور جميع الموجودات وربتها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة، يتميز

(١) مستدرک الوسائل ٣: ٤٥٣ ح ٣٩٧٤، عن درر الآلي.

(٢) مجمع البحرين / صور، والأنوار النعمانية ١: ٢٣٣.

بها الأشياء بعضها عن بعض على اختلافها وكثرتها.

وقد يُراد من التصوير الخلق والايجاد إنتقالاً من اللازم إلى الملزوم، ويمكن أن يكون المراد من التصوير هنا هذا المعنى، أي إيجاد المادّة مع الصورة، كما يمكن أن يُراد أصل المعنى أي إحداث نفس الصورة بعد خلق المواد المطلقة أولاً ثمّ تقييدها بالصور المقيّدة.

والتبيين بمعنى الإظهار من بان يبين بياناً إذا ظهر واتضح، ومنه سلطان بين أي واضح، ومنه البيان أيضاً لما يبين به الشيء من الدلالة وغيرها، كما يُطلق على المنطق الفصيح العرب عمّا في الضمير.

و﴿الرحمن﴾ علم القرآن ﴿خلق الإنسان﴾ علمه البيان^(١) قيل: أي فصل ما بين الأشياء، أو المنطق الفصيح، أو المراد من الإنسان آدم (عليه السلام)، والبيان هي اللغات المختلفة، أو أسماء كلّ شيء، أو الإنسان محمّد (صلّى الله عليه وآله)، والبيان ما كان وما يكون.

والبيان: الفصاحة واللّسن، وفلان أبين من فلان أي أفصح، وفي الحديث: «إنّ من البيان لسحراً»^(٢) أو «إنّ من الشعر لحكمة»^(٣)، وتبين الشيء إذا ظهر وتجلّى، وأبان الشيء إبانة وبيّنة تبييناً أظهره، والتبيان جعل الشيء مبيّناً بالحجة كالتبيين، وهو بالكسر من المصادر الشاذّة.

قال الجوهري: لأنّ المصادر من هذا الوزن إنّما تجيء على وزن التفعال -بفتح التاء- كال تكرار والتذكّار، ولم يجئ بالكسر إلّا حرفان هما التبيان والتلقاء^(٤). وقد يجيء أبان وبيّن بمعنى بان وتبين، قال تعالى: ﴿لا تعبدوا الشيطان إنّّه لكم عدوّ مبين﴾^(٥) أي واضح بين، أو هو بمعنى مظهر العداوة، و﴿إذا هي ثعبان

(١) الرحمن: ١-٤.

(٢) البحار ١: ٢١٨ ح ٣٩.

(٣) البحار ٧٩: ٢٩٠ ح ٥.

(٤) الصحاح ٥: ٢٠٨٣ / بين.

(٥) يس: ٦٠.

مبين^(١) أي واضح بين، ﴿أن يأتين بفاحشة مبينة﴾^(٢) أي واضح، (قد بين الصبح لذي عينين) أي تبين، وأصله من قول علي (عليه السلام) في آخر خبر اشتراء شريح القاضي ولداً بالكوفة حيث قال (عليه السلام):

قد بين الحق لذي عينين إن الرحيل أحد اليومين
تزوّدوا من صالح الأعمال وقربوا الآمال بالآجال
ونظير أبان الأمر وأبانه إستبان الأمر واستبانته، ومن هذه المادة البين للفراق
والفصل بين الشيئين بالبعد الظاهري، وأمّا المعنوي فبالواو، يقال: بين الأمرين
بون بعيد، ووقع البين بين الحببين.

والحكمة: وضع كل شيء في موضعه المناسب له، وهو ينشأ من العلم ونحوه،
ولذا قد تطلق على العلم، وبه فُسّر قوله تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً
كثيراً﴾^(٣) أي العلم، ويوفّق للعمل أيضاً، وفُسّر بالقرآن والفقه أيضاً والمراد
علمهما، قيل: أو المراد فهم المعاني المانع عن الجهل، أو معرفة الإمام وطاعة الله،
أو صلاح أمور الآخرة والدنيا من المعارف والعلوم.

وقيل: الحكمة هي العلم الذي يرفع الإنسان عن فعل القبيح، مستعارة من
حكمة اللجام بمناسبة المنع عن الإفراط والتفريط، ويحتمل كون الإشتقاق
بالعكس بأن تكون كلمة اللجام مأخوذة من الحكمة.

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾^(٤) أي الفهم والعقل، وفلان صاحب حكمة إذا كان
متقناً للأمر، والحكمة علم الشريعة أيضاً، و﴿إن من الشعر لحكمة﴾ أي كلاماً
نافعاً كالمواعظ والأمثال.

وقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتبي

(١) الأعراف: ١٠٧.

(٢) النساء: ١٩.

(٣) البقرة: ٢٦٩.

(٤) لقمان: ١٢.

هي أحسن ﴿^(١)﴾ قيل: الحكمة النبوة، والموعظة الحسنة القرآن، والمجادلة هو الاستدلال بالقواعد الميزانية.

وقيل: المراد بالحكمة المقالة المحكمة الصحيحة، الموضحة للحق، المزيحة للشبهة، وهذا للخواص، والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة، والعبر النافعة التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتنفعهم فيها، وهذا للعوام، والمجادلة بالتي هي أحسن أي المجادلة بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة، وهذا للمعاندین والجاحدين ﴿^(٢)﴾، وقيل: الحكمة بيان كيفية الوجود، وإنّ حكمة وضع الأشياء تقتضي مدبراً كذا وكذا.

والموعظة الحسنة مثل وقولك للكفار والملحدین: إن كان الأمر كما تقولون من عدم البعث والنشر فنحن وأنتم سواء، وإن كان كما نقول فقد نجينا وهلكتم. والحاصل إراءة سبيل الإحتياط، والأمر بسلوكه، والمجادلة بالتي هي أحسن، قال الصادق (عليه السلام): هي مثل قوله تعالى: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ ﴿^(٣)﴾ في جواب من قال: «من يحيي العظام وهي رميم».

وبغير التي هي أحسن أن تجادل مبطلاً، فيورد عليك باطلاً فلا تردّه بحجة قد نصبها الله، ولكن تجحد حقاً يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله، فتجحد ذلك الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجة لا تدري كيف المخلص منه، فيقوى حينئذٍ اعتقاد المبطل ويضعف اعتقاد ضعفاء أهل الحق.

وقيل: المراد بدليل الحكمه الدليل الذوقي العياني، ومنشأ الفؤاد الذي هو أعلى مشاعر الإنسان، والموعظة الحسنة تعلم الطريقة وتهذيب الأخلاق ومنشأ العقل، ودليل المجادلة هو الأدلة الظاهرية العلمية ومنشأها النفس. والحكيم من أسماء الله تعالى فعيل من الحكمة، أو هو بمعنى المحكم من

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) في المتن المجاهدين، وما أثبتناه هو الأنسب.

(٣) يس: ٧٩.

الاحكام لأنّه يحكم الأشياء ويتقنها بجعلها في موضعها للعلم بأوضاعها وحالاتها، ويقال لمن يُحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم.

والحكمة أيضاً معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والحكمة العمليّة مالها تعلّق بالعمل كالطب، والحكمة العلميّة مالها تعلّق بالعلم، كالعلم بأحوال أصول الموجودات الثمانية: الواجب، والعقل، والنفس، والهيولى، والصورة، والجسم، والمادة، ورسموا الحكمة العلميّة أيضاً بأنّه العلم بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشريّة على مقتضى القوانين العقلية.

وأما علم الكلام فهو ذلك لكن بمقتضى القوانين الشرعيّة، ولذا رسم بأنّه العلم الباحث عن أحوال المبدأ والمعاد على نهج قانون الإسلام.

والحكماء المشهورون السابقون - على ما قال شيخنا البهائي (رحمه الله) - أحد عشر حكيماً، ومنهم انتشر أهل العلم، وهم أساطين الحكمة، إفلاطون في الإلهيات، أبرخس بطليموس في الرصد والهيئة، والمجسطي بقراط وجالينوس وذو مقرط في الطب، أرسميدس وإقليدس وبليينوس في الرياضي، وإرسطاطاليس في الطبيعي والمنطق، سقراط وفيثاغورس في الأخلاق.

قولها (عليها السلام): «وتنبهها على طاعته، وإظهاراً لقدرته».

التنبيه من نَبَهَ للأمر نبهاً - من باب تعب - ونبه من نومه نبهاً، ويُعدّى بالهمزة والتضعيف فيقال: أنبهته من نومه ونبّهته فأنبّه، ونبّهته على الشيء أوقفته عليه.

والفقرة إشارة إلى قوله (صلّى الله عليه وآله): «الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا»^(١) جعل غفلتهم عن الحيّ القيوم نوماً أو بمنزلة النوم، فهم عن طاعة ربّهم نائمون، وعن عبادة إلههم ساهون، وعن ذكره تعالى غافلون، وبمعرفة جاهلون، فإذا رأوا آيات الله سبحانه انتبهوا عن نومة الذهول، وتيقّظوا عن رقدة الغفلة، فإنّ ذوي العقول والحبى يتنبّهون بمشاهدة مصنوعات تعالى على أنّ شكر خالقها والمنعم بها واجب، وأداء فرض حقّه فرض لازم، وقرض لازم.

(١) البحار ٤: ٤٢ ح ١٨، وتفسير صدر المتألهين ٢: ٥.

أو أن خالقها وصانعها مستحق للطاعة والعبادة، أو أن من قدر عليها قدر على الانتقام والإعادة ونحو ذلك من الأمور اللازمة التي ينبغي التنبيه لها، والإستيقاظ إليها لتحصيل المعرفة، والعبادة، والعلم، والزهادة، والرغبة، والرغبة، والرجاء، والخشية.

والطاعة من قولهم: أطاعه إطاعةً أي إنقاد له، وأطاعه طوعاً - من باب قال - لغة، ويعديّه بعضهم بالحرف فيقول: طاع له، ونقل من باب باع وخاف أيضاً، والطاعة إسم منه.

وفي الخبر: (لا طاعة في معصية الله)^(١) يريد طاعة ولاية الأمر إذا أمروا بما فيه معصية كالقتل والقطع، أو المراد أن الطاعة لا تسلم لصاحبها ولا تخلص إذا كانت مشوبة بالمعصية، وإنما تصحّ الطاعة مع اجتناب المعاصي، والأوّل أشبه لما في خبر آخر: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)^(٢).

وفلان طوع يديك أي منقاد لك كأنه مصدر بمعنى الفاعل، وفرس طوع العنان إذا كان سلساً، ولسانه لا يطوع بكذا طوعاً أي لا يتابعه، والتطوع بالشيء التبرّع به، والفاعل من أطاع: مطيع، ومن طاع: طائع، ﴿فطوّعت له نفسه قتل أخيه﴾^(٣) أي سهّلت أو شجّعت ونحو ذلك، ولا يكون الطاعة إلّا عن أمر، كما لا يكون الجواب إلّا عن قول.

والتعبّد من قولهم تعبّدوا واستعبده أي جعله كالعبد أو اتخذّه عبداً، وكلاهما هنا صحيح، ويقال: عبده إذا أطاعه، ومنه قوله تعالى: ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾^(٤) و﴿لا تعبدوا الشيطان إنّه لكم عدو مبين﴾^(٥)، وفي الخبر: (من أصغى إلى ناطق

(١) نحوه الخصال: ١٢٩ ح ١٥٨ باب ٣، عنه البحار ٧٥: ٣٢٨ ح ٨.

(٢) الخصال: ١٣٩ ح ١٥٨ باب الثلاثة، عنه البحار ٧٥: ٣٢٧ ح ٨.

(٣) المائدة: ٣٠.

(٤) سبأ: ٤١.

(٥) يس: ٦٠.

فقد عبده^(١).

وأصل العبد خلاف الحرّ مشتقّ من العبادة، أو العبادة مأخوذة منه، وهي بمعنى غاية الخضوع والتذلل، وهي لا تحسن إلّا الله الذي هو مولى جميع النعم صغيرة أو كبيرة، فهو حقيق لغاية الشكر، والإطلاق في عابد الوثن ونحوه مجازي بملاحظة التشبّه الصوري.

والفقرة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون﴾^(٢) أي لأجل العبادة المستلزمة للمعرفة أيضاً، إذ لا معنى للعبادة بدون المعرفة، ولذا فُسّر قوله تعالى: ﴿ليعبدون﴾ بنحو ليعرفون أيضاً، إذ الغرض في خلقهم تعريضهم للثواب، وتبعيدهم عن العقاب، ولا يحصل ذلك إلّا بأداء العبادات، وسلوك طريق القربات.

والتعبّد التّسكّ أيضاً، ومنه قوله (عليه السّلام): (سجدت لك تعبّداً ورقاً)^(٣) والتعبّد الدوام على العبادة، ومنه العابد المتعبّد للعابد الدائم على العبادة، ولا يصحّ هذا المعنى هنا إلّا على القول بأنّ المفعول لأجله يجوز أن يكون فعلاً لغير فاعل الفعل المعلّل به، كما ذكره نجم الأئمة واستشهد عليه بقول عليّ (عليه السّلام) في نهج البلاغة في إبليس: (فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة، واستتماماً للبليّة، وإنجازاً للعدة)^(٤)، ويمكن تأويله بحيث لا يستلزم التفكيك بين فقرات الخطبة.

وقال المحقق الطوسي في الأخلاق الناصريّة: عبادة الله تعالى ثلاثة أنواع: الأوّل ما يجب على الأبدان كالعبادات البدنيّة، الثاني ما يجب على النفوس كالإعتقادات الصحيحة في أصول المعرفة، الثالث ما يجب عند مشاركة الناس في

(١) تحف العقول: ٣٣٩، عنه البحار ٢: ٩٤ ح ٣٠، أنظر أيضاً عيون أخبار الرضا (عليه السّلام) ١: ٥٦٢ ح ٢٨٥.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) الكافي ٣: ٣٢٨ ح ٢٣، عنه البحار ٨٥: ١٧٩ ح ١٤، والوسائل ٤: ٨٨٤ ح ١.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ١، والبحار ١١: ١٢٢ ح ٥٦.

المدن، وهي المعاملات، وتأدية الأمانات، ونصح البعض لبعض بضروب المعاونات. لكن الحق أن يقال: الأول العبادة البدنية بالعمل بالفروع الشرعية، الثاني العبادة النفسية بتهديب الأخلاق والإتصاف بالصفات المرضية، والثالث العبادة العقلية بتهديب العلم وتحصيل المعرفة في الإعتقادات الدينية الأصولية، ويقال للعلوم المتكفلة لأبحاثها: علم الشريعة، وعلم الطريقة، وعلم الحقيقة على طريق اللف والنشر المرتب، فتأمل.

وفي الخبر: إن حقيقة العبودية ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً كالعبد، بل يرى المال مال الله يضعه حيث أمره الله، وأن لا يدبر العبد لنفسه تدبيراً بل يرى تدبيره بيد الله، وأن يجعل جملة اشتغاله فيما أمر الله ونهاه عنه، فعلى الأول يهون عليه الانفاق، وعلى الثاني تهون عليه مصائب الدنيا، وعلى الثالث لا يتفرغ عنه إلى المراء والمباهاة^(١).

وإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاث هانت عليه الدنيا ومصائبها، ولا يطلبها تفاخراً وتكاثراً، ولا يطلب عند الناس عزاً وعلواً، ولا يدع أيامه باطلة، فهذا أول درجات المتقين.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ السورة^(٢)، قيل: أي لا أعبد آلهتكم التي تعبدونها اليوم وفي هذه الحال، (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي إلهي الذي أعبدته اليوم وفي هذه الحال، (ولا أنا عباد ما عبدتم) أي فيما بعد اليوم، (ولا أنتم عابدون ما أعبد) بعد اليوم من الأوقات المستقبلية.

قال الزجاج: نفى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه في الحال وفيما يستقبل، وكذا عبادة الله بالنسبة.

وفي الحديث: سئل أبو جعفر الأحول عن مثل هذا القول وتكراره مرة بعد مرة، فلم يكن جواب عند أبي جعفر الأحول في ذلك بشيء حتى دخل المدينة،

(١) البحار ١: ٢٢٥ ح ١٧.

(٢) الكافرون: ١-٢.

فسأل أبا عبد الله (عليه السلام) فقال: كان سبب نزولها وتكرارها أن قريشاً أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقالوا: تعبد آلَهِتاً سنةً ونعبد إلهك سنةً، وتعبد آلَهِتاً سنةً وتعبد إلهك سنةً.

فأجابهم الله تعالى بمثل ما قالوا، فقال فيما قالوا تعبد آلَهِتاً سنةً: (قل يا أيُّها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) وفيما قالوا نعبد إلهك سنةً: (ولا أنتم عابدون ما أعبد) وهكذا الفقرتان الأخيرتان، فرجع الأحوال إلى أبي شاعر فأخبره بذلك، فقال أبو شاعر نافعياً لكون هذا الكلام من الأحوال: حملته الأبل من الحجاز^(١).

وفي حديث هشام بن سالم عن الصادق (عليه السلام): إذا قلت (لا أعبد ما تعبدون) فقل: ولكني أعبد الله مخلصاً له ديني، فإذا فرغت منها فقل: ديني الإسلام - ثلاثاً -^(٢).

والبرية: الخلق بمعنى الخليقة، ومنه إطلاق خير البرية على النبي وآله أي خير الخلق والخليقة، وكذا قوله تعالى: ﴿أولئك هم خير البرية﴾^(٣) وعن ابن عباس: أنها نزلت في عليّ (عليه السلام) وأهل بيته^(٤).

وفي الخبر عن عليّ (عليه السلام) قال: قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا مسنده إلى صدري، فقال (صلى الله عليه وآله): يا علي ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ هم شيعتك، وموعدي وموعذك الحوض إذا جُمعت الأمم للحساب يدعون غرّاً محجّلين^(٥).

(١) تفسير القمي ٢: ٤٤٥، عنه البحار ٩٢: ٣٤٠ ح ٤، وتفسير الصافي ٥: ٣٨٥، وتفسير كنز الدقائق ١٤: ٤٧٤.

(٢) مجمع البيان، سورة الكافرون، وتفسير كنز الدقائق ١٤: ٤٧٣.

(٣) البينة: ٧.

(٤) مجمع البيان / سورة البينة.

(٥) شواهد التنزيل ٢: ٤٥٩ ح ١١٢٥، الدر المنثور ٨: ٥٨٩، كفاية الطالب: ٢٤٦، المناقب للخوارزمي:

٢٦٥ ح ٢٤٧، كشف الغمة ١: ٣٢٢، الصواعق: ١٦١، ينابيع المودة ٢: ٣٥٧ ح ٢١.

وأصل البرية من قولهم: برأ الله الأشياء أي خلقها فهو بارئها وخالقها، وأصلها بريئة فعيلة بمعنى مفعولة، ويجمع على البرايا والبريات، وقال الجوهرى^(١): وقد تركت العرب همزتها أي قلبها ياء وأدغمت، وفي قول الفراء: إن أخذت البرية من البري بمعنى التراب لخلق آدم منه، فأصلها غير الهمز.

وفي حديث علي بن الحسين (عليه السلام): «اللهم صل على محمد وآل محمد عدد الثرى، والورى، والبرى» أي التراب.

وفي المجمع: هو الله الخالق البارئ المصور، قيل: الخالق المقدر لما يوجده، والبارئ المميز بعضهم عن بعض بالأشكال المختلفة، والمصور الممثل، ثم قال: والبارئ إسم من أسمائه تعالى، وفُسر بالذي خلق الخلق من غير مثال، وعن بعض هو الذي خلقها من غير مادة، فعلى هذا يجوز أن يكون البرية بمعنى المخلوق من غير مثال ولا مادة أيضاً^(٢).

قولها (عليها السلام): «إعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته».

الإعزاز: الإكرام أو التقوية، أو جعل الشيء عزيزاً غالباً، من العزّ بمعنى الكرامة بعد الذلة، أو القوة بعد الضعف، أو بمعنى الغلبة بعد المغلوبيّة، يقال: عزّ الشيء يعزّ عزاً - من باب ضرب - إذا كرم أو قوى أو غلب، وأعزه الله إعزازاً أي أكرمه أو قواه أو غلبه.

وقوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾^(٣) يخفف ويشدّد أي قوينا وشددنا، وقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾^(٤) أي شديد عليه يغلب صبره.

والإسم: العزة بمعنى الغلبة والقوة والكرامة أيضاً، وعن الشيء أيضاً إذا قلّ

(١) الصحاح ٦: ٢٢٧٩ / برا.

(٢) مجمع البحرين / برا.

(٣) يس: ١٤.

(٤) التوبة: ١٢٨.

بحيث لا يكاد يوجد فهو عزيز الوجود، وأصله من المعنى السابق أيضاً، فإن الشيء كلما قل صار ذا عزّة وكرامة، وإليه يشير قولهم: (كلّ شيء إذا كثّر رخص إلا العقل، فإنه إذا كثّر غلا) وعزّ عليّ كذا - من باب تعب - أي اشتدّ عليّ كذا.

ومنه قول الحسين (عليه السلام) يوم الطّف للقاسم بن الحسن حين وقف على رأسه بعد الشهادة: (يا ابن أخي يعزّ على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك)^(١).

ومن أسمائه تعالى العزيز أي الغالب القويّ الذي لا يغلب، قيل: والعزيز في لغة العرب الملك، والمعزّ أي الذي يهب العزّ لمن يشاء من عباده، ﴿قلّ اللهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء﴾^(٢).

والدعوة مصدر دعا يدعو دعاء ودعوة، وتطلق على ما يدعى به، وفي الدعاء: (اللهمّ ربّ الدعوة التامة)^(٣) أي النافعة أو الكاملة التي لا نقص فيها، أو المباركة الكثيرة الخير والبركة، والمراد بها أصول المعرفة التي دعا الله الناس إليها، وهي تستتب الدعوة الفروعية أيضاً، أو المراد بالدعوة أعمّ من الأصوليّة والفروعية التي دعا الله إليها بلسان الأنبياء، فهم يستدلّون عليها بخلق الأشياء، ويشتمل على كلّها كلمة الإسلام وكلمة التوحيد، كما هو واضح عند من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وفي الحديث: (أنا دعوة إبراهيم)^(٤) قيل: هي قوله تعالى حكاية عنه (عليه السلام): ﴿ربّ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريّتي﴾^(٥) وفي الخبر أنّها

(١) البحار ٤٥: ٦٧.

(٢) آل عمران: ٢٦.

(٣) الذكرى: ١٧٥ مسألة ١٤ في مستحبات الاذان، عنه البحار ٨٤: ١٨٢ ح ١٤.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٧٦، في الطهارة والرتبة، عنه البحار ٣٨: ٦٢ ح ١.

(٥) إبراهيم: ٤٠.

قوله (عليه السّلام): ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم﴾^(١) وفيه دعوة سليمان قوله (عليه السّلام): ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾^(٢). وفي الخبر: (رب أعوذ بك من دعوة الظلم) أي من الظلم لأنّه يترتب عليه دعوة المظلوم، وليس بينها وبين الله تعالى حجاب.

وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ صحف إبراهيم وموسى^(٣) عن أبي ذر أنّه سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه ما كان صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالا كلّها، وكان فيها: أيّها الملك المبتلى المغرور أنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكّني بعثتك لتردّ عني دعوة مظلوم، فإنّي لا أردّها وإن كانت من كافر.

وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً أن يكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكّر فيما صنع الله عزّ وجلّ إليه، وساعة يخلو فيها بحظّ نفسه من الحلال، فإنّ هذه الساعة عون لتلك الساعات واستجماع للقلوب، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسان، فإنّ من حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلّا فيما يعنيه، وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث: مرّة لمعاش، أو تزود لمعاد، أو تلذّذ في غير محرّم.

قال: قلت: يا رسول الله فما كانت صحف موسى (عليه السّلام)؟ قال (صلى الله عليه وآله): كانت عبراً كلّها، مثل: عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، ولمن أيقن بالنار كيف يضحك، ولمن يرى الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئنّ إليها، ولمن يؤمن بالقدر كيف ينصب، ولمن أيقن بالحساب ثمّ لا يعمل.

قلت: فهل في أيدينا ممّا أنزل الله عليك شيء ممّا كان في صحف إبراهيم

(١) البقرة: ١٢٩.

(٢) ص: ٣٥.

(٣) الأعلى: ١٨ - ١٩.

وموسى؟ قال: يا أبا ذر إقرأ: ﴿قد أفلح من تزكى﴾^(١) إلى آخر السورة، إنتهى^(٢). وما نقل من صحف موسى روي بأدنى تغيير في تفسير الكنز المذكور في قوله تعالى في قصة موسى مع الخضر: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً﴾^(٣) حيث روي عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن هذا الكنز، فقال: أما أنه ما كان ذهباً ولا فضة، وإنما كان أربع كلمات: لا إله إلا أنا، من أيقن بالموت لم يضحك سِنَّهُ، ومن أيقن بالحساب لم يفرح قلبه، ومن أيقن بالقدر لم يخش إلا الله^(٤).

وعن الرضا (عليه السلام): كان فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يركن إليها، وينبغي لمن عقل من الله أن لا يتهم الله في قضائه، ولا يستبطئه في رزقه^(٥)، وفيه روايات أخر أيضاً. وعن الصادق (عليه السلام): إن الله ليحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة، وإن الغلامين كان بينهما وبين أبويهما سبعمئة سنة^(٦).

وعنه (عليه السلام) أيضاً: لَمَّا أقام العالم الجدار أوحى الله إلى موسى: أني مجازي الأبناء بسعي الآباء إن خيراً فخير وإن شراً فشر، لا تزنوا فتزني نساءكم،

(١) الأعلى: ١٤.

(٢) الحصال: ٥٢٥ ح ١٣، معاني الأخبار: ٣٣٤ ح ١، عهما البحار ١٢: ٧١ ح ١٤، وتفسير كثر الدقائق ٢٤٣: ١٤.

(٣) الكهف: ٨٢.

(٤) تفسير العياشي ٢: ٣٣٨ ح ٦٦، عنه البحار ١٣: ٣١٢ ح ٥١، وفي الكافي ٢: ٥٨ ح ٦، وتفسير البرهان ٢: ٤٧٩، والصابي ٣: ٢٥٦، ونحو فقه الرضا (عليه السلام): ٣٧١ باب ١٠٢.

(٥) تفسير العياشي ٢: ٣٣٨ ح ٦٧، والكافي ٢: ٥٩ ح ٩، عنه البحار ٧٠: ١٥٦ ح ١٤، وفي قرب الاسناد: ٣٧٥ ح ١٣٣٠، والصابي ٣: ٢٥٧، والبرهان ٢: ٤٧٩، وكثر الدقائق ٨: ١٣١.

(٦) تفسير العياشي ٢: ٣٣٩ ح ٧٠، عنه البحار ١٣: ٣١٠ ح ٤٤، والبرهان ٢: ٤٧٨، والصابي ٣: ٢٥٧، وكثر الدقائق ٨: ١٣٣.

من وطأ فراش مسلم وطئ فراشه، كما تدين تدان^(١). ولا يخفى أنّ في مجازاة الأبناء بسعي الآباء خيراً وشرّاً إشكالاً مشهوراً في الألسنة، وله وجوه دفع مشهورة، مثل رضا الخلف بفعل السلف، أو لجعل ذلك عبرة للناس مع جزاء الأبناء بمثوبة لائقة في الآخرة لئلا يكون ظلماً في حقهم، إذ لا تزر وازرة وزر أخرى، أو لكون الأبناء في أصلاب الآباء حين كانوا، فأثر فيهم أفعالهم خيراً وشرّاً أو نحو ذلك، وليس المقام مقام تفصيل تلك المسألة.

والدعاء في أصل اللغة هي الدعوة المطلقة بطلب شيء من المدعو بأيّ نحو كان، كدعوة النبي (صلى الله عليه وآله) أمته إلى الإسلام ونحو ذلك، ثم جعل في العرف بمعنى الطلب القولي أو المطلق الصادر من السافل بالنسبة إلى العالي، كالأمر من العالي أو المستعلي، والسؤال من المساوي، فالطلب الحتمي الصادر من الله تعالى بالنسبة إلينا أمر، ومناً بالنسبة إليه تعالى دعاء، ومناً إلى أمثالنا في الشأن والمنزلة - ولو دنيوية صورية - سؤال.

والثواب: الجزاء في الخير والشرّ إلا أنّه غلب استعماله في الخير، وهو المراد هنا، وقوله تعالى: ﴿لمثوبة من عند الله خير﴾^(٢) أي ثواب الله خير ممّا هم فيه، وقوله تعالى: ﴿هل ثوب الكفار﴾^(٣) أي جوزوا بفعلهم.

والثواب في اصطلاح أهل الكلام هو النفع المستحق المقارن للتعظيم والإجلال، والمثابة: المنزل من ثاب إليه، لأنّ أهله يرجعون إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس﴾^(٤) أي مرجعاً ومجتمعاً، وفي حديث أمّ سلمة قالت لعائشة: إنّ عمود الدين لا يثاب بالنساء إن مال^(٥)، أي لا يعاد إلى استوائه، من

(١) الكافي ٥٥٣: ٢، عنه البحار ٢٩٦: ١٣، والصافي ٢٥٧: ٣، وكنز الدقائق ٨: ١٣١.

(٢) البقرة: ١٠٣.

(٣) المطففين: ٣٦.

(٤) البقرة: ١٢٥.

(٥) معاني الأخبار: ٣٧٦، والإحتجاج ١: ٣٩٢، عنه البحار ٣٢: ١٥١، ح ١٢٦، والنهاية ١: ٢٢٧، ولسان

العرب ٢: ١٤٧ / ثوب.

أثاب يثوب إذا رجع.

والتثويب في الصلاة هو قول العامة في أذان الصبح: (الصلاة خير من النوم) بعد قولهم: (حيّ على الصلاة) كأنّه رجوع إلى الأمر بالمبادرة إلى الصلاة، فإنّ المؤذّن إذا قال: (حيّ على الصلاة) فقد دعاهم إليها، فإذا قال بعده: (الصلاة خير من النوم) فقد رجع إلى كلام معناه طلب المبادرة إلى الصلاة.

وقيل: هو من التثويب بمعنى الدعوة، وأصله أن يجيء الرجل مستصرخاً فيلوح بثوبه ليرى ويشتهر، فسمّى الدعاء تثويباً لذلك فكلّ داع مثوّب، وقيل: بل المثوّب هو الداعي الذي يردّد صوته.

وقوله: (إذ الداعي المثوّب قال يالا) يحتمل كلا الوجهين، والأخير أولى لأنّ الإفادة خير من الإعادة، والأصل في الكلام التأسيس، وهو أولى من التأكيد، والتثويب أيضاً قول المحدث: الصلاة الصلاة، أو قامت قامت.

وما روي من أنّ النداء والتثويب في الإقامة من السنة فقد قيل فيه: ينبغي أن يراد بالتثويب هنا تكرار الشهادتين والتكبير - كما ذكره ابن إدريس^(١) - لا التثويب المشهور، وأمّا ما روي عنه (عليه السّلام) وقد سئل عن التثويب فقال: ما نعرفه^(٢)، فمعناه إنكار مشروعيّته لا عدم معرفته.

والعقاب: العقوبة، وهي جزاء الشرّ من العقب ككتف، وهي مؤخّر القدم لأنّه يجيء بعقب العمل، وأصله لمطلق الشيء المتأخّر، لكن غلب في جزاء عمل الشرّ قبالة الثواب، وعاقبة كلّ شيء آخره، والعاقبة: الولد والآخرة أيضاً، وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودّة، يدلّ عليه قوله تعالى: (أولئك لهم عاقبة الدار جنّات عدن) في قراءة.

ولا خير فيما لا عاقبة له أي من الأعمال الصالحة، وعواقب الأمور أمور تترتب عليها وتؤول إليها، وفي الحديث: (السيد والعاقب) فالعاقب من يخلف

(١) السرائر ١: ٢١٢/ باب الاذان والإقامة.

(٢) الذكرى: ١٧٥ مسألة ١١، والبحار ٨٤: ١٦٧ ح ٦٩.

السيد بعده، وقول النبي (صلى الله عليه وآله): (أنا العاقب)^(١) أي آخر الأنبياء، وكل من خلف بعد شيء فهو عاقب.

والمعصية مصدر من عصى يعصي عصيانياً إذا خالف الأمر - على وزن محمدة - فهو عاص، والجمع عصاة، والإسم العصيان، وعصى العبد مولاه إذا خالف وتجاوز أمره.

و﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾^(٢) أي خالف أمره الإرشادي لا التكليفي، أو خالف أمره بالأولى، فلا يلزم عليه حينئذ معصية منافية بالعصمة، أو هو بملاحظة أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، أي فعل فعلاً لو كان صادراً من المقربين لكان معصية بالنسبة إليهم، أو أنه (عليه السلام) كان من المقربين فهذا الفعل الصادر منه عُدَّ معصية بالنسبة إليه، وإن لم يكن معصية بالنسبة إلى من دونه. قولها (عليها السلام): «وزيادة لعباده عن نعمته، وحياشة لهم إلى جنته».

الزيادة - بالذال المعجمة - من قولهم: ذاد الراعي إبله من الماء أو المرعى يزودها ذوداً وزياداً منعها وطردها، والذائد: الحامي الدافع، قال الشاعر:
أنا الحامي الذمار وإئتما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي^(٣)
وفي الحديث في وصف الأئمة (عليهم السلام): «القادة الهداة، والذادة الحماة»^(٤)، وقوله تعالى: ﴿ووجد من دونهم امراةين تزودان﴾^(٥) أي تطردان وتكفان غنهما، وأكثر ما يستعمل الذود في الغنم والإبل، وربما يستعمل في غيرهما أيضاً.

(١) صحيح البخاري ٥: ٢٦ ح ٦٢ باب ما جاء في أسماء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والبحار ١٦:

١١٤ ح ٤٣.

(٢) طه: ١٢١.

(٣) هو من قصيدة للفرزدق يهجو بها جرير بن عطية الخطفي التميمي، راجع جامع الشواهد

٢٢٦: ١.

(٤) فقرات من زيارة الجامعة.

(٥) القصص: ٢٣.

والنقمة من نقمه نقماً إذا كرهه غاية الإكراه، قال تعالى: ﴿هَلْ تَنْقُمُونَ مِمَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾^(١) أي تكرهون أو تتكرون و تعيبون، وهذه الأمور متلازمة.

وانتقم منه أي عاقبه، والإسم منه النقمة وهي الأخذ بالعقوبة، والجمع نقمات ونقم ككلمة وكلمات وكلم، قال الجوهرى: وإن شئت سكنت القاف ونقلت حركتها إلى النون وقلت: نقمة، والجمع نَقَمٌ كِنَعْمَةٍ ونَعَمٌ^(٢).

ونقمت على الرجل - من باب ضرب - فأنا ناقم إذا عتبت عليه، والمنقّم هو البالغ في العقوبة لمن يشاء من نقم إذا بلغت به الكراهة إلى حدّ السخط.

والحياشة مصدر من قولك حشت الصيد إذا جثته من حواليه لتصرفه إلى الجبال، وكذا أحشت الصيد وأحوشته، ومنه حشت الإبل جمعتها، والمراد بها هنا جمع الناس وسوقهم إلى الجنة، ولعلّ التعبير بذلك لنفور الناس بطباعهم عمّا يوجب دخول الجنة، كالصيد النفور الذي يجمع بنحو الحياشة.

ومن هذه المادة على سبيل القلب المكاني أو من مادة الحشو، حاشية كل شيء بمعنى طرفه وناحيته، وحاشية النسب الأعمام لإحاطتهم عليه كما يطلق العصبه - بالتحريك جمع عاصب، ككفرة وكافر - على الأولاد والأقرباء من طرف الأب لإحاطتهم به من الأطراف، فالأب جانب، والإبن جانب، والأخ جانب، والعَمّ جانب، وهو من التعصّب أي شدّ العصابة، أو من العَصْبَة مشتقاً من العَصَب - بفتحتين - وهي من أطناب المفاصل، ومنه حاشية الرجل لأصحابه وأهل مودّته. - والجَنَّة - بالفتح - البستان من النخل أو الشجر أو كليهما مطلقاً، وأصلها من الجنّ بمعنى الستر، كأنّها لتكاثفها والتفاف أغصانها سمّيت بالجنة التي هي بناء المرّة من هذه المادة، كأنّها سترة واحدة لشدة التفافها وإظلالها، من جنّه أوجنّ عليه الليل إذا ستره.

ومادة الجيم مع النون المشدّدة دالّة على معنى الستر مطلقاً كالجنّ لاستتارهم

(١) المائدة: ٥٩.

(٢) الصحاح ٥: ٢٠٤٥ / نقم.

عن الأعين، والجنون لاستتار العقل به، والمجنّة والجنّة لاستتار الإنسان تحتها في الحرب والمعركة، والجنين لاستتاره في بطن الأم، والجنان للقلب لاستتاره في الصدر.

والمراد بالجنّة جنّة البرزخ والآخرة، وكلّ منهما جنّات ثمانية: جنّة الفردوس، والجنّة العالية، وجنّة النعيم، وجنّة عدن، وجنّة دار السلام، وجنّة دار الخلد، وجنّة المأوى، وجنّة دار المقام، ولكلّ منها حظيرة هي كالظلّ لها إلاّ جنّة عدن فلا ظلّ لها فالحظائر سبعة.

وفي الحديث: إنّ جنّان الحظائر يسكنها ثلاث طوائف من الخلائق: مؤمنوا الجنّ، وأولاد الزنا من المؤمنين، وأولاد أولادهم إلى سبعة أبطن، كما ورد أنّ ولد الزنا لا ينجب إلى سبعة أبطن، والمجانين الذين لم يجر عليهم التكليف الظاهر، ولم يكن لهم من أقربائهم شفعاء ليلحقوا بهم، وجنّة الدنيا هي جنّة البرزخ يأوي إليها أرواح المؤمنين إلى أن ينفخ في الصور، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(١) إذ ليس في جنّان الآخرة بكرة وعشيّ.

وسئل الصادق (عليه السّلام) عن جنّة آدم (عليه السّلام) أمن جنّان الدنيا كانت أم من جنّان الآخرة؟ فقال (عليه السّلام): كانت من جنّان الدنيا، تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنّان الآخرة لم يدخل فيها إبليس وما خرج منها آدم أبداً^(٢).

واختلف في أنّ جنّة الآخرة مخلوقة الآن أم لا، والأكثر ومنهم المحقق الطوسي في التجريد^(٣) على القول بوجودها الآن، وعليه شواهد من الكتاب

(١) مريم: ٦٢.

(٢) تفسير القميّ ١: ٤٣، عنه البحار ١١: ١٤٣ ح ١٣، وفي الكافي ٣: ٢٤٨ ح ٢، وعلل الشرائع: ٦٠٠ ح ٥٥، والصافي ١: ١١٦، وكتر الدقائق ١: ٣٦٥.

(٣) تجريد الاعتقاد: ٣٠٩، المقصد السادس.

والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١) وفي الأخبار تصريح بخلقها، وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد دخل جنّة الآخرة، ورأى نار الآخرة لما عرج به إلى السماء.

قالت (عليها السلام):

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ
أَرْسَلَهُ، وَسَمَّاهُ قَبْلَ أَنْ اجْتَبَلَهُ، وَاضْطَفَّاهُ قَبْلَ أَنْ ابْتَعَثَهُ إِذِ
الْخَلَائِقُ بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبَسْتَرِ الْأَهْوِيلِ مَصُونَةٌ، وَبِنَهَايَةِ
الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْمًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِمَائِلِ الْأُمُورِ، وَإِحَاطَةً
بِحَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ الْأُمُورِ، ابْتِغَاءً لِلَّهِ إِنْشَاءً
لِأَمْرِهِ، وَعَزِيمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ، وَإِنْفَاذًا لِمَقَادِيرِ حَتْمِهِ.

بيان:

(محمد) من جملة أسماء نبيِّنا (صلى الله عليه وآله) مشتق من الحمد،
والتضعيف للمبالغة، وهو بمعنى كثير الخصال المحمودة، قيل: لم يسمَّ به أحد قبل
نبيِّنا (صلى الله عليه وآله)، ألهم الله أهله أن يسمَّوه به.
وفي الروضة^(١) أنه سَمِّيَ به نبيِّنا (صلى الله عليه وآله) إلهاماً من الله تعالى،
وتفألاً بأنَّه يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الحميدة، وقد قيل لجده عبد المطلب
- وقد سمَّاه في سابع يوم ولادته لموت أبيه قبلها -: لم سمَّيت إبنك محمّداً وليس
من أسماء آبائك ولا قومك؟ فقال: رجوت أن يحمد في السماء والأرض، وقد
حقق الله رجاءه.

وورد أن اسمه (صلى الله عليه وآله) في الأرض محمّداً، وفي السماء أحمد، وفي
الانجيل فارقليطا بمعنى الفارق بين الحق والباطل، كما أن إسم عليّ (عليه السلام)
فيه إيليا، وقيل أن إسم نبيِّنا (صلى الله عليه وآله) في الانجيل هو أحمد، ولعلّه
إشتباه من قوله تعالى: ﴿مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾^(٢).
وذكر ابن الأعرابي: أن الله تعالى ألف إسم وللنبي ألف إسم، ومن أحسنها
محمّداً ومحموداً وأحمد.

(١) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ١: ١٨.

(٢) الصف: ٦.

والعبد: قد أُشير إلى معناه فيما مرّ.

و (عبد الله) من أشرف ألقاب النبي (صلى الله عليه وآله) وأعلاها، وهو (صلى الله عليه وآله) مظهر العبوديّة الكاملة التي هي جوهرية كنهها الربوبيّة، وهي أعلى مرتبة من الرسالة والنبوة، ولذا قدّم ذكر العبد في الشهادة هنا وفي تشهّد الصلاة وسائر الموارد الكثيرة.

وخصّ ذكره (صلى الله عليه وآله) في آية الاسراء، وهي قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾^(١) إذ المعراج على النحو المفضّل المشهور المشتمل على أعاجيب كثيرة تحيّر منها العقول، من جملتها السير في دقيقة واحدة في جميع العوالم الكونيّة الجسمانيّة، والروحانيّة، والعقليّة، والدنيا، والبرزخ، والآخرة، ومراتب النهار والجنة مع التفاصيل الواقعة في كلّ مرحلة لا يخفى لمن تأمل في الأخبار المعراجيّة، لا يمكن صدوره إلاّ بجهة ربانيّة مضمرّة في كنه العبوديّة الكاملة.

و (الرسول) فعول بمعنى المفعول من المزيّد أي المرسل إلى الغير، وسمّي بعض الأنبياء رسولاً لكونه مرسلأً من جانب الله تعالى إلى الغير برسالة الشريعة، سواء كان ذلك الغير هو أهل بيته، أو أهل بلده، أو قومه، أو قومأً مخصوصاً، أو جميع الناس، ويقال للأخير أولو العزم أيضاً إذا لم تكن شريعته مبتدئة، وهم في الأنبياء خمسة كما نُظِم:

أولو العزم خمس شَرَفُوا بِمُحَمَّدٍ عَلَى كُلِّهِمْ صَلَّى الْإِلَهَ وَسَلَّم
فَنُوحَ بْنَ مَلِكٍ وَالْخَلِيلَ بْنَ تَارَحٍ وَمُوسَى بْنَ عِمْرَانَ وَعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ
وَمَعْنَى الْعَزْمُ كَوْنُهُ نَاسِخاً لِشَرِيعَةٍ مِنْ قَبْلِهِ، وَمُؤَسَّساً لِشَرَعٍ آخَرَ لِجَمِيعٍ مِنْ
عَاصِرِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

و (النبي) بالتشديد فعيل إمّا من النبوة بمعنى الرفعة، ومنه ما قيل: لا تصلّوا على النبي أي على المكان المرتفع، أو من النبأ بمعنى الخبر مع قلب الهمزة ياء أو

بدونه، فهو بمعنى المرتفع على غيره، أو بمعنى المخبر عن الله تعالى فعيل بمعنى الفاعل من المزيد، كالسميع بمعنى المسمع أو المستمع أيضاً.

والنبي في الإصطلاح هو إنسان أوحى إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه، وإن أمر بذلك فرسول أيضاً، وقيل: النبي هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة بشر، أعم من أن يكون له شريعة كعيسى أو لا كيحيى (عليهما السلام)، وكون الشريعة له أعم من أن تكون شريعة مبتدئة كشريعة آدم، أو ناسخة في الجملة بالنسبة إلى الأزمنة والأشخاص كشريعة غير محمد (صلى الله عليه وآله) من أولي العزم، أو مطلقاً كشريعة محمد (صلى الله عليه وآله).

وقيل: النبي هو الذي يرى في المنام، ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول هو الذي يعاين الملك أيضاً، ولذا قيل هو الذي يأتيه جبرئيل قبلاً ويكلمه، وقيل: النبي مخصوص بنوع الإنسان، والرسول قد يكون من الملائكة أيضاً لقوله تعالى: ﴿رسلأ أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾^(١).

وقيل بالتساوي بينهما لظاهر ما روي في الكافي عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فمنهم نبي منبئ في نفسه لما يرى في المنام من الأمور الصادقة، فيخبر بها ولا يعدو غيرها، ومنهم من يرى في المنام ويسمع الصوت، ولا يعاين الملك في اليقظة، ولم يبعث إلى أحد من جانب الله سبحانه، وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم (عليه السلام) على لوط.

ومنهم نبي يرى في المنام ويسمع الصوت، ويعاين الملك، وقد أرسل إلى طائفة قلوا أو كثروا كيونس (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾^(٢) أي ثلاثين ألفاً وعليه إمام.

ومنهم من يرى في منامه، ويسمع الصوت، ويعاين في اليقظة، وهو إمام مثل أولي العزم، وقد كان إبراهيم (عليه السلام) نبياً وليس بإمام حتى قال تعالى: ﴿إني

(١) فاطر: ١.

(٢) الصافات: ١٤٧.

جاعلك للناس إماماً قال ومن ذرّيتي قال لا ينال عهدي الظالمين ﴿١﴾ ومن عبد وثناً لا يكون إماماً ﴿٢﴾.

ومن الطبقة الأخيرة نبينا (صلى الله عليه وآله) حيث قال: إني قد يوحى إليّ في المنام، وقد أسمع صلصلة الجرس، أو مثل وقوع السلسلة في الطست، وقد أرى جبرئيل بصورة دحية الكلبي أو غيره، وقد رأيته مرّة وقدملاً ما بين المشرق والمغرب.

وبالجملة النبي أدون مرتبة من الرسول إذ الرسوليّة أخصّ من النبوة، وهي مستلزّمة للفضيلة وعلوّ الرتبة، وكلّ رسول نبي على المشهور دون عكس القضية. وأصل النبوة عبارة عن اتصال روح القدس بروح إنسان لشدة نوريّة طينته وقربه من المبدأ الفيّاض، وهو الملك المؤيّد المسدّد، وبهذا الإتصال يحصل له المعصوميّة عن المعصية، والخطأ، والغفلة، والعتار، والزلة في الأمور الدنيويّة، والاخرويّة، والعرفيّة، والشرعيّة - الأصوليّة والفروعيّة -.

ويُطلق على بيان النبي (صلى الله عليه وآله) الدعوة، وعلى ما ظهر بها ومنها الشريعة، وإذا أُضيفت الشريعة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) أُطلق عليها القانون والناموس أيضاً، كما يطلق عليها الطريقة والملة أيضاً، وإذا أُضيفت إلى الله تعالى سمّيت بالدين فيقال: دين الله للشريعة التي قرّرها النبي (صلى الله عليه وآله)، ويُطلق على قبولها الإسلام والإيمان.

والأنبياء على ما ورد في الأخبار مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، أو بحذف الأربعة، والأوّل هو المشهور، والمرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر عدد أصحاب القائم (عليه السلام)، وعدد أصحاب بدر، ومنهم أولو العزم الخمسة. و (الاختيار) من الخير وهو خلاف الشرّ، ومنه جزاءه الله خيراً، وقوله تعالى:

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) الكافي ١: ١٧٤ ح ١، والإختصاص: ٢٢، عنه البحار ٢٥: ٢٠٦ ح ١٨..

﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾^(١) قال المفسرون: الاختيار إرادة ما هو خير، يقال: خُير بين أمرين فاختر أحدهما، والخيرة - بكسر الخاء - إسم من الاختيار كالفدية من الاقتداء، والخيرة - بفتح الياء - كذلك كالطيرة من التطير. ويقال أيضاً: محمد (صلى الله عليه وآله) خيرة الله من خلقه - بفتح الياء وسكونه بمعنى المفعول - أي مختاره، وأسأل الله برحمته خيرة في عافية أي شيئاً مختاراً مع عافية العاقبة.

وفي النهاية: يقال خار الله لك أي أعطاك ما هو خير لك، والخيرة - بسكون الياء - الإسم منه، فامّا بالفتح فهي الإسم من قولك: إختاره الله، ومحمد (صلى الله عليه وآله) خيرة الله من خلقه، يقال بالفتح والسكون. والاستخارة طلب الخيرة في الشيء، وهي إستفعال منه تقول: استخر الله يخر لك، ومنه دعاء الإستخارة: «اللَّهُمَّ خِرْ لِي» أي إختَر لي أصلح الأمرين واجعل لي الخير فيه^(٢).

والاختيار خلاف الإضطرار خيراً وشرّاً، أو هو في الخير واستعماله في الشر بملاحظة أن اختياره لا يكون إلّا بعد فرضه خيراً ولو بحسب الصورة. و (الإنتجاب) من نَجَبَ - بالضم - نَجَابَةً، يقال: إنتجبه أي استخلصه، وأصله من النَّجَبِ - بالتحريك - لحاء الشجر، وبالتسكين مصدر قولك: نجبت الشجرة أنجبها - من باب قتل وضرب - إذا أخذت قشر ساقها، فاستعمل منه النجابة لخلوص الطينة من الرذائل الخلقية، يقال: فلان نجيب أي فاضل كريم سخي، ونجب فلان إذا كان فاضلاً نفيساً في نوعه، فالإنتجاب بمعنى الاختيار والإصطفاء من بين النوع لامتيازهم عن سائر أفرادهم بالفضائل الكاملة. و (الإجتبال) من جبلة الله على كذا - من باب قتل - واجتبله أيضاً للمبالغة أي

(١) الأعراف: ١٥٥.

(٢) النهاية ٢: ٩١ / خير.

فطره عليه، وفي الدعاء: «أسألك من خيرها وخير ما جُبلت عليه»^(١) مجهولاً من المجرد، وكذا من التضعيف أيضاً للمبالغة.

ومنه الجبلّة - بكسر تين وتشديد اللام - بمعنى الطبيعة والخلقة، وشيء جبلي أي طبيعي ذاتي، وقوله تعالى: ﴿الذي خلقكم والجبلّة الأولين﴾^(٢) و﴿لقد أضلّ منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون﴾^(٣) أي خلقاً كثيراً، والحاصل من قولها (عليها السّلام): (قبل أن اجتبله) أي قبل أن فطره وخلقه.

و (اصطفاه) من قولهم: صفا يصفو صفواً و صفاءً - بالمد - إذا خلص من الكدر فهو صاف، وصفيته من القدر تصفية أزله عنه، وأصفيته أثرته، وأصفيته الودّ أخلصته له، والصفّي والصفيّة ما يصطفيه الرئيس لنفسه.

وصفو الشيء - بالفتح - خالصه، والصفوة - بالفتح والكسر - مثله، وهو خيار الشيء وخلصته وما صفا منه، ومنه: السلام على آدم صفوة الله، وما ورد أنّ محمداً (صلى الله عليه وآله) صفوة الله.

وفي المصباح: إنّ الصفوة تُروى بثلاث الصاد^(٤)، وبالجملّة فيكون اصطفاؤه بمعنى اختياره، والحاصل أنّ الله تعالى قد اختار نبيّنا (صلى الله عليه وآله) من بين خلقه، واصطفاه على خليفته، فهو النبي المصطفى، والأمين الأوفى في الدنيا والأخرى.

و (الإيتعاث) من البعث وبمعناه بزيادة المبالغة، يقال: بعثت رسولاً وابتعثته أي أرسلته، ويقال في مطاوعته: انبعث، مثل كسرتَه فانكسر، كما في قوله تعالى: ﴿إذ انبث أشقاها﴾^(٥) أي مضى لشأنه ذاهباً لقضاء وطره يبعث القوم إياه، أو يبعث نفسه له، وكلّ شيء ينبعث بنفسه فالفعل يتعدّى إليه بنفسه كما ذكر، وكلّ شيء لا

(١) النهاية ١: ٢٣٦، ولسان العرب ٢: ١٧٠ / جبل.

(٢) الشعراء: ١٨٤.

(٣) يس: ٦٢.

(٤) المصباح المنير: ٣٤٣ / صفو.

(٥) الشمس: ١٢.

ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية فإنَّ الفعل يتعدَّى إليه بالباء، فيقال: بعثت به. وأوجز الفارابي فقال: بعثه أهبه وبعث به وجهه، وفي حديث عليّ (عليه السلام) يصف النبي (صلى الله عليه وآله): «شهادك يوم الدين، وبعثك نعمة»^(١) أي مبعوثك الذي بعثته إلى الخلق أي أرسلته، فعيل بمعنى مفعول. ومنه قوله (صلى الله عليه وآله): «والذي بعثني بالحق نبياً»^(٢) ويستعمل البعث بمعنى الإثارة أيضاً، مثل: بعث الله الموتى من قبورهم أي أثارهم وأخرجهم، والحالة البعثة - بالكسر -، والمرّة بالفتح.

وفي حديث حذيفة: «إنَّ للفتنة بعثات وتهيجات»^(٣) وفي الحديث: «أتاني الليلة آتيان فابتعثاني»^(٤) أي أيقظاني من نومي، وهو أيضاً راجع بالإعتبار إلى المعنى السابق.

و (الغيب) في الأصل مصدر من قولك: غاب الشيء عني غيباً وغيباً وغيباً وغيبوبةً إذا ستر وخفي، ثم يطلق الغيب على كلِّ ما غاب عنك مصدراً بمعنى الفاعل، ومنه الغيبة - بالكسر والفتح - أيضاً للتكلم في غياب الإنسان وخلفه بما يغمّه لو سمعه من الأمور الصادقة في حقّه، وإن كان ذلك الأمر كذباً فهو بهتان في حقّه.

وفي حديث وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أبي ذر: يا أبا ذر إياك والغيبة، فإنَّ الغيبة أشدُّ من الزنا، قال: قلت: جعلت فداك وما الغيبة؟ قال (صلى الله عليه وآله): أن تذكر أخاك في غيابه بما يكره لو سمعه، قلت: فإن كان فيه ذاك الذي ذكرته به؟ قال (صلى الله عليه وآله): ذلك هو الغيبة، وإلا فهو بهتان

(١) نهج البلاغة الخطبة: ١٠٦، عنه البحار ١٦: ٢٨١ ح ٩٣، والنهاية ١: ١٣٨، ولسان العرب ١: ٤٣٨ / بعث.

(٢) راجع البحار ٨: ١٦٣ ح ١٠٦.

(٣) النهاية ١: ١٣٨، ولسان العرب ١: ٤٣٨ / بعث.

(٤) المصدر نفسه.

وهو أشدّ من الغيبة، قلت: وما وجه أشدّة الغيبة من الزنا؟ قال: لأنّ الزنا يغفر بالتوبة، والغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها^(١).

وكلّ شيء غيّب عنك شيئاً فهو غيابة، ومنه غيابة الجب - بفتح الغين - أي قعره، والغيابة ما غاب عن أعين الناظرين أيضاً.

وفي النهاية: قد تكرر ذكر علم الغيب، والإيمان بالغيب في الحديث، وهو كلّما غاب عن العيون سواء كان محصّلاً في القلوب أو غير محصّل^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^(٣) قيل: يعني بالله لأنّه لا يرى، وقيل: بما غاب عن أمر الآخرة وإن كان محصّلاً في القلوب، إنتهى.

ولا يخفى أنّ لفظ الغيب أطلق في الإستعمالات العرفية على أمور كثيرة، والوجه فيه أنّ الغيب - كما أشير إليه - هو ما غاب وستر عن الإدراك الظاهري أو الباطني، وهو من الأمور النسبية، فما وراء الجدار غيب بالنسبة إلى من لا يعلم ما ورائه، وشهادة بالنسبة إلى من كان ورائه ورآه أو علمه أي شاهده بالعين الظاهرية أو العين الباطنية.

وما في هذه البلدة غيب بالنسبة إلى من لا يعلم أو ضاعها وحالاتها، وشهادة بالنسبة إلى من يشاهد الوقائع الحادثة فيها وهكذا، فيكون الغيوب بالنسبة إلى الأشخاص مختلفة متفاوتة، وكذلك الشهادة، فالأمر القلبي بالنسبة إلى الجاهل به غيب، وبالنسبة إلى العالم به شهادة، وكذا كلّ من الأمور الدنيوية، والبرزخية، والأخروية، والأرضية، والسمائية، والجنّ، والملائكة، والنار، والجنّة.

والله تعالى هو الغيب المطلق، وهو غيب الغيوب الذي لا يدركه أحد بالمرّة، والشيء في حال عدمه غيب كما أنّه في حال وجوده شهادة، والعدم بمنزلة الستر على الشيء والكنّ الحاجب له، فيكون العدم عالم الغيب باعتبار الوجود عالم

(١) مكارم الأخلاق: ٤٧٠، عنه البحار ٧٧: ٩١ ح ٢ باختلاف يسير.

(٢) النهاية ٣: ٣٩٩ / غيب.

(٣) البقرة: ٣.

الشهادة، كما أنَّ ما وراء الجدار غيب وما دونه الشهادة.

وكلّ مكان لا تعلم ما فيه ولا تشاهده فهو عالم الغيب باعتبار، والمكان المشاهد فيه الشيء في نظرك عالم الشهادة، والبرزخ عالم الغيب لأهل الدنيا، والدنيا عالم الشهادة، وكذلك الآخرة بالنسبة إلى أهل البرزخ، وهكذا حال جميع العوالم الإلهية، فتكثر حينئذٍ وتختلف العوالم الغيبية والشهودية، وهو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم بمعنى عالم كلّ غيب وشهادة بخلاف غيره.

و (المكنونة) من الكنّ بمعنى السترة، واحد الأكنان في قوله تعالى: ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾^(١) ومنه كنّ الرجل بمعنى بيته ومنزله لا كتنانه فيه، وفي المقامات الحريّة:

(بيني وبين كُنّي ليل وأمسي وطريق طامس)

والأكنّة جمع كنان بمعنى الغطاء كقوله تعالى: ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه﴾^(٢) أي أغطية، ومنه كنانة لجعبة السهام لاستتارها فيها، وكنتت الشيء سترته وصننته من الشمس وأكننته في نفسي، قال أبو زيد: كنتته وأكننته في الكِنِّ والنفس جميعاً بمعنى، فهو مَكْنُونٌ ومُكَنَّ^(٣).

وبيض مكنون أي مصون عن اللمس، ونحوه كتاب مكنون أي محفوظ ومستور عن الخلق، وكون الخلائق بالغيب مكنونة كناية عن كونها معدومة، وسيظهر لك وجه هذه الكناية.

و (الستر) بالكسر واحد الستور والإستار، والسترة - بالضم - ما يُستتر به كالغرفة، وكذلك الستارة - بالكسر والتخفيف - وفعالة وزن مشهور لما يفعل به كاللحافة والكناية والعمامة والستارة وغيرها، وقد يحذف التاء كاللباس والكتاب والستار، ونظيرها فُعالة - بالضم - لما يفعل كالجعالة والقمامة والكناسة، وروي

(١) النحل: ٨١.

(٢) الاسراء: ٤٦.

(٣) راجع لسان العرب ١٢: ١٧٢ / كنن.

الجعالة ونحوها بكسر الجيم أيضاً، وقيل في كل ما هو كذلك بالتثنية، والإستارة أيضاً بالهمزة المكسورة كالستارة.

قال في النهاية: وفيه أيما رجل أغلق بابه على امرأته، وأرخصى [دونها] إستارة فقد تمّ صداقها، الإستارة من الستر كالستارة، وهي كالإِعْظامة في العِظامة، قيل: لم تستعمل إلّا في الحديث، ولورويت إستاره - جمع ستر مضافاً إلى الضمير - لكان حسناً^(١).

والستر - بالفتح - مصدر ستره يستره سترأ - من باب قتل - إذا غطّاه، فهو ساتر وذاك مستور، ومنه قوله تعالى: ﴿حِجَاباً مُّسْتَوِراً﴾^(٢) أي حجاباً على حجاب كأن أحدهما مستور بالآخر كناية عن كثافة الحجاب، لأنّه جعل على قلوبهم أكنة أن يفقهوه، وفي آذانهم وقراً، وقيل: هو مفعول جاء بمعنى الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً﴾^(٣) أي آتياً.

قال بعضهم: جاء المفعول بمعنى الفاعل في الكتاب العزيز في ثلاثة مواضع: قوله: ﴿حِجَاباً مُّسْتَوِراً﴾ و ﴿وَعْدُهُ مَأْتِيّاً﴾ و ﴿جَزَاءً مَوْفُوراً﴾^(٤) وبالعكس كذلك، وهي قوله تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾^(٥) و ﴿مَاءً دَافِقاً﴾^(٦) و ﴿عَيْشَةً رَاضِيَةً﴾^(٧)، ومن غير الكتاب: سرّ كاتم، ومكان عامر، وليل قائم، ونهار صائم، وأورد على الحصرين بقوله تعالى: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾^(٨) بمعنى حاجرًا، و ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾^(٩) بمعنى مأمناً.

(١) النهاية ٢: ٣٤١ / ستر.

(٢) الإسراء: ٤٥.

(٣) مريم: ٦١.

(٤) الإسراء: ٦٣.

(٥) هود: ٤٣.

(٦) الطارق: ٦.

(٧) الحاقة: ٢١.

(٨) الفرقان: ٢٢.

(٩) القصص: ٥٧.

والحقّ عندي أن يكون مستوراً في الآية بمعنى المفعول لا على نحو ما ذكر، بل بمعنى كونه مستوراً عن أعين الناس لعدم كونه من الحجب الجسمانيّة، و(جزاء موفوراً) بمعنى كونه مرغوباً فيه، و(مأثياً) بمعنى المفعول من أتيت الأمر بمعنى فعلته، و(محجوراً) بمعنى محجور به، كما يقال: المشترك بمعنى المشترك فيه، والمستقرّ بمعنى المستقرّ فيه بحذف الصلة.

وإنّ إسم الفاعل في جميع ما ذكر في معناه الأصلي أيضاً لكن ما باب النسبة، وهو باب واسع ذكره الصرّفيّون، ومنهم ابن حاجب في الشافية، بمعنى ذي كذا وذات كذا، فيكون عاصم بمعنى ذي عصمة، ودافق بمعنى ذي الدفق، وراضية بمعنى ذات الرضا، وهكذا البواقي نظير لابن، وتامر، ودارع، وعاشق، وضامر ونحو ذلك، فيكون جامداً يستوي فيه المذكر والمؤنث، ومنه الحائض والطارق على أحسن الوجوه الثلاثة التي مرّت إليها الإشارة.

و (الأهاويل) جمع أهوال جمع هول بمعنى الخوف والأمر الشديد من هاله الشيء يهوله هولاً أفزع، فهو هائل وذاك مهول، وفي الحديث: «المال رزق هائل» ومكان مهيل أي مخوف.

وهذه الفقرة أيضاً كناية عن كون الأشياء معدومة، بتقريب فرض ان ظلمات العدم كانت أموراً موحشة مفزعة لمن رام أن يدخلها، ويطلع على الأشياء التي كانت فيها، فصارت محفوظة عن وصول الأيدي إليها بما دونها من الظلمات الحاجبة الموحشة المفزعة، والإضافة في ستر الأهاويل بيانيّة بمعنى من، أو ظرفيّة بمعنى في، مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(١).

وقال بعض الفضلاء في معنى الفقرة: لعلّ المراد بالستر ستر الاعدام، أو حجب الأصلاب والأرحام، ونسبته إلى الأهاويل لما يلحق الأشياء في تلك الأحوال من موانع الوجود وعوائقه.

ويحتمل أن يكون المراد أنها كانت مصونة عن الأهويل بستر العدم، إذ هي أنما تلحقها بعد الوجود، وقيل: التعبير بالأهويل من قبيل التعبير عن درجات العدم بالسُتور وبالظلمات.

و (نهاية) الشيء ما ينتهي إليه وهي غايته أي أقصاه وآخره، ونهاية الدار حدودها وهي أقاصيها وأواخرها، وانتهى الأمر أي بلغ النهاية، وهي أقصى ما يمكن أن يبلغه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾^(١) قيل: معناه إذا انتهى الكلام إليه فأنتهوا، وتكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فوقه، فإنّ قوماً تكلموا فيما فوق العرش فتأهت عقولهم، وله معانٍ آخر يعرفها أهلها.

وسدرة المنتهى أي سدرة ينتهي بالوصول إليها، ولا يتجاوزها علم الخلائق من البر والملائكة، ولا يتجاوزها أحد من الملائكة والرسل، مفتعل من النهاية بمعنى الغاية.

وأصل النهاية من النهى، إذ غاية الشيء لا يبلغ إليها غالباً، فكأنّها منهي عنها، ونهاية العدم أبعد مراتبه المفروضة، وكون الأشياء مقرونة بنهاية العدم كونها أبعد من الوجود في الغاية، وإنّ بينها وبين الوجود غاية النهاية، وهذه أيضاً كناية بليغة عن كونها معدومة.

قولها (عليها السلام): «علماً من الله بمائل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع المقدور».

المائل فاعل من مال عن الطريق يميل ميلاً أي حاد عنه وانحرف، والمائل الأمر الغير المستقيم، والمراد أنّ الله تعالى سمّى نبيّه أي قرّر خلقته، وعيّنه باسمه ورسمه لهداية خلقه لعلمه بعدم استقامة أمور خلقه بدونه، وأنهم يضلّون الطريق بدون الإستضاء بنوره.

وفي بعض النسخ: (بمآل الأمور) بمعنى المرجع أي كان الله يعلم ما يرجع إليه أمور الخلق من الانحراف عن الجادة المستقيمة، وسلوك طريق الغواية والضلالة، فسمّاه على نحو ما مرّت إليه الإشارة ليكون مرجعاً للأمة بل جميع الخليقة في أمورهم الدنيوية والأخروية، وقرئ بمآل الأمور جمع المآل بمعنى عواقبها، وهو أيضاً راجع إلى السابق إلّا أنّ فيه إشارة إلى أنّ لكلّ أمر مرجعاً بخصوصه بملاحظة حال نفسه، فيتعدّد المرجع بتعدّد الأمر.

و (الأمور) جمع الأمر، والأمر في اللغة يستعمل إسماءً ومصدراً، أمّا الأمر الإسمي وهو المراد هنا فيستعمل بمعنى الفعل والحال والشأن ونحو ذلك، مثل قوله (عليه السلام): (إنّ أمرنا صعب مستصعب)^(١) أي شأننا، وقال تعالى: ﴿وما أمرنا إلّا واحدة﴾^(٢) أي فعلنا، وقولهم: أمورهم مشوشة أي حالاتهم، ويجمع هذا على أمور.

وأما الأمر المصدري فهو بمعنى الطلب الحتمي المفيد للوجوب، يقال: أمرته بكذا أي طلبته منه طلباً حتمياً، فأنا أمرٌ وذاك مأمور، ومدخول الباء مأمور به، وهو في العرف بمعنى طلب فعل بالقول أو مطلقاً من العالي أو المستعلي أو العالي المستعلي، ويطلق الأمر على نفس ذلك القول.

وفي الإصطلاح إسم لهيئة أفعال وما ضاهاه، ويجمع الأمر في تلك المعاني الأخيرة على أوامر، وهو ليس بصحيح من حيث القياس، إذ القياس في جمع فعل الصحيح الوسط فَعُولُ وأفعل كفلس وفلوس وأفلس، وأمّا الفواعل جمع فاعلة وفاعل إذا لم يكن وصفاً للمذكر العاقل، فقليل حينئذٍ في وجه جمعه على كذا أنّه جمع كذا على غير قياس، فرقاً بينه وبين الأمر بمعنى الفعل ونحوه.

قيل: إنّ الأمر بمعنى الامرة لأنّ الامرة أيضاً كالأمر مصدر، كما ذكروا في كتب اللغة، كالعافية والكاذبة والباقية ونحوها على وجه، فجمع الأمر جمع الامرة

(١) راجع البحار ٢: ١٨٢، باب إنّ حديثهم (عليهم السلام) صعب مستصعب.

(٢) القمر: ٥٠.

لكونهما بمعنى واحد.

وقيل: إنَّ الأمر مأمور به ثمَّ حول المفعول إلى فاعل، كما قيل: أمر عارف وأصله معروف، وعيشة راضية والأصل مرضية إلى غير ذلك، ثمَّ جمع فاعل على فواعل فأوامر جمع مأمور، ذكره في المصباح^(١).

وقيل: إنَّ الأمر لما كان سبباً لانبعاث المأمور فكان كأنه أمر فجمع على أوامر، وتجري تلك الوجوه في النواهي أيضاً.

وبالجملة فقد يقال في الأمر: أمرة، مثل قولهم: لك عليّ أمرة مطاعة أي أمرة أطيعك فيها، وهي المرة الواحدة من الأمر، ولا يقال إمرة - بالكسر - وإنما الإمرة - بالكسر - من الولاية كالإمارة - بكسر الهمزة - وإما الأمانة - بالفتح - فهي بمعنى العلامة فهي مثلها لفظاً ومعنى.

والأمير هو ذو الأمر، وهو دالٌّ على الإستمرار والمبالغة باعتبار عموم متعلّقه في الجملة أي متعلّق حكمه، ولهذا كان الأمير غير الأمر، إذ قد يكون واحد من الرعية آمراً بالنسبة إلى غلامه مثلاً، فلا يطلق عليه أنه أمير إلا مجازاً، والتأشير تولية الإمارة، يقال: أميرٌ مؤمّر، وائتمر الأمر أي إمتثله.

وفي الدعاء: «فهي بمشيئتك [أي الأشياء بمشيئتك] دون قولك مؤتمرة»^(٢) أي عند قولك، أو لا حاجة إلى القول بل هي مؤتمرة بمجرد مشيئتك، وكذا الكلام في قوله (عليه السلام): «وبارادتك دون نهيك منزجرة»^(٣).

والمؤامرة المشاورة من مادة الأمر، كأنَّ أحد المؤامرين يطلب من الآخر الأمر بما يراه مصلحة، وكذا الإستيمار والائتمار، وأمرهم الله فامروا أي كثّروهم فكثروا، ومنه على وجه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾^(٤) ويمكن أخذه من الأمر بالمعنى السابق المشهور على سبيل اعتبار

(١) المصباح المنير: ٢١ / الأمر.

(٢) مهج الدعوات: ٢٧٢، عنه البحار ٩٥: ٢٢٩ ح ٢٧.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الاسراء: ١٦.

المجاز أو الكناية.

قيل: وليس من الأمر بنفس المعنى المذكور، وإلا فإن الله تعالى لا يأمر بالفسق والعصيان، وإنما يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى.

وقيل: يصح الأمر بالمعنى المذكور هنا لكن باعتبار معنى الأمر الحتمي لا العزمي بحسب اقتضاء القابليّات، واستعداد الماهيّات، أو المراد من الأمر عدم النهي على سبيل العزم والقهر، وذلك بتخلية السبيل التي تسمّى بالخذلان المقابل للتوفيق، فإنّ إطلاق الأمر على مثله مشهور، وإنّ السفيه إذا لم يمهأ ما مور، أو المراد تهيئة الأسباب المؤدية إلى الفسق لكن لا قهراً وجبراً بل بسوء اختيارهم، أو المراد أنّا أمرناهم بالطاعة فترتب عليه أنّهم فسقوا، ونحو ذلك.

قال في النهاية: وفي حديث أبي سفيان: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أي كثر أو ارتفع شأنه، يعني النبي (صلى الله عليه وآله)، إنتهى^(١). وفي خبر آخر منه: لقد عظم ملك ابن أبي كبشة.

وكان المشركون ينسبون النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أبي كبشة، وكان أبو كبشة رجلاً من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان وعبد الشعري، فلما خالفهم النبي (صلى الله عليه وآله) في عبادة الأوثان شتبهوه به.

وقيل: هو نسبة إلى جدّ النبي (صلى الله عليه وآله) لأمه أي هو كنية جدّه لأمه وهب بن عبد مناف، فأرادوا أنّه (صلى الله عليه وآله) نزع إليه في الشبه والصورة، وقيل: أبو كبشة كنية زوج مرضعته حليلة السعدية، أو كنية أخى زوجها.

وبالجملة فكانوا يطلقون على النبي (صلى الله عليه وآله) ابن أبي كبشة، وربما كانوا يقولون ابن كبشة مرخماً من ابن أبي كبشة، أو مراداً بكبشة جدّه عبد المطلب لكونه رئيس القوم في مكة، وكان له عظمة ونباهة وهيبة وجلالة.

(١) النهاية ٤: ١٤٤ / كبش.

قال أبو بكر في أبياته المشهورة الدالة على عدم اعتقاده باطناً بصدق دعوة النبي (صلى الله عليه وآله)، والمصرحة عن نفاقه وكفره، حيث كان يشرب الخمر في أثناء رمضان تاركاً لصومه، فنهته امرأته عن ذلك، فقال في جملة أبيات أنشأها:

ذريني أصطحب يا أم بكر فإن الموت نقب عن هشام
ونفث عن أبيك وكان قرماً شديد البأس في شرب المدام
يخبرنا ابن كبشة أن سنحى وكيف حياة أشلاء رمام
ألا هل مبلغ الرحمان عني بأنني تارك شهر الصيام
وتارك كل ما أوحى إلينا محمد من زخاريف الكلام
فقل لله يمنعني شرابي وقل لله يمنعني طعامي
ولكن الحكيم رأى حميراً فألجمها فتاهت في اللجام^(١)
أنشد ديك الجن هذه الأبيات لأبي بكر في إثبات كفره عند المتوكل الخليفة، كما أنشد بعض أبيات أخر أيضاً مما يدل كل جملة منها على كفر قائلها، من عمر ومعاوية ويزيد وغير ذلك، والقصة طويلة.

وأم بكر كنية زوجة أبي بكر بمناسبة كنية نفسه بابي بكر، وكان كنيته الأصلية في الجاهلية أبو الفصيل، فلما أسلم ظاهراً كتّاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأبي بكر، وأصل إسمه عبد الله بن عثمان، وعثمان هو إسم أبي قحافة كنية أبي أبي بكر، وعليه يترتب ما نقل عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: آه من يوم تظلم فيه الأعين العين، مراداً بالأعين الخلفاء الثلاثة، لأن أول إسم كل واحد منهم حرف العين، والمراد من العين المظلومة هو علي (عليه السلام).
والإحاطة من قولهم: أحاط به علمه، وحاط به علماً أي أدرك جميع ما يدرك

(١) راجع الهداية للحضيبي: ١٠٢، وإرشاد القلوب ٢: ٢٦٧، عنه البحار ٢٩: ٣٥، ح ١٨، ومدينة المعاجز

منه، وأحذق به من جميع جهاته، أو عرفه ظاهراً أو باطناً مبالغة في العلم والإدراك.

وأصلها من حاطه يحوطه حوطاً وحيطة وحياطة أي كلاًه ورعاه، وحاط الجدار على البيت أي دار عليه فهو حائط، ويطلق الحائط على البستان أيضاً لذلك، وكذلك حَوَّط تحويطاً للمبالغة، ومنه الاحتياط.

وفي حديث عليّ (عليه السلام) لكميل: (أخوك دينك فاحتط لدينك بما شئت)^(١)، والاحاطة القدرة الكاملة أيضاً، وبمعنى الحفظ والحماية، ومنه: (اللَّهُمَّ اجعلنا في حياتك).

والمحيط من أسماء الله تعالى مشتق من الإحاطة المذكورة العلمية، ويجوز أن يكون بمعنى القادر المطلق أو الحافظ الحامي لخلقه.

والحوادث جمع الحادثة بمعنى الواقعة والملمّة، لحدوثها بعد أن لم تكن، من الحديث بمعنى الجديد خلاف القديم، من قولهم: حدث الأمر حدثاً أي تجدد - من باب قتل - فهو حادث وحديث، ومنه قوله (صلى الله عليه وآله) لعائشة: لولا قومك حديثو عهد بالإسلام لهدمت الكعبة، وجعلت لها بابين على ما كان في عهد إبراهيم^(٢).

والجِدْثان - بكسر الحاء - بالمعنى المذكور أيضاً أي الحوادث، ومن هذه المادة إطلاق الحديث على الخبر لحدوثه جديداً، وجمعه على أحاديث على غير قياس، قال الفراء: ونرى أنّها جمع الأحداث كالأعاجيب والأضاحيك ونحوهما، ومنه قوله تعالى: ﴿فجعلناهم أحاديث﴾^(٣) أي عفينا آثارهم فلم يبق بين الناس إلا أخبارهم يحدثون بها.

وحوادث الدهور: الحادثات الواقعة في الأزمنة، وكلّ زمان دهر من الدهور،

(١) أمالي الطوسي: ١١٠ ح ١٦٨ مجلس ٤، عنه البحار: ٢: ٢٥٨ ح ٤، والوسائل ١٨: ١٢٣ ح ٤١.

(٢) النهاية ١: ٣٥٠، ولسان العرب ٣: ٧٥ / حدث، صدر الحديث فقط.

(٣) سبأ: ١٩.

وقد مرّ معنى الدهر، وفي كلّ دهر حوادث مختصة به، ويدخل في تلك الحوادث إنقلابات أوضاع الخلق في حيرتهم وضلالتهم الموجبة لبعث رسول إليهم يتلو آيات الله عليهم.

والمعرفة من عرفته عرفة وعرفاناً - بالكسر - قال في المصباح: علمته بحاسة من الحواس الخمس، والمعرفة إسم منه، ويتعدّى بالثقل فيقال: عرّفته به فعرفه - من باب ضرب - فهو عارف وعريف^(١).

والعريف: النقيب أيضاً، وهو دون الرئيس، وهو القيّم بأمر القبيلة، والجمع عرفاء، ومنه الخبر: (العرفاء في النار)^(٢) من عرف عرافة من باب شرف، وإذا أردت أنّه عمل بذلك قلت: عرف، فلان علينا سنين من باب نصر، ومن هذه المادة التعريف بمعنى الإعلام وإنشاد الضالة ونحو ذلك، كتعريف المحدودات ونحوها. وفي الخبر: (من عرف الله كلّ لسانه) من عرفت الشيء - من باب ضرب - أي أدركته، قيل: والمعرفة قد يراد بها العلم بالجزئيات المدركة بالحواس الخمسة، كما يقال: عرفت الشيء إذا علمته بإحدى الحواس الخمسة، وقد يُراد بها إدراك الجزئي والبسيط المجرد من الإدراك المذكور، كما يقال: عرفت الله دون علمته، لأنّ العلم مفسّر بمعان مختلفة لا يخلو شيء منها من اعتبار إدراك الصورة.

وقد يراد بها الإدراك المسبوق بالعدم، وقد يطلق على الإدراك الأخير من الإدراكين إذا تخلّل بينهما عدم، كما لو عرفت الشيء ثمّ ذهلت عنه ثمّ أدركته ثانياً، وباعتبار المعنيين الأخيرين والمعنى الأوّل لا يقال: الله عارف، بل يقال عالم من العلم بمعنى الحكم بالشيء إيجاباً وسلباً، أو بمعنى إدراك الصورة، أو الصورة الحاصلة، أو غير ذلك.

وكلّ ذلك بالنسبة إلى الله أنّما يتصوّر في ملكه لا نفسه، بالعلم الحادث لا

(١) المصباح المنير: ٤٠٤ / عرفته.

(٢) النهاية ٣: ٢١٨، ولسان العرب ٩: ١٥٤ / عرف.

القديم، فإنَّ علمه القديم هو ذاته العالية عن المقامات الماضية، والمراد من معرفة الله كما قيل الإطلاع على نعوته وصفاته الجلالية بقدر الطاقة البشرية، وأمَّا الإطلاع على الذات المقدسة فمما لا مطمع فيه لأحد.

قال سلطان المحققين الطوسي (رحمه الله): إنَّ مراتب المعرفة بالله تعرف بملاحظة مراتب معرفة النار مثلاً، فإنَّ لمعرفتها مراتب أدناها معرفة من سمع أنَّ في الوجود شيئاً يعدم كلَّ شيء يلاقيه، ويظهر أثره في كلَّ شيء يحاذيه، ويسمَّى ذلك الموجود ناراً.

ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة المقلِّدين الذين صدقوا بالدين من غير وقوف على الحجة، وأعلى منها مرتبة معرفة من وصل إليه دخان النار، وعلم أنَّه لا بدَّ له من مؤثِّر، فحكم بذاتٍ لها أثر هو الدخان.

ونظير هذه المعرفة في معرفة الله معرفة أهل النظر والإستدلال الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع، وأعلى منها مرتبة معرفة من أحسَّ بالنار بسبب مجاورتها، وشاهد الموجودات بنورها، وانتفع بذلك الأثر، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة المؤمنين المخلصين الذين اطمأنَّت قلوبهم بالله، وتيقَّنوا أنَّ الله نور السماوات والأرض، كما وصف به نفسه.

وأعلى منها مرتبة معرفة من احترق بالنار بكليته، وتلاشى فيها بجملته، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله معرفة أهل الشهود والفناء في الله، وهي الدرجة العليا والمرتبة القصوى، رزقنا الله الوصول إليها، والوقوف عليها بمنه وكرمه، إنتهى^(١).

وفي الخبر عن عليٍّ (عليه السَّلام): (لا آخذ بقول عرَّاف ولا قائف)^(٢) والعرَّاف مثل المنجم والكاهن يستدلُّ على معرفة المسروق والضالَّة بكلام أو فعل، وقيل: العرَّاف يخبر عن الماضي والكاهن يخبر عن الماضي والمستقبل معاً. ومعروف الكرخي من أصحاب الصادق (عليه السَّلام)، ومن حديثه أنَّه قال

(١) راجع مجمع البحرين / عرف، والأربعون حديثاً للبهائي: ٨١ الحديث الثاني.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٠ ح ٣٣٠٦، عنه الوسائل ١٨: ٢٧٨ ح ٤.

له: أوصني يا ابن رسول الله، قال (عليه السلام): قلل معارفك، قال: ثم أوصني يا ابن رسول الله، قال (عليه السلام): أنكر من عرفت منهم^(١).

والمعروف هو الخير لكونه معروفاً عند أهل الله بخلاف المنكر، ومنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد مرّت الإشارة إلى تفصيل المقام، وفي الخبر: (إنّ المعروف بقدر المعرفة)^(٢) أي يعطى النعمة والإحسان للشخص بقدر معرفته، كما أنّ الله لا يجازي بعمل الخير من الإنسان إلّا بقدر معرفته.

قال في النهاية: قد تكرر ذكر المعروف في الحديث، وهو اسم جامع لكلّ ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس، وكلّ ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، وهو من الصفات الغالبة أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه، والمعروف أيضاً النصفة، وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس، والمنكر ضد ذلك جميعه.

ومنه الحديث: أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، أي من بذل معروفه للناس في الدنيا آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة، وقيل: أراد من بذل جاهه لأصحاب الجرائم التي لا تبلغ الحدود فيشفع فيهم، شفّعه الله في أهل التوحيد في الآخرة.

وروى عن ابن عباس في معناه قال: يأتي أصحاب المعروف في الدنيا يوم القيامة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم جملة، فيعطونها لمن زادت سيئاته على حسناته فيغفر له ويدخل الجنة، فيجتمع لهم الإحسان إلى الناس في الدنيا والآخرة^(٣).

والموقع: محلّ وقوع الشيء وزمانه، والمراد من المقدور الأمور المقدورة، مفرد في معنى الجمع باعتبار اللام الموصولة، التي يستوي فيها المفرد والتثنية

(١) التحصين: ١١ ح ٢١، عنه مستدرک الوسائل ١١: ٣٨٧ ح ١٦.

(٢) جامع الأخبار: ٣٨٢ ح ١٠٦٩، باب ٩٦، عنه البحار ٤٤: ١٩٦ ح ١١.

(٣) النهاية ٣: ٢١٦، ولسان العرب ٩: ١٥٥ / عرف.

والجمع والمذكر والمؤنث معنىً وضميراً، واللام للجنس باعتبار معنى الثبوت المبعّد لها عن الموصوليّة، والجنس يقع على القليل والكثير، أو للإستغراق، وعلى أيّ تقدير ففيه معنى الجمعيّة بملاحظة جمعيّة لفظ المواقع، مع أنّ معرفته تعالى لا تنحصر بمواقع شيء واحد مقدور، بل هو تعالى يعرف مواقع جميع الأمور المقدورة فيضع كلّ شيء في موضعه بمقتضى الحكمة، أو المراد معرفته تعالى بما يصلح وينبغي من أزمنة الأمور الممكنة المقدورة.

ويحتمل أن يكون المراد بالمقدور المقدّر، كما في قوله تعالى: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾^(١) بل هو أظهر من حيث المعنى وإن كان بعيداً لفظاً.

قولها (عليها السلام): «إتماماً لأمره ... الخ».

أي إتماماً للحكمة التي خلق الأشياء لأجلها، وهي تحصيل المعرفة والعبادة، والفوز بدرجات الجنّة والفيوض الأخرويّة.

والعزم: هو تأكّد الإرادة، وأصله بمعنى الجزم والجدّ والإجتهاد والقوّة والصبر، ومنه قوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾^(٢) مراداً بهم أولو العزم بالمعنى اللغوي لا الإصطلاحي الذي مرّت إليه الإشارة، أي المراد بالعزم هنا الصبر لا كون النبي (صلّى الله عليه وآله) صاحب عزم وشريعة ناسخة لشريعة من تقدّمه.

قيل: وأولو العزم هنا ستة: نوح صبر على أذى قومه، وإبراهيم صبر على النار، وإسحاق على الذبح، ويعقوب على فقد الولد وذهاب البصر، ويوسف في البئر والسجن، وأيوب على الضّرّ، وفي القاموس: هم نوح، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، ومحمّد (صلّى الله عليه وآله)^(٣).

وقيل: سمّوا أولي العزم لأنّه تعالى عهد إليهم في محمّد (صلّى الله عليه وآله)

(١) الأحزاب: ٣٨.

(٢) الأحقاف: ٣٥.

(٣) القاموس المحيط: ١٤٦٨ / عزم، باختلاف.

والأوصياء من بعده والقائم وسيرته، فأجمع عزمهم على أن ذلك كذلك، أو لأنهم بعثوا إلى مشارق الأرض ومغاربها، وجنّها وإنسها، أو لكونهم أولي الجد والثبات والصبر، وبعض هذه الوجوه من باب الإشتباه بين المعنى اللغوي والإصطلاحي. وفي الخبر: (عرفت الله بفسخ العزائم، ونقض الهمم أو حلّ العقود)^(١) أي نظرت في أحوال نفسي وأني ربّما أعزم وأعقد قلبي على أمر، ثم ينحلّ العقد من غير تجدد موجب لذلك، فأعلم بهذا النظر من هذين الأمرين أن هذا من مقلّب القلوب والأبصار، ومدبّر الليل والنهار أي بيده تعالى أزمّتها، وكلّها مسخرة في يمينه برمتها، فنحو هذا هو الطريق إلى معرفته تعالى.

وفي الخبر: (لا خير في عزم بغير حزم، فإنّ القوّة إذا لم يكن معها حذر أورطت صاحبها)^(٢)، وقوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً﴾^(٣) أي رأياً معزوماً عليه، من عزمت عزمًا وعزيمة إذا أردت فعلاً وقطعت عليه، وعن الباقر (عليه السلام) قال: عهد الله إليه في محمّد والأئمة من بعده فترك، ولم يكن له عزم أنّهم هكذا^(٤).

وفي الحديث: (الزكاة عزمة من عزمات الله)^(٥) أي حقّ من حقوقه فهو واجب من واجباته، عزم عليها فهي بمعنى المعزوم عليها، وكذلك العزيمة فاعيلة بمعنى مفعولة، كما في حديث ابن مسعود: إنّ الله يحبّ أن تؤتى رخصه كما يحبّ أن تؤتى عزائمه^(٦).

وسور العزائم هي السور التي فيها السجّدات الواجبة، وهي أربعة مشهورة،

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٥٠، عنه البحار ٥: ١٩٧ ح ١٠.

(٢) النهاية ٣: ٢٣٢ / لسان العرب ٩: ١٩٣ / عزم.

(٣) طه: ١١٥.

(٤) علل الشرائع: ١٢٢ ح ١، عنه البحار ١١: ٣٥ ح ٣١، وانظر الكافي ١: ٤١٦ ح ٢٢، وبصائر الدرجات ٩٠ ح ١، وتفسير القمي ٢: ٦٦، والصابي ٣: ٣٢٣، وكنز الدقائق ٨: ٣٦٠.

(٥) مجمع البحرين / عزم، والنهاية ٣: ٢٣٢ / عزم.

(٦) النهاية ٣: ٢٣٢، ولسان العرب ٩: ١٩٣ / عزم.

وقد يقال العزيمة لنفس السورة، والعزيمة في الأصل هنا كانت أولاً إسمًا لنفس السجدة الواجبة بقراءة آيتها، ثم أطلقت على الآية بعلاقة المسببية والسببية، ثم استعملت من الآية بعد غلبتها فيها في تمام السورة بعلاقة الجزئية والكليّة.

وقد تكون العزيمة مصدرًا بمعنى العزم - كما أُشير إليه فيما مرّ - على وزن مهيلة، فإنّ نحو ذلك وارد في أوزان المصدر أيضاً، والمعنى المصدري هو المراد منها في الخطبة.

والمراد من الحكم هنا هو المعنى المصدري أيضاً، أو إسم المصدر أو المحكوم به، ومعنى الحكم هو القضاء وأصله المنع على ما ذكر في المصباح^(١)، يقال: حكمت عليه بكذا إذا منعته من خلافه، فلم يقدر على الخروج من ذلك، وحكمت بين القوم فصلت بينهم.

والمراد من حكم الله هنا ما حكم به من أمر السعادة، والشقاوة، والهداية، والضلالة، والدنيا، والآخرة ونحو ذلك ولو بحسب الاستعدادات الجبليّة، والقابليّات الأصليّة.

والإنفاذ: أفعال من نفذ السهم من الرمية إذا خرقتها وخرج منها إلى ورائها، ونفذت الكتاب إلى فلان وأنفذته أي أرسلته إليه، والتنفيذ مثله، ورجل نافذ في أمره أي ماض جار، وأمره نافذ أي مطاع.

قال تعالى: ﴿يَا معشر الجنّ والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلّا بسلطان﴾^(٢).

المعنى: أيّها الثقلان إن استطعتم أن تهربوا من قضائي، وتخرجوا من أرضي وسمائي، فاهربوا وافعلوا، ثم قال: لا تقدرون على النفاذ من نواحيها وأقطارها إلّا بسلطان أي بقهر وقوّة وغلبة، وأنّي لكم ذلك، وبالجمله المراد من الإنفاذ هنا

(١) المصباح المنير: ١٤٥ / الحكم.

(٢) الرحمن: ٣٣.

الإجراء والإمضاء.

والحتم هو احكام الأمر، وبمعنى القضاء، وحتمت عليه الشيء حتماً أو جبرته وجوباً لا يمكن إسقاطه، والحتم الأمر المحتوم أيضاً، والإضافة في (مقادير حتمه) على ما قال الفاضل المجلسي^(١)، هي من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة أي مقاديره المحتومة، وهذا بناء على جعل الحتم بمعنى المحتوم، ومستعملاً في معنى الجمع لكونه مصدراً في الصورة.

ويجوز أن تجعل لامية أي المقادير التي لحتمه، بمعنى كونها صادرة عن حتمه، وجعل المقادير مستندة إلى الحتم بمعنى الوجوب والثبوت: أن صدور هذه المقدرات إنما هو بمقتضى القابليات والاستعدادات، فتكون حينئذٍ إختيارية لا قهرية واجبارية، لتكون من باب العزم الرافع للعقاب، والحتم الدافع للحساب والكتاب.

قالت (عليها السلام):

«فَرَأَى الْأُمَمَ فِرْقًا فِي أَذْيَانِهَا، عُكَّافًا عَلَى نِيرَانِهَا، عَابِدَةً
لِأَوْثَانِهَا، مُنْكَرَةً لِّلَّهِ مَعَ عِزِّهَا، فَأَنَارَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ظُلُمَهَا، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا، وَجَلَّى
عَنِ الْأَبْصَارِ غُمَمَهَا، وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهُدَايَةِ فَأَنْقَذَهُمْ مِنَ
الْغَوَايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ الْعَمَايَةِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ،
وَدَعَاهُمْ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ».

بيان:

(الأمم) جمع أمة كغرف وغرفة، وهي هنا بمعنى الجماعة كما فسر في اللغة
أيضاً بذلك، قال الأخفش: هي في اللفظ مفرد وفي المعنى جمع^(١).
وجاءت الأمة في الكتاب العزيز على وجوه، بمعنى الجماعة مثل قوله تعالى:
﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾^(٢) أي جماعة، وهي أصل
المعنى من جهة أن المتخلف عنها يأثمها، فهي مأومة يأثمها ويقصدها كل من تخلف
عنها وانفرد منها فيتبعها، أو أن الأمة بمعنى الفاعل أي الجماعة التابعة لرئيسها،
ومنه إطلاق الأمة على أتباع كل نبي، وإن كان في عصره ولم يتبعه فليس من أمته.
وبمعنى رجل جامع للخير يقتدى به، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً
قَانِتًا لِلَّهِ﴾^(٣) وفي حديث قس بن ساعدة (إنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة)^(٤).
قال في النهاية: الأمة الرجل المتفرد بدين كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً
قَانِتًا لِلَّهِ﴾^(٥).

وبمعنى الدين والطريقة، لأنه جماعة من الأحكام متبعة مقصودة، مثل قوله

(١) راجع لسان العرب ١: ٢١٦ / أم.

(٢) القصص: ٢٣.

(٣) النحل: ١٢٠.

(٤) النهاية ١: ٦٨، ولسان العرب ١: ٢١٥ / أم، والبحار ١٥: ١٥٧.

(٥) النهاية ١: ٦٨ / أم.

تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾^(١) وبمعنى حين وزمان أي قطعة مشتملة على أجزاء منه، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَنُؤَخِّرَنَّهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾^(٢).

وبمعنى الجيل من الناس والحيوان، وكلّ جنس منهما، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾^(٣) ومنه الخبر: «لولا أنّ الكلاب أمة تسبّح الله لأمرت الله بقتلها»، والأمة جميع الناس أيضاً، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾^(٤) أي جماعة واحدة قبل بعث الأنبياء فاختلّفوا بعده.

وفي كتاب الملل والنحل: إنّ الضابط في تقسيم الأمم أن نقول: من الناس من لا يقول بمحسوس ولا معقول وهم السوفسطائية، ومنهم من يقول بالمعقول والمحسوس ولا يقول بالحدود والأحكام، وهم الفلاسفة الدهرية، ومنهم من يقول بالمحسوس والمعقول والحدود والأحكام ولا يقول بالشرعية والإسلام، وهم الصائبيّة، ومنهم من يقول بهذه كلّها وبشرعية وإسلام ولا يقول بشرعية نبينا (صلّى الله عليه وآله)، وهم المجوس واليهود والنصارى، ومنهم من يقول بهذه كلّها وهم المسلمون، إنتهى^(٥).

وبالجملة المراد بالأمم هنا الفرق أي الجماعات المتفرقة.

و (الْفِرَق) جمع فرقة كنعمة ونعمة، وهي الجماعة المنفصلة من الناس وغيرهم، والمراد منها هنا معنى الوصف أي المتفرقة، لاستلزام الفرقة الفصل والتفرقة، والمراد أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) لما انبعث بأمر الله حين ابتعثه رأى الأمم أي جماعات الناس متفرقة في أديانها، كلّ أمة متبعة لهاها، آخذة ديناً مغايراً لدين من سواها.

(١) الزخرف: ٢٢.

(٢) هود: ٨.

(٣) الأنعام: ٣٨.

(٤) يونس: ١٩.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني ٢: ٤.

قولها (عليها السلام): «عُكِّفًا عَلَى نِيرَانِهَا... الخ» تفصيل وبيان للفرق بذكر بعضها لكونه من الفرق الواضحة البطلان.

وعكف على الشيء عكوفاً - كضرب ونصر - أي لازمه، وأقبل عليه مواظباً له فهو عاكف، ويجمع على عُكُوف كشاهد وشهود، وعادل وعدول، وعلى عُكُف - بضم العين وفتح الكاف المشددة، كما وقع في الفقرة - وهو الغالب في جمع فاعل الصفة نحو شُهِدَ وَغُيِّبَ.

ومن هذه المادة وهذا المعنى الإعتكاف الشرعي، وهو اللبث في المسجد الجامع ثلاثة أيام فصاعداً للعبادة على النهج المقرر في الشريعة، بمعنى قبول العكوف أي الملازمة في المسجد فهو معتكف، ويقال له العاكف أيضاً أي العاكف على المسجد والملازم له، والعاكف على العبادة أو العاكف على حال نفسه.

قيل: هو من عكفت الشيء حبسته أو منعته، والإعتكاف إفتعال منه لأنه حبس للنفس، ومنع لها عن التصرفات العادية، وقوله تعالى: ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا﴾^(١) أي مجبوساً، و﴿سَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ الْبَآدِ﴾^(٢) أي المقيم والطارئ.

والنيران: جمع نار، وهو قياس مطرد في جمع الأجوف نحو تيجان ونيران، وقد مرّ معنى النار وما يتعلّق به.

والأوثان: جمع وثن بمعنى الصنم، وهو المصنوع من خشب أو حجر أو غيرهما بدون إضافة الصورة المجردة أو معها، وقيل: الصنم هو المتخذ من الجواهر المعدنية التي بذوب، والوثن هو المتخذ من حجر أو خشب ونحوهما، فالصورة لا تسمّى صنماً ولا وثناً.

وقال ابن فارس: الصنم ما يتخذ من خشب أو نحاس أو فضة^(٣)، والوثن من غيرها، وقيل: الوثن كلّما له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب

(١) الفتح: ٢٥.

(٢) الحج: ٢٥.

(٣) مجمل اللغة لابن فارس ٢: ٥٤٣ / صنم.

والحجارة ونحوهما على صورة الآدمي وغيره، يعمل وينصب ويعبد، والصنم الصورة بلا جثة.

وفي المغرب: الوثن ماله جثة من خشب أو حجر أو فضة أو جوهر ينحت^(١)، فالصنم حينئذ عينه أو أخص أو أعم أو مباين.

وقيل: إنهما بمعنى واحد مطلقاً، والظاهر أنهما إذا اجتمعا افترقا ببعض الفروق، وإذا افترقا اجتمعا على معنى من المعاني، وجمع الوثن أو ثان ووثن كأسد وآساد وأسد، وهو من وثن إذا ثبت ودام لاثباتها في بيوتها للعبادة لها، وفي الحديث في قوله تعالى: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾^(٢) قال: اللعب بالشطرنج والنرد وسائر أنواع القمار^(٣).

والإنكار في الأصل عدم المعرفة، وليس بمراد هنا لقولها (عليها السلام): (مع عرفانها) بل المراد من الإنكار هنا لازمه وهو الجحود، يقال: أنكرته إنكاراً خلاف عرفته، وأنكره إذا جحده، ويتفرع منه قولهم: أنكرت عليه فعله بمعنى عتبت عليه، فتكون الفقرة من باب ﴿يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها﴾^(٤).

ويجوز أن يكون المراد حصول المعرفة لهم بالله سبحانه من حيث فطرتهم، فإن معرفته تعالى فطرية، أو أنّ ذلك لقيام الدلائل الواضحة الدالة على وجوده تعالى، أو أنّ المراد من معرفتها وعرفانها كونها أهل معرفة في أنفسها بالأمور لا بالله سبحانه، أي أنهم لم يعرفوا الله وهم أهل المعرفة في أنفسهم مع أنّ الله سبحانه في غاية الظهور، وهو نور كل نور، ومبدأ كل ظهور.

فوا عجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يججده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدلّ على أنه واحد

(١) المغرب ٢: ٢٤٠ / وثن.

(٢) الحج: ٣٠.

(٣) فقه الرضا (عليه السلام): ٢٨٤ رقم ٤٦، عنه البحار ٧٩: ٢٣٣ ح ٩.

(٤) النحل: ٨٣.

وهذا كالتوبيخ لهم في أنهم اتبعوا هوى أنفسهم، فأعمى أبصارهم وأغشى أنظارهم، فلم يعرفوا خالقهم ومدبرهم لما وقعوا في تيه الضلالة، وظلمة الغواية والجهالة مع كونهم في أنفسهم أهل العلم والمعرفة.

ويطلق المنكر - بفتح الكاف - على القبيح أي الحرام لعدم معرفتيه بين أهل الشرع والإسلام، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(١).

والمنكر وقع في الخبر كثيراً بمعنى ضدّ المعروف الذي أُشير إليه أي ما قبحه الشارع وحرّمه، والمعروف الذي يذكر في مقابله هو الفعل الحسن المشتمل على رجحان فيختصّ بالواجب والمندوب، فيخرج المباح والمكروه عن الطرفين وإن كانا داخليين في الحسن على وجه، ويمكن إدخال المكروه في المنكر فيخرج المباح أو يدخل في المعروف أيضاً.

والنكير: المنكر والإنكار أيضاً بكلّ معنى أُشير إليه، ومنكر ونكير أسماء الملكين المشهورين، وقد أنكر بعض أهل الإسلام تسميتها بذلك وقالوا: المنكر هو ما يصدر من الكافر والمتلجلج عند سؤالهما، والنكير ما يصدر عنهما من التفرّيع له، فليس للمؤمن منكر ونكير عند هؤلاء، والأحاديث الصحيحة المتظافرة صريحة في خلافهم.

وربّما كانت التسمية لأدنى ملابسة، وذلك لصدور النكير والمنكر عنهما على غير المؤمن عند المسألة، أو أنّ وجه التسمية أنّهما يظهران للكافر بهيئة منكراً، فأحدهما المنكر وهو الأكبر، والآخر النكير بمعنى المنكور وهو الأصغر.

والنكّرة - بالتحريك - الاسم من الإنكار كالنفقة من الإنفاق، ومنه الحديث: (أوحى الله إلى داود (عليه السلام) أنّي قد غفرت ذنبك، وجعلت عار ذنبك على بني إسرائيل، فقال: كيف ياربّ وأنت لا تظلم؟ قال: إنهم لم يعاجلوك بالنكرة)^(٢).

(١) المنكوبت: ٤٥.

(٢) الكافي ٥: ٥٨ ح ٧، عنه البحار ١٤: ٢٧ ح ٨، وفي تفسير القمي ٢: ٢٣٢.

والتَّكْرَةَ - بكسر الكاف - ككَلِمَةٍ مع وجوها المعروفة خلاف المعرفة المعنوية واللفظية.

والمناكرة: المحاربة، وفي حديث أبي سفيان قال: (إِنَّ مُحَمَّدًا لم يَناكِرْ أَحَدًا قط إِلَّا كانت معه الأهوال) ^(١) أي لم يحارب، لأنَّ كلَّ واحد من المتحاربين يَناكِرُ الآخر أي يداهنه ويخادعه، والأهوال المخاوف والشدائد، وهذا كقوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): (نصرت بالرعب) ^(٢).

ولما كانت المخادعة مستلزمة للمناكرة أطلق المناكرة على المخادعة، فيطلق بذلك النكراء والنكرة على الدهاء والشيطنة، كما قال عليّ (عليه السّلام): العقل ما عبّد به الرحمان واكتسب به الجنان، قيل: وعقل معاوية؟ قال (عليه السّلام): ليس ذلك بعقل وإنما هي نكراء وشيطنة ^(٣)، فيقال: ما أنكره أي ما أدهاه.

والفقرة الأولى من هذه الفقرات المبيّنة لاختلاف الفرق في أدبائها إشارة إلى عبدة النار، والثانية إلى عبدة الأصنام، والثالثة جامعة بينهما، ومثبتة لصفة الإنكار لهما مع إثبات العرفان فيهما مبالغة في الإنكار عليهما، وأنَّ الثالثة إشارة إلى فرقة أخرى وهي الملاحدة النافية للصانع، أو الدهريّون أو الطبيعيّون، وإن قيل أنّه لا نافي للصانع بالمرّة، وأنما الخلاف في موضوع المسألة، وإنَّ النافي بالمرّة يقول أيضاً بأنَّ الله هو الدهر والطبيعة.

وأما عبدة النار فكان أسلافهم يعبدون النار لكونها جرماً مضيئاً نورانياً هو مظهر نوريّة الله تعالى، والدنيا والآخرة قائمتان بجهة النورية وجوديّة وغير وجوديّة، والله تعالى نور والملائكة أنوار، وكذلك الأنبياء والأولياء والصديقون

(١) النهاية ٥: ١١٤ / نكر.

(٢) أمالي الصدوق: ١٧٩ ح ٦ مجلس ٣٨، عنه البحار ١٦: ٣١٣ ح ١، والخصال ٢٩٢ ح ٥٦. وأمالي الطوسي: ٤٨٤ ح ١٠٥٩، النهاية ٥: ١١٤ / نكر.

(٣) الكافي ١: ١١ ح ٣، والمحاسن ١: ٣١٠ ح ٦١٣، ومعاني الأخبار: ٢٣٩، عنه البحار ١:

والشهداء والأخيار والأبرار دون الأشرار والفجّار، فالنار وجه ظاهر من وجوه الله تعالى، فعبدها بلحاظ أنّها وجه الله ومظهر بعض آثاره الكاملة.

واستشهد بعض المتأخّرين منهم بما روى عنه (عليه السّلام) أنّه لما سئل عن وجه الله كيف هو وأين هو وما هو؟ فأمر (عليه السّلام) بنار فاوقدت واشتعلت، فقال (عليه السّلام) للسائل: أين وجه هذه الشعلة؟ قال السائل: كلّ طرف منها وجه لها، فقال (عليه السّلام): فكذلك الله تعالى، فكلّ شيء وجه له تعالى، وأينما تولّوا فثمّ وجه الله^(١).

واستشعروا من تمثيله (عليه السّلام) بالنار الإشارة إلى أنّها أقرب الأشياء إلى الله تعالى في عالم المظهريّة، فخصّوها بالتوجه إليه تعالى بها دون سائر الأشياء، ثمّ سرى الوهم والخيال في الجهلة الضلال فجعلوها إلهاً مستقلاً، فغفلوا عن المبدأ تعالى، وقيل غير ذلك.

وأما عبدة الأصنام فقيل: إنّهم كان جماعة من سلفهم ظلّوا أنّ الكواكب المنيرة صور وقوالب للملائكة المقربين وغير المقربين، العاكفين في جناب الله سبحانه، وأنّهم مقربون عند الله وشفعاء الخليقة في جناب الله تعالى في أمور الدنيا والآخرة، فصوّروا صور الكواكب السبعة وقالوا لها الهياكل النوريّة، وجعلوها في بيوت العبادة.

فهيكّل القمر في بيت، وهيكّل العطارد في بيت وهكذا، وزيّنوا تلك البيوت، وكانوا يدخلون تلك البيوت للعبادة ويخرجون، ثمّ تجاوز الأمر بحكم التسويات الشيطانيّة إلى نحت أصنام آخر من صور الكواكب الأخر وغير ذلك، فجعلوها في بيوت الأصنام وعبدوها استرضاء لأرباب الصور المذكورة ليشفعوا لهم عند الله سبحانه، ولهذا قالوا: ﴿ما نعبدهم إلّا ليقربونا إلى الله زلفى﴾^(٢) ثمّ توهم المتأخرون منهم أنّها آلهة حقيقة، وتعدّوا بعد ذلك إلى صور الحيوانات وغير ذلك.

(١) إرشاد القلوب ٢: ٣١٨، عنه البحار ٣٠: ٨٦.

(٢) الزمر: ٣.

وقيل: إنَّ قوماً من السلف كانوا يتأسفون لموت آبائهم، وأمهاتهم، وأولادهم، وإخوانهم، وأقربائهم، وأصدقائهم، فتمثل لهم الشيطان وقال لهم: صوّروا صور موتاكم فضعوها في بعض بيوتكم، فإذا اشتقتهم إليهم فزوروهم في بيوتكم، ففعلوا كذلك، ثم لما مات السلف واستخلف الخلف، أوقع الشيطان في بالهم أن آباءهم كانوا يعبدون تلك الصور المنحوتة المعمولة لأنّها آلهتهم أو صور آلهتهم، ففسرى الوهم فضلّوا عن السبيل فهم لا يهتدون، وفي بيداء الغيّ يعمهون.

وقيل: إنَّ جماعة من الأمم السالفة صوّروا علماءهم وزهادهم، وجعلوها في حياتهم وبعد وفاتهم في بيوتهم، يزورون تلك الصور تعظيماً لشأن أربابها، وتقرباً إلى الله سبحانه بتعظيمها، فلما مضى السلف ولم يعرف الخلف جهة ما كان يفعل آبائهم وأجدادهم، فخيّل الشيطان إليهم أنّهم ما كانوا يفعلون كذلك إلاّ أنّهم آلهتهم أو صور آلهتهم، فأل الأمر إلى ما آل، فتأهوا في بيداء الضلال، وقيل غير ذلك ممّا أوجب وقوعهم في ظلمات المهالك.

قولها (عليها السلام): «فأنار الله بمحمّد (صلّى الله عليه وآله) ظلمها... الخ»، الظلم - بضمّ الظاء وفتح اللام - جمع الظلمة كُفِّرَ وغُرِفَ، وضمير ظلمها للفرق والأُمم، وإنارة الظلمة إزالتها بالنور.

ولمّا كانت الظلمة هي ظلمة شبهات الجهل والضلالة الثابتة فيهم المحيطة عليهم، كان النور هو نور المعرفة والهداية الذي أتى به النبي (صلّى الله عليه وآله) باظهار أحكام الشريعة القويمة، ودعوة الناس إلى تلك الطريقة المستقيمة، فأزال عنهم تلك الظلمة، كما قال تعالى:

﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾^(١).

والمراد كما في الأخبار موت الجهل والغواية، وحياة العلم والمعرفة، ونور

الدين والهداية، وظلمات الغي والجهالة، وليس المراد إزالتها عن جميعهم، وإلا لم يبق في الخلق ضالّ كافر بالمرّة، بل المراد إزالتها عمّن كان قابلاً للهداية، أو المراد إزالتها عن الجميع إزالة قويّة شأنيّة لا فعليّة، بأن أزال الشبهات وأتى بالدلائل الواضحات والآيات البيّنات، فهلك من هلك عن بيّنة، وحّي من حيّ عن بيّنة، ولعلّ لهذا المعنى الأخير مقرّبات من فقرات الخطبة الشريفة، كما لا يخفى لمن تأمل فيها.

والظلمة والظلّ متقاربان لفظاً ومعنى، وظلمة الليل ظلّ الأرض الحادث بغروب الشمس وكونها تحت الأرض، وظلمة البطن ظلّ الجسم المحيط به، وظلمة البيت ظلّ الجدران والسقف المحيطة به وهكذا.

والظلمات المعنويّة ظلّ الكثافات الدنيويّة، والكدورات الجسمانيّة والنفسانيّة وهكذا، فإنّ إشراق نور الأزل أنما يكون من جهة عالم الباطن، فيقع في عالم الظاهر من جهة كدوراته الحاجبة ظلّ الجهالة والغواية ونحو ذلك، فتأمل في ذلك فإنّه نكتة دقيقة لا يدركها إلّا البصر الحديد، ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾^(١).

﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾^(٢).

﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾^(٣) فليس لهم أن يفقهوه.

وسمّي الظلم خلاف العدل ظلماً لأنّه ظلمة حادثة من غروب شمس العقل وقمر العدل، بل العقل والعدل متقاربان لفظاً ومعنى بقول فصل ليس بالهزل. والأصل في الظلم لغة وعرفاً هو وضع الشيء في غير موضعه، ومنه قولهم: من استرعى الذئب على الغنم فقد ظلم، وبعبكسه العدل الصوري والمعنوي،

(١) ق: ٢٢.

(٢) الإسراء: ٤٦.

(٣) البقرة: ٧.

فتفضيل المفضل على الفاضل - كما فعله العامة - ظلم وخيم، ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، فالذين ظلموا آل محمد غافلون جاهلون حائرون، وفي بيداء الضلالة تائهون سائرون، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي متقلب يتقلبون﴾^(١).

والمظلمة - بفتح الميم وكسر اللام - اسم لما يطلبه المظلوم عند الظالم كالظلمة بالضم، وفي الخبر: (الظلم ظلمات يوم القيامة)^(٢).

وفيه: إن الظلم ثلاثة: ظلم لا يُغفر وهو الشرك بالله، وظلم لا يُترك وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً، وظلم مغفور لا يُطلب وهو ظلم العبد نفسه عند فعل بعض المنهيات^(٣)، يعني الصغيرة من الزلات، وهذه كلها ظلمات.

والظالم أيضاً من يتعدى حدود الله، قال تعالى: ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾^(٤) لكونه لم يضع الشيء موضعه فوقه في ظلمات الجهل عن الشريعة، وزال عنه نور الطريقة وضياء الحقيقة، وبالجملية الظلمة خلاف النور.

وقوله تعالى: ﴿في ظلمات ثلاث﴾^(٥) هي ظلمة المشيمة، وظلمة الرحم، وظلمة البطن، وقوله تعالى: ﴿أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض﴾^(٦) قال المفسرون: هذا تشبيه بأن أعمال الكفار في خلوها عن نور الحق وظلمتها لبطلانها، كظلمات متراكمة هي ظلمة الموج وظلمة البحر وظلمة السحاب.

وروي في قوله تعالى: ﴿أو كظلمات﴾ أنه (عليه السلام) قال: هي الأول

(١) الشعراء: ٢٢٧.

(٢) عوالي اللآلي ١: ٣٦٤ ح ٥٢، عنه مستدرك الوسائل ١٢: ٩٩ ح ١٣٦٢٨، وصحيح الترمذي ٤: ٣٧٧ ح ٢٠٣٠ باب ٨٣ كتاب البر والصلة.

(٣) الكافي ٢: ٣٣٠ ح ١، عنه البحار ٧٥: ٣٢٢ ح ٥٣، وأيضاً نهج البلاغة خطبة: ١٧٦، والخصال ١١٨ ح ١٠٥ وأمالى الصدوق: ٢٠٩ ح ٢ مجلس ٤٤.

(٤) البقرة: ٢٢٩.

(٥) الزمر: ٦.

(٦) النور: ٤٠.

وصاحبه، «يغشاه موج»: الثالث «من فوقه موج ظلمات»: الثاني «بعضها فوق بعض»: معاوية وفتن بني أمية، إذا أخرج المؤمن يده في ظلمة فتنهم لم يكدرها^(١).

وقوله تعالى في يونس: «فنادى في الظلمات»^(٢) أي ظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، وظلمة البحر، أو ظلمة حوت التقم الحوت الأول، وفي الدعاء: (جاعل الظلمات والنور)^(٣) أي الليل والنهار، والجنة والنار، والأخيار والأشرار، والفجار والأبرار ونحو ذلك.

والظلام قيل: مطلق الظلمة، وقيل: ظلمة أول الليل وكذا الظلماء، أو هي بمعنى الظلمة مطلقاً، ويقال: أظلم الليل أي أقبل بظلامه، وأظلم القوم أي دخلوا في الظلام.

قولها (عليها السلام): «وكشف عن القلوب بهمها».

الضمير يجوز أن يرجع إلى الأمم مطابقاً للضمير في ظلمها، ويجوز أن يرجع ضمير بهمها إلى القلوب وكلاهما صحيحان، وفي ضمير غمها أيضاً وجهان بالنسبة إلى الرجوع إلى الأمم والأبصار.

والبهم جمع بهمة - بالضم - كغرف وغرفة، وظلم وظلمة، وهي مشكلات الأمور ومبهماتا، وهذه المادة تنبئ عن معنى الإغلاق والستر والإخفاء وعدم البيان، يقال: استبهم الخبر واستغلق واستعجم بمعنى، وأبهمت إبهاماً إذا لم تبينه، وأبهمت الباب أغلقته، وأمر مبهم أي لا مأتى له، وفارس بهمة - كغرفة - أي لا يدري من أين يؤتى لشدة بأسه.

والبهيمة الحيوان الذي لا يفهم صوته وما يقوله، والأسماء المبهمة هي أسماء

(١) الكافي ١: ١٩٥ ح ٥، عنه الصافي ٣: ٤٣٨، وكنز الدقائق ٩: ٣٢١، ونحوه تفسير القمي ١٠٦: ٢.

(٢) الأنبياء: ٨٧.

(٣) البحار ٩٨: ٥٧ / في أدعية اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان.

الإشارة عند النحاة على ما ذكر الجوهري^(١)، لعدم البيان الصريح فيها، والمبهات الثلاثة هي أسماء الإشارة، والموصولات، والمضمرات لوجود الإبهام فيها جملة. ومعنى الفقرة أن النبي (صلى الله عليه وآله) كشف عن قلوب الأمم مشكلات أمور تلك الأمم، أو مشكلات أمور قلوبهم، واللام في القلوب عوض عن المضاف إليه، والإضافة على الأوّل لامية وعلى الثاني ظرفيّة.

والمراد من المشكلات مشكلات التوحيد وسائر أصول المعرفة والعبادة وفروعها، بل كلّ ما يتعلّق بالأمور الدنيويّة والأخرويّة، وكشفها عبارة عن تبينها ببيانات النبي (صلى الله عليه وآله) وإزالتها به، أي أنّه (صلى الله عليه وآله) أزال إشكالات الأمور الدنيويّة والدينيّة فاتضح به لهم حقيقة كلّ مسألة، وأقيل عنهم به زلّة كلّ معصية، وعثرة كلّ مزلة في كلّ مرحلة بقدر الاستعداد والقابليّة في كلّ مورد معضلة.

و (جلوت) الأمر كشفته وأوضحته من الجلاء بمعنى الكشف والإيضاح، فهو منجل، قال الشاعر:

وسترى إذا انجلي الغبار أفرس تحتك أم حمار
والتفعل من هذه المادّة يستعمل للمبالغة، يقال: جلّيته تجلية بمعنى جلوته جلاء، قيل: والمجرّد يستعمل لازماً مثل جلى الغبار بمعنى إنجلي، ومنه الجليّ مقابل الخفيّ، ومتعدياً مثل جلا الأمور أي كشفها، ومنه على وجه قوله:
أنا ابن جلا وطلّاع الشنايا متى أضع العمامة تعرفوني^(٢)
أي أنا ابن رجل جلا الأمور وكشفها.

وفي الحديث: (السواك مجلاة للبصر)^(٣) أي آلة لتقوية البصر، وكشف لما يغطّيه، وفي حديث النبي (صلى الله عليه وآله): (فجلي الله لي بيت المقدس)

(١) الصحاح ٥: ١٨٧٥ / بهم.

(٢) قاله سحيم بن وثيل، راجع لسان العرب ٢: ٣٤٥ / جلا.

(٣) الخصال: ٤٨١ ح ٥٣ باب الإثني عشر، عنه البحار ٧٦: ٢٩١ ح ١٤، وفي مكارم الأخلاق: ٥٠.

بتشديد اللام وتخفيفها أي كشفه، فيجوز الوجهان في الفقرة الشريفة أيضاً، وجلا فلان عن الوطن أي انكشف وزال عنه إلى مكان آخر.

و (الغمم) جمع غمّة كظلم وظلمة، يقال: أمر غمّة أي مبهم ملتبس، قال تعالى: ﴿لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾^(١).

قال أبو عبيدة: مجازها ظلمة وضيق^(٢) وتقول: غممت الشيء إذا غطيته وسترته، قيل في معنى الآية أي لا يكن قصدكم إلى إهلاككم مستوراً عليكم، وليكن مشهوراً مكشوفاً تجاهروني فيه.

والغمّة أيضاً السترة من غمّه يغمّه ستره، ومنه الحديث: (لا غمّة في فرائض الله)^(٣) أي لا تستروها ولكن تجاهروا فيها، وبمعنى الكربة أيضاً لأنها أي الكربة تستر القلب، أو سروره، أو حلمه، ويقال: هو في غمّة أي حيرة.

والمغموم: المهموم المكروب، والغمام: السحاب لأنه يستر وجه السماء، والأغمم من ليس لرأسه نزع، لكون الشعر ساتراً لجميع أطراف رأسه إلى الجبينين والجبهة، وهو دليل البلادة، واغمم فلان هو إفتعل من الغم، وغمّ علينا الهلال إذا حال دون رؤيته غيم.

وروي (عماها) بدل غمها هنا، وهو عدم البصر عمّا من شأنه البصر، وهو أنسب بالنسبة إلى الأبصار، وإن لم يناسب سجع الكلام في المضمار.

وهذه الفقرات الثلاث ناظرة إلى الفقرات الثلاث الأولى باللف والنشر المرتب، فإنارة الظلم ناظرة إلى العكوف على النيران، وفيه إشارة إلى أنّ ذلك وإن كان في الظاهر عكوفاً على النيران المنيرة، إلا أنه كان عكوفاً على الظلمات المعنوية، وملازمة لظلمة الضلالة، فأنازل النبي (صلى الله عليه وآله) تلك الظلم.

وكشف البهم عن القلوب ناظر إلى عبادة الأوثان، فإن تلك العبادة لا تكون

(١) يونس: ٧١.

(٢) راجع لسان العرب ١: ١٢٧ / غمم.

(٣) النهاية ٣: ٣٨٨، ولسان العرب ١٠: ١٢٨ / غمم.

إلا بالشبهات الوهميّة، والإعتقادات الباطلة.

وجلاء الغم عن الأبصار ناظر إلى إنكارهم لله سبحانه مع العرفان، فإنّ ذلك لا يكون إلا من جهة تغطيته الأبصار بغشاوة الأكدار حتى لا تعرف هي من كانت تعرفه، إذ المراد بالأبصار هنا هو الابصار بالبصيرة الباطنيّة المعنويّة.

قولها (عليها السّلام): «وقام في الناس بالهداية».

أي أقام أمر الهداية، يقال: قام بكذا أي أقامه على أن الباء للتعدية، أو قام مصاحباً له أو بسببه، ويستلزم ذلك إقامته، فالنبي (صلى الله عليه وآله) أقام الهداية أي نصب أعلامها للناس ليهدوا بها في ظلمات البرّ والبحر، أي ظلمات برّ الشريعة وبحر الطريقة والحقيقة.

وقولهم: قام فلان بكذا في الإستعمال، بعكس ما يقال في معنى القوام أنّه ما يقوم به الشيء كما لا يخفى، فإنّ معنى قام فلان بالأمر أنّه أقامه أي جاء معطياً حقوقه، كما في قوله تعالى: ﴿يقيمون الصلاة﴾^(١) و﴿الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض﴾^(٢).

ويقال للقوم: القوم لقيامهم بأمور عيالهم وصغارهم، ولذا قيل: القوم هو الرجال دون النساء، كما قال زهير:

وما أدري وسوف أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء؟^(٣)

وقال تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهنّ﴾^(٤) وربّما دخل فيهم النساء والصغار على سبيل التبع لا الاصالّة.

و (الإنقاذ) التخليص والإنجاء من أنقذت الغريق إنقاذاً أخلصته، فنقذ هو من

(١) البقرة: ٣.

(٢) النساء: ٣٤.

(٣) راجع لسان العرب ١١: ٣٦١ / قوم.

(٤) الحجرات: ١١.

باب تعب، ومنه (يا منقذ الغرقى، ويا منجي الهلكى) وأنقذه واستنقذه بمعنى.
و (الغواية) بفتح الغين من غوى يغوي غيًّا وغوايةً - من باب ضرب - إذا تاه وظلّ وانهمك في الجهل فهو غاو، والجمع غواة، وأغواه إغواء أي أضله وأوقعه في الجهل والضلالة فهو مغو، والغى: الضلال والإنهماك في الباطل والخيبة، وقوله تعالى: ﴿فسوف يلقون غيًّا﴾^(١) أي ضلالاً وخيبة، أو ضلالاً عن طريق الجنة. والغوي: الضالّ، ويُطلق على من كانت ضلالته في الغاية، بحيث يحمل الناس على الغواية أي خلاف الرشد، وقوله تعالى: ﴿ما ضلّ صاحبكم وما غوى﴾^(٢) أي ما انحرف عن جادة الرشد فيما يقوله، إذ ﴿ما ينطق عن الهوى * إن هو إلاّ وحى يوحى﴾^(٣).

وفي حديث الإسراء: (لو أخذت الخمر لغوت أمتك)^(٤) أي ضلّت، وفي الحديث: (سيكون عليكم أئمة إن أطعتموهم غويتم)^(٥).
والفقرة من جهة ذكر الإنقاذ المتعلّق بالغواية، إشارة إلى أنّ الغواية والضلالة كالبحر العميق الذي يغرق ويهلك فيه من وقع فيه.
و (التبصير) جعل الشخص صاحب البصيرة والبصر الصوري والمعنوي.
و (العماية) بفتح العين هي الغواية واللجاج، وأصل العمى فقد البصر وذهابه، ويستعار للقلب كناية عن الضلالة والغى والعماية وعدم الإهتمام، فهو عم وأعمى القلب.

وقوله تعالى: ﴿من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً﴾^(٦) أي

(١) مريم: ٥٩.

(٢) النجم: ٢.

(٣) النجم: ٣ - ٤.

(٤) صحيح البخاري ٦: ٤٣٤ ح ١١٣٤ في تفسير سورة بني إسرائيل، والنهاية ٣: ٣٩٧، ولسان العرب ١٠: ١٤٩ / غوي.

(٥) النهاية ٣: ٣٩٨، ولسان العرب ١٠: ١٤٩ / غوي.

(٦) الإسراء: ٧٢.

من كان في الدنيا أعمى القلب عن الحق فلا يرى في الآخرة طريق النجاة. وعمى الخبر: خفى كأنه لم يهتد إلى سبيل الظهور، ومنه قوله تعالى: ﴿فعميت عليهم الأنبياء يومئذ﴾^(١) وأعميته إعماء: أخفيته، والعماء - بالفتح والمد - السحاب، و(من) في قولها (عليها السلام): (من العماية) بمعنى عن، متعلق بقولها (عليها السلام): (بصرهم) بتضمن معنى الإنجاء والتخليص ونحو ذلك.

وال فقرات الثلاث ناظرة إلى الفقرات السابقة أيضاً باللف والنشر المرتب، فالقيام بالهداية ناظرة إلى إنارة الظلم، والإنقاذ من الغواية إلى كشف البهم عن القلوب، والتبصير عن العماية إلى جلاء الغم عن الأبصار، (فاعتبروا يا أولي الأبصار).

قولها (عليها السلام): «وهدهم إلى الدين القويم... الخ».

الهداية قيل: هي الدلالة الموصلة إلى المطلوب، وقيل: هي إراءة الطريق الموصلة إليه، والأول يستلزم الوصول إلى المطلوب بخلاف الثاني، والأول منقوض بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾^(٢) والثاني بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^(٣) مع أَنَّ شَأْنَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) إراءة الطريق.

ونقل عن ظاهر حاشية التفتازاني على الكشاف: أَنَّ الهداية لفظ مشترك بين المعنيين فلا نقض، ومحصل كلامه فيها أَنَّ الهداية تتعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه كقوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وتارة باللام نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(٤) وتارة بـ(إلى) نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥).

(١) القصص: ٦٦.

(٢) فصلت: ١٧.

(٣) القصص: ٥٦.

(٤) الإسراء: ٩.

(٥) البقرة: ٢١٣.

فمعناه على الإستعمال الأوّل هو الإيصال، وعلى الأخيرين الإراءة، لكن ينتقض الأوّل أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾^(١) و﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٢) و﴿هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٣) إلى غير ذلك.

والثاني بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤)، مع أنّ معنى الهداية هنا بالنسبة إلى الله هي الدلالة الموصلة المختصة بمن أدركه التوفيق، وإلاّ فالله تعالى يهدي كلّ أحد إلى صراط مستقيم.

والحقّ جواز استعمال كلّ في كلّ إلّا أنّ الغالب إستعمال المتعدّي بلا واسطة في الدلالة الموصلة للمناسبة اللفظيّة، والمتعدّي بالحرف في الإراءة، مع كون الغالب في الإراءة من قرب هو التعدية باللام، ومن بعد التعدية بـ(إلى).

والمعنى أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قام بالهداية، وهدى الناس إلى الطريقة الحقّة من بعد، لكون الحال حالة صدر الإسلام، والناس معتكفون حينئذٍ عن عبادة الأصنام، بل هم فرق مختلفون تائهون في بيداء الضلالة، هائمون في حيرة الجهالة، فلم تكن الهداية في أوّل الحالة إلّا بحيث كأنّهم كانوا ينادون من مكان بعيد، فناداهم إلى الدين القويم الذي لا عوج له، ودعاهم كذلك إلى الطريقة المستقيمة التي من سلكها وصل إلى الحقيقة، والمراد من الدين الشريعة، وقد مرّ إلى تفصيل معناه اللغوي الإشارة فيما مرّ.

و(الصراط المستقيم) -بالصاد وهي اللغة الفصيحة- هو الطريق المستوي عن الإعوجاج، والسرائط والزراط لغتان في الصراط.

وذكرنا على سبيل القاعدة الكلّيّة أنّه إذا وقعت في الكلمة بعد السين بمرتبة أو أكثر حرف من حروف حطّ قح (أي الحاء، والطاء، والقاف، والخاء) جاز في السين

(١) فصلت: ١٧.

(٢) الإنسان: ٣.

(٣) البلد: ١٠.

(٤) القصص: ٥٦.

تبديلها الصاد والزاء وبالعكس، نحو سراط وصراط، وسلح وصلح، وبساق وبصاق، ويجوز الزاء في الجميع.

قيل: وسرطت الشيء - بالكسر - أسرط من باب علم: بلعته، وسمي الطريق صراطاً لغيب السالك فيه بالذهاب كأنه بلعه، والمراد بالصراط الكتاب العزيز، أو الدين الحق الذي لا يقبل الله من العباد غيره، وإنما سمي الدين صراطاً لأنه يؤدي من يسلكه إلى الجنة، كما أن الصراط يؤدي من يسلكه إلى مقصده.

وفي عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ قال: يقول: أرشدنا إلى الطريق المستقيم أي أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلغ لدينك، والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب، أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك^(١).

أو المراد به الإسلام، أو النبي (صلى الله عليه وآله)، أو الأئمة (عليهم السلام)، ولكل منها شاهد من الأخبار أو غير ذلك، والأولى حمل الآية على العموم حتى يدخل فيه جميع ذلك، لأن كل ما أمر الله بالإقرار به أو اتباعه من العدل والتوحيد وولاية من أوجب الله وغير ذلك كله داخل في الصراط المستقيم.

وعن علي (عليه السلام): الصراط المستقيم في الدنيا ما قصر عن الغلو، وارتفع عن التقصير واستقام، وفي الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنة^(٢).

وعن الصادق (عليه السلام): هي الطريق إلى معرفة الله، وهما صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الصراط في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في

(١) عيون الأخبار ١: ٥٦٥ ح ٢٨٧ عنه البحار ٩٢: ٢٢٨ ح ٦، معاني الأخبار ٢٣ ح ٤، وتفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ٤٤ ح ٢٠، وتأويل الآيات: ٢٩، والصافي ١: ٨٥، وكتر الدقائق ٧٢: ١.

(٢) معاني الأخبار: ٢٣ ح ٤، وتفسير الإمام العسكري (عليه السلام): ٤٤ ح ٢٠، عنهما البحار ٢٤: ٩ ح ١، وتفسير كتر الدقائق ٧٠: ١.

الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الآخرة، فتردّى في نار جهنّم^(١).

وعنه (عليه السّلام): (الصراط أمير المؤمنين (عليه السّلام))^(٢)، وفي رواية أخرى أنّه معرفة الإمام (عليه السّلام)^(٣)، وفي أخرى: (نحن الصراط المستقيم)^(٤). وفي الخبر في قوله تعالى: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لا تقصدوا الهداية إلى الصراط فإنكم هديتم إليه، بل اقصدوا ثبتنا على الصراط المستقيم. وعن عليّ (عليه السّلام): يعني أدّم لنا توفيقك الذي أطعناك به في ماضي أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا^(٥).

وقيل: معناه اهدنا الصراط المستقيم باطناً كما هديتنا إليه ظاهراً، أو اهدنا كلّ آن فيما يأتي من الآتات إلى الصراط المستقيم، كما هديتنا فيما سبق منها، بناء على أنّ هداية كلّ آن غير هداية الآن الآخر، أو المراد: كما هديتنا في الزمان الماضي اهدنا في الزمان المستقبل، أو كما هديتنا إليه في الدنيا اهدنا إليه في الآخرة.

أو كما هديتنا إليه في الجملة اهدنا إليه على وجه الكمال، أو كما هديتنا إليه علماً فاهدنا إليه عملاً، أو كما هديتنا إليه قولاً اهدنا إليه فعلاً واعتقاداً، أو كما هديتنا إليه علماً وعملاً أجزنا جزاءه خيراً بتخليصه عن الرياء والسمعة مثلاً، أو كما هديتنا إلى صراط الشريعة اهدنا إلى صراط الطريقة والحقيقة.

(١) معاني الأخبار: ٣٢ ح ١، عنه البحار ٨: ٦٦ ح ٣، وكنز الدقائق ١: ٦٩، والصافي ١: ٨٥.

(٢) معاني الأخبار: ٣٢ ح ٢، عنه البحار ٣٥: ٣٦٦ ح ٧، وفي الكافي ١: ٤٣٣ ح ٩١، وكنز الدقائق ١: ٧٠، والصافي ١: ٨٥.

(٣) تفسير القمّي ١: ٢٨، وكنز الدقائق ١: ٦٨، والصافي ١: ٨٥.

(٤) تفسير القمّي ٢: ٦٦ / سورة طه، عنه البحار ٢٤: ١٤ ح ١٢، وكنز الدقائق ١: ٦٨، وفي معاني الأخبار: ٣٥ ح ٥، والصافي ١: ٨٥.

(٥) معاني الأخبار: ٣٣ ح ٤، وتفسير الإمام (عليه السّلام): ٤٤ ح ٢٠، عنهما البحار ٢٤: ٩ ح ١، وكنز الدقائق ١: ٧٠، والصافي ١: ٨٥.

وقال بعض الأفاضل: في معنى إهدنا وجوه، مثل أن يكون معناه ثبتنا على الدين، لأن الله تعالى قد هدى الخلق كلهم إلا أن الإنسان قد يزل، وترد عليه الخواطر الفاسدة، فيحسن أن يسأل الله تعالى أن يثبتته على دينه، ويديمه عليه، أو أن المراد زيادة الهدى بمقتضى قوله تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾^(١) وهذا كما يقول القائل لغيره وهو يأكل: كل.

أو المراد من الهداية هي الثواب، لقوله تعالى: ﴿يهديهم ربهم بإيمانهم﴾^(٢) فصار معناه إهدنا إلى طريق الجنة ثواباً، ويؤيده قوله: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾^(٣). أو المراد دلنا على الدين الحق في مستقبل العمر كما دللتنا عليه في الماضي، ويجوز الدعاء بالشيء الذي يكون حاصلًا، كقوله: ﴿قال رب احكم بالحق﴾^(٤) أو إن الدعاء عبادة وفيه إظهار الإنقطاع إلى الله سبحانه.

وأما أنه ما معنى مسألة ذلك وقد فعله الله، فقيل: إنه قد يكون لنا في الدعاء به مصلحة في ديننا، وهذا كما ترى تعبدنا بتكرار التسييح والتحميد، والإقرار لرَبنا بالتوحيد، وإن كنا معتقدين لجميع ذلك، ويجوز أن يكون الله يعلم أن الأشياء الكثيرة تكون أصلح لنا إذا سألناه، وإذا لم نسأله لا تكون مصلحة، ويجوز أن يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب، لأن إدامته ليست بواجبة بل هو تفضل محض، فجاز أن يرغب فيه بالدعاء، إنتهى ملخصاً. وبعض هذه الوجوه المذكورة داخل فيما ذكرنا.

ثم إن أكثر الوجوه التي مرّت إليها الإشارة مع بعض وجوه آخر تجري في قوله تعالى: ﴿الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾^(٥).

(١) محمّد: ١٧.

(٢) يونس: ٩.

(٣) الأعراف: ٤٣.

(٤) الأنبياء: ١١٢.

(٥) البقرة: ٢٥٧.

أي كما أخرجهم يثبتهم على هذا الإخراج، ومثله الكلام في يخرجونهم، أو يخرجهم في كل آن عما يأتي كما في ما مضى من الآتات، أي كما أخرجهم في الماضي يخرجهم في الآتي، أو كما أخرجهم في الدنيا يخرجهم في الآخرة، أو كما أخرجهم ظاهراً يخرجهم باطناً، أو كما أخرجهم قولاً يخرجهم فعلاً أو إعتقاداً، أو كما أخرجهم علماً يخرجهم عملاً.

أو يخرج المؤمن من ظلمة الدنيا إلى نور البرزخ والآخرة، والكافر من نور الدنيا إلى ظلمة البرزخ والآخرة، فإن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، أو يخرج المؤمن من ظلمة الجهل والذنوب إلى نور الهدى والمغفرة، والكافر من نور الفطرة إلى ظلمة فساد استعداد الطبيعة والطينة، أو يخرج المؤمن من ظلمات الذنوب كما في الخبر إلى نور التوبة بولايتهم كل إمام عادل، والمنافق من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر لتوليهم كل إمام جائر، فأوجب الله لهم النار مع الكفار.

قال الراوي: قلت للصادق (عليه السلام): أليس الله عنى بهذا الكفار؟ قال (عليه السلام): وأي نور للكافر وهو كافر فاخرج منه إلى الظلمات^(١).

والإخراج في كل من المؤمن والكافر يقتضي إما أن يكون المؤمن في الظلمة فيخرج إلى النور، والكافر بالعكس، أو يكون في كل منهما جهتان جهة نور وجهة ظلمة، والمراد في بعض الوجوه الأول كما ظهر صحتّه مما مرّ، وفي بعضها الثاني، وذلك لأن لكل شيء جهتين: جهة من ربّه، وجهة من نفسه، والأولى نور والثانية ظلمة، أو جهة وجود وماهيّة، والوجود نور والماهيّة ظلمة.

أو فيه جهة عقلانيّة وجهة نفسانيّة، أو جهة قدرة على الخير، وجهة قدرة على الشرّ، أو جهة ملكيّة وجهة شيطانيّة، أو جهة توحيد وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وجهة إشراك وهي جهة المخالفة، أو جهة نور وجهة ظلمة شأناً لا فعلاً.



(١) تفسير المياشي ١: ١٣٨ ح ٤٦٠، عنه البحار ٦٧: ٢٢.

قالت (عليها السلام):

«ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ قَبْضَ رَافَةٍ وَاخْتِيَارَ وَرَغْبَةٍ وَإِثَارٍ،
فَمُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي رَاحَةٍ عَنْ تَعَبِ هَذِهِ الدَّارِ،
مَوْضُوعاً عَنْهُ أَعْنَاءُ الْأَوْزَارِ، وَمَحْفُوقاً بِالْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ،
وَرِضْوَانِ الرَّبِّ الْعَفَّارِ، وَمُجَاوِزَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ صَلَّى اللَّهُ وَعَلَى
أَبِي نَبِيِّهِ وَأَمِينِهِ عَلَى الْوَحْيِ، وَصَفِيِّهِ وَخَيْرَتِهِ مِنَ الْخَلْقِ
وَرَضِيِّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».

بيان:

(قبضت) الشيء قبضاً - من باب ضرب - أخذته، ولعلّ منه قولهم: قبضه الله
بمعنى أماته أي قبض روحه وأخذها من جسمه، فصار بمعنى أماته فهو مقبوض
أي مميت مقبوض الروح.

وهذا المعنى هو المراد من الفقرة، بل أصل القبض خلاف البسط، فمعنى
الأخذ أيضاً متفرّع منه وهكذا معنى الإمساك، كما في قوله تعالى: ﴿يَقْبِضُونَ
أَيْدِيَهُمْ﴾^(١) أي يمسكونها عن الصدقة والخير، والتضييق في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ
يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾^(٢) أي يضيّق على قوم ويوسع على قوم.

وفي الخبر: (ما من قبض ولا بسط إلا والله فيه مشيئة وابتلاء)^(٣) قيل: المراد من
القبض والبسط الألم والفرح سواء كان بطريق ظلم أحد أم لا، وهو في قبضته أي
ملكه، فإنّ الملك مقبوض بالقبض المعنوي.

والقبضة - بفتح القاف وضمّها أيضاً - ملء الكفّ من الشيء مقبوضاً عليه
الأصابع بجميع الكفّ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَبِضَتْ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾^(٤) أي

(١) التوبة: ٦٧.

(٢) البقرة: ٢٤٥.

(٣) الكافي ١: ١٥٢ ح ١، والتوحيد: ٣٥٤ ح ٢، عنه البحار ٥: ٢١٦ ح ٥، وفي المحاسن ١: ٤٣٤ ح ٤٠٩.

باب الابتلاء والاختيار.

(٤) طه: ٩٦.

ملأت ملء كفي من تراب موطن فرس جبرئيل المسمى بحيزوم، قيل: والضمّ مقدّم على الفتح، وقيل: بالضمّ إسم بمعنى المقبوض كالغرفة بمعنى المغروف، وبالفتح المروّة.

والقابض من أسماء الله تعالى، وهو الذي يمسك الرزق وغيره عن العباد بلطفه وحكمته، ويقبض الأرواح عند الممات، والباسط خلاف القابض، ويحسن القرآن أي المقارنة في الذكر بين هذين الإسمين، فيقال: القابض الباسط، وكذا كلّ إسمين متقابلين يردان موردهما أولاً، مثل الخافض والرافع، والمعزّ والمذلّ، والضارّ والنافع، فإنّ ذلك أنبأ عن القدرة، وأدلّ على الحكمة.

وقولها (عليها السلام): (إليه) متعلّق بفعل مضنّ في قولها (عليها السلام): (قبضه الله)، وضمير إليه راجع إلى الله تعالى، أي رافعاً أو جاذباً أو داعياً له إليه أي إلى قرب جنانه، أو إلى رضوانه ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿يا عيسى إني متوفيك ورافعك إني﴾^(١) ونحو هذا التضمين شائع في هذه المادة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾^(٢) يريد به الظل المنبسط، ومعنى قبضه إليه كذلك أنّه تعالى ينسخه بوجود الشمس قبضاً يسيراً، أي على مهل أي شيئاً بعد شيء، وفي ذلك منافع غير محصورة، ولو قبضه إليه دفعة واحدة لتعطّل أكثر منافع الناس الحاصلة بالظلّ والشمس جميعاً.

و (الرأفة) أشدّ الرحمة - كما قال أبو زيد - من رُوْفْتُ بالرجل - من باب كرم ومنع وضرب - رأفه فهو رؤوف، فيل: والرأفه أرقّ من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة، والرحمة قد تقع مع الكراهة أيضاً للمصلحة، والرؤوف من أسمائه تعالى بمعنى الرحيم لعباده، العطوف عليهم بالطفاه.

و (الإختيار) قد مرّ إلى معناه الإشارة فيما مرّ.

و (الرغبة) مصدر وإسم مصدر من رغبت في الشيء - من باب علم - إذا

(١) آل عمران: ٥٥.

(٢) الفرقان: ٤٦.

أردته وحرصت عليه، وكذا رغبته متعدياً بنفسه، وأما رغبته عنه فبمعنى كرهته أو لم ترده وزهدت فيه، فالرغبة في الشيء خلاف الرغبة عنه.
والظاهر أن المعنى في الإستعمال الثاني أيضاً راجع إلى الأول لكونه بمعنى الرغبة في شيء آخر مائلاً عن الأول أو معرضاً عنه، وبالجمله فالمعنى عند ذكر الصلة واضح، وعند حذفها يتوقف على تقديرها، فيتعين بالصلة المقدرة المحذوفة من جهة القرائن، ولو لم يظهر هناك قرينة للصلة صار اللفظ مجملاً.
والقرينة في الفقرة قائمة على تقدير فيه، وقد يستعمل لفظ إليه بدل فيه أي مائلاً إليه، كما في الدعاء: (اللَّهُمَّ إِيكَ رَغِبَ الرَّاعِبُونَ)^(١) فقله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢) بمعنى من يزهد فيه ولم يردده، أو بمعنى من يعرض عنه ويكرهه.

وفي الخبر: (لا تجتمع الرغبة والرغبة في قلب إلا وجبت له الجنة)^(٣) فالرغبة هي السؤال والطلب، والرغبة هي الخوف والخشية، وفي الدعاء: (رغبة ورهبة إليك)^(٤) أعمل لفظ الرغبة وحدها وإلا لقليل: (رغبة إليك ورهبة منك) والرغبة في الدعاء كما وردت به الرواية: أن تستقبل بطن كفيك إلى السماء وتستقبل بها وجهك^(٥).

وصلاة الرغائب أي صلاة ما يرغب فيها من المثوبات العظيمة، وهي التي تصلّى في أوّل جمعة من رجب، جمع رغبة بمعنى المرغوبة، وموصوفها المثوبة المحذوفة أو الفائدة ونحوها، ومنه ما في خبر آخر: (لا تدع ركعتي الفجر فإنّ فيهما الرغائب)^(٦) أي ما يرغب فيه من المثوبات العظيمة.

(١) مجمع البحرين / رغب.

(٢) البقرة: ١٣٠.

(٣) البحار ٨٤: ٢٦٠ ح ٥٩، ومجمع البحرين / رغب.

(٤) النهاية ٢: ٢٣٧، ولسان العرب ٥: ٢٥٤ / رغب.

(٥) البحار ٦٩: ٣٥٩ نحوه.

(٦) النهاية ٢: ٢٣٨ / رغب، نحوه مستدرک الوسائل ٣: ٧٥ ح ٣٠٦٧.

وليلة الرغائب بناء على ما أُشير إليه هي ليلة يوم يُصَلَّى فيه صلاة الرغائب، ويجوز أن يجعل اسم الرغائب، فهذه الليلة من جهة أنها أول ليلة جمعة من الشهور المباركة الثلاثة، ففي هذه الليلة تجري رغائب الله وفوائده وعطاياه على العباد. و (الإيثار) من أثرته - بالمد - على فلان أي فضّلته عليه، وفي الكتاب المجيد: ﴿تالله لقد آثرك الله علينا﴾^(١) أي فضلك، و ﴿يؤثرون على أنفسهم﴾^(٢) أي يقدمون غيرهم على أنفسهم، ﴿بل يؤثرون الحياة الدنيا﴾^(٣) أي تقدّمونها وتفضّلونها على الآخرة.

واستأثر بالشيء إستبدّ به مشتقّ من الأثر بمعنى العلامة، أو الخبر من أثر الخبر أثراً - من باب ذكر - أي ذكره فهو مأثور، وفلان يستأثر على أصحابه أي يختار لنفسه أخلاقاً وأفعالاً حسنة.

والمأثرة - كمكرمة وزناً - بمعناها، لأنها تؤثر أي تذكر أو تعلم وتعرف، ومنه مأثر العرب أي مكارمها ومفاخرها التي يؤثر عنها أي تُروى وتذكر وتعرف، وقوله تعالى: ﴿أو أثارة من علم﴾^(٤) أي فضيلة تؤثر عن الأولين وتستند إليهم، أو علم مأثور، وأثرت في الأرض تأثيراً علّمتها بالمشي فحصل منه في الأرض أثر، ومنه قوله تعالى: ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾^(٥) أي من أثر حافر فرسه. وفي الحديث: (من سرّه أن يبسط الله في رزقه، ويُنسأ في أثره فليصل رحمه)^(٦) قيل: الأثر الأجل سُمّي به لأنّه يتبع العمر، قال زهير:

والمرء ما عاش ممدود له أمل لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثر^(٧)

(١) يوسف: ٩١.

(٢) الحشر: ٩.

(٣) الأعلى: ١٦.

(٤) الأحقاف: ٤.

(٥) طه: ٩٦.

(٦) النهاية ١: ٢٣، ولسان العرب ١: ٦٩ / أثر.

(٧) راجع لسان العرب ١: ٦٩ / أثر.

وأصله من أثر مشيه في الأرض، فإنه إن مات لا يرى لأقدامه تأثير في الأرض لعدم المشي، فلا يبقى له أثر حينئذٍ.

قال في النهاية: ومنه قوله (عليه السلام) للذي مرّ بين يديه وهو في الصلاة: (قطع صلاتنا قطع الله أثره) دعا عليه بالزمالة لأنه إذا زمن انقطع مشيه فانقطع أثره^(١)، ويحتمل الحمل على الدعاء بموته ولعله بعيد.

قولها (عليها السلام): (قبض رافة) مفعول مطلق، أي كان قبض الله له (صلّى الله عليه وآله) إليه قبض رافة، مثل ضربتُ ضرباً الأمير، أي كان هذا القبض على وجه الرافة على النبي (صلّى الله عليه وآله) ليخلصه عن تعب الحياة الدنيوية، ويرিحه من شدائد هذه النشأة الدنيّة.

وقولها (عليها السلام): (واختيار) أي قبض اختيار من الله له ما هو خير له، كما قال تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾^(٢) و﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٣)، أو المراد أنّ هذا القبض باختيار منه (صلّى الله عليه وآله)، ورضاً منه بلاكه وإجبار، وكذلك الكلام في إجراء وجهي الاختيار بالنسبة إلى الرغبة والإيثار.

و (التعب) مصدر قولك: تعب فلان تعباً - من باب عَلِمَ - إذا أعْيى وكَلَّ، والمراد منه المشقّة والزحمة.

و (الدار) معروفة، وهي المحوطة المشتملة على البيوت، وفُسّرت بالمنازل المسكونة، سمّيت بالدار لاحاطة الجدار ودوره حول بيوتها، وتجمع على أدوُر، تهمز واوه ولا تهمز، وأدُر بالقلب المكاني ثم القلب الذاتي، والأصل أدور، وديار، ودور، وتطلق الدار على المحلّة أيضاً، ومنه الحديث: (ما بقيت دار إلا وقد بُني فيها مسجد)^(٤).

(١) النهاية ١: ٢٣، ولسان العرب ١: ٦٩ / أثر.

(٢) الضحى: ٤.

(٣) الأعلى: ١٧.

(٤) النهاية ٢: ١٣٩، ولسان العرب ٤: ٤٤٠ / دور.

قيل: والأصل في إطلاق الدور المواضع، وقد تطلق على القبيلة مجازاً إذا اجتمعت في محلّة، ومنه قوله (صلى الله عليه وآله): (ألا أخبركم بخير دور الأنصار؟ دور بني النجار)^(١)، وأما إطلاقها على الدنيا أو الآخرة فهو حقيقة عرفيّة ثانويّة.

وفي اصطلاح أهل المعرفة حقيقة أوليّة لكون المعاني الموضوع لها عامّة عندهم، فللدنيا حائط محيط لما فيها من البيوت وكذلك الآخرة، والدار قد يضاف إلى الدنيا والآخرة فتكون بالإضافة البيانيّة، وقد توصف بهما بناء على اعتبار وصفيّتهما الأصليّة، فيقال: الدار الدنيويّة تأنيث الأدنى بمعنى الأقرب من دنا يدنو دنوّاً إذا قرب، أو بمعنى الأحقر والأذلّ من الدون بمعنى الخسيس.

والآخرة فاعلة بمعنى المتأخّرة مثل دار العقبي، والدار العقبي مؤنّث أعقب بمعنى المتأخّر أيضاً، ويجوز على الإضافة جعل المضاف إليه مصدراً سيّما في دار العقبي على وزن الرجعي والبشري، ودار الله هي الآخرة، أو حضرة قدسه، أو الجنّة، فإنّ الله هو السلام والجنّة دار السلام.

والدارة أخصّ من الدار، ودارة الوجه ما يحيط به من جوانبه، والدارة هالة القمر تشبيهاً بالدار المحيطة على البيت، ويقال: ما بها دوريّ ولا ديار أي أحد، ومنه قوله تعالى: ﴿وقال نوح ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾^(٢) أي أحداً، وهي فيعال من دُرْتُ وأصله دَيّوار فاعل، والدوّاريّ: الدّهْرُ يدور بالإنسان أحوالاً.

والداري العطار وهو منسوب إلى دَارين فُرْصَة بالبحرين، فيها سوق كان يحمل إليها المسك من ناحية الهند، ويجوز أن يعتبر نسبته إلى دار الصين الذي يُجاء منه الأدوية المعطّرة مثل القرنفل ونحو ذلك، ومنه الدارصين من العقاقير المعروفة، وفي الحديث: (مثل الجلّيس الصالح مثل الداري إن لم يُحْذَك من عطره

(١) المصدر نفسه.

(٢) نوح: ٢٦.

علقك من ريحه^(١).

والداريّ ربّ النعم لأنّه مقيم في داره، والدائرة: الهزيمة يقال: (عليهم دائرة السوء)، وقيل: الدائرة الدولة بالنصر والغلبة، أو بمعنى ما يسوء الشخص من دوائر الدهر والزمان أي صروفه التي تدور وتحيط بالإنسان مرّة بخير ومرّة بشرّ.

ودير النصارى معبد زهّادهم، أصله الواو والجمع أديار، والديراني صاحب الدير، وأصل جميع ذلك من دار يدور إذا طاف وأحاط وكذا استدار يستدير على الشيء وإليه إذا طاف حوله، وعاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه.

وبالجملة فدار القرار هي الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾^(٢) إذ لا انتقال منها إلى دار أخرى بعدها، وليس وراء عبّادان قرية، بخلاف دار الدنيا فإنّها دار فناء وزوال ودثور واضمحلال.

وفي بعض النسخ: (بمحمد عن تعب هذه الدار) فيكون الظرف متعلّقاً بالإيثار بتضمين معنى الضنّة ونحوها، وفي بعض النسخ: (محمد في راحة عن تعب هذه الدار) بدون الفاء والباء، فالجملة إستينافيّة أو مؤكّدة للفقرة السابقة، أو حالية بتقدير الواو.

وفي رواية كشف الغمة: (رغبة بمحمّد عن تعب هذه الدار)^(٣)، وفي رواية أحمد بن أبي طاهر: (بأبي عزّت هذه الدار) والمراد بالدار حينئذٍ دار القرار، وفي بعض النسخ: (فمحمد عن تعب هذه الدار في راحة في الدار الآخرة).

و (الراحة) والروح من الإسراحة عن التعب، وهي زوال الاعياء والكلال، وبمعنى السعة أيضاً، والمراح والمستراح محلّ الإستراحة، وأراحه إراحته وروّحه ترويحاً جعله مستريحاً، ومنه قولهم: إنّ الأرواح تكلّ كما تكلّ الأبدان فروّحوها بالحكمة.

(١) نحوه النهاية ٢: ١٤٠، ولسان ٤: ٤٤١ / دور.

(٢) غافر: ٣٩.

(٣) كشف الغمة ٢: ١١٠.

وفي شرح المجلسي الأوّل المولى محمد تقي على الفقيه، رواه بعنوان الخبر عن عليّ (عليه السّلام) بقوله: وروي عن عليّ أمير المؤمنين (إنّ الأرواح تكلّ كما تكلّ الأبدان فروّحوها بالحكمة الجديدة) وفُسّر الحكمة الجديدة بمثل كلمات المولوي الرومي، والحكيم السنائي وأضربهما من طائفة العرفاء.

وفي الدعاء: (أسألك الروح والراحة عند الموت)^(١) كلاهما بمعنى الإستراحة، وقيل: الروح الرحمة أو نسيم الريح، وأصل المادة من راح يروح إذا ذهب وجاء أي تحرّك، فاشتق منه الروح - بضّمّ الراء - والريح ونحو ذلك، ثمّ توسّع فاستعمل في معنى الإستراحة ونحوه لكون الروح والريح سبباً لذلك. قولها (عليها السّلام): (موضوعاً عنه أعباء الأوزار ... الخ).

الوضع هو من قولك: وضعت الدين عنه بمعنى أسقطته، ويتفرّع عليه قولهم: وصعت الشيء من يدي أو بين يديه تركته وألقيته، والمصدر الوضع والموضوع مثل المعقول. والموضع بكسر الصاد - والمفعول موضوع والموضع المكان أيضاً. وفي الخبر: (إنّ الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم)^(٢) أي تفرشها لتكون تحت أقدامه إذا مشى، وهو متفرّع من المعنى السابق، وقيل: هو بمعنى التواضع تعظيماً لحقه، وقيل: أراد بوضع الأجنحة نزولهم عند مجالس العلم وتركهم الطيران، وقيل: أراد به إظلالهم بها، ومنه الحديث الآخر: (تظللهم الطير بأجنحتها). ثمّ قيل: إنّ المراد بالملائكة العموم، وقيل: الكرام الكاتبون، وقيل: ويحتمل صنعهم هذا وفعلهم كذلك في الدنيا، ويحتمل في الآخرة، ويحتمل في الدارين جميعاً.

والأعباء جمع العبء كالحمل والثقل لفظاً ومعنى، وقيل: هو الحمل الثقيل، وحملت أعباء القوم أي أثقالهم من دين أو غيره، قال:

الحامل العبء الثقيل عن الـ جاني بغير يَدٍ ولا شكرٍ^(٣)

(١) البحار ٨٧: ٢٣٦ ح ٤٧.

(٢) أمالي الصدوق: ٥٨ ح ٧، عنه البحار ١: ١٦٤ ح ٢.

(٣) راجع لسان العرب ٩: ٥ / عبأ.

ويطلق العَبء على عِذل المتاع أيضاً، وأصل كل ذلك من عبأت الطيب عبأً - بفتح العين - إذا هيأته وصنعتة وخلطته، وكذلك عبأت المتاع عبأً هيئته، وعبأت الجيش تعبئة، و﴿ما يعبا بكم ربّي لولا دعاؤكم﴾^(١) أي ما يبالي، فإن الشيء المهيأ ثقيل يُعبأ به ويُعتنى بشأنه.

والأوزار جمع وزر كحبر بمعنى الثقيل، فيكون الأوزار بمعنى الأثقال، فالإضافة في الفقرة بيانية، ويجوز المغايرة الاعتبارية، والمراد هنا الأثقال الدنيوية والتكلفات والمشقات الواردة عليه من جهة إرشاد الأمة، ومقاسات الحروب والشدائد، والمجاهدات الدينية، ويطلق الوزر على الإثم أيضاً لثقله، وكذا السلاح وآلات الحرب، قال الشاعر:

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكوراً^(٢)
قال تعالى: ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾^(٣) أي أثقالها، والمراد وضع أهل الحرب أسلحتهم حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالم، أو المراد وضع شدائدتها باسكاتها وطرحها وتركها أي حتى ينقضي أمر الحرب ويخفّ أثقالها.

وَالْوَزَر: الملجأ لعظمه في العيون، والوزير: الموازر لأنه يحمل عن الملك وزره أي ثقله أي ثقل أموره، أو لأن الأمير أي الملك يلتجئ إلى رأيه وتدبيره فهو ملجأ له، و﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾^(٤) أي لا تؤخذ بذنب نفس أخرى، ولا تحمل حمل أخرى، ويقال: وزر - بالبناء للمفعول - من الإثم فهو موزور، وفي الحديث: (ارجعن مأجورات غير مأزورات)^(٥) أي غير آثمات، والأصل موزورات فهمزوا للإزدواج فلو أفرد رجع إلى أصله.

(١) الفرقان: ٧٧.

(٢) راجع لسان العرب ١٥: ٢٨٤ / وزر.

(٣) محمّد: ٤.

(٤) الأنعام: ١٦٤.

(٥) سنن ابن ماجه ١: ٥٠٣ ح ١٥٧٨ في اتباع النساء الجنائز، والنهاية ٥: ١٧٩، ولسان العرب ١٥: ٢٨٥

/ وزر، والبحار ٨١: ٢٦٤.

و (المحفوف) مفعول من حَفَّ به إذا أطاف به، ومنه قوله تعالى: ﴿وترى الملائكة حاقّين من حول العرش﴾^(١) أي مطيفين به مستديرين عليه، وكونه (صلّى الله عليه وآله) محفوفاً بالملائكة أنّهم أحاطوا به من كلّ جانب، وقاموا في خدمته وتوقيره وتعظيم شأنه، والإنقياد لأمره ونهيه.

وفي الخبر: (حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات)^(٢) وفي بعض النسخ في الفقرة: (قد حَفَّ بالملائكة الأبرار) وهو أدلّ على التحقق، وحُفَّت المرأة وجهها بالشعر أو من الشعر أي زينتته أو نقحتة، وحَفَّتْهم الحاجة تحفّهم إذا كانوا محاويج، والحفيف دويّ جري الفرس والريح ونحو ذلك، وكلّ هذه الفروع مأخوذة من معنى الإحاطة.

و (الأبرار) جمع بَرٍّ - بفتح الباء - صفة مشبّهة أو مخفّف بَرٍّ، تقول: بررت بوالدي من باب علم بَرّاً - بكسر الباء - خلاف العقوق فأنا بَرٌّ به، والجمع أبرار كما ذكروا، وأما جمع البار بالمعنى المذكور وبمعنى خلاف الفاجر فهو البررة، ومؤنث البرّ (برّة)، يقال: الأمّ برّة بولدها أي عطوف، وفلان يبرّ خالقه أي يطيعه.

وبرّ فلان في يمينه صدق، وبرّ حجّه بصيغة المعلوم اللازم أو المجهول، وبرّ الله حجّه بَرّاً أي قبله فصار مقبولاً، والبرّ - بالكسر - يطلق على الخير والفضل والثقي، قال تعالى: ﴿أنأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم﴾^(٣) ومعناه قريب من قول الشاعر:

وغير سقيّ يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو عليل^(٤)
و (الرضوان) بكسر الراء وضّمّها لغة قيس وتميم بمعنى الرضا، والمرضاة مثله، ورضيت الشيء وارتضيته فهو مرضيّ ومرتضى، وكذا رضيت به وعنه وفي

(١) الزمر: ٧٥.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٦، عنه البحار ٧٠: ٧٨ ح ١٢.

(٣) البقرة: ٤٤.

(٤) راجع محاضرات الأدباء ١: ١٢٣، والأمثال والحلم للرازي: ١٩٤ رقم ٨٦٥.

لغة الحجاز عليه^(١) أيضاً، ويقال: رضيت به بمعنى اخترته لأن الرضا بالشيء يستلزم اختياره.

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾^(٢) قيل: الرضوان من الله ضد السخط، وقيل: هو المدح على الطاعة والثناء والرضا مثله، فرضى الله ثوابه وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيجه من حال إلى حال، لأن ذلك من صفات المخلوقين، ورضوان الرب يمكن أن يراد به رضا الرب عن العبد على نحو ما ذكر، وأن يراد به العكس، وكلاهما كما في قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(٣) بل هما متلازمان مثل قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٤).

وفي الحديث: (الصلاة رضوان الله) أو (أول الوقت رضوان الله)^(٥) أي سبب رضوانه، ورضوان خادم الجنان إذ بيده جزاء رضوان الله، وفي الحديث: (سبحان الله رضا نفسه)^(٦) أي ما يقع منه موقع الرضا، أو ما يرضاه لنفسه، وفي الدعاء: (وخذ لنفسك رضا من نفسي)^(٧) أي اجعل نفسي راضية بكل ما يرد عليها منك، كما في الدعاء الآخر: (اجعل نفسي مطمئنة إلى لقائك، راضية بقدرك وقضائك).

وفي الدعاء أيضاً: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، ومعافاتك من عقوبتك)^(٨) قيل: بدأ بالرضا لأنه من صفات الذات بخلاف المعافاة فإنها من صفات الأفعال، ولأن المعافاة إنما تترتب على الرضا وتحصل به، وقول الفقهاء:

(١) أي يستعملون (رضيت عليه) أيضاً.

(٢) المائدة: ١٦.

(٣) المائدة: ١١٩.

(٤) المائدة: ٥٤.

(٥) دعائم الإسلام ١: ١٣٧ مواقيت الصلاة، عنه البحار ٨٣: ٢٥ ح ٤٧.

(٦) البحار ٩٤: ٢٠٧ ح ٣، ومجمع البحرين / رضا.

(٧) فلاح السائل: ٢٥٤، ومجمع البحرين.

(٨) عوالي الآلي ٤: ١١٣ ح ١٧٦، عنه البحار ٨٥: ١٦٩ ح ٧٠، وفي لسان العرب ٥: ٢٣٥ / رضي.

(يشهد على رضاها) أي على إذنها، جعلوا الاذن رضىً لدلالته عليه، و﴿عيشة راضية﴾^(١) أي مرضية، أو ذات الرضا بها، أو أن الإسناد مجازي.

و (الرب) يُطلق على الله تبارك وتعالى معرفاً بالألف واللام، ومضافاً إلى الأرباب، والناس، والخلق، والسموات، والأرضين ونحو ذلك، نحو رب الأرباب، ورب الناس، ورب الخلق والسموات والأرضين، ويُطلق مضافاً إلى شيء مخصوص جزئي على مالك الشيء الذي لا يعقل، فيقال: رب الدين، ورب المال.

وقد يستعمل بمعنى السيد مضافاً إلى العاقل مثل رب العبد والغلام ونحوهما، مثل قوله تعالى: ﴿أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا﴾^(٢) وربما جاء باللام عوضاً عن الإضافة المخصوصة بمعنى السيد، ومنع بعضهم أن يقال: هذا رب العبد وهو ضعيف، وقد يطلق مضافاً بمعنى صاحب والمربي والمدير والمتّم والمنعم ونحو ذلك.

والربانيون: الكاملون في العلم والعمل، قال أبو عباس أحمد بن يحيى: إنما قيل للفقهاء الربانيون لأنهم يربّون العلم أي يقوّمونه، وفي الكشف: الرباني شديد التمسك بدين الله وطاعته^(٣)، وفي القاموس: المتأله العارف بالله^(٤) وقال الطبرسي: هو الذي يربّ أمر الناس بتدبيره وإصلاحه^(٥).

وأصل المادة من رب الأمر رباً إذا أصلحه بتدبيره، ورباه تربية أصله ربه فابدل الباء الأخيراء لأن المضاعف يلحقه الإبدال والحذف، مثل أمليته إملاء في أمليته املاً، فيقال: ربه رباً، وربيه تريباً، ورباه تربية، كلّها بمعنى.

(١) الحاقة: ٢١.

(٢) يوسف: ٤١.

(٣) الكشف: ١: ٣٧٨، في سورة آل عمران آية: ٧٩.

(٤) القاموس المحيط: ١١١ / الرب.

(٥) مجمع البيان / سورة آل عمران آية: ٧٩.

و (الغفار) مبالغة الغفور، ومعناها الساتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم.

والحاصل أنهما من المغفرة، وهي العفو عن الذنب وأصلها من الغفر بمعنى الستر، يقال: غفره - من باب ضرب - غفراً وغفراناً ستره، والإسم المغفرة وتستعمل مصدرأً أيضاً.

وغفرت المتاع جعلته في الإثناء، فأطلق على العفو عن الذنب كأن الغافر يستره، كما يقال له العفو أيضاً بمعنى المحو في الأصل، فيقال: غفر الله ذنبه وعفاه، ومنه الغفير للجَمِّ الكثير والجمع الزائد لسترهم وجه الأرض بكثرتهم وزيادتهم، والغفير بمعنى الزائد من الولد والمال، والمغفر لما يجعل على الرأس من آلة الحديد المعروفة لستره الرأس ونحو ذلك، وقولهم: والصبغ أغفر للوسخ أي أستر. و (المجاورة) من الجار، وهو من قرب بيته من بيتك متصلاً أو غير متصل بالقدر المعروف عرفاً أي إلى أربعين ذراعاً، أو أربعين داراً ونحو ذلك على الخلاف المعروف بحسب العرف والشرع من حيث بيان العرف، ولما كان الجار في حفظ الجار الآخر لقربه منه إذا كان قوياً وهو يحفظه، أو أن الظالم لا يقصده من جهة الخوف منه، أطلق الجار على المجير، والمستجير، والناصر، والمستنصر، والشريك، والزوج، والزوجة ونحو ذلك من المعاني المناسبة والملائمة.

ومجاورة الملك كناية عن الكون في حفظه وذماره، أو القرب منه أي من رضوانه وثوابه ونعمه والطافه.

وفي الحديث: (عليكم بحسن الجوار فإن حسن الجوار يعمر الدار)، قيل: ليس حسن الجوار كف الأذى فقط بل تحمّل الأذى منه أيضاً، ومن جملة حسن الجوار إبتدائه بالسلام، وعيادته في المرض، وتعزيته في المصيبة، وتهنئته في الفرح، والصفح عن زلاته، وعدم التطلّع على عوراته، وترك مضايقته فيما يحتاج إليه من وضع جذوعه على جدارك، وتسليط ميزابه على دارك.

وفي الخبر: (أحسنوا جوار النعم) وتفسيره كما جاءت به الرواية: الشكر لمن

أنعم بها عليك، وأداء حقوقها^(١).

والجارة: الضرة، قيل لها جارة إستكراهاً للفظ الضرة المشعر بكون كل منهما طالباً لضرر الآخر، أو لكون كل منهما موجباً له، ويطلق الجارة على المرأة المجاورة القريبة مكاناً في محلّ الجوار المعروف، ومن أمثال العرب: إياك أعني واسمعي يا جارة.

قيل: أول من قال ذلك هو سهل بن ساعد الفزاري، وذلك أنه خرج فمرّ ببعض أحياء طي فسأل عن سيّد الحيّ، فقيل: هو حارثة بن سلام الطائي، فأمر رحله فلم يصبه شاهداً، فقالت له أخته: إنزل في الرحب والسعة، فنزل فأكرمه وألطفته، ثم خرجت من خباء إلى خباء، فرآها أجمل أهل زمانها فوقع في نفسه منها شيء، فجعل لا يدري كيف يرسل إليها ولا ما يوافقها من ذلك، فجلس بفناء الخباء وهي تسمع كلامه، فجعل ينشد:

يا أخت خير البدو والحضارة كيف ترين في فتى فزارة
أصبح يهوي حرّة معطارة إياك أعني واسمعي يا جارة
فلما سمعت قوله علمت أنه إياها يعني فضرب مثلاً.

ومنه قوله (صلى الله عليه وآله): (نزل القرآن على لغة إياك أعني واسمعي يا جارة)^(٢) أي القرآن خاطب به النبي (صلى الله عليه وآله) لكن المراد به الأمة، مثل ما عاتب الله به نبيّه في قوله تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾^(٣) فإنه عنى بذلك غيره كما جاءت به الرواية.

وكذا قوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر^(٥) على وجه من الوجوه، إلى

(١) البحار ٧١: ٥٤ ح ٨٦.

(٢) البحار ١٧: ٧١.

(٣) الاسراء: ٧٤.

(٤) الزمر: ٦٥.

(٥) الفتح: ١-٢.

غير ذلك.

وفي الدعاء: (يا من يجير ولا يجار عليه)^(١) أي ينقذ من هرب إليه ولا ينقذ من أحد هرب منه، وكلاهما من الإجارة بمعنى الإنقاذ.

وجار الله من يجاور بمكة، إذ فيها بيت الله سبحانه، ويقال أيضاً لمن كان ملازماً لذكر الله فهو باعتبار المعنى جار الله أيضاً، وقد يطلق لمن جاور المسجد أيضاً فإنه أيضاً بيت الله، قال الجوهرى: ويقال جاورته مجاورة وجواراً - بالكسر والضم، والكسر أفصح - صرت جاراً له^(٢).

و (الملك) صفة مشبهة من قولهم: ملك فلان على الناس أمرهم - من باب ضرب - إذا تولّى ذلك فهو مَلِك - بكسر اللام -، والإسم منه المُلْك - بضم الميم - بمعنى التسلّط.

وأصله من ملكت العجين مَلَكاً - بفتح الميم - إذا شدّدته وقوّيته، ومنه ملاك الأمر - بكسر الميم وفتح - قوامه وصلاحه أو ما يقوم به ويصلح، كما يقال: ملاك الجسد القلب، وملاك الدين الورع.

وملكت الشيء مَلَكاً - بفتح الميم - من باب ضرب أي تملّكته فأنا مالك والشيء مملوك ومِلْك - بالكسر فالسكون -، قال في الصحاح: وهذا الشيء مِلْك يميني أي مملوكها - بالفتح والكسر، والفتح أفصح^(٣)، - قيل: والإسم منه المِلْك - بالكسر والضم أيضاً -، وبعضهم يجعل الملك - بكسر الميم وفتحها - لغتين في المصدر.

والملكوت - كرهوت -:^(٤) العزّة والسلطان والمملكة هي الموضع للسلطنة، ويقال: الجبروت فوق الملكوت كما أنّ الملكوت فوق الملك، ويقال: لفلان مَلَكُوتٌ

(١) البحار ٩٤: ٣٩٠ ح ٣.

(٢) الصحاح ٢: ٦١٧ / جور.

(٣) الصحاح ٤: ١٦٠٩ / ملك.

(٤) الراهبوت من الراهبة على ما في لسان العرب ١٣: ١٨٢ / ملك.

العراق - كترقوة - أي ملكها وعزّها، وييده تعالى ملكوت كلّ شيء فهو ملك ومَلِك أي ذو الملك العظيم، والعزّة القويّة التي لا يدفعها شيء، وهذا بخلاف المالك لأنّه يصدق بدون الملك العظيم، وبدون العزّة القويّة أيضاً.

والظاهر من الإستعمالات أنّ الملك - بثلاث الميم - يكون مصدراً وإسم مصدر، وبمعنى المفعول أي المملوك مطلقاً، لكن الغالب في المصدرية فتح الميم، وفي معنى المملوك مطلقاً كسر الميم، وفي إسم المصدر ضمّ الميم مع غلبته فيما كان مع عظمتها عزّة وقدرة وغلبة وسلطنة، ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ﴾^(١) بضمّ الميم.

وقال الشيخ أبو علي: مالك الملك أي يملك جنس الملك فيتصرّف فيه تصرّف المَلَك فيما يملكونه^(٢)، فهذا ملك عامّ، وأما الملكان الآخريان في الآية فخاصّتان.

وفي المجمع: المُلْك - بالضم - المملكة وقيل السلطنة، وهي الإستيلاء مع ضبط وتمكّن من التصرّف، وقوله تعالى: ﴿على ملك سليمان﴾^(٣) عن الصادق (عليه السّلام): جعل الله تعالى ملك سليمان في خاتمه، فكان إذا لبسه حضرته الجنّ والإنس والطير والوحش وأطاعوه، ويبعث الله رياحاً تحمل الكرسي بجميع ما عليه من الشياطين والطير والإنس والدّواب والخيول، فتمرّ بها في الهواء إلى موضع يريد به سليمان.

وكان يصلّي الغداة بالشام والظهر بفارس، وكان إذا دخل الخلاء دفع خاتمه إلى بعض من يخدمه، فجاء شيطان فخدع خادمه وأخذ منه الخاتم فلبسه، فخرّت عليه الشياطين والجنّ والإنس والطير والوحش، فلمّا خاف الشيطان أن يفتنوا به ألقي الخاتم في البحر، فبعث الله سمكة فالتقمته.

(١) آل عمران: ٢٦.

(٢) تفسير جوامع الجامع ١: ١٦٦، ومجمع البحرين / ملك.

(٣) البقرة: ١٠٢.

ثم إن سليمان خرج في طلب الخاتم، فهرب ومرّ على ساحل البحر تائباً إلى الله تعالى، فمرّ بصياد يصيد السمك فقال له: أعينك على أن تعطيني من السمك شيئاً، فقال: نعم، فلما اصطاد دفع إلى سليمان سمكة، فأخذها فشقّ بطنها فوجد الخاتم في بطنها، فلبسه فخرّت عليه الشياطين والوحش ورجع إلى مكانه، فطلب ذلك الشيطان وجنوده الذين كانوا معه فقتلهم، وحبس بعضهم في جوف الماء وبعضهم في جوف الصخرة، فهم محبوسون إلى يوم القيامة^(١).

و (الجبّار) فعّال من الجبر، وهو أن تغني الرجل أو تصلح عظمه من كسر، وجبرت العظم فجبر أي أصلحته فانجبر، يستعمل لازماً ومتعدّياً، ويقال: جبرت اليد أي وضعت عليها الجبيرة، وهي عظام توضع على الموضع العليل من الجسد لينجبر بها.

وجبرت اليتيم أعطيته، ويقال: جبر الله فلاناً فاجتبر أي سدّ مفارقته، فالجبّار يرجع إلى المبالغة في معنى قوله (عليه السّلام): (يا جابر العظم الكسير)^(٢) أي المصلح لجميع نقائص أمور خلقه، كما قال في النهاية: في حديث عليّ (عليه السّلام): (وجبّار القلوب على فطراتها) هو من جبر العظم المكسور، كأنّه أقام القلوب وأثبتها على ما فطرها عليه من معرفته والإقرار به شقيّاً أو سعيداً، قال القتيبي: لم أجعله من أجبرت لأنّ أفعل لا يقال فيه فعّال^(٣).

ويقال: أجبرته على الأمر أي أكرهته عليه بمعنى حملته عليه قهراً وغلبةً فهو مجبر، وهو لغة عامة العرب، فالجبّار لا يكون مبالغة من هذا الباب لأنّه مزيد، وكان على هذا المعنى أن يطلق عليه تعالى المجبر لا الجبّار.

ولو فرض تصحيحه بحذف الزوائد نظير ما قيل في نحو قولهم: طوّحته الطوايح، إنّ الطائح فاعل من طوّحته أو أطاحته بحذف الزوائد بمعنى المطوّح

(١) مجمع البحرين / ملك، والحديث في تفسير القمي ٢: ٢٣٦، عنه البحار ٦٣: ١٩٤ ج ١.

(٢) البحار ١٢: ٣١٩ ج ١٤٧.

(٣) النهاية ١: ٢٣٦، ولسان العرب ٢: ١٦٧ / جبر.

والمطيع، أو بملاحظة ما نقل من استعمال جبرته بمعنى أجبرته في لغة بني تميم وبعض أهل الحجاز، كما حكاه الأزهري عنهما وابن القطّاع عن بني تميم.
وإنّ الأزهري نقل أيضاً عن ابن دريد في باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة: إنّ ممّا تكلمت به العرب من فعلت وأفعلت جبرت الرجل على الشيء وأجبرته عليه، وفي بعض التفاسير أنّه نقل له الفراء أيضاً.

وقال في النهاية في ردّ قول القتيبي المذكور على ما مرّ من جعل الجبار من جبر العظم لا الإجبار بمعنى القهر، معللاً بأنّ أفعل لا يقال فيه فعّال، قلت: يكون من اللغة الأخرى، يقال: جبرت وأجبرت بمعنى قهرت، إلى أن قال: وجبروت فعلوت من الجبر بمعنى القهر^(١).

فنقول: معنى الجبار حينئذٍ إنّ الله تعالى أكره الناس على حمل التكاليف الشرعيّة والكونيّة، لأنّه أجبرهم على ارتكاب كلّ واحد من تلك التكاليف، وإنّما قبل كلّ أحد ما قبل منها بحسن اختياره أو بسوء اختياره من الطاعة والمعصية، فليس هناك جبر رافع للقدرة وموجب للاضطرار بالضرورة، فليس هناك شبهة الإجبار، وإنّما الأمر مطلقاً مع الطوع والإختيار.

أو يقال: إنّ الجبر إنّما هو في التكوينيّات لا التشريعيّات، فإخراج الأشياء من العدم إلى الوجود أي إيجادها بعد أن كانت معدومة، فإنّما هو على سبيل الجبر لا الاختيار إذ لا اختيار للمعدوم بالمرّة.

ما نبوديم و تقاضامان نبود لطف تو ناگفته می شنود
قابلیت نیز از فیض خداست نیستهارا قابلیت از کجاست
بلکه شرط قابلیت داداوست داد مغز و قابلیت هست و پوست
وبعد إيجادها فهي مختارة في مراتب استعداداتها وقابليّاتها.

بل يقال: لا جبر مع هذه الحالة أيضاً، إذ مورد الجبر هو أن يكون للشيء استعداد واقتضاء فتمنعه عن ذلك الاقتضاء، فإذا لم يكن شيء ولا اقتضاء فلا جبر

لا محالة، كما أنّ العمى عدم البصر فإذا لم يكن هناك إنسان له اقتضاء البصر واستعداده فلا يصدق العمى لعدم البصر هناك، مثلاً لا يقال للجدار أنّه أعمى لعدم قابليّة فيه للبصر حتى يكون عدمه عمى.

وهكذا فيما نحن فيه، فإيجاد الموجود إجبار لا إكراه، وأمّا بالنسبة إلى ما بعد ذلك فاختيار لكن هو أيضاً لمّا كان على طبق أصل الفطرة فيجوز أن يقال أنّه إضطرار لا اختيار ولا إجبار.

وبعد هذه كلّها إذا عرفت جهات المسألة علمت أنّه لا مؤثر في الوجود إلّا الله سبحانه، مع أنّ لجميع الموجودات حركة اختياريّة لا محالة، إذ لا يكون الخاتمة إلّا على طبق الفاتحة، كما قيل: (إلهي إنّ الكلّ يخافون من آخر الأمر وعبد الله يخاف من الأوّل)^(١)، ولكن ليس هذا جبراً رافعاً للتكليف، ومبطلاً للشواب والعقاب كما هو المذهب السخيف بل:

این نه جبر این معنی جباریست	ذکر جباری برای زاریست
گر نبودی اختیار این شدم چیست	این دریغ و خجالت و آزرم چیست
انبیا در کار دنیا جبریند	کافران در کار عقبی جبریند
انبیارا کار عقبی اختیار	کافران را کار دنیا اختیار
بر درخت جبر تاکی می جهی	اختیار خویش را یکسو نهی
هم چو آن ابلیس و ذریّات او	با خدا در جنگ و اندر جستجو

قال في المصباح: والجبر خلاف القدر، وهو القول بأنّ الله تعالى يجبر عباده على فعل المعاصي، وهو فاسد وتعرف أدلّته من علم الكلام، بل هو قضاء الله على عباده بما أراد وقوعه منهم، وهو الجبار لأنّه تعالى يفعل في ملكه ما يشاء، ويجكم في خلقه ما يشاء^(٢).

(١) هذه المقولة للعارف الخواجه عبدالله الأنصاري، وأصلها الفارسي هكذا: (إلهي همه کس از آخر می ترسند وعبد الله از اوّل).

(٢) المصباح المنير: ٨٩ / جبر.

وقيل: الجبار المتكبر، وفي الحديث: (لا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم)^(١) أو لأنه يجبر الخلق ويقهرهم على بعض الأمور التي ليس لهم فيها اختيار، ولا على تغييرها اقتدار، أو الجبار هو العظيم الشأن في الملك والسلطان، أو المتعظم المتجبر الذي لا يكثرث للأمر.

وفي النهاية: الجبار معناه الذي يقهر العباد على ما أراد من أمر أو نهي، وقيل هو العالي فوق خلقه، ومنه نخلة جبارة أي العظيمة التي تفوت منها يد المتناول أو الطويلة كذلك، وفي الحديث في امرأة: (دعوها فإنها جبارة) أي متكبرة عالية عاتية، ومنه الحديث في ذكر النار: (حتى يضع الجبار فيها قدمه).

والمشهور في تأويله أن المراد بالجبار هنا هو الله تعالى، ويشهد له قوله في الحديث الآخر: (حتى يضع رب العزة فيها قدمه)، والمراد بالقدم أهل النار الذين قدّمهم الله لها من شرار خلقه، كما أن المؤمنين قدّمه أيضاً الذين قدّمهم للجنة.

وقيل: أريد بالجبار هنا المتمرد العاتي، ويشهد له قوله (عليه السلام) في الحديث الآخر: (إن النار قالت: وكّلت بثلاثة: بمن جعل مع الله إلهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصوّرين)، وفي الحديث: (كثافة جلد الكافر في النار أربعون ذراعاً بذراع الجبار) أراد به هنا الطويل، وقيل: يراد من الجبار هنا الملك، كما قد يقال بذراع الملك كناية عن العظم، وقال القتيبي: وأحسبه ملكاً من ملوك الأعاجم كان تامّ الذراع^(٢).

وبالجملة فالجبر خلاف القدر هو الجبر الباطل الذي هو القول بأن الله تعالى يجبر عباده على فعل المعاصي، ومنه الحديث: (لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين، سئل ما الأمر بين الأمرين؟ قال: مثل ذلك رجل رأيتُه على معصية فنهيته فلم ينته، فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك كنت أنت الذي أمرته بالمعصية)^(٣).

(١) أمالي الصدوق: ٢٩٤ ح ٩ مجلس ٥٧، عنه البحار: ٢: ٤١ ح ٢.

(٢) النهاية ١: ٢٣٥ / جبر.

(٣) التوحيد: ٣٦٢ ح ٨، عنه البحار: ٥: ١٧ ح ٢٧، مجمع البحرين / جبر.

وينسب إلى الجبر بالمعنى المذكور فيقال: جبري، وقوم جبرية - بسكون الباء - على لفظه، وإذا قيل جبرية وقدرية جاز فتح الباء للازدواج، ويسمى الجبرية - باسكان الباء - في عرف أهل الكلام بالمجبرة، لأنهم يؤخرون أمر الله ويرتكبون الكبائر، كذا قيل.

قال في المجمع: والمفهوم من كلام الأئمة (عليهم السلام) أن المراد من الجبرية الأشاعرة، ومن القدرية المعتزلة القائلون بالتفويض^(١)، وفي الحديث ذكر القدرية وهم المنسوبون إلى القدر، ويزعمون أن كلَّ عبد خالق فعله، ولا يرون المعاصي والكفر بتقدير الله ومشئته.

وفي شرح المواقف: قيل: القدرية هم المعتزلة لاسناد أفعالهم إلى قدرتهم، وفي الحديث: (لا يدخل الجنة قدرى) وهو الذي يقول: لا يكون ما شاء الله ويكون ما شاء إبليس، وفي الخبر: (القدرية مجوس هذه الأمة) وقد يطلق القدرية على الجبرية لاسنادهم الأفعال إلى قدر الله وقضائه بنحو الجبر بلا اختيار للعبد. قولها (عليها السلام): «صلى الله على أبي نبيه وأمينه على الوحي وصفيه... الخ».

(الصلاة) في اللغة على المشهور بمعنى الدعاء، كما في قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾^(٢) أي أدع لهم، ومنه سمى الصلاة واحدة الصلوات المفروضة بالمعنى الشرعي لكونها نوعاً من الدعاء.

وقوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾^(٣) يحتمل أن كون المصلّى فيه مأخوذاً من الصلاة بالمعنى اللغوي أي محلّ الدعاء، أو بالمعنى الشرعي أي محلّ الصلاة المقررة في الشريعة، والحق المشهور في أصل وضع الصلاة

(١) مجمع البحرين / جبر.

(٢) التوبة: ١٠٣.

(٣) البقرة: ١٢٥.

الشرعية واشتقاقها هو ما ذكر.

وإن قيل: إن اشتقاقها من الصلوة وهو العظم الذي عليه الاليان، لأن المصلي يحرك صلوة في الركوع والسجود، أو هو باعتبار حال ائتمامه لأنه يجعل رأسه على صلوى السابق أي الإمام أو مأموم آخر مثله، تشبيهاً للمصلي^(١) التابع للمجلي^(٢) من أفراس الرهان العشرة.

أو أنها اسم مصدر من صليت بمعنى أزلت الصلا وهو الإحتراق بالنار بجعل التفعيل للإزالة، لأنها توجب دفع عذاب الآخرة، أو هو من صليت العود بالنار إذا لئنته، لأن المصلي يلين بالخشوع، أو من الوصل كما قيل وورد في بعض الأخبار، لأنها اتصال وارتباط بين العبد وبين الله سبحانه، فإن كل ذلك خلاف الظاهر بحسب المتعارف بين أهل الظاهر، والخبر حجة تعبداً وسره عند أهله إن لم يكن فيه ضعف سنداً ودلالةً.

وتجيء الصلاة بمعنى الرحمة أيضاً كقوله تعالى: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾^(٣) أي ترحم، وبمعنى البركة أيضاً كآلية، وقولهم: (اللهم صل على محمد وآل محمد) أي ارحمهم وبارك عليهم، وبمعنى التعظيم والإعتناء بإظهار الشرف ورفع الشأن.

فلا يكون قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾^(٤) من باب استعمال اللفظ في المعنيين أو في مجازي عام، بل في معنى واحد حقيقي وهو التعظيم بإظهار الشرف والشأن، ومن هنا قيل إن تشريف الله تعالى محمداً (صلى الله عليه وآله) بقوله: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ أبلغ من تشريف آدم بالسجود.

(١) المصلي من الخيل: الذي يجيء بعد السابق لأن رأسه يلي صلا المتقدم وهو تالي السابق / لسان العرب.

(٢) يقال للسابق الأول من الخيل المجلي / لسان العرب.

(٣) البقرة: ١٥٧.

(٤) الأحزاب: ٥٦.

فيجري هذا المعنى في قولهم: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ) أيضاً، فيكون هو بمعنى ارحمهم وبارك عليهم أي أنزل رحمتك وبركاتك عليهم، وعظّمهم بما يظهر به شرف شأنه، فيؤول حاصله إلى قولنا: اللَّهُمَّ أعظمهم وأطف عليهم في الدنيا بإعلاء ذكرهم، وإظهار دعوتهم، وإبقاء شريعتهم، وفي الآخرة بتسفيهم في الأمة، وتضعيف الأجر والمثوبة مضافاً إلى إزال رحمتك وبركاتك عليهم في الدنيا والآخرة، والله يصلي عليهم أي ينزل رحمته إليهم.

وصلاة الملائكة بمعنى الرحمة أيضاً، وذلك بدعائهم للنبي (صلى الله عليه وآله) أيضاً كدعائنا له، فإن الدعاء أيضاً رحمة، فيمكن أن يكون معنى الدعاء متفرعاً من معنى الرحمة.

فقول بعض من أهل الأدب: إن الصلاة من الله تعالى الرحمة، ومن الإنسان الدعاء أي طلب الرحمة، ومن الملائكة الإستغفار أي طلب المغفرة، لا وجه له. وتطلق الصلاة على الدين أيضاً إما لأنه أيضاً رحمة، أو لأن الصلاة الشرعية أعظم أركان الدين فاطلقت عليه، ومنه قوله تعالى في شعيب حكاية عن قومه: ﴿أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا﴾^(١) أي دينك، وقيل: المراد به نفس الصلاة الشرعية، فإن شعيب كان كثير الصلاة فقالوا له ذلك.

وفي الدعاء: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ) كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم^(٢) قيل: ليس التشبيه من باب إلحاق الناقص بالكامل، بل لبيان حال من لا يعرف عند عامة الناس بمن هو معروف مشهور عندهم، وإن كان الأول بالنسبة إلى الآخر أكمل في الحقيقة.

وقيل: هو في أصل الصلاة لا في قدرها، وقيل: معناه إجعل لمحمد (صلى الله عليه وآله) صلاة بمقدار الصلاة لإبراهيم وآله، وفي آل إبراهيم خلائق لا يحصون من الأنبياء والأولياء، وليس في آل نبي، فطلب إلحاق جملة فيها نبي

(١) هود: ٨٧.

(٢) تأويل الآيات ٢: ٤٦٠ ح ٢٦، مجمع البحرين/صلى.

واحد بما فيه أنبياء.

واختلف في وجوب الصلاة على محمد (صلى الله عليه وآله) في الصلاة، فذهب أكثر الإمامية، وأحمد، والشافعي إلى وجوبها فيها، وخالف أبو حنيفة ومالك في ذلك ولم يجعلوها شرطاً في الصلاة، وكذلك اختلف في إيجابها عليه (صلى الله عليه وآله) في غير الصلاة، فذهب الكرخي إلى وجوبها في العمر مرة، والصخاوي: كلّمَا ذكر، واختاره الزمخشري^(١)، وكذا ابن بابويه من فقهاءنا، قال في المجمع: وهو قوي^(٢) (٣).

قال الشهيد الثاني (رحمه الله) في الروضة: وغاية السؤال بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) عائدة إلى المصلي، لأن الله تعالى قد أعطى نبيه (صلى الله عليه وآله) من المنزلة والزلفى لديه مالا تؤثر فيه صلاة مصل، كما نطقت به الأخبار، وصرّح به العلماء الأخيار، إنتهى^(٤).

أقول: ولعلّ من جملة تلك الأخبار التي أشار إليها قوله (عليه السلام): (الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) أفضل من الدعاء لنفسه)^(٥) ووجهه أن فيها ذكر الله وتعظيم النبي (صلى الله عليه وآله)، ومن شغله ذكره عن مسألة أعطاه أفضل ممّا يعطي الداعي لنفسه، ويدخل في ذلك كفاية ما يهتم في الدارين، وفيه: (من صلى عليّ صلاة صلّت الملائكة عليه عشراً)^(٦) أي دعت له وباركت، وفي آخر: (من صلى عليّ مرة لم يبق من ذنوبه ذرّة)^(٧) إلى غير ذلك.

وحاصل هذا الوجه حينئذٍ أن النطق بالصلاة على هذا الوجه تعبدية، وضعت

(١) راجع الكشف ٣: ٥٥٧ / سورة الأحزاب آية: ٥٦.

(٢) مجمع البحرين / صلى.

(٣) راجع تفصيل هذه الأقوال في كنز العرفان ١: ١٣٢، والبحار ٨٥: ٢٧٩.

(٤) شرح اللمعة الدمشقية ١: ٢٠.

(٥) مجمع البحرين / صلا.

(٦) النهاية ٣: ٥٠، مجمع البحرين / صلا.

(٧) جامع الأخبار: ١٥٣ ح ٤، عنه البحار ٩٤: ٦٣ ح ٥٢.

على هذه الصورة لندعوه بها، ويرجع ثوابها إلينا، وقيل: إن درجات نواله تعالى ممّا لا تقف على حدّ، وامتاز نبينا (صلّى الله عليه وآله) عن سائر الأنبياء بزيادة القبول للفيوض الربانيّة، وكان (صلّى الله عليه وآله) يقول: (إن ربّي قد وعدني درجة لا تنال إلّا بالدعاء، أو دعاء أمتي) وكان (صلّى الله عليه وآله) يطلب الدعاء من صلحاء المؤمنين.

وقيل: إن دعاءنا له من جملة أعماله التي بها يستحقّ مزيد القرب والدرجات، لأنّه قد أنقذنا من الهلاك فعرّفناه وعرفنا الصلاة عليه، وهذا أيضاً من أعماله وعباداته، كدعاء المؤمن في حقّ المؤمن بسبب دخوله في الإيمان حيث أنّه ليس للإنسان إلّا ما سعى.

وقيل: إنّ ذلك يوجب بالنسبة إليه (صلّى الله عليه وآله) أن يحصل له درجة الشفاعة في حقنا، وهذا مزيد درجة له كما ندعو بقولنا: وتقبّل شفاعته في أمتّه، أو أنّه دعاء لهم (عليهم السّلام) بنصرهم، وسلامة شيعتهم في الرجعة، أو أنّه دعاء لهم بعدم انقطاع وساطة الرحمة الكلّيّة عنهم (عليهم السّلام)، نظير (إهدنا الصراط المستقيم) على وجه من الوجوه، وقوله (صلّى الله عليه وآله): (ربّ زدني علماً) أو أنّه دعاء لازدياد نعمنا، فإنّ ازدياد نعمنا وعلوّ درجاتنا مزيد لهم (عليهم السّلام)، من حيث إنّ زيادة أغصان الشجر وأوراقها ونضرتها زينة للشجر ومزيد له من باب الصفة بحال المتعلّق.

و (الأمين) هو من أوّتمن على شيء فيوضع عنده، وذلك الشيء هو الأمانة، وهي هنا الوحي أي الموحى به بمعنى الأحكام الأصوليّة والفروعيّة والتشريعيّة والتكوينيّة التي أوحيت إليه (صلّى الله عليه وآله) فاودعت عنده، فيؤدّيها على ما أودعت إمتثالاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١) وسيجيء.
و (الصفّي) فاعيل بمعنى مفعول من الصفا والصفوة بمعنى الصافي والمصطفى.
و (الخيرة) بكسر الخاء وفتح الياء بمعنى المختار.

و (الرضي) نظير الصفي بمعنى الراضي والمرضى من الرضاء.
وقد مرّ معاني المواد المذكورة، والله سبحانه قد اصطفى نبينا
(صلّى الله عليه وآله) واختاره من بين خليقته للنبوّة التامة، والرسالة الكاملة،
ولمنشئّة آثار الألوهيّة، ومبدئيّة فيوضات الربوبيّة بحيث لا يدانيه أحد، ولا يحدّ
مداه بحدّ، كما اختاره للعبوديّة الحقيقيّة التي كنهها الربوبيّة، وارتضاه لتلك المرتبة
الكاملة، والفضيلة الفاضلة، ورضي عنه وأرضاه، وانتجبه واجتبه، فهو تعالى
راض عنه، وهو (صلّى الله عليه وآله) راض عنه تعالى.

و (السلام) هو السلامة، ومعنى قولنا: (السلام عليك) الدعاء بالسلامة من
المكاره، وإذا قلنا: (السلام علينا وعلى الأموات) فمعناه الدعاء بالسلامة لأنفسنا
من آفات الدنيا والأموات من عذاب الآخرة، بل لأنفسنا أيضاً من عذاب الآخرة.
وضعه الشارع موضع التحيّة والبشرى بالسلامة، ثمّ أنّه اختار لفظ السلام
وجعله تحيّة لما فيه من المعاني المقصودة، أو لأنّه مطابق للسلام الذي هو اسم من
أسمائه تعالى تيمناً وتبرّكاً، وكان يُحيى به قبل الإسلام وبغيره أيضاً، بل كان
السلام بالسلام أقلّ وغيره أكثر وأغلب، فلمّا جاء الإسلام اقتصرُوا بأمر الشارع
عليه، ومنعوا ما سواه من تحيّات الجاهليّة، وإيراده على صفة التعريف أزين لفظاً
وأبلغ معنى.

وقيل: معنى (السلام عليك) اسم السلام عليك، أو اسم الله عليك أي أنت في
حفظه، كما يقال: (الله معك) وهو ضعيف.

والسلام على النبي (صلّى الله عليه وآله) دعاء بعدم انقطاع الفيوضات الإلهيّة
عنه لنفسه ولأمّته وشيعته، بل لجميع الخليقة في الدنيا والآخرة، وفي الرجعة
والبرزخ من المكاره والآفات وسوء الخاتمة، ويظهر بعض الكلام في وجه السلام
على النبي (صلّى الله عليه وآله) ممّا مرّ في معنى الصلاة.

و (الرحمة) قيل بمعنى مطلق النعمة، والحقّ كما قيل أنّها بمعنى رقة القلب
والتعطف والمرحمة، يقال: رحمت زيداً أي رقت له وحننت عليه، والفاعل راحم

والمبالغة رحيم.

وفي الحديث: (إنما يرحم الله من عباده الرحماء)^(١)، ويقال: رهبوت خير من رحموت أي لأن تُرْهَبَ خير من أن تُرْحَمَ^(٢).

والمراد من الرحمة عند النسبة إلى الله سبحانه غايتها، وهي الانعام والإحسان والرزق والإمتنان، وكذا بعض الأوصاف المنتسبة إليه تعالى ممّا يشبه ذلك الذي لا يجري فيه تعالى بحقيقته لكونه من صفات خلقه كالقهر، والغضب، والكرم، والسخاء، والرضا، والمكر، والسخرية وغيرها، فإنّ المراد في كلّ ذلك غايته لا مبدأه، ولذا قيل: إنّ هذا المقام من مواد ما تداول بين الأقوام من قول الحاضر والبادي: (خذ الغايات واترك المبادي) أي اجعل الأمر كذلك في نسبة تلك الأوصاف إلى الله سبحانه.

قيل: والرحمة الرحمانية هي العطوفة الكاملة التي لا غاية لها، فيختصّ من حيث اللغة بالله سبحانه، وهي إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه.

ولعلّ هذا من جهة المبالغة الموجودة في (رحمان) بالنسبة إلى (رحيم) لأنّ زيادة المباني تدلّ على زيادة المعاني، ولذا اختصّ بالله سبحانه ولا يطلق على غيره تعالى لكونه من الصفات المختصّة به تعالى من حيث المعنى.

وقيل: إنّ ذلك من جهة كونه من الصفات الغالبة، وبالجمله لا يطلق هو على غيره تعالى البتة، وقول بني حنيفة في مسيلمة الكذاب رحمان اليمامة، فهو من جهة تعنتهم في كفرهم وضلالهم حتى قالوا:

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا وأنت غيث الورى لا زلتَ رحمانا
و (البركة) الزيادة والنماء، يقال: بارك الله فيه فهو مبارك، والأصل مبارك فيه، ومنه التحيّات المباركات، وأمّا ما يقال في الله تبارك وتعالى قيل: هو أيضاً من هذه المادة بهذا المعنى أي زاد وارتفع بحسب نعمه وإحسانه، من باب الصفة بحال

(١) دعائم الإسلام ١: ٢٢٥، عنه البحار ٨٢: ١٠١ ح ٤٨.

(٢) راجع لسان العرب ٥: ١٧٣ / رحم.

المتعلق أي زائد النعم والإحسان، وحاصله أنه صاحب البركة.
وقيل: هو من بَرَكَ البعير بروكاً - من باب قتل - وقع على بركته وهي صدره،
كناية عن قدمه تعالى وثبوته، وعدم تطرّق التغيّر والزوال عليه، والمعنى الأول
أظهر في النظر، و﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾^(١) قيل: أي ثبت الخير عنده وفي
خزائنه، وقيل: تبارك أي علا وتعظّم وتكبر وتكرّم، واتسعت رحمته وكثرت
نعمته، وتبارك في هذه المقامات بمعنى بارك نظير تقابل وقابل.

وقد يكون بارك متعدّياً نحو باركه الله أي بارك الله فيه من باب الحذف
والإيصال، وإلا فهو لازم أيضاً في الحقيقة، والمراد من بركته تعالى نعمه
وإفضالاته الزائدة، وجمع البركات للمبالغة.

قال في النهاية: في الحديث: (وبارك على محمّد وآل محمد) أي أثبت له
وأدم له ما أعطيته من التشريف والكرامة، من بَرَكَ البعير إذا أناخ في موضعه
ولزمه، وتُطلق البركة أيضاً على الزيادة والأصل الأول، انتهى^(٢).

والظاهر في عالم التبادر هنا بملاحظة العرف هو اعتبار معنى الزيادة والبركة،
أي كن صاحب البركة والزيادة بالنسبة إلى محمّد وآل محمد، وتفضّل عليهم، وزد
في نعمهم وإحسانهم أبداً، كما قال (صلى الله عليه وآله): (ربّ زدني علماً).

ثم إن قولها (عليها السّلام): «والسلام عليه ورحمة الله وبركاته» يمكن أن
يكون السلام فيه إشارة إلى سلامته (صلى الله عليه وآله) في نفسه عن مفسد أُمته
وشرورهم بالنسبة إلى عترته، والرحمة إشارة إلى جريان الفيوض الإلهية إليهم من
حيث أنفسهم، وبركاته إشارة إلى وصول نعم الله تعالى إلى شيعتهم.

وهنا قد فرغت (عليها السّلام) من الحمد والثناء على الله سبحانه، والصلاة
والسلام على نبيّ الرحمة، وإمام الأُمّة الكاشف للغمّة.

(١) المؤمنون: ١٤.

(٢) النهاية ١: ١٢٠، ولسان العرب ١: ٣٨٧/ برك.

ثم التفتت إلى أهل المجلس وقالت (عليها السلام):
«أَنْتُمْ عِبَادُ اللَّهِ نَصَبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَحَمَلَةُ دِينِهِ وَوَحْيِهِ،
وَأَمْنَاءُ اللَّهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَبُلْغَاؤُهُ إِلَى الْأُمَمِ، رَعِيمٌ حَقٌّ لَهُ فِيكُمْ،
وَعَهْدٌ قَدَمُهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ، كِتَابُ اللَّهِ النَّاطِقُ،
وَالْقُرْآنُ الصَّادِقُ، وَالضِّيَاءُ اللَّامِعُ، بَيِّنَةٌ بِصَائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ
سَرَائِرُهُ، مَتَجَلِّيَّةٌ ظَوَاهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهَ أَشْيَاعُهُ، قَائِدٌ إِلَى الرِّضْوَانِ
أَتْبَاعُهُ، مُؤَدِّ إِلَى النِّجَاةِ اسْتِمَاعُهُ».

بيان:

قولها (عليها السلام): (عباد الله) منادى مضاف حذف منه حرف النداء أي يا
عباد الله، و(أنتم) مبتدأ و(نصب) خبره، وإقحام النداء بين الخبر والمبتدأ إشارة إلى
الحرص على التنبيه، وإنَّ المطلب الملقى إليهم أمر خطير لا بد أن ينبّه المخاطب
عليه لئلا يذهب عليه ولا يفوت عنه من جهة الإشتباه والغفلة.
وحذف حرف النداء تنبيه آخر على أنَّ المطلب مهمٌ فليلاحظ حتى لا يفوت
بطول النداء، وهذه النكتة اعتبرت في لفظ عباد الله بخصوصه غالباً في الخطب
الواردة عن الأئمة (عليهم السلام)، كقولهم: (أوصيكم عباد الله بتقوى الله)^(١)،
(أوصيكم عباد الله بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها، والمبلية
لأجسادكم وإن كنتم تحبون تجديدها)^(٢) إلى غير ذلك من خطب نهج البلاغة
وغيرها.

و(نصب) بالفتح - على ما قال الفيروز آبادي^(٣) - هو العلم المنصوب، ويحرك
ويقال: هذا نصب عيني - بالضم والفتح - أي منصوب في مقابل عيني، ونُصِبَ
- بضمّتين - أيضاً كذلك، ولهذا يطلق كلّ منها على الوثن المنصوب للعبادة.

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٩.

(٣) القاموس المحيط: ١٧٧ / نصب.

قال تعالى في مقام بيان المحرمات: ﴿وما ذبح على نصب﴾^(١) أي لأجله، وهو قربان الأوثان يُلطّخونها بدمه بعد أن يذبحوه عندها، فصارت حمراً ملوثة بالدم، وقد لا يُلطّخون، أو هو الحيوان المذبح الذي لم يذكر عليه اسم الله، أو ذكر عليه اسم بعض الأوثان عند الذبح.

وقال تعالى: ﴿إنما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾^(٢) أي الحاصل بما ذكر من المذكورات المتعلّق بها رجس (فاجتنبوه)، وفُسّر الأنصاب بالأصنام وبنفس تلك الذبائح أيضاً.

وبالجملة فالنصب بالمعنى المذكور يكون مصدراً بمعنى المفعول، ولكونه مصدراً في الأصل يقع على القليل والكثير، ووقع هنا خبراً عن الجمع أي أنتم منصوبون لأوامره تعالى ونواهيّه، وأنتم مطمح نظر الله في إنزال الدين والشرعة، وإنّه خلقكم ونصبكم ليحمل أوزار التكليف عليكم، ويحمّلكم إلى العبادة المطلوبة والمعرفة المقصودة، كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾^(٣).

والنصب بالمعنى المصدرى معروف، ويرجع معناه إلى الرفع مع الإثبات، يقال: نصب الشيء أي أقمته وأثبتّه، والمنصب كمنبر الأثنية من الحديد يجعل عليها الطنجير^(٤) بدل الأثافي من الحجر، وهي حجران ثالثهما المرتفع من الأرض الذي يقال له ثالثة الأثافي.

والمنصب كمجلس - بكسر العين - الأصل والمرجع، يقال: منصب الشيء أي أصله ومرجعه يعني الذي نصب فيه، قيل: ومنه المنصب بمعنى الجاه، والحق أن المنصب في هذه الموارد اسم مكان بمعنى محلّ النصب والإثبات والإقامة، إلا أنّه

(١) المائدة: ٣.

(٢) المائدة: ٩٠.

(٣) الذاريات: ٥٦ - ٥٧.

(٤) الطنجير: وعاء يُعمل فيه الخبيص [أي الحلواء] ونحوه. / المنجد.

قد يكتفى به عن الأمور المزبورة من باب الملازمة.

والنصاب من المال - بكسر النون - القدر الذي تجب فيه الزكاة، والنصب - بفتح الحين - التعب، لأن من تعب في سيره قام وثبت في مقامه فلا يتحرك. و (حملة) جمع حامل وهو الشائع في جمع فاعل الصفة وصفاً للعاقل كطلبة وفعلة وغيرهما، والمراد من الدين والوحي معنى الموحى به من أحكام الشريعة، ويجوز المعنى المصدري أيضاً فيهما، والمآل راجع مطلقاً إلى المعنى الواحد هو الشريعة، وقد مرّت الإشارة إلى مادّة اللفظين.

والمراد من الحمل هنا هو تحمّل التكاليف الدينيّة أصوليّة وفروعيّة، أي أنّ الله تعالى قد حمل أمانة التكاليف عليكم، ووجّه أوامره ونواهيه إليكم، فأنتم الحاملون للتكاليف الشرعيّة، والمتحمّلون لأعباء الأوامر والنواهي الدينيّة، فلا بد لكم أن تطيعوه تعالى فيما أمر ونهى بلسان رسوله الذي ما كان ينطق عن الهوى، فلم تتخذون من دون الله أوثاناً، وتجعلون لأنفسكم من غير أولياء الله أرباباً؟ وإلى هذا المعنى يرجع على أحد الوجوه قوله تعالى: ﴿أنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان أنّه كان ظلوماً جهولاً﴾^(١).

أي أنا عرضنا أمانة التكاليف الشرعيّة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، مراداً بالاباء هو الاباء الطبيعي والاستعدادي أي لم يكن لها استعداد وقابليّة في أنفسها لحملها بأن تكون مخاطبة بحملها والعمل بها، وأشفقت منها لضعف طباعها عن أدائها، وحملها الإنسان لقابليّته لها، أنّه كان ظلوماً جهولاً أي مركباً من القوّة الغضبّيّة والشهويّة.

وهو وصف للجنس باعتبار أغلب الأوصاف، كقوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلّا أمم أمثالكم﴾^(٢) أي إنّ الله تعالى حمل التكاليف

(١) الأحزاب: ٧٢.

(٢) الأنعام: ٣٨.

الشرعية على الإنسان لا على غيره من المخلوقات لعدم قابليتها لها بخلاف الإنسان، فحملها آياه وكلفه بها ليعذب الله المنافقين والمنافقات لخياتهم في الأمانة، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات بأدائهم لها والعمل على طبقها.

فالمراد بالأمانة حينئذ الأوامر والنواهي والفرائض والأحكام الواجبة على الأنام، ويدخل فيها ولاية الأئمة (عليهم السلام) لأنها أعظم أحكام الإسلام.

وفي بعض الأخبار في الكافي والبصائر وغيرهما: إن الأمانة هي الولاية أبين أن يحملنها كفراً وحملها الإنسان أبو فلان، أنه كان ظلوماً جهولاً^(١)، وفي خبر آخر: إن المراد بالإنسان أبو الشرور والمنافق^(٢).

وفي بعض الأخبار: فأبين أن يحملنها بأثقالها وادعائها لأنفسهن وتمني محلها لهن، وحمل الشيطان آدم وحواء في الجنة على تمني منزلتهم (عليهم السلام) إلى أن آل أمرهما إلى ما آل، ثم لم يزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة، ويشفقون من ادعائها لأنفسهم، وحملها الإنسان الذي قد عرف بأصل كل ظلم منه إلى يوم القيامة^(٣).

وفي بعضها: فأبين أن يغصنها عن أهلها وأشقق منها، وحملها الإنسان يعني الأول^(٤).

وفي بعضها: إن الصلاة من أمانة الله فلا بد من أدائها^(٥)، ونحو ذلك. فالمراد من حمل الأمانة حينئذ إبقائها في الذمة وعدم أدائها، أو المراد حمل

(١) بصائر الدرجات: ٩٦، ج ٣ باب ١٠، عنه البحار ٢٣: ٢٨١ ح ٢٤، وفي الكافي ١: ٤١٣ ح ٢، وتفسير الصافي ٤: ٢٠٧، وكنز الدقائق ١٠: ٤٥٣.

(٢) معاني الأخبار: ١١٠ ح ٢، عنه البحار ٢٣: ٢٧٩ ح ٢٠، وتفسير الصافي ٤: ٢٠٧، وكنز الدقائق ١٠: ٤٥٣.

(٣) معاني الأخبار: ١٠٨، وتفسير الصافي ٤: ٢٠٧، وكنز الدقائق ١٠: ٤٥٠، ملخصاً.

(٤) تفسير القمي ٢: ١٩٨، والبحار ٢٣: ٢٨٠ ح ٢١، وتفسير الصافي ٤: ٢٠٧، وكنز الدقائق ١٠: ٤٥٦.

(٥) تفسير الصافي ٤: ٢٠٨.

تركها وحمل اثمها وعقابها، كما قال تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾^(١)، وعن الزجاج: كل من خان الأمانة فقد حملها، وكل من أثم فقد حمل الاثم^(٢).

أو المراد أننا عرضنا أمانة الولاية لهنّ للإمتحان، وأنهنّ هل يحملنها بأن يتقمّصنها، فأبين عن ذلك عملاً بمقتضى علمهنّ من أنهنّ لسن أهلاً لذلك، وأنه لا يليق لهنّ التقمّص بذلك، ولا يمكن لهنّ أداء حقوقها والعمل بلوازمها ورسومها، وتقمّصها الإنسان وهو فلان ظلماً وجهالة أو تجاهلاً.

أو إنّنا جعلنا لكل شيء تكليفاً فأبى كلّ شيء حمل مخالفة تكليفه، بل أدّى تكليفه، بخلاف الإنسان فإنّه خالف ما أمر به، فحمل قلادة المخالفة لما فيه من الظلم والجهالة.

ويجوز أن يكون المراد أننا عرضنا أمانة الولاية عليهنّ، فلم يكن فيهنّ شيء قابل لحملها وتحمل أعبائها، وحملها الإنسان أي عليّ (عليه السلام)، أنّه كان ظلوماً جهولاً أي مظلوماً مجهول القدر بين الناس، كما ورد في قوله تعالى خطاباً للنبي (صلى الله عليه وآله): ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾^(٣) أي وجدك مجهول القدر بين الناس، فهدى الناس إلى معرفتك.

و (الأمناء) جمع الأمين، يقال: أمنت على كذا أمناً وأمانةً وأُتمنته فهو آمن وذلك مأمون ومؤتمن وأمينٌ على ذلك الشيء الذي هو أيضاً يسمّى أمانة، قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف: ﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾^(٤) بالادغام والإظهار، والادغام أحسن.

وأبلغه مأمنه أي موضع أمنه، ويقال: أمنت من الأسد أمناً مثل سلم وزناً

(١) العنكبوت: ١٣.

(٢) راجع لسان العرب ٣: ٣٣١ / حمل.

(٣) الضحى: ٧.

(٤) يوسف: ١١.

ومعنى، ويتعدى بالهمزة فيقال: أمنت منه وأمنت الأسير أعطيته الأمان فأمن هو - بالكسر - أماناً، فالإيمان في الأصل إعطاء الأمن، ويسمى الإيمان بالله إيماناً لأن إيمان العبد بتصديق النبي (صلى الله عليه وآله) مثلاً إيمان لنفسه أي جعله مطمئناً.

وأصل الأمن الاطمئنان وسكون القلب، وبعبارة أخرى خلاف الخوف، ومن اتّمن شخصاً على شيء فقد اطمأن به من جهة هذا الشيء أي اطمأن بالمأمون على ذلك الشيء، فذلك الشيء أمانة، وتسمى ودیعة أيضاً لأنه يدعها ويتركها عند المؤمن، وفي حفظها يعتمد عليه ويطمان به.

ومن أسمائه تعالى المؤمن لأنه آمن عباده من أن يظلمهم، أو من نار جهنم، أو أنه مصدق لهم في عبوديتهم له، أو في ألوهيته عليهم، أو مصدق لنبيه فيما جاء به من عنده.

والمُهيمن قيل أصله المؤمن باعتبار أصله أي مؤمن قلبت الهمزة الأولى هاء والثانية ياء، وقيل: هو من الهيمنة بمعنى السلطنة والعظمة، أو التسلط بالقهر والغلبة، وفي الدعاء: (يا مؤمن يا مهيمن)^(١) والعطف دليل المغايرة.

ومعنى قولها (عليها السلام): (وامناؤه على أنفسكم) أي أن نفوسكم ودائع الله عندكم وأنتم أناء الله على أنفسكم، فلا يجوز لكم الخيانة على ودائع الله بأن تتركوا أوامر ونواهيه فتوقعوها في الهلكة، وتضيّعوها بالمخالفة والمعصية، بل لا بد لكم أن تهذبوها بالطاعة والانقياد لأمر الله سبحانه، وتركوها باتباع أهل الولاية وأئمة الهداية.

و (البلغاء) جمع البلّغ على ما هو الأكثر في جمع الفعيل، وإن جاز جعله جمع الفاعل أيضاً كشعراء في شاعر، إلا أنه نادر لم يأت منه إلا أسماء معدودة مسموعة، مثل العلماء في عالم، والعرفاء في عارف، والشهداء في شاهد، مع

إمكان جعل كل ذلك جمع فعيل أيضاً وفعلاء أكثر مثل ظرفاء في ظريف، وشرفاء في شريف، وكرماء في كريم ونحو ذلك، وهو الصحيح في القواعد العربية.

والبليغ فعيل بمعنى فاعل من المزيد بمعنى المبلغ والمبلغ من الأفعال والتفعيل، نحو السميع بمعنى المسمع، والأليم بمعنى المؤلم، والحكيم بمعنى المحكم ونحو ذلك، أي أنكم تبتغون الأحكام وتؤدّونها إلى سائر فرق الأنام من أهل الإسلام الذين يأتون بعدكم، أو هم غائبون عن خدمة النبي (صلى الله عليه وآله) لأنكم أدركتم صحبة النبي (صلى الله عليه وآله) وأخذتم منه الأحكام الشرعية.

وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله) لكم في يوم الغدير: (ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب) مراداً منه المعنى الأعمّ الشامل للموجود والمعدوم، فإنّ حكمه على الواحد منكم حكمه على الجماعة، وإنّ شرع محمد (صلى الله عليه وآله) مستمر إلى يوم القيامة فكيف يليق بكم أن تتركوا ما أمرتم به، وترتكبوا ما نهيتم عنه.

قولها (عليها السلام): «زعيم حقّ له فيكم... الخ».

الزعيم فعيل من الزعم بمعنى الكفيل من قولهم: زعمت به أزعماً وزعامة - من باب علم - كفلت به، وفي الحديث: (الزعيم غارم)^(١)، وفي نهج البلاغة: (ذمّتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم)^(٢) وفي سورة يوسف: ﴿ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم﴾^(٣)، وقد يستعمل الزعيم بمعنى الوكيل أيضاً، ومنه الحديث: (زعيم الأنفاس)^(٤) أي وكيلها الموكل بها يُصعّدها.

والزعامة أيضاً السيادة، وزعيم القوم سيّدهم، ولعلّ هذا المعنى متفرّع من

(١) عوالي اللآلي ٣: ٢٤١ ح ١، عنه مستدرک الوسائل ١٣: ٣٩٣ ح ١٥٦٩٨، بالنهاية ٢: ٣٠٣، ولسان العرب ٦: ٤٨ / زعم.

(٢) نهج البلاغة الخطبة: ١٦، عنه البحار ٣٢: ٤٧ ح ٣٠، والنهاية ٢: ٣٠٣، ولسان العرب ٦: ٤٨ / زعم.

(٣) يوسف: ٧٢.

(٤) النهاية ٢: ٣٠٣، ولسان العرب ٦: ٤٩ / زعم.

المعنى السابق، فإنَّ سيّد القوم كفيّلهم وكفيّلهم سيّدهم، والزعم أيضاً القول مطلقاً من زعم زعماً - بالتثليث -، وقيل الفتح للحجاز، والضمّ للأسد، والكسر لبعض قيس - من باب قتل ومنع - أي قال مطلقاً أو مع الاعتقاد، أو قال بما لا وثوق به للقائل أو لمن سمعه.

قال في النهاية: وفي الحديث: أنّه ذكر أيّوب فقال: كان إذا مرّ برجلين يتزاعمان فيذكران الله كَفَرَّ عنهما، أي يتداعيان شيئاً فيختلفان فيه فيحلفان عليه، كان يكفّر عنهما لأجل حلفهما، قال الزمخشري: معناه أنّهما يتحادثان بالزعمات، وهي ما لا يوثق به من الأحاديث، قوله: فيذكران الله، أي على وجه الاستغفار.

ومنه الحديث: (بئس مطيّة الرجل زَعَمُوا) معناه أنّ الرجل إذا أراد المسير إلى بلد والظعن في حاجة ركب [مطيّته] وسار حتى يقضي إزبته، فشبه ما يقدمه المتكلم أمام كلامه ويتوصّل به إلى غرضه من قوله زعموا كذا وكذا بالمطيّة التي يتوصّل بها إلى الحاجة، وإنّما يقال زعموا في حديث لا سند له ولا ثبتّ فيه وإنّما يحكى عن الألسن، فذمّ من الحديث ما كان هذا سبيله^(١).

والزعم - بالفتح والضمّ - ما يقرب من الظنّ أيضاً، وقال الأزهري: وأكثر ما يكون الزعم فيما يشك فيه ولا يتحقّق، وقال بعضهم: هو كناية عن الكذب، وقال المرزوقي: أكثر ما يستعمل فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب، وقال بعضهم: زعم زعماً قال خبراً لا يُدرى أحقّ هو أو باطل، قال الخطابي: ولهذا قيل زعموا مطيّة الكذب^(٢).

وفي الكشف: إنّ هذا الخبر أي الوارد بعد الزعم - على ما فسر التفازاني - كلام غير موثوق به، لأنّ الزعم هو القول بغير تبين ولا تثبّت، وعن شريح القاضي: لكلّ شيء كنية وكنية الكذب زعموا.

ويقال: زعم زعماً غير مزعم أي قال قولاً غير مقول صالح وادّعى ما لا

(١) النهاية ٢: ٣٠٣، لسان العرب ٦: ٤٩ / زعم.

(٢) راجع مجمع البحرين / زعم.

يمكن، وقول الكفار: ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً﴾^(١) يحتمل إرادة أكثر المعاني المذكورة، وقوله تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾^(٢) أي اعتقدوا، وفي الحديث: (كل زعم في القرآن كذب)^(٣) ويقال أيضاً زعم - بالكسر - يزعم كعلم يعلم أي طمع.

و (الحق) خلاف الباطل، ويستعمل بمعنى الصادق والثابت والمطابق للواقع والموافق له ونحو ذلك، قيل: الخبر أو الاعتقاد إذا كان مطابقاً للواقع كان الواقع أيضاً مطابقاً له، فمن حيث أنه مطابق للواقع - بالكسر - يسمى صادقاً، ومن حيث أنه مطابق له - بالفتح - يسمى حقاً، وقد يطلق الحق والصدق على نفس المطابقة والمطابقة، وقد يستعمل أحدهما موقع الآخر، وقيل: إذا اجتماعا افترقا وإذا افترقا اجتماعا.

والحق في الأصل مصدر قولك حق الشيء - من باب ضرب وقتل - إذا وجب وثبت، ومنه الحق مصدرًا بمعنى الفاعل، أو صفة مشبهة كحقيق، ومنه الحقيقة للكلمة المستعملة فيما وضعت له لثبوتها في مقامها الأصلي، أو هي فعيلة بمعنى مفعولة أي كلمة أو لفظة مثبتة في محلها، لأنه قد يستعمل متعدياً أيضاً مثل حققت الشيء إذا تيقنته وجعلته ثابتاً لازماً، وحقته - بالتثنية - تحقيقاً للمبالغة، وحق له أن يفعل له كذا يجوز فيه قراءة حق مجهولاً ومعلومًا، لما ذكر من جواز استعماله متعدياً ولزماً.

و (العهد) بفتح العين الوصية، وتقول: عهدت إليه عهداً - من باب علم - إذا وصيته، ومنه الحديث: (تمسكوا بعهد أم عبد)^(٤) أي ما توصيكم به وتأمركم، والمراد من أم عبد أم عبدالله بن مسعود.

(١) الاسراء: ٩٢.

(٢) التغابن: ٧.

(٣) الكافي ٢: ٣٤٢ ح ٢٠، عنه البحار ٧٢: ٢٤٤ ح ٦.

(٤) النهاية ٣: ٣٢٦، لسان العرب ٩: ٤٤٨ / عهد وفيه: ابن أم عبد.

وفي حديث عليّ (عليه السلام): (عهد إليّ النبي الأمي^(١)) أي أوصى، وقوله تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم﴾^(٢) أي ألم أوصي أولم أقدم إليكم، ومنه اشتق العهد الذي يكتب للولاة، ولعلّه مصدر بمعنى المفعول أي المعهود الذي عرف وعهد. وعهدته بمكان كذا أي لقيته، وعهدي به قريب مُلقاتي له، والتعهد بالشيء التحفّظ به وتجديد العهد به وإصلاحه.

ومنه قولهم: عهدة هذا الأمر عليّ أي ما كان فيه من عيب فتعهده وإصلاحه عليّ، وبرئت من عهدة هذا العهد أي ممّا أدرك فيه من عيب، أي ما أدرك فيه من درك فليس إصلاحه عليّ.

ويطلق العهد على اليمين، والموثق، والأمان، والحفاظ، والذمة، ورعاية الحرمة، ولا تخرج الأحاديث الواردة فيه عن أحد هذه المعاني، وفي حديث الدعاء: (وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت)^(٣) أي أنا مقيم على ما عاهدتك عليه من الإيمان بك، والإقرار بوحدانيتك لا أزول عنه.

و (البقيّة) من الرجل ما يخلفه في أهله فعيلة من بقي يبقى بقاء بمعنى الباقية فما يبقى من الشيء، أو من آثاره ولوازمه ونحو ذلك فهي بقيّة، قال تعالى: ﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سَكِينَةٌ من ربكم وبقيّة ممّا ترك آل موسى وآل هارون﴾^(٤) وكانت هذه البقيّة ممّا تكسّر من الألواح التي كتب الله لموسى، وعصا موسى وثيابه، وعمامة هارون.

وقوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ الله خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٥) أي ما أبقي الله لكم من الحلال ولم يحرمه عليكم فيه مقنع ورضى فهو خير لكم، أو إنّ المراد من بقيّة الله تعالى أحكامه الباقية بينهم ممّا لم ينسخه.

(١) النهاية ٣: ٣٢٦، لسان العرب ٩: ٤٤٨ / عهد، البحار ٢٨: ٦٥ ح ٢٥.

(٢) يس: ٦٠.

(٣) النهاية ٣: ٣٢٤، لسان العرب ٩: ٤٤٨ / عهد، والبحار ٨٩: ٢٩٦ ح ٧.

(٤) البقرة: ٢٤٨.

(٥) هود: ٨٦.

وبقيّة نبيّنا (صلى الله عليه وآله) بين أُمته شيّتان: أحدهما العترة، والثاني القرآن، وهما الثقلان المشهوران حيث قال: (إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً، أحدهما أكبر من الآخر، وهو كتاب الله فإنّه جبل ممدود من السماء إليكم طرف منه بيد الله والآخر بأيديكم)^(١).

قولها (عليها السّلام): (استخلفها عليكم) أي جعلها خليفة من جانبه ونائباً عنه عليكم وفيكم، يبيّن لكم الأحكام والفرائض والسنن والآداب، ولكن بتفسير العترة وتعبير أهل بيت العصمة.

والمراد من كتاب الله الناطق هنا هو القرآن الصادق، وإن كان قد يطلق كتاب الله الناطق على عليّ (عليه السّلام)، أو على مطلق العترة بجعل القرآن كتاباً صامتاً، وهو هنا وإن كان صحيحاً في نفسه ولكن الظاهر بقريئة الكلمات الآتية هو الصامت، ولا ينافيه الوصف بالناطق فإنّ الصامت أيضاً ناطق بالأحكام، وفيه تبيان كلّ شيء من الحلال والحرام، ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين من علوم الأولين والآخرين، وإن حجب عن فوائده الشريفة الواضحة، ودلائله الساطعة اللامعة من ختم على سمعه وقلبه، وجعل غشاوة على بصره.

وقولها (عليها السّلام): (كتاب الله) مبتدأ مؤخّر، وزعيم فعيل مضافاً إلى الحقّ خبر مقدّم، أي إنّ كتاب الله الناطق وهو القرآن الصادق زعيم حقّ الله فيكم، أي هو كفيل الحقّ بينكم من اتبعه هدى، ومن تخلف عنه غوى.

وقولها (عليها السّلام): (عهد وبقيّة) معطوفان على زعيم أي القرآن أيضاً عهد ووصيّة قدّمه الله إليكم، وهو بقيّة منه تعالى أو من نبيّه (صلى الله عليه وآله) جعلها خليفة عن نفسه أو عن نبيّه عليكم، وهو المعجز الباقي إلى يوم القيامة، المستمرّ باستمرار الشريعة، من تدبّر فيه ميّز بين الحق والباطل وفرّق بينهما بقول

(١) لهذا الحديث مصادر كثيرة من طرق الخاصة والعامة، راجع إحقاق الحق ٤: ٤٣٦، والبحار ٢٣:

فاصل، بل هو آيات بيّنات لا يخفى حالها، ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾^(١).

قال عليّ (عليه السلام) في النهج في وصف النبي (صلى الله عليه وآله): (إلى أن بعثه الله سبحانه لإنجاز عده، وتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتتة - إلى قوله (عليه السلام): - فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة، ثم اختار سبحانه لمحمد (صلى الله عليه وآله) لقاءه، ورضى له ما عنده، فأكرمه عن دار الدنيا، ورغب به عن مقارنة البلوى، فقبضه إليه كريماً، وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح، ولا علم قائم، كتاب ربكم مبيّناً حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصّه وعامّه، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه... الخ)^(٢).

وضبط الفاضل المجلسي (رحمه الله) هذه الفقرة الشريفة هكذا: (زعمتم حق لكم) بصيغة الماضي فيهما، وفسره بقوله: أي زعمتم أن ما ذكر ثابت لكم، وتلك الأسماء صادقة عليكم بالاستحقاق.

ثم قال ما لفظه: ويمكن أن يُقرأ على الماضي المجهول، وفي إيراد لفظ الزعم اشعار بأنهم ليسوا متصفين بها حقيقة، وإنما يدّعون ذلك كذباً، ويمكن أن يكون حقّ لكم جملة أخرى مستأنفة أي زعمتم أنكم كذلك، وكان يحقّ لكم وينبغي أن تكونوا كذلك لكن قصّرتم، وفي بعض النسخ: وزعمتم حقّ لكم فيكم وعهد، وفي كتاب المناقب القديم: (زعمتم أن لا حقّ لي فيكم عهداً قدّمه إليكم)، فيكون عهداً منصوباً بأذكروا أو نحوه، وفي الكشف: (إلى الأمم حولكم لله فيكم عهد)^(٣).

(١) محمد: ٢٤.

(٢) نهج البلاغة الخطبة: ١، عنه البحار ١٨: ٢١٦.

(٣) البحار ٢٩: ٢٥٧ / في شرح ألفاظ الخطبة الفاطمية (عليها السلام).

إنتهى^(١).

فيكون حولكم متعلقاً بالأمم أي الأمم الكائنين حولكم أي بعدكم، فيكون (الله فيكم عهد) جملة مستقلة تامة، وبقية عطفاً على العهد، فحينئذٍ يمكن أن يكون المراد من العهد ما أوصاهم به في أهل بيته وعترته، ومن البقية القرآن، فيكون كتاب الله الناطق ناظراً إلى العهد، والقرآن الصادق ناظراً إلى البقية، على طريق اللف والنشر المرتب.

وفي رواية أحمد بن أبي طاهر: (وبقية استخلفنا عليكم، ومعنا كتاب الله)^(٢)، فيكون المراد بالعهد ما أوصاهم به في العترة، ومن البقية نفس العترة، والصحيح من النسخ والمعاني ما قدمنا إليه الإشارة.

و (القرآن) هو التنزيل العزيز، والكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمّر، نزل به الروح الأمين على قلب سيّد المرسلين، ليكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين.

وهو في الأصل مصدر كغفران، سمى به كلام الملك المنان بعد جعله بمعنى المفعول من قرأت الكتاب قراءة أي تلوته، أو بمعنى الفاعل من قرأت شتات الأمور أي جمعتها وضممتها، لأنّ القرآن يتلى أبداً بين الأمة إلى يوم القيامة في آناء الليل وأطراف النهار، لتحصيل المثوبة والتدبّر والاستبصار، أو لجمعه السور بعضها مع بعض وضمتها كذلك.

أو لجمعه القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد وغير ذلك، أو لجمعه ثمرة جميع العلوم وآثارها، أو لجمعه نفس جميع العلوم وأحوال كلّ شيء مما كان وما يكون، إذ لا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين، وفيه تبيان كلّ شيء وتفصيله.

ويجوز في المعنى الثاني جعله بمعنى المفعول أي المجموع لأنّ الله تعالى

(١) كشف الغمة ٢: ١١٠.

(٢) بلاغات النساء: ١٦.

جمعه، فهو مجموع لله ومجموعة أحكام الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(١).

ويجوز جعل العطف حينئذٍ للتفسير، ويجوز المغايرة بجعل القرآن بمعنى التلاوة، لقوله تعالى في الآية: ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^(٢) قال ابن عباس: أي فإذا يتيه بالقراءة فاعمل بما يتيه لك^(٣)، وقيل: معناه إن علينا جمعه في صدرك، وأثبت قراءته في لسانك، فإذا قرأناه أي إذا قرأه جبرئيل من جانبنا فاتبع قراءته، فجعل قراءة جبرئيل قراءته.

وبالجملة قد يقال: قرأت الشيء - من باب منع - بمعنى جمعته وضمنت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: (ما قرأت هذه الناقة سلى قط، وما قرأت جنينا)^(٤) أي لم تضمّرحمها على ولد.

وقرأت الكتاب قراءة وقرآناً بمعنى جمعته، قال أبو عبيدة: وبه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمّها، وقد يقال: قرأت الكتاب قراءة وقرآناً أي تلوته، قيل: وهو مأخوذ من المعنى الأول لأنّ القارئ يجمع الحروف والكلمات بعضها مع بعض في التلاوة.

وفلان قرأ عليك السلام وأقرأك السلام بمعنى أي أبلغك إياه، وقيل: لو أبلغه السلام بلسانه فيقال: قرأ (عليه السلام) من المجرد، ولو أبلغه بكتابه فيقال: أقرأه السلام.

وفي الأساس: تقول: اقرأ سلامي على فلان، ولا تقول: اقرأه مني السلام^(٥). وفي المجمع: فلان يقرئك السلام قيل: أي يحملك على قراءة السلام، يقال: أقرئ فلاناً السلام وأقرأ عليه السلام، كأنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ

(١) القيامة: ١٧.

(٢) القيامة: ١٨.

(٣) لسان العرب ١١: ٧٨ / قرأ.

(٤) راجع لسان العرب ١١: ٧٨ / قرأ.

(٥) أساس البلاغة للزمخشري: ٣٦٠ / قرأ.

السلام ويردّه، كما إذا قرأ القرآن أو الحديث على الشيخ يقول: أقرأني فلان أي حملني على أن أقرأه عليه، ومنه: (أقرأه النبي (صلى الله عليه وآله) خمس عشر سجدة) أي حمّله أن يجمع في قراءته ذلك، وقيل: أقرأه عليك أي أتلوه عليك، وأقرأه منّي السلام أي بلغه سلامي، ويقرئك السلام أي يبلغك السلام ويتلوه عليك^(١).

وقوله تعالى: ﴿فأقرؤا ما تيسر من القرآن﴾^(٢) قيل: دلّت الآية على وجوب قراءة شيء من القرآن، فيصدق دليل هكذا قراءة شيء من القرآن واجب، ولا شيء من القرآن في غير الصلاة بواجب، فيكون الوجوب في الصلاة وهو المطلوب.

وأورد عليه أنّ الكبرى ممنوعة، وسند المنع أنّ الوجوب إمّا عيني ولا إشعار به في الكلام، أو كفايّي فعدمه في غير الصلاة ممنوع، بل يجب لئلاّ تندرس المعجزة.

وأجيب بأنّ المراد الوجوب العيني، إذ هو الأغلب في التكاليف، وهو المتبادر عند الإطلاق، وقيل: المراد بالقراءة نفس الصلاة تسميةً للشيء ببعض أجزائه، وعنّى به صلاة الليل ثم نسخ بالصلوات الخمس، وقيل: الأمر في غير الصلاة لكنّه على الإستحباب، واختلف في أقلّه، فقيل: أقلّه في اليوم واللييلة خمسون آية، وقيل: مائة، وقيل: مأتان، وقيل: ثلث القرآن، قوله: ﴿وقرآن الفجر﴾^(٣) أي ما يُقرأ في صلاة الفجر، والمراد صلاة الفجر^(٤).

ويقال: أقرأه القرآن فهو مقرئ، ومنه: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾^(٥)، وأصل الإقراء

(١) مجمع البحرين / قرأ.

(٢) المزمل: ٢٠.

(٣) الاسراء: ٧٨.

(٤) راجع مجمع البحرين / قرأ.

(٥) الأعلى: ٦.

الأخذ على القارئ بالاستماع لتقويم الزلل، والقارئ هو التالي أي سنأخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى ذلك، ومعناه سيقراً عليك جبرئيل بأمرنا فتحفظ ولا تنساه.

والنسيان هو ذهاب المعنى عن المدركة والحافظة معاً، فيحتاج إلى تحصيل جديد، والسهو ذهابه عن المدركة دون الحافظة فيتفطن به بالتذكر، والذكر - بضمّ الذال - خلافهما، وهو التذكّر القلبي، بخلاف الذكر - بكسر الذال - للذكر اللساني. وقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١) أكثر المفسرين على أن هذه الآية أوّل ما نزل من القرآن، ويدلّ على ذلك حديث الباقر (عليه السلام) قال: أوّل ما نزل من القرآن: (بسم الله الرحمن الرحيم، اقرأ باسم ربك) وآخره (إذا جاء نصر الله)^(٢)، وقيل: أوّل ما نزل (يا أيّها المدثر)، وقيل: فاتحة الكتاب.

وقيل: ومعنى اقرأ الأوّل أوجد القراءة من غير اعتبار تعديته إلى مقروء به، كما يقال: فلان يعطي أي يوجد الإعطاء من غير اعتبار تعديته إلى المعطي. قال بعض المحققين: وهذا مبني على أن تعلّق (باسم ربك) باقراً الثاني، ودخول الباء للدلالة على التكرير والدوام، كقولك: أخذت الخطام وأخذت بالخطام، والأحسن أن اقرأ الأوّل والثاني كلاهما منزلاً منزلة اللازم أي افعل القراءة وأوجدها، والمفعول محذوف في كليهما أي اقرأ القرآن، والباء - للاستعانة أو الملازمة أي مستعيناً باسم الله ربك، أو متبرّكاً، أو مبتدئ به، هكذا ذكر في المجمع^(٣). وفي الحديث: نزل القرآن أربع أرباع: ربع فينا، وربع في عدوّنا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام^(٤). وزاد العياشي: ولنا كرائم القرآن^(٥).

(١) العلق: ١.

(٢) البحار ٩٢: ٢٩ ح ١ عن عيون الأخبار، وفي الصافي ٣٤٨: ٥.

(٣) مجمع البحرين / قرأ.

(٤) تفسير فرات: ٤٦ ح ١، وتأويل الآيات: ٢١، عنه البحار ٢٤: ٣٠٥ ح ١، والصافي ٢٤: ١.

(٥) تفسير العياشي ٩: ٩ ح ١، عنه البحار ٩٢: ١١٤ ح ١، والصافي ٢٤: ١.

وفي خبر الأصبع عن عليّ (عليه السلام): نزل القرآن أثلاثاً: ثلث فينا وفي عدوّنا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام^(١).

وفي خبر آخر: ثلث فينا وفي أحبّائنا، وثلث في أعدائنا وعدوّ من كان قبلنا، وثلث سنة ومثل، ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثمّ مات أولئك القوم ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء، ولكنّ القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكلّ قوم آية يتلونّها هم منها في خير أو شرّ^(٢).

وللقرآن أسماء كثيرة كالكتاب، والنور، والضياء، والذكر، والإمام وغير ذلك، ومن جعلتها الفرقان سمّي به لأنّه فارق بين الحقّ والباطل، والحلال والحرام، فإنّ كلّ ما فرّق به بين الحقّ والباطل فهو فرقان، ومنه قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾^(٣).

وقيل: سمّي بالقرآن باعتبار كونه جملة واحدة مجموعة، وبالفرقان لكونه في نفسه قطعاً منفرداً بالسور والآيات والأمثال والقصص والحكايات وغير ذلك من صنوف الأمور المنفردات.

وقيل: يطلق عليه القرآن لما مرّ، والفرقان لكونه نازلاً بالنجوم والأقسط، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نُزِّلَ عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾^(٤)، و﴿وقرآنأ فرقناه لتقرأه على الناس على مكث

(١) تفسير العياشي ١: ٩٠ ح ٣، عنه البحار ٩٢: ١١٤ ح ٢، والصافي ١: ٢٤، وفي الكافي ٢: ٦٢٧ ح ٢.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٠ ح ٧، عنه البحار ٩٢: ١١٥ ح ٤، والصافي ١: ٢٤.

(٣) الأنبياء: ٤٨.

أقول: وقال تعالى أيضاً في سورة الأنفال: ٢٩ «يا أيّها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً» تدلّ هذه الآية الكريمة على أنّ المؤمن إذا اتقى الله حقّ تقاته، ألهمه الله تعالى وألقى في قلبه ما يفرّق بين الحقّ والباطل، فيسلك سبل الرشاد ويترك سبل الضلال بالهام من الله تعالى، ولذا ترى أنّ المتقي الصادق يكون دائماً على الصراط المستقيم ولا تغويه الفتن ولا تلتبس عليه الأمور.

(٤) الفرقان: ٣٢.

ونزلناه تنزيلاً^(١).

وورد: أنَّ القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر من عند الله سبحانه إلى البيت المعمور في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هدى للناس وبَيِّنَات من الهدى والفرقان - ولذا سمي بالقرآن - ثم نزل من البيت المعمور إلى النبي (صلى الله عليه وآله) بالنجوم والأقساط في عرض ثلاث وعشرين سنة، أو في عرض عشرين سنة على اختلاف في الأخبار، ولذا سمي بالفرقان. وأول بآته نزل به الروح الأمين إلى قلب الرسول المتين، كما في القرآن المبين وهو البيت المعمور، ثم خرج منه إلى لسانه تدريجاً في عرض مدة البعثة ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، وورد أيضاً أنَّ القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به^(٢).

و (الساطع) من سطع الصبح سطوعاً كمنع أي ارتفع، وكذلك الغبار والرائحة، فالنور الساطع هو اللامع المرتفع، والسطيع الصبح، والأصل من السطع - بالتحريك - بمعنى طول العنق، والساطع أيضاً أول ما ينشق من الصبح مستطيلاً، ومنه حديث ابن عباس: كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعاً^(٣). و (اللامع) من قولهم: لمعت الشيء - من باب منع - لمعاً ولمعاناً أي اختلسته، ويطلق لخفق النور واضطرابه من جهة قوّته حيث أنّه يكاد يخطف بالأبصار، كما يقال: لمع البرق أي أضاء، والتمع مثله.

ومنه الألمعي من الرجال للذكي المتوقّد، ويلمع للسرّاب، والملمّع للخيّل الذي يكون في جسده بقع يخالف سائر لونه، ثم أطلق اللّمة - بضم اللام - إسماءً منه لكلّ بياض أوّلاً، أو بعد ما جعلت اسماً للقطعة من النبت والكلاء يأخذ في اليبس لكونه يبيض بالنسبة إلى ما حولها، ثم تطلق من جهة المشابهة على قطعه

(١) الاسراء: ١٠٦.

(٢) معاني الأخبار: ١٨٩، عنه البحار: ٩٢: ١٥ ح ١٠، وفي تفسير العياشي: ١: ٩ ح ٢ والكافي: ٢: ٤٦١.

(٣) النهاية: ٢: ٣٦٥، لسان العرب: ٦: ٢٥٨ / سطع.

من البدن بقيت يابسة عند الغسل، لعدم وصول الماء إليها تشبيهاً باللمعة من النبت. قولها (عليها السلام): «بَيِّنَةٌ بصائرُه، منكشفة سرائره... الخ».

(البَيِّنَةُ) بمعنى الواضحة من بان يبين إذا ظهر، وأصل بَيِّنَ على فيعل إلا أن البَيِّنَ يائي والسَيِّدَ واويّ، إلا أن يجعل البَيِّنَ من البون فيكون هو أيضاً واوياً. و (البصائر) جمع البصيرة، وقد مرّت الإشارة إلى معاني مادّة اللفظين، والمراد من البصيرة هنا هو سبب البصيرة وهو الحجة، كما قال تعالى: ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾^(١) أي الحجج البَيِّنات والدلالات الواضحات، يعني أن الحجج الموجودة في القرآن في بيان الأصول والفروع ممّا يتعلّق بمسائل المعرفة والعبادة المطلوبتين من خلق الجنّ والانس واضحة غير خفيّة، فلا يشتبهنّ عليكم الأمر في تلك القضية.

وإنّ فذكاً ممّا أفاء الله على رسوله بلا ايجاف خيل ولا ركاب، وأنّه (صلّى الله عليه وآله) أعطاها بحكم آية ذوي القربى، وكذا الأمر في أمر الخلافة لقوله تعالى: ﴿إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى﴾^(٣) وغير ذلك من الأمور التي بيّنت فيها الحجّة، واتضحت بها المحجّة، ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيّ عن بيّنة.

و (السرائر) جمع السريرة وهي النّيّة الخفيّة والملكة الباطنيّة، فعيلة بمعنى مفعولة كما قيل في قوله تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾^(٤) أي تختبر السرائر، وهي ما أسرّ في القلوب من العقائد والنّيّات وغيرها، أو ما خفي من الأعمال. وقال الشيخ أبو علي: السرائر أعمال بني آدم، والفرائض التي أوجبت عليه، وهي سرائر في العبد، تختبر تلك السرائر يوم القيامة حتى يظهر خيرها وشرها.

(١) الأنعام: ١٠٤.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) الشورى: ٢٣.

(٤) الطارق: ٩.

وعن معاذ بن جبل قال: سألت النبي (صلى الله عليه وآله) ما هذه السرائر التي تبلى بها العباد يوم القيامة، قال: سرائركم، أي هي أعمالكم من الصلاة، والزكاة، والصيام، والوضوء، والغسل من الجنابة، وكلّ مفروض، لأنّ الأعمال كلّها سرائر خفيّة، فإن شاء قال: صلّيت ولم يصلّ، وإن شاء قال: توضّأت ولم يتوضّأ، فذلك قوله تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾^(١).

وعن الحسن أنّه سمع رجلاً ينشد قوله:

سيبقى لها في مضر القلب والحشا سرائر ودّ يوم تبلى السرائر
فقال: ما أغفله عمّا في السماء والطارق، أي عن قوله تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾ فما له من قوّة ولا ناصر^(٢)، ﴿يوم ترونها تذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت وتضع كلّ ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى﴾^(٣).

والمراد بسرائر القرآن المطالب الدقيقة، والمقاصد الخفيّة المضمنة فيه ممّا يتعلّق بالأمور الدينيّة، والمعارف اليقينيّة، وسائر الوقائع والحوادث الكونيّة الزمانيّة، والذهريّة والسرمدية.

والحاصل جميع دقائق الأحكام التشريعيّة والتكوينيّة، والمراد بانكشاف سرائره وضوحها عند حملة القرآن وأهله لا مطلقاً، أو المراد أنّها قابلة للكشف يكشفها أهله لمن يشاء ويريد إذا كان قابلاً لها، إذ لا يكشف السّر إلا لأهله، ولا يوضع الشيء إلا في محله.

ويرجع حاصل معنى السرائر إلى تأويلات القرآن وبطونه السبعة، أو السبعين، أو السبعمئة، أو أكثر في مقابل ظواهر القرآن، والمراد من ظواهره هو الظاهر بالمعنى الأعمّ الشامل للنص والظاهر بالمعنى الأخصّ الذي هو الراجح المطلق المسمّى بالمحكم، وقد مرّت الإشارة إلى بعض ما ينفع في هذا المقام

(١) مجمع البيان سورة الطارق، ومجمع البحرين / سرر.

(٢) الطارق: ٩ - ١٠.

(٣) الحج: ٢.

فراجع ما تقدّم.

و (التجليّ) هو الإيضاح أي الوضوح والجلء بنفسه، وقد مرّ معنى المادّة، وليس المراد هنا المطاوعة إذ ظواهر القرآن بأنفسها ظاهرة بلا حاجة إلى أن يظهرها غيرها لعدم الخفاء فيها أولاً، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾^(١)، وقول الشاعر:

ها عليّ بشر كيف بشر رُبُّهُ فيه تجلّى وظهر^(٢)
فإنّ التجليّ في نحو ذلك ليس بمعنى قبول الجلء بحسب ظاهر النظر، وأنما يقال في المطاوعة فيه الإنجلء لا التجليّ، ويجوز اعتبار معنى المطاوعة هنا بأن يقال: إنّ الله جعل ظواهر القرآن من ابتداء الأمر ظاهرة جالية، فصارت متجلية منجلية، أو أنّ العلم بالوضع اللغوي والعرفي صار سبباً لظهور معانيها، حيث قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبين لهم﴾^(٣).

وظاهر معنى الظواهر هو تنزيلاته في مقابل تأويلاته، ومحصل المقصود أنّ ذلك الكتاب لا ريب فيه ولا عيب، ولا إشكال فيه ولا شبهة من حيث ظاهره

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) هذا البيت مطلع القصيدة الغديرية المعروفة للحاج ملا علي الخوئي النجفي (قدّس سرّه) المتوفى عام ١٣٥٠ هـ، واليك بعض أبياتها تيمناً وتبرّكاً:

ها عليّ بشر كيف بشر	ربّه فيه تجلّى وظهر
علّة الكون ولولاه لما	كان للعالم عين وأثر
وله أبعد ما تعقله	من عقول ونفوس وصور
فلك في فلك فيه نجوم	صدف في صدف فيه دُرر
أسد الله إذا صال وصاح	أبو الأيتام إذا جاء وبرّ
حبّه مبدأ خلد ونعيم	بغضه منشأ نار وسفر
كلّ من مات ولم يعرفه	موته موت حمار وبقر
خصمه أبغضه الله ولو	حمد الله وأنسى وشكر
خلّه بشّره الله ولو	شرب الخمر وغنّى وفجر

(٣) إبراهيم: ٤.

وباطنه، (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب).

و (الاغتيال) من الغبطة - بالكسر - بمعنى حسن الحال، أو تمنّي حسن الحال الموجود في الغير بما نال، وهو حسد خاصّ إسماءً من غبطته غبطاً كضربته إذا تمنّيت مثل ما له من حسن الحال من غير أن تريد عنه الزوال.

وفي الحديث: (أقوم في مقام يغبطني فيه الأولون والآخرون)^(١) والمراد منه المقام المحمود المذكور في قوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾^(٢).

والغبطة جائزة فإنّها ليس بحسد محرّم، وهو أن تريد زواله عنه، والمؤمن يغبط ولا يحسد، وللحسد مضارّ باطنية وظاهرية، وورد أنّ الحسد يذيب الإيمان في القلب كما يذوب الملح في الماء، وأنّ الحسد يحبط الحسنة، وأنّ الحسد يذيب الجسد ونحو ذلك، والمؤثر منه في إذابة الإيمان واحباط الحسنة ونحوهما هو ما إذا ظهر واعمل لا ما أسرّ منه بالمرّة.

وعليه حمل قوله (صلّى الله عليه وآله): رفع عن أمتي تسعة: السهو، والخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه، وما اضطرّوا إليه، والطيرة، والحسد، والوسوسة في التفكير في الخلق ما لم ينطق بشقة^(٣)، أي رفع عن أمتي مؤاخذه هذه التسعة، أو آثارها مطلقاً ظاهرة وباطنية.

وفي الحديث: من يزرع خيراً يحصد غبطة - أي فرحاً وسروراً - ومن يزرع شراً يحصد ندامة^(٤).

وفي الحديث القدسي: المتحابّون في حلالي لهم منابر من نور يغبطهم

(١) البحار ٨٦: ١١٦ ح ٢.

(٢) الاسراء: ٧٩.

(٣) الخصال ٤١٧ ح ٩ باب ٩، والتوحيد: ٣٥٣ ح ٢٤، عنهما البحار ٥: ٣٠٣ ح ١٤، ومن لا يحضره الفقيه

١: ٥٩ ح ١٣٢، والكافي ٢: ٤٦٣ ح ٢.

(٤) الكافي ٢: ٤٥٨ ح ١٩، والبحار ٧٨: ٣٧٣ ح ١، وأمال الطوسي: ٤٧٣ ح ١٠٣٢.

النبيون^(١).

قال بعض شراح الحديث: كل ما يتجلى به الرجل من علم وعمل فله عند الله منزلة لا يشاركه غيره، وإن كان له من نوع آخر ما هو أرفع قدراً فيغبطه بأن يكون له مثله مضموماً إلى ماله، فالأنبياء قد استغرقوا فيما هو أعلى من دعوة الخلق وارشادهم، واشتغلوا به عن العكوف على مثل هذه الجزئيات والقيام بحقوقها، فإذا رأوهم يوم القيامة ودّوا لو كانوا ضامنين خصالهم إلى خصالهم^(٢).
وبالجملة يقال: غبطته بما نال أغبطه غبطاً وغبطةً، واغبط هو كقولك منعتة فامتنع وحبسته فاحتبس، قال الشاعر:

وبينما المرء في الأحياء مُغْبِطٌ إِذَا هُوَ الرَّمْسُ تَغْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ
قال في الصحاح: أنشدني أبو سعيد بكسر الباء أي مغبوط، قال: والإسم الغبطة وهو حُسن الحال، ومنه قولهم: (اللَّهُمَّ غِبْطاً لَا هِطاً) أي أسألك الغبطة أي منزلة يغبط عليها، أو دوام الغبطة وحسن الحال، ونعوذ بك من منازل الهبوط والضة، أو أن نهبط عن حالنا^(٣)، فالباء في المغبطة الواقعة في الفقرة الشريفة مكسورة، والباء في (به) للسببية.

و (الأشياء) وهو فاعل قولها (عليها السلام): (مغبطة) بمعنى الاتباع جمع الشائع كالاشهاد في الشاهد، أو هو جمع الشيع جمع الشيعة، فهو جمع جمع لها، والشيعه اسم جنس يقع على القليل والكثير بمعنى الفرقة.

قال تعالى: ﴿لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبَاشًا﴾^(٤) وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره من المشايعة بمعنى المتابعة، ومنه الدعاء: (وشايعت وبايعت وتابعت على قتله)^(٥).

(١) مجمع البحرين / غبط.

(٢) راجع مجمع البحرين / غبط.

(٣) الصحاح ٣: ١١٤٦، ولسان العرب ١٠: ١٣ / غبط.

(٤) مريم: ٦٩.

(٥) من فقرات زيارة عاشوراء.

ويقال: شايعة أي والاه، وأصله من شاع يشيع شيوعاً وشياعاً إذا ظهر، ويتعدى بالحرف وبالألف فيقال: شعت به وأشعته إشاعة، قيل: والشيعَة كل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم بعضاً.

وفي النهاية: أصل الشيعة الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، ولقد غلب هذا الاسم على من يزعم أنه يتوالى علياً وأهل بيته (عليهم السلام) حتى صار لهم اسماً خاصاً، وإذا قيل: فلان من الشيعة عُرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم، إنتهى^(١). وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾^(٢) قيل: أي وإن من شيعة نوح إبراهيم يعني أنه على مناهجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق، وقيل: إن من شيعة محمد (صلى الله عليه وآله) إبراهيم، أو من شيعة علي إبراهيم (عليه السلام)، كما قال تعالى: ﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾^(٣) أراد من ذريتهم من هو أب لهم، فجعلهم ذريتهم وقد سبقوهم.

وروي أن النبي (صلى الله عليه وآله) جلس ليلاً يحدث أصحابه في المسجد فقال: يا قوم إذا ذكرت الأنبياء الأولين فصلوا عليّ ثم صلوا عليهم، وإذا ذكرت أبي إبراهيم فصلوا عليه ثم صلوا عليّ.

قيل: يا رسول الله بما نال إبراهيم ذلك؟ قال: اعلّموا أنّ ليلة عُرِج بي إلى السماء فرقيت السماء الثالثة نصب لي منبر من نور، فجلست على رأس المنبر، وجلس إبراهيم (عليه السلام) تحته بدرجة، وجلس جميع الأنبياء الأولين حول المنبر، فإذا بعليّ قد أقبل وهو راكب ناقة من نور ووجهه كالقمر، وأصحابه حوله كالنجوم، فقال إبراهيم (عليه السلام): يا محمد هذا أيّ نبيّ معظّم، وأيّ ملك مقرب؟

قلت: لا نبيّ معظّم ولا ملك مقرب، هذا أخي، وابن عمّي، وصهري، ووارث

(١) النهاية ٢: ٥١٩، لسان العرب ٧: ٢٥٨ / شيع.

(٢) الصافات: ٨٣.

(٣) يس: ٤١.

علمي عليّ بن أبي طالب، قال: وما هؤلاء الذين حوله كالنجوم؟ قلت: شيعته، فقال إبراهيم (عليه السلام): اللهم اجعلني من شيعة عليّ، فأتى جبرئيل بهذه: ﴿وإنّ من شيعته لابراهيم﴾ (١)(٢).

ويجمع الشيعة على الشيع، قال تعالى: ﴿أويلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ (٣)، ﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين﴾ (٤) أي في فرقهم. وفي المصباح: إنّ الشيعة تجمع على الشيع، ويجمع جمع الجمع على الأشياء (٥).

وقوله تعالى: ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ (٦) أي أشباهكم ونظراؤكم في الكفر، وقوله تعالى: ﴿كما فعل بأشياعهم من قبل﴾ (٧) أي بأمثالهم من الشيع الماضية. ولا يخفى أنّ الأشياء هنا بمعنى الفرق أيضاً، وإنّما المعنى المذكور من جهة الإضافة وجعلهم فرقهم، إذ كون الفرق السابقة فرقهم أي منتسبة إليهم أنّما هو من جهة مشابعتهم لهم.

وأصل جميع المعاني السابقة في هذه المادّة من الشيع، وهو الحطب الصغار التي تشتعل بالنار، وتعين الحطب الكبار على إيقاد النار، فاستعمل منه الشيعة في قوم اجتمعوا على أمر، فالقوم كالحطب الصغار والرئيس بينهم من الحطب الكبار، وأصل الجمع من الشيوع بمعنى الظهور.

وفي الأخبار أنّ الشيعة مأخوذة من الشعاع، ومنه شيعة آل محمّد (صلّى الله عليه وآله)، كما ورد أنّهم سمّوا شيعة لأنّهم خلقوا من فاضل طينتنا، أو

(١) الصفات: ٨٣.

(٢) مجمع البحرين / شيع.

(٣) الأنعام: ٦٥.

(٤) الحجر: ١٠.

(٥) المصباح المنير: ٣٢٩ / شاع.

(٦) القمر: ٥١.

(٧) سبأ: ٥٤.

من شعاع أنوارنا^(١)، فشيعة كل رجل من سنخه، وقد مرّت الإشارة إلى وجه هذا الإشتقاق ونحوه الوارد في الأخبار، وإن لم يكن موافقاً للقواعد اللفظية الظاهرية. والمقصود من الفقرة الشريفة أنّ أتباع القرآن أي حملته الذين يعملون به، ويتبعون أوامره ونواهيه مغبوطون يوم القيامة بما ينالونه من القيوضات الإلهية الغير المتناهية بسبب القرآن أي بسبب العمل به، فتغبطهم الأمم السالفة وتبعة الكتب السماوية الماضية.

و (القائد) اسم فاعل من قاد الرجل الفرس قوداً وقياداً وقيادة - بالكسر - قال الخليل: القود أن يكون الرجل أمام الدابة آخذاً بقيادها^(٢)، والسوق أن يكون خلفها، والحبل الذي يشدّ للزمام أو اللجام يقاد به الحيوان هو القياد والمقود - بكسر القاف في الأوّل وكسر الميم في الثاني - والرجل قائد والفرس مقود فانقاد الفرس أي أذعن وأطاع للقياد طوعاً أو كرهاً.

ومنه الإنقياد للخضوع والخشوع، وفلان سلس القياد أي سهل الانقياد من غير توقّف، وفي الحديث: (لا تمكّن الناس من قيادك فتذلّ رقتك)^(٣) يريد أعزّ نفسك في الصمت وحفظ اللسان، ولا تمكن الناس بسبب بذله من قيادك الذي يُقاد به وهو استعارة، وقاد الأمير الجيش أي ساقها فهو قائد والجمع قادة وقوَاد. ومنه: (قائد الغرّ المحجلين) لعليّ (عليه السّلام)، لأنّه يقودهم إلى الجنّة، والمراد من الغرّ المحجلين شيعة لسطوع النور من وجوههم وأيديهم وأرجلهم أي مواضع وضوئهم يوم القيامة، مشابهين بالأفراس الغرّ المحجلة، وأئمتنا (عليهم السّلام) هم (القادة الهداة، والذادة الحماة، وأهل الذكر، وأولى الأمر)^(٤). وفي الحديث: (المجتهدون - قيل: أي في القرآن - قوَاد أهل الجنّة)^(٥) يعني

(١) البحار ٥٣: ٣٠٢.

(٢) كتاب العين ٥: ١٩٦ / قود.

(٣) الكافي ٢: ١١٣ ح ٤، عنه البحار ٧١: ٢٩٦ ح ٦٨، وفي قرب الإسناد: ٣٠٩ ح ١٢٠٤.

(٤) فقرات من الزيارة الجامعة.

(٥) الكافي ٢: ٦٠٦ ح ١١، ومجمع البحرين / قود.

يقودونهم إليها كأنَّ المعنى يسوقونهم ويجزّونهم إليها.

وفي حديث عليّ (عليه السلام): (قريش قادة ذادة)^(١) أي يقودون الجيوش جمع قائد، ويذودون الأعداء أي يدفعونهم جمع ذائد، واجتمع القوَاد والجند أي الأمراء الذين يقودون الجيش، أو من يقودون الخيل للرؤساء، والجند العسكر. قال في النهاية: وفي حديث السقيفة: (فانطلق أبو بكر وعمر يتفاودان) أي يذهبان مسرعين كأنَّ كلَّ واحد منهما يقود الآخر^(٢).

و (الرضوان) قد مرّت الإشارة إلى معنى تلك المادّة، والمراد به هنا إمّا مقام رضاء الله، أو دار رضوانه مراداً بها الجنة.

و (الاتباع) افتعال من تبعه يتبعه تبعاً - كعلم - إذا فعل مثل فعله، أو مشى خلفه، أو مرّ به فمضى معه، ثم استعمل بمعنى الإطاعة، وتبعه وأتبعه بمعنى، إلّا أنَّ الثاني مشتمل على المباغة دون الأوّل.

وفي الحديث: (اتبعوا القرآن ولا يتبعنكم)^(٣) أي اجعلوه أمامكم ثمّ اتلوه، وأزاد: لا تدعوا تلاوته والعمل به فتكونوا قد جعلتموه وراء ظهوركم، وقيل: معناه لا يطلبنكم لتضييعكم إياه كما يطلب الرجل صاحبه بالتبعية.

أو المراد أنّه اجعلوا آراءكم تابعة للقرآن، ولا تجعلوا القرآن تابعاً لآرائكم بأن تؤوّلوه على طبق أهوائكم النفسانيّة، ويقال: ما زلت اتبع فلاناً حتى اتّبعته أي حتى حصلت ملكة التبعية، واتبع فلاناً من باب الافعال أي لحقه وحقاه. ومنه قوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعْ الشَّيْطَانَ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(٤) أي لحقه، و﴿فَاتَّبَعَهُمْ

(١) النهاية ٤: ١١٩، لسان العرب ١١: ٣٤١، مجمع البحرين / تود.

(٢) النهاية ٤: ١١٩، لسان العرب ١١: ٣٤١ / قود.

(٣) درر اللآلي ١: ٣٣، عنه مستدرک الوسائل ٤: ٢٥٤ ح ٤٦٦٣، النهاية ١: ١٧٩، ولسان العرب ٢: ١٤ /

تبع.

(٤) الأعراف: ١٧٥.

فرعون بجنوده^(١) أي لحقهم، و﴿فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾^(٢) أي لحقه وأصابه واتبعه أيضاً بمعنى تبعه، كقوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَ سِبْياً﴾^(٣) أي تبع سبياً، ومنه الإِتِّبَاعُ في الكلام مثل حسن بسن وقبيح شقيح، وهو سماعي لا ميزان له. وأتبعته زيداً عمرواً أي جعلته تابعاً له فتبعه فهو تابع وتبع، والتبعية أيضاً الذي يتبعك بحق ليطالب به، والتبعة ما يتبع المال من نوائب الحقوق، وهو من تبعته الرجل بحقي.

وفي حديث الدعاء: (تابع بيننا وبينهم بالخيرات، أو على الخيرات)^(٤) أي اجعلنا نتبعهم على ما هم عليه، وفي حديث أبي واقد: (تابعنا الأعمال فلم نجد فيها أبلغ من الزهد)^(٥) أي عرفناها وأحكمناها، يقال للرجل إذا أتقن الشيء وأحكمه: قد تابع عمله.

و (اتِّبَاعُهُ) في الفقرة فاعل القائد أي ان اتَّبَعَ القرآن يقود تابعه إلى الرضوان، ويجوز قراءته على إفعال جمع تابع، ونصبه مفعولاً للقائد، ويكون فاعله ضميراً راجعاً إلى القرآن، لكن الظاهر بل المتعين هو الأول.

و (المؤدِّي) اسم فاعل من قولهم: أدَّى الأمانة إلى أهلها، أو الدين إلى صاحبه ومستحقه يؤدِّي تأدية كتبصرة، وأداءً كسلاماً من سلم، وأداءً ككذاباً من كذب أي ردَّهما.

وقد يستعمل أداء وتأدية اسم مصدر ويقال: أدَّى إليه الخبر أي أنهاه إليه فأدَّى الخبر أي أنهى، والحاصل في الجميع معنى الإيصال، قال تعالى: ﴿وَأَدَّاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾^(٦) أي إيصال.

(١) طه: ٧٨.

(٢) الصافات: ١٠.

(٣) الكهف: ٨٥.

(٤) النهاية ١: ١٨٠، لسان العرب ٢: ١٣ / تبع، البحار ٨١: ٣٥٢ ح ٣٣.

(٥) النهاية ١: ١٨٠ / تبع.

(٦) البقرة: ١٧٨.

و (النَّجاة) بفتح النون هو الخلاص من الهلاك، يقال: نجى عن الهلكة ينجو نجاة ونجاء - بالمد والقصر - أي خلص فهو ناج، وأنجيته ونجّيته إنجاء وتنجية أي خلّصته تخليصاً، وقرئ بهما قوله: ﴿فاليوم ننجيك ببدنك﴾^(١) ومن جهة المناسبة في المعنى قد يستعمل النجوة بمعنى التغوُّط لأنّه نوع من الخلاص، ولذا أيضاً يقال: نجوت بمعنى أسرع كأنّ المسرع ينجو ويخلص ممّن حوله ويفلت منهم. والصدق منجاة أي سبب النجاة كأنّه محلّها، والنجوى الكلام السرّ كأنّه سبب الخلاص من الهلاك الحاصل من القول بالجهار، والنجوة: المرتفعة من الأرض، ومناسبتها مع المعنى الأصلي واضحة.

والمراد من النجاة هنا هو الخلاص عن الهلاك الأخروي والمعنوي، بل وكذلك الدنيوي والظاهري أيضاً من جهة الإستشفاء والتبرّك بالآيات القرآنيّة في دفع الشدائد الدنيويّة والظاهريّة.

و (الإستماع) افتعال من سمع الشيء سماعاً وسمعاً، والافتعال منه يفيد الإعتمال كما قيل به في الكسب والإكتساب في مقام بيان النكتة في قوله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾^(٢) إنّ النفس أميل إلى عمل الشر، وفي الاكتساب اعتمال وميل إلى الإشتغال به، والسماع شامل للاتفاقي والاختياري، وأمّا الإستماع فلا يستعمل إلّا في الاختياري وفي مقام المقابلة يختصّ السماع بالإضطراري، مثلاً إذا اتفق وصول صوت الغناء إلى السمع قهراً أو بغته فهو سماع ولا معصية فيه لأنّه سماع اضطراري، بخلاف الإستماع واصغاء الأذن إليه مختاراً، فإنّه سماع اختياري.

ولمّا كان الإستماع واقعاً اختياراً، ولا يصدر مثله من العاقل إلّا حيث يريد ترتيب الأثر على الشيء المسموع، فاستعمل الإستماع بمعنى الانقياد والاطاعة

(١) يونس: ٩٢.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

أي في الاستماع المتعقب بالاتباع، فيكون المراد هنا أنّ الانقياد للقرآن، والاتباع لأحكامه، والامتثال لأوامره ونواهيه يؤدّي الإنسان إلى النجاة من الضلالة، والخلاص من حيرة الجهالة، والوصول إلى دار الكرامة.

كما قال (صلّى الله عليه وآله): إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، إلى غير ذلك، وروي: (اسماعه) على وزن الافعال، قيل: تلاوته وقراءته، والأولى الأوّل.



قالت (عليها السلام):

«بِهِ تُنَالُ حُجَجُ اللَّهِ الْمُنَوَّرَةُ، وَعَزَائِمُهُ الْمُفَسَّرَةُ، وَمَخَارِمُهُ
الْمَحَذَّرَةُ، وَبَيِّنَاتُهُ الْجَالِيَّةُ، وَبَرَاهِينُهُ الْكَافِيَّةُ، وَفَضَائِلُهُ الْمُنْدُوبَةُ،
وَرُخْصَةُ الْمُوهُوبَةُ، وَشَرَائِعُهُ الْمَكْتُوبَةُ، فَجَعَلَ اللَّهُ الْإِيمَانَ
تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشَّرِّ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الْكِبَرِ،
وَالزَّكَاةَ تَرْكِيبَةً لِلنَّفْسِ وَنَمَاءً فِي الرِّزْقِ، وَالصَّيَامَ تَثْبِيثاً
لِلْإِخْلَاصِ، وَالْحَجَّ تَشْيِيداً لِلدِّينِ، وَالْعَدْلَ تَنْسِيقاً لِلْقُلُوبِ،
وَطَاعَتَنَا نِظَاماً لِلْمِلَّةِ، وَإِمَامَتَنَا أَمَاناً مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهَادَ عِزّاً
لِلْإِسْلَامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِجَابِ الْأَجْرِ».

بيان:

الباء في (به) للسببية والضمير فيه للقرآن، و (تنال) من قولهم: نال فلان خيراً
يناله نيلاً - من باب تعب - أصابه، ومنه نال فلان من مطلوبه المراد، ونال فلان من
امراته ما أراد، ونال فلان من عدوه كذلك أي بلغ منه مقصوده، ويتعدى بالهمزة
إلى اثنين فيقال: أنلته مطلوبه فناله.

و (الحجج) بضم الحاء جمع الحجّة بالضم أيضاً كغرفة وغُرف، والحجّة بمعنى
الدليل والبرهان.

قال أهل الميزان: المعلوم التصوري الموصل إلى مطلوب تصوّري يسمّى
معرفاً، كتصوّر الحيوان الناطق الموصل إلى تصوّر الإنسان، والمعلوم التصديقي
الموصل إلى مطلوب تصديقي يسمّى حجة، كالتصديق بأنّ العالم متغيّر، وكلّ متغيّر
حادث، فالعالم حادث، ووجه تسمية المعروف واضح، وأمّا تسمية الحجّة بذلك
فلأنّها تصير سبباً للغلبة على الخصم، وإنّ الحجّة في اللغة الغلبة، فهذا من قبيل
تسمية السبب باسم المسبب، ويجوز أن تكون الحجّة مشتقة من الحج بمعنى
القصد، إذ بها يقصد الغلبة.

والمحاجة: المخاصمة والمجادلة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي

رَبِّهِ ﴿١﴾ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ...﴾ ﴿٢﴾.

ويقال: حَاجَّه فحجَّه أي طالبه فغلبه بالحجة، ومنه الحديث: (فحجَّ آدم موسى) ﴿٣﴾ أي غلبه بالحجة، وفي المثل: (لَجَّ فحجَّ) ﴿٤﴾ وهو رجل محتاج أي جدل، والاحتاج التخاصم، وفي حديث الدعاء: (اللَّهُمَّ ثَبِّتْ حُجَّتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) ﴿٥﴾ أي إيماني في الدنيا وجوابي عن الملكين في القبر.

والحجَّ - بالفتح - القصد، يقال: حجَّ يحجُّ حجاً - من باب قتل - أي قصد فهو حاجٌّ، ورجل محجوج أي مقصود، هذا أصله في هذا المعنى، ثم قصر استعماله في الشرع على قصد الكعبة لأداء مناسك مخصوصة، كما أنَّ العمرة لغة الزيارة، ثم خُصَّت بزيارة البيت على كَيْفِيَّة معلومة، وكلَّ منهما أعمال مخصوصة مذكورة في الكتب الفقهية.

ومنه يقال: ما حجَّ ولكن دجَّ، فالحجَّ قصد البيت للنسك والدجَّ القصد للتجارة، والإسم الحجَّ - بالكسر - قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ ﴿٦﴾ دون المصدر فإنه بالفتح، قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ ﴿٧﴾ أي زمان الحجَّ أشهر معلومات معروفات للناس أي لم يتغيَّر زمانه في الشرع، وهو ردٌّ على أهل الجاهلية في قولهم بالنسيء المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ ﴿٨﴾ وتفصيل النسيء مذكور في كتب التفسير.

(١) البقرة: ٢٥٨.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) تفسير القمي ١: ٤٤، عنه البحار ٥: ٨٩ ح ٨، وفي تفسير العياشي ٢: ١٠ ح ١٠، والنهاية ١: ٣٤١ /

حجج.

(٤) راجع لسان العرب ٣: ٥٣ / حجج.

(٥) النهاية ١: ٣٤١، لسان العرب ٣: ٥٥ / حجج.

(٦) آل عمران: ٩٧.

(٧) البقرة: ١٩٧.

(٨) التوبة: ٣٧.

وهذه الأشهر المعلومة هي شَوَّال، وذو القعدة، وذو الحجة بالتمام، أو تسعة من ذي الحجة أو عشرة على الخلاف المذكور في مظانّه، ويوم الحجّ الأكبر قيل في طبق بعض الروايات أنّه يوم النحر مطلقاً، وقيل: جميع أيّام الحجّ كذلك. وقيل: سمّي حجّ مخصوص وقع في أيّام النبي (صلى الله عليه وآله) بالحجّ الأكبر، لأنّها كانت سنة حجّ فيها المسلمون والمشركون، ولم يحجّ المشركون بعد تلك السنة، ومُنِعُوا عن ذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(١).

وقيل: أنّه اتفق فيه ثلاثة أعياد: عيد المسلمين، وعيد النصارى، وعيد اليهود، وروي أنّه لم يتفق ذلك قبل ذلك، ولا يتفق بعد ذلك إلى يوم القيامة، ويقال بين العامة: إنّ الحجّ الأكبر هو ما اتفق يوم عرفة جمعة، أو يوم العيد جمعة. وفي النهاية: إنّهم كانوا يسمّون الحجّ الأكبر، والعمرة الحجّ الأصغر، والحجة - بالكسر - المرّة من الحجّ على غير قياس، والجمع حجج مثل سدره وسدر والقياس الفتح، قال تغلب: ولم يسمع من العرب، وبها سمّي شهر ذي الحجة - بالكسر - وبعضهم يفتح في الشهر لا في غيره.

قال في المصباح: وجمع الحاجّ حجّاج وحجيج^(٢)، وفي الصحاح: أنّه يجمع على حُجّ مثل بازلٍ وبُزْلٍ^(٣).

وفي النهاية: وربما اطلق الحاجّ على الجماعة مجازاً واتساعاً، ومنه الحديث: (لم يترك حاجة ولا داجة) الحاجّ والحاجة واحد الحجّاج، والداج والداجة الأتباع والأعوان، يريد الجماعة الحاجة ومن معهم من أتباعهم وأعوانهم، إنتهى^(٤).

(١) التوبة: ٣.

(٢) المصباح المنير: ١٢١ / حجّ.

(٣) الصحاح ١: ٣٠٣، لسان العرب ٣: ٥٢ / حجج.

(٤) النهاية ١: ٣٤١، لسان العرب ٣: ٥٣ / حجج.

وقد يبدل الجيم الثاني في الحاج ياءً فيقال: حاجي، لأن المضاعف يلحقه الإبدال والحذف كالمعتل تشبيهاً لثقل التضعيف بالتعليل، وهو المستعمل كثيراً في هذه الأزمنة المتأخرة.

وأحجبت الرجل - بالألف - بعثته ليحج، والحجّة - بالكسر - السنة أيضاً، والجمع حجج كسدره وسدر، ولعلّ الوجه في أصل التسمية وقوع الحجّ في كلّ سنة مرة كأن كلّ حجّة سنة، ثم أطلق على السنة بلا لحاظ وقوع الحجة. قال في السبعة المعلقة.

دَمْنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنْيَسِهَا حَجَجُ خَلَوْنَ حَلَالِهَا وَحَرَامِهَا
بَلْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ نَوَارٍ وَقَدْ نَأَتْ وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا وَزَمَامِهَا
وقال الراجز ولعلّه روية بن العجاج:

مَنَازِلُ يَقْمَنُ مِنْ تَأَجَّجَا مِنْ آلِ لَيْلَى قَدْ عَفَوْنَ حَجَجَا
وبالجملة فالمراد من حجج الله تعالى في الفقرة الشريفة هي البراهين القاطعة، والأدلة الساطعة القائمة على أصول المعرفة والعبادة أي الأحكام الشرعية العلمية والعملية، والمراد من كون تلك الحجج منورة كونها واضحة مبينة عند أرباب اليقين، لأنّه الكتاب المبين الذي لا ريب فيه هدى للمتقين، وهذه الفقرة ناظرة إلى إثبات أصول الدين.

و (العزائم) جمع العزيمة فعيلة بمعنى مفعولة، من عزمتم على كذا عزماء وعزيمة إذا أردت فعله وقطعت عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْماً﴾^(١) أي صريمة أمر أي رأياً معزوماً عليه.

وفي الخبر: (خير الأمور عوازمها)^(٢) أي فرائضها التي عزم الله عليك بفعلها جمع عازم، قيل: والعوازم هي الأمور التي جرت به السنة من الفرائض والسنن أي ثبتت في الكتاب والسنة، والمعنى ذوات عزمها التي فيها عزم، وقيل: هي ما

(١) طه: ١١٥.

(٢) النهاية ٣: ٢٣١، لسان العرب ٩: ١٩٣ / عزم، البحار ٢١: ٢١٦ ح ٢.

وَكَدَّت - من التوكيد - رأيك عليه وعزمك إلى فعله، ووفيت بعهد الله فيه.
وفي الحديث: (الزكاة عزمة من عزمات الله)^(١) أي حق من حقوقه، وواجب من واجباته، وقالوا: لا خير في عزم بغير حزم، فإنَّ القوَّة إذا لم يكن معها حَذَرٌ أُرِطَتْ صاحبها، وفي الخبر: (إنَّ الله يحبُّ أن تُؤْتَى رُخْصُهُ كما يُحِبُّ أن تُؤْتَى عزائمُهُ)^(٢).

والعزيمة: سورة السجدة الواجبة أيضاً، وهي جُعِلَتْ أَوَّلَ اسْمٍ لِنَفْسِ السَّجْدَةِ الواجبة بآيتها، ثم أُطْلِقَتْ عَلَى الْآيَةِ تَسْمِيَةً لِلْسَّبَبِ بِاسْمِ الْمُسَبَّبِ، ثم بعد جعلها فيها حقيقة عرفية أُطْلِقَتْ عَلَى نَفْسِ السُّورَةِ تَسْمِيَةً لِلْكَلِّ بِاسْمِ الْجُزْءِ، وسور العزائم مشهورة، وفي الحديث: (ليست سجدة صادٍ من عزائم السجود)^(٣).

قيل: والعزم والعزمة ما عقد عليه قلبك أنك فاعله، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرِّسْلِ﴾^(٤)، قيل: العزم هنا بمعنى الصبر والقوَّة، و(عرفت الله بفسخ العزائم)^(٥) جمع العزيمة بمعنى العزمة وهي العقد القلبي، وفي الحديث: (شهادة أن لا إله إلا الله عزيمة الإيمان)^(٦) أي عقيدته المطلوبة.

والمراد من العزائم في الفقرة الواجبات المفروضة، لأنَّ كُلَّ واجب فريضة معزوم عليها، ويطلق عليها العوازم والعزمات أيضاً، ويتفرَّع على العزم بالمعنى السابق قولهم: عزمت عليك بمعنى أقسمت عليك، ومنه العزائم للرقى، وفي الدعاء: (عزمت عليك بعزيمة الله، وعزيمة محمد، وعزيمة سليمان بن داود، وعزيمة أمير المؤمنين)^(٧) وعزائم المغفرة: محتماتها أي ما يجعلها الله حتماً.

(١) النهاية ٣: ٢٣٢، لسان العرب ٩: ١٩٣ / عزم.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الأحقاف: ٣٥.

(٥) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٢٥٠، عنه البحار ٥: ١٩٧ ح ١٠.

(٦) نهج البلاغة الخطبة: ٢.

(٧) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٢٢٢، والخرائج ٢: ٦٠٧ ح ٢، عنهما البحار ٤٧: ٩٥ ح ١٠٨ وكشف

و (التفسير) والفسر البيان، يقال: فَسَّرْتُ الشيء - من باب ضرب - وفَسَّرْتُ من باب التفعيل أي بَيَّنَّته.

وأصل الفَسْرَ نظر الطبيب إلى الماء في القارورة وكذلك التفسير، وقيل: أصل التفسير من السفر من أسفرت المرأة وجهها إذا كشفت، وأسفر الصبح إذا ظهر، فقدّم الفاء إلى موضع الفاء، أو آخر السين إلى موضع العين بالقلب المكاني المعروف في علم الصرف والاشتقاق، وإنّ أصل التفسير هو كشف المراد عن اللفظ المشكل، ولهذا لا يقال على بيان المعاني الواضحة أنّه تفسير، ولا على ذكر المعاني المعروفة من حيث العرف واللغة أنّه تفسير بالرأي ليكون حراماً بالنسبة إلى القرآن.

والتفسير أعمّ من التنزيل والتأويل عموماً مطلقاً، وقد مرّ البيان في بيان فرقهما فراجع، وعلم التفسير علم يُبحث فيه عن كلام الله المنزل للإعجاز من حيث الدلالة على مراده تعالى، وبالجمله فالمفسّرة هنا - بفتح السين - صفة للعرائم بمعنى المبيّنة أي الواجبات المبيّنة في القرآن.

و (المحارم) جمع المحرم بمعنى ما لا يحلّ انتهاكه - بفتح الميم والراء، وبضمّ الراء أيضاً مع الناء - سواء كان ذلك بنسب أو رضاع أو غير ذلك بمعنى الحرام مطلقاً، وأصله من الحرمة بمعنى المنع، ومنه الحرم لحرم مكّة والمدينة.

والحریم للفصل بين السائس والمسوس في الجلوس ونحوه، وحرمت الصلاة على الحائض أي امتنعت في حقّها، وحرم الشيء حراماً - بالفتح والكسر - امتنع، واحرمه احراماً وحرّمه تحريماً منعه إيّاه، وأحرم الرجل إذا دخل في حرمة لا تهتك.

وحرّمات الله محارمه التي قرّرها، وحریم الرجل أهل بيته، وحریم البيوت والقنوت وغير ذلك ما يختصّ بكلّ منها من المسافة، وجميع ذلك مأخوذ من الحرم بمعنى المنع، والمراد من محارم القرآن المحرّمات التي حرّمها الله تعالى

ويَبْتَنِّها فيه.

و (المخدّرة) من الخدر، يقال: خدرت الشيء خدراً - من باب علم - أي تحرّزته وخفت منه، وخدّرت زيدا العفرنة أي حرّزته إيّاها، فأنا مخدّر - بالكسر - وزيد مخدّر - بالفتح - وهي مخدّرة، وإذا خاف زيد من عند نفسه أي بلا مخدّر فيقال له: خادر، وحاصل معنى التخدير راجع إلى التخويف، والمخدّرة صفة للمحارم أي المحارم التي حذر الله الناس إيّاها أي منها.

و (البيّنات) جمع البيّنة بمعنى الواضحة صفة مشبّهة، وقد مرّت الإشارة إلى معنى المادة، والمراد من البيّنات الآيات اللاتحات، والدلائل الواضحات. و (الجلالية) من الجلاء من جلا الأمر أي ظهر وانكشف، صفة توضيحيّة للبيّنات إشارة إلى التأكيد في وضوحها.

و (البراهين) جمع البرهان وهو الحجة، يقال: برهن عليه أي أقام الحجة عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْ رَأَىٰ بَرهانَ رَبِّهِ﴾^(١) أي حجته وبيانه، وسمى الحجة برهاناً لبيانها ووضوحها، وعن ابن الأعرابي: البرهان الحجّة من البرهونة، وهي البيضاء من الجوّاري، كما اشتق السلطان من السليطة على وجه، وهو الزيت لانارته^(٢). و (الكافية) من قولهم: كفاه مؤنته كفاية أي وقاه كلفتها، فيتعدّى إلى مفعولين، وكفاه أي أغناه فيتعدّى إلى مفعول واحد، ﴿وكفى بالله كيلاً﴾^(٣) أي اكتفى به بمعنى استغنى به أو قنع به فيكون لازماً، والباء غير زائدة، وقد تجعل الباء زائدة فيكون كفى بالله بمعنى كفى الله.

وهذا رجل كافيك من فلان أي مغنيك عنه، والشيء الكافي ما حصل به الاستغناء عن غيره، و ﴿أليس الله بكاف عبده﴾^(٤) أي بمغن عبده، ومثله: ﴿وكفى الله

(١) يوسف: ٢٤.

(٢) راجع مجمع البحرين / برهن.

(٣) النساء: ٨١.

(٤) الزمر: ٣٦.

المؤمنين القتال ﴿١﴾ أي أغناهم.

قولها (عليها السلام): (وبيّناته الجالية) ناظرة إلى العزائم، و (براهينه الكافية) إلى المحارم، أو كلاهما لكليهما.

و (الفضائل) جمع الفضيلة فعيلة بمعنى فاعلة من قولهم: فضل الشيء فضلاً - من باب علم وقتل - أي زاد، وخذ الفضل أي الزيادة.

والفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة بمعنى الدرجة الرفيعة، ﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ ﴿٢﴾ أي كل ذي عمل زائد زيادته أي يعطيه جزاء عمله، أو من كان ذا فضل في دينه فضّله الله في الدنيا بالمنزلة وفي الآخرة بالثواب، ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ ﴿٣﴾ أي التفضل، ﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾ ﴿٤﴾ أي خلفاً أفضل ممّا أنفقتم في الدنيا.

والفضل بمعنى الإحسان والإفضال المتعدّي إلى الغير، ويقال فيه: الفاضلة كالفضيلة في الوصف الحسن اللازم الغير المتعدّي، فتطلق الفواضل على الأوصاف المتعدّية كالسخاوة والشجاعة، والفضائل على الأوصاف اللازمة كالعلم والحسن، والحق أن يقال: إنّ الفضائل ملكات هذه الأوصاف، والفواضل آثارها بلا فرق بين السخاوة ونحوها والعلم ونحوه.

ورجل مفضال أي سمح، وامرأة مفضالة على قومها - إذا كانت ذات فضل - سمحة، وأفضل عليه وتفضّل بمعنى، والمتفضّل أيضاً الذي يدّعي الفضل على أقرانه، ومنه قوله تعالى: ﴿يريد أن يتفضّل عليكم﴾ ﴿٥﴾ وفضّلته على غيره تفضيلاً إذا حكمت له بذلك أو صيّرتَه كذلك، وفاضلته ففضّلته إذا غلبته بالفضل، والفضلة - بالفتح والضم - ما فضل من الشيء، وبالضم الشيء الزائد أيضاً.

(١) الأحزاب: ٢٥.

(٢) هود: ٣.

(٣) البقرة: ٢٣٧.

(٤) البقرة: ٢٦٨.

(٥) المؤمنون: ٢٤.

ثم إنَّ المراد من الفضائل في الفقرة الشريفة هي المندوبات بالمعنى الأخصّ، وهي الأمور الراجعة شرعاً التي يجوز تركها مرجوحاً، وقد ندب الله الخلق إليها أي دعاهم دعوة غير ملزمة، وأصل الندب الدعوة مطلقاً، والمراد هنا هو الندب الغير الملزم لا الندب المطلق الشامل للندب الوجوبي أيضاً.

و (الرخص) جمع الرخصة - بضمّ الراء - وقد تضمّ الخاء أيضاً للتابع، وهي التسهيل في الأمر ورفع التشديد فيه، يقال: رخص لنا الشارع في كذا ترخيصاً وأرخص إرخاصاً إذا يسّره وسهّله، والرخص مثل قفل إسم منه والواحد رخصة. ورخص الشيء فهو رخيص والرخص - بالفتح - الناعم، يقال: هو رخص الجسد أي يبيّن الرخوصة، وكلّ هذه المعاني راجعة إلى معنى واحد، والمراد من الرخص هنا هو المباحات، ووصفها بالموهوبة إشارة إلى أنّها ممّا أعطاه الله لعباده من باب العطية لئلا يكون لهم حرج في فعلها وتركها، فيكونوا في سعة من الأمر.

و (الهبة) قيل: هي العطية مطلقاً، والظاهر كما صرّحوا به أيضاً ها هنا العطية بلا عوض، يقال: وهب لزيد مالاً هبةً أي أعطاه إياه بلا عوض، قيل: يتعدّى إلى الأولى باللام وإلى الثاني بنفسه، وفي التنزيل: ﴿يَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ أَنَا أَنَا يَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ الذِّكْرُ﴾^(١) ولا يتعدّى إلى الأولى بنفسه على ما ذكره جماعة من أهل اللغة، فلا يقال: وهبتك مالاً، والفقهاء يقولونه، وقد يوجّه ذلك بتضمن معنى الإعطاء لكن لم يسمع في كلام فصيح.

والظاهر أنّ اللام فيه ليست للتعدية بل زائدة للتأكيد، كما تزداد في المفعول الأوّل من أعطى أيضاً، فيقال: أعطى لزيد مالاً، كما تزداد (من) أيضاً فيقال: أعطى من زيد مالاً، وكذلك المفعول الأوّل من بعث، فيقال: بعث لزيد ومن زيد مالاً، وفي الهبة أيضاً الوجهان، وكذا في النكاح والتزويج.

فيجوز (من واللام) في الجميع من ذلك بالنسبة إلى المفعول الأول الذي هو الأخذ الفاعل في المعنى، فلزيادة (اللام ومن) فيه إيهام بل إشارة إلى نكتة الأخذية بأن حصول هذا الفعل لأجله ومختص به، وهو الباعث والمنشأ، فالإعطاء لزيد أي الأثر الحاصل منه له وهو منشأه، وكذلك الكلام في البيع والنكاح ومطلق باب أعطيت الذي هو ما كان متعدياً إلى مفعولين أولهما أخذ والثاني مأخوذ، قاعدة مطردة مصرّح بها في كتب الصرف واللغة.

وليست الحرفان في المواد المذكورة للتعديّة وإن توهمها جماعة، كالباء في مادة التزويج لقوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾^(١) والحال أنّها لتضمن زوّجناهم معنى قرّناهم، وقد اشتبه جمع كثير وجم غفير من الخلف والسلف في هذا الأمر الخطير، فتأمل.

والإسم من الفعل السابق الموهب والموهبة، فهو واهب والشئ موهوب، وزيد موهوب أيضاً وموهوب له ومنه ومتهب، وقيل: الهبة هي العطية الخالية عن الأعواض والأغراض.

وبالجملة فالهبة في مقابل العوض بصيغة الهبة باطلة، وإطلاق الهبة المعوضة بهذا المعنى غلط البتة، بل لا بد حينئذٍ من صيغة البيع أو الصلح، وأمّا الهبة بشرط العوض فلا ضير فيها لخروج الشرط عن متن الهبة، وإذا كثرت الهبة والعطية بلا عوض مطلقاً من أحد سمّي بالوهّاب، ولذا صار الوهّاب من أسماء الله تعالى، كما أنّ الواهب أيضاً من أسمائه تعالى لأنّه الواهب الحقيقي.

و (الشرائع) جمع الشريعة، وهي في الأصل مشرعة الماء مطلقاً، أو إذا كان جارياً كالأنهار، والمشرعة - بفتح الميم والراء - هي مورد الشاربة كالشرعة - بالكسر - وسمّي ما شرّع الله لعباده من الدين شريعة تشبيهاً بمورد الماء، لأنّ أهل الدين يردونه ويأخذون منه مياه الأحكام الشرعيّة التي منها حياة الأرواح الطيبة.

وفي المصباح: الشريعة - بالكسر - الدين، والشرع والشرية مثله مأخوذ من الشريعة، وهي مورد الناس للإستسقاء، سميت بذلك لوضوحها وظهورها، والجمع شرائع، وشرع الله لنا كذا يشرعه: أظهره وأوضحه، إنتهى^(١).

والظاهر أنه بمعنى قرّر لنا كذا، كما يقال: شرع فلان تشريعاً أي قرّر شريعة سواء كان بحق أو باطل، ويطلق الشارع - من شرع بالمعنى المذكور - على الله تعالى وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله) وعلى الأئمة (عليهم السلام)، وعند الإطلاق ينصرف إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، وعلى الأول بمعنى موجد الشرع، وعلى الثاني بمعنى مبدئ ظهوره، وعلى الثالث بمعنى مبدئ تفاصيله.

والشرعة تستعمل بمعنى المنهاج مطلقاً كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمَنْهَاجاً﴾^(٢)، والشارع الطريق الأعظم بملاحظة وضوحه أو ورود الناس عليه، فاعل بمعنى مفعول مثل طريق قاصد أي مقصود.

والظاهر أن الشريعة بمعنى المورد من شرعه أظهره وهو ظاهر، أو من شرعت الإهاب سلخته، فإن المورد يداس بالأرجل فيصير ظاهره أبيض كأنه شيء سلخ منه جلده، كما يطلق الملحوب على الطريق المديس، كما قال في العلوية:

ألا إن نجد المجد أبيض ملحوب ولكنّه جمّ المهالك مرهوب^(٣)
أو من شرعت الدواب في الماء أي دخلت، أو من شرعت الباب وأشرعته بمعنى فتحته، وقيل: الشريعة بالمعنى الاصطلاحي مأخوذ من قولهم: مررت برجل شرّعك من رجل أي حسبك، أو من شرعته بمعنى طلبته، أو من الشرع بمعنى السواء، يقال: الناس في هذا الأمر شرع سواء أي مستوون، قال الطغرائي:

مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع فالشمس راد الضحى كالشمس في الطفل
ويستوي في الشرع في هذا المعنى الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث

(١) المصباح المنير: ٣١٠ / الشريعة.

(٢) المائدة: ٤٨.

(٣) الروضة المختارة: ٨٤، القصيدة الأولى.

لكونه مصدراً في الأصل، وسواء في قولهم: (شرع سواء) قيل: كأنه من باب عطف البيان، لأنّ الشرع في مثل المثال بمعنى سواء، أو هو تأكيد من غير اللفظ، ولا يخفى وجه المناسبة بين الشريعة الإصطلاحية وجميع المعاني اللغوية المسطورة لهذه المادة.

ثم إنّ الشريعة قد تطلق على مجموع الدين المقرّر، وقد تطلق على كلّ واحد واحد من الأحكام أو من دلائل الأحكام، والثاني أكثر وأظهر، فيكون الدليل بمنزلة المشرعة، والحكم المأخوذ منه بمنزلة الماء، فيجمع الشريعة بالنسبة إلى الملة الواحدة بهذا الاعتبار كما جمعت في الفقرة الشريفة.

و (المكتوبة) كناية عن المقرّرة، وأصل الكتابة بمعنى الخطّ وهو واضح، ومعنى هذه المادة في اللغة هو الجمع المطلق، أو جمع قطع الأديم بالسيور والخيوط، قال الشاعر:

لَا تَأْمَنَنَّ فِزَارِيًّا خَلَوَتْ بِهِ عَلَى قُلُوصِكَ^(١) وَاكْتَبَهَا بِأَسْيَارِ^(٢)
سَمِيَ الْكِتَابَةُ بِذَلِكَ لِمَا فِيهَا مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحُرُوفِ وَالْكَلِمَاتِ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ.
ثمّ قد تطلق الكتابة على الفرض ونحوه، كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾
أَيُ فُرِضَ ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(٣)، ويُطلق على مطلق التقرير والجعل،
فيشمل تشريع الأحكام الخمسة التكليفية والخمسة الوضعية، أو مطلق الأحكام
الوضعية بناء على تعميمها - على ما قرّر في الأصول - مع إخراج الصحة
والفساد عن الخمسة المعروفة بالوضعية في الكتب الأصولية القديمة، بناء على
أنهما من الأحكام العقلية لا الشرعية الوضعية.

والمراد من الشرائع المكتوبة هنا المكروهات، فيكون كلّ من الفقرات
المذكورة عبارة عن نوع واحد من الأحكام الشرعية التكليفية: الوجوب،

(١) القلوص: الفتيّة من الابل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء / لسان العرب.

(٢) راجع لسان العرب ١٢: ٢٤ / كتب، وفيه: (على بعيرك) بدل على قلوصك.

(٣) البقرة: ١٨٣.

والحرمة، والندب، والإباحة، والكراهة مع الإشارة إلى أدلة الأولين في البين. ويجوز أن يراد من الرخص هنا ما يشمل المكروهات أيضاً، وتكون الشرائع المكتوبة عبارة عن جميع الأحكام الشرعية المشار إليها في الفقرات السابقة، أو يراد من الشرائع ما سوى المذكورات من الأحكام كالحدود والديات أو الأعم. وفي رواية ابن أبي طاهر: (وبَيِّنَاتِهِ الجالية، وجمله الكافية)^(١) فالمراد بالبيّنات المحكمات، وبالجمل المتشابهات، ووصفها بالكافية لدفع توهم نقص فيها لجمالها فإنها كافية فيما أريد منها، ويكفي معرفة الراسخين في العلم بالمقصود منها، فإنهم المفسرون لغيرهم.

ويحتمل أن يكون المراد بالجمل العمومات التي يستنبط منها الأحكام الكثيرة، وأحكام الجملتين بين الواجبات والمحرمات وبين باقي الأحكام لايهام أن المقصود الأصلي من الأحكام هو القسمان السابقان بخلاف غيرهما لعدم كونه بتلك المثابة.

قولها (عليها السلام): «فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك». قد مرّت الإشارة إلى معنى الإيمان لغة واصطلاحاً، والإيمان ينصرف بالاطلاق الشائع على القول باصول الدين الخمسة وما يتعلّق بها من لوازمها وفي دعائها، وقد يُطلق على العمل بالفروع أيضاً، ولذا يقال لمن لا أمانة له أنّه لا دين له ونحو ذلك.

وتحقيق الكلام في المرام على نحو الإجمال الحقيقي بالمقام: أن الإيمان له مراتب لا تحصى، كما يظهر من الأخبار والآثار لمن جاس خلال تلك الديار، فمن قال باصول المعرفة وتوابعها وتفصيلاتها على النحو المقرّر المعترف في الشريعة، وقال بصحّة كلّ ما قرّره الله تعالى من الأحكام الشرعية، وعمل بالواجبات وترك المحرمات، وعمل بالمندوبات والمكروهات فعلاً وتركاً

بالكلية، وقال بالمباحات وعمل بها على وجه الإباحة، فقد أحرز الإيمان الكامل الذي لا نقص فيه بالمرّة ولو مثقال ذرّة، ولا يوجد هذا الإيمان الكامل على ما هو عليه إلا للنبي والأئمة صلوات الله عليهم.

فمن ترك جميع ذلك بالكلية عمداً أو جهلاً فهو الكفر الكامل في الغاية، ولا يوجد إلا في رؤساء أعداء الدين من أرباب الجهالة الكاملة، فإذا ترك أصول الدين ولا ينفع بعدها الفروع وإن عمل بها فهو الكفر الموجب للنجاسة، ومن قال باصول الدين وترك الفروع ككّية فهو مؤمن في الأصول وكافر في الفروع.

فإن عمل ببعض الفروع دون بعض فمؤمن بالنسبة إلى بعضها وكافر بالنسبة إلى بعض، ففعل الصلاة مرتبة من مراتب الإيمان، وتركها مرتبة من مراتب الكفر، وهكذا كلّ واحد واحد من الواجبات فعلاً وتركاً، وكلّ واحد واحد من المحرّمات تركاً وفعلاً، كما ورد (إنّ تارك الصلاة كافر)^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، والمراد ممّن كفر هو من ترك الحجّ.

وفي الحديث: (لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)^(٣) إلى غير ذلك، ولذا استشكلوا في عرق الجنب بالحرام أنّه نجس أم لا، وأصل الكلام أنّما هو في عرقه الحاصل حين الجنابة لا مطلقاً، وإن اشتبّه الجماعة في تعيين موضوع المسألة.

وكذلك لفعل المندوبات والمكروهات وتركها مدخلة في الإيمان والكفر، فيحصل بلحاظ الهيئة التركيبية الحاصلة بحصول كلّ طاعة مع ما سواها مرتبة من مراتب الإيمان، وبتركها مرتبة من مراتب الكفر، بل من المجموع من حيث المجموع، وإنّما خصّ بعض التروك أو بعض الأفعال باطلاق الكفر من جهة

(١) الكافي ٢: ٢٧٨ ح ٨، والوسائل ٣: ٢٩ ح ٤.

(٢) آل عمران: ٩٧.

(٣) نحوه البحار ٦٩: ١٩٢ ح ٨.

المبالغة والإهتمام في شأن ذلك البعض.

وقد ورد عن الصادق (عليه السلام): (إنَّ الإيمان عمل كلّه) ^(١) وإنَّ قول لا إله إلاَّ الله أيضاً من العمل إذ هو أيضاً عمل لساني، بل قيل: إنَّ الاعتقادات أيضاً عمل أي أنَّها عمل قلبي، وورد أيضاً: إنَّ للإيمان مراتب كثيرة، فلا يكلف أهل المرتبة السافلة إلى العروج إلى المرتبة العالية، إذ لا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها ^(٢).

وذلك كلّه بحسب تفاوت الاستعداد والقابليّة في القول، والفعل، والعلم، والعمل، والمعرفة، والعبادة، وتحصيل تفاصيل المعرفة، وجعل العبادة خالصة من شوب الرياء والسمعة ونحو ذلك، مشتملة على الخضوع والخشوع والإستكانة وغير ذلك.

فحصل ممّا ذكر أنَّ للإيمان مراتب ودرجات، ومنازل ومقامات، أعلاها الإيمان الصرف وأدناها الكفر المحض، وبينهما متوسطات مركبات على اختلاف في درجاتها، فأكثر الناس مؤمنون وهم كافرون أي في الجملة، أو كافرون وهم مؤمنون كذلك، كما قال تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ ^(٣).

غاية الأمر أنَّ الكفر الحاصل بترك جميع الأصول الخمسة أو بعضها أو ما يرجع إليها، موجب شرعاً للحكم بالنجاسة في هذه النشأة الظاهريّة أيضاً بخلاف باقي مراتب الكفر، وإن كان كلّ نوع من الكفر موجباً في عالم الباطن للخبائث والقذارة بقدره البتة.

وكلّ نوع من مراتب الإيمان موجباً للطهارة والنظافة الباطنيّة غير الظاهريّة، ولذا جعل الإيمان في الفقرة الشريفة تطهيراً للشرك أي سبباً لتطهيره أو مطهراً له، أو أنَّ الحمل للمبالغة.

وأصل التطهير بمعنى التنظيف والتنزيه من العيوب والأدناس والأقذار

(١) الكافي ٢: ٣٩، ح ٧، عنه البحار ٦٩: ٢٣ ح ٦.

(٢) راجع الكافي ٢: ٤٢، باب درجات الإيمان، تجد عدة روايات بهذا المضمون.

(٣) يوسف: ١٠٦.

والأرجاس، فالإيمان يطهر الإنسان من الأدناس الظاهرية والباطنية، والأرجاس العقلانية والنفسانية والجسمانية، ويقال: رجل طاهر الثياب أي منزّه الأثواب، ومنه الطهر لخلاف الحيض، والظهور لما يتطهر به كالفطور والسحور والوقود. قال تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً﴾^(١) أو قوله تعالى: ﴿وأزواج مطهرة﴾^(٢) أي نساء مطهرة من الحيض والحدث، ودنس الطبع، وسوء الخلق ونحو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾^(٣) أي ينزّهمكم عن الأرجاس الظاهرية والباطنية مطلقاً، كما استدلّ بهذه الآية العامة والخاصة على معصومية أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام). و (الشرك) نوع من الكفر، وقد يطلق على مطلق الكفر، إسم من قولهم: أشرك فلان بالله فهو مشرك، وأصله من قولهم: شركته في البيع والميراث ونحو ذلك من باب علم شركة - بالفتح فالكسر، أو بالكسر فالكسر - فهو شريك، والإسم الشرك أيضاً - بالكسر -.

وأشركت زيدا عمرواً، أو لعمرى، وبعمرى، ومع عمرو في كذا أي جعلته شريكاً له في كذا، قال تعالى: ﴿وأشركه في أمري﴾^(٤) أي أشركه لي في أمري، والأكثر في مفعوله الثاني الاستعمال بالباء الدالة على الملازمة والملابسة لما بين الشريكين من الملازمة والمخالطة.

وأشرك فلان بالله أي أشرك غيره معه أماً في الألوهية، أو في الصفة، أو في الفعل، أو في العبادة، قال تعالى: ﴿ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً﴾^(٥) أي لا يشرك أحداً

(١) الفرقان: ٤٨.

(٢) آل عمران: ١٥.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) طه: ٣٢.

(٥) الكهف: ١١٠.

مع نفسه في عبادته تعالى، والباء هنا بمعنى في، وهذه غير الباء في قولهم: أشرك بالله.

والكفر قسман لأنّه إذا فرض شخص آخر مع الله سبحانه، فإنّما أن يجعل الإله هو الله وحده دون الغير فهو التوحيد، أو الغير وحده فهو الكفر الغير الشرقي وله أقسام عديدة، أو يجعل كلاهما إلهاً وهو الكفر الشرقي.

وهو إمّا على سبيل الإستقلال في كلّ منهما مثل شرك الثنويّة، أو بدون الإستقلال بل مع الشركة المطلقة، ولو بأن يجعل للغير مدخلة في الجملة ولو مثقال ذرّة، فيدخل في الشرك حينئذٍ العمل بالرياء والسمعة ونحو ذلك ممّا كان هناك شائبة الغير، باعتبار الذات أو الصفة أو الفعل أو العبادة.

وقلّما يخلو أحد من الشرك بالمرّة، غاية الأمر أنّ الشرك الموجب للحكم بالكفر والنجاسة الظاهرية شرك مخصوص لا جميع مراتبه - على ما أشير إليه آنفاً - فترك الواجب وفعل المعصية يوجب إشراك الشيطان بالله سبحانه في العبادة، فإنّ المخالفة لله سبحانه عبادة للشيطان وإشراك له بالرحمن، كما قال تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان أنّه لكم عدوّ مبين﴾ وأنّ اعبدونني هذا صراط مستقيم^(١).

وفي الحديث: (الشرك أخفى في أمتي من ديب النمل في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء)^(٢) يريد به الرياء في العمل، فكأنّه أشرك في عمله غير الله، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يشرك بعبادة ربّه أحدًا﴾^(٣).

وفيه: (من حلف بغير الله فقد أشرك)^(٤) أي قد خالف الله وعصاه، أو جعل ما

(١) يس: ٦٠-٦١.

(٢) النهاية ٢: ٤٦٦، لسان العرب ٧: ١٠ / شرك، والبحار ٧٢: ٩٣ ح ٣.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) عوالي اللآلي ٣: ٤٤٤ ح ٨، عنه مستدرک الوسائل ١٦: ٥٠ ح ١٩١٠٩، النهاية ٢: ٤٦٧، لسان العرب

٧: ١٠٠ / شرك.

يحلف به محلوفاً به كاسم الله الذي يكون به القسم، ومنه الحديث: (الطيرة شرك ولكن الله يذهب بالتوكّل)^(١) جعل التطيّر شركاً بالله تعالى في اعتقاد جلب النفع ودفع الضرر إلى غير ذلك، والإيمان الكامل يطهر المؤمن من جميع الإشراكات المذكورة وغير المذكورة.

(وَمِنْ) في قولها (عليها السلام): (من الشرك) إمّا بمعنى عن، أو لتضمين التطهير معنى التخليص، أو أنّ (مِنْ) بدليّة أي جعل الإيمان فيكم بدلاً من الشرك. والحاصل أنّه تعالى أذهب عنكم أدناس الشرك وأرجاس الجاهليّة، وبدّلها بطهارة الإيمان، وأوصلكم نزاهة العلم والمعرفة، فأوضح لكم السبيل والمحنة في أموركم الدينيّة والديويّة، وأزال رين الشك والشبهة عن قلوبكم الكدرة فتبيّن سبيل الهدى، فمن تخلف عنه ضلّ وغوى، والسلام على من اتبع الهدى.

و (الصلاة) قد مرّت الإشارة إلى تفصيل معاني المادّة، والمراد منها هنا هي الصلاة الشرعيّة، وهي الأركان المخصوصة، والحركات والسكنات والأذكار المشهورة، ويجري في التنزيه الوجوه الثلاثة السابقة في التطهير.

و (الكبر) بالكسر إسم من التكبر، وهو أخذ الكبر - كالصغر بمعنى العظم - لنفسه، ومثله الكبرياء بمعنى العظمة إلّا أنّ الكبرياء أبلغ، وأصل الكبر من قولهم: كبر الشيء كبراً كصغر صغراً - من باب قرب - أي عظم، فهو كبير وكابر أيضاً نظير الصغير والصاغر، كما قال الشاعر:

جمعوا المكارم أولاً عن آخر وتوارثوها صاغر عن كابر
ويقولون أيضاً: (ورثوا المجد كابرأ عن كابر) أي كبيراً شريفاً عن كبير شريف، وأفعل التفضيل منه: أكبر ويجمع على الأكابر، وقد يجعل أكبر صفة مشبهة بمعنى الكبير، ومنه قولنا في الصلاة وغيرها: (الله أكبر).

وقال النحاة: معناه الله أكبر من كلّ شيء، وظاهرهم كونه هنا أفعل التفضيل،

(١) النهاية ٢: ٤٦٧، لسان العرب ٧: ١٠٠ / شرك، البحار ٥٨: ٣٢٢.

وفي الخبر النهي عنه، وأنه يستلزم كون الأشياء حينئذٍ كبيرة أيضاً، مشاركة لله تعالى في الكبر والعظمة إلا أن الله تعالى أكثر كبراً، وليس كذلك بل المعنى هنا: إن الله أكبر من أن يوصف، كما ورد في الخبر عن الصادق (عليه السلام)^(١).

ولكن قال المحققون: إن أكبر فيه أي في هذا التفسير الوارد في الخبر ليس أفعل تفضيل أيضاً، وليست (من) تفضيلية، بل أكبر هنا صفة مشبهة بمعنى الكبير، و (من) بمعنى (عن)، إذ لا معنى لتفضيل الله تعالى على الوصف الحاصل من تأويل (أن) مع الفعل، أي الله كبير متجاوزاً عن كل شيء ومتعالياً عنه قدراً، ومثله قولنا: فلان أجل من أن يقاس، وقولنا: الأخبار في هذا المعنى أكثر من أن تحصى، والإنسان أعم من زيد، والإثنان أكثر من واحد ونحو ذلك، لعدم صحة معنى التفضيل في هذه المقامات كما لا يخفى.

وقوله تعالى: ﴿ومكروا مكراً كباراً﴾^(٢) الكبار - بالتشديد - أكبر من الكبار - بالتخفيف - وهو أكبر من الأكبر، والأكبر من الكبير، والكبرى مؤنث أكبر، قال تعالى: ﴿فأراه الآية الكبرى﴾^(٣) أي العصا أو اليد البيضاء، و ﴿يصلى النار الكبرى﴾^(٤) أي نار جهنم التي هي أكبر من نار الدنيا، وجمعه الكُبر - بالضم فالفتح - كما قال تعالى: ﴿إنها لأحدى الكُبر﴾^(٥).

ومن أسمائه تعالى المتكبر، قيل: هو ذو الكبرياء أي العظمة الكاملة، كما في الحديث القدسي: (الكبرياء ردائي، والعظمة أزاري)^(٦)، وقيل: المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: المتكبر على عتاة خلقه، والناء فيه للتفرد والتخصّص لثناء التعاطي

(١) المحاسن ١: ٣٧٦ ح ٢٢٩، ومعاني الأخبار: ١١ ح ١، والتمهيد: ٣١٣ ح ٢، والبحار ٩٣:

٢١٨ ح ١.

(٢) نوح: ٢٢.

(٣) النازعات: ٢٠.

(٤) الأعلى: ١٢.

(٥) المدثر: ٣٥.

(٦) البحار ٧٣: ١٩٢ ح ١.

أو التكلف، وقيل: الكبرياء الملك فهو بمعنى مالك الملك، وقيل: هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود، ولا يوصف بهما إلا الله.

وفي وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) لأبي ذر: يا أبا ذر من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوء مقعده من النار، يا أبا ذر من مات وفي قلبه مثقال ذرة من الكبر لم يجد رائحة الجنة إلا أن يتوب قبل ذلك، فقال رجل: يا رسول الله أني ليعجبني الجمال حتى وددت أن علاقة سوطي وشراك نعلي حسن، فهل يرهب عليّ ذلك.

قال (صلى الله عليه وآله): وكيف تجد قلبك؟ قال: أجده عارفاً بالحق مطمئناً إليه، قال: ليس ذلك بالكبر، ولكن الكبر أن تترك الحق وتتجاوزته إلى غيره، وتتنظر إلى الناس ولا ترى أن أحداً عرضه كعرضك، ولادمه كدمك.

يا أبا ذر أكثر من يدخل النار المتكبرون، وقال رجل: وهل ينجو من الكبر أحد يا رسول الله؟ قال: نعم، من لبس الصوف، وركب الحمار، وحلب المعز، وجالس المساكين، يا أبا ذر من حمل بضاعته فقد برئ من الكبر - يعني ما يشتري من السوق - يا أبا ذر من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، يا أبا ذر من رفع ذيله، وخصف نعله، وعفّر وجهه فقد برئ من الكبر^(١).

وفي الخبر الآخر: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الكبر)^(٢) وفسّر الكبر هنا بالجحود والشرك أيضاً كما جاءت به الرواية.

والكبر من الأخلاق المذمومة في الإنسان، وعلاجه بما يعرف به الإنسان نفسه من أن أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة، وأن آخره الموت، وأنه يُعرض للحساب والعقاب، فإن كان من أهل النار فالخنزير خير منه، فمن أين يليق له الكبر وهو عبد مملوك لا يقدر على شيء. ولما كانت الصلاة أعظم العبادات، وهي مشتملة من تعظيم الله تعالى وتكبيره،

(١) إمامي الطوسي: ٥٢٨ ح ١ مجلس ١٩، وفي البحار ٧٧: ٩٢ ح ٢، عن مكارم الأخلاق: ٤٧١.

(٢) الكافي ٢: ٣١٠ ح ٧، عنه البحار ٧٣: ٢١٦ ح ٧، ومعاني الأخبار: ٢٤١ ح ٢.

والخضوع له والخشوع عنده بما لا يشتمله غيرها، فإنها من الإبتداء الى الإنتهاء خضوع وانكسار وذلة، كما يظهر من ملاحظة حالة التكبير والقيام على كيفية خاصة في حضور الحق سبحانه، والركوع والسجود والقنوت والتشهد والسلام، وفي مجموع كل ذلك خضوع لا فوق له، فجعلت موجبة لتنزيه الإنسان عن صفة الكبر الذي هو أقبح الأخلاق الذميمة، بل هو موجب لدخول أكثر الناس في جهنم، والصلاة موجبة لزواله وخلاص الناس منه.

ولذا أيضاً جعلت الصلاة أفضل الأعمال، وجعل من فضلها أنها إن قُبلت قبل سائر الأعمال أيضاً، كما ورد في الخبر: أنها إن قُبلت قبل ما سواها، وإن رُدَّت رُدَّت ما سواها^(١).

وفي الدرّة النجفية:

إنّ الصلاة هي أفضل القرب
عمود هذا الدين والعنوان
أن قُبلت فخيرها بها قبل
الى أن قال:

فإنّها قراءة وذكر
ففيها مشول العبد للمعبود
بين الركوع منه والسجود^(٢)
و (الزكاة) قال بعضهم: أصلها النموّ والزيادة والبركة من زكى الزرع والأرض
يزكو - من باب قعد - إذا زاد، وسَمّي القدر المخرج من المال زكاةً لأنّه سبب
يرجى به الزكاة من باب تسمية السبب باسم المسبّب.

وزكّي الرجل ماله تركية أخرج زكاته الشرعيّة، والإسم منه أيضاً الزكاة،
والزكوي أي المنسوب الى الزكاة هو المال الذي يجب إخراج زكاته شرعاً،
ويقال: زكاه أيضاً إذا أخذ زكاته.

(١) البحار ١٠: ٣٩٤.

(٢) الدرّة النجفية: ٨١/ كتاب الصلاة.

والزكاة قسم من الصدقة، ولذا يقال تزكى بمعنى تصدّق، وقوله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى﴾^(١) أي أدّى زكاته مراداً بها زكاة البدن أي الفطرة أو زكاة المال، وقوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾^(٢) يحتمل الوجهين. والزكاة جاءت لغة بمعنى الطهارة أيضاً، وأصلها فعلة قلبت الواو ألفاً، والظاهر أنّ هذا المعنى هو الأظهر في وجه التسمية، فإنّ زكاة المال طهر للأموال، وزكاة الفطر طهر للأبدان، قال تعالى: ﴿ما زكى منكم من أحد﴾^(٣) أي ما طهر، وقوله تعالى: ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة﴾^(٤) أي الطهارة، وقيل: زكاة الرؤوس.

وقوله تعالى: ﴿أقتلت نفساً زكية﴾^(٥) أي طاهرة، و﴿ذلكم أزكى لكم وأطهر﴾^(٦) يحتمل الطهارة والنمو أيضاً، ﴿قد أفلح من زكاها﴾ وقد خاب من دساها^(٧) الضمير للنفس، وتزكيتها تطهيرها من الأخلاق الذميمة الناشئة من شره البطن والكلام والغضب ونحو ذلك، وفي الغريب: (قد أفلح من زكاها) أي ظفر من طهر نفسه بالعمل الصالح^(٨).

وقد مرّ أنّ الزكاة كما أنّها إسم للمال المخرج إسم من التزكية أيضاً، فهي من الأسماء المشتركة بين المخرج والفعل، فتطلق على العين وهي الطائفة من المال المزكى بها، وعلى المعنى وهو التزكية.

قال في النهاية: ومن جهل بهذا البيان أي كون الزكاة إسمًا للعين والمعنى، أتى من ظلم نفسه بالظعن على قوله تعالى: ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾^(٩) ذاهباً إلى

(١) الأعلى: ١٤.

(٢) التوبة: ١٠٣.

(٣) النور: ٢١.

(٤) مريم: ٣١.

(٥) الكهف: ٧٤.

(٦) البقرة: ٢٣٢.

(٧) الشمس: ٩ - ١٠.

(٨) تفسير غريب القرآن للطريحي: ٣٥ / زكى.

(٩) المؤمنون: ٤.

العين، وإنما المراد المعنى الذي هو التزكية^(١).
ويجيء زكى بمعنى تمدح أيضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ اتَّقَى﴾^(٢) ويمكن رجوعه إلى معنى الطهارة مع جعل التفعيل للنسبة.

وبالجملة فالزكاة في الشرع إسم للمال المخصوص المعين إخراجها الثابت في
المال أو الذمة، بشروط مخصوصة بدنية أو مالية، سميت بذلك لأنها تستجلب
البركة في المال والتنمية، وتطهر المال من الخبث، والنفس البخيلة من البخل،
وتفيد النفس فضيلة الكرم والسخاوة، وتزيل عن النفس دنس الذنوب، كما أُشير
إلى بعض ما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَاولئك هم
المضعفون﴾^(٣) على بعض التفاسير أي المضعفون للمال.

وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٤) و ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ
زَكَّاهَا﴾^(٥) و ﴿الَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾^(٦) إلى غير ذلك، فيكون تزكية للنفس
أي سبب التزكية أو مزكية، أو أنها نفس التزكية على سبيل المبالغة، ونماء في الرزق
والمال بأحد الوجوه الثلاثة الجارية فيما مرّ من الفقرات السابقة وما يأتي من
اللاحقة.

ويظهر من الفقرة الشريفة كون كلا المعنيين مأخوذاً في التسمية، وإنّ المناطق
في الحقيقة هو تزكية النفس أي تطهيرها، ولذا قدّمت في الذكر بخلاف النماء
بزيادة الرزق.

قولها (عليها السلام): (والصيام تثبيتاً للاخلاص، والحجّ تشييداً للدين).
(الصيام) عبادة معروفة، وهو في الأصل لغة الإمساك والسكوت مطلقاً، يقال:

(١) النهاية ٢: ٣٠٧، لسان العرب ٦: ٦٥ / زكا.

(٢) النجم: ٣٢.

(٣) الروم: ٣٩.

(٤) التوبة: ١٠٣.

(٥) الشمس: ٩.

(٦) المؤمنون: ٤.

صامت الريح صوماً إذا ركدت وأمسكت عن الهبوب وسكنت، وقال أبو عبيدة: كل ممسك عن طعام وكلام أو سير فهو صائم^(١)، قال الشاعر:

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تحت العجاج وخيلٌ تَغْلُكُ اللَّجْمَا^(٢)

أي قيام بلا اعتلاف، وصيام في البيت جمع صائم كقيام وقائم، كما في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا﴾^(٣) على وجه.

والأصل صوام - بالواو - قلبت الواو ياءً لكسر ما قبلها، ويجوز جعله مصدرًا محمولاً على معنى الجمع كما في الآية أيضاً على وجه، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾^(٤) أي صمتاً أو صوماً شرعياً، وكان الصمت حينئذٍ من شروط الصوم في ذلك الزمان، ثم أطلق الصيام والصوم شرعاً على الإمساك عن المفطرات المخصوصة مع النية.

وفي النهاية: وفي الخبر أنه سُئِلَ عَمَّنْ يصوم الدهر؟ فقال: لا صام ولا أفطر أي لم يصم ولم يفطر كقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾^(٥)، وهو إحباط لأجره على صومه حيث خالف الكتاب والسنة، وقيل: هو دعاء عليه كراهيةً لصنيعه^(٦). و (التثبیت) ادامة الأمر وجعله مستقرّاً من ثبت الأمر ثبوتاً دام واستقرّ فهو ثابت، أو جعله صحيحاً من ثبت الأمر أي صحّ، ويُعدّى بالهمزة والتضعيف.

وللصوم الشرعي فضائل مخصوصة ليست للصلاة، كما يظهر ممّا سيذكر، ولذا ورد في الحديث القدسي: (إنّ الصوم لي وأنا أجزي به)^(٧)، قيل في وجه التخصيص أي تخصيص الصوم بذلك مع أنّ جميع الأعمال لله تعالى، وأنّه تعالى

(١) راجع لسان العرب ٧: ٤٤٦ / صوم.

(٢) راجع لسان العرب ٧: ٤٤٦ / صوم، وفيه: واخرى تَغْلُكُ.

(٣) النساء: ١٠٣.

(٤) مريم: ٢٦.

(٥) القيامة: ٣١.

(٦) النهاية ٣: ٦١، ولسان العرب ٧: ٤٤٥ / صوم.

(٧) مكارم الأخلاق: ١٣٨، عنه البحار ٩٦: ٢٥٥ ح ٣١.

يجزي الناس بها بأيدي الملائكة: أنه أمر عديم لا يظهر لغيره تعالى، فهو أبعد من شوب الرياء وأقرب إلى الإخلاص، فيكون قوله تعالى (أنا اجزي به) مبالغة في اكرام الصوم وأهله، أي أنا أبأشر بنفسي لجزائه بلا إحالة أمره إلى الملائكة.

ولما ذكر في وجه اشتماله على الإخلاص جعل الصوم في الفقرة الشريفة تثبيتاً للإخلاص أي موجباً لتشييد الإخلاص وإبقائه أو مظهراً له ولبيانه، ويؤيد الأخير أن في بعض النسخ: (تبييناً للإخلاص).

وقيل في وجه اختصاص الصوم به تعالى وتخصّصه بهذه الفضيلة: أنه موجب لضعف القوى البدنية، وكسر الشهوات النفسانية، أو باعث للتصفية والتخلية، وجلاء الحواس الظاهرية والباطنية عن الكدورات العرفية، أو أنه جهاد مع النفس وهو الجهاد الأكبر الذي أُشير إليه في قوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): قد رجعنا من الجهاد الأصغر - يعني المجاهدة الظاهرية مع المشركين والمنافقين - وبقي علينا الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): جهاد النفس^(١).

أو أن الصوم من جهة اشتماله على الجوع يكسر سورة الشيطان وجنوده المفسدين في أرض البدن، كما ورد: (إنّ الشيطان يجري من بني آدم مجرى الدم، فضيقوا مجاريه بالجوع)^(٢) إلى غير ذلك.

وقرئ قوله تعالى (أنا اجزي به) بصيغة المجهول، وعلى تقدير صحته يكون المعنى: وأنا جزاء صومه، من باب ما نسب إلى الحديث القدسي: (من أحبني عشقني ومن عشقني قتلته، ومن قتلته فأنا ديته).

و (الحج) قد مرّت الإشارة إلى معناه اللغوي والشرعي، والمراد هنا هو معناه الشرعي.

و (التشييد) من الشيد - بالفتح - بمعنى الرفع، أو من الشيد - بالكسر - وهو كلّ

(١) الكافي ٥: ١٢ ح ٣، عنه البحار ١٩: ١٨٢ ح ٣١.

(٢) البحار ٦٣: ٣٢٢.

شيء طليت به الحائط من جصّ أو بلاط، يقال: شاده يشيده شيداً رفعه أو جصّصه بالشيد.

و (قصر مشيد)^(١) أي مرفوع أو معمول بالشيد، والمشيّد - بالتشديد - مبالغة منه، يقال: شيّده تشييداً بمعنى شاده، ومنه قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾^(٢) أي مرفوعة مطوّلة، أو مجصّصة محكمة، أو مزينة مزوّقة، وأشاد صوته بالشيء إشادة أي رفع صوته به، وأشاد بذكره إذا رفع من قدره، وقيل: أشدت بالشيء أي عرفته.

قال في النهاية: وفي الحديث: (من أشاد على مسلم عورة يشينه بها بغير حقّ شأنه الله بها يوم القيامة) يقال: أشاده وأشاد به إذا أشاعه ورفع ذكره^(٣).

وكون الحجّ مشيّدًا للدين أي سبباً لتشييده، من جهة أنّه زيارة بيت الله الحرام، وفيها زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله)، وسائر قبور الأئمة الأنام (عليهم السلام)، أو أنّ أعمال الحجّ من البداية إلى النهاية حكاية لأحوال الموت والبرزخ ويوم القيامة، فيتذكّر الحاج بتذكّر تلك الحالات المقرّرة حالات النشأة الأخروية، فيتشيد به دين أهل الدين، ويتضح به سبيل اليقين، ويظهر هذا المعنى من ملاحظة أعمال الحجّ والعمرة وأسرارهما، وقد بيّناها على نحو التفصيل في رسالة على حدة، فمن لاحظها عرف كيفيّة الحالة.

أو المراد أنّ تحمّل المشاقّ في الحجّ، وبذل النفس والمال له، أدلّ دليل على ثبوت الدين أي الاعتقاد به، أو أنّ ذلك كلّّه يوجب استقرار الدين في النفس، أو يوجب زوال صفة البخل، وحبّ جمع المال، وحبّ الدنيا الذي هو رأس كلّ خطيئة، وغير ذلك من الحكم التي لا نعرفها.

ويحتمل أن تكون الفقرة إشارة إلى ما ورد في الأخبار الكثيرة من أنّ علّة

(١) الحج: ٤٥.

(٢) النساء: ٧٨.

(٣) النهاية ٢: ٥١٧.

أصل تشريع الحج التشرف بخدمة الأئمة (عليهم السلام)، وعرض النصرة عليهم، وتعلّم الشرائع منهم في المعرفة والعبادة^(١)، ويمكن أن تكون جميع تلك الحكم ملحوظة.

وفي بعض الروايات كرواية أحمد بن أبي طاهر وغيرها: (تسليّة للدين) ففعلّ المعنى تسليّة للنفس بتحمّل المشاق، وبذل الأموال بسبب التقيّد بالدين، أو المراد بالتسليّة الكشف والإيضاح، فإنّه يكشف الهموم والغوم فيتفرّغ الإنسان لأمر الدين، أو المراد بالدين أهله فاسند إليه الفعل مجازاً، أو أنّ التسليّة محرّفة من التسنية بمعنى الرفع، كما وقع كذلك في بعض النسخ أي أنّ الحجّ يصير سبباً لرفعة الدين وعلوّه.

و (العدل) قد مرّت الإشارة إلى معناه، وهو مطلق الإعتدال في أمور الدين والدنيا، والمراد هنا الإعتدال في أمور الدين.

و (التنسيق) التنظيم تفعيل من قولهم: نَسَقْتُ الدّر - من باب قتل - نظمته، ونسقت الكلام عطف بعضه على بعض وهو أيضاً نوع من النظم، والمصدر النَسَقَ - بالفتح -، والإسم النَسَقَ - بالتحريك - ومنه حروف النسق لحروف العطف.

وفي بعض النسخ: (مسكاً للقلوب) أي هو شيء يمسكها عن الانحراف، وفي القاموس: المُسَكَّة - بالضم - ما يُتَمَسَّكُ به، وما يمسك الأبدان من الغذاء والشراب، والجمع مسك كصرد، والمسك - محرّكة - الموضع يُمسك الماء^(٢). وفي رواية ابن أبي طاهر والكشف: (تنسكاً للقلوب)^(٣) أي عبادة لها لأنّ العدل أمر نفساني يظهر آثاره على الجوارح.

وذكر العدل هنا بعد الحجّ مع عدم مناسبته لاقحامه بين الفروع، إنّما هو من

(١) راجع الوسائل ١٠: ٢٥٢، باب استحباب زيارة النبي والأئمة (عليهم السلام) وخصوصاً بعد الحج.

(٢) القاموس المحيط: ١٢٣ / المَسْكُ.

(٣) بلاغات النساء: ١٦، كشف الغمّة ٢: ١١٠.

جهة أن المراد بالعدل هنا في المعنى هو الميل إلى أئمة الهدى الموجب لانتظام القلوب واعتدالها في الاعتقاد، وهو أنما يحصل بالقول بأئمة الهدى، والوصول والتشرف إلى خدمة سادات الورى (عليهم السلام)، وذلك إنما كان يحصل في ضمن الحج، كما ظهر ممّا أشير إليه في كون الحجّ تشييداً للدين من دلالة بعض الأخبار على أن أصل تشريع الحجّ أنما كان للتشرف بخدمة أئمة الدين (عليهم السلام)، إذ عند ذلك تنتسق القلوب، وتعتدل في الطريقة المستقيمة ولا تتخلف عن جادة الحقيقة، فيحصل من القلوب حينئذ الطاعة للأئمة (عليهم السلام) لما يرى منهم ما يوجب القول بولاية الأئمة، وأن ييدهم الخلافة الكبرى الدينية والدينية.

وهذه الطاعة نظام للملة إذ بها تنتظم أمور أهل الملة، وإلا فتشتت القلوب بالأهواء المختلفة إلى أئمة الضلال الذين يدعون إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون، فيتيهون في أودية الحيرة والجهالة بخلاف إمامة أئمة الهدى، فإنه أمان للناس من الفرقة - بضم الفاء - إسماء من فارقت مفارقة وفراقاً أي الإفتراق في بوادي الغواية.

و (الجهاد) مصدر من قولك: جاهد فلان يجاهد مجاهدة وجهاداً من الجهد - بالفتح والضم - بمعنى الوسع والطاقة، وقيل: الضم في الحجاز والفتح في غيرهم، فالمجاهدة بذل الطاقة، وقرئ بالوجهين قوله تعالى: ﴿والذين لا يجدون إلاّ جهدهم﴾^(١).

وقال الفرّاء: الجُهد - بالضم - الطاقة وبالفتح المشقة، من قولك إجهَد جَهْدَكَ في هذا الأمر أي أوقع نفسك في المشقة^(٢)، أو الجهد هنا بمعنى الغاية أي أبلغ غايتك، وجَهَدَ دابته وأجهدّها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها. وفي الدعاء: (وأعوذ بك من جهد البلاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء)^(٣).

(١) التوبة: ٧٩.

(٢) راجع لسان العرب ٢: ٣٩٦ / جهد.

(٣) البحار ٩٨: ٣١٤ ح ٣.

أي من مشقة البلاء، وفي الحديث: (المسكين أجهد من الفقير)^(١) أي أسوء حالاً منه، ويقال: جاهد في سبيل الله مجاهدة وجهاد أي بذل الوسع والمجهود بالمعنى المصدري لا المفعول فيما أمر به.

وقوله تعالى: ﴿جاهدوا في الله حق جهاده﴾^(٢) أي في عبادة الله، قيل: وهو أن تعبد ربك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ولذلك قال (حق جهاده) أي جهاداً حقاً كما ينبغي بجذب النفس وخلوصها عن شوائب الرياء والسمعة مع الخشوع والخضوع.

والجهاد مع النفس الأتارة واللومة في نصرة النفس العاقلة المطمئنة وهو الجهاد الأكبر، ولذا ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه رجع عن بعض غزواته فقال: رجعنا من الجهاد الأصغر وبقي علينا الجهاد الأكبر^(٣). وفي الخبر: (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)^(٤).

وفي الخبر: (أفضل الجهاد جهاد النفس)^(٥) وهو قهرها وبعثها على ملازمة الطاعات، ومجانبة المنهيات ومراقبتها على مرور الأوقات، ومحاسبتها على ما ربحت وخسرته في دار المعاملة من السعادات، وكسر قوتها البهيمة والسبعية بالرياضات، كما قال تعالى: ﴿قد أفلح من زكاه﴾ * وقد خاب من دساها^(٦)، وقوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾^(٧).

قال الشيخ أبو علي: أي جاهدوا الكفار ابتغاء مرضاتنا وطاعة لنا، وجاهدوا

(١) مجمع البحرين / جهد، ونحوه تفسير الميثاشي ٢: ٩٠ ح ٦٤، عنه البحار ٩٦: ٥٧ ح ٣. الكافي ٣: ٥٠١ ح ١٦.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) الكافي ٥: ١٢ ح ٣، عنه البحار ١٩: ١٨٢ ح ٣١.

(٤) عدة الداعي: ٣١٤، عنه البحار ٧٠: ٦٤ ح ١.

(٥) نحوه معاني الأخبار: ١٦٠، عنه البحار ٧٠: ٦٥ ح ٧، وغرر الحكم: ٢٤٢ ح ٤٩٠٤.

(٦) الشمس: ٩ - ١٠.

(٧) العنكبوت: ٦٩.

أنفسهم في هواها خوفاً منا، وقيل: معناه اجتهدوا في عبادتنا رغبة في ثوابنا ورهبة من عقابنا، (لنهديتهم سبلنا) أي السبل الموصلة إلى ثوابنا، وقيل: لنوققتهم لازدياد الطاعات ليزداد ثوابهم، وقيل: معناه والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهديتهم سبيل الجنة، وقيل: معناه والذين يعملون بما يعلمون لنهديتهم إلى ما لا يعلمون^(١).

والجهاد المقابل للحج جهاد مخصوص مع أعداء الدين، وله أحكام وشروط مخصوصة مذكورة في الكتب الفقهية، ومجمله بذل المال والنفس لإعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان، وهو عز أي سبب عزّة وغلبة وقوّة للإسلام وأهله على المشركين والمنافقين.

والإجتهد المبالغة في الجهد والإجتهد، ونقل في الإصطلاح إلى است فراغ الوسع فيما فيه مشقة لتحصيل ظن شرعي، وعرفوه بأنه است فراغ الوسع في تحصيل الظن بالحكم الشرعي الفرعي عن الأدلة الشرعية، والمجتهد اسم فاعل منه، وهو العالم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية فعلاً أو بالقوّة القريبة من الفعل.

و (الصبر) من قولهم: صَبَرْتُ صبراً - من باب ضرب - أي حبستُ النفس عن الجزع والاضطراب واصطبرت مثله، وصبرت زيدا يستعمل لازماً ومتعدياً أي حبسته ومنعته، ومنه قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾^(٢)، وصبرته - بالثقل - حملته على الصبر بوعد الأجر.

وقتلته صبراً أي حبساً، وهو كلّ ذي روح يوثق حتى يقتل، وقيل: الصبر هو أن يقتل حيوان وعنده حيوان آخر ينظر إليه، وقيل: الصبر هو أن يحبس حيوان عن الأكل والشرب حتى يموت جوعاً وعطشاً، وقيل غير ذلك على ما فصلناه في بعض تحقیقاتنا، وعلى جميع المعاني يصحّ حمل قول زينب الكبرى (عليها السلام) في

(١) مجمع البيان سورة العنكبوت آية: ٦٩، ومجمع البحرين / جهد.

(٢) الكهف: ٢٨.

مقام الشكاية عن الظالمين من أهل الشام والكوفة في بعض الخطبة الشريفة بقولها: (قتلتهم أخي صبراً)^(١).

قيل: وأصل الصبر من الصبر ككتف وهو دواء مَرَّ معروف، لأنَّ الصَّبْرَ مَرٌّ في مذاق النفس كالصبر، وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٢) قيل: أريد به الصوم، وسمي الصوم صبراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح، وفي حديث الصوم: (صم شهر الصبر)^(٣) وهو شهر رمضان.

والصبر في الإصطلاح العرفي حبس النفس عن إظهار الجزع، وعن بعض الأعلام: هو حبس النفس على المكروه امتثالاً لأمر الله، وهو من أفضل الأعمال حتى قال النبي (صلى الله عليه وآله): (الإيمان شطران شطر صبر وشر شكر)^(٤). وعن الصادق (عليه السلام): (نحن صَبْرٌ وشيعتنا أَصْبِرُ مِنَّا، وذلك أَنَا صَبْرُنَا على ما نعلم و[هم] صَبَرُوا على ما لا يعلمون)^(٥).

والصبر يستعمل تارة بـ (عن) كما في المعاصي، وتارة بـ (على) كما في الطاعات، يقال: صبر عن الزنا وصبر على الصلاة، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٦) قال الشيخ أبو علي: هو إشارة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء إلى العدل والتوحيد، وأداء الواجبات والإجتناب عن المقبّحات^(٧).

وفي الحديث: (الصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر عمّا تحب)^(٨) فالصبر

(١) الملهوف: ١٩٨، والبحار ٤٥: ١١٢ ح ١.

(٢) البقرة: ٤٥.

(٣) النهاية ٣: ٧، ولسان العرب ٧: ٢٧٦ / صبر.

(٤) عوالي اللآلي ٢: ٦٦ ح ١٧١، عنه مستدرک الوسائل ١١: ٢٨٧ ح ١٣٠٣٩، وفي تحف العقول: ٤٨.

(٥) تفسير القمي ٢: ١٤١، عنه البحار ٢٤: ٢١٦ ح ٧، وكنز الدقائق ١٠: ٨٢، والصابي ٩٥: ٤.

(٦) العصر: ٣.

(٧) مجمع البيان سورة العصر، ومجمع البحرين / صبر.

(٨) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٥٥، عنه البحار ٧١: ٩٥.

الأوّل مقاومة النفس للمكروه الواردة عليها وثباتها وعدم انفعالها، وقد يسمّى به سعة الصدر وهو داخل تحت الشجاعة، والصبر الثاني مقاومة النفس لقوّتها الشهويّة، وهي فضيلة داخلية تحت العفة.

ثمّ إنّ في تحمّل المكروه امتثالاً لأمر الله، وفيه مقامات ثلاثة: الصبر، والشكر، والرضا، فالصبر أن يشقّ البلاء على النفس ومع ذلك يصبر ويتحمّل، والشكر أن يكون وجود البلاء وعدمه عنده سواء فيشكر الله على كلّ حال، والرضا أن يكون حبّه للبلاء أكثر من عدم البلاء لما يرى فيه من أن البلاء للولاء، ويجوز المبادلة بين المقامين الأخيرين في التسمية بالإسمين الأخيرين.

مى نالم ترسم او باور كند وز ترحم جور را كمتر كند
در بلا هم مى چشم لذات او مات اويم مات اويم مات او
والصبر من أبنية المبالغة ومعناه قريب من الحليم، والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة من صفة الصبر كما يأمنها من صفة الحليم، وفي الحديث: (لا أحد أصبر على أذى يسمعه عن الله عز وجل) ^(١) أي أشدّ حِلماً عن فاعل ذلك في ترك المعاقبة عليه.

والمراد من الصبر في الفقرة الشريفة الصبر على مضض الجهاد الأصغر ومشقّاته خصوصاً، وعلى ما يشمل الجهاد الأكبر عموماً مع الصبر على مشقّة فعل جميع الطاعات، وعن ترك لذائذ جميع السيّئات، وكون الصبر معونة على استيجاب الأجر من أنّه يتمّ به فعل الطاعات وترك السيّئات.

و (المعونة) من قولهم: استعان عليه به فأعانه، وقد يتعدّى بنفسه فيقال: استعانه، والإسم المعونة مفعلة - بضمّ العين - من العون بمعنى الظهر، وبعضهم يجعل الميم أصلية ويقال هو من الماعون وأنّها فعولة.

وفى الصحاح: المعونة الإعانة، تقول: ما عندك مَعُونَةٌ ولا مَعَانَةٌ - بالفتح - ولا

(١) النهاية ٢: ٧، ولسان العرب ٧: / صبر.

عَوْنٌ^(١)، وفي الحديث: (تنزل المعونة على قدر المؤنة)^(٢) وذلك لتكفّل الله بالأرزاق.

قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾^(٣) أي على حوائجكم بالصبر على تكاليف الصلاة من الإخلاص ورعاية الآداب، وعلى الصلاة نفسها، أو المراد بالصبر هنا الصوم كما مرّ، وقوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى﴾^(٤) أي ليستعن بعضكم ببعض في امتثال الأوامر والنواهي.

و (الاستيجاب) هنا الاستحقاق، يقال: استوجبه أي استحقّه من وجب الشيء وجوباً - كوعد - لزم، قاله الجوهري^(٥) وغيره، والوجوب اللزوم والثبوت، ووجب البيع لزم، وأوجبه إيجاباً أي ألزمه، والإيجاب والوجوب متقاربان في المعنى. قال بعض الأفاضل: والفرق بينهما كالفرق بين الضارب والمضروب، فالضارب هو المؤثر للضرب والمضروب هو المؤثر فيه، فالضارب إسم اشتقّ للذات باعتبار معنى الضرب القائم بها، والإيجاب معناه التأثير، والوجوب هو حصول الأثر، فلمّا أوجب الله علينا شيئاً فوجب فالأول هو الإيجاب والثاني الوجوب، والموجب الملزم والباعث.

وفي الدعاء: (اللهمّ إني أسألك موجبات رحمتك)^(٦) وأوجب الرجل إيجاباً إذا فعل فعلاً وجبت له به الجنة، ولا إله إلا الله من الموجبات لأنّها كلمة توجب الجنّة، ومن نطق بها فقد أوجب أي نطق بالكلمة الموجبة.

و (الأجر) كزجر جزاء العمل سواء كان اخروياً أو دنيوياً وكذا الأجرة، إلا أنّ الأوّل خُصّ بالأخروي والثاني بالدنيوي، وسواء كان من عقد أو من غير عقد،

(١) الصحاح ٦: ٢١٦٨ / عون.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٣٩.

(٣) البقرة: ٤٥.

(٤) المائدة: ٢.

(٥) الصحاح ١: ٢٣١ / وجب.

(٦) راجع مفاتيح الجنان في تعقيبات صلاة الظهر.

وقد يكتنى بالأجرة عن مهر النكاح، والأجر أيضاً مصدر أجره - من باب نصر - إذا جزاه، وبمعنى الذكر الحسن، قال تعالى: ﴿وَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾^(١) وبمعنى المهر في عقد النكاح.

قال في الأساس: ومنه قوله تعالى: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجَ﴾^(٢) أي تجعلها أجري على التزويج يريد المهر، وقوله تعالى: ﴿وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾^(٣) كناية عن المهور^(٤).

ويقال: أجره فلان أجراً أي صار أجيره، ومنه قوله تعالى حكاية عن شعيب لموسى (عليه السلام): ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجَ﴾، وأجره فلان أي أعطاه أجرته وبمعنى الإكراء، يقال: أجر المملوك أجراً إذا أكراه.

والإجارة - بتثنية الهمزة - اسم لجزاء العمل كالأجر والإيجار - بكسر الهمزة - إعطاء الجزاء للعامل، يقال: أجره يؤجره إيجاراً إذا جزاه، وبمعنى الإكراء يقال: أجر المملوك إيجاراً إذا أكراه.

والمؤاجرة على وزن المفاعلة الإكراء أيضاً، يقال: أجر المملوك مؤاجرة إذا أكراه، وأجر الأجير مؤاجرة أي صار اجيري، واستأجرت الأجير اتخذته أجيراً، واستأجرت الدار استكريتها، وذكر الصبر بعد الجهاد إشارة إلى لزومه في الجهاد، وإن بالصبر عليه وعلى سائر الطاعات ينال الأجر الأخروي.



(١) العنكبوت: ٢٧.

(٢) القصص: ٢٧.

(٣) النساء: ٢٥.

(٤) أساس البلاغة: ٣/أجر.

قالت (عليها السلام):

«وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةٌ لِلْعَامَّةِ، وَبِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَفَايَةٌ
مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ مَثْمَاءٌ لِلْعَدَدِ، وَالْقِصَاصُ حَقًّا
لِلدِّمَاءِ، وَالْوَفَاءُ بِالنَّذْرِ تَغْرِيبٌ لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةُ الْمَكَائِيلِ
وَالْمَوَازِينِ تَغْيِيرٌ لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيُ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهٌ عَنْ
الرَّجْسِ، وَاجْتِنَابُ الْقَذْفِ حِجَابٌ عَنِ اللَّعْنَةِ، وَتَرْكُ السَّرْقَةِ
إِجَابَةٌ لِلْعَقَةِ، وَحَرَمُ الشُّرْكِ إِخْلَاصٌ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ
حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ
بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾».

بيان:

(الأمر بالمعروف) قد علم فيما سبق مع النهي عن المنكر.
و (المصلحة) بمعنى الخير، يقال: في هذا الأمر مصلحة أي خير ومنفعة،
والجمع مصالح، وهو من صَلَحَ الشيء صلوحاً - من باب قعد - وصلاحاً أيضاً،
وَصَلَحَ - بالضم - لغة خلاف فسد، وصلاح يصلح - بفتحين - لغة ثالثة فهو صالح
وأصلحته فصلح.

ويقال: أصلح بمعنى أتى بالصلاح - بفتح الصاد - وهو الخير والصواب ضدّ
الفساد، وصالحه صلاحاً - بكسر الصاد - ومصالحة من باب قاتل أي أوقع فيما
بينه وبينه الصلح، والصلح - بالضم - إسم منه يذكر ويؤنث، وصلاح إسم علم لمكة،
وفي أخبارها:

أبامطر هلّم إلى صلاح فتكفيك الندامى من قريش^(١)
وصالح المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وجبريل وصالح المؤمنين﴾^(٢) هو عليّ
(عليه السلام)، كما ورد أنّه لما نزلت الآية أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) بيد عليّ

(١) راجع لسان العرب ٧: ٢٨٥ / صلح.

(٢) التحريم: ٤.

(عليه السلام) وقال: أيها الناس هذا صالح المؤمنين^(١).

والإصلاح بين الناس التأليف بينهم بالموّدة، وفي حديث الدعاء: (اللّهُمَّ اجعل أوّل نهارى صلاحاً، وأوسطه نجاحاً، وآخره فلاحاً)^(٢) أي صلاحاً في ديننا، وفي الحديث: (إذا ضللت الطريق فناد يا صالح أرشدنا إلى الطريق يرحمك الله)^(٣)، وذلك لما روي أنّ البرّ موكلّ به صالح (عليه السلام) والبحر موكلّ به حمزة، وقيل: إنّ الموكلّ بالبرّ هو خضر (عليه السلام) وبالبحر هو الياس (عليه السلام).

ويوم الجمعة يوم صالح أي صالح للعمل لتضاعف الأجر والحسنات فيه، والصلح جائز بين المسلمين إلّا ما حرّم حلالاً أو حلّل حراماً بمعنى الصلح الشرعي.

و (العامة) كافّة الناس من العموم بمعنى الشمول ونحوه، يقال: عمّ المطر الأرض عموماً - من باب قعد - أحاطها وشمّلها فهو عامّ، والعامة خلاف الخاصّة والجمع عوام مثل دابة ودوابّ، والنسبة إلى العامة عامي.

والوجه في إطلاق العامة على خلاف الخاصّة أنّ الرجل العامي لا يكون له قيد ومانع من الحركة إلى أيّ مكان شاء، والقيام والقعود في كلّ مقام أراد، فيكون له عموم بالنسبة إلى الأمكنة مثلاً، والخاصّ هو المخصوص بحال مخصوص لا غير مثلاً، أو أنّ إطلاق الخاص من جهة تعيّنه ومعروفيّته والعامّ بخلافه، أو أنّ الخاص خاصّة السلطان ونحوه والعام بخلافه، أو أنّ الخاص أفراد مخصوصون محصورون بخلاف العامّ فإنّ في أفرادهِ كثرة وشيوعاً.

والعامة تطلق على الواحد والإثنين والأكثر في المؤنث والمذكر، وهو إسم

(١) تفسير فرات: ٤٩٠ ح ٦٣٦، عنه البحار ٣٦: ٣٠ ح ٨، وشواهد التنزيل ٢: ٣٥٢ ح ٩٩٦، والشافعي ٥: ١٩٥ عن مجمع البيان.

(٢) مصباح التهجد: ٤٥٤، دعاء يوم الأحد.

(٣) مكارم الأخلاق: ٣٥٩ / في دعاء الضال، الباب التاسع، عنه البحار ٧٦: ٢٥٣ ح ٤٨، ومن لا يحضره الفقيه ٢: ١٩٥.

جنس حقيقة يقع على القليل والكثير كزنج وروم، ويقال في الواحد عامي كرومي وزنجي، إذ بقاء النسبة أيضاً يفرق بين الجنس ومفرده، كما بالتاء حذفاً في نحو تمر وتمرّة، وإثباتاً كما في نحو كمء وكثاء، والتاء فيها للمبالغة أو للتأنيث باعتبار موصوف مؤنث محذوف أي الطائفة العامة ونحو ذلك، ومثله الكلام في الخاصة. والخاصة تطلق على الشيعة أيضاً والعامة في مقابلهم أهل السنة والجماعة، لأن الشيعة فرقة مخصوصة بالنسبة إلى العامة والعامة جماعة كثيرة، ولفظ العام خلاف الخاص لما في العام من العموم والإحاطة والكثرة بخلاف الخاص.

والعمامة - بالكسر - ما يلف على الرأس لاحاطتها به، يقال: كوّرت العمامة على الرأس أي لففتها عليه، والعمائم تيجان العرب وهي صورة تيجان الملائكة رآها النبي (صلى الله عليه وآله) ليلة المعراج، فأمر قومه أن يعمّموا كذلك تشبيهاً بالملائكة، والعمّ أخو الأب كالعمة أخته لإحاطتهم بالشخص، والعمّ أيضاً الجماعة من الناس.

وفي الخبر: (سهم المؤلفة [قلوبهم] والرقاب عام والباقي خاص) (١) أي عام لمن يعرف ولمن لا يعرف، وخاص بمن يعرف لا غير، ولا يعذب الله العامة بعمل الخاصة أي لا يعذب الأكثر بعمل الأقل، وفي الحديث: (خذ ما خالف العامة) (٢) يعني أهل الخلاف فإنّ الرشد في خلافهم، وذهب عامة النهار أي جميعه.

والمراد من العامة في الفقرة الشريفة جميع الناس، أي الأمر بالمعروف الذي ورّاه الله تعالى وأوجبه مصلحة للناس جميعاً، ولولا الأمر بالمعروف لاختلّ أمور الدين من جهة فساد الفاسقين والمفسدين من شياطين الانس والجنّ، وأمور الدنيا أيضاً بوقوع الإختلال بين الناس، ولم ينتظم أمر المعاش الذي هو المقدّمة لأمر المعاد، وكذلك النهي عن المنكر، وفي بعض النسخ بدل الأمر بالمعروف النهي عن المنكر، وكلّ منهما مستلزم للآخر.

(١) الكافي ٣: ٤٩٦ ح ١، والتهذيب ٤: ٤٩ ح ٢، ومن لا يحضره الفقيه ٢: ٤ ح ١٥٧٧.

(٢) نحوه الكافي ١: ٦٨ ح ١٠.

و (البرّ) بالكسر خلاف العقوق والمبرّة مثله، تقول: بررت بوالديّ - من باب علم - برّاً فأنا برٌّ به - بالفتح - وبأزّ، وجمع البرّ الأبرار وجمع الباء البررة، وفلان ببرّ خالقه أي يطيعه، والأمّ برّة بولدها.

وفي الحديث: (تمسّحوا بالأرض فإنّها بكم برّة)^(١) أي مشفقة عليكم كالوالدة البرّة بأولادها، يعني أنّ منها خلقكم وفيها معاشكم وإليها بعد الموت معادكم، وفي الحديث: (الأئمة من قريش أبرار)^(٢).

وحاصل معنى البرّ هو الإحسان والافضال، ويختلف في كلّ مورد بحسبه، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٣)، والبر فيه هو الإسم الجامع للخير كلّ دنيويّاً وأخرويّاً، ومنه البرّ بمعنى الصلة.

وبرّ الوالدين صلتهم، والإحسان إليهما، ورفع قدرهما، وتوقّي مكارمهما، وتوقّي مكارههما، وملاحظة حقوقهما بخلاف عقوقهما المستلزم للإساءة إليهما، والتضييع لحقّهما ولو بنسيانهما عن دعاء الخير بعد وفاتهما، كما ورد في الأخبار. ولبرّ الوالدين فضائل لا تُحصى كثرة حتى ورد (أنّ الجنّة تحت أقدام الأمّهات)^(٤)، وإنّ عقوق الوالدين مستلزم لعقوق الله تعالى، ومن برّ بوالديه وقاه الله من سخطه في الدنيا والآخرة، كما أشير إليه في الفقرة الشريفة.

و (الوالدان) الوالد والوالدة أي الأب والأمّ من باب التغليب من ولده يلده ولادة، فالطفل مولود والأب والد والأمّ والدة، فيستند الولد من حيث التولّد إليهما معاً، ويقال: ولّد الرجل المرأة طفلاً توليداً أي حصل له منها ولد، والولّد - بفتحين - كلّ ما ولده شيء، ويطلق على الذكر والأنثى والمثنّى والمجموع، وجمعه أولاد، والولّد وزان قُفْل لغة فيه، وقيس تجعل المضموم جمع المفتوح مثل أسد جمع أسد.

(١) النهاية ١: ١١٦، لسان العرب ١: ٣٧١/ برر، والبحار ٨١: ١٦٢ ح ٢٤.

(٢) النهاية ١: ١١٦، لسان العرب ١: ٣٧٢/ برر، وفيه: الأئمة من قريش أبرارها أمراء ابرارها.

(٣) البقرة: ٤٤.

(٤) راجع مستدرک الوسائل ١٥: ١٨٠ ح ١٧٩٣٣.

والولادة وضع الوالدة ولدها، واستولد الرجل المرأة أي أحبلها، وأمّا أولد بمعنى استولد فلم يثبت وصرّح بعضهم بمنعه، وأولدت المرأة إذا حان ولادتها مثل أحصد الزرع إذا حان حصاده، وولّدتها القابلة توليداً باشرت لذلك، ومثل ولّد الرجل غنمه توليداً كما يقال: نتج ابله نتجاً.

وتولّد الشيء من غيره نشأ عنه، وتوالدوا أي كثروا وولد بعضهم بعضاً، ولدة الرجل - بكسر اللام كعدة - تربه، والمولد موضع الولادة، وميلاد الرجل إسم الوقت الذي ولد فيه، والوليد أيضاً الصبي المولود القريب العهد بالولادة، وإذا كبر فلا يقال له وليد، ويطلق الوليد على الغلام أيضاً، وجمعه مطلقاً ولدان كالوليدة للصبية والأمة والجمع ولائد.

قال تعالى: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلّدون﴾^(١) أي صبيان، ومخلّدون أي باقون ولداناً لا يهرمون، وهم إمّا أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات ولا سيئات، أو هم أطفال المشركين والكفار الذين ماتوا في حال الصغر، كما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّهم خدمة أهل الجنة^(٢).

وإمّا أولاد المؤمنين الذين ماتوا صغاراً فالظاهر أنّهم مخدومون في الجنة كأبائهم، كما قال تعالى: ﴿والذين آمنوا واتبعهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾^(٣) فأنّه ممكن العموم لذلك.

ويحتمل أن تكون النسخة في قوله: (أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات ولا سيئات) أولاد أهل الدين الذين لم يبلغوا الحلم حتى تكون لهم حسنة أو سيئة، أو هم خدّام أهل الجنة خلقوا لخدمتهم على صورة الولدان، وقوله تعالى: ﴿والد وما ولد﴾^(٤) قيل: يعني آدم وذريته، وقيل: آدم وما ولد من الأنبياء

(١) الواقعة: ١٧.

(٢) مجمع البيان / تفسير سورة الواقعة، عنه كنز الدقائق ١٣: ٢٦، والصافي ٥: ١٢١.

(٣) الطور: ٢١.

(٤) البلد: ٣.

والأوصياء، وفي حديث الاستعاذة: (ومن شرّ والد وما ولد) يعني ابليس وذريته^(١).

قال في المصباح في مادة بيض: ويحكى عن الجاحظ أنّه صنّف كتاباً فيما يبيض ويلد من الحيوانات فأوسع في ذلك، فقال له عربيّ: يجمع ذلك كلّ كلمتان: كلّ أذن ولود وكلّ صموخ بيوض^(٢)، والمراد من الأذن صاحب الأذن والصموخ خلفه.

و (الوقاية) بالكسر ما يوقى به الشيء عن الشيء، وفعالة شائع فيما يفعل به قياساً كالعمامة والستارة واللفافة ونحو ذلك، وفي الحديث: (اللّهم اجعله وقاية لمحمّد (صلّى الله عليه وآله))^(٣) أي حفظاً له، وهو من قولهم: وقاه الشيء أي حفظه إيّاه.

قال تعالى: ﴿فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم﴾^(٤) يتعدّى إلى مفعولين على ما قيل، والظاهر أنّ المفعول الثاني يستعمل بعن إصاله، ويقال: اتقيته اتقاءً، والأصل أوتقيته، وفي حديث عليّ (عليه السّلام): (كان إذا حمى البأس - أي اشتدّ الحرب - اتقينا برسول الله (صلّى الله عليه وآله))^(٥) أي جعلناه وقاية لنا من العدو.

(واتقوا الله حقّ تقاته) أي حقّ تقواه، والأصل وقاية كما أنّ أصل التقوى الوقوى كالدعوى، كما أنّ تترى في قوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾^(٦) أصله وترى قلبت الواو تاءً للتخفيف من جهة ثقل الواو في أوّل اللفظ، ومنه تراث والأصل وراث، والقيّة والأصل وقية.

وتجىء الوقاية - بالكسر - مصدرأ وإسماً أيضاً والفتح لغة فيها مطلقاً، وقد

(١) النهاية ٥: ٢٢٥ / ولد.

(٢) المصباح المنير: ٦٨ / باض.

(٣) نحوه الكافي ٢: ٣٠ ح ١.

(٤) الإنسان: ١١.

(٥) نحوه النهاية ٥: ٢١٧، ولسان العرب ١٥: ٣٧٩ / وفي، والبحار ١٦: ١٢١.

(٦) المؤمنون: ٤٤.

تحذف التاء من الوقاية فيقال: الوقاء، ومن هذه المادة الأوقية، وهي واردة في الأخبار كثيراً مراداً بها أربعون درهماً.

قال في الصحاح: وكذلك كان فيما مضى فأمّا اليوم فيما يتعارفها الناس ويقدر عليه الأطباء فالأوقية عندهم وزن عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم^(١). وهو استار وثلاثا استار، والجمع الأواقي مثل أثقيّة والأثافيّ، وإن شئت خففت الباء في المفرد والجمع أيضاً.

وقال بعضهم: أوقية - بضمّ الأول وتشديد الياء - هي عند العرب أربعون درهماً في تقدير أفعولة كالأعجوبة والأحدوثة، وقيل: سبعة مثاقيل والوقية - بالضم - أيضاً كذلك، قال المطرزي: وجرى على السنة الناس الفتح وهي لغة حكاها بعضهم، والتوقّي التجنّب، ومنه يتوقّون شطوط الأنهار.

وفي حديث عليّ (عليه السلام): (توقّوا البرد في أوّله وتلقّوه في آخره)^(٢) وهو في معنى قول النبي (صلّى الله عليه وآله): (اغتنموا برد الربيع فإنّه يعمل بأبدانكم كما يعمل بأشجاركم، واجتنبوا برد الخريف فإنّه يعمل بأبدانكم كما يعمل بأشجاركم)^(٣).

و (السخط) بالتحريك، وبضمّ أوّله وسكون ثانيه: الغضب وهو خلاف الرضا، يقال: سخط سخطاً - من باب تعب - كغضب لفظاً ومعنى فهو ساخط، يقال: سخطه وسخط عليه متعدّياً بنفسه وبـ (على)، وأسخطه أغضبه فسخط أي غضب، وإذا أسند السخط إلى الله تعالى يراد به ما يوجب السخط من العقوبة كنظائره على ما مرّت إليه الإشارة.

والمراد من السخط هنا الذي جعل برّ الوالدين وقاية عنه يحتمل أن يكون

(١) الصحاح ٦: ٢٥٢٨ / وقى.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٢٨، عنه البحار ٦٢: ٢٧١ ح ٦٨، وفي دعوات الراوندي: ٧٥ ح ١٧٥.

(٣) البحار ٦٢: ٢٧١ ح ٦٩.

سخطهما أو سخط الله سبحانه، والظاهر هو الثاني وإن سبق إلى بعض الأوهام أن الأول هو الأظهر.

و (صلة الأرحام) قد مرّت إلى معناها الإشارة، والحاصل منها الإحسان إلى الأقرباء والعشائر، والإفضال لهم، والتعطف معهم ولو باطعام أو سلام أو كلام، وحسن مقال وفعال، أو تفقّد حال ونحو ذلك.

ولهذا مراتب متدرّجة بحسب حال الرحم قريباً وبعداً، وضعةً وشرفاً، وعدلاً وفسقاً، وبحسب حال الواصل من حيث الفقر والغنى، والإمكان وعدم الإمكان، وملاحظة الأهمّ فالأهم، وبحسب نفس الإحسان قلّة وكثرة، قولاً وفعلًا إلى غير ذلك، ولها تفاصيل شرعيّة ليس هنا محلّها.

و (المنماة) آلة النموّ والزيادة والازدياد والبركة، والمراد هنا سبب النموّ، وقيل: هو هنا إسم مكان أو مصدر ميمي وعلى أيّ حال فالمراد السببيّة، ثم المراد هنا من العدد - بالفتح - الكثرة إذ العدد لا يكون إلّا مع تعدّد المعدود، والمقصود أن صلة الرحم مع إيجاب كثرة الحسنات وازدياد الدرجات في العقبي، يوجب كثرة الأموال والأولاد والعشائر والأعوان في الدنيا، ولهذا قال عليّ (عليه السلام) كما في نهج البلاغة:

«ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسدّها بالذي لا يزيده إن أمسكه ولا ينقصه إن أهلكه، ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما تُقبض منه عنهم يد واحدة، وتُقبض منهم عنه أيد كثيرة، ومن تَلِن حاشيته يستدم من قومه المودة»^(١).

وبالجملة فمع قطع النظر عن كلّ شيء فلا محالة أنّها توجب كثرة عدد الأولاد والعشائر كما أنّ قطعها يذر الديار بلاقع، على مادّل عليه الأخبار وشهد عليه الإعتبار، ويجوز أن يكون العدد في الفقرة الشريفة بالضمّ فالفتح بمعنى الاستعداد

(١) نهج البلاغة الخطبة: ٢٣، والبحار ٧٤: ١٠٤ ح ٦٦.

أو ما يتهيأ للذخيرة، فيكون كناية عما أُشير إليه آنفاً.

و (القصاص) بكسر القاف: القود، وقد أقصّ الأمير من فلان فلاناً إذا اقتصّ له منه فجرحه مثل جرحه أو قتله قوداً، ومنه القصاص الشرعي على الوجه المفصل في كتب الفقه، وأصله من قصصت الشعر - من باب قتل - قصصاً وقصّاً بمعنى قطعته، وطائر مقصوص الجناح أي مقطوعه ومفصوله، والمِقَصُّ المقرض، وقصاص الشَّعر - بتثنية القاف - منقطع الشعر من الرأس والضم أفصح، وتقاصّ القوم إذا قاص كل واحد منهم صاحبه في حساب أو غيره كأنه قطع منه بقدر حقه. والقصة - بالكسر - الأمر والشأن والحديث والجمع قصص - بالكسر -، وقصّ عليه الخبر أو الرؤيا قصصاً - بالتحريك - أي حدّث به وبينه، وفي حديث الرؤيا: (لا تقصّها إلّا على وادٍ)^(١).

وقصّ أثره واقتصّه أي اتبعه كأنه يقطع أثره، والقصاص عن المقتول أخذ عوضه وبذله من القاتل كأنه يقطعه منه، أو لأنّ المقتصّ يتبع أثر الجاني فيفعل مثل فعله من الجرح والقتل.

و (الحقن) بفتح الحاء: الحفظ، يقال: حقنت الماء في السقاء حقناً - من باب قتل - أي حفظته فيه وحبسته، ومنه قولهم: حقنت دمه خلاف هدرته كأنك جمعته في صاحبه فلم ترقه، وحقن الرجل بوله: حبسه وجمعه فهو حاقن، ومنه الحديث: (لا يصلّ أحدكم وهو حاقن)^(٢) أي حابس بوله، وحقنت المريض إذا أوصلت الدواء إلى باطنه من مخرجه بالمحقنة - بكسر الميم - والإسم الحقنة - بضم الحاء - . و (الدماء) جمع الدم، قال في الصحاح: وأصله دمو - بالتحريك - وإنما قالوا: دميّ يدمي لحال الكسرة التي قبل الياء كما قالوا: رَضِيَ يَرْضَى وهو من الرضوان، قال الشاعر:

فلو أنّا على حَجَرٍ دُبَحْنَا جَرى الدميان بالخبر اليقين

(١) النهاية ٤: ٧٠، ولسان العرب ١١: ١٩١ / قصص، البحار ٦١: ١٧٤.

(٢) النهاية ١: ٤١٦، لسان العرب ٣: ٢٦٥ / حقن، البحار ٢: ٦٠.

وبعض العرب يقول في تشنيته: دِمَوَان، وقال سيبيويه: الدم أصله دَمِيّ بالتسكين - لأنّه يجمع على دُمَاء ودُمِيّ مثل ظَبِيّ وظَبَاء وظُبِيّ، ودَلُوّ ودَلَاءٍ ودَلِيّ، قال: ولو كان مثل قَفَاء وعَصَاء لما جمع على ذلك، وقال المبرد: أصله فَعَلَ - بالتحريك - وإن جاء جمعه مخالفاً لنظائره، والذاهب منه الياء، والدليل عليها قولهم في تشنيته: دِمِيَان^(١).

وبالجملة فالدماء جمع دم وأصله دَمَاو أو دَمَاي قلبت الواو أو الياء ألفاً ثم همزة لوقوعها بعد الألف الزائدة، والمصغّر دَمِيّ، والنسبة اليه دُمُوِيّ أو دَمِيي أو دَمِيّ، كما أنّ التشنية دَمَوَان أو دِمِيَان أو دَمَان، وهو إسم جامد لكن جاء منه الفعل المجرّد كما أُشير إليه، يقال: دَمَى يَدْمَى فهو دَام، وشجّة دَامِيّة أي التي يخرج دمها ولا يسيل فإنّ سال فهي الدامعة، وأدميته أنا إذا جرحته حتى خرج منه الدم.

قولها (عليها السّلام): (والقصاص حقناً للدماء) أي أنّ الله جعله سبباً لحقن الدماء، وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾^(٢)، قال أهل المعاني والبيان: وكلام الله هذا من باب إيجاز القصر الذي ليس فيه حذف، فإنّ معناه كثير ولفظه يسير، لأنّ المراد به أنّ الإنسان إذا علم أنّه متى قَتَلَ قُتِلَ كان ذلك داعياً أن لا يقدم على القتل، فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض، وكان ارتفاع ذلك حياة لهم.

وفضل هذا الكلام ورجحانه على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى، وهو قولهم: (القتل أنفى للقتل) بقلّة حروف ما يقابله منه وهو قوله تعالى: (في القصاص حياة) لأنّه قوله: (لكم) لا مدخل له في المقابلة.

ووجه القلّة أنّ حروف قوله تعالى: (في القصاص حياة) أحد عشر إن اعتبر التنوين وإلاّ فعشرة، وحروف (القتل أنفى للقتل) أربعة عشر، والمعتبر الحروف الملفوظة لا المكتوبة لأنّ الإيجاز إنّما يتعلّق بالعبارة دون الكتابة، وفيه النص على

(١) الصحاح ٦: ٢٣٤ / دما.

(٢) البقرة: ١٧٩.

المطلوب الذي هو الحياة.

وفي تنكير حياة تعظيم لعظمه عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد، أو التنوين للنوعية وهي الحياة الحاصلة للمقتول والقاتل بالارتداع من القتل لخوف القصاص، وفي القصاص حياة مطّرد أيضاً إذ الإقتصاص مطلقاً سبب الحياة بخلاف القتل، إذ القتل قد يكون أدعى للقتل وهو القتل الذي لا يكون على وجه الإقتصاص.

وليس في الآية تكرير بخلاف قولهم المذكور، وفي الآية الجمع بين المتضادين أي القصاص والحياة، واشتمال القتل على الحياة أمر عجيب، إلى غير ذلك من وجوه الفضيلة التي ذكرها للآية بالنسبة إلى قولهم المذكور.

و (الوفاء) بالفتح ضد الغدر مصدر قولك: وفيت بالعهد أفي به وفاءً، وأوفيتُ به إيفاءً مثله، كما قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾^(١)، قال بعض الأفاضل: قد تضمنت الآية المدح بالوفاء بالنذر والنذر سبب نزولها باتفاق الأمة، ﴿وابراهيم الذي وفى﴾^(٢) التثقيل بمبالغة وفى أي وفى بذبح ولده.

وفي الحديث: سُئل ما معنى قوله تعالى: ﴿وابراهيم الذي وفى﴾ قال: كلمات بالغ فيهنّ، كان إذا أصبح قال: أصبحت وربّي محمود، أصبحت ولا أشرك بالله شيئاً، ولا أدعو معه إلهاً، ولا اتخذ من دونه ولياً^(٣).

وقال الفارابي: أوفيته حقّه ووفّيته - بالتثقيل - أي أعطيته، وتوفّاه الله: أماته من الوفاة بمعنى الموت، قال تعالى: ﴿الله يتوفّى الأنفس حين موتها﴾^(٤) والله هو المتوفّى بصيغة الفاعل، والميت المتوفّى بصيغة المفعول، وقال تعالى: ﴿قل يتوفاكم

(١) الإنسان: ٧.

(٢) النجم: ٣٧.

(٣) علل الشرايع: ٣٧ ح ١، عنه البحار ١٢: ٧٠ ح ١٣، وكنتز الدقائق ١٢: ٥١١، والصافي ٥: ٩٥ عن

الكافي ٢: ٥٣٤ ح ٣٨.

(٤) الزمر: ٤٢.

ملك الموت ﴿^(١) أي يقبض أرواحكم.

وقال تعالى: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ ^(٢) وقال تعالى: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾ ^(٣) أي مستوف أجلك أي آتي عاصمك من أن تصلك الكفار، وموفيك إلى أجل اكتبه لك، ومميتك حتف أنفك لا قتلاً بأيديهم، أو آني قابضك من الأرض إلى السماء.

ووافيته موافاة: أتيته، وأوفى على الشيء: أشرف، ووفى الشيء أي تم وكثر، والأوفى: الأكمل، فوفاه حسابه أي أكمله واستوفاه، وفي الحديث: من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى فليكن آخر قوله: ﴿سبحان رب العزة عما يصفون﴾ * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين ﴿^(٤)﴾ والمكيال الأوفى كناية عن نيل الثواب الأوفى.

واستوفيت عليه الكيل أخذته منه تماماً وافياً، قال تعالى: ﴿إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾ ^(٥) وكل هذه المعاني راجعة إلى مبدأ واحد كما لا يخفى على المتأمل.

و (النذر) لغة الوعد من قولهم: نذرتُ لله كذا - من باب ضرب وقتل - نذراً، أو نذَر ماله نذراً، وشرعاً إلزام المكلف بفعل أو ترك متقرباً، يقال: نذَر على نفسه نذراً، وذلك كأن يقول: إن عافاني الله فله عليّ صدقة أو صوم مّأ بعد طاعة، وفي الحديث: (لا نذر في معصية) ^(٦).

قال بعض الأعلام: هو شامل لما إذا كان نذراً مطلقاً نحو: لله عليّ أن لا أتزوج

(١) السجدة: ١١.

(٢) النحل: ٢٨.

(٣) آل عمران: ٥٥.

(٤) الصافات: ١٨٠ - ١٨٢.

(٥) الكافي ٢: ٤٩٦ ح ٣، من لا يحضره الفقيه ١: ٢١٣ ح ٩٥٤، وفي البحار ٨٦: ٢٣ ح ٢٣.

(٦) المطففين: ٢.

(٧) معاني الأخبار: ١٦٩، عنه البحار ٩٧: ٧٣ ح ٢١.

مثلاً، ومعلقاً نحو: إن شفي مريض فلله عليّ أن أصوم العيد، قال: وذهب المرتضى إلى بطلان النذر المطلق طاعة كان أو معصية وادّعى عليه الإجماع، وقال: إن العرب لا تعرف من النذر إلا ما كان معلقاً كما قاله تغلب، والكتاب والسنة واردة أن بلسانهم، والنقل على خلاف الأصل.

قال: وقد خالفه أكثر علمائنا وحكموا بانعقاد النذر المطلق كالمعلق، ثم نقل ما تمسكوا به على ذلك وردّه، ثم قال: وبالجمله فلا دلالة فيه على ما ينافي مذهب السيد بوجه، ويجوز أن يُراد بالنذر هنا المعنى اللغوي والشرعي فإنّ كلّاً منهما نوع سبب للمغفرة أي لأن يغفر الله ذنوب الناذر، فإنّ الحسنات يذهبن السيئات، والتخصيص بالنذر لعلّه من جهة زيادة مدخلة الوفاء بالنذر والعمل على طبقه في المغفرة.

و (التعريض) تفعيل من قولهم: عرض له أمر كذا أي ظهر، وعرضت عليه أمراً كذا أي أظهرته عليه فاعرض أي ظهر، وعرضت له الشيء تعريضاً أي أظهرته له وأبرزته إليه، ويقال: عرضت له ثوباً مكان حقّه، وعرضتهم على السيف أي جعلتهم في معرضه، ومن هذا المعنى التعريض للمغفرة، فإنّ النذر يعرض الإنسان على المغفرة أي يجعله في معرضها فتعرض المغفرة له وتحيط به، ويتفرّع على المعنى السابق قولهم: عرض العود على الإناء أي وضعه عليه بالعرض.

و (التوفية) الإكمال، وقد مرّت الإشارة إلى معنى هذه المادّة.

و (المكائيل) جمع المكيال وهو آلة الكيل من كَلْتُ زيداُ الطعام كيلاً - من باب باع - يتعدّى إلى مفعولين، وقد تدخل اللام على المفعول الأوّل فيقال: كَلْتُ له الطعام، والإسم الكيلة - بالكسر - كالجلسة والركبة، ومنه المثل: أَحْشَفْأُ وَسُوءُ كيلة^(١) أي أجمع أن تعطيني حَشَفاً وأن تسيء إليّ الكيل.

والمكيال ما يكال به والجمع مكائيل - كما ذكر - والكيل مثله والجمع

(١) راجع لسان العرب ١٢: ٢٠٣ / مادة كيل، والحشف هو الشر أو التمر اليابس الفاسد.

الأكيال، واكتلت منه وعليه إذا أخذت وتولّيت الكيل بنفسي، يقال: كال الدافع واكتال الآخذ، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ﴾ الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾^(١) والدافع المباشر للكيل كائل والآخذ حينئذٍ مكيل بخلاف الآخذ المباشر للكيل فإنه مكتال.

ومنه قولهم: كما تُكيل تُكال وكما تُدين تُدان، ونظير المكائيل فيما ذكر الموازين جمع الميزان وأصله موزان، وعن أبي عبيدة أنه قال: والذي يعرف به أصل الكيل والوزن أن كل ما لزمه اسم المختوم والقفيز والمكوك والصاع والمد فهو كيل أي مكيل بالمكيال، وكل ما لزمه اسم الأرتال والأمناء والأواقي فهو وزن أي موزون بالميزان^(٢).

وفي الحديث النبوي (صلى الله عليه وآله): (المكيال مكيال أهل المدينة والميزان ميزان أهل مكة)^(٣).

قال: وأصل التمر الكيل فلا يجوز أن يُباع وزناً بوزن، لأنه إذا ردّ بعد الوزن أي الكيل لم يؤمن فيه التفاضل، وكل ما كان في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) بمكة والمدينة مكيلاً فلا يباع إلا بالكيل، وكل ما كان بهما موزوناً فلا يباع إلا بالوزن لئلا يدخله الربا بالتفاضل، وهذا في كل نوع يتعلّق به أحكام الشرع من حقوق الله تعالى دون ما يتعامله الناس في بياعاتهم.

فأما المكيال فهو الصاع الذي يتعلّق به وجوب الزكاة والكفّارات والنفقات وغير ذلك، وهو مقدّر بكيل أهل المدينة دون غيرها من البلدان لهذا الحديث، وهو مفعال من الكيل والميم للآلة، وأما الوزن فيريد به الذهب والفضة خاصة لأن حقّ الزكاة يتعلّق بها، ودراهم أهل مكة ستة دنانير ودراهم الإسلام المعدّ له كلّ عشرة سبع مثاقيل، وكان أهل المدينة يتعاملون بالدراهم عند مقدم رسول الله

(١) المطففين: ١-٣.

(٢) راجع لسان العرب ١٢: ٢٠٣ / كيل.

(٣) النهاية ٤: ٢١٨، لسان العرب ١٢: ٢٠٣ / كيل.

(صلى الله عليه وآله) بالعدد فأرشدهم إلى وزن مكة.

وأما الدنانير فكانت تحمل إلى العرب من الروم إلى أن ضرب عبد الملك بن مروان في أيامه دراهم معلومة، وأما الأبطال والأمناء فللناس فيها عادات مختلفة في البلدان فهم معاملون ومجرون عليها، كذا ذكر بعضهم^(١)، والظاهر أن الكيل كان قديماً متداولاً من عهد آدم (عليه السلام).

وأما الميزان فروي أن جبرئيل نزل به في عهد نوح (عليه السلام)، فدفعه إليه وقال: مُر قومك يزنوا به^(٢)، وقوله تعالى: ﴿الوزن يومئذ الحق﴾^(٣) قال الشيخ أبو علي: قيل معناه أن الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وأنه لا ظلم فيها، وقيل: إن الله ينصب ميزاناً له لسان وكفتان فتوزن به أعمال العباد الحسنات والسيئات.

ثم اختلفوا في كيفية الوزن، لأن الأعمال أعراض لا يجوز وزنها، فقيل: توزن صحائف الأعمال، وقيل: تظهر آثار الحسنات والسيئات في الكفتين فيراها الإنسان، وقيل: تظهر الحسنات في صور حسنة والسيئات في صور سيئة، وقيل: يوزن نفس المؤمن ونفس الكافر، وقيل: المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة^(٤).

قوله تعالى: ﴿والسما رفعها ووضع الميزان﴾^(٥) قيل: هو الميزان الظاهري ليتوصل به إلى الإنصاف، ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾^(٦) قيل: أريد الأنبياء والأوصياء، وفي الحديث: (الصلاة ميزان فمن وفى استوفى)^(٧) وكأنها ميزان الأعمال كما أشير إليه سابقاً من أنها:

(١) راجع لسان العرب ١٢: ٢٠٣-٢٠٤.

(٢) راجع تفسير الصافي ٥: ١٣٩، وكنز الدقائق ١٣: ١٠٧، عن تفسير جوامع الجامع.

(٣) الأعراف: ٨.

(٤) مجمع البيان سورة الأعراف، ومجمع البحرين / وزن.

(٥) الرحمن: ٧.

(٦) الأنبياء: ٤٧.

(٧) من لا يحضره الفقيه ١: ١٣٣ ح ٦٢٢، باب فضل الصلاة، والبحار ٨٢: ٢٣٥ ح ٦٢.

إِنْ قُبِلَتْ فَغَيَّرَهَا بِهَا قَبْلَ وَإِنْ تُرِدَّ رُدَّ كُلُّ مَا عَمِلَ
عَلَى مَا وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ.

و (التغيير) إزالة الشيء عن حاله ومكانه وتبديله بأي وجه كان، من غيرته
تغييراً فتغير، مأخوذ من الغير لكون الحال الثاني مثلاً غير الأول.

و (البخس) بتقديم الباء على وزن فلس، هو النقص وبمعنى الناقص أيضاً
مصدراً وصفة، وقد بخسه حقّه بخساً كمنعه إذا نقصه، ويقال: بيع لا بخس ولا
شطط أي قصد لا نقيصة فيه ولا زيادة، ﴿وشروه بثمان بخس﴾^(١) أي ناقص، ويقال
أيضاً بخسه أي عابه، وفي المعنى الأول يتعدى إلى مفعولين، وفي التنزيل: ﴿لا
تبخسوا الناس أشياءهم﴾^(٢) وفي بعض النسخ بدل البخس: البخسة، ولا يتفاوت
المعنى.

والمراد من الفقرة الشريفة أن الله تعالى أمر بتوفية المكائيل والموازن لأنها
مزيلة ومغيرة للبخس، أي أنها مقدرة من جانب الله سبحانه لئلا ينقص مال من لا
ينقص المكيال والميزان، إذ التوفية موجبة للبركة وكثرة المال، أو لئلا ينقصوا
أموال الناس فيكون المقصود أن هذا أمر يحكم العقل بقبحه، أو لئلا ينقص بنقص
المكيال والميزان موازين حسناتهم، كما قال تعالى: ﴿ويل للمطفئين﴾.

و (النهي) خلاف الأمر وهو المنع والزجر وأصله التحريم، يقال: نهيته عنه
نهياً فانتهى أي كفّ، ونهوته نهواً لغة، ويقال: أنه لأمر بالمعروف ونهواً عن المنكر،
ويطلق على العقل النّهية - بضم النون - لأنه ينهى عن القبيح، والجمع: النّهى.

ونهاية الشيء أقصاه لنهيه عن الوصول إليه ثم أطلق لكلّ نهاية، ومنه نهايات
الدار لحدودها، وتناهى الماء إذا وقف في الغدير، وتناهى الأمر أي بلغ النهاية،
وانتهى الأمر إلى الحاكم أعلمته به لأنّ الخبر ينتهي إليه، والإنهاء: الإبلاغ، ويقال:

(١) يوسف: ٢٠.

(٢) الأعراف: ٨٥.

فلان ناهيك من رجل كما تقول: حسبك من رجل.

و (الشرب) بالضم إسم من شربت الماء أو غيره من المائعات شرباً - بالفتح - كما في المصباح^(١)، من باب علم، وقيل: الضم أيضاً لغة في المصدر، ولا يقال في الطائر شرب الماء بل يقال: حساه حسواً، كما يقال: عَبَّ الماء عَباً وهو الشرب بلا مصّ، والظاهر اختصاص الشرب بما كان بالمصّ وقد يستعمل في غيره مجازاً. والشرب - بالكسر - الحظّ والنصيب من الماء، ومنه قوله تعالى: ﴿هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾^(٢) وأشربته: أسقيته، و ﴿أشربوا في قلوبهم العجل﴾^(٣) أي حبّ العجل.

وفي الخبر: (من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة)، قيل: هذا من باب التعليق في البيان، أراد أنّه لم يدخل الجنة لأنّ الخمر من شراب أهل الجنة، فإذا لم يشربها في الآخرة لم يكن دخل الجنة^(٤).

وفي الحديث نهى عن الشرب قائماً^(٥)، قيل: هو للتنزيه لأنّ أعضاء القائم ليست مطمئنة ساكنة، فربّما انحرف الماء عن موضعه المعلوم من المعدة فيؤذي، وفي رواية أخرى عن عليّ (عليه السلام) أنّه كان يشرب الماء وهو قائم^(٦)، وعن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: (الشرب قائماً أقوى لك وأصح)^(٧). وحُمل الخبر الأوّل الناهي عن الشرب قائماً على الشرب في الليل، والثاني

(١) المصباح المنير: ٣٠٨/الشرب.

(٢) الشعراء: ١٥٥.

(٣) البقرة: ٩٣.

(٤) النهاية: ٢: ٤٥٥، لسان العرب ٧: ٦٤/شرب.

(٥) الاستبصار: ٤: ٩٢ ح ١، والتهذيب ٩: ٩٥ ح ١٤٧، والوسائل ١٧: ١٩٢ ح ٦.

(٦) المحاسن ٢: ٤٠٨ ح ٥٢، عنه البحار ٦٦: ٤٦٩ ح ٤٠، وفي الكافي ٦: ٣٨٣ ح ٦، والوسائل ١٧: ١٩٤ ح ٤.

(٧) التهذيب ٩: ٩٤ ح ١٤٤، والاستبصار ٤: ٩٣ ح ٢، والوسائل ١٧: ١٩٢ ح ٥، ونحوه المحاسن ٢: ٤١٠ ح ٥٩، عنه البحار ٦٦: ٤٧١ ح ٤٨.

المرجّح للشرب قائماً عليه في النهار، ولعلّ الوجه أن أصل الشرب قائماً أفضل، لكن لو شرب في الليل قائماً فربما كان فيه عقرب أو غيره ممّا يسقط فيه في الليل من السوام، فربما يشربه فيؤدّي إلى ضرره واهلاكه، فإذا قعد يرى غالباً بنور السراج وغيره الماء فيرى ما سقط فيه، وهذا من باب الحكمة لا العلة.

و (الخمّر) هو المسكر المعروف المائع المأخوذ من ماء العنب، قال ابن الأعرابي: سمّيت الخمر خمراً لأنّها تركت فاختمرت واختمارها تغيّر ريحها، وقيل: سمّيت بذلك لمخامرتها العقل^(١)، وقيل: أصل الخمر بمعنى الستر وسمّيت الخمر خمراً لسترها العقل، ومنه الخمار - بالكسر - للمقنعة لسترها رأس المرأة. والخمار بقية السكر، ويقال: ما عند فلان خلّ ولا خمّر أي خير ولا شر، والخمير: الدائم الشرب، والخمار: يتّاع الخمر، والخمرة - بالضم - ما يجعل فيه الخمر، وأخمرت الشيء: أضمرته، وخمر عني فلان - من باب قتل - إذا توارى، وخمرت الإناء تخميراً أي غطيته.

وبالجملة فالخمر على قول هو المخصوص بالعصير العنبي، وأمّا المسكر المعمول من غيره فيقال له النقيع في الزبيب والبّتع - بتقديم الباء المكسورة - في العسل، والجعة - بالكسر - في الشعير، والمزّر - بتقديم الزاء مع كسر الميم - في الحنطة، والنبذ في التمر، والفضيخ في البسر، إلى غير ذلك من الأسماء المخصوصة.

واشتهر بينهم أن الخمر هو كلّ شراب مسكر مطلقاً ولا يختصّ بعصير العنب، وعن القاموس: إن العموم أصحّ لأنّها حرّمت وما في المدينة يومئذٍ خمّر عنبي، وما كان شرابهم إلّا من التمر أو البسر^(٢).

وفي الرواية عن الصادق (عليه السّلام) أنّه قال: قال رسول الله

(١) راجع لسان العرب ٤: ٢١١ / خمّر.

(٢) القاموس المحيط: ٤٩٥ / الخمّر.

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): الخمر من خمسة: العصير من الكرم، والنقيع من الزبيب، والبتع من العسل، والمزر من الشعير، والتبذ من التمر^(١).

وفي الكافي بسند صحيح عن أبي الحسن الماضي (عليه السلام) قال: إِنَّ الله لم يحرم الخمر لاسمها ولكن حرّمها لعاقبتها، فما كان عاقبته عاقبة الخمر فهو خمر^(٢).

وفي الخبر الآخر: الفقّاع خمر استضرّغه الناس^(٣).

و (الرجس) بكسر الراء القدر والمنتن أو كلّما يجب التنزّه عنه، وقال الفارابي: كلّ شيء يستقدر فهو رجس، قال تعالى: ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾^(٤) أي تنناً إلى ننتهم، أو القذارة على القذارة من حيث المراتب الظاهرية والباطنية.

وقيل: الرجس هو النجس، وقيل: بل الرجس أعمّ من النجس لأنّ النجس هو القدر الخارج من بدن الإنسان، والرجس مطلق كالقذر، ورجس رجساً - من باب تعب وقرب أيضاً - أي صار قذراً، وقد يعبر بالرجس عن الحرام، والفعل القبيح، والعذاب، واللعنة، والكفر ونحو ذلك.

وهذه كلّها معان حقيقية له إن كان الرجس بمعنى ما يجب التنزّه عنه مطلقاً، وقوله تعالى: ﴿إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾^(٥) أي فعل قبيح أو شيء نجس أو نحو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون﴾^(٦) قال الفرّاء: المراد به

(١) الكافي ٦: ٣٩٢ ح ١، والتهذيب ٩: ١٠١ ح ١٧٧، والوسائل ١٧: ٢٢١ ح ١.

(٢) الكافي ٦: ٤١٢ ح ٢، والتهذيب ٩: ١١٢ ح ٢٢١، والوسائل ١٧: ٢٧٣ ح ١.

(٣) راجع الكافي ٦: ٤٢٣ ح ٩، والتهذيب ٩: ١٢٥ ح ٢٧٥، والإستبصار ٤: ٩٥ ح ٦، والوسائل ١٧: ٢٦٢ ح ١ وفيها: (هي خمرة) وفي الباقي: (هي خميرة).

(٤) التوبة: ١٢٥.

(٥) المائدة: ٩٠.

(٦) يونس: ١٠٠.

العقاب والغضب، وهو مضارع لقوله تعالى: ﴿والرجز فاهجر﴾^(١)، قال: ولعلهما لغتان بدلت السين زاءً كما قيل الأسد للأزد^(٢)، وقيل: المراد بالرجس في الآية اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة، ولو فُسر الرجس بمعنى النجس والقذر الظاهري أمكن أن يستدلّ بالفقرة الشريفة على نجاسة الخمر^(٣).

و (الإجتنب) والتجنب والإحتراز من جنبت الرجل شراً - من باب قعد - أبعدته عنه، وجنبته - بالتثقيل - مبالغة فيه، وأصل المادة هو الجنب وهو طرف الإنسان أي ماتحت ابطنه إلى الكشح فما دون، والشخص إذا تجنب الشيء الآخر بعده عن جنبه وإلى جنبه، ومنه الجانب أيضاً للناحية، والأجنب والأجنبي للأبعد من الإنسان أي الذي ليس بينك وبينه قرابة، وكذا الجنب والجَنَيبَة للفرس الذي يقاد ونحو ذلك، وكذا الجُنُب - بضمّتين - بمعنى البعيد.

ومنه قوله تعالى: ﴿قبصرت به عن جُنُبٍ﴾ أي عن مكان بعيد ﴿وهم لا يشعرون﴾^(٤) ولعلّ منه الجُنُب لذي الجنابة المعروفة من جنب كقرب وأجنب كأبصر، والجنابة هي النجاسة المعروفة الوهميّة أي الباطنيّة الحاصلة من خروج منّي أو جماع، قيل: وسمّي الجنب جنباً لاجتنابه موضع الصلاة، ويستوي في لفظ الجنب المذكر والمؤنث والواحد والإثنان والجماعة.

و (القذف) رمي الغير بالفاحشة، وأصله الرمي بشيء مطلقاً أو رمياً مع قوّة، يقال: قذفت بالحجارة قذفاً - من باب ضرب - رميت بها، يقال: هم بين حاذف

(١) المدثر: ٥.

(٢) راجع لسان العرب ٥: ١٤٧ / رجس.

(٣) اختلف الأصحاب في نجاسة الخمر فذهب الشيخ المفيد والطوسي والمرتضى واكثر الأصحاب إلى أنّه نجس العين، وقال ابن أبي عقيل: من أصاب ثوبه أو جسده خمر أو مسكر لم يكن عليه غسلها، لأنّ الله تعالى إنّما حرّمهما تعبداً لا لأنّهما نجسان، وكذلك سبيل العصير والخل إذا أصاب الثوب والجسد، ونحوه نال الصدوق في من لا يحضره الفقيه (راجع مدارك الأحكام ٢: ٢٨٩).

(٤) القصص: ١١.

وقاذف، فالحاذف بالعصا والقاذف بالحجارة، وقذفت الحائض الدم أي رمته. وفي الخبر: (إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرّاً)^(١) أي يُلقِي ويُوقع، وقذف الرجل أي قاء كأنه رمى بالقيء من باطنه إلى الخارج، والقذيفة: القبيحة وهي الشتم، وقذف بقوله: تكلم من غير تدبّر ولا تأمل.

و (الحِجَاب) بالكسر: الستر كذلك، وهو ما يُحجب به كاللباس والنظام والكتاب والقوام ونحو ذلك من حجه حجباً - من باب قتل - منعه، إذ الحجاب يمنع المشاهدة، وقيل للبواب حاجب لأنّه يمنع الدخول.

والأصل في الحجاب جسم حائل بين جسدين، وقد استعمل في المعاني أيضاً، فقيل: العجز حجاب بين الإنسان وبين أمره ومراده، والمعصية حجاب بين العبد وبين ربّه، وجمعه حجب ككتاب وكتب، واحتجب الملك عن الناس أي استتر، وقوله تعالى: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾^(٢) وكذا في حديث الصلاة، أي حتى غابت الشمس في الأفق واستترت به.

وفيه: إنّ الله يغفر للعبد ما لم يقع الحجاب، قيل: يا رسول الله وما الحجاب؟ قال: أن تموت النفس وهي مشرّكة^(٣). كأنّها حجبت بالموت مع الشرك عن الإيمان، ويجوز أن يكون الموت هو الحجاب لكونه حجاباً عن الرجوع إلى الدنيا، أو حجاباً عن أن يكون إيمانه نافعاً، كما قال تعالى: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾^(٤).

ومنه: (من اطلع الحجاب واقع ما وراءه) أي إذا مات الإنسان رأى ما وراء الحجابين: حجاب الجنّة وحجاب النار، وقيل: اطلاع الحجاب مدّ الرأس، لأنّ المطالع يمدّ رأسه ينظر من وراء الحجاب وهو الستر، وقوله تعالى: ﴿وبينهما

(١) النهاية ٤: ٢٩، لسان العرب ١١: ٧٥ / قذف.

(٢) ص: ٣٢.

(٣) النهاية ١: ٣٤٠، لسان العرب ٣: ٥١ / حجب.

(٤) غافر: ٨٥.

حجاب»^(١) أي بين الجنة والنار أو بين أهلها يعني سور أو حجاب حاجز. وفي الحديث: (حجبت الجنة بالمكاره وحجبت النار بالشهوات) أي لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار إلا بالشهوات، وقد روي (حُفَّت الجنة بالمكاره)^(٢)، وهذه الرواية أيضاً مشهورة، وضمّنهُ الشاعر اقتباساً في قوله: قال لي إن رقيبِي سيءُ الخلق فداره قلت دعني وجهك الجنة حُفَّت بالمكاره و (اللعن) هو الطرد مطلقاً، والعرب تقول لكل كرية ملعون، والإسم اللعنة، ورجل لَعْنَةٌ كهزمة لمزة: يلعن الناس كثيراً، واشتهر اللعن في الطرد عن الرحمة، وقوله تعالى: ﴿كما لعنّا أصحاب السبت﴾^(٣) أي طردناهم عن الرحمة بالمسوخ، و﴿لعنهم الله بكفرهم﴾^(٤) أي أبعدهم وطردهم من الرحمة. والشجرة الملعونة في القرآن أي الملعون أهلها، وقوله تعالى: ﴿ويلعنهم اللاعنون﴾^(٥) قيل: إن الإثنين إذا تلاعنا وكان أحدهما غير مستحق للّعن رجعت اللعنة على المستحق لها، فإن لم يستحق لها أحد رجعت اللعنة إلى اليهود^(٦)، والرجل لعين وملعون والمرأة لعين أيضاً وملعونة. وعن الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ملعون كلّ جسد لا يزكّي ولو في أربعين يوماً مرة، ثمّ قال لأصحابه: أتدرون ما عنيت؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: الرجل يخدش الخدشة، وينكّب النكبة، ويعثر العثرة، ويمرض المرضى، ويشاك الشوكة، وما أشبه هذا^(٧). وقوله ملعون أي ملعون صاحبه أي مطرود مبعد عن رحمة الله.

(١) الأعراف: ٤٦.

(٢) نهج البلاغة الخطبة: ١٧٦، والبحار ٧٠: ٧٨ ح ١٢.

(٣) النساء: ٤٧.

(٤) البقرة: ٨٨.

(٥) البقرة: ١٥٩.

(٦) قالها ابن مسعود، راجع لسان العرب ١٢: ٢٩٢ / لعن.

(٧) قرب الإسناد: ٦٨ ح ٢١٨، عنه البحار ٨١: ١٨١ ح ٢٨، وفي الكافي ٢: ١٩٩ ح ٢٦.

والملاعنة المباهلة ومنه اللعان، وهو في اللغة الطرد والبعد، فإنَّ أحدهما لا بدَّ أن يكون كاذباً فيلحقه الإسم، وشرعاً المباهلة بين الزوجين في إزالة حدٍّ، أو نفي ولد بلفظ مخصوص، وفي الحديث: (اتقوا الملاعن الثلاث)^(١) جمع ملعنة، وهي الفعلة التي يلعن بها فاعلها كأنَّها مظنة اللعن ومحلُّ له، وهو أن يتغوَّط الإنسان على قارعة الطريق، أو ظلَّ الشجرة، أو جانب النهر، فإذا مرَّ بها الناس لعنوا فاعلها.

وجاء اللعن بمعنى السب أيضاً، وهو متفرَّع من المعنى الأوَّل، والمراد من اللعنة في الفقرة الشريفة لعنة الله أو لعنة القاذف والمقدوف، والأوَّل أظهر لقوله تعالى: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾^(٢).

و (السَّرِقَةُ) ككلمة ويجري فيها اللغات الجارية في الكلمة: مصدراً واسم مصدر من قولك سرقته أو سرقت منه مالاً من باب ضرب سرقاً - بالتحريك -، يُتعدَّى إلى الأوَّل بنفسه وبالحرف على الزيادة.

وسرق السمع واسترقه بمعنى سمعه مستخفياً مجازاً لتشبيهه بما يفعله السارق، وسرقه - بالتضعيف - أي نسبته إلى السرقة، وقرئ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقٌ﴾^(٣) بصيغة الفاعل والمفعول أي معلوماً ومجهولاً.

و (الإيجاب) الإثبات، وقد مرَّت الإشارة إلى معنى هذه المادة والمراد هنا السببية.

و (العِفَّة) بكسر العين وتشديد الفاء من قولهم: عَفَّ الشيء عَفَّةً أي كَفَّ عنه كالتعفُّف، والمراد هنا الكَفَّ عن الحرام وعمَّا يكره مطلقاً كالسؤال ونحوه، وأَعَفَّهُ: كَفَّهُ.

(١) النهاية ٤: ٢٥٥، لسان العرب ١٢: ٢٩٣ / لعن، والبحار ٧٢: ١١٣ ح ١١.

(٢) النور: ٢٣.

(٣) يوسف: ٨١.

وفي حديث الدعاء: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْغَنَى) ^(١) وعَفْوُ الفرج صونه عن المحرمات، ومنه: (اللهم حصّن فرجي) ^(٢) والإستعفاف طلب العَفَّة أو هو مبالغتها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعَفُّوا الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ ^(٣) أي سبب النكاح ومقدّمته وهو المهر والنفقة.

وفي الخبر: (أفضل العبادَةِ الْعَفَافُ) ^(٤) بالفتح أي العَفَّة، وفيه أيضاً: (من يستعفف يعفّه الله) ^(٥) أي من طلب العَفَّة وتكلّفها أعطاه الله إيّاها، وأصل العَفَّة والاستعفاف الصبر والنزاهة عن الشيء، والمرء عفيف وعَفّ - بفتح العين - والمرأة عفيفة وعَفَّة.

والمراد من العَفَّة هنا العَفَّة عن التصرف في أموال الناس مطلقاً، أو العَفَّة عن المكاره الدنيويّة والأخرويّة الواردة عليه من جهة السرقة، وفي الكشف بعد قوله للعَفَّة: (والتنزّه عن أموال الأيتام، والاستيثار بفيئهم إجارة من الظلم، والعدل في الأحكام ايثار للرعيّة) ^(٦)، والمراد من الاستيثار طلب المشورة في حفظ فيئهم أي ضبط نصيبهم من الفيء.

و (التحريم) هو جعل الشيء ممنوعاً لازماً يوجب فعله العقاب. و (الشرك) هو نوع مخصوص من الكفر على ما مرّ، فإنّ من لم يشرك بالله قد أخلص لله الربوبيّة، وكان ممّن يعبد الله مخلصاً له الدين، وفي بعض النسخ: (وحرّم الشرك) وفي الكشف بدل تحريم الشرك التنزيه عن الشرك، والكلّ واضح. ﴿فاتقوا الله حقّ تقاته﴾ المفعول المطلق هنا نوعي أي تقاة حقّ التقاة، وهو

(١) النهاية ٣: ٢٦٤، لسان العرب ٩: ٢٩٠ / عفّف.

(٢) البحار ٨٠: ١٨٠ ح ٢٩.

(٣) النور: ٣٣.

(٤) الكافي ٢: ٧٩ ح ٣، عنه البحار ٧١: ٢٦٩ ح ٣، وفي مكارم الأخلاق: ٢٦٩، وفلاح السائل: ٢٧.

(٥) النهاية ٣: ٢٦٤ / عفّف، والبحار ٧١: ٤٠٥.

(٦) كشف الغمّة ٢: ١١٠، وفيها: أكل أموال الأيتام والاستيثار..

تظير اضرب ظرب الأمير، والمراد من حقّ النقاۃ النقاۃ الكاملة التي لا مسامحة فيها.

﴿ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون﴾ أي لا يدرككم الموت إلّا في حال إسلامكم أي لا ترتدّوا عن الإسلام بعد النبي (صلّى الله عليه وآله)، فيدرككم الموت وأنتم في غمرة الإرتداد ساهون، وعن طريق الحق ضالّون، وعن الصراط ناكبون. وهو إشارة إلى ما ورد أنّه: إرتد الناس كلّهم بعد النبي (صلّى الله عليه وآله) إلّا أربعة: سلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمّار^(١)، أو إلّا الثلاثة كما في بعض الأخبار^(٢)، كما قال تعالى: ﴿وما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم﴾^(٣).

﴿واطيعوا الله فيما أمركم به﴾ بلسان رسوله (صلّى الله عليه وآله) ونهاكم عنه بقوله، ﴿فما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ فإنّه (إنّما يخشى الله من عباده العلماء) أي الذين علموا به وبأحكامه وبصفات جلاله وإكرامه، فإنّ من كان علمه أكثر كانت خشيته أكثر^(٤).

هرکه او بیدارتر پردرد تر هرکه او آگاهتر رخ زرد تر والمراد أنّ الخشية الكاملة هي وظيفة العلماء إذ لا خشية إلّا بقدر العلم والمعرفة.



(١) راجع البحار ٢٢: ٣٢٨ ح ٣٥، نحوه.

(٢) اختيار معرفة الرجال ١: ٤٧ ح ٢٤، عنه البحار ٢٢: ٤٤٠ ح ٩.

(٣) آل عمران: ١٤٤.

(٤) ويدلّ عليه قوله (عليه السّلام) في دعاء كميل: (وعلى ضائر حوت من العلم بك حتى صارت خاشعة).

ثم قالت (عليها السلام):

«أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا فَاطِمَةُ وَأَبِي مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)،
أَقُولُهَا حَقًّا عَوْدًا وَبَدْءًا، وَلَا أَقُولُ مَا أَقُولُ غَلَطًا، وَلَا أَفْعَلُ مَا
أَفْعَلُ شَطَطًا، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فَإِنْ تَعَزَّوْهُ وَتَعَرَّفُوهُ
تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسَائِكُمْ، وَأَخَا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ، وَلِنِعْمَ
الْمَغْزِيُّ إِلَيْهِ، فَبَلَّغِ الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِالنَّدَاةِ، مَائِلًا عَنْ مَذْرَجَةِ
الْمُشْرِكِينَ، ضَارِبًا تَبَجُّهُمُ، أَخِذْ أَبَا كُظَامٍ إِلَيْهِمْ، دَاعِيًا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ
بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الْأَضْنَامَ، وَيَنْكُتُ الْهَامَ حَتَّى
انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوْا الدُّبُرَ، حَتَّى تَقْرَى اللَّيْلَ عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ
الْحَقُّ عَنْ مَخْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَخَرَسَتْ شَفَاقُ
الشَّيَاطِينِ، وَطَاحَ وَشِيطُ النَّفَاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقْدُ الْكُفْرِ
وَالشَّفَاقِ».

بيان:

قولها (عليها السلام): (أَيُّهَا النَّاسُ) منادى حذف منه حرف النداء لكثرة
الإستعمال، وإذا أريد المبالغة في التنبيه ذكر حرف النداء فيقال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، وإذا
أريد الإشارة إلى الإستعجال وضيق المجال، ولو من حيث الإيهام إلى ضيقه من
حيث الاهتمام لذكر المطلوب الأهم حذف حرف النداء، وأصل المنادى واقعاً هو
الناس، وظاهراً هو أيُّها، والناس صفة أو بدل أو عطف بيان، وتفصيل الكلام
مذكور في كتب النحو.

وقولها (عليها السلام): (أَقُولُهَا حَقًّا) أي أقول الكلمة السابقة حقاً أي بحق، أو
حققت هذه الكلمة حقاً، أو حقّت هي حقاً، أو أقولها محقّة فيما أقول أي لا شك أنّي
فاطمة التي قال فيها النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): (فاطمة بضعة مني) كما لا شك أنّي
بنت محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وهو أبي، فلا تنكروا ميراثه أو عطيتّه في حقّي.

وكلّ من الفقرتين صالحة لأن يرجع الضمير إليها، كما يجوز رجوعه إليهما معاً بجعلهما ككلمة واحدة من حيث الهيئة التركيبية، أو المراد بالضمير ما تقولها بعد ذلك في مقام المنازعة.

قولها (عليها السلام): (عَوْدًا وَبَدْءًا) العود مصدر قولك عاد إلى كذا ولكذا يعود عوداً أو عودة صار إليه ورجع، وهو يستلزم كونه عليه أولاً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوا عَادُوا لَمَانَهُوا عَنْهُ﴾^(١) وفي المثل: (العود أحمد)^(٢)، قال الشاعر:

جَزَيْنَا بَنِي شَيْبَانَ أَمْسٍ بِقَرْضِهِمْ وَجِئْنَا بِمِثْلِ الْبَدْءِ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ^(٣)

والمعاد هو محلّ العود، ويقال للمعشر المعاد لأنّ الناس منه فارقون وإليه راجعون عائدون.

فرقتي لو لم تكن في ذا السكون لم يقل أنا إليه راجعون
راجع أن باشد كه باز آید به شهر سوى وحدت آید از تفريق دهر
وله تفصيل موکول إلى محلّه معلوم عند أهله.

وفي الصحاح: قد عاد إليه بعد ما كان أعرض عنه، والمعاد: المصير والمرجع، والآخرة معاد الخلق، إنتهى^(٤).

وفي أسمائه المعيد، وهو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات في الدنيا، وبعد الممات إلى الحياة يوم القيامة، ومنه الحديث: (إنّ الله يحبّ الرجل القويّ المبدئ المعيد)^(٥) أي الذي أبدأ في غزوة وأعاد فغزا مرّة بعد مرّة، أو جرّب الأمور طوراً بعد طور، والفرس المبدئ المعيد هو الذي غزا عليه صاحبه مرّة بعد مرّة، وقيل: هو الذي قد رُيّض وأدب فهو طوع راكمه.

(١) الأنعام: ٢٨.

(٢) راجع لسان العرب ٩: ٤٥٨ / عود، والصحاح ٢: ٥١٣.

(٣) الصحاح ٢: ٥١٤، لسان العرب ٩: ٤٥٨ / عود.

(٤) الصحاح ٢: ٥١٤ / عود.

(٥) لسان العرب ٩: ٤٥٨ / عود، والبحار ٦٤: ١٨٤.

وفي حديث عليّ (عليه السلام): (والحكم لله والمعود إليه يوم القيامة) قال في النهاية: أي المعاد، هكذا جاء المَعُود على الأصل، وهو مَفْعَل من غَاد يَعُود، ومن حق أمثاله أن تُقْلَب واوه ألفاً كالمَقَام والمَرَّاح، ولكنه استعمل على الأصل^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾^(٢) قيل: لراجع لك إلى مكة وهي معاد الحج لأنهم يعودون إليها، ومعاد الرجل بلدته لأنه يطوف البلاد ثم يعود إليها، وقيل: إلى المعاد الذي هو بعث الأجسام البشرية، وتعلق أنفسها بها للنفع أو الإنتصاف والجزاء، ويكون المعاد مصدراً ميميّاً، ويوم المعاد يحتمل الوجهين.

والبدء مصدر قولك بدأت بالشيء أَبْدَأُ بَدْءاً - من باب منع - ابتدأت به، والبدء كالبَدْء بمعنى الإبتداء، وبَدَأَ اللهُ الخلق وأَبْدَأَهُمْ بمعنى، وفلان ما يبدئ وما يعيد أي ما يتكلم ببائدة ولا عائدة، وقد مرّت الإشارة إلى تفصيل معاني هذه المادة.

ويقال: رجع عوده إلى بدئه إذا رجع في الطريق الخاص الذي جاء منه، وفعل ذلك عوداً وبَدْءاً، وفي عوده وبدئه، وفي عودته وبدئه ته كلّها بمعنى، وهو كذلك بادئ الرأي أي في أوّل رأي رآه، وابتدأه بادئ الرأي غير مهموز من البدو بمعنى الظهور أي في ظاهر الرأي والنظر، قال بعض الأفاضل: عوداً وبَدْءاً أي أولاً وآخراً.

وفي رواية ابن أبي الحديد وغيره: (أقول عوداً على بدء)^(٣) والمعنى واحد، والمراد من الفقرة أنّي أقول هذه الكلمة أولاً وآخراً، وأعود إليها مرّة بعد أخرى، ولا أتركها بل ألزمها وأمارسها.

و (الشطط) بالتحريك: البعد عن الحقّ ومجاوزة الحد في كلّ شيء، وفي

(١) النهاية ٣: ٣١٦، ولسان العرب ٩: ٤٦٠ / عود.

(٢) القصص: ٨٥.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢١٢ باب ٤٥.

الكشف: (ما أقول ذلك سرفاً ولا شططاً)^(١).

وأصل الشطط هو البعد الجسماني مصدر قولك: شطت الدار شطاً وشطوطاً - من باب نصر وضرب - أي بعدت، ثم استعمل في البعد المعنوي والتجاوز عن الحد والمقدار ونحو ذلك، واشطّ واشتطّ في السوم أي ابعد، وشطّ فلان في حكمه وأشطّ إذا جار، ومنه قوله تعالى: ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تُشطط﴾^(٢).

وفي الحديث: (لها مهزٌ مثلها لا وكس ولا شطط)^(٣) أي لا نقصان ولا زيادة، والمراد هنا أنني لا أطلب فذك ولا أفعل فيها من المنازعة من باب البعد عن الحق والتجاوز عن القدر، بل هي حق يلزم عليّ أن أطلبه ولا يسوغ لي أن أتركه. ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ عني بالرسول محمداً (صلى الله عليه وآله) أي جاءكم رسول من جنسكم من البشر، ثم من العرب، ثم من بني إسماعيل، ثم من أهل مكة، والمراد أنه من نكاح طيب لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، كما روى عن الصادق (عليه السلام)^(٤).

وروى ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح الإسلام^(٥).

وعلى الوجه الأول قيل: وإنما من الله سبحانه عليهم بكونه منهم، لأنهم إذا عرفوا مولده ومنشأه وشاهدوه صغيراً وكبيراً، وعرفوا حاله في صدقه وأمانته، ولم يعثروا على شيء يوجب نقصاً فيه، فبالحرى أن يكونوا أقرب إلى القبول منه والإنقياد له.

وعن القمي: (رسول من أنفسكم) أي مثلكم في الخلقة، قال: ويُقرأ من

(١) كشف الغمة ٢: ١١١.

(٢) ص: ٢٢.

(٣) النهاية ٢: ٤٧٥، ولسان العرب ٧: ١١٩ / شطط.

(٤) مجمع البيان سورة التوبة آية: ١٢٨، وتفسير كنز الدقائق ٥: ٥٧٩.

(٥) مجمع البيان سورة التوبة آية: ١٢٨.

أنفسكم - بفتح الفاء - أي من أشرفكم^(١).

وفي الجوامع: قيل: هو قراءة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفاطمة (عليها السلام)^(٢).

﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ أي شاق شديد عليه عنتم ولقاءكم المكروه، والعنت هو المشقة، أو ما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان أو مطلقاً، أو ما أتمتم، أو ما أعنتكم وضرركم، أو ما هلكتم عليه، أو ما أنكرتم وجحدتم.
(حريص عليكم) أي على إيمانكم باصلاح شأنكم حتى لا يخرج أحد منكم عن الاستسعاد بدينه الذي جاء به، أو حريص على من لم يؤمن أن يؤمن بالمؤمنين.

(رؤوف رحيم) قيل: هما واحد، والرافة شدة الرحمة والتقديم لرعاية الفواصل، قيل: رؤوف بالمطيعين منهم رحيم بالمذنبين، وقيل: رؤوف بأقربائه رحيم بأوليائه، أو رؤوف لمن رآه رحيم بمن لم يره، أو رؤوف بالمؤمنين منكم ومن غيركم ورحيم عليهم.

وقال بعض السلف: لم يجمع الله سبحانه لأحد من الأنبياء بين اسمين من أسمائه إلا النبي (صلى الله عليه وآله)، فإنه قال: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ وقال: ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾^(٣).

قولها (عليها السلام): (فإن تعزوه) هو من قولهم: عزوته إلى أبيه نسبته إليه، وعزيتة لغة أيضاً فاعتزى هو وتعزى أي انتمى وانتسب، والإسم العزاء، وفي الحديث: (من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا)^(٤) يعني بنسب الجاهلية، وهو الانتساب إلى القوم بأن يقول عند ندائه: أنا فلان بن فلان، ينتمي

(١) تفسير القمي ١: ٣٠٨، وكنز الدقائق ٥: ٥٧٩، والصابي ٢: ٣٩١.

(٢) جوامع الجامع ٢: ٩٤، وكنز الدقائق ٥: ٥٧٩، والصابي ٢: ٣٩١.

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) النهاية ٣: ٢٣٣، ولسان العرب ٩: ١٩٦ / عزاء، والبحار ٣٢: ٩١.

إلى أبيه وجده لشرفه وغير ذلك ونحو ذلك.

ومنه العزاء والعزوة اسماً لدعوى المستغيث، وهو أن يقول: يالفلان أو للمهاجرين والأنصار، ومنه الحديث الآخر: (من لم يتعزّ بعزاء الله فليس منا)^(١) أي من لم يدعُ بدعوى الإسلام حتى يقولوا ياللمسلمين، أو هو من التعزية في المصيبة.

وأصلها نسبة الحكم إلى أمر الله، وهي موجبة للتصبر عند المصيبة والتسلي عنها، فيكون المراد من التعزي بعزاء الله أن يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون كما أمر الله، ومعنى قوله: بعزاء الله أي بتعزية الله إياه، فأقام الاسم مقام المصدر ثم استعمل عزى يعزي - من باب تعب - بمعنى صبر على البلاء.

وعزيته تعزية قلت: أحسن الله عزاك أي رزقك الصبر الحسن، فالعزاء هنا مصدر أو اسم مصدر مثل سلم سلاماً، وكلّم كلاماً، وتعزى هو أي تصبّر وشعّاره أن يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، وفي الحديث أيضاً: (من لم يتعزّ بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات)^(٢).

والمراد من الفقرة الشريفة أنكم إن ذكرتم نسب الرسول وعرفتموه تجدوه أبي وأخا ابن عمي، أي شرف الانتساب إليه (صلّى الله عليه وآله) إنّما هو مخصوص بنا رجالاً ونساءً لا بكم، ولا هو مشترك بيننا وبينكم، فلم تمنعون ميراثنا، وتغتصبون حق خلافتنا، وتعرضون بنا في فلك التي وهبها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لنا.

وذكر الأخوة في مقام ذكر النسب استطراد، أو أنّ المراد من الانتساب أعمّ من النسب ومما طرأ أخيراً بالمؤاخاة ونحوها، ويمكن أن يكون أخا بصيغة الماضي.

وفي بعض الروايات: (فإن تعزّروه وتوقّروه) والتعزير التعظيم والتوقير،

(١) النهاية ٣: ٢٣٣، لسان العرب ٩: ١٩٦ / عزاء، والبحار ٢٢: ٥٣٨.

(٢) تفسير القمي ٢: ٦٦، عنه البحار ٧٣: ٨٩ ح ٥٨، وفي الخصال: ٦٤ ح ٩٥ باب ٢.

ويكون هذا أيضاً كناية عن ذكر نسبه، فإنّ في ذكر نسبه (صلى الله عليه وآله) تعظيماً له وتوقيراً، حيث أنّه كان نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة، لم تتجسسه الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسه من مدلهمات ثيابها.

و (المعزيّ إليه) هو النبي (صلى الله عليه وآله)، أي أنّ نسبتي إليه وأنا بنته كما فهم من قولها (عليها السلام) (تجدوه أبي دون نساكنكم) أي هو (صلى الله عليه وآله) أبي وليس أبا نساكنكم، فأنا مخصوصة بتلك النسبة من بين نساء الأمة، ونعم المنسوب إليه الرسول المشار إليه، والمعزيّ كرميّ إسم مفعول من المجزّد، ويجوز أن يجعل مفعولاً من المزيد من باب التفعيل إن جعل التضعيف للمبالغة إلا أنّه مرجوح.

و (الرسالة) في الأصل مصدر وهو وصف الرسول، ولا معنى ظاهراً لتبليغها، فالمراد بها ما يلزم للرسول أن يبلغه وهو الأمر المرسل به.

وقولها (عليها السلام) (صادعاً بالندارة) صادعاً إسم فاعل من الصدع بمعنى الإظهار، تقول: صدعت الشيء صدعاً - من باب منع - أي أظهرته، وصدعت بالحقّ إذا تكلمت به جهاراً، قال الله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾^(١) قال الفراء: أي فاصدع بالأمر أي أظهر دينك الذي أمرت به وبإظهاره^(٢).

وقيل: أبنة إبانة لا تنمحي كما لا يلتئم صدع الزجاجة، والكلام استعارة، والمستعار منه كسر الزجاجة، والمستعار له التبليغ، والجامع التأثر، وقيل: فرّق بين الحق والباطل، وقيل: شق جماعاتهم بالتوحيد أو بالقرآن.

وأصل الصدع هو الشق مطلقاً أو الشق الذي يظهر منه الصوت، يقال: صدعته فانصدع أي انشق، وصدعت الزجاجة فانصدعت والإسم أيضاً الصدع، ومنه قوله تعالى: ﴿والأرض ذات الصدع﴾^(٣) أي ذات انشقاق بالسحاب.

(١) الحجر: ٩٤.

(٢) راجع لسان العرب ٧: ٣٠٤ / صدع.

(٣) الطارق: ١٢.

والصديع: الصبح، وَصَدَعْتُ الفلاة: قطعتها، وصدعت القوم فتصدّعوا أي فرقتهم فتفرّقوا، وفي حديث الإستسقاء: (فَتَصَدَّعَ السحابُ صِدْعاً) ^(١) أي تفرّق، والصداع وجع الرأس، وصدّع فلان تصديعاً - بالبناء للمفعول - أي أخذه وجع الرأس.

و (النِّذَارَةُ) بالكسر على وزن العمامة ما ينذر به من الإنذار بمعنى الإعلام على وجه التخفيف، وقيل: أنذرت الرجل كذا بمعنى أبلغته كذا، وأكثر ما يستعمل في التخويف كقوله تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ ^(٢) أي خوف عذابه، والفاعل المنذر ونذير وجمع الأخير نُذُرٌ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾ ^(٣) أي إِنَّمَا يَنْفَعُ إِنْذَارُكَ مَنْ يَخَافُهَا، و ﴿جَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ ^(٤) أي الرسول المنذر من عذاب الله، أو المراد منه إمارات عذابه تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ^(٥) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنا المنذر وعليّ الهادي ^(٦)، وروي أنّ الآية نزلت: إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَعَلَيَّ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ. ويجوز أن يكون المراد أنّ شأنك الإنذار والهداية التي نسبت إليك مظهرها عليّ، وهو منك وأنت منه لحمه من لحمك ودمه من دمك. قال الباقر (عليه السلام): أما والله ما ذهبت - يعني الهداية - منّا، وما زالت فينا إلى يوم القيامة ^(٧).

(١) النهاية ٣: ١٦، ولسان العرب ٧: ٣٠٣ / صدع.

(٢) غافر: ١٨.

(٣) النازعات: ٤٥.

(٤) فاطر: ٣٧.

(٥) الرعد: ٧.

(٦) الفصول المهمة: ١٠٥، كفاية الطالب: ٢٣٣، مستدرک الحاکم ٢: ١٢٩، ونور الأبصار: ١٠٥، تفسير

الرازي ١٩: ١٤، والكافي ١: ١٩٢ ح ٣.

(٧) بصائر الدرجات: ٥٠ ح ٧ باب ١٣، عنه البحار ٢٣: ٣ ح ٥، وفي الكافي ١: ١٩٢ ح ٤، وتفسير

العياشي ٢: ٢٠٤ ح ٨.

والمنذر أيضاً المعلم الذي يعرف القوم بما يكون قد دهمهم من عدو أو غيره وهو المخوف، وأذرته به أي أعلمته به فنذر كعلم لفظاً ومعنى، والصلة بالباء تفيد هذا المعنى.

قولها (عليها السلام): (مائلاً عن مدرجة المشركين) أي معرضاً عنها، يقال: مال عنه ميلاً أي أعرض وانحرف، وإذا استعمل بـ (إلى) صار المعنى بالعكس أي أقبل إليه بالرضا القلبي.

و (المدرجة) المذهب والمسلك وهي من قولهم: درج الصبي دروجاً - من باب قعد - مشى قليلاً في أول ما يمشي، والمدرج - بفتح الميم والراء - الطريق مطلقاً أو الطريق الذي فيه اعتراض وانعطاف والجمع المدارج، والدَّرَجَةُ: المِرْقاة والجمع دَرَجٌ مثل قَصْبة وقَصْبٌ.

ودرج في المدارج أو الدرجات أي علا في الطبقات والمراتب وارتقى إليها بالتدرّج، وقوله تعالى: ﴿هم درجات عند الله﴾^(١) أي ذو طبقات عنده تعالى في الفضيلة و ﴿لهم درجات عند ربهم﴾^(٢) أي بعضهم فوق بعض في القرب والزلفى. ودرجته إلى الأمر تدرّجاً فتدرّج واستدرجته أخذته قليلاً، قال تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾^(٣) أي سنأخذهم قليلاً ولا نباغتهم، كما يرتقي الراقي الدرجة فيتدرّج شيئاً بعد شيء حتى يصل إلى العلو.

وفي القاموس: استدرجه خدعه، واستدرج الله للعبد أنه كلما جدّد خطيئة جدّد له نعمة وأنساه الإِسْتِغْفَارَ، فَيَأْخُذْهُ قَلِيلاً قَلِيلاً وَلَا يَبَاغَتْهُ^(٤)، أي لا يفاجئه من البغته وهي الفجأة.

وفي الحديث: إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة ويذكره

(١) آل عمران: ١٦٣.

(٢) الأنفال: ٤.

(٣) الأعراف: ١٨٢.

(٤) القاموس المحيط: ٢٤٠ / درج.

الإستغفار، وإذا أراد بعد شراً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى بها، وهو قوله تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾^(١).

ودَرَجَ في سبيله أي مشى، ومنه قولهم: دَرَج فلان بمعنى مات، وتدرَج القوم إذا انقرضوا، ودرجت الكتاب طويته، وأدرجته فيه أي جعلته في ضمنه، وجميع المعاني السابقة راجعة إلى مبدأ واحد.

وفي بعض النسخ (عن مدركة) بدل قولها (عليها السلام) (عن مدرجة)، والمدركة مقابل المدرجة، والدرك والدركة نظير الدرج والدرجة، وهي بمعنى مرتبة الانحطاط من الدرك بمعنى الأخذ، كأنه أخذ ومنع عن العروج إلى المرتبة العالية، فيقال لطبقات الجنة درجات ولطبقات النار دركات، كما قال تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾^(٢).

ويقال لمسالك المشركين في الدنيا والآخرة دركات، ولمذاهب المؤمنين فيهما درجات، والمدركة أولى بالمشركين من المدرجة، وعلى تقدير المدرجة تكون هي استعارة بملاحظة ظاهر الحالة.

وفي بعض النسخ: (ناكباً عن سنن المشركين) والسنن - بالتحريك - هي الطريقة، ويجوز قراءة سنن - بالضم - جمع السنة كغرف في جمع غرفة، وفي رواية ابن أبي طاهر: (مائلاً على مدرجة) أي قائماً للرد عليهم، والظاهر أنه تصحيف، والفقرتان إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾^(٣).

و (التَّبَج) بالتحريك وتقديم الثاء المثلثة على الباء الموحدة وسط الشيء ومعظمه، ومنه ثبج الرمل وثبج البحر، وقوله (عليه السلام): (وتدقق متقاذفات

(١) الكافي ٢: ٤٥٢ ح ١، عنه البحار ٥: ٢١٧ ح ٩، وفي علل الشرائع: ٥٦١ ح ١ باب ٣٥٤ والآية في

سورة الأعراف: ١٨٢.

(٢) النساء: ١٤٥.

(٣) الحجر: ٩٤.

أثباجها^(١)، الأثباج جمع شبح بالمعنى المذكور والضمير للمجاز، والمراد معظم مياه البحار، وأصل الشبح هو ما بين الكاهل إلى الظهر.

والمراد بشبح المشركين معظم جماعاتهم عدداً وعدداً، أو المراد أعاضدهم ورؤسائهم أي أن النبي (صلى الله عليه وآله) أضرب عن طريقته، وضربهم عن آخرهم على مناخرهم فأهلكهم وقمعهم وصرعهم وصرمهم.

و (الأكظام) جمع الكظم - بالتحريك - وهو مخرج النفس من الحلق، وكظم الغيظ كظماً - بالسكون - تجرّعه واحتمل الصبر عليه وهو قادر على إمضائه، كأنه يدخله من مخرج نفسه إلى صدره فلا يظهر أثره، وقوله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ﴾^(٢) أي الحابسين غيظهم المتجرّعينه.

وفي الحديث: (من كظم غيظاً أعطاه الله أجر شهيد)^(٣) قيل: وظاهره ينافي ما اشتهر من أن أفضل الأعمال أحزمها، وربما يجاب بأن الشهيد وكل فاعل حسنة أجره مضاعف بعشر أمثاله للآية، فلعل أجر كاظم الغيظ مع المضاعفة مثل أجر الشهيد لا بدونها.

وفي حديث علي (عليه السلام): (لعل الله يحدث^(٤)) أمر هذه الأمة ولا يؤخذ بأكظامها^(٥) والمراد من الأخذ بالأكظام تضيق الأمر عليهم كما يضيق الأمر على الإنسان عند الأذ بمخرج نفسه، ومنه الحديث: (له التوبة ما لم يؤخذ بكظمه)^(٦) أي خروج نفسه وانقطاع نفسه.

والمراد من الفقرة الشريفة أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان شديداً صلباً في أمر الدين، لا يبالي بكثرة المشركين، ولا يداريهم في أمر الدعوة إلى كلمة الإسلام

(١) البحار ٥٧: ١١١ ح ٩٠، وفيه: (تصطفق متقاذفات).

(٢) آل عمران: ١٣٤.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٥٠ / حديث المناهي، عنه البحار ٧٥: ٢٤٧ ح ١٠.

(٤) في النهاية: يصلح.

(٥) النهاية ٤: ١٧٨، لسان العرب ١٢: ١٠٦ / كظم، والبحار ٣٣: ٣٧٠ ح ٦٠٢.

(٦) النهاية ٤: ١٧٨، لسان العرب ١٢: ١٠٦ / كظم.

والمجاهدة في سبيل ربّه مع الخاص والعام، داعياً إلى سبيل ربّه كما أمره سبحانه بقوله: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾^(١). قيل: المراد بالحكمة البراهين القاطعة وهي للخواص، وبالموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة وهي للعوام، وبالمجادلة التي هي أحسن الزام المعاندين الجاحدين بالمقدمات المشهورة والمسلمة، وأمّا المغالطات والشعريّات فلا تناسب درجة أصحاب النبوة.

وقيل في معنى الآية وبيان معاني الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن وجوه غير ذلك قد مرّت إليها الإشارة في بيان معنى الحكمة في شرح قولها (عليها السّلام): (إلاّ تبيناً للحكمة).

قولها (عليها السّلام): (يكسر الأصنام وينكث الهام) النكث - بالشاء المثناة - اللقاء الرجل على رأسه، يقال: طعنه فنكثه ومنه يتفرّع قولهم: نكث الرجل العهد أو الحبل نكثاً - من باب قتل - نقضه ونبذه فانتكث مثل نقضه فانتقض.

والنكث - بالكسر - ما نقض من غزل الشعر ونحوه ليفزل، والجمع أنكاث مثل حمل واحمال، قال تعالى: ﴿كأني نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً﴾^(٢)، وفي الصحاح: النكث - بالكسر - أن تُنْقَضَ أخلاق الأخبية والأكسية لتُغزل ثانية^(٣).

وفي حديث عليّ (عليه السّلام): (أمرت بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين)^(٤)، فالناكثون أهل الجمل لأنّهم نكثوا البيعة أي نقضوها، واستنزلوا عائشة وساروا بها إلى البصرة، وهم عسكر الجمل ورؤساؤهم، والقاسطون أهل صفين، لأنّهم جاروا في حكمهم وبغوا، والمارقون الخوارج، لأنّهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وهذا التفسير مروى عن النبي

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) النحل: ٩٢.

(٣) الصحاح ١: ٢٩٥ / نكث.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢١٧، فصل في ظالميه ومقاتليه، عنه البحار ٣٢: ٣٠٣ ح ٢٦٧.

(صلى الله عليه وآله).

ومن كلام عليّ (عليه السلام) في نهج البلاغة في عثمان: فلما انتكث عليه قتله، وأجهز عليه عمله فما راعني إلا والناس إليّ كعرف الضبع ينثالون عليّ من كلّ جانب^(١).

قال الشيخ ميشم: كنّى (عليه السلام) بانتكاث قتله عن انتقاض الأمور عليه، وما كان يبرمه من الآراء دون الصحابة، واستعار لفظ الإجهاز لقتله وكذلك لفظ الكبو الذي حقيقة في سقوط الحيوان على رأسه، لفساد أمره بعد استمراره كالكبو بعد استمرار الفرس في العدو، وكنّى ببطنته عن توسّعه في بيت المال، والإتّشال تنابع الشيء يتلو بعضه بعضاً كعرف الضبع^(٢).

وقرئ ينكت - بالتاء المشناة - من نكت الأرض بقضيب ونحوه حتى أثر فيها، ومنه النكتة للأمر الدقيق لتأثيره في القلب، ونكت المطر الأرض أي أثر فيها، ويقال أيضاً طعنه بالرمح فنكته أي ألّقه على رأسه.

و (الهام) بتخفيف الميم وكذا الهامة هو الرأس وقيل أعلى الرأس، وقد يُستعار على الإشراف.

والمراد من نكت الهام تجديد الرؤوس والقائها على الأرض، فيكون كناية عن قتل رؤساء المشركين وقمعهم وإذلالهم، أو المراد ضرب رؤوسهم بالسيوف مطلقاً في مقام الجهاد، وقيل: أريد به إلقاء الأصنام على رؤوسها، وهو بعيد سيّما بملاحظة ما بعده.

وفي بعض النسخ (ينكس الهام) بالسين، وفي الكشف وغيره (يجذّ الأصنام) من قولهم: جذذت الشيء أي كسرتة، ومنه قوله تعالى: ﴿فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون﴾^(٣).

و (الإنهزام) انفعال من الهزم، يقال: هزمت الجيش هزماً وهزيمة فانهزموا،

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٣.

(٢) شرح النهج لابن ميشم ١: ٢٦٣، وفي مجمع البحرين /نكت.

(٣) الأنبياء: ٥٨.

والهزم في الأصل بمعنى الكسر ومنه قولهم: تهزّم السقاء إذا يبس فتكسّر، قال تعالى: ﴿فهزموهم باذن الله﴾^(١) أي كسروهم، وهزم الأحزاب وحده أي كسرهم. و (الجمع) الجماعة واللام للعهد أي انهزم جماعة المشركين، وأصل الجمع ضمّ شيء إلى شيء ثم يُطلق على معنى المجموع مصدراً بمعنى المفعول، ويصدق على اثنين وأكثر وهذا هو الجمع اللغوي، وعليه حمل على وجه قوله (صلّى الله عليه وآله): (الاثنان وما فوقهما جماعة)^(٢) بخلاف الجمع الاصطلاحي فإنّ أقلّه ثلاثة على المشهور، وإن قيل بكونه اثنين أيضاً.

وقيل: إنّ اطلاقه على الاثنين إنّما هو باعتبار الجمع المنطقي لا الاصطلاحي مطلقاً، وأمّا بالنسبة إلى المنطق فلعلّ وجهه أنّهم قالوا إنّ الكلّي إنّما يتشخّص بالأفراد أو يوجد في ضمن الأفراد ونحو ذلك، ومرادهم من الأفراد ليس الثلاثة وما فوقها البتة بل أعظم ممّا يصدق باثنين أيضاً، وهو أوّل مراتب الكثرة ولهذا نسب ذلك إليهم.

وبالجملة اختلف علماء العربية في أقلّ الجمع الاصطلاحي على المشهور، فقليل ثلاثة، وقيل إثنان، والظاهر منهم أنّه لا فرق بين جمع يكون مفردة فرداً أو زوجاً أو جمعاً، فكما أنّ أقلّ الأوّل على القول بأنّه ثلاثة ثلاثة أفراد كما عند الأكثر، كذلك أقلّ الثاني ثلاثة أزواج، وأقلّ الثالث ثلاثة جموع، وإلى هذا ينظر قول من قال: أقلّ جمع الجمع تسعة إلّا أنّ وقوعه غير ثابت.

وحكى المحشّي الشيرازي عن العلامة قطب الدين الشيرازي عن الفتوحات المكيّة أنّ مؤلفها قال: رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في بعض الوقائع فسألته عن أقلّ مراتب الجمع وقلت: ذهب فريق إلى أنّه ثلاثة، وفريق إلى اثنان، فما الحقّ؟ فقال (صلّى الله عليه وآله): أخطأ هؤلاء وهؤلاء، بل ينبغي أن يفصل

(١) البقرة: ٢٥١.

(٢) البحار ١٦: ١٥٦.

ويقال: الجمع إما جمع فردٍ أو جمع زوج، فأقلّ مراتب الأول ثلاثة وأقلّ مراتب الثاني اثنان.

ومثّل له بعضهم بالخفّين فإنّه يُطلق على زوجين من جنس الخفّ وجمعه خفاف، ولا يطلق على ثلاثة أفراد من هذا الجنس، وهو محلّ نظر.

و(التولية) عن شيء الإعراض عنه، يقال: وليت عنه أي أعرضت عنه وكذلك تولّى كما يقال: تولّى عنه بجانبه أي أعرض وانحرف، هذا إذا عُدّي بـ(عن) وأمّا إذا عُدّي بنفسه أو بـ(إلى) فيكون على خلاف الإعراض، كقوله تعالى: ﴿فولّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾^(١)، ﴿ولكلّ وجهة هو موليّها﴾^(٢) أي مستقبلها، فالتولية تكون اقبالاً وانصرافاً.

وولّى بدبره أي ولّاه إلى العدو، أو ولّى وأقبل إليه به فيكون كناية عن الإدبار والانصراف، أو ولّى عنه أي أعرض وانصرف عنه بجعل دبره إليه، وأصل المادة الولي والولاء بمعنى القرب الملازم للمباشرة والاتصال، أو وقوع شيء بعد شيء أو قبله ونحو ذلك، وولاية الأمر أصحابه من ولي الأمر يليه ولّاه أي باشره، وأوليته الشيء فوليه وولّيته الشيء تولية أي جعلته عليه والياً.

والمولى السيد والعبد بمعنى الفاعل والمفعول، والموالي الأقرباء، إلى غير ذلك ممّا يرجع إلى معنى القرب المستلزم للمباشرة، والله الولي والمولى أي هو المتولّى لأمر العالم والخلائق القائم بها، والولاية تستلزم التدبير والقوّة والفعل، وتولّى فلاناً اتخذه وليّاً، وكلّ من ولي أمراً أو قام به فهو مولاه ووليّة.

قود تکرّر ذكر المولى في الحديث، وهو إسم يقع على جماعة كثيرة كالسيد والعبد - على ما مرّ - والرب، والمالك، والمنعم، والمعق، والناصر، والمحبّ، والتابع، والجار، وابن العمّ، والحليف، والصهر، ونحو ذلك.

والولاية - بالفتح - هي السلطنة والمالكيّة، ومنه قوله تعالى: ﴿هنالك الولاية لله

(١) البقرة: ١٤٤.

(٢) البقرة: ١٤٨.

الحق^(١) وبالكسر الإمارة.

و (الدُّبْر) بضمّتين وسكون الباء للتخفيف خلاف القبل من كلّ شيء، ومنه يقال لآخر الأمر دبره وأصله ما أدبر عنه الإنسان، ودابر القوم آخر من يبقى منهم ويجيء في آخرهم، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٢) ومنه الدابر للعقب والأصل وتحملهما الآية.

ودبّر الرجل عبده تدبيراً إذا أوصى بعثقه بعد موته، والدبر مقعدة الإنسان لكونها في أواخره مقابل رأسه ويطلق على ظهر الإنسان أيضاً، وولّاه دبره كناية عن الهزيمة، ودابرة الإنسان عرقوبه، والدابر التابع، والدبرة - بالكسر - خلاف القبلة، ويقال: (فلان ماله قبلة ولا دبرة) إذا لم يهتد لجهة أمره، ويقال: (ليس لهذا الأمر قبلة ولا دبرة) إذا لم يعرف وجهه.

ودبّرت الأمر تدبيراً فعلته عن فكر في عواقبه وروية فيها، وتدبّرت تدبّراً أي نظرت في عواقبه وما يؤول إليه، والدبور وزان رسول ريح تهب من جهة المغرب تقابل الصبا، ويقال: تقبل من جهة الجنوب ذاهبة نحو المشرق، واستدبرت الشيء خلاف استقبلته.

و (التفرّي) من الفري بمعنى القطع، يقال: فريته فرياً أي قطعت له لصلحه، وفريت المزايدة: صنعتها، وفريت الأوداج: قطعتها، وأفريت الشيء: شققته فانفري وتفري أي انشق، وتفري الليل عن صبحه أي انكشف كأن الليل انشق فظهر من بين شقة الصبح.

والفرية - بالكسر - الكذب مع العمد اسماً من الإفتراء، استعارت (عليها السلام) لظلمة الجاهلية بالليل، وللحقّ المستور الذي ظهر بظهوره (صلّى الله عليه وآله) بالصبح، أي زالت به (صلّى الله عليه وآله) ظلمة الجاهلية العمياء، وطلع بطلوعه صبح الشريعة الغراء.

(١) الكهف: ٤٤.

(٢) الأنعام: ٤٥.

و (الإسفار) الإنكشاف يقال: أسفر الصبح إذا انكشف وأضاء، قال تعالى: ﴿والليل إذا أدير * والصبح إذا أسفر﴾^(١) وأسفر الوجه إذا علاه جمال، والسفر كفرس بياض النهار وقطع المسافة أيضاً كما سيجيء، وأسفرت المرأة وجهها وسفرته كشفته وأوضحته، يعدى ولا يعدى مجرداً ومزيداً.

وسافر مسافرة خرج إلى السفر، وإطلاقه عليه بمناسبة الخروج من البيت والدار إلى الصحاري والقفار، أو الخروج إلى السفر أي بياض النهار، والسفرة طعام يُصنع للمسافر.

والسافر الكاتب لأنه يبين الشيء ويوضحه، ومنه قوله تعالى: ﴿بأيدي سفرة * كرام بررة﴾^(٢) ومنه السفر للكتاب لأنه المكتوب الذي يوضح فيه الأسرار، وقيل: السفرة جمع السافر من السفير الذي يمشي بين القوم ويصلح أمرهم من السفارة بمعنى الرسالة، إذ هم أي الملائكة الكرام سفراء بين الله ورسله العظام. وهو أيضاً يرجع إلى معنى الإظهار إذ الرسول يوضح الأسرار، ويرفع الأستار، والسافر المسافر أيضاً وهو قليل وجمعه السفر كصاحب وصحب، ومنه قوله (صلى الله عليه وآله) لأهل مكة عام الفتح: (يا أهل البلد صلّوا أربعاً فإنا سَفَرُ)^(٣).

قال في الصحاح: سَفَرْتُ أَسْفَرْتُ سَفُوراً خرجتُ إلى السفر، فأنا سافر ونحن قوم سَفَرٌ^(٤) وفي الحديث: (اسفروا بالفجر فانه أعظم للأجر)^(٥) أي صلّوا صلاة الفجر سافرين أو طوّلوها إلى الاسفار.

و (المَحْض) بفتح الميم وسكون الحاء الخالص الذي لا يشوبه شيء، وفي

(١) المدثر: ٣٣-٣٤.

(٢) عبس: ١٥-١٦.

(٣) النهاية ٢: ٣٧٢، ولسان العرب ٦: ٢٧٧ / سفر.

(٤) الصحاح ٢: ٦٨٦ / سفر.

(٥) النهاية ٢: ٣٧٢، لسان العرب ٦: ٢٧٩ / سفر.

الحديث: (لا يُسأل من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً)^(١) ومنه اللبن المحض، والحرير المحض، والعربي المحض: الخالص النسب، قال الجوهري: الذكر والأنثى والجمع فيه سواء^(٢).

ومحضته الود أخلصتها له ومثله أمحضته بالألف، ومنه الحديث: (امحض أخاك المودة)^(٣) ومحض الشيء صار خالصاً محضاً، فالمجرّد منه يعدّ ولا يعدّ.

وإسفار الحقّ عن محضه إنكشافه عن خالصه حتى ظهر خالصه، شبه ظاهر الحق بالقرش الساتر للمحض واللب، والمراد أنّه (صلّى الله عليه وآله) أسفر وأظهر خالص الحق أي حقيقته، أي أظهر الحقّ وأزال الستر عن وجه باطنه حتى ظهر باطنه أيضاً.

و (زعيم) القوم سيدهم والمتكلّم عنهم من الزعامة بمعنى السيادة، والزعيم الكفيل كما في قوله تعالى: ﴿ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم﴾^(٤) ولعلّ المعنى الأوّل متفرّع منه، يقال: زعمه زُعماً وزُعماً وزعمت به أي كفلت، وفي الحديث: (الزعيم غارم)^(٥) والإضافة في زعيم الدين لامية ويحتمل البيانية.

و (الخرس) كفرس مصدر الأخرس، وقد خرس الإنسان - بالكسر - خرساً منع الكلام خلقه وأخرسه الله سبحانه، وسحابة خرساء: ليس فيها رعد ولا برق، وعلم أخرس إذا لم يكن في الجبل صوت صدى.

و (الشقاشق) جمع الشّقشقة - بالكسر - وهي شيء كالريّة يخرجها البعير من فيه إذا هاج، وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة فأنما هو للتشبيه بالفحل، واسناد

(١) الكافي ٣: ٢٣٥ ح ١، عنه البحار ٦: ٢٦٠ ح ٩٧.

(٢) الصحاح ٣: ١١٠٥ / محض.

(٣) راجع مجمع البحرين / محض.

(٤) يوسف: ٧٢.

(٥) عوالي اللالي ٣: ٢٤١ ح ١، عنه مستدرک الوسائل ١٣: ٣٩٣ ح ١٥٦٩٨، وفي لسان العرب ٦: ٤٨ /

الخرس إلى الشقاشق مجازي، والخطبة الشقشقية لعليّ (عليه السلام) في نهج البلاغة معروفة، سمّيت بذلك لقول عليّ (عليه السلام) في آخرها: (هيهات هيهات يا ابن عباس هذه شقشقة هدرت ثم قرّت).

وفي النهاية: في حديث عليّ (عليه السلام): (إن كثيراً من الخطب من شقاشق الشيطان) الشقشقة الجلدة الحمراء التي يخرجها الجمل العربي من جوفه ينفخ فيها فتظهر من شدقه، ولا تكون إلا للعربي كذا قال الهروي، وفيه نظر.

شبه الفصيح المنطيق بالفحل الهادر، ولسانه بشقشقته، ونسبها إلى الشيطان لما يدخله من الكذب والباطل وكونه لا يبالي بما قال، هكذا أخرجه الهروي عن عليّ (عليه السلام)، وقيل أنه من كلام عمر، وفي خطبة عليّ (عليه السلام): (تلك شقشقة هدرت ثم قرّت)^(١).

وشقشق الفحل شقشقة - بالفتح - هدر، والعصفور تشقشق في صوته، والمراد من شقاشق الشياطين ألسنة المشركين الذين كانوا يصوتون بالأباطيل في أمور الدين.

و (طاح) فلان يطوح ويطيح إذا هلك أو أشرف على الهلاك، وطاح في الأرض: سقط، وأطاحه إطاحة: أهلكه وكذلك طوّحه تطويحاً، وأطاحته الطوائح وطوّحته أي أهلكته الحوادث المهلكة وقذفته القواذف المردية، والقياس المطيحات أو المطوّحات، فجردّ المزيد عن الزوائد والمعنى على حاله، ولا يقال المطيحات أو المطوّحات، ومثل ذلك من النوادر.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأرسلنا الرياح لواقح﴾^(٢) على أحد الوجهين لأنّ الفعل القح لا لقح، ومثل طاح يطوح ويطيح والمزيد منه: تاه يتوه ويتيه وأتاهه وتّوهه بمعنى ذهب به هاهنا وهاهنا، فتطوّح وتّوه في البلاد أي رمى بنفسه هاهنا وهاهنا، والمطاوح والمتاوه المفاوز.

(١) النهاية ٢: ٤٨٩ / شقشق.

(٢) الحجر: ٢٢.

و (الوشيط) بالمعجمتين الرذل والسفلة من الناس، ومنه قولهم: إياك والوشائط، قال الجوهرى: الشويط لفيف من الناس ليس أصلهم واحد، وبتو فلان وشيطة في قومهم أي هم حشو فيهم^(١).

وَقُرئ الوسيط بالمهملتين، وهو أشرف القوم نسباً وأرفعهم محلاً، فَإِنَّ وَسْطَ الشيء عدله وخياره كما فُسِّر به قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾^(٢) وهذه القراءة أيضاً مناسبة من حيث المعنى، أمّا بأن يجعل الوسيط على معنى الشريف العظيم في عالم النفاق، أو على معنى الوسيط الذي توسَّط الشيء أي دخل في وسطه وتوغَّل فيه.

و (النفاق) مصدر قولك: نافق فلان ينافق منافقة، والمنافق هو الذي أخفى الكفر وأظهر الإيمان من النَّفَق وهو السرب في الأرض، كما أنه استتر في الإسلام كما يستتر في السرب، وقيل: هو من قولهم: نافق اليربوع إذا دخل نافقاه، وهي إحدى جحرتي اليربوع يكتنهما ويظهر غيرها وهو القاصعاء، فإذا طلب من النافقاء خرج من القاصعاء، وإذا طلب من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق أي خرج. وفي الحديث: (المنافق هو الذي يظهر الإيمان ويتصنَّع بالإسلام)^(٣) وعن بعض فقهاءنا في الصلاة على المنافق: إنَّ المراد بالمنافق ما يعمُّ الصبي وغيره من أهل الخلاف.

والنِّفاق - بالكسر - هو فعل المنافق، والأصل في النفاق أن يفعل في الظاهر فعل وفي الباطن غيره، مأخوذاً من النَّفَق - بفحنيين - وهو سرداب في الأرض يكون له مخرج من وضع آخر، وبعبارة أخرى مخالفة الظاهر والباطن، وأظهر أفراد نفاق الكفر فالرياء أيضاً نفاق، وقد يُطلق المنافق على مطلق الكافر فإنَّ كفره مخالف للتوحيد القطري الذي في باطنه.

(١) الصحاح ٣: ١١٨١ / وشط.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) نحوه نهج البلاغة الخطبة: ٢١٠.

و (الإنحلال) من الحلّ خلاف العقد - بالفتح - ، والعقد - بالضم ثم الفتح - كعُرِف جمع عُقْدَة كعُرْفَة، وهي ما يُعقد به.

و (الشقاق) المعادة مشتق من الشق لانشقاق ما بينهما، أو لكون كلٍّ من المنازعين في شقٍ - بالكسر - أي طرف غير شق الآخر، مصدر شاقّه يشاقّه مشاقّة.

والمراد من الفقرات الشريفة أنّه هلك وطاح من جهة ظهور النبي (صلى الله عليه وآله)، وقوّة الإسلام، ومجاهدة أهل الإيمان، القوم الأراذل الذين اختاروا النفاق، أو هلك أشراف أهل النفاق وعظماؤهم، أو هلك الكفار الذين توغّلوا في الكفر والنفاق، ورفعوا أعلام المعاندة والشقاق، فلم يبق في ديارها ديار ولا من دمنها آثار، كذلك الله يفعل ما يشاء ويختار.

وإنّ الأسباب التي من جهتها استحكمت آثار الكفر والشقاق قد وهت وضعفت حتى اضمحلّت، فإنّ الإنحلال كناية عن الضعف والفتور، والعقد كناية عن الإستحكام، فالإنحلال بمنزلة النقص والعقد بمنزلة الإبرام.



قالت (عليها السلام):

«وَفُهِتُمْ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبَيْضِ الْخِطَاصِ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مُذَقَّةَ الشَّارِبِ، وَنُهُزَةَ الطَّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلَانِ وَمَوْطِئِ الْأَقْدَامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةَ خَاسِسِينَ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَأَنْقَذَكُمُ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بَعْدَ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِهِمُ الرِّجَالُ، وَذُؤْبَانِ الْعَرَبِ، وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، ﴿كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ أَوْ نَجَمَ قَرْنُ لِلشَّيْطَانِ، وَفَقَرْتُ قَاعِرَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا فَلَا يَنْكَبُ حَتَّى يَطَأَ صِاخَهَا بِأَخْمَصِهِ، وَيُحْمِدَ لَهَا بِسَيْفِهِ».

بيان:

يقال: فاه فلان بالكلام يفوه فوهاً أي لفظ به كتفوه، وأصله من لفظ (فو) بمعنى الفم، مادته الأصلية فوه - بضم الفاء - والجمع أفواه مثل سوق وأسواق، ولما كان عزم عند الإضافة إلى ضمير الغائب اجتمع هائين، وهو موجب للثقل على اللسان والإستكراه لذي البيان، حذفت الهاء مطلقاً في صورة الإضافة والإعراب بالحرف، وقلبت ميماً عند القطع عن الإضافة.

ويقال: تفوه الوادي أي دخل فيه، وفي الخبر: (ولمّا تَفَوَّهَ البقيع)^(١) أي دخل في أوله فشبهه بالفم لأنه أول ما يدخل منه إلى الجوف، ويقال لأول الزقاق والنهر فُوْهَة - بضم الفاء وتشديد الواو -، والمفوه - بفتح الواو - البليغ المنطوق كأنه مأخوذ من الفوه - بالتحريك - بمعنى سعة الفم.

وفي حديث عليّ (عليه السلام): (إن جامعت ليلة الجمعة وكان بينكما ولد فإنه يكون خطيباً قَوَّالاً مَفَوْهاً)^(٢) ورجل أفوه أي واسع الفم، وامرأة فوهاً كذلك.

(١) النهاية ٣: ٤٨١، ولسان العرب ١٠: ٣٥٩ / فوه.

(٢) البحار ٨٩: ٣١٣ ح ١٨، وفي الإختصاص: ١٣٥، ومستدرک الوسائل ١٤: ٣٠٠ ح ١٦٧٧٤.

وفي حديث ابن مسعود: (أقرأنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاه إلى في) (١) أي مشافهةً وتلقيناً، وهو نصب على الحال بتقدير المشتق، أو أن الجملة حال وجعل نصبه في أول جزئها لكون الجملة في معنى المشتق، ويقال أيضاً: كَلَمَنِي فوه إلى في - بالرفع - على الأصل، والجملة في موضع الحال والنصب في المحل.

وقد مرَّ معنى كلمة الإخلاص وإنَّ المراد بها شهادة أن لا إله إلا الله، وهي الشهادة بالتوحيد أو أنَّها هي مع كلمة محمد رسول الله، لأنَّ كلمة الرسالة من شروط كلمة التوحيد فهما قريبتان لا تتفارقان.

وفي قولها (عليها السلام): (وفهم بكلمة الإخلاص) إشارة إلى عدم ثبوت كلمة الإيمان في قلوبهم حينئذٍ كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَزَالُوا يَكْفُرُونَ وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٢).

و (النفر) قيل هم رهط الإنسان وعشيرته، وهو اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة، على ما ذكره في النهاية وغيرها (٣)، ولا واحد له من لفظه وقيل سبعة، وقوله تعالى: ﴿أَكْثَرُ نَفِيراً﴾ (٤) أي عدداً، وفي المجمع: أنَّه جمع نفر (٥).

والنفير أيضاً مَنْ ينفر مع الرجل من قومه مِنَ النفر بمعنى الخروج مطلقاً أو إلى الغزو، أو بمعنى الفرع إلى الشخص، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ (٦)، وأصل النفر جماعة تنفر إلى مثلها، والثبة جماعة في تفرقة، ونفر القوم نفراً: تفرَّقوا، ونفر منه أي ارتحل، ونفر إليه أي أسرع، وكلَّها يرجع إلى

(١) النهاية ٣: ٤٨١، لسان العرب ١٠: ٣٥٧ / فوه.

(٢) الحجرات: ١٤.

(٣) النهاية ٥: ٩٣ / نفر.

(٤) الإسراء: ٦.

(٥) مجمع البحرين / نفر.

(٦) التوبة: ١٢٢.

مَبْدءٍ واحد.

و (البیض) جمع أبيض وبيضاء، وهو من الناس وغيرهم خلاف الأسود.
و (الخصاص) جمع الخميص بمعنى ضامر البطن من الخصاصة بمعنى دقة البطن خلقة، أو من جهة خلوها عن الطعام ونحو ذلك، ويقال: فلان خميص البطن من أموال الناس أي عفيف عنها، وفي الحديث: (كالطير تغدو خصاصاً وتروح بطاناً)^(١) أي تغدو بكرة وهي جياع وتروح عشاء وهي ممتلئة الأجواف.
ومنه الحديث الآخر: (خصاص البطون، خفاف الظهور)^(٢) أي أنهم أعفّة عن أموال الناس، فهم ضامروا البطون من أكلها، خفيفوا الظهور من ثقل وزرها، ومنه المخصصة بمعنى المجاعة وهي مصدر مثل المغضبة، يقال: خصص فلان إذا جاع.
والأخصص صفة أيضاً كالخميص فيطلق على ما يطلق عليه، وقد يُطلق على راحة اليد والرجل، وهي ما دخل من باطنهما كأنه جائع من خصص القدم خصصاً - من باب تعب - ارتفعت عن الأرض ولم تصبه، وإذا جمعت أخصص وصفاً للرجل قلت خُمص، وكذا جمع خصصاء وصفاً للمرأة، مثل أحمر وحمراء وخُمر، وإذا جمعت أخصص اسماً للقدم قلت أخامص، ويقال أيضاً: رجل خصصان وامرأة خميصية وخُصصانة - بضم الخاء في الثانية -.

والمراد بالببيض الخصاص أما أهل البيت (عليهم السلام)، ويؤيده ما في كشف الغمة: (في نفر من الببيض الخصاص الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)^(٣)، ووصفهم بالبياض لبياض وجوههم، أو كناية عن شرفهم وتمييزهم عن غيرهم من قبيل وصف الرجل بالأغرّ، أو هو لبياض أنسابهم وأحسابهم، أو هو لبياض طينتهم وطويبتهم.

(١) جامع الأخبار: ٣٢١ ح ٩٠٣، عنه البحار ٧١: ١٥١ ح ٥١، ومجموعة ورام ١: ٢٢٢، والنهاية ٢: ٨٠، ولسان العرب ٤: ٢١٩ / خصص.

(٢) النهاية ٢: ٨٠، لسان العرب ٤: ٢١٩ / خصص، والبحار ٦٨: ١٨٩.

(٣) كشف الغمة ٢: ١١١.

وبالخصاص لكونهم ضامري البطون بالصوم وقلة الأكل، أو لعفتهم عن أكل أموال الناس بالباطل، أو المراد بهم مَنْ آمَنَ مِنَ العجم كسلمان وغيره، ويقال لأهل فارس بيض لغلبة البياض على ألوانهم وأموالهم إذ الغالب في أموالهم الفضة، كما يقال لأهل الشام الحمر لحمرة ألوانهم وغلبة الذهب في أموالهم، والأوّل أظهر. والظاهر اعتبار نوع من التخصيص في المخاطبين، فيكون المراد بهم غير الراسخين الكاملين في الإيمان، والبيض الخصاص الكمل، وكلمة (في) حينئذٍ للمصاحبة بمعنى مع، ويجوز جعل الخطاب عاماً و(في) بمعنى (على) بتقدير معنى الإشتغال.

قولها (عليها السلام): (وكنتم على شفا حفرة) شفا كل شيء طرفه وشفيره، أي كنتم على شفير جهنم مشرفين على دخولها والتهافت فيها بشرككم وكفركم، إذ لو كان أدرككم الموت في تلك الحالة لوقعتم في النار، وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾^(١).

والخطاب لأصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) أي وكنتم يا أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) على طرف حفرة من جهنم لم يكن بينكم وبينها إلا الموت، فأنقذكم الله منها بأن أرسل إليكم رسولا هداكم إلى الإيمان ودعاكم إليه، فنجوتم باجابتهم من النار، وإنما قال: (فأنقذكم منها) مع أنهم لم يكونوا فيها، لأنهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث استحقاقهم لدخولها واشراقهم عليها.

وفي الكافي عن الصادق (عليه السلام): قال: (فأنقذكم منها بمحمد) هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمد (صلى الله عليه وآله)^(٢). والضمير في منها للحفرة أو للنار أو للشفا، وتأنيثه لتأنيث ما أضيف إليه، أو

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) الكافي ٨: ١٨٣ ح ٢٠٨، عنه البحار ٩٢: ٥٧ ح ٣٢، وفي العياشي ١: ١٩٤ ح ١٢٤، وتفسير البرهان ١:

٣٠٧، والصابي ١: ٣٦٦، وكنز الدقائق ٣: ١٩٠.

لأنّ الشفا بمعنى الشفة فإنّ شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبية، وأصله شفو - بالواو - قلبت الواو ألفاً في المذكر وحذفت في المؤنث، قال الأخفش: لما لم تجز فيه الإمالة عرف أنّه من الواو لأنّ الإمالة إنّما تكون من الياء^(١)، والتشنية شفوان وجمعه أشفاء، ومنه قولهم: أشفى فلان على كذا أي أشرف عليه كإشراف المريض على الموت.

وقوله تعالى: ﴿شفا جرف هار﴾ أي طرف موضع جرفه السيول أي أكلت ما تحته، وهار مقلوب من هائر مثل قولهم شاكي السلاح وأصله شائك السلاح على وجه.

قولها (عليها السلام): (مُدقة الشارب ونهزة الطامع) مُدقة الشارب - بضم الميم - شربته وهو ما يُدّاق ويُشرب مثل الغرفة بمعنى ما يُعرف، من قولهم: ذقت الشيء أذوقه ذوقاً ومذاقاً ومذاقة.

وأصل الذوق ادراك طعم الشيء بواسطة الرطوبة المنبثة بالعصب المفروش على عضل اللسان، وقد يُطلق الذوق على نفس تلك القوة وعلى القوة الإدراكية التي لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ووجوه محاسنه الخفية، وذقت ما عند فلان خبرته وجربته، وأذاقه الله وبال أمره أي أصابه به.

و (النّهزة) بالضم الفرصة من قولهم: انتهزها أي اغتنمها وبادر وقتها، وناهزتهم الفرص أي بادرتهم إليها، والأصل من قولهم نهَزَ رأسه - من باب منع - حرّكه، والفرصة محلّ الحركة والعمل بالشيء وزمان المهلة ونفس المهلة.

ونهب فلان راحلته أي دفعها في السير، ونهب لكذا أي نهض لتناوله، والمراد من كونهم مُدقة الشارب كونهم قليلين، ومن كونهم نهزة الطامع كونهم محلّ نهزته كناية عن القلة أيضاً أي كنتم أذلاء قليلين يكاد أن يتخطّفكم الناس بسهولة، وكذا قولها (عليها السلام): وقبسة العجلان وموطئ الأقدام.

(١) راجع لسان العرب ٧: ١٥٧ / شفي.

و (القُبْسة) بالضم شعلة من نار تقتبس من معظمها وكذلك القبس والمقباس، واقتباسها الأخذ منها، وفي حديث عليّ (عليه السلام): (أورى قَبْساً لقابس)^(١) أي أظهر نوراً من الحق لطالبه، والقابس طالب النار أو أخذها وكذلك المقتبس، وقد يستعاران لطالب العلم، والإضافة إلى العجلان لبيان القلّة والحقارة، والعجلان صفة من العجلة.

و (وطئ الأقدام) مثل مشهور في المذلة والمغلوبيّة، والأقدام جمع القدم وموطئها محلّ وطئها.

و (الطرق) بالتحريك أو بالفتح فالسكون ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتَبْعَر، وقيل: هو منقع الماء من الطروق - بضم الطاء - بمعنى الدق، وسَمِيَ الآتي بالليل طارِقاً لاحتياجه إلى دق الباب، ومنه حديث عليّ (عليه السلام): (إنّها خَارِقَةٌ طَارِقَةٌ)^(٢) أي طرقت بخير، ومنه الدعاء: (أعوذ بك من طوارق الليل إلّا طارِقاً يطرق بخير)^(٣).

والطارق النجم المضيء الثاقب، ﴿والسما والطارق﴾^(٤) فُسِّر الطارق فيه بالكوكب الذي يبدو بالليل، ﴿وما ادراك ما الطارق * النجم الثاقب﴾^(٥)، قيل أي المضيء كأنّه يثقب الأفلاك بضوئه فينفذ فيها.

القمي قال: الطارق النجم الثاقب، وهو نجم العذاب، ونجم القيامة، وهو زحل في أعلى المنازل^(٦).

وفي الخصال عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال لرجل من أهل اليمن: ما

(١) نهج البلاغة الخطبة: ٧٢، عنه البحار ١٦: ٣٨١ ح ٩٣، والنهاية ٤: ٤، ولسان العرب ١١: ١١ / قبس.

(٢) النهاية ٣: ١٢١، ولسان العرب ٨: ١٥٢ / طرق.

(٣) النهاية ٣: ١٢١، ولسان العرب ٨: ١٥٢ / طرق، والبحار ٩٤: ٢١٣.

(٤) الطارق: ١.

(٥) الطارق: ٢-٣.

(٦) تفسير القمي ٢: ٤١٥، عنه البحار ٧: ١٠٨ ح ٣٣، وتفسير الصافي ٥: ٣١٣، وكنز الدقائق ١٤: ٢٢٤.

زحل عندكم في النجوم؟ قال اليماني: نجم نحس، فقال (عليه السلام): لا تقولن هذا فإنه نجم أمير المؤمنين، وهو نجم الأوصياء، وهم النجم الثاقب الذي قال الله في كتابه، فقال له اليماني: فما يعني بالثاقب؟ قال: لأنَّ مطلعَه في السماء السابعة، وأنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا، فمن ثَمَّ سَماه الله النجم الثاقب^(١).

ويطلق الطريق على السبيل لأنَّه فعيل بمعنى مفعول، حيث أنه يدقُّ بالأرجل والمطرقة على آلة الدق لكونها كذلك.

و (اللاقتيات) أخذ القوت من اقتاته يقتاته اقتياتاً، وقد تُقلب التاء الثانية دالاً للرخفة أي أخذه قوتاً لنفسه.

و (الوَرَق) بالتحريك ورق الشجر، والمراد بيان احتياجهم إلى أكل مثله لغاية الفقر والمجاعة.

وفي بعض النسخ: (وتقتادون القَدْ) وهو بكسر القاف وتشديد الدال سَيُؤْثِرُ قَدْ من جلد غير مدبوغ، كناية عن كون أكلهم من الأشياء الخشنة كالورق والقَدْ، وكون شربهم من المياه العفينة كالنقيع والطرق.

وحاصل المراد من الفقرات المذكورة وصفهم بخبائث المشرب وخشونة المأكَل، لعدم اهتدائهم إلى ما يصلحهم في دنياهم لفقرهم، وقلَّة ذات يدهم، وخوفهم من الأعادي.

و (الأذلة) جمع الذليل كالأعزَّة جمع عزيز.

و (الخائبي) الصاغر المبعد كناية عن الذليل أيضاً من خسأت الكلب خساً طردته، وفي حديث الدعاء: (واخساً شيطاني)^(٢) بهزمة وصل أي أسكنه صاغراً مطزوداً وأبعده، وخساً الكلب بنفسه يتعدَّى ولا يتعدَّى بمعنى انخساً، قال تعالى:

(١) الخصال: ٤٨٩ ح ٦٨، عنه البحار ٥٨: ٢٦٩ ح ٥٦، وفي الإحتجاج ٢: ٢٥٢، وتفسير الصافي ٥:

٣١٣، وكنز الدقائق ١٤: ٢٢٤.

(٢) البحار ٩٧: ٣١٧.

﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾^(١) وأصل الخسء هو الإبعاد والبعد بمكروه، وقوله تعالى: ﴿كونوا فردة خاسئين﴾^(٢) أي باعدين مبعدين، و﴿ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾^(٣) أي مبعد أو هو كليل.

و (التخطف) استلاب الشيء بخفية وأخذه بسرعة من قولهم: خطفه خطفاً - من باب تعب - استلبه بسرعة، ومن باب ضرب لغة أيضاً حكاهما الأخفش، وتخطفه واختطفه مثله، وخطفه تخطيفاً مبالغة فيه، قال تعالى: ﴿إلا من خطف الخطفة﴾^(٤) أي اختلس خلسة من كلام الملائكة، وليتخطف الناس من أرضنا أي تستلب.

والخطاف - بالفتح - هو الشيطان يخطف السمع أي يسترقه، وقوله تعالى: ﴿فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾^(٥) كلّ منهما كناية عن الهلاك. وقولها (عليها السلام): (من حولكم) أي من جوانبكم، والمراد الجوانب الأربعة كناية عن الإحاطة والأخذ على الوجه الأكمل، والكلام المذكور من قوله تعالى: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾^(٦).

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن الخطاب في تلك الآية لقريش خاصة، والمراد بالناس سائر العرب أو الأعمّ منها ومن العجم^(٧).

و (اللتيتا) بفتح اللام وكسر التاء تصغير التي، وجوّز بعضهم فيه ضمّ اللام وفتح التاء، وهما كنايةتان عن الداهية الصغيرة والكبيرة، فاللتيتا للداهية الصغيرة والتي

(١) المؤمنون: ١٠٨.

(٢) البقرة: ٦٥.

(٣) الملك: ٤.

(٤) الصافات: ١٠.

(٥) الحج: ٣١.

(٦) الأنفال: ٢٦.

(٧) راجع البحار ٢٩: ٢٦٧، عن نهج البلاغة.

للكبيرة وقيل بالعكس أي اللتيا للكبيرة والتي للصغيرة، تشبيهاً للحية فإنها إذا كثرت سمها صغرت فإن السم يأكل جسدها.

وقال ابن ميثم في شرح نهج البلاغة: إن اللتيا والتي كالمثل، وأصله أن رجلاً تزوج امرأة قصيرة ضئيلة الخلق فقاسى منها شدائد، فطلقها وتزوج طويلة بعد ذلك فقاسى منها أضعاف ذلك فطلقها، ثم سئل: هل تزوج؟ فقال: بعد اللتيا والتي لا أتزوج أبداً^(١).

وقيل: إن اللتيا كناية عن الثمرة والتي عن النخلة، والمراد بعد القصّة الصغيرة والطويلة، نظير قولهم: قصيرة عن طويلة كناية عن الإجمال بعد التفصيل والتقصير بعد التطويل.

قولها (عليها السلام): (بعد أن مني بهم الرجال) مني بهم على صيغة المجهول أي ابتلى بهم من قولهم: منوته ومنيته إذا ابتليته، ومنه التمني أي طلب الإبتلاء والوصول والمنا المقصود والمقدور وغير ذلك.

و (بهم) كضرد الشجعان لأنهم لشدة بأسهم لا يدرى من أين يؤتون جمع البهمة كغرفة وغرف، وفي الصحاح عن أبي عبيدة: البهمة - بالضم - الفارس الذي لا يدرى من أين يؤتى من شدة بأسه والجمع بهم، ويقال للجيش أيضاً بهمة، ومنه قولهم: فارس بهمة وليث غابة، وأمر مبهم أي لا مأتى له، وأبهمت الباب أغلقتها^(٢)، وأما البهمة - بالفتح - فهي أولاد الضأن، والجمع البهم بحذف التاء وجمعه بهام بكسر الباء.

و (الدؤبان) بضم الدال جمع الذئب - بالكسر - يهزم ولا يهزم وأصله الهمز، والأنثى ذئبة، وجمع القليل أذؤب، والكثير ذئاب وذؤبان - بضم الدال -، وذؤبان العرب لصوصهم وصعاليكهم الذين يتلصصون لا مال لهم ولا اعتماد عليهم، ويستلبون من الناس أموالهم تشبيهاً بالذئاب في تلك الأوصاف، وأرض مذئبة

(١) شرح النهج لابن ميثم ١: ٢٧٩ الخطبة: ٥، والبحار ٢٨: ٢٣٥.

(٢) الصحاح ٥: ١٨٧٥ / بهم.

ذات ذئاب.

و (المردة) جمع المارد من مَرَدَ يَمُرد - من باب قتل وسرق وكرم - إذا عتَى فهو مارد، و «مردوا على النفاق»^(١) أي عتوا واستمروا عليه، ومنه المَرِيد بمعنى العاتي في قوله تعالى: «شيطان مريد»^(٢) وبمعنى العاري عن الخير والظاهر شره من قولهم: شجرة مرداء إذا سقط ورقها وظهرت عيدانها، ورملة مرداء لأنبت فيها، ومكان أمرد لا نبات فيه، وغصن أمرد لا ورق عليه، وغلام أمرد لا شعر في وجهه. ومرد الغلام - من باب تعب - إذا أبطأ نبات وجهه، وقيل إذا لم تنبت لحيته، ومرد الرجل - بالضم - مرادة أي صار عاتياً شديداً، والمراد من مردة أهل الكتاب عتاتهم المتكبرون المتجاوزون للحد الذي قرّروا عليه.

والمراد من أهل الكتاب هم اليهود والنصارى والمجوس، والأصل في أهل الكتاب هم اليهود أهل التوراة والنصارى أهل الانجيل، وأما المجوس فلما كان فيهم شبهة الكتاب ألحقوا بأهله، وهم ينسبون دينهم إلى إبراهيم (عليه السلام)، ويقولون أنهم من أهل ملته، وأنهم يعملون لصُحفه على ما ذكروا.

وفي الخبر أن أهل مكة كتبوا إلى النبي (صلى الله عليه وآله) والتمسوا منه أن يأخذ منهم الجزية ويقرّهم على دينهم، فكتب النبي (صلى الله عليه وآله): إن ذلك الحكم إنما هو بالنسبة إلى أهل الكتاب، وأما غيرهم وهم أهل الحرب فليس الحكم الشرعي في حقهم إلا الإيمان أو القتل، فكتبوا إليه (صلى الله عليه وآله) أنك أخذت الجزية من مجوس هجر - موضع باليمن - وهم ليسوا من أهل الكتاب؟ فكتب (صلى الله عليه وآله) إليهم: أنه كان لهم نبيّ يقال له جاما سب، وقد جاء إليهم بكتاب من الله كتبوه في اثني عشر ألف جلد ثور، فقتلوا نبيهم وأحرقوا كتابهم^(٣).

(١) التوبة: ١٠١.

(٢) الحج: ٣.

(٣) الكافي ٣: ٥٦٧ ح ٤، عنه البحار ١٤: ٤٦٣ ح ٢٨، وفي التهذيب ٦: ١٥٨ ح ٢، وتفسير البرهان ٢:

١١٥، والصابي ٢: ٣٣٤.

وفي التواريخ أن نبيهم كان يسمّى بزردشت الحكيم المعروف، ووقائعه مشهورة، وكتابه الذي أتى به بزعمه من الله مسمّى بزند، وقد شرحه وسمّاه (پازند) ثم شرح الشرح فسمّاه (پاپازند) وله إسم آخر أيضاً ذكره مع بعض تفاصيله في كتاب البرهان.

وبالجملة فلهم شبهة الكتاب فألحقهم الشارع بأهل الكتاب، ويسمّى غيرهم بالكافر الحربي، ولم يجعل من أهل الكتاب أمم الأنبياء السلف مطلقاً وإن كانوا أهل الكتاب أيضاً لأنهم انقرضوا في الأعصار الماضية، ولم يبق منهم اليوم على الأرض باقية، ولذا طرحو وتركوا بالمرّة.

قولها (عليها السلام): (كلّمّا أوقدوا ناراً...) الإيقاد الإشعال من أوقدت النار إيقاداً ووقدتها وقدأ - من باب وعد - وقوداً بالضم أي أشعلتها، ووقدت النار تقد وقوداً أي اشتعلت يعدّى مجرّده ولا يعدّى.

والوقود - بالفتح - ما يوقد به كالحطب ونحوه، ووزن فعول لما يفعل به كالوَضوء - بفتح الواو - لما يتوضأ به، والسحور لما يُسحر به، وأما بالضم فالكل مصدر أو إسم مصدر، وقوله تعالى: ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾^(١) فأجج النار على الطين واتخذ الآجر، و﴿نار الله الموقدة﴾^(٢) أي المشتعلة المشعلة.

والمراد من الحرب في الخطبة حرب الرسول أي كلّمّا أوقدوا نار الحرب مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أطفأها الله بفيض نصره من السماء كإطفاء النار بالماء، وقيل: المراد أنه كلّمّا أرادوا مكرّاً للنبي (صلّى الله عليه وآله) ودبروا خديعة بالنسبة إليه (صلّى الله عليه وآله) أبطلهما الله سبحانه، وفي لفظ كلّمّا دلالة على أن هذه الحالة كانت مستمرة فيهم، وكانت جنود نصر الله تعالى نازلة على نبيّه (صلّى الله عليه وآله) في جميع الأعصار والأزمنة.

و (نَجَمَ) الشيء نجوماً - من باب قعد - أي طلع وظهر وكذلك نجم النبت،

(١) القصص: ٢٨.

(٢) الهمزة: ٦.

وكَلَّمَا طلع النبت وظهر فقد نجم، وقد خَصَّ بالنجم منه ما لا يقوم على ساق كما خَصَّ القائم منه على الساق بالشجر، ومنه قوله تعالى: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾^(١).

ولعلَّ إطلاق النجم على الكوكب أيضاً بمناسبة الطلوع والظهور، والنجم أيضاً كوكب الثريا بخصوصه، وهو اسم علم له كزيد وعمر، وفي الخبر: (هذا إِبَانُ نُجُومِهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ))^(٢) أي وقت ظهوره، وفلان منجم الباطل والضلالة أي مظهرهما ومعدنهما، ويقال: نجم السنّ أو القرن أي ظهر من اللحم والجلد. و (القرن) كناية عن القوّة، وفُسر قرن الشيطان بأُمتّه ومتابعيه أيضاً والمآل واحد.

و (فغر) فاه أي فتحه وفُغر فوه انفتح يتعدّى ولا يتعدّى، وأفغر النجم أي ظهر ظهوراً قوياً وذلك في الشتاء لأنَّ الثريا إذا كَبَدَ السماء من نظر إليه فغر فاه، وفي حديث موسى (عليه السلام): (فإذا هي حيّة عظيمة فاغرة فاه)^(٣). وفي حديث النابغة الجعدي: «كَلَّمَا سَقَطَتْ لَهُ سِنَّ فَعَرَّتْ لَهُ سِنَّ»^(٤) أي موضع سنّ كناية عن طلوع السنّ، وفي الحديث: (إِنِّي لأُبْغِضُ الرَّجُلَ فَاغِراً فَاهَ إِلَى رَبِّهِ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْزُقْنِي)^(٥)، والفاغرة من المشركين الطائفة العادية منهم تشبيهاً بالحيّة أو السبع، ويمكن تقدير الموصوف مذكراً على أن تكون التاء للمبالغة. و (القذف) الرمي ويستعمل في الحجارة كما أن الحذف يستعمل في الحصن، يقال: هم بين حاذف وقاذف، ويقال: قَذَفَهُ بِالْحِجَارَةِ - من باب ضرب - إذا رمى بها، وقَذَفَ المحصنة رماها بالفاحشة.

(١) الرحمن: ٦.

(٢) النهاية ٥: ٢٣، ولسان العرب ١٤: ٥٩ / نجم، والبحار ١٥: ٤٠٣ ح ٢٩.

(٣) النهاية ٣: ٤٦٠، ولسان العرب ١٠: ٢٩٤ / فغر.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) عوالي اللالي ٢: ١٠٨ ح ٢٩٦، عنه مستدرک الوسائل ١٣: ١٥ ح ١٤٥٩٧، وفي من لا يحضره الفقيه

٣: ١٢٠ ح ٥٠٩.

وقذف بقوله تكلم به من غير تدبر ولا تأمل، وقوله تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾^(١) أي نرمي به في قلب من يشاء، وقذفت الماء في الظرف أي طرحته فيه، و﴿اقذفه في الثابت﴾^(٢) أي ضعيه وألقيه فيه، و﴿حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها﴾^(٣) أي طرحناها في نار السامري التي أوقدها في الحفرة. وفي الدعاء: (واقذف في قلبي رجاءك)^(٤) أي ألقه، وفي الخبر: (ربما قذفت الحبلى الدم)^(٥) أي رمته، وفي الخبر: (وخشيت أن يقذف في قلوبكما شراً)^(٦) أي يلقي ويوقع، وقذف الرجل: قاء.

و (اللهوات) بالتحريك جمع اللهات، وهي اللحمة الحمراء المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم، وفي الصحاح: اللهات الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم، والجمع اللهات واللهوات واللهيات أيضاً^(٧)، وقيل: هي سقف الفم. واللهوة - بالضم - ما يلقى الطاحن في فم الرحي بيده، ولهيت عن الشيء ولهوت عنه إذا سلوت عنه، وتركت ذكره، وأضربت عنه كأنك جعلته في لهاتك وسترته، ولهوت بالشيء أي لعبت به كأنك غفلت عن الغير بالإشتغال به، و﴿لاهية قلوبهم﴾^(٨) أي ساهية غافلة مشغولة بالباطل.

وفي بعض النسخ: (في مهواتها) والمهوى - بالتسكين - الحفرة وما بين الجبلين ونحو ذلك، وعلى أي حال فجملة نجم عطف على جملة أوقدوا، أي كلما نجم قرن للشيطان... الخ، والمراد أنه (صلى الله عليه وآله) كلما أراد طائفة من

(١) الأنبياء: ١٨.

(٢) طه: ٣٩.

(٣) طه: ٨٧.

(٤) البحار ٩٥: ٤٥٠ ح ٢، ومجمع البحرين / قذف.

(٥) مجمع البحرين / قذف.

(٦) النهاية ٤: ٢٩، ولسان العرب ١١: ٧٥ / قذف.

(٧) الصحاح ٦: ٢٤٨٧ / لها.

(٨) الأنبياء: ٣.

المشركين أو عرضت له دأهية عظيمة بعث علياً (عليه السلام) لدفعها وعرضه للمهالك.

وفي رواية كشف الغمة وابن أبي طاهر: (كلما حشوا ناراً للحرب ونجم قرن للضلال... الخ)^(١)، قال الجوهري: حششت النار أوقدتها، والمعنى كالمعنى^(٢).

(فلا ينكف حتى يطأ...) الإنكفاء - بالهمزة - الرجوع من قولك: كَفَأْتُ القوم كَفْأً إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم عنه إلى غيره فانكفؤوا أي رجعوا، وكَفَأْتُ الإناء وأكفأته إذا كببته وأملته ليفرغ مافيه، وفي حديث الوضوء: (فأتاه محمد بن الحنفية بالماء فأكفأه بيده على يده اليمنى)^(٣) أي قلبه عليها، وانكفأت بهم السفينة أي انقلبت.

و (الصِماخ) بالكسر ثقب الأذن والأذن نفسها أيضاً، وبالسين كما في بعض الروايات لغة فيه، وضرب الله على أصمختهم جمع قَلَّةٍ للصماخ مثل أسلحة وسلاح أي أناهم الله، وفي حديث عليّ (عليه السلام): (أَضَغْتُ لاستراقه صمائن الأسماع)^(٤) جمع صماخ كشمال وشمائل.

والأخمص - بفتح الميم - مالا يصيب الأرض من باطن القدم عند المشي، وخمص القدم - من باب تعب - خمصاً إذا ارتفعت عن الأرض فلم تمسه، فالرجل أخمص والمرأة خمصاء والجمع خُمص، مثل أحمر وخمراء وخُمر، وإن جمعت القدم نفسها قلت: أخامص مثل أفضل وأفاضل إجراء له مجرى الأسماء.

وأصله من خمص فلان خمصاً - من باب قرب - إذا جاع فهو خميص، وقد يقال: رجل خمصان كعريان وعميان بمعنى الأخمص والعاري والأعمى، وروي جناحها بدل صماخها.

(١) كشف الغمة ٢: ١١١، وبلاغات النساء: ١٣.

(٢) الصحاح ١٠٠١: حشش.

(٣) التهذيب ١: ٥٣ ح ١٥٣، ومن لا يحضره ١: ٢٦ ح ٨٤، والكافي ٣: ٧٠ ح ٦، والبحار ٨٠: ٣١٨ ح ١٢.

(٤) النهاية ٣: ٥٢، ولسان العرب ٧: ٤٠٤ / صمخ، ونهج البلاغة، الخطبة: ٩١.

و (الاحقاد) اسكان لهب النار من خَمَدَتِ النارُ خموداً - من باب قتل - سكن لهبها ولم يُطفأ جمرها، وأخمدتها أنا أسكنتها، وخمد المريض أُغمي عليه أو مات لخمود نار روحه، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾^(١) أي ميّتون، وخمود الإنسان موته وسكونه عن الحركة.

وفي المصباح: خمدت النار خموداً - من باب قعد - ماتت فلم يبق منها شيء، وقيل: سكن لهبها وبقي جمرها^(٢)، كما أُشير إليه.
و (اللهب) بالتحريك اتقاد النار، وفي الصحاح: لَهَبُ النار لسانها^(٣)، وقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(٤) قال الشيخ أبو علي: قرأ ابن كثير: (أَبِي لَهَبٍ) بسكون الهاء، والباقون بفتحها^(٥).

وأبو لهب هو ابن عبد المطلب عمّ النبي (صلى الله عليه وآله)، وكان شديد العداوة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، قيل اسمه كنيته، وقيل اسمه عبد العزّي، فسمّي بذلك لحُسْنِه وإشراق وجهه، وكانت وجنتاه كأَنهما تلتهبان^(٦).
وتلهّبت النار والتهبت: اتقدت، وألهبتها: أوقدتها، ويُطلق اللهب على الغبار الساطع كالمدخان أيضاً، ووطء الصماخ بالأخمص كناية عن القهر والغلبة على أبلغ وجه، وكذا إخماد اللهب بماء السيف استعارة بليغة شائعة.



(١) يس: ٢٩.

(٢) المصباح المنير: ١٨١ / خمدت.

(٣) الصحاح ١: ٢٣١ / لهب.

(٤) المسد: ١.

(٥) مجمع البيان، سورة تبت.

(٦) مجمع البحرين / لهب.

قالت (عليها السلام):

« مَكْدُوداً فِي ذَاتِ اللَّهِ، مُجْتَهِداً فِي أَمْرِ اللَّهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، سَيِّداً فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، مُشَمِّراً نَاصِحاً، مُجِداً كَادِحاً، وَأَنْتُمْ فِي رَفَاهِيَّةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادْعُونَ فَاكِهِونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرِ، وَتَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ، وَتَتَكَبَّرُونَ عِنْدَ النَّزَالِ، وَتَفَرُّونَ مِنَ الْقِتَالِ، فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ، وَمَأْوَى أَصْفِيَائِهِ، ظَهَرَ فِيكُمْ حَسَكَةُ التَّفَاقِ، وَأَسْمَلَ جِلْبَابُ الدِّينِ، وَنَطَقَ كَاظِمُ الْغَاوِينَ، وَنَبَغَ خَامِلُ الْأَقْلِينَ، وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْمُبْطِلِينَ، فَخَطَرَ فِي عَرَصَاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشَّيْطَانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرَزِهِ هَاتِفاً بِكُمْ، فَأَلْفَاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيبِينَ، وَلِلْعِزَّةِ فِيهِ مُلَاحِظِينَ، ثُمَّ اسْتَهْضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفَافاً، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفَاكُمْ غَضَاباً، فَوَسَّمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَوَرَدْتُمْ غَيْرَ مَشْرِبِكُمْ. »

بيان:

(مكدوداً) حال من أخاه أو ضميره وكذا ما بعده من الأوصاف المنصوبة، والمكدود من بلغه التعب والأذى من الكدّ - بالفتح - بمعنى الشدة في العمل وطلب التكتسب ونحوه، وكددت الرجل - من باب قعد - اتعبته.

وفي الحديث: (ليس من كدّك وكدّ أهلك) ^(١) أي ليس حاصلًا بسعيك وتعبك، وفي الحديث: (الكاذ على عياله فله كذا) أي المكتسب لهم القائم بامورهم والساعي الكاذ نفسه لأجلهم.

و (ذات الله) قال الفاضل المجلسي (رحمه الله): المراد بذات الله أمره ودينه وكلما يتعلّق به تعالى، إنتهى ^(٢).

والذات في الأصل مؤنث ذو، ولامه محذوفة وأما عينه فقليل ياء أيضاً لأنّه

(١) النهاية ٤: ١٥٥، ولسان العرب ١٢: ٤٤ / كدد.

(٢) البحار ٢٩: ٢٦٩.

سمع فيه الإمالة، وقيل واو، قال في المصباح: وهو الأقيس لأنَّ باب طوى أكثر من حيٍّ، ووزنه في الأصل ذوي وزان سبب فيعرب بالحروف، ولا يستعمل إلا مضافاً إلى إسم جنس فيقال: ذو علم وذو مال^(١).

وأما لفظة ذات فهي وإن كانت بمعنى صاحبة والتاء فيها للتأنيث، لكن لوحظ في التاء جهة البدلية عن اللام المحذوفة، ولذا جعلت ممدودة مثل تاء أخت وبنت، وصارت جزء الكلمة واعربت اللفظ بالحركة.

وقيل في النسبة إليها ذاتي بمعنى جبلي فطري بلا تغيير بحذف التاء، ولهذا قد تستعمل بمعنى الحقيقة بلا ملاحظة معنى الوصفية، فيقال: ذات الشيء بمعنى حقيقته وماهيته، ولذا أيضاً جاز استعماله في الله، فيقال: ذات الله، مع أنَّهم صرَّحوا أنَّ كلَّما يطلق على الله لا يؤتى فيه التاء وإن كانت تاء المبالغة، لكون التاء تاء التأنيث من حيث الأصل تبعيداً للتأنيث الصوري أيضاً عنه تعالى من جهة الأدب. وبالجمله فيُطلق الذات البحت البات على هذا الذات المستجمع لجميع صفات الكمال، ويؤتى بأوصاف هذا اللفظ مذكرة إذا كان صاحب الذات مذكراً، وإطلاق ذات الله مثل إطلاق جنب الله ووجه الله، وقد وقع إطلاق ذات الله في خطب المعصومين (عليهم السلام) وفي الأخبار والأدعية كثيراً، كما ترى من هذه الخطبة الشريفة وغيرها، مثل قوله (صلى الله عليه وآله): (عليّ ممسوس من ذات الله)^(٢) وغير ذلك.

فلا بُدَّ من أنكر وقوع ذلك في الكلام القديم حتى قال ابن برهان من النحاة: قول المتكلمين (ذات الله) جهل لأنَّ أسماءه تعالى لا يلحقها تاء التأنيث، فلا يقال علامة وإن كان أعلم العالمين، قال: وقولهم (الصفات الذاتية) خطأ أيضاً، فإنَّ النسبة إلى ذات ذوي لأنَّ النسبة تردُّ إلى اسم أصله^(٣).

(١) المصباح المنير: ٢١١ / ذوي.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٢١، عنه البحار ٣٩: ٣١٢ ح ٥، وحلية الأولياء ١: ٦٨، وكفاية الطالب:

١٩٤، وفرائد السمطين ١: ١٦٥ ح ١٢٧.

(٣) راجع المصباح المنير: ٢١٢ / ذوي.

ولا يخفى بطلان ما ذكره فيما لو استعملت على الإسميّة على ما مرّت إليه الإشارة، وقد أشير إلى جواب ما ذكره، وأنكر بعضهم كون الكلمة عربيّة وهو أيضاً غلط.

وبالجملة فالذات على الإسميّة تستعمل كثيراً بمعنى النفس والحقيقة والسرّ والكنه وغير ذلك، وقوله تعالى: ﴿والله عليم بذات الصدور﴾^(١) أي ببواطنها وخفيّاتها وأسرارها، و﴿أصلحوا ذات بينكم﴾^(٢) أي حقيقة أحوال بينكم أي أصلحوا ما بينكم من الأحوال، وذات يوم وليلة وغداة أي حقيقتها، ويستعمل منه الفعل أيضاً فيقال: تذكّرت الشيء - من باب التفعّل - أي صار محقق الحقيقة كما يقال: تحجّر الطين أي تحقّق فيه حقيقة الحجرية.

وفي نسخة الكشف: (مكدوداً دؤوباً في ذات الله)^(٣) والدؤوب - بالفتح - فاعول صفة من دأب يدأب دؤوباً - بالضم - كتعب وزناً ومعنى.

و (الاجتهاد) مبالغة في الجد، وقد مرّت الإشارة إلى معنى المادة، والمراد من أمر الله أحكامه مطلقاً من أوامره ونواهيه، أو المراد به رضا الله.

(قريباً من رسول الله) لأنّ عليّاً (عليه السّلام) كان أقرب الناس إليه (صلّى الله عليه وآله) بالقرب الصوري من حيث النسب والمصاهرة، وبالقرب المعنوي من حيث الشرف والمنزلة.

(سيّداً في أولياء الله) أي كان عليّ (عليه السّلام) سيّدهم كما أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) كان سيّد الأنبياء، وخاتم الأولياء، كما أنّه كان خاتم الأنبياء، وفي بعض النسخ (سيّد أولياء الله) بالنصب مع الإضافة بحذف (في)، وقرئ بالجر أيضاً صفةً أو بدلاً أو عطفاً بيان من رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

و (المشتمّر) إسم فاعل من التّشهير في الأمر بمعنى الجدّ والإهتمام فيه، وأصله

(١) آل عمران: ١٥٤.

(٢) الأنفال: ١.

(٣) كشف الغمّة ٢: ١١١.

من قولهم: شمر إزاره عن ساقه تشميراً رفعه، ثم يقال شمر في أمره أي خفّ وأسرع وجداً، وشمرت السهم أرسلته، وانشمر للأمر وتشمر تهياً، وفي حديث سطيح: (شمر فإنك ماضي الأمر)^(١)، ورجل شمير كشرير مبالغة منه.

و (النصح) بضم النون هو الإخلاص والصدق في المشورة والعمل ونحوهما من نصحت لزيد أنصح له نصحاً ونصيحة، وهذه هي اللغة الفصيحة وعليها ورد قوله تعالى: ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم﴾^(٢) وفي لغة يتعدى بنفسه أي بدون اللام فيقال: نصحته نصحاً، قال الذبياني:

نَصَحْتُ بني عوفٍ فلم يتَقَبَّلُوا رسولِي ولم تنجح لديكم رسائلِي^(٣)
والفاعل ناصح ونصيح، وقال الشيخ أبو علي في قوله تعالى: ﴿توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾^(٤) هو فعول من النصح وهو خلاف الغش، والتوبة النصوح هي المبالغة في النصح التي لا ينوى فيها معاودة المعصية كأن الإنسان يبالغ في نصح نفسه بها، وقيل: هي ندم في القلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود^(٥).

وقيل: هو من قولك نصحت الثوب خطته اعتباراً لقوله (عليه السلام): (من اغتاب خرقَ ومن استغفر رَقاً)^(٦) أي توبة صحيحة موجبة لغفران الذنوب.

قيل: والنصيحة لله الإعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، ونصرة الحق فيه، والنصيحة لكتاب الله هو التصديق به، والعمل بما فيه، والذب عنه دون تأويل الجاهلية، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، والنصيحة لرسول الله التصديق بنبوته، والإنقياد لما أمر به ونهى عنه.

(١) البحار ١٥: ٢٦٥، وفيه: ماضي العزم.

(٢) هود: ٣٤.

(٣) راجع لسان العرب ١٤: ١٥٨ / نصح.

(٤) التحريم: ٨.

(٥) راجع مجمع البحرين / نصح.

(٦) لسان العرب ١٤: ١٥٩ / نصح.

والنصيحة لا تكون قبيحة وربما يستقبحها السامع لصعوبتها، ويجمع جميع معاني النصيحة الخلوص في العمل والنية، وكل شيء خلص فقد نصح، والناصح من العسل وغيره هو الخالص المحض، والانتصاح قبول النصيحة في المشورة. و (المُجِدِّ) إسم فاعل من أجدَّ اجداداً بمعنى جدَّ واجتهد، والظاهر أن الهمزة فيه للصيرورة أي صار ذا جدَّ واجتهد، ويجوز جعلها للمبالغة يقال: جدَّ في الأمر وأجدَّ فيه بمعنى.

و (الكادح) من الكدح بمعنى العمل والسعي ويجيء بمعنى الخدش والكسب أيضاً، يقال: هو يكدح في كذا أي يكدّ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾^(١) أي تسعى بجدَّ واجتهد للدنيا صائراً إلى ربِّك أي مآلك إليه، فتزوّد للقاءه ولا تسع للدنيا، وأصابه شيء فكدح وجهه أي خدشه، وفلان يكدح لعياله ويكتدح لهم أي يسعى لأجلهم.

و (الرفاهية) بفتح الراء وتخفيف الياء بمعنى الإتساع كالرفاهة، يقال: رَفُهُ العيش - بالضم - أي اتسع ولان، وهو في رفاهية من العيش أي سعة، ورفهنا رَفْهًا - من باب نفع - ورفوهاً أي أصبنا نعمة واسعة من الرزق، ويتعدّى بالهمزة والتضعيف فيقال: أرفهته ورفهته فترَفُه.

وفي الخبر أنه (صلّى الله عليه وآله) نهى عن الإرفاه^(٢)، وهو التوسعة للنفس بكثرة التدهن والتنعم، وقيل: التوسع في المشرب والمطعم وهو من الرَفْه في وزِد الإبل، وهو أن ترد الماء متى شئت كما يقال: رَفَهَتِ الإبل إذا وَرَدَتِ الماء كل يوم شئت، وحاصل المراد ترك التنعم والدعة ولين العيش لأنّه من زيّ العجم وأرباب الدنيا.

وفي حديث جابر: (أراد أن يرفّه عنه)^(٣) أي ينقّس عنه ويخفّف، وفي حديث

(١) الإنشاق: ٦.

(٢) النهاية ٢: ٢٤٧، لسان العرب ٥: ٢٧٧ / رفه.

(٣) النهاية ٢: ٢٤٧، لسان العرب ٥: ٢٧٨ / رفه.

ابن مسعود: (إنَّ الرجل يتكلَّم بالكلمة في الرفاهية من سخط الله تُردِّيه أبعد ما بين السماء والأرض)^(١) أى ينطق بكلمة على حساب أنَّ سخط الله لا يلحقه إنَّ نطق بها، فهو في الرفاهية من سخط الله على حسابانه، وربما أوقعته في مهلكة عظيمة عند الله.

و (العيش) الحياة وقد عاش الرجل معاشاً ومعيشاً، وكلّ واحد منهما يصلح أن يكون مصدراً وأن يكون اسماً، مثل معاب ومعيب، وممال ومميل، وأعاشه الله عيشة راضية، ويقال في معيش: معيشة أيضاً، والجمع معايش بلا همزة إذا جمعتها على الأصل أي المعيش، وتقديره مفعول والياء أصلية متحركة فلا تنقلب في الجمع همزة، وكذلك مكاييل ومبايع ونحوها، وإن جمعتها على الفرع همزت وشبَّهت مفعلة بفعلية كما همزت المصائب لأنَّ الياء ساكنة.

ومن النحويين مَنْ يرى الهمز لحناً، ومنهم من يرى عدم الهمز لحناً بناءً على أنَّ الياء أو الواو إذا وقعت بعد ألف زائدة قلبت همزة قاعدة مطَّردة كما في كساء ورداء، فتأمل.

والتعيش تكلف أسباب المعيشة، وقد تُطلق المعيشة والعيش على الإشتغال بأسباب العيش والتنعم بمقدّماته، وعلى مكسب الإنسان الذي يعيش به.

و (وَادْعُون) خبر قولها (عليها السلام): (وَأَنْتُمْ) والجار متعلّق به من الدعة، وهي على ما ذكره الجوهري^(٢) السعة والخفض، تقول منه ودع الرجل -بضمّ الدال وفتحها- وداعة -بالفتح- ودعة فهو وديع أي ساكن، رابط الجأش، غير مضطرب الحال، ووادع أيضاً ويقال: نال فلان المكارم وادعاً من غير كلفة، ولعلّ قولهم يدع بمعنى يذر مأخوذ من ذلك أيضاً، فإنَّ السكون يستلزم الترك.

ومنه الوديعه بمعنى الأمانة المتروكة عند الغير، ويدع بهذا المعنى قيل لا ماضي له أي لم يستعمل له ماض، وإنّما يستعمل بدل ماضيه تَرَكَ لا وَدَعَ، ولذا

(١) المصدر نفسه.

(٢) الصحاح ٣: ١٢٩٥ / ودع.

قالوا: وأما توأماضي يدع ويدز، وهو ضعيف إلا أنه لا كلام في الندرة والقلة.
وقرأ جماعة قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾^(١) بالتخفيف بمعنى ما
تركك، كما أنه يجيء بالتضعيف أيضاً بهذا المعنى من الوداع بمعنى الترك والمفارقة
والهجر، وورد في الأخبار أيضاً ونقله الفراء مستعملاً في كلام العرب، فلا وجه
للإماتة.

وأودعته مالا أي جعلته وديعة عنده، وأودعه أيضاً أي قبله للوديعة فيكون
من الأضداد، واستودعته وديعة أي استحفظته إياها، قال الشاعر:
اسْتُودِعَ الْعِلْمَ قِرطَاسٌ فَضِيعَةٌ فَبِئْسَ مُسْتَوْدَعُ الْعِلْمِ الْقِرطَاسُ^(٢)
و (الفكاهة) بالضم المزاح وبالفتح المصدر من فكه الرجل - بالكسر - فهو
فكه إذا كان طيب النفس مزاحاً، والفكه أيضاً الاشر والبطر، وقُرئ قوله تعالى:
﴿وَنِعْمَ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾^(٣) أي أشرين، وفاكهين أي ناعمين أو معجبين بما هم
عليه، والمفاكهة الممازحة.

وفي الحديث: (كان النبي صلى الله عليه وآله) من أفكه الناس مع الصبي^(٤)،
وفي حديث زيد بن ثابت: (أنه كان من أفكه الناس إذا خلا مع أهله)^(٥)، والفكاهة
ما يتفكّه به الإنسان أي يتنعم بأكله رطباً كان أو يابساً كالزبيب، والرطب، والتين،
والبطيخ، والرمّان.

وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾^(٦) من باب عطف الخاص على العام
لزيادة الإهتمام، ومن قال من جهة تخصيصهما بالذكر بعد الفاكهة: إنّ النخل
والرمان ليسا من الفاكهة، فهو من جهة الجهل بلغته العرب في ذكر التفصيل بعد

(١) الضحى: ٣.

(٢) راجع لسان العرب ١٥: ٢٥٣ / ودع.

(٣) الدخان: ٢٧.

(٤) النهاية ٣: ٤٦٦، لسان العرب ١٠: ٣١٠ / فكه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) الرحمن: ٦٨.

الإجمال، وذكر الخاص بعد العام لفوائد يقتضيه الحال والمقام، وقوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾^(١) أي تعجبون بما أصابكم وحاصله تندمون.

و (آمنون) أي مطمئنون، وقد مرّت الإشارة إلى معنى تلك المادة، وفي رواية ابن أبي طاهر: (وأنتم في بُلْهَنِيَّةٍ وادعون آمنون)^(٢)، قال الجوهري: في بُلْهَنِيَّةٍ من العيش - بضمّ الباء وفتح اللام - أي سعة ورفاهية^(٣).

وهو ملحق بالخماسي بألف في آخره، وإنما صارت ياءً لكسرة ما قبلها، ويقال بلهنة من العيش كدحرجة، أيضاً وفي الكشف: (وأنتم في رُفْهَنِيَّةٍ)^(٤) وهي مثلها لفظاً ومعنى، والظاهر في بُلْهَنِيَّةٍ ورُفْهَنِيَّةٍ زيادة النون والياء والأصل من البله والرفه.

و (التربص) الانتظار، يقال: تربّصت قدوم زيد أي انتظرته متوقّعاً ذلك، ومنه المتربّص للمحتكر، وأصله من قولهم: ربص بالمكان إذا لزمه وأقام به، وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾^(٥) أي تمكّث أربعة أشهر، وقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مَتَرَبِّصٌ﴾^(٦) أي منتظر للعاقبة.

وتربّص الدوائر تربّص نزولها، والدوائر جمع الدائرة، وهي صروف الزمان وحوادث الأيّام والعواقب المذمومة، لكونها دائرة على الإنسان ومحيطه به، وأكثر ما تستعمل الدائرة في تحوّل النعمة إلى الشدة، وكلّ نائبة دائرة سوء، أي كنتم تنتظرون نزول البلاء علينا وزوال النعمة عنّا.

و (التوكّف) التوقّع من الوكف بمعنى الوقوع من قولهم: وكف المطر أي وقع، فيقال: توكّفه أي انتظر وقوعه، ويقال: توكّف الخبر إذا انتظر بلوغه ووصوله.

(١) الواقعة: ٦٥.

(٢) بلاغات النساء: ١٣.

(٣) الصحاح ٦: ٢٢٢٧ / بله.

(٤) كشف الغمة ٢: ١١١.

(٥) البقرة: ٢٢٦.

(٦) طه: ١٣٥.

و (الأخبار) جمع خبر، والمراد بها هنا أخبار المصائب والفتن والنوائب، وفي بعض النسخ: (تتواكفون الأخبار) بالياء المثناة تحت، يقال: واكفه في الحرب أي واجهه.

و (النكوص) الاحجام والتأخر عن الشيء والرجوع إلى وراء قهقري، يقال: نكّص على عقيبه - من باب ضرب ونصر - أي رجع القهقري.

و (النزال) بالكسر المنازلة والمنازعة، وهو أن ينزل القرنان عن ابلهما إلى خيلهما فيتضاربا، والفرار من القتال وهو الهزيمة، والمقصود من تلك الفقرات أنهم لم يزلوا منافقين، وعن الجهاد ناكبين، وعن النهوض إلى النزال قاعدين، والمراد من دار أنبيائه هي الجنة أو الدرجات العالية منها مما يليق بالأنبياء، وكذلك المراد من مأوى الأصفياء.

وقولها (عليها السلام): (ظهر فيكم حسكة النفاق) الحسكة - بالتحريك - العداوة وكذلك الحسيكة كما في بعض النسخ، يقال: في صدره حسكة وحسيكة أي ضغن وعداوة إستعارة من حسك السعدان، وهي عشبة شوكتها مدحرجة وهي شوكة صلبة معروفة، الواحدة حسكة ويقال: حسك الصدر على فلان أي صار عليه ذا حسكة وعداوة، وإطلاق الحسكة على العداوة لأنها تؤثر في القلب وتؤذيه كالشوكة، فالمراد من حسكة النفاق العداوة الحاصلة به ومعه على سبيل الإستعارة، والإضافة بيانية.

و (أسمل) هو أفعل من قولهم: سمل الثوب كنصر سمولاً أي صار خلقاً وبمعناه أسمل، وثوب اسمال جمع سَمَل - بالتحريك - بمعنى سمل كأن كل قطعة منه سمل، مثل برمة أعشار ونظفة أمشاج.

و (الجلباب) بالكسر الملحفة، وقيل: ثوب واسع للمرأة غير الملحفة، وقيل: هو إزار ورداء، وقيل: كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وصدرها وظهرها، وقيل غير ذلك.

و (الكاظم) من قولك: كظمت الغيظ - من باب ضرب - كظماً وكظوماً إذا

أمسكت على ما [في] نفسك منه على صفح أو غيظ، وفي التنزيل: ﴿والكاظمين الغيظ﴾^(١)، وقد مرّت الإشارة إلى معنى المادة، والمراد هنا الساكت من جهة الخوف عن عقاب النبي (صلى الله عليه وآله) المبطن لعداوته، والكاظم غيظه من جهة مهابته.

و (الغاوون) الضالّون المنهمكون في الجهل والباطل من غوى يغوي غيئاً وغواية، قال تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾^(٢) وفسّروا بقوم وصفوا عدلاً يعني حلالاً وحراماً بالسنتهم ثم خالفوه إلى غيره.

وقوله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى﴾ ما ضلّ صاحبكم وما غوى^(٣) أي ما انهمك في الجهل والباطل، ﴿فسوف يلقون غيئاً﴾^(٤) أي خيبة وضلالة، والإسم أيضاً الغواية بالفتح.

و (نبغ) الشيء - من باب منع وقتل وضرب - نبغاً ونبوغاً - بالعين المعجمة - أي ظهر، ونبغ الرجل إذا لم يكن في ارث الشعر ثم قال وأجاد، ومنه النوابع من الشعراء، ونبغ فيهم النفاق إذا ظهر ما كانوا يخفونه من النفاق واشتهر، ومنه ابن النابغة لعمر بن العاص لظهورها في الزنا وشهرتها، ونبغ أيضاً في الشعر إذا قال وأجاد فظهر واشتهر.

و (الخامل) من خفي ذكره وصوته وكان ساقطاً لا نباهة له، مأخوذ من خمل المنزل خملاً - من باب نصر - إذا عفى ودرس واخملته أنا، واذكروا الله ذكراً خاملاً أي منخفضاً توقيراً لجلاله.

والمراد بـ (الأقلين) الأذّلون من قولهم: أفل الشيء أفولاً - من باب ضرب ونصر - أي غاب، وكذا أفل فلان عن البلد أي سار وذهب، وأفلت الشمس إذا

(١) آل عمران: ١٣٤.

(٢) الشعراء: ٢٢٤.

(٣) النجم: ١ - ٢.

(٤) مريم: ٥٩.

غربت، والآفل: الزائل المتغيّر، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾^(١).
 و (الهدير) التصوّت، يقال: هدر البعير هديراً - من باب ضرب - تصوّت أو ردّد صوته في حنجرته، وهدر الحمام هديراً أي سجع.
 و (الفتيق) الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب، ومنه قولهم: تفنّق الرجل أي تنعم، وفي بعض الروايات: (ونطق حامل الأولين)، وفي الكشف: (فنطق كاظم، ونبغ حامل، وهدر فتيق الكفر)^(٢)، والحاصل أنّه لما مات النبي (صلّى الله عليه وآله) أظهر أهل النفاق نفاقهم، ونطق الذين كانوا من مهابة النبي ساكتين، وفي زاوية الخمول آفلين.

قولها (عليها السّلام): (فخطر في عرصاتكم) يقال: خطر البعير بذنبه يخطر - بالكسر - خطراً - بفتحين - وخطراناً إذا حرّكه مرّة بعد مرّة وضرب به فخذه، ومنه قول الحجاج لما نصب المنجنيق على الكعبة: (خطّاره كالجمل الفتيق) شبه رميها بخطران الفتيق، وخطران الرجل اهتزازه في المشي وتبخّره، وفلان يخطر في مشيته أي يتمايل ويمشي مشية المتعجّب بنفسه، ومنه الحديث: (أحبّ الخطر بين الصّفين وأبغض الخطر بين الطّرقات)^(٣).

و (العرصة) كلّ بقعة بين الدور واسعة ليس فيها شيء من بناء وغيره، والجمع العراض والعراضات.

و (مغرّز) الرأس - بكسر الراء - ما يختفي فيه من غرّزت الشيء بالابرة غرّزاً - من باب ضرب - أي أدخلتها فيه، ومنه غرّزت رجلي في المغرّز إذا وضعتها فيه، قيل: لعلّ في الكلام تشبيهاً للشيطان بالقنفذ فإنّه أنما يطلع رأسه عند زوال الخوف، أو بالرجل الحريص المقدم على أمر فإنّه يمتدّ عنقه إليه.

و (الهاتف) الصّائح من الهتاف - بالكسر - بمعنى الصياح من هتفّ به هتفاً

(١) الأنعام: ٧٦.

(٢) كشف الغمة ٢: ١١١.

(٣) الكافي ٢: ٢٥٦ ح ١٧، عنه البحار ٧٢: ٢٣٧ ح ٤.

وهتافاً - من باب ضرب - صاح به ودعاه، وهتفت الحمامة صَوَّتت، وهتف به هاتف سمع وصوته ولم ير شخصه، وفي حديث حنين: (اهتف بالأنصار)^(١) أي نادهم وادعهم، وفي حديث بدر: (فجعل يهتف برّبه)^(٢) أي جعل يدعو ويناشده. وقولها (عليها السّلام): (ألفاكم) أي وجدكم، ومنه قوله تعالى: ﴿ألفوا آباءهم ضالّين﴾^(٣)، وقولها (عليها السّلام): (لدعوته) متعلّق بقولها: (مستجيبين).

و (العِرة) بكسر الفين الإغترار والإنخداع والغفلة من الغرور، ورجل غرّ وغرير أي غير مجرّب غافل عن الدنيا وتقلّباتها على أهلها، ويقال: غرّه أي أوقعه في غفلة فهو مغرور، واغترّ بالشيء خُدع به، واغترّه أي أتاها على غفلة، والغرور: الشيطان لأنّه يغرّ الإنسان في الغفلة، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يغرتكم بالله الغرور﴾^(٤) وكلّ ما يوجب الغفلة للإنسان فهو غرور، ولو كان هو التّنعيم وزينة الدنيا وغيرهما. وفي الخبر: (المؤمن غرّ كريم، والمنافق خبّ لئيم)^(٥) أي المؤمن ليس بذي نكر فهو ينخدع لانقياده ولينه وهو ضدّ الخبّ، أي المؤمن المحمود من طبعه الغرارة، وقلة الفطنة للشر، وترك البحث عنه، وليس ذلك منه جهلاً ولكنّه كرم وحسن خلق.

وقوله تعالى: ﴿ما غرّك بربك الكريم﴾^(٦) أي أيّ شيء غرّك في خالقك وخدعك وسوّل لك الباطل حتى عصيته، وإنّما قال الكريم دون سائر صفاته تعالى وأنسمائه تلقيناً أن يقول: غرّني كرمك يا كريم، والضمير المجرور في قولها (عليها السّلام): (فيه) للشيطان.

و (ملاحظة) الشيء مراعاته، وأصله من اللحظ واللّحاظ - بفتح اللام فيهما -

(١) النهاية ٥: ٢٤٣، لسان العرب ١٥: ٢٦ / هتف.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الصافات: ٦٩.

(٤) لقمان: ٣٣.

(٥) البحار ٦٧: ٢٨٣ ح ٦، وفي النهاية ٣: ٣٥٤، لسان العرب ١٠: ٤١ / غرر.

(٦) الإنفاطار: ٦.

إسماً للنظر بمؤخر العين ممّا يلي الصدغ عن يمين وشمال، وهو أشد التفاتاً ويكون عند تعلّق القلب بشيء، وأمّا اللحاظ - بكسر اللام - فهو مصدر لاحظ ملاحظة أي نظر إليه بمؤخر عينه، وأمّا النظر بالشق الذي على الأنف فيسمّى بالموق والماق. والمراد أنّه وجدكم الشيطان لشدة قبولكم للانخداع إليه كالذي كان مطمح نظره أن يغترّ بأباطيله، ويحتمل أن يكون (للغزّة) بتقديم المهملة على المعجمة، وفي الكشف: (وللغزّة ملاحظين) أي وجدكم طالبين للغزّة.

و (النهوض) القيام من نهض لكذا وإلى كذا - من باب منع - أي قام إليه أو به، واستنهضه للأمر أي أمره بالقيام إليه، وفي الحديث: (إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام) استنهض الناس في حرب معاوية^(١) أي طالب النهوض منهم. ونهض من مكانه نهوضاً أي ارتفع عنه، ونهض إلى العدو أسرع إليه، ونهضت إلى فلان تحرّكت إليه بالقيام، وأنهضته للأمر فانتهض أي أقمته إليه فقام، وناهضته قاومته، وتناهض القوم في الحرب إذا نهض كلّ فريق إلى صاحبه، ونهض النبت إذا استوى.

و (الخفاف) جمع خفيف خلاف الثقيل أي وجدكم مسرعين إليه بلا تناقل. و (الإحماش) الإغضاب، يقال: أحمّشه إذا أغضبه وكذلك التحميش، وفي حديث ابن عباس: (رأيت عليّاً عليه السّلام) يوم صفين وهو يُحمش أصحابه^(٢) أي يحرضهم على القتال ويغضبهم على الأعداء، ويقال: حمش الشر اشتدّ، وأحمشته النار وأحمشت النار: ألهبته، وأحمشتُ القدر: أشبعت وقودها. ومنه حديث أبي دجانة: (رأيت إنساناً يُحمشُ الناس)^(٣) أي يسوقهم بغضب، وفي الخبر: (ولا حمية تحمشمكم)^(٤)، واحتمش فلان أي التهب غضباً، واحتمش الديكان أي اقتتلا.

(١) التوحيد: ٤١ ح ٣، عنه البحار ٤: ٢٦٩ ح ١٥.

(٢) النهاية ١: ٤١، ولسان العرب ٣: ٣٢٥ / حمش.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) نهج البلاغة الخطبة: ٣٩.

والحاصل أنه حملكم الشيطان على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه، أو من عند أنفسكم أي وجدكم مطيعين له في أي حال، ومنقادين له في جميع الأحوال، وفي كتاب المناقب القديم: (عطافاً) بدل خفافاً - بالعين المهملة والفاء - من العطف بمعنى الميل والشفقة والإنحاء والتحنية من قولهم: عطفت الناقة إلى ولدها أو على ولدها أي حنّت، وعطفت العود فانعطف، ولعلّه أظهر لفظاً ومعنى، وهو إما جمع عطوف أو عطيف، أو مصدر بمعنى الصفة، أو مفعول مطلق لفعل محذوف.

و (الوسم) أثر الكيّ، يقال: وسمته - كوعدته - وسمّاً أي جعلت عليه علامة، والغالب كونها بالكيّ، والإسم السمة وهي العلامة، ومنه الموسم لأنّه معلم يجتمع إليه الناس للحج والعمرة، وإسم الآلة منه الميسم - بكسر الميم -، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾^(١) أي المتفرّسين.

و (الورود) حضور الماء للشرب خلاف الصدور، والإيراد الإحضار.

و (المشرب) محلّ الشرب، وفي بعض النسخ (أوردتم) وفي بعضها (الشرب) بلا ميم مع كسر الشين، وهو الحظّ من الماء ويطلق على المشرب أيضاً، وفي الكشف: (وأوردتموها شرباً ليس لكم)^(٢) والكلام كناية عن أخذ ما ليس لهم بحق من الخلافة والإمامة وميراث النبوة.



(١) الحجر: ٧٥.

(٢) كشف الغمة ٢: ١١٢.

قالت (عليها السلام):

«هَذَا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالْكَلَمُ رَحِيبٌ، وَالْجُرْحُ لَمَّا يَنْدَمِلُ،
وَالرَّسُولُ لَمَّا يَقْبَرُ، ابْتِدَاراً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ فَهَمَّاتٌ مِنْكُمْ وَكَيْفَ بِكُمْ
وَأَنِّي تُؤَفِّكُونَ، وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظَاهِرَةٌ،
وَأَحْكَامُهُ زَاهِرَةٌ، وَأَعْلَامُهُ بَاهِرَةٌ، وَرَوَاجِرُهُ لَاحِظَةٌ، وَأَوَامِرُهُ
وَاضِحَةٌ، قَدْ خَلَقْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، أَرْغَبَةٌ عَنْهُ تُدْبِرُونَ، أَمْ
يَغْيِرُهُ تَحْكُمُونَ؟ بِشَسِّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا
فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا رَيْثَ
أَنْ تَسْكُنَ نَفَرْتُمَا، وَيَسْلَسَ قِيَادُهَا، ثُمَّ أَخَذْتُمْ ثُورُونَ وَقَدْتُمَا،
وَتَهَيَّجُونَ جَمْرَتَهَا، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهَتَافِ الشَّيْطَانِ الْغَوِيِّ، وَإِطْفَاءِ
أَنْوَارِ الدِّينِ الْجَلِيِّ، وَإِهْمَادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّنِيِّ، تُسِرُّونَ حَسَوًا فِي
ارْتِيغَاءٍ، وَتَمْشُونَ لِأَهْلِهِ وَوُلْدِهِ فِي الْخَمْرِ وَالضَّرَاءِ، وَنَضْبِرُ مِنْكُمْ
عَلَى مِثْلِ حَزِّ الْمَدَى، وَوَحْزِ السَّنَانِ فِي الْحَشَا».

قولها (عليها السلام): (هذا) أي خذوا هذا الذي ذكرت وتدبروا فيه، أو اذكروا
هذا الذي فعلتم، أو أنكم فعلتم هذا ونحو ذلك والحال أن العهد قريب، ويسمى هذا
في نحو هذا المقام بفصل الخطاب.

و (العهد) بمعنى الوصية والتقديم لذكر شيء، وبمعنى اللقاء وغير ذلك مما
مرّت إليه الإشارة سابقاً في شرح قولها (عليها السلام): (وعهد قدّمه إليكم) ويقال:
عهدي به قريب أي لقائي إياه، والمقصود أنكم فعلتم هذه الأمور، وارتكبتم بما
ارتكبتم من المحذور، والحال أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قريب العهد بكم
لم يمض مدة مديدة بينه وبينكم.

و (الكلم) بفتح الكاف من قولهم: كلمته كلاً - من باب قتل - أي جرحته، ومن
باب ضرب لغة أيضاً، ثم أطلق المصدر اسماً على الجرح ويجمع على كلوم وكلام،

ورجل كليم أي مجروح والجمع كلمى مثل جريح وجرحى، ومن هذه المادة الكلمة والكلام بمناسبة التأثير في المخاطب وغيره، كما قيل:
جراحات السنان لها التئام ولا يسلتام ما جَرَحَ اللسان
وقد مرّ الكلام في معنى الكلمة والكلام.

و (الرحيب) بمعنى الواسع، وقوله تعالى: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾^(١) أي بِرُحْبِهَا - بضمّ الراء - أي اتساعها، وفي الحديث: (مرحباً بقوم قضاوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر)^(٢) أي لا قوارحياً وسعة لا ضيقاً، أو أتوا مكاناً واسعاً.

ورحب المكان - من باب قرب أو تعب - أي اتسع، ويتعدّى بالحرف فيقال: رحب بك المكان، فكثرت الإستعمال حتى تعدّى بنفسه أيضاً ف قيل: رحبتك الدار، وهذا شاذ في القياس لأنّه لا يوجد فعل بالضم إلّا لازماً.

ورجل رحب الذراعين أي واسع القوّة عند الشدائد، ومنه قولهم: قلّدوا أمركم رحب الذراع أي واسع القدرة والقوّة والبطش، ومن صفاته (صلّى الله عليه وآله) (رحب الراحة) ومعناه واسع الراحة كبيرها، والعرب تمدح كبير اليد وتهجو صغيرها، ويقولون: رحب الراحة أي كثير العطاء كما يقولون ضيق الباع في الدم، ورَحبة المسجد - بالفتح - الساحة المنبسطة في بابه.

وبالجملة فالمراد من كون الكلم رحيباً أي وسيعاً كون وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) أمراً عظيماً وخطباً جسيماً، أي هي ثلثة في الإسلام لا يسدّها شيء، فاتسع الخرق على الراقع، تحسبونه هيئاً وهو عند الله عظيم.

و (الجرح) بالضم إسم كالجراح - بالكسر -، وجمع الأول جروح والثاني جراحات، والجرح - بالفتح - مصدر قولك: جرحه جرحاً من باب منع، واللام فيه للعهد إشارة إلى الكلم السابق ذكره.

(١) التوبة: ١١٨.

(٢) الكافي ٥: ١٢ ح ٣، عنه البحار ١٩: ١٨٢ ح ٣١.

و (الاندمال) انفعال من قولك: دملت بين القوم أصلحتهم، واندمل الجرح أي التأم وصلاح، والمراد أن جرح وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) أي ثلمته لم يرأب بعد ولم يصلح أي لم يمض زمان يوجب سكون فورته وكسر مورته.

و (الرسول لما يُقبر) من قولك: قبرت الميت أي دفنته، أي غصبتم الخلافة وارتددتم على أديباركم قبل أن يقبر النبي (صلى الله عليه وآله) ويدفن.

قولها (عليها السلام): (ابتداراً) أي فعلتم الأفعال السابقة من جهة الإبتدار إلى هوى أنفسكم، أو إلى الفتنة، أو إلى الخلافة، أو إلى المخالفة عن الشريعة، أو إلى إظهار النفاق والعداوة ونحو ذلك، أو هو مفعول مطلق أي إبتدرتم إلى هذه الأعمال ابتداراً، وفي بعض الروايات: (بداراً) أي فعلتم ما ذكر بداراً، أو بدترتم إلى ما ذكر بداراً بمعنى ابتداراً.

(زعمتم خوف الفتنة) أي ادعيتم ذلك وجهاً للابتدار إلى ما ابتدترتم إليه، وأظهرتم للناس كذباً وخديعة أنا إنما اجتمعنا في السقيفة دفعاً للفتنة، مع أنه كان غرضكم غصب الخلافة عن أهلها، وهو عين الفتنة التي تترتب عليها المفاسد التي لا انقراض لها إلى أبد الدهر، مع أنكم بفعلكم هذا قد وقعتم في الفتنة العظيمة، وكفرتم عن الشريعة، وإن جهنم لمحيطة بكم في هذه الحالة.

والإلتفات في سقوطوا الموافقة الآية الكريمة، والمعنى هنا ألا في الفتنة سقطتم وإن جهنم لمحيطة بكم حيث أنكم ضللتكم وأضللتكم، وفي شرع النبي (صلى الله عليه وآله) ابتدعتم.

قولها (عليها السلام): (فهيات منكم) هيات بمعنى بعد إسم فعل وفيه مع التباعد معنى التعجب، كما صرح به الشيخ الرضي وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿هيات هيات لما توعدون﴾^(١) وتحقيق الكلمة موكول إلى محله، فهيات منكم أي بعدت هذه الأمور منكم أي ما كان ينبغي أن تصدر هي منكم، مع أن كتاب الله

تعالى بين أظهركم.

و (كيف وأنى) تستعملان أيضاً في التعجب، وكيف بكم أي حال بكم، أو كيف تناسبكم هذه الأمور وكيف تليق بكم.

و (أنى تؤفكون) أي إلى أين تصرفون من أفكه كضربه عن الشيء أي صرفه عنه، أي إلى أين يصرفكم الشيطان، أو إلى أين تصرفكم أنفسكم بأهوائها الباطلة مع أن كتاب الله تعالى بينكم، وفيه تبيان كل شيء وهو هدى للمتقين.

وهذا إشارة إلى ما في القرآن الكريم من الآيات الدالة على أن في عترته (صلى الله عليه وآله) الوراثة والخلافة، وإنّ علياً (عليه السلام) هو المقدم على الكل في أمر الولاية، والآيات الدالة على تقدم العترة في كل مرتبة، وعلى حقّ ذوي القربى المذكور في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(١) والآيات الدالة على أحكام توريث الأنبياء (عليهم السلام) وغير ذلك مما ستأتي إليه الإشارة، وهذا توبيخ لهم على عدم تدبرهم تلك الآيات الواضحة، والإمارات اللاتحة.

وفلان بين ظهراني القوم وأظهرهم أي مقيم بينهم، محفوف من جانبيه أو من جوانبه بهم، وأصل الظهر خلاف البطن ثم استعمل في معاني كثيرة بالمناسبة، ومنها معنى الظهور فإنّ ظهر الشيء بادٍ ظاهر للغير، ومنها معنى القشر فإنّه بمنزلة الظهر واللبّ بمنزلة البطن.

ولما كان الظهر من الإنسان والحيوان محلّ القدرة والقوّة والإعتماد عليه وبه تحمل الأشياء، استعمل الإستظهار بمعنى الإعتماد وطلب القوّة ونحو ذلك، فيقال: استظهرت على فلان أي اعتمدت عليه واستندت إليه، وفلان مستظهر أي معان، واستظهرت القرآن أي حفظته بمعنى قرأته عن ظهر قلبي، قيل: أو على ظهر قلبي أي استقرّ القرآن على ظهر قلبي فلا يُنسى ولا يُترك، والحقّ أن يقال: إنّ معناه حفظته عن ظهر قلبي، وجعلته في جوفه أي استقرّ في بطن قلبي فلا يُنسى.

ثمّ إنّ الظهر يُجمع على أظهر وظهران - بضمّ الظاء - والتثنية ظهران - بفتح

الظاء - وقد يزداد في التثنية ألف ونون أخرى للتأكيد فيقال: ظهرانان - بفتح الظاء - فيضاف إلى القوم كالجمع فيقال: فلان بين زهراني القوم - بفتح الظاء - تثنية، وأظهر القوم بصيغة الجمع، والمعنى هو مامرّ أي مقيم بينهم محفوف بهم من جانيبه أو من جوانبه.

قال في النهاية: وفيه (أقاموا بين ظهرائيهم وبين أظهرهم) قد تكرّرت هذه اللفظة في الحديث، والمراد بها أنهم أقاموا بينهم على سبيل الإظهار والإستظهار والإستناد إليهم، وزيدت فيه ألف ونون تأكيداً، ومعناه أن ظهراً منهم قدّامه وظهراً وراءه، فهو مكثوف بهم من جانيبه ومن جوانبه إذا قيل بين أظهرهم، ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم مطلقاً.

وفي حديث عليّ (عليه السّلام): (اتخذتموه وراءكم ظهرياً حتى شنت عليكم الغارات) هو بكسر الظاء أي جعلتموه وراء ظهوركم، وهو منسوب إلى الظهر، وكسر الظاء من تغييرات النسب^(١).

وقوله تعالى: ﴿تركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾^(٢) أي تركتموه على عقبكم أي نسيتموه ولم تعملوا به ونبذتموه.

و (الأمور) جمع الأمر بمعنى الشأن والحال ونحوهما.
و (الظاهر) ظاهر.

و (الأحكام) جمع الحكم وهو توجيه الخطاب نحو الغير، أو نفس الكلام الموجه إليه، أو المعنى المندمج في الخطاب المؤدّى باللفظ والكتاب.
و (الزاهر) المتلألئ المشرق.

و (الاعلام) جمع العلم بالتحريك وهو العلامة التي يعلم بها الشيء، ويُطلق بهذه المناسبة على الجبل والراية ونحوهما.
و (الباهر) هو الغالب بنوره وضيائه.

(١) النهاية ٣: ١٦٦ / ظهر.

(٢) الأنعام: ٩٤.

و (الزواج) جمع الزاجر، والمراد بها النواهي بقرينة ذكر الأوامر بعد ذلك.
و (اللائحة) الواضحة.

وكلّ هذه اللغات واضحة بأنفسها أو ممّا مرّت إليه الإشارة، وفي الكشف:
(بين أظهركم، قائمة فرائضه، واضحة دلّئلّه، نيرة شرائعه، زواجره واضحة،
وأوامره لائحة)^(١).

قولها (عليها السلام): (أرغبة عنه تدبرون) أي أمن جهة الإعراض عنه
تدبرون، أو تدبرون إداراً عنه؟ وهذا استفهام توبيخي، ورغبة منصوب على
المفعول لأجله أو للمفعول المطلق من غير اللفظ، فإنّ الرغبة عن الشيء الإدبار
عنه.

(أم بغيره تحكون) هذا أيضاً توبيخ أي أيّ هذين الأمرين فعلتم فعليكم الذمّ
والعقاب فيما عملتم.

(بش للظالمين بدلاً) من الكتاب ما اختاروه من الحكم الباطل، أو بدلاً من
الميل إلى الكتاب والحكم به ما فعلوه من الإدبار عنه والحكم بغيره، ومن ابتغى
ديناً وراء الإسلام، وحكماً بغير ما يحكم به القرآن من الأحكام، فأولئك هم
العادون ولن يقبل ذلك منهم في الآخرة، وأولئك هم الخاسرون.

قولها (عليها السلام): (ثم لتلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها) اللَّبْثُ بفتح اللام -
المكث من لبث بالمكان لبثاً - من باب تعب - أي مكث، وسكون العين من المصدر
هنا خلاف القياس، إذ المصدر من فعل - بالكسر - قياسه التحريك إذا لم يتعدّ مثل
تعب تعباً، و﴿للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾^(٢) أي مكث، واللّبْثَةُ - بالفتح - المرأة
وبالكسر الهيئة والنوع، والإسم اللَّبْثُ - بالضمّ - ويتعدّى بالهمزة والتضعيف.

والريث الإبطاء، وراث علينا خبر فلان يريث إذا أبطأ، واستراث الخبر
استبطأه، وفي حديث أبي بكر مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (إنّ القوم قد

(١) كشف الغمّة ٢: ١١٢.

(٢) الصافات: ١٤٤.

فرحوا بقدومك وهم يستريثون إقبالك إليهم^(١) أي يستبطنون إقبالك إليهم من الاسترائة بمعنى الإستبطاء.

وما أرائك علينا أي ما أبطأك عنا، وفعل فلان كذا عجلأ غير رائث أي غير بطيء متأخر، ويقال: ربّ عجلة أورثت ريثأ، وريثما وزان حيشما وقريب منه معنأ ولفظأ ويُبني مثله أيضاً وقد تكرر في الحديث.

ومنه: فلم يثبت إلا ريثما قلت أي إلا قدر ذلك، وقد يستعمل بغير ما كقوله: لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه، وقد يستعمل بدون النفي مثل: أمهلته ريثما فعل أي قدر ما فعله.

والنفرة - بفتح النون وكسر ها - من قولهم نفر الوحش ينفر نفوراً إذا ذهب ولم يكن منقاداً، وحاصله معنى الوحشة والدهشة، ويجوز القاف بدل الفاء من النفر، وهو أيضاً كناية عن الوحشة.

و (السلس) بالتحريك السهولة واللين في العمل، يقال: سلس سلساً - من باب تعب - أي لان وسهل، وبمناسبتة استعمل سلس البول في استرساله وعدم استمساكه، وفلان سلس القيادة أي لين سهل الانقياد.

و (القياد) بالكسر ما يُقاد به الدابة من حبل وغيره، وفي الحديث: إنَّ الجواد إذا حباك بموعد أعطاكه سلساً بغير مطال وحاصله خلاف الجموح حقيقة أو مجازاً، وفي نسخة ابن أبي طاهر: (ثم لم تريثوا حتّما إلا ريث) وحتّ الورق من الغصن نثرها، وفي بعض النسخ: (ثم لم تبرحوا ريثأ).

و ضمير المؤنث في الفقرة الشريفة راجع الى الفتنة السابقة التي فيها سقطوا، وهي فتنة وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) مراداً بتلك الفتنة الخلافة المغصوبة المجعولة، أي لم تصبروا إلا بقدر أن استقرّ أمر الخلافة، وانقاد لكم جعلها الصعب

(١) الكافي ٨: ٢٤٠ ح ٥٣٦. عنه البحار ١٩: ١١٦ ح ٢.

الذي لا يكاد يسلس وينقاد لكم، ثم أخذتم أي شرعتم تشعلون نار الفتنة الخامة، والمفسدة الكامنة.

وقولها (عليها السلام): (تورون) من الإبراء مصدر أوريت الزنده من قولهم: وري الزند يرى وريراً إذا خرّجته ناره، وأوريتُهُ أنا ووريتُهُ أنا إبراء وتورية، ويقال: فلان يستوري نار الضلالة أي يستخرجها، قال تعالى: ﴿أفأريتم النار التي تورون﴾ * أءنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون ﴿^(١).

والتورية عن الشيء بمعنى الكناية عنه كناية عنه، والزند الوري الذي تظهر ناره سريعاً، وفي حديث عليّ (عليه السلام): (حتى أوري قبساً لقابس)^(٢) أي أظهر نوراً لطالب الحق والهدى، وكأنّه مأخوذ من وراء أي أتى بشيء من وراء شيء كما يقال: توارى القرص أي غاب.

و (وقدة) النار - بالفتح - وقودها، ووقدها لهيها.

و (الجمرة) المتوقّد من الحطب فإذا برد فهو فحم، والجمر بدون التاء جمعها، و في المصباح: جمرة النار القطعة الملتهبة والجمع جمر وجمرات^(٣).

و (الهِتاف) بالكسر الصياح كما مرّ، وهتف به دعا به.

و (الإطفاء) إسكان النار وإسكاتها من طَفِئَتِ النارُ طَفْأً - بالهمزة - من باب تعب خمدت وأطفأتها أنا، ومنه أطفأت الفتنة بمعنى أسكنتها على سبيل الإستعارة، قال تعالى: ﴿يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم﴾^(٤) أي إسكانه وإخماده، وهو تهكم بهم لإرادتهم إبطال الإسلام بقولهم في القرآن (هذا سحر) ونحو ذلك، فأشبه حالهم من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه، وفي الحديث:

(١) الواقعة: ٧١ - ٧٢.

(٢) نهج البلاغة الخطبة: ٧٢، عنه البحار ١٦: ٣٨١ ح ٩٣، والنهاية ٥: ١٧٩، ولسان العرب ١٥: ٢٨٢/

ورى.

(٣) المصباح المنير: ١٠٨ / جمرة.

(٤) التوبة: ٣٢.

(قوموا الى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فاطفئوها بصلاتكم)^(١) أراد بها الذنوب على سبيل الإستعارة.

و (اهماد) النار إطفأوها بالكلية.

و (السنن) جمع السنة بمعنى الطريقة شَبَّهت بالأنوار وأسند اليها الإطفاء، والحاصل أنكم إنما صبرتم الى أن استقرت فيكم الخلافة المغصوبة، ثم شرعتم في تهيج الشرور والفتن، واتباع الشيطان، وإبداع البدع، وتغيير السنن.

قولها (عليها السلام): (تسرون حسواً في ارتغاء) الاسرار ضد الإعلان من السرّ - بالكسر - وهو الأمر المخفي أو الخفي، والحسوّ - بفتح الحاء وسكون السين المهملة - شرب المرق وغيره شيئاً بعد شيء، يقال: حسوت المرق أو الماء حسواً أي شربته كما ذكر، وفي الحديث: (فأكل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) وحسوا المرق)^(٢) أي شربا منه شيئاً فشيئاً، وأحسيته المرق فحساه واحتساه بمعنى.

والحسوة - بالفتح - المرة وبالضم الجرعة، يُقال: في الإناء حُسوة من الماء أي جرعة، وحسا الطائر يحسو أي شرب قليلاً قليلاً، ومن أمثالهم: نوم كحسو الطير إذا نام قليلاً يشبه تجرّع الطير في سرعة انقضائه، أو في كونه قليلاً قليلاً، ويوم كحسو الطير أيضاً أي قليل قصير، ورجل حسواً أي كثير الحسو، وقال أبو ذبيان بن الرّغبل: إنّ أبغض الشيوخ إليّ الحسوّ الفسوّ الأقلح الأملح^(٣).

والإرتغاء شرب الرغوة وهو زبد اللبن، قال الجوهري: الرغوة - مثلثة - زبد اللبن، وارتغيت: شربت الرغوة، وفي المثل: يسرّ حسواً في ارتغاء، يضرب لمن يريد أمراً ويظهر غيره، قال الشعبي لمن سأله عن رجل قَبَّلَ امّ امرأته قال: يسرّ

(١) أمالي الصدوق: ٥٨٥ ح ٣ مجلس ٧٥، عنه البحار ٨٢: ٢٠٩ ح ٢١.

(٢) مجمع البحرين / حسا.

(٣) راجع لسان العرب ٣: ١٨١ / حسا.

حسواً في إرتغاء وقد حرمت عليه امرأته^(١).

وقال الميداني: قال أبو زيد والأصمعي: أصله الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة ولا يريد غيرها، فيشربها وهو يريد في ذلك أن ينال من اللبن، يضرب لمن يريد أنه يعينك وإنما يجزّ النفع إلى نفسه، ويجوز أن يكون الإرتغاء بمعنى أخذ الرغوة أي أنه يسرّ الشرب من اللبن في أثناء أخذ الرغوة منه بخضه، وفي بعض النسخ: (تشربون) وهو أيضاً صحيح من حيث المعنى إن صحّ اللفظ. قولها (عليها السلام): (وتمشون لأهله وولده بالخمر والضراء) الخمر - بالتحريك - ما وارك من شجر وغيره كأنه مشتق من الخمر بمعنى الستر، يقال: توارى الصيد في خمر الوادي، ومنه قولهم: دخل فلان في خمار الناس - بالضم - أي ما يواريه ويستتره منهم.

والضراء - بالضاد المعجمة المفتوحة والراء المخففة - الشجر الملتف في الوادي، ويقال لمن ختل صاحبه وخادعه: يدبّ له الضراء ويمشي له الخمر، وقال الميداني: قال ابن الأعرابي: الضراء ما انخفض من الأرض، وفي بعض النسخ: (الخمرء والضراء) كأنهما بمعنى الأرض ذات الخمر والضراء.

و (الحزّ) بفتح الحاء المهملة: القطع، أو قطع الشيء من دون إبانة، يقال: حززت العود أي قطعته، وروي الجزّ أيضاً بالجيم بمعنى القطع، يقال: جززت الصوف جزاً أي قطعته، وهذا زمن الجزاز.

و (المدى) جمع المئدة - بضم الميم - وهي السكين لأنه يقطع مدى عمر الإنسان مثلاً.

و (الوخز) الطعن بالرمح ونحوه لا يكون نافذاً، يقال: وخزه بالخنجر وخزاً أي طعنه بنحو لا ينفذ، وقيل: الوخز دون الطعن ومنه الوخز للشيء القليل، وورد في الطاعون أنه وخز الشيطان.

و (السنان) بكسر السين الحديدية الحادة في رأس الرمح والجمع أسنة.
و (الحشا) المعاء وما اضطمت عليه الضلوع، والجمع أحشاء مشتق من
الحشو، وحشوة البطن - بالكسر والضم - أمعاؤه، وحشوت الوسادة بالقطن حشواً
إذا دخلت الحشو فيها.

والمعنى أنا نصبر على حالة هي من أجل ظلمكم علينا أهل البيت مثل حالة
من يقطع أعضائه بالمدى، ويقع وخز السنان منه في الحشا، وهذا مثل قول عليّ
(عليه السلام): فرأيت أنّ الصبر على هاتى أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي
الحلق شجى، أرى تراثي نهياً^(١).



قالت (عليها السلام):

«وَأَنْتُمْ الْآنَ تَزْعُمُونَ أَنْ لَا إِرْثَ لَنَا، أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ تَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ أَقَلَّا تَعْلَمُونَ، بَلَى قَدْ تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أَنِّي ابْنَتُهُ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَغْلَبُ عَلَى إِرْثِيهِ؟

يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا أَرِثُ أَبِي؟ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا فَرِيًّا، أَفَعَلَى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَتَبَذَلْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^(١) وَقَالَ فِيهَا اقْتَصَّ مِنْ خَيْرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا (عليهما السلام) إِذْ قَالَ: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^(٢)، وَقَالَ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٣) وَقَالَ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾^(٤) وَقَالَ: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٥).

وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حِظَّوَةٌ لِي وَلَا إِرْثَ مِنْ أَبِي، وَلَا رَحِمَ بَيْنَنَا، أَفَحَصَّكُمُ اللَّهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ أَبِي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْهَا؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ إِنَّا أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لَا يَتَوَارَثَانِ؟ أَوَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ؟ أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي؟ فَدُونَكُمَا مَخْطُومَةٌ مَرْحُومَةٌ تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ،

(١) النمل: ١٦.

(٢) مريم: ٥ - ٦.

(٣) الأنفال: ٧٥.

(٤) النساء: ١١.

(٥) البقرة: ١٨٠.

فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللَّهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَالْمَوْعِدُ
الْقِيَامَةُ، وَعِنْدَ السَّاعَةِ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدُمُونَ،
وَلِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ مُخْزٍ بِهِ وَيَجْلُ
عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ».

بيان:

(الإرث) بكسر الهمزة استحقاق مال الميت بموته على النحو المقرر في
الشريعة، وأصله الورث - بالواو - من قولك: ورثت أبي و ورثت الشيء من أبي
أرثه - بالكسر - فيهما وراثته و ورثاً وإرثاً - بقلب الواو المكسورة ألفاً للتخفيف -
كما يقال في وشاح إشاح، ويقال: ورثه وتوارثه بمعنى، وأورثه أبوه مالاً و ورثه
إياه.

ويُطلق على من له الإرث وارث، والجمع ورثة يقال: هم ورثة فلان، ويُطلق
على من منه الإرث الموروث والمورث والمورث، والمال هو الموروث والمورث
والمورث والإرث أيضاً مصدر بمعنى المفعول.

والميراث أصله الموراث والتراث - بضم التاء - وأصله الوراثة، قال تعالى:
﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾^(١) وهو ما يخلفه الرجل لورثته، وأورثه جعله وارثاً
كورثته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ
وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ الذين يرثون
الفردوس هم فيها خالدون^(٣).

قال المفسرون: ما من أحد يدخل الجنة حتى يعرض عليه مكانه من النار،
فيقال له: هذا مكانك الذي لو عصيت الله لكنت فيه، وما من أحد يدخل النار حتى
يعرض عليه مكانه من الجنة، فيقال له: هذا مكانك الذي لو أطعت الله لكنت فيه،

(١) الفجر: ١٩.

(٢) الأعراف: ١٣٧.

(٣) المؤمنون: ١٠ - ١١.

فيورث هؤلاء مكان هؤلاء وبالعكس، وذلك قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾. قال في المجمع: وفي الخبر: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) يُقرأ بفتح الراء وكسرها، قال بعضهم: وحكمته أنهم (عليهم السّلام) كالأباء للأمة فمالهم لكلّهم، أو لئلا يظنّ بهم الرغبة في الدنيا.

وقد ردّ أصحابنا هذا الحديث وأنكروا صحّته، وهو الحق لمخالفته القرآن الكريم، وما خالفه فهو زخرف مردود باطل لا يعتدّ به، نعم روى ثقة الإسلام عن الصادق (عليه السّلام) أنّ العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أنّ الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وأنما ورّثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها أخذ بحظّ وافر، وهو بعد تسليم صحّته ليس فيه دلالة على عدم التورث المطلق كما هو ظاهر، إنتهى^(١) وسيأتى الكلام في هذا الحديث ودلالته.

وفي الحديث: (اللّهُمَّ متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث منّي)^(٢) أي أبقيهما صحيحين سليمين إلى أن أموت، وقيل: أراد بقاءهما وقوّتهما عند الكبر وانحلال القوى النفسانيّة، فيكون السمع والبصر وارثي سائر القوى والباقيين بعدها، وقيل: أراد بالسمع وعي ما يُسمع والعمل به، وبالبصر الاعتبار بما يرى، وفي رواية: (واجعله الوارث منّي) فردّ الهاء إلى التمتع فلذلك وحده.

و (أَيّام الجاهليّة) هي زمان الفترة ما قبل بعث النبي (صلّى الله عليه وآله)، لكون الناس حينئذٍ في الجاهالة من دين الله أصولاً وفروعاً، والجاهلية مصدر عارضي أي جعليّ بالياء والتاء.

و (بغى) ببغى بمعنى طلب، يقال: بغيته بغيةً - بكسر الباء وفتحها - وبغاءً - بالكسر والمد - وبُغاية - بضمّ الباء -، وابتغيته ابتغاءً أي طلبته، والإِسْم البُغَاء - بضمّ الباء - وابتغاء مرضات الله أي طلبها.

وفي الخبر: (وخرج أبو بكر في بُغَاء إيل)^(٣) بضمّ الباء أي طلبها على وزن

(١) مجمع البحرين / ورث.

(٢) النهاية ٥: ١٧٢، ولسان العرب ١٥: ٢٦٧ / ورث، والبحار ٨٦: ١٣٠ ح ٣.

(٣) النهاية ١: ١٤٣، ولسان العرب ١: ٤٥٦ / بغا.

عُطاس وزُكام، تشبيهاً لشغل القلب الطالب بالداء الذي يختصّ به هذا الوزن، والبُغية - بضمّ الباء - الحاجة المطلوبة.

و (الضاحية) الظاهرة البيّنة، يقال: فعلت ذلك الأمر ضاحية أي بيّنة علانية، والشمس الضاحية الواضحة في ضحو النهار، وضحوه النهار بعد طلوع الشمس، ثمّ بعده الضحى وهي حين تشرق الشمس، ثمّ الضحّاء - بالفتح والمد - وهو عند ارتفاع النهار الأعلى، وتقول من الجميع: أضحيت أي دخلت في الضحوة والضحو والضحّاء، ويتعيّن بالقرينة كما تقول من الصباح أصبحت ومن المساء أمسيت. وضحى الطريق يضحو ضحوّاً إذا ظهر، وضحيت للشمس ضحّاء - بالمد - إذا برزت للشمس بفتح الحاء وكسرهما، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ لَا تَظُنُّوا فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾^(١).

والمعنى أفلا تعلمون أنّي ابنة النبي (صلى الله عليه وآله)؟ بل قد تجلّى ووضح لكم ذلك مثل ما ترون الشمس الضاحية، والترقي بملاحظة أنّكم تعلمون علم اليقين بل ترونها عين اليقين، فهو ترق من علم اليقين إلى عين اليقين الذي هو أعلى من علم اليقين.

قولها (عليها السّلام): «أيتها المسلمون» منادى وهو متعلّق بقولها (أفلا تعلمون) أو بقولها (عليها السّلام) بعد ذلك (أأغلب على ارثيه).

و (أغلب) بصيغة المجهول، والاستفهام توبيخي إنكاري، والمغلوبيّة على شيء أخذه من صاحبه قهراً وغلبة بلا وجه مسوّغ، والهاء في ارثيه للسكت والمقصود إرثي، وهو نظير قوله تعالى: ﴿هَازِمٌ آقِرُّوْا كِتَابِيهِ﴾ * أنّي ظننت إنّني ملاق حسابه^(٢) وهذه الهاء يقال لها هاء الوقف تثبت في الوقف وتسقط في الوصل، وقُرئى باثباتها في الوصل أيضاً.

(١) طه: ١١٩.

(٢) الحاقة: ٢٠ - ١٩.

وفي الكشف: (ثم أنتم أولاً تزعمون أن لا إرث ليه)^(١) وفي رواية ابن أبي طاهر: (ويهاً معاشر المهاجرة ابتز إرث أبيه؟)^(٢) قال الجوهرى: إذا أغريته بالشيء قلت وبهاً يا فلان وهو تحريض، إنتهى^(٣).

ولعل الأنسب هنا التعجب، والابتزاز: السلب، وهذه الجملة على سبيل الإستفهام الإنكاري أيضاً، والإرث هنا بمعنى الميراث بخلاف ما سبق لاحتمال المصدرية فيه.

و (أبو قحافة) كنية عثمان بن عامر كما في القاموس^(٤)، وعثمان أبو أبي بكر وإسم أبي بكر هو عبدالله، فأبو بكر هو عبد الله بن عثمان بن عامر، وكانت كنية أبي بكر في الجاهلية أبا الفصيل فلما أسلم كناه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأبي بكر.

وتكنية أبيه بأبي قحافة لأنَّ القَحْفَ - بالكسر - نصف القدح من الخشب على مثال قحف الرأس، وهو العظم الذي فوق الدماغ، ثمَّ يقال: اقتحف الرجل إذا شرب ما في الإناء، والقحافة - بالضم - ما يُقْتَحَف من الإناء، سمى عثمان المذكور بابي قحافة إما لكونه مضيفاً للناس، أو لكونه داعياً لضيافة الناس، أو لكونه طباًخاً ونحو ذلك.

والمشهور المأثور أنه كان داعياً لضيافة عبدالله بن جدعان في الجاهلية، قيل: لم يجتمع أربعة من الأصحاب من نسل واحد إلا في سلسلته، فإنَّ محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة مع آبائه الثلاثة كلهم صحابيون، ومحمد هذا غير محمد بن أبي بكر الذي قال فيه علي (عليه السلام): (محمد ابني من صلب أبي بكر)^(٥) وكان ابنه من أسماء بنت عميس فصار بعد ربيياً لعلي (عليه السلام).

(١) كشف الغمة ٢: ١١٢.

(٢) بلاغات النساء: ١٤.

(٣) الصحاح ٦: ٢٢٥٧ / ووه.

(٤) القاموس المحيط: ١٠٩٠ / القَحْفُ.

(٥) البحار ٤٢: ١٦٢ ح ٣٣.

قولها (عليها السلام): (وقد جئت شيئاً فريئاً) أي أمراً عظيماً بديعاً، وقيل: أي أمراً منكراً قبيحاً، أو أمراً كاذباً مأخوذاً من الافتراء بمعنى الكذب عن عمد، كما قالت (عليها السلام): (أفعلى عمد تركتم كتاب الله) وهو استفهام تقريرى، ولم يكن كذبهم هذا عن شبهة بعد وضوح أمر الشريعة، وشيوع مسألة التوارث للعمومات الدالة عليه من الكتاب والسنة.

واعلم أنه قد وردت الروايات المتظافرة كما عرفت وستعرف في أنها (عليها السلام) ادعت أولاً أن فدكاً كانت نحلة لها من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلعل عدم تعرضها صلوات الله عليها في هذه الخطبة لتلك الدعوى لياسها عن قبولهم إياها، إذ كانت الخطبة بعد ما رد أبو بكر شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن شهد معه في دعوى النحلة، وقد كان المنافقون الحاضرون معتقدين بصدقه (عليه السلام)، فتمسكت بمسألة الميراث لكونها من ضروريات الدين، ومن المسلّمات في شرائع الأولين والآخرين، بل بين أهل كلّ مذهب ودين ولو من غير المليين.

و (الحظوة) بكسر الحاء وضمها وسكون الظاء المعجمة المشالة: المكانة والمنزلة، يقال: حظيت المرأة عند زوجها إذا دنت من قلبه، وحظى فلان عند الناس - من باب تعب - إذا أحبّوه ورفعوا منزلته، ولعلّه من الحظّ بمعنى الجدّ كما يقال: فلان محظوظ أي ذو حظ أي صار ذا حظّ عندهم، ثم قلب أحد طرفي التضعيف ياء كما هو شائع مثل أحسيت وأمليت.

وفي الدعاء: (وما يقرب منك ويحظي عندك)^(١) أي ما يوجب لي الحظّ عندك، وأحظيته على فلان أي فضّلته عليه، وفي حديث أزواج النبي (صلى الله عليه وآله): (تزوجني رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شوال وبنى في

(١) فلاح السائل: ٢٣٤، تعقيب نافذة المغرب، عنه البحار ٨٧: ٩٢ ح ١١، مجمع البحرين / حظاً.

شَوَال، فَأَيَّ نَسَائِهِ كَانَتْ أَحْظَى مِنِّي) ^(١) أَي أَقْرَب إِلَيْهِ وَأَسْعَد بِهِ، وَفِيهِ مِنَ الرَّدِّ عَلَى مَنْ كَرَّهَ التَّزْوِيجَ فِي شَوَالٍ مَا لَا يَخْفَى.

وَفِي الْمَثَلِ: إِلَّا حَظِيَّةٌ فَلَا إِلِيَّةَ أَيِ إِنْ أَخْطَأْتَكَ الْحُظُوءَةُ فِيمَا تَطْلُبُ فَلَا تَأَلَّ أَنْ تَتَوَدَّدَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّكَ تَدْرِكُ بَعْضَ مَا تَرِيدُ ^(٢). وَفِي نَسْخَةِ الْكَشْفِ: (فَزَعَمْتُمْ أَنْ لَاحِظٌ لِي وَلَا إِرْثَ لِي مِنْ أَبِي، أَفَحَكَّمَ اللَّهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْهَا أَبِي...) ^(٣).

وَقَوْلُهَا (عَلَيْهَا السَّلَامُ): (زَعَمْتُمْ...) لَا يَخْفَى أَنَّهُمْ لَمْ يَزْعُمُوا ذَلِكَ بَلْ عِلْمُوا قَرِيبَهَا (عَلَيْهَا السَّلَامُ) مِنْ أَبِيهَا، وَإِنَّ لَهَا إِرْثًا مِنْهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وَإِنَّ الرَّحِمَ مُحَقَّقٌ بَيْنَهُمَا، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا لَمْ يَعْمَلُوا بِعِلْمِهِمْ وَعَلَى مَقْتَضَى مَا عِلْمُوا فَتَزَلُّوا مَنْزِلَةَ الْجَاهِلِ، وَهُوَ مِنْ بَلَاغَةِ الْكَلَامِ بِمُلَاحَظَةِ مَقْتَضَى الْحَالِ وَالْمَقَامِ.

وَقَوْلُهَا (عَلَيْهَا السَّلَامُ): (أَفْخَصَّكُمْ اللَّهُ بِآيَةٍ) تَعْنِي (عَلَيْهَا السَّلَامُ) أَنَّ آيَاتِ الْإِرْثِ عَامَةٌ شَامِلَةٌ لَجَمِيعِ الْمَكْلُوفِينَ وَلَا مَخْصَصٌ لَهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ أَوْ إِلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، فَحِينَئِذٍ لَا بَدَّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ آيَاتُ الْإِرْثِ مَخْصُوصَةٌ بِالرَّعِيَةِ وَيَكُونُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) خَارِجاً غَيْرَ دَاخِلٍ فِي تِلْكَ الْجُمْلَةِ، فَيَكُونُ عَدَمُ التَّوْرِيثِ مِنْ خِصَائِصِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَلَا حُجَّةٌ عَلَى ذَلِكَ بِالْمَرَّةِ.

أَوْ أَنْ يُجْعَلَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مَعَ ابْنَتِهِ أَهْلَ مِلَّتَيْنِ أَحَدَاهُمَا مِلَّةُ الْإِسْلَامِ، وَالْأُخْرَى مِلَّةُ الْكُفْرِ حَتَّى لَا يَرِثَ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ، كَمَا هُوَ الْمَقْرَّرُ فِي الشَّرِيعَةِ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْمُتَوَارِثِينَ فِي الدِّينِ وَالْمِلَّةِ، وَهَذَا أَيْضاً ظَاهِرُ الْبَطْلَانِ.

قَوْلُهَا (عَلَيْهَا السَّلَامُ): (أَوْ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ) نَازِلٌ إِلَى رَدِّ الْفَقْرَةِ الثَّانِيَةِ.

وَقَوْلُهَا (عَلَيْهَا السَّلَامُ): (أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِمَخْصُوصِ الْقُرْآنِ) نَازِلٌ إِلَى رَدِّ الْفَقْرَةِ الْأُولَى مِنْ بَابِ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ الْمَشْشُوشِ، وَلَوْ كَانَ لِعُمُومَاتِ الْإِرْثِ مَخْصَصٌ لَوَجِبَ

(١) النِّهَايَةُ ١: ٤٠٥، لِسَانُ الْعَرَبِ ٣: ٢٣٢/حِظَا.

(٢) رَاجِعْ لِسَانُ الْعَرَبِ ٣: ٢٣٢/حِظَا.

(٣) كَشَفُ الْغَمَةِ ٢: ١١٢.

على النبي (صلى الله عليه وآله) وعليّ (عليه السلام) وصيّيه أن يعملوا به ويعلموا به الأمة، والحال أنه ليس كذلك مع أنه لم تخطر هذه المسألة ببال أحد قبل هذه المرحلة.

قولها (عليها السلام): (فدونكها ...) دونك من أسماء الأفعال بمعنى خذ، وضمير المفعول راجع إلى فذك المدلول عليها بالمقام، والخطاب بالأخذ لأبي بكر والأمر بأخذها للتهديد، مثل قوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم أنه بما تعملون بصير﴾^(١). و (المخطوم) اسم مفعول من الخطم - بكسر الخاء المعجمة - وهو كل ما يُدخل في أنف البعير ليقاد به وهو الزمام، يقال: خطمت البعير أي زممته، وناقاة مخطومة أي مزمومة، وسُمّي به زمام البعير لأنه يقع على الخطم وهو الأنف وما يليه، وفي الحديث: (كان خظام جملة (صلى الله عليه وآله) ليفاً)^(٢).

وفي النهاية: وخظام البعير أن يؤخذ حبل من ليف أو شعر أو كتان فيجعل في أحد طرفيه حلقة، ثم يشدّ فيه الطرف الآخر حتى يصير كالحلقة، ثم يقلّد به البعير، ثم يُثنّى على مخطمه، وأمّا الذي يجعل في الأنف دقيقاً فهو الزمام^(٣). و (المرحولة) من الرحل - بالفتح - وهو للناقاة كالسرج للفرس، ورحل البعير كمنعه شدّ على ظهره الرحل.

وفي المصباح: الرحل كلّ شيء يعدّ للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير وجلس ورسن، وجمعه أرحل ورحال مثل أفلس وسهام، ورحلت البعير شددت عليه رحله^(٤).

والمرط المرحل الذي نقش فيه تصاوير الرحال، ومرط مرجّل - بالجيم - الذي ينقش عليه صورة المراحل وهي القدور، والرحل أيضاً ما يستصحب من أساس السفر مطلقاً، شَبّهت (عليها السلام) فذك في كونها مسلّمة لا يعارضها في

(١) فصلت: ٤٠.

(٢) مجمع البحرين / خطم.

(٣) النهاية ٢: ٥٠، لسان العرب ٤: ١٤٦ / خطم.

(٤) المصباح المنير: ٢٢٢ / رحل.

أخذها أحد بالناقاة المنقادة المهيأة للركوب.

(تلقاك يوم حشر) أي تجيء فذك لمخاصمتك في يوم حشرك فيصيبك جزاؤك، أو نلقاك نحن يوم حشرك فنخاصمك في عرصة المحشر.

(فنعلم الحكم الله) حيث لا يجور في حكمه ولا يحيف في قضائه.

(والزعيم) بمعنى الكفيل أي كفيل أمر مخاصمتنا، وفي بعض النسخ والروايات: (والغريم محمد (صلى الله عليه وآله)) أي طالب الحق محمد (صلى الله عليه وآله) حيث لا أحد في عوالم الكون والإمكان أقوى منه وأعلى مرتبة عند الله سبحانه، ولا يضيع ظلامته سيما من امته.

(ونعم الموعد القيامة) حيث يحشر إليها الأولون والآخرون ويقتص من القرناء للجماء، وعند الساعة يخسر المبطلون.

وفي بعض النسخ: (ما يخسر المبطلون) وما مصدرية حينئذ أي عند الساعة يظهر خسرانكم، ويلحق بكم آثار مخالفتكم وعصيانكم، ويحتمل كون ما زائدة للتأكيد أي عند الساعة يخسر المبطلون البتة، ولا ينفعكم الندم إذ تندمون، ولتعلمن نبأ بعد حين، ولكل نبأ من نبأ العذاب أو الإيعاد به الذي تنبئكم به وقت استقرار ووقوع، وسوف تعلمون عند وقوعه من يأتيه عذاب يخزيه.

والإقتباس من موضعين من القرآن الكريم، أحدهما سورة الأنعام، والآخر سورة هود في قصة نوح (عليه السلام) حيث قال: ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم^(١)، فالعذاب الذي يخزيهم هو الغرق، والعذاب المقيم هو عذاب النار، ويمكن أن يكون المراد من العذاب المخزي عذاب البرزخ، ومن العذاب المقيم عذاب الآخرة.

«ثُمَّ رَنَتْ (عليها السلام) بِطَرْفِهَا نَحْوَ الْأَنْصَارِ وَقَالَتْ:
يَا مَعْشَرَ النَّبِيِّينَ، وَأَعْضَادَ الْمِلَّةِ، وَحَضَنَةَ الْإِسْلَامِ، مَا هَذِهِ
الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي، وَالسَّنَةُ عَنْ ظِلَامَتِي؟ أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَبِي يَقُولُ: (الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وَلَدِهِ) سَرَّعَانَ
مَا أَخَذْتُمْ، وَعَجَلَانَ ذَا أَهَالَةٍ، وَلَكُمْ طَاقَةٌ بِمَا أُخَاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلَى
مَا أُطْلَبُ وَأُزَاوِلُ، أَتَقُولُونَ مَاتَ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؟
فَحَطَبُ جَلِيلٍ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتَقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ،
وَأُظْلِمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبِهِ، وَانْكَسَفَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبِهِ، وَأُكْذِبَتِ
الْأَمَالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبَالُ، وَأُضِيعَ الْحَرِيمُ، وَأُزِيلَتِ الْحُزْمَةُ عِنْدَ
مَمَاتِهِ، فِتْلَكَ وَاللَّهِ النَّازِلَةُ الْكُبْرَى، وَالْمُصِيبَةُ الْعَظْمَى، لَا مِثْلَهَا
نَازِلَةٌ، وَلَا بَاقِيَةٌ عَاجِلَةٌ، أَعْلَنَ بِهَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَمَسَّاكُمُ
وَمُصْبِحِكُمْ، يَهْتَفُ بِهِ فِي أَفْنِيَّتِكُمْ هِتَافًا، وَصَرَخًا، وَتِلَاوَةً،
وَالْحَنَانًا، وَلَقَبْلَهُ مَا حَلَّ بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَضْلٌ وَقَضَاءٌ
حَقٌّ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ
قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١).

بيان:

(رنى) إليه يرنو رنوا إذا أدام النظر إليه، ورجل رنأ الذي يديم النظر إلى
النساء، وأرناه غيره يقال: أرناي حسن ما رأيت أي حملني على الرنو، وفي بعض
النسخ رَمَتْ من الرمي، وهو أيضاً صحيح من حيث المعنى.
و (الطرف) بالفتح: العين أو النظر، ولا يجمع لأنه في الأصل مصدر قولك:
طَرَفَ الْبَصَرُ يَطْرِفُ طَرْفًا - من باب ضرب - إذا نظرت أو تحرّكت، ومنه حديث

الصيد: (إذا أدركته والعين تطرف) ^(١) أي تتحرك.

وطرفت عين فلان إذا نظرت ثم غمضت، ويقال أيضاً: طرفت البصر عنه أي صرفته، وطرفت العين لازماً ومتعدياً أي معلوماً ومجهولاً إذا أصبتها بشيء فدمعت.

و (النحو) الطرف المقصود وأصله القصد، يقال: نحاه ينحوه نحواً قصده، ومنه علم النحو لأن المتكلم ينحو به منهاج كلام العرب افراداً وتركيباً، والناحية الجانب، ونحوت نحوك أي قصدت قصدك، ونحوت بصري إليه أي صرفت.

و (المعشر) بفتح الميم والعين ^(٢) الجماعة مطلقاً، ومنه قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس﴾ ^(٣) وفي الخبر: يا معشر الشيعة، ويا معشر الأنصار والمهاجرين، والجمع معاشر مثل إنا معاشر الأنبياء، ونحن معاشر العلماء، وينصب هنا على الاختصاص، وأصله من المعاشرة لمخالطة بعضهم مع بعض، ومنه العشير بمعنى صاحب، والعشيرة بمعنى الرجال الذين هم من قبيلة واحدة، وفي العرب يقال هم عشيرته أي أقرباؤه، وعشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون.

و (النقيبة) هنا من النقب وقد مرّ معنى النقيب، والمراد بالنقيبة الطائفة النجيبة الفاضلة، وروى الفتية - بالكسر - جمع فتى وهو الشاب والكريم السخي، وفي الكشف: (يا معشر البقية) ^(٤) وكلها صحيحة.

و (الأعضاء) بمعنى الأعوان جمع عَضُد - بالفتح فالضم - وهو العضو المعروف ما بين الكتف والمرفق الذي هو سبب قوة الإنسان على الأعمال، فيقال: عضدته كنصرته لفظاً ومعنى، وقوله تعالى: ﴿وما كنت متخذ المضلّين عضداً﴾ ^(٥) أي عوناً

(١) راجع مجمع البحرين / طرف، ونحوه الكافي ٦: ٢٠٨ ح ١٠.

(٢) العين هنا ساكنة، والمراد من العين هو عين الفعل أي يفتح الشين التي هي عين الفعل على وزن مَفْعَل.

(٣) الأنعام: ١٣٠.

(٤) كشف الغمة ٢: ١١٣.

(٥) الكهف: ٥١.

وناصراً، وفلان عضدي أي معتمدي على سبيل الإستعارة، وفي الدعاء: (أنت عضدي) أي أنا بك أتقوى وأنتصر.

و (الحضنة) جمع الحاضن بمعنى الحافظ، من حضن الطائر بيضه إذا ضمه إلى نفسه تحت جناحه، وكذلك المرأة إذا حضنت ولدها، والحضانة - بالفتح والكسر - إسم منه، وحاضنة الصبي المرأة التي تقوم عليه في تربيته، وأصل الحضن - بالكسر - ما دون الإبط إلى الكشح، والمقصود وصف الأنصار بحفظ الإسلام وإعانتهم.

و (الغَمِيزَة) قال الجوهري: ليس في فلان غمِزة أي مطعن^(١)، ونحوه ذكر الفيروز آبادي^(٢)، وهو لا يناسب المقام إلا بتكلف، وقال الجوهري: رجل غَمَزَ أي ضعيف^(٣).

وقال الخليل في كتاب العين: الغَمِيزَة - بفتح الغين المعجمة والزاء - ضعفه في العمل وجهلة في العقل، ويقال: سمعت كلمة فاغتمزتها في عقله أي علمت أنه أحمق^(٤)، وهذا المعنى أنسب، كذا ذكر الفاضل المجلسي (رحمه الله)^(٥).

ويمكن أن تكون الغمِيزَة مصدراً من قولهم: غمزه غمزاً أشار إليه بعين أو حاجب، فتكون الغمِيزَة النظر الضعيف الخفي، ويكون كناية عن النوم والغفلة فيناسب الفقرة الأخيرة، أو هو من قولهم: غمز الدابة في مشيها غمزاً وهو شبه العرج، فيكون المراد من الغمِيزَة التعلل والثقل وعدم الإنتهاز والحركة، وحاصله المسامحة.

وفي الكشف: (ما هذه الفُترة)^(٦) بالفاء المفتوحة وسكون التاء، وهو السكون

(١) الصحاح ٣: ٨٨٩.

(٢) القاموس المحيط: ٦٦٨ / غمزه.

(٣) الصحاح ٣: ٨٨٩.

(٤) كتاب العين ٤: ٢٨٦ / غمز.

(٥) البحار ٢٩: ٢٨٢.

(٦) كشف الغمة ٢: ١١٣.

ونحوه وهو أيضاً مناسب في المرحلة.

وفي رواية ابن أبي طاهر الغميرة - بالراء المهملة - ولعلّه من قولهم: غمر على أخيه أي حقد وضغن، أو من قولهم: غمر عليه أي أغمي عليه، أو من الغمر بمعنى الستر، وأحتمل أنها بالضاد المعجمة فصحفت، فإن استعمال اغماض العين في مثل المقام شائع.

و (السَّنةُ) بالكسر مصدر وَسَنَ يُوسِّنُ كعلم يعلم وَسَنًا وَسِنَّةً، فهو وسن وسنان وهي وَسْنَةٌ ووسنى، والسنة فتور يتقدّم النوم، أو هي أوّل النوم، أو النوم الخفيف، والهاء عوض عن الواو، وقيل: هي ريح النوم يبدو في الوجه ثم ينبعث إلى القلب فينبعث الإنسان فينام، وقيل: النوم مزيل القوّة والعقل، وإنّ السنة في الرأس، والنعاس في العين، والنوم في القلب.

وفي الصحاح: الوسن النعاس والسنة مثله^(١)، وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْ سُنَّةَ وَلَا نَوْمَ﴾^(٢) حاصله لا النوم الضعيف ولا القوي، وتقديم السنة في الآية على النوم مع أنّ القياس في النفي الترقّي من الأعلى إلى الأسفل بعكس الإثبات، قيل: لتقديمها عليه طبعاً، أو المراد نفي هذه الحالة المركبة التي تعتري الإنسان والحيوان.

وفي الكشاف في الآية: إنها تأكيد للقيوم، لأنّ من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً^(٣).

و (الظُّلَامَةُ) بالضم كالمظلمة - بكسر اللام وفتحها - ما أخذه الظالم منك فتطلبه عنده، وكذلك الظليمة، وفي حديث أهل البيت (عليهم السّلام): (الناس يعيشون في فضل مظلمتنا)^(٤) وفي الحديث: (من قتل دون مظلمته فهو

(١) الصحاح ٦: ٢٢١٤ / وسن.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

(٣) الكشاف ١: ٣٠٠.

(٤) علل الشرائع: ٣٧٧ ح ٣ باب ١٠٦، عنه البحار ٩٦: ١٨٦ ح ٩، وفي من لا يحضره ٢: ٢٤ ح ٩٠.

والتهذيب ٤: ١٣٨ ح ٣٨٨.

شهيد^(١) وذلك كأن يقتل دون أهله أو دون ماله أو نحو ذلك.

وقد يستعمل الجميع إسماً للمظلومية، ولعلّ منه حديث فرس الحسين (عليه السلام): (الظليمة الظليمة من أمة قتلوا ابن بنت نبيّها)^(٢) والغرض من هذه الفقرات الشريفة تهيج الأنصار لنصرتها وتوبيخهم على تركها.

وقولها (عليها السلام): (أما كان رسوله أبي...) أي قد صحّ الخبر عن نبيكم واتضح قوله (صلى الله عليه وآله) بينكم أنّ المرء يُحفظ في ولده أي يراعى حاله ويحفظ الكرامة في خصوص ولده بأن يكرم ولده لأجله أي كذا قرّره الله.

ويشهد لذلك ما في قصّة موسى مع خضر (عليهما السلام) في جدار اليتيمين، الذي كان يريد أن ينقضّ فأقامه خضر، فقال له موسى (عليه السلام): «لو شئت لا تحذت عليه أجراً» إلى أن قال خضر (عليه السلام) في جوابه: «واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري»^(٣)، وقد كان بينهما وبين أبيهما سبعمئة سنة.

وعن الصادق (عليه السلام): إنّ الله ليحفظ ولد المؤمن إلى ألف سنة^(٤).

وعنه (عليه السلام): إنّ الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته ودويرات حوله، ولا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله تعالى^(٥).

وفي العوالي عنه (عليه السلام): لما أقام العالم الجدار أوحى الله إلى موسى

(١) الكافي ٥: ٥٢ ح ١، التهذيب ٦: ١٦٧ ح ٢، والوسائل ١١: ٩٢ ح ٨.

(٢) البحار ٤٤: ٢٦٦ ح ٢٣.

(٣) الكهف: ٨٢.

(٤) تفسير العياشي ٢: ٣٣٦ ح ٥٨، عنه البحار ١٢: ٣١٠ ح ٤٤، وتفسير الصافي ٣: ٢٥٧، وكنز الدقائق ١٣٣: ٨.

(٥) تفسير العياشي ٢: ٣٣٧ ح ٦٣، والبحار ٧٠: ١٥٣ ح ١١، وتفسير الصافي ٣: ٢٥٧، وكنز الدقائق ٨: ١٣٣.

(عليه السلام): إني مجازي الأبناء بسعي الآباء^(١). إلى غير ذلك.
فكان حقاً عليكم يا أمة خاتم الأنبياء أن تحفظوه في بنته فاطمة الزهراء سيدة النساء، التي كانت بضعة منه من آذاها فقد آذاه، وفي الكشف: (أما كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يحفظ...)^(٢) وهذا أيضاً راجع في المعنى إلى ما مرّت إليه الإشارة.

قولها (عليها السلام): (سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا اهالة...) سرعان - مثلثة السين مع سكون الراء - وعجلان - بفتح العين - كلاهما من أسماء الأفعال بمعنى سرع وعجل، وتفصيلهما مقرر في النحو، وفيهما معنى التعجب أي ما أسرع ما أحدثتموه بعد النبي (صلى الله عليه وآله) من البدعة والظلم على العترة بغصب فذك، وتصرف الخلافة، وإيذاء أهل بيته، ولم تذهب رائحة النبي (صلى الله عليه وآله) من بيته.

وفي رواية ابن أبي طاهر: (سرعان ما أجديتم وأكديتم، وما أعجل ذا اهالة)^(٣)، يقال: أجذب القوم أي أصابهم الجذب، وأكدى الرجل إذا قلّ خير، والإهالة - بكسر الهمزة - الودك - بفتح الحين - وهو دسم اللحم، يقال: دجاجة وديكة، وديك وديك أي سمين وسمين، وقيل: الإهالة الشحم مطلقاً أو الشحم المذاب، ويطلق على الزيت أيضاً.

وقال الفيروزآبادي: سرعان ذا إهالة أصله أن رجلاً كانت له نعجة عجفاء، وكان رعامها يسيل من أنفها لهزالها، ف قيل له: ما هذا الذي يسيل من منخريها؟ فقال: ودكها، فقال السائل: سرعان ذا إهالة، ونصب إهالة على الحال، وذا إشارة إلى الرعام، أو تمييز على تقدير نقل الفعل كقولهم: تصبّب زيد عرقاً، والتقدير:

(١) عوالي اللالي ٣: ٥٤٧ ح ١٠، عنه الصافي ٣: ٢٥٧، وكنز الدقائق ٨: ١٣١، وفي الكافي ٥: ٥٥٣ ح ١.

والبحار ١٣: ٢٩٦ ح ١٣.

(٢) كشف الغمة ٢: ١١٣.

(٣) بلاغات النساء: ١٧.

سرعان إهالة هذه، وهو مثل يضرب لمن يخبر بكيونة الشيء قبل وقته، إنتهى^(١).
والرُعَام - بضم الراء وإهمال العين - المخاط أي ما يسيل من أنف الشاة
والخيل، ويقال: رعمت الشاة وأرعمت.

ونقل من كتاب مقاليد العلوم أن سرعان إسم لسرع، وفي المثل (سرعان ذا
إهالة) وذا فاعل سرعان، وإهالة وهي الشحم الذائب تميز كقولك سرع ذا إهالة.
وأصل المثل أن أعرابياً جاء إلى راع ليشتري منه شاة، فقال: هل عندك شاة
سمينة؟ فقال: نعم عندي شاة امتلأت دسماً وودكاً، وطفحت شحماً ولحماً، فقال:
عليّ بها، فجاء الراعي بشاة يسيل رعامها لا تتحرك هزلاً وسوء حال، فقال: ما
وعدتنا بمثل هذه فأين الشحم واللحم؟ قال الراعي: ألم تر أن الشحم يسيل من
منخريها، فقال الأعرابي: سرعان ذا إهالة.

قال الميداني: وذا إشارة إلى الرعام أي سرع الرعام حال كونه إهالة، فجعل
إهالة حالاً، ويجوز أن تكون تمييزاً كما مرّ، والمثل يضرب لمن يخبر بكيونة
الشيء قبل وقته، إنتهى.

وقيل: إن رجلاً كان له شاة ذا هزال أبداً، وكان من شدة هزاله يسيل الرعام
من أنفه دائماً، فقيل له: ما هذا الرعام؟ قال: سرعان ذا إهالة أي هي ممتلئة دسماً،
فهذا شحم مذاب يجيء من جوفه وباطنه لكثرة دسمه.

ولعل أصل المثل كان بلفظ عجلان كما في الخطبة، فاشتبه على الفيروزآبادي
أو غيره، أو كان كلّ منهما مستعملاً في هذا المنل، وغرضها (عليها السلام) التعجب
من تعجيل الأنصار ومبادرتهم إلى إحداث البدع، وترك السنن، ورفض الأحكام،
والتخاذل عن نصره عترة سيّد الأنام (صلّى الله عليه وآله) مع قرب عهدهم به،
وعدم نسيانهم ما أوصاهم به فيهم، وقدرتهم على نصرتهم وأخذ حقهم ممن
ظلمهم، كما قالت (عليها السلام): (ولكم طاقة بما أحاول) أي أطلب، (وقوة بما
أطلب) أي لكم طاقة وقوة في خصوص ما أطلب، إن شئتم أن تنصروني

لنصرتموني وأخذتم حقي وأعنتموني في استرداده ممّن غصبه، ولا يبعد أن يكون المثل إخباراً مجملاً بما يترتب على هذه البدعة من المفاصد الدينية والدنيوية، وإذهاب الآثار النبوية.

قولها (عليها السلام): (أتقولون مات محمد (صلى الله عليه وآله)....) أي أتجترئون علينا أهل البيت من هذه الجهة، أو تظنون أن محمداً (صلى الله عليه وآله) مات ولا تلاقونه بعد ذلك أبداً، وأن المؤمنين لا يموتون بل ينقلون من دار الدنيا إلى دار الآخرة، فسوف يخاصمكم فيما تعملون، أو تظنون أنه لا يرى أعمالكم وأفعالكم ولا يسمع أقوالكم، وإنما هو ناظر إليكم مشرف عليكم يرى ويسمع، وأنتم بمرأى منه وسميع. (فخطب جليل...) الخطب - بالفتح - الشأن والأمر عظم أو صغر، وقيل: الأمر العظيم الشديد.

و (الاستيساع) غاية السعة مثل الإيساع من وسع يسع سعةً. و (الوهي) كالرمي الشق والخرق، ويقال: وهي الثوب إذا بلى وتخرق. و (استنهر) استفعل من النهر - بالتحريك - بمعنى السعة أي اتسع، وأنهرت الطعنة: أوسعته، ونهرت النهر أي أحفرته، ومنهر النهر للماء الجاري المتسع واحد الأنهار، وقوله تعالى: ﴿في جنات ونهر﴾^(١) قيل: أي أنهار، وقد يُعبر بالواحد عن الجمع كقوله تعالى: ﴿ويولّون الدبر﴾^(٢).

و (الفتق) الشق ويقال: فَتَقْتُ الثوب فَتَقّاً - من باب ضرب وقتل - نقضت خياطه حتى فصلت بعضه عن بعض، فانفتق أي انشق، وفتقته - بالتشديد - مبالغة، وفي الخبر: (محمد (صلى الله عليه وآله) الفاتق الراتق)^(٣) يعني فاتق الجور وممّرقه، وراتق الخلل الذي في الدين.

(١) القمر: ٥٤.

(٢) القمر: ٤٥.

(٣) البحار ٩٨: ١٢٧ ح ٣.

و (الرتق) ضدّ الفتق وهو الإلتئام، قال الله تعالى: ﴿أولم ير الذين كفروا أنّ السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيّ أفلا يؤمنون﴾^(١). قيل: كانت السماوات سماءً واحدة ففتقهما الله وجعلهما سبع سماوات وسبع أرضين، وقيل: كانت السماء مع الأرض جميعاً شيئاً واحداً ففتقهما الله بالهواء الذي جعله بينهما، أو المراد فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات، وفي الدعاء: (اللَّهُمَّ ارتق فتقنا) أي أصلح مفاسد أمورنا.

والضمائر الثلاثة في وهيه وفتقه ورتقه للخطب، والمراد أنّ موت النبي (صلى الله عليه وآله) أمر عظيم، وخطب جسيم، وحادثة جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة لا يسدها شيء، وهو النور الأقدم، والنير الأعظم في العوالم الكونية والإمكانية، قال تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾^(٢) وقد ﴿أشرقت الأرض بنور ربّها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين﴾^(٣).

قولها (عليها السلام): (فأظلمت الأرض) أي كان هو (صلى الله عليه وآله) نور كلّ شيء وضياء كلّ نور وفيه، فلمّا مات أظلمت الأرض لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته.

و (كسف النجوم) ذهاب نورها، والفعل منه يكون متعدّياً ولازماً وهو من باب ضرب، وفي رواية ابن أبي طاهر مكان هذه الفقرة: (واكتأبت خيرة الله لمصيبته)^(٤) وفي الكشف: (واكتأبت لخيرة الله)^(٥) راجعاً ضميره إلى الأرض. و (الأكداء) من الكدية - بضم الكاف - بمعنى الأرض الصلبة، وأكدّي الشيء إذا بلغ إلى الصلب، ومنه أكدّي الرجل إذا قلّ خير، وقوله تعالى: ﴿وأعطى قليلاً

(١) الأنبياء: ٣٠.

(٢) المائدة: ١٥.

(٣) الزمر: ٦٩.

(٤) بلاغات النساء: ١٧.

(٥) كشف الغمة ٢: ١١٣.

وأكدى^(١) أي قطع القليل، وأكدت الآمال أي قطع خيرها أي انقطعت ولم يبق رجاء فيها، فأكداء الآمال كناية عن انقطاع الرجاء، كما أن خشوع الجبال كناية عن جزعها لموت النبي (صلى الله عليه وآله)، أو عن الضعف الحاصل للقلوب الراسية كالجبل استعارة عن اختلال حال العترة.

و (حريم) الرجل ما يحميه ويقا تل عنه، كما أن الحرمة ما لا يحل انتهاكها، وقد مرّت الإشارة إلى معنى المادة، والمراد حريم النبي (صلى الله عليه وآله)، وحرمة كناية عن العترة.

وقولها (عليها السلام): (عند مماته) متعلّق بقولها (أكدت الآمال) وما بعده من الأفعال، وفي بعض النسخ: (أدلت الحرمة) من الادالة بمعنى الغلبة، وفي بعضها الرحمة بدل الحرمة.

(قتلك والله...) إشارة إلى مصيبة وفاة النبي (صلى الله عليه وآله).

و (النازلة) الشديدة.

و (البائقة) الداهية، و (مثلها) خبر (لا) على الأرجح ونازلة اسمها، قدّم الخبر لتذكير المبتدأ أي لا نازلة مثلها، ويجوز وجه آخر أيضاً لا يخفى.

و (الأفنية) جمع فناء الدار - بالكسر - ككساء وهو الوصيد أي العرصة المتسعة امامها، وفناء الكعبة سعة امامها، وقيل ما امتدت من جوانبها دوراً وهو حريمها خارج المملوك منها، وفي الخبر: (اكنسوا أفنيتمكم ولا تشبهوا باليهود)^(٢)، وفي الدعاء: (نازل بفنائك)^(٣) والخطاب لله وهو على الإسعارة.

و (المُسي والمُصبح) بضم الميم فيهما مصدران وموضعان من الإمساء والإصباح.

و (الهتاف) بالكسر الصياح وقد مرّ.

(١) النجم: ٣٤.

(٢) المحاسن ٢: ٤٦٣ ح ٧٧، عنه البحار ٧٦: ١٧٦ ح ١٠، وفي الكافي ٦: ٥٣١ ح ٥.

(٣) البحار ١٠٠: ٣٠٣ ح ٢٢.

و (الصُّراخ) بالضم الصوت أو الشديد منه، يقال: صرخ صرخة - من باب قتل - واصطرخ أي صوّت، والمستصرخ: المستغيث، والمصرخ: المغيث، يقال: استصرخني فأصرخته، والصارخ: المغيث والمستغيث أيضاً، ويقال: مررت به فإذا له صراخ كصراخ الثكلى أي مثل صوت بكائها يكون مشتملاً على الشدة.

و (التِّلَاوة) بالكسر القراءة من تلوت القرآن تلاوة أي قرأته، ومنه: (ربّ تال للقرآن والقرآن يلعنه)^(١) وقد يقال: تلوت الرجل أتلوّه تلوّاً على وزن فعول تبعته، فأنا تال وتلوّ أيضاً وزان حمل، وليس بمراد هنا.

و (الإلحان) بكسر الهمزة الإِفْهَام، يقال: ألحنه القول أي أفهمه، ويجوز أن يكون من اللحن بمعنى الغناء والطرب، قال الجوهري: اللحن واحد الإلحان واللحن، ومنه الحديث: (اقرأوا القرآن بلحون العرب) وقد لحن في قراءته إذا طرب بها وغرّد، وهو ألحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء، إنتهى^(٢). ويمكن حينئذٍ أن يُقرأ بصيغة الجمع أيضاً، والأوّل أظهر على ما قيل.

و (الحكم الفصل) هو المقطوع به الذي لا ريب فيه ولا مردّ له، وقد يكون بمعنى القاطع الفارق بين الحق والباطل.

و (الحتم) في الأصل احكام الأمر، والقضاء الحتم مالا يتطرّق إليه التغيير. و (خلت) من الخلو بمعنى مضت.

و (الإنقلاب) على عقب الرجوع القهقري، أريد به الإرتداد بعد الإيمان. و (الشاكرون) المطيعون المعترفون بالنعم، الحامدون عليها.

والحاصل من قولها (عليها السّلام): (فتلك والله...) إنّ هذه المصيبة والله هي المصيبة الكاملة التي ليس مثلها نازلة ولا حادثة عاجلة، أي أسرع نزولها قبل إبانها في ظاهر العرف والعادة، وقد أعلن بهذه الحادثة كتاب الله تعالى أي أخبر

(١) جامع الأخبار: ١٣٠ ح ٢٥٥، عنه البحار ٩٢: ١٨٤ ح ١٩.

(٢) الصحاح ٦: ٢١٩٣ / لحن.

بها قبل وقوعها حيث قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَنْتُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ....﴾^(٢).

وأنتم تسمعون في صباحكم ومساءلكم يُهتف به - بصيغة المجهول - أي يقرأ ويتلى في أفئيتكم أي في دوركم وسكككم كناية عن غاية الشيوخ، قراءة على نحو الهتاف والصراخ أي بالأنحاء المختلفة، فيقرأ بعضهم على نحو الهتاف أي الصوت الخفي الضعيف، وبعضهم على نحو الصراخ أي الصوت القوي الشديد، وبعضهم على نحو التلاوة أي التلاوة المعهودة، وبعضهم على نحو الالحان، وذلك باختلاف القارين والتالين في الصوت والحالة واللهجة.

وإنَّ ما حلَّ بأنبياء الله ورسله قبل النبي (صلى الله عليه وآله) من الموت، هو حكم فصل وقضاء حتم ما كان يتخلف في مادة أحد، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ....﴾ أي كان أمر موته معلوماً محققاً قطعاً، وما قرَّر الله لأحد من خليقته الحياة الأبدية، فليس أمر الموت غريباً بالنسبة إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، ولا يدل ذلك على بطلان نبوته وما أتى به من شريعته، فما لكم ترتدون على أديباركم وتنقلبون على أعقابكم، ومالكم كيف تحكمون، أم لكم كتاب فيه تدرسون أن لكم لما تخيرون.

قال بعض أمائل المتقدمين^(٣): واعلم أنَّ الشبهة العارضة للمخاطبين بموت النبي (صلى الله عليه وآله) إمَّا عدم تحتم العمل بأوامره، وحفظ حرمة في أهل بيته لغيبته، فإنَّ العقول الضعيفة مجبولة على رعاية الحاضر أكثر من الغائب، وإنَّه إذا غاب عن أبصارهم ذهب كلامه عن أسماعهم ووصاياه عن قلوبهم، فدفعها ما أشارت إليه من اعلان الله جلَّ ثناؤه بوقوع تلك الواقعة الهائلة قبل وقوعها، وإنَّ الموت ممَّا قد نزل بالماضين من أنبياء الله ورسله تثبيتاً للأمة على الإيمان، وإزالة

(١) الزمر: ٣٠.

(٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) راجع البحار ٢٩: ٢٨٧.

لتلك الخصلة الذميمة عن نفوسهم.

ويمكن أن يكون معنى الكلام أتقولون مات محمد (صلى الله عليه وآله)، وبعد موته ليس لنا زاجر ولا مانع عما نريد، ولا نخاف أحداً في ترك الإنقياد للأوامر وعدم الإنزجار عن النواهي، ويكون الجواب ما يُستفاد من حكاية قوله تعالى: ﴿أفإن مات أو قُتل...﴾ لكن لا يكون حينئذٍ لحديث إعلان الله سبحانه وأخباره بموت الرسول مدخل في الجواب إلا بتكلف.

ويحتمل أن تكون شبهتهم عدم تجويزهم الموت على النبي (صلى الله عليه وآله)، كما أفصح عنه عمر بن الخطاب حين شك في موته (صلى الله عليه وآله)، فبعد تحقيق موته عرض لهم شك في الإيمان ووهن في الأعمال، فلذلك خذلوها وقعدوا عن نصرتها، وحينئذٍ مدخلية حديث الإعلان وما بعده واضح.

وعلى التقادير لا يكون قولها (عليها السلام): (فخطب جليل) داخلاً في الجواب، ولا مقولاً لقول المخاطبين على سبيل الإستفهام التوبيخي، بل هو كلام مستأنف لبث الحزن والشكوى، بل يكون الجواب ما بعد قولها (عليها السلام): (فتلك والله النازلة الكبرى).

ويحتمل أن يكون مقولاً لقولهم، فيكون حاصل شبهتهم أن موته (صلى الله عليه وآله) وهو أعظم الدواهي قد وقع، فلا يبالي بما وقع بعده من المحظورات، فلذلك لم ينهضوا بنصرها والإنصاف ممن ظلمها.

ولما تضمن ما زعموه كون مماته (صلى الله عليه وآله) أعظم المصائب، سلمته (عليهما السلام) أولاً في مقام جواب تلك المقدمة لكونه محض الحق، ثم نبّهت (عليها السلام) على خطئهم في أنها مستلزمة لقلة المبالاة بما وقع، والقعود عن نصره الحق، وعدم اتباع أوامره بقولها: (أعلن بها كتاب الله) إلى آخر الكلام.

فيكون حاصل الجواب أن الله قد أعلمكم بها قبل الوقوع، وأخبركم بأنها سنة ماضية في السلف من أنبيائه، وحذركم عن الانقلاب على أعقابكم كيلا تتركوا

العمل بلوازم الإيمان بعد وقوعها، ولا تهنوا عن نصره الحق وقمع الباطل. وفي تسليمها ما سلّمت أولاً دلالة على أنّ كونها أعظم المصائب ممّا يؤيّد وجوب نصرتي، فإنّي أنا المصاب بها حقيقة وإن شاركني فيها غيري، فمن نزلت به تلك النازلة الكبرى فهو بالرعاية أحقّ وأحرى، ويحتمل أن يكون قولها (عليها السّلام): (فخطب جليل) من أجزاء الجواب، فتكون شبهتهم بعض الوجوه المذكورة، أو المركب من بعضها مع بعض.

وحاصل الجواب حينئذٍ أنّه إذا نزل بي مثل تلك النازلة الكبرى، وقد كان الله تعالى أخبركم بها، وأمركم أن لا ترتدّوا بعدها على أعقابكم، فكان الواجب عليكم دفع الضيم عني والقيام بنصرتي، ولعلّ الأنسب بهذا الوجه ما في رواية ابن أبي طاهر من قولها: (وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله)^(١) بالواو دون الفاء.

ويحتمل أن لا تكون الشبهة العارضة للمخاطبين مقصورة على أحد الوجوه المذكورة، بل تكون الشبهة لبعضهم بعضها وللآخر بعضها، وتكون كلّ مقدّمة من مقدّمات الجواب إشارة إلى دفع واحدة منها.

وقال الفاضل المجلسي (رحمه الله): ويحتمل أن لا تكون هذه شبهة حقيقة، بل يكون الغرض أنّه ليس لهم في تلك الأمور الشنيعة حجة ومتمسك، إلّا أن يتمسك أحد بأمثال تلك الأمور الباطلة الواهية التي لا يخفى على أحد بطلانها، وهذا شائع في الاحتجاج^(٢).



(١) بلاغات النساء: ١٧.

(٢) البحار ٢٩: ٢٨٩.

قالت (عليها السلام):

«أَيُّهَا بَنِي قَيْلَةَ أَهْضُمُ تَرَاثَ أَبِييْ وَأَنْتُمْ بِمَزَأَى مِنِّي وَمَسْمَعٍ وَمُنْتَدَى وَمَجْمَعٍ؟ تَلْبَسُكُمْ الدَّعْوَةُ، وَتَسْمَلُكُمْ الْحَيْرَةُ، وَأَنْتُمْ دُؤُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْأَدَاةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمْ السَّلَاحُ وَالْجَنَّةُ، تُؤَافِيكُمْ الدَّعْوَةُ فَلَا تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيكُمْ الصَّرْحَةُ فَلَا تُغِيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكَفَاحِ، مَعْرُوفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَالنُّخْبَةُ الَّتِي انْتَخَبْتَ، وَالْحَيْرَةُ الَّتِي اخْتِيرْتَ، قَاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَنَاطَحْتُمُ الْأَمَمَ، وَكَافَحْتُمُ الْبُهَمَ، لَا تَبْرَحُ أَوْ تَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتِمُرُونَ حَتَّى إِذَا دَارَتْ بِنَارِ حَى الْإِسْلَامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الْأَيَّامِ، وَخَصَعَتْ ثُغْرَةُ الشَّرِكِ، وَسَكَنْتْ قُورَةُ الْإِفْكِ، وَهَمَدَتْ نِيرَانُ الْكُفْرِ، وَهَدَأَتْ دَعْوَةُ الْهَزَجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظَامُ الدِّينِ، فَأَنَّى خَرْتُمْ بَعْدَ الْبَيَانِ، وَأَسْرَزْتُمْ بَعْدَ الْإِعْلَانِ، وَنَكَضْتُمْ بَعْدَ الْإِقْدَامِ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الْإِيمَانِ، ﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُّوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

أَلَا وَقَدْ أَرَى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ، وَأُبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الصَّيْقِ بِالسَّيِّعَةِ، فَجَجْتُمْ مَا وَعَيْتُمْ، وَدَسَعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ، فَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ، أَلَا وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالْخِذْلَةِ الَّتِي خَامَرْتَكُمْ، وَالْعُدْرَةِ الَّتِي اسْتَشْعَرْتَهَا قُلُوبُكُمْ، وَلَكِنَّهَا فَيْضَةُ النَّفْسِ، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ، وَخَوْرُ الْقَنَا، وَبَنَةُ الصَّدُورِ، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ، فَدُونَكُمْ هَا فَاحْتَقِبُوهَا دَبْرَةَ الظَّهْرِ، نَقْبَةَ الْخُفِّ، بَاقِيَةَ الْغَارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللَّهِ،

وَسَنَارِ الْأَبَدِ، مَوْصُولَةٌ بِنَارِ اللَّهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى
الْأَفْقِدَةِ، فَبَعَيْنِ اللَّهِ مَا تَفْعَلُونَ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ
يَنْقَلِبُونَ﴾^(١)، وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ،
فَاعْمَلُوا إِنَّا غَامِلُونَ، وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ».

بيان:

(أَيْهَا) بفتح الهمزة والتنوين بمعنى هيهات، قال الجوهري: أيه اسم فعل ومعناه الأمر، تقول للرجل إذا استزدته من حديث أو عمل: إيه - بكسر الهاء - قال ابن السكيت: فإن وصلت نونت وقلت إيه حدثنا، قال ابن السري: إذا قلت: إيه يا رجل - بلا تنوين - فإنما تأمره بأن يزيدك من الحديث المعهود بينكما كأَنَّكَ قلت: هات الحديث، وإن قلت: إيه - بالتنوين - كأَنَّكَ قلت: هات حديثاً مَّا لَأَنَّ التنوين للتذكير، وإذا سكنته وكففته عن الحديث قلت: إيه أي أكفف عنا، وإذا أردت التباعد قلت: أَيْهَا - بفتح الهمزة - بمعنى هيهات، ومن العرب من يقول أَيْهَات، وهو في معنى هيهات^(٢).

وفي كتاب شرح الأبيات: إذا قلت إيه - بغير تنوين - فكأنَّ مخاطبك كان في حديث ثمَّ أمسك، فأمرته بالشروع في الحديث الذي كان فيه أي هات الحديث، فإذا قلت إيه - بالتنوين - فكأنَّكَ أمرته ابتداءً بأن يحدث حديثاً مَّا أي هات حديثاً^(٣).

وفي الغريبين: إيه أي تصديق كأنَّه قال صدقت^(٤)، وفي الحديث: (إيه أي والله)^(٥) أي صدقت، ويقال: إيه أي كف.

(١) الشعراء: ٢٢٧.

(٢) الصحاح ٦: ٢٢٢٦ / إيه.

(٣) راجع مجمع البحرين / إيه.

(٤) راجع مجمع البحرين / إيه.

(٥) النهاية ١: ٨٧ / إيه، والبحار ٤٧: ١٣١.

و (بنو قيلة) الأوس والخزرج قبيلتا الأنصار، وقَيْلَة - بالفتح - إسم أم لهم قديمة وهي قيلة بنت كاهل.

و (الهضم) الكسر، يقال: هَضَمْتُ الشيء أي كسرتَه، وهَضَمَهُ حَقَّه واهْتَضَمَهُ إذا ظلمه وكسر عليه حَقَّه، وهَضَمَهُ أيضاً دفعه عن حَقَّه أو موضعه، وقوله تعالى: ﴿فَلا يَخَافُ ظِلْماً وَلَا هِضْماً﴾^(١) أي نقصاً.

والهضم والمهضم المظلوم، والهاضوم الذي يقال له الجوارش لأنَّه يهضم الطعام، وقيل لبعض الأصحاب: ألا تتخذ جوارشاً؟ قال: وما الجوارش؟ قالوا: هاضوم يهضم الطعام، قال: سبحان الله أو يأكل المسلم فوق الشبع.

وقد تجشأ رجل في مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: نح عَنَّا جشأك، أما علمت أن أطول الناس عذاباً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا^(٢).

و (التراث) الميراث كما مرَّ تفصيله، وأصله وراث.

و (أنتم بمرأى ومسمع) أي بحيث أراكم وأسمعكم كما قيل في قوله:

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي فأنت بمرأى من سعاد ومسمع أي بحيث تراك سعاد وتسمع صوتك على ما ذكره في الصحاح^(٣).

ويجوز أن يكون المراد أنكم بحيث ترونني، وتسمعون صوتي وصراخي، وهذا أنسب، وكلا المعنيين صحيح من حيث اللغة، والمعنى موقوف على اعتبار المصدر المأخوذ فيه من المعلوم أو المجهول.

و (المنتدى) بالنون غير مهموز: المجلس، ويكون المجمع كالتفسير له من الندوة بمعنى المشورة، والمنتدى محلَّ المشورة فسمي به المجلس فيقال: دار الندوة أو دار المشورة، أو هو من النداء لأنَّ القوم حينئذٍ ينادي بعضهم بعضاً في عالم المخاطبة والمكالمة، والنادي أيضاً المجلس، وندوت القوم جمعتهم في دار

(١) طه: ١١٢.

(٢) المحاسن ٢: ٢٢٤ ح ٣٥٢، عنه البحار ٧٦: ٥٦ ح ٤.

(٣) الصحاح ٦: ٢٢٤٩ / رأى.

الندوة أو في المنتدى.

والغرض أنكم حاضرون في مجلس شكاية مع القوم، تنظرون وتبصرون الحالة والكيفية وما أنا عليه من المظلومية، وقيل: الغرض الاحتجاج عليهم بالاجتماع الذي هو من أسباب القدرة على دفع الظلم ولا يخفى بعده، وفي بعض النسخ المبدأ بالباء مهموزاً، قيل: فلعلّ المعنى أنكم في مكان يُبتدأ منه الأمور والأحكام، والحق أنه تصحيف المنتدى.

و (تلبسكم) على بناء المجرد أي تغطّيكم وتحيط بكم.

و (الدعوة) المرة من الدعاء أي النداء، أي أنّ دعوتي محيطة بكم من جوانبكم وهذا مبالغة.

و (تشملمكم الحيرة) أي أنتم متحيّرون في حالتي لما ترون من الفظاعة أو الشناعة في هذه المخاصمة، وفي بعض النسخ: (الخبرة) من الخبر بمعنى العلم أو الخبرة - بالكسر - بمعناه.

والمراد علمهم بمظلوميّتها، والتعبير بالشمول المنبئ عن معنى الإحاطة للمبالغة أو للتصريح بأنّ ذلك قد عمّهم جميعاً، وليس من قبيل الحكم على الجماعة بحكم البعض أو الأكثر، وكونهم ذوي العدد كناية عن كثرتهم واللام فيه للكمال بجعلها للجنس أو للاستغراق، أي أنتم ذووا العدد الكامل والعدد لا يكون بدون المعدود.

و (العُدّة) بالضم الإستعداد، والعدّة أيضاً ما أعدته لحوادث الدهر من المال والسلاح، يقال: أخذ للأمر عدّته وعتاده بمعنى، قال الأخفش: ومنه قوله تعالى: ﴿جمع مالا وعدّده﴾^(١) أي جعله عدّة.

و (الأداة) بفتح الهمزة الآلة والجمع الأدوات، وآداة على كذا يؤدّيه أي إذا قوّاه عليه وأعانه، وتأدّى أي أخذ للدهر أدواته، والمراد من القوّة أسباب الغلبة.

و (السِّلاح) بكسر السين معروف وهو آلة الحرب.
و (الجُنَّة) بضمّ الجيم المجنّ، وقد مرّت الإشارة إلى حقيقة معنى المادة.
و (موافةً) الدعوى كناية عن بلوغها لهم، وكذا اتيان الصرخة.
و (الكِفاح) بالكسر استقبال العدو في الحرب بلا ترس ولا جُنّة، وفلان يكافح
الأُمور أي يباشرها بنفسه، وتقول: كفحته كفحاً إذا استقبلته.
وفي حديث حسان: (لا تزال مؤيداً بروح القدس ما كافحت عن رسول
الله) ^(١) أي دافعت عنه من المكافحة بمعنى المدافعة لتقاء الوجه، وفيه: (وكافحهم
في الحرب) ^(٢) أي استقبلوهم لوجوهكم ليس دونها ترس ولا غيره، وكلمته كفاحاً
أي مواجهة من غير حجاب.
و (النخبة) كغرفة وبفتح الخاء أيضاً المنتخب المختار، وقرئ النُجبة أيضاً
بالجيم مع ضمّ النون وسكون الجيم وفتحها كهُمَزَةٍ بمعنى النجيب الكريم.
و (الخِيرة) كعِبة المفضل من القوم المختار منهم، وقد مرّت الإشارة إلى
تفصيل معاني المادة.

والنخبة عطف على قولها (عليها السّلام) (موصوفون) وكذلك الخيرة أي أنتم
النخبة والخيرة، وهما إسمان يقعان على القليل والكثير، وانتُخِبَتْ واختيرت
مجهولان، وكون الأنصار منتجبين مختارين إنّما هو من جهة نصرتهم النبي
المختار حين هاجر إليهم ولذا سمّوا بالأنصار، والمراد مدح أصل نوعهم وجنس
طائفتهم لا كلّ واحد واحد من أشخاصهم، فلا بضّرّ كون بعضهم مذموماً مقدوحاً
وعن قرب دار الله مردوداً.

وقولها (عليها السّلام): (قاتلتم العرب ...) كأنّه بيان وجه للجمل السابقة التي
ذكرت في مقام المدح، فإنّ وجه مدحهم بما ذكر أنّهم قاتلوا العرب في نصرته النبي
(صلّى الله عليه وآله) وإعلاء كلمة الإسلام، وتحملوا الكدّ والتعب في مجاهدة

(١) النهاية ٤: ١٨٥، ولسان العرب ١٢: ١١٨ / كفح، ونحوه البحار ٣٧: ١٥٠.

(٢) البحار ٣٢: ٥٩٤.

الكفار، إلى آخر ما ذكرته (عليها السلام).

و (المناطحة) من قولهم: نطح الكباش - من باب ضرب ومنع - نطحاً ضربه بقرنه، وناطحت الكباش وانتطت وتناطحت أي تضاربت بقرونها، وقد يكنى بالنطاح والمناطحة عن المقاتلة مواجهة وبالكباش عن الإبطال، فيقال كما قيل: الليل داج والكباش تنتطح فمن نجا برأسه فقد ربح و (الأمم) جمع الأمة، والمراد من الأمم أمم الجماعات المختلفة، أو الملل المختلفة من اليهود والنصارى وغيرهما، والمراد من مناطحة الأمم محاربة الخصوم ومدافعتهم بجدّ واهتمام كما يدافع الكباش قرنه بقرنه. و (الهمم) الشجعان كما مرّ سابقاً، ومكافحتها التعرّض لدفعها من غير توان وضعف.

وقولها (عليها السلام): (أو تبرحون) معطوف على المنفي في قولها: (لا نبرح) فالمنفي أحد الأمرين ولا ينتفي إلا بانتفائهما معاً، فالمعنى لا نبرح ولا تبرحون، نأمركم فتأتمرون، أي كنّا لم نزل أمرين وكنتم لأوامرنا مطيعين، وفي كشف الغمة: (وتبرحون)^(١) بالواو، فالعطف على المنفي أيضاً والمعنى كما ذكر.

وجوّز بعضهم عطفه على النفي إشعاراً بأنّه قد كان يقع منهم براح عن الطاعة والإطاعة كما في غزوة أحد وغيرها، بخلاف أهل البيت (عليهم السلام) إذ لم يعرض لهم كلال عن الدعوة والهداية، وهو بعيد.

والأظهر ما في رواية ابن أبي طاهر من ترك المعطوف رأساً وهو قولها (عليها السلام): (لا نبرح نأمركم)^(٢) أي لم نزل عادتنا الأمر وعادتكم الإثمار. وفي المناقب: (لا نبرح ولا تبرحون نأمركم)^(٣) فيحتمل أن يكون (أو) في تلك النسخة أيضاً بمعنى الواو أي لا نزال نأمركم ولا تزالون تأتمرون، قيل: ولعلّ

(١) كشف الغمة ٢: ١١٤.

(٢) بلاغات النساء: ١٨.

(٣) البحار ٢٩: ٢٩٢.

نسخة المناقب أظهر النسخ وأصوبها.

و (دوران) رعى الإسلام كناية عن إنتظام أمره والباء للسبيّة.

و (در) اللبن جريانه وكثرته، وناقّة درور أي كثير اللبن، والدّرة أيضاً - بفتح الدال - كثرة اللبن وسيلانه، ويطلق الدّر - بالفتح - على نفس اللبن أيضاً كأنّه مصدر بمعنى المفعول، ويقال في الذم: لا درّ درّه أي لاكثر خيره، ويقال في المدح: لله درّه أي عمله أو جزاء عمله أو خيره، والله درّك من رجل، والله درّه من فارس، ونظيره لله أبوك، ويستعمل في التعجب والتّهزؤ معاً.

ودرّ اللبن إذا زاد وكثر جريانه في الضرع، والمدرار المبالغة منه وهو كثير الدرور، قال تعالى: ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾^(١).

و (الحلب) بالتحريك اللبن المحلوب وهو الأظهر هنا، ويحتمل الحلب بالفتح وهو استخراج ما في الضرع من اللبن، ويلزم حينئذ ارتكاب تجوؤ في الإسناد وفي المسند إليه، أو المراد أنّه كثر بنا فيوضات الله على الأنام، وظهرت للناس منافع الأيام.

و (الثغرة) بالثاء المثلثة المضمومة والغين المعجمة: نقرة النحر بين الترقوتين كناية عن العنق، والمقصود خضوع رقاب أهل الشرك على سبيل المبالغة، أو أنّ خضوع نقرة الشرك كناية عن سقوطها على الأرض أي محقه وسقوطه كالحيوان الساقط على الأرض، نظير قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (أنا وضعت لكل العرب)^(٢) أي صدورهم.

وروي النُغرة - بالنون والعين والراء المهملتين - مثال هُمزة بمعنى الخيشوم، وخضوعها خضوع نعرتها - بفتح النون - أي صوتها كناية عن الضعف أو السكون، أو هي بمعنى الخيلاء والكبر، أو هي بفتح النون بمعنى صوت الخيشوم، أو بمعنى الفورة من نعر العرق بالدم إذا فار، أو هي بالغين المعجمة من نغرت القدر إذا

(١) نوح: ١١.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٩٢، عنه البحار ٣٨: ٣٢٠ ح ٣٣، وفيه: بكلاكل العرب.

فارت، أو من نغر الرجل إذا اغتاض.

وقال الأصمعي: هو الذي يغلي جوفه من الغيظ، وقال ابن السكيت: يقال ظلّ فلان ينتغر على فلان أي يتذمر عليه^(١).

و (الإفك) بالكسر الكذب كما مرّ، وفورته غليانه وهيجانه.

و (همدت) النار إذا طُفئ جمرها، فيكون إشارة إلى زوال الكفر بالمرة ولو في ظاهر الصورة، وروي خمدت النار أي سكن لهبها ولم يطفأ جمرها، ويكون فيه إشعار بنفاق بعضهم وبقاء مادة الكفر في قلوبهم، وفي رواية ابن أبي طاهر: (وباخت نيران الحرب)^(٢) قال الجوهري: باخ الحرّ والنار والغضب والحمّى أي سكن وفتر^(٣).

وفي العلويّة:

خض الحنف تأمن خطّة الخسف إنّما يبوخ ضرام الخطب والخطب مشبوب^(٤)

و (هدأت) بمعنى سكنت من هَذَا هَذَا - من باب منع - سكن، وأهدأته بمعنى أسكنته، وتقول: أهدأت الصبيّ إذا جعلت تضرب بكفّيك عليه وتسكنه لينام.

و (الهرج) بالفتح الفتنة والاختلاط، يقال: هرج - الناس من باب ضرب - هرجاً أي اختلطوا واضطربوا، وظهرت الفتنة والفساد بينهم، وفي الحديث: (الهرج القتل).

قال الجوهري: وفي حديث أشراف الساعة: يكون كذا وكذا ويكثر الهرج، قيل: وما الهرج يا رسول الله؟ قال (صلى الله عليه وآله): القتل^(٥). وأصل الهرج الكثرة والإتساع.

(١) - الصحاح ٢: ٨٣٣.

(٢) - بلاغات النساء: ١٨.

(٣) - الصحاح ١: ٤١٩ / بوخ.

(٤) - الروضة المختارة: ٨٤ / القصيدة الأولى.

(٥) - الصحاح ١: ٣٥٠ / هرج.

وفي النهاية في صفة أهل الجنة: (إنما هم هرجاً ومرجاً) الهرج كثرة النكاح^(١)، ويقال: وقع القوم في هرج ومرج أي فتنة واختلاط، وذكر المرج للمزاوجة مع الهرج، أو أن الهرج من قولهم: هرجت الباب أي تركته مفتوحاً والمرج عكسه، فيكون كلاهما كناية عن الإختلاط الحاصل من جهة الفتنة، وقيل غير ذلك.

و (استوسق) أي اجتمع وانضم من الوسق - بالفتح - وهو ضم الشيء إلى الشيء، واتساق الشيء انتظامه، وروي استوثق من الوثوق بالثناء المثلثة. قولها (عليها السلام): (فأني جِرتم...) أتى ظرف مكان بمعنى أين وقد يكون بمعنى كيف، أي أين حرتم وكيف تحيّرتم بعد بيان الحال ووضوح سبيل المبدأ والمآل، وهذا على تقدير رواية الفعل بالحاء المهملة المكسورة من الحيرة، وروى جرتم - بالجيم - من الجور، وهو الميل من القصد والعدول عن الطريق، أي لماذا تركتم سبيل الحق بعد ما تبين لكم، وبالحاء المهملة المضمومة من الحور بمعنى الرجوع أو النقصان كما في الخبر: (أعوذ بالله من الحور بعد الكور)^(٢) أي من النقصان بعد الزيادة.

و (أسررتم بعد الإعلان) أي أسررتم كلمة الإيمان أي تركتم العمل بها والقيام بمقتضياتها بعد أن أعلنتم بها في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله). و (نكصتم بعد الإقدام) من النكوص بمعنى الرجوع إلى خلف أي رجعتم القهقري عن الإسلام. أو عن مجاهدة أعداء الله تعالى بعد أن أقدمتم على ذلك في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والجمل الأربعة كلها راجعة إلى معنى واحد. و (نكث) العهد - بالفتح - نقضه كما مرّ.

و (الأيمان) بفتح الهمزة جمع اليمين وهو القسم، ويستعمل في مطلق العهد والمعاهدة ولعلّه المراد هنا.

(١) النهاية ٥: ٢٥٧ / هرج.

(٢) النهاية ١: ٤٥٨، ولسان العرب ٣: ٢٨٩ / حور.

والمشهور بين المفسرين أَنَّ الآية نزلت في اليهود الذين نقضوا عهودهم، وخرجوا مع الأحزاب، وهمّوا بإخراج الرسول من المدينة، وبدؤوا بنقض العهد وبالقتل، وقيل: نزلت في مشركي قريش وأهل مكة حيث نقضوا أيمانهم التي عقدوها مع الرسول والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم أعداءهم، فعاونا بني بكر على خزاعة، وقصدوا إخراج الرسول (صلى الله عليه وآله) من مكة حين تشاوروا بدار الندوة، وأتاهم إبليس على صورة الشيخ النجدي وأغرى القوم على قتل النبي (صلى الله عليه وآله) إلى آخر القصّة، فهم بدؤوا بالمعاداة والمقاتلة في هذا الوقت أو يوم بدر.

والمراد بالقوم الذين نكثوا أيمانهم في كلامها (عليها السلام) أمّا الذين نزلت فيهم الآية، فالغرض التعرّض بوجوب قتال الفاصيين للإمامة، الخائنين في حقّها، الناكثين لما عهد إليهم الرسول (صلى الله عليه وآله) في وصيّته وذوي قرباه وأهل بيته، كما وجب بأمره سبحانه قتال من نزلت الآية فيهم.

أو المراد بهم الفاصيون لحقّ أهل البيت (عليهم السلام)، فالمراد بنكثهم أيمانهم نقض ما عهدوا إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) حين بايعوه من الإنقياد له في أوامره، والإنهاء عند نواهيه، وأن لا يضرّوا له العداوة، فنقضوه ونقضوا ما أمرهم به.

والمراد بقصدهم إخراج الرسول عزمهم على إخراج من هو كنفس الرسول، وهو قائم مقامه بأمر الله وأمره (صلى الله عليه وآله) عن مقام الخلافة، وعلى إبطال أوامره ووصاياه وأهل بيته النازل منزلة إخراجهم من مستقرّه، وحينئذ يكون من قبيل الإقتباس، وفي بعض الروايات: (قبوساً لقوم نكثوا أيمانهم...) وهو دعاء عليهم نظير قوله تعالى: ﴿ألا بعداً لعاد قوم هود﴾^(١).

ونحو ذلك قولها (عليها السلام) (وقد أرى...) الرؤية هنا بمعنى العلم أو النظر

بالعين.

و (أخلد) إليه ركن ومال من قولهم: خلد بالمكان خلوداً - من باب قعد - أقام وكذا أخلد، ومنه قوله تعالى: ﴿خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾^(٢)، وفي حديث ذم الدنيا: (من دان لها وأخلد إليها...) ^(٣) ويجيء أخلد أيضاً متعدياً مثل خلد بالتشديد.

و (الحفض) بالفتح سعة العيش، والمراد به هنا أما الاستراحة بترك المنازعة مع القوم، أو بالفراغ من التكاليف التي لو كان عليّ (عليه السلام) قائماً بالخلافة لأمرهم بها بخلاف أبي بكر لمساهلته في دين الله سبحانه، أو الإستزادة في أكل مال الله ومال رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وغصب فذك والخلافة من آل الله، نظير ما أشار إليه عليّ (عليه السلام) في الخطبة الشقشقية بقوله (عليه السلام): (يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع)^(٤).

والمراد بمن هو أحقّ بالقبض والبسط هو عليّ أمير المؤمنين (عليه السلام)، وصيغة التفضيل مثلها في قوله تعالى: ﴿قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون﴾^(٥) مع أنّه لا خيرية في المفضل عليه، فأفعل حينئذٍ إمّا وصف بلا تفضيل، أو فيه تفضيل على سبيل الفرض، أو على نظر القوم أو نحو ذلك.

و (خلوت) بالشيء انفردت به واجتمعت معه في الخلوة.
و (الدعة) الراحة والسكون من ودّع كما مرّ، ويجوز كسر الدال وهو الأصل كعدة، والفتح للخفة كما في السعة.

و (مجم) الشراب من فيه رمى به، وفي الحديث: (فأخذ حسوة من ماء فمجمها في بئر ففاضت)^(٦) أي صبّها، وفي العلوية:

(١) هود: ١٠٧.

(٢) الأعراف: ١٧٦.

(٣) النهاية ٢: ٦١، ولسان العرب ٤: ١٧١ / خلد، ونحوه نهج البلاغة، الخطبة: ١١١.

(٤) نهج البلاغة الخطبة: ٣.

(٥) الفرقان: ١٥.

(٦) النهاية ٤: ٢٩٧، ولسان العرب ١٣: ٢٦ / مجم.

يَمَجّ مَنْوَنًا سَيْفَهُ وَسَنَانَهُ وَيَلْهَبُ نَارًا غَمْدَهُ وَالْأَنْبَابَ^(١) و (وعيتم) أي حفظتم من وعى الشيء يعي وعياً أي حفظه، ومنه الوعاء للظرف لأنه يحفظ ما فيه.

و (الدَّسْع) كالمنع: الدفع والقِيء، وإخراج البعير جِرَّتَه إلى فيه، يقال: دسعه - من باب منع - بمعنى دفعه، ودسع البعير بجِرَّتَه أي دفعها حتى أخرجها من جوفه إلى فيه.

و (ساغ) الشراب يسوغ سوغاً إذا سهل مدخله في الحلق، وتسوّغه: شربه بسهولة، ومجّهم للذي وعوه استعارة عن إخراج الإيمان من قلوبهم الذي حفظوه فيها فطرحوه منهما إلى الخارج، أي تركوه وأزالوه بالإرتداد، فيكون ذلك إشارة إلى كفرهم وإرتدادهم إلى أديبارهم، كما يدلّ عليه أيضاً قولها (عليها السّلام): (فإن تكفروا...) .

وكما في الخبر أنّه ارتد الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا ثلاثة أو أربعة، ويدل عليه الآيات القرآنية أيضاً كما لا يخفى، وقريب من جملة مجتم ما وعيتم في المعنى جملة دسعتم الذي تسوّغتم.

قيل: وصيغة تكفروا في كلامها (عليها السّلام) إمّا من الكفران وترك الشكر - كما هو الظاهر من سياق الكلام المجيد أيضاً حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ^(٢) - أو من الكفر بالمعنى الأخصّ.

والتغيير في المعنى لا ينافي الاقتباس مع أنّ في الآية أيضاً يحتمل هذا المعنى، أي الله سبحانه غني عن شكركم وطاعتكم، مستحقّ للحمد في ذاته أو محمود تحمده الملائكة بل جميع الموجودات بلسان القال أو الحال، كما قال

(١) الروضة المختارة: ٩٢ / القصيدة الأولى.

(٢) إبراهيم: ٧ - ٨.

تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾^(١) فلا يضره كفران نعمته، بل إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً من الثقلين بالكفر الأصلي أيضاً فلا يضره تعالى، فإن الله سبحانه لغني حميد، بل ضرر كفرانكم عائد إليكم حيث حرمت من فضله تعالى، وكذلك مزيد إنعامه وإكرامه وهكذا ضرر كفركم.

والحاصل أنكم تركتم الإمام بالحق وخلعتم بيعته من رقابكم، ورضيتم ببيعة أبي بكر إمّا لحب الإستراحة الحاصلة من ترك المجاهدة معه ومن تبعه، أو لعلمكم بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يتهاون ولا يذاهن في دين الله، ولا تأخذه لومة لائم في الله، ويأمركم بارتكاب الشدائد في الجهاد مع أعداء الله، وترك ما تشتهون من زخارف الدنيا، وهو تقسيم الفيء بينكم على حدّ سواء، ولا يفضل الرؤساء والأمراء، وإنّ أبا بكر رجل سلس القياد يذاهن في الدين لارضاء العباد، فلذا رفضتم الإيمان وخرجتم عن طاعته سبحانه إلى طاعة الشيطان، ولا يعود وباله إلا إليكم.

وفي الكشف: (ألا وقد أرى والله أن قد أخلدتم إلى الخفض، وركنتم إلى الدعة، فمجبتم الذي أوعيتم، ولفظتم الذي سوّغتم)^(٢)، وفي رواية ابن أبي طاهر: (فمجبتم عن الدين...) ^(٣).

يقال: زَكَنَ إليه - بفتح الكاف وقد يكسر - أي مال إليه وسكن، قال تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾^(٤)، وقال الجوهري: عَجْتُ بالمكان أعوجُ أي أقمب به وعَجْتُ غيري يبعدى ولا يتعدى، وعجت البعير عطف رأسه بالزمام، والعائج الواقف، وذكر ابن الأعرابي: ما يعوج من شيء أي ما يرجع عنه^(٥).

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) كشف الغمة ٢: ١١٤.

(٣) بلاغات النساء: ١٨.

(٤) هود: ١١٣.

(٥) الصحاح ١: ٣٣١ / عوج.

قولها (عليها السلام): (ألا وقد قلت ما قلت [على معرفة مني بالخذلة ..] الخذلة - بالكسر - ترك النصر من خذله خذلناً إذا ترك عونه ونصرته، وتخاذلوا أي خذل بعضهم بعضاً، ومنه الخذلان في مقابل التوفيق، وهو أن يترك الله نصرته الزائدة على أصل اللطف الواجب في حق الجميع في عالم الرحمانية بالرحمة المطلقة الواسعة العامة عن العبد، بأن يتركه على حاله ولا يعاونه بتوجيه أسباب الخير الذي يُطلق عليه التوفيق في عالم الرحيمية بالرحمة المقيّدة الخاصة.

و (المخامرة) المخالطة كما مرّت إليه الإشارة، ومنه الخمر على وجه وكذلك الخميرة.

و (الغدر) ضدّ الوفاء.

و (استشعره) أي لبسه متّصلاً ببدنه من الشعار - بالكسر - بمعنى الثوب الملاصق للبدن مشتقاً من الشعرة مقابلاً للدثار بمعنى الثوب الغير الملاصق له، ويقال: جعل فلان هذا العمل شعاراً ودثاراً لنفسه أي ملازماً له في ظاهره وباطنه أي لازمه وزاوله.

و (الفيض) في الأصل كثرة الماء وسيلانه، ويقال: فاض الخبر أي شاع، وفاض صدره بالسّر أي باح به وأظهره، ويقال: فاضت نفسه أي خرجت روحه، ومنه الخبر المستفيض أي المنقول بثلاثة طرق وأكثر.

والمراد من الفيضة هنا ما أفاضته النفس لعدم تحمّلها على ضبطه، فالمراد هنا أنّي أظهرت هذا الذي قلت، وهو المضرر المكنون في نفسي لإستيلاء الهمّ وغلبة الحزن حتى تتروّح نفسي من سورتها، وإلا فأنا عارفة بأنكم خاذلون لي، وتاركون لنصرتي، وغادرون بي لكون الغدر شيمتكم، وعدم أنس الوفاء بجبلتكم.

و (النفث) بالفم شبيه النفخ وهو أقلّ من النفل، ونفث الراقي ينفث أي نفخ ومنه النفّاثات في العقد السواحر، ومنه نفثة المصدور أي تأوّه من له وجع الصدر أي من في صدره داء موجد ظاهريّ أو باطني، وفي العلوي:

هي نفثة المصدور يُطفيء بردها حرّ الصبابة فاعذلوني أو دعوا^(١)
وقد يكون للمغتاط تنفس عال تسكيناً لحرّ القلب وإطفاءً لئارة الغضب.
و (الخور) بالفتح والتحريك الضعف والفتور، ويقال: خار الحرّ والرجل يخور
خُوراً ضعفاً وانكسر.

و (القنا) جمع القناة وهي الرمح وقيل: كلّ عصا مستوية أو معوجة قناة، ولعلّ
المراد بخور القنا ضعف النفس عن الصبر على الشدة وكتمان النصر، أو ضعف ما
يعتمد عليه في النصر على العدو.

و (البثّ) النشر والإظهار والبسط، ومنه قوله تعالى: ﴿كألفراش المبثوث﴾^(٢)،
وبمعنى الهمّ الذي لا يقدر صاحبه على كتمانهِ فيبثّه أي يفرّقه ويظهره كما في قوله
تعالى: ﴿إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله﴾^(٣).

و (تقدمة الحجة) إعلام الرجل قبل وقت الحاجة لئلاّ يعتذر بالفلة.
والحاصل أنّ استنصاري منكم، وتظلمي لديكم، وإلقاء ما ألقيته إليكم لم يكن
رجاءاً للعون والمظاهرة والنصر والمعاونة، بل هي تسلية للنفس، وتسكيت
للغضب، وإتمام للحجة قبل يوم القيامة بايضاح المحجّة، لئلاّ تقولوا يوم القيامة إنّنا
كنّا عن هذا غافلين، وبحقيقة الحق جاهلين، أو عنها ساهين أو لها ناسين.
قولها (عليها السّلام): (فدونكموها....) الضمير للخلافة أي فخذوا الخلافة
المقصوبة بعد أن أتممت عليكم الحجة.

(فاحتقبوها) هو من الحقب بالتحريك وهو حبل يشدّ به الرجل إلى بطن البعير،
يقال: أحقبت البعير واحتقبته أي شدّدته به وهيأته للركوب، وكلّ ما شدّ في مؤخر
رجل أو قتب فقد أحقب أو احتقب، ومنه قيل احتقب فلان الإثم كأنّه جمعه واحتقبه
من خلفه وحمله على ظهره، واسناد الإحتقاب إلى الخلافة تشبيه لها بالناقة.

(١) الروضة المختارة: ١٤٢ / القصيدة السادسة.

(٢) القارعة: ٤.

(٣) يوسف: ٨٦.

و (الدَّبر) بالتحريك الجرح في ظهر البعير، أو جرح الدابة مطلقاً.
و النَّقَب) بالتحريك رَقَّة خَفَّ البعير من نَقَب - بكسر العين - نَقْباً، والدبرة والنقبة في الخطبة الشريفة بسكون الباء والقاف أما صفتان أو مصدران بمعنى الفاعل، وهما حالان من ضمير الموث في قولها (عليها السَّلام): (فدونكموها).
و (العار الباقي) عيب لا يكون في معرض الزوال، فإنَّ قدح غضب الخلافة وعار ما لا يزول عنهم لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة.
و (وسمته) وَسَمًا وَسِمَةً إذا أثرت فيه بسمة وكَيَّ كما مرَّت إليه الإشارة.
و (الشَّئار) بفتح الشين العيب والعار أيضاً أي أنَّ على هذه الناقه أي الخلافة المغصوبة التي ركبتموها سمة غضب الله تعالى، والعار الأبدي المستلزم للعذاب السرمدى.

و (نار الله الموقدة) المَوْجَّجة على الدوام التي تَطَّلَع وتَشْرَف على الأفسدة والقلوب، بحيث يبلغها ألمها ويكتنفها عذابها أو يتوسَّطها، كما يبلغ ظواهر الأبدان وجلودها، وقيل: معناه أنَّ هذه النار تخرج من الباطن إلى الظاهر بخلاف نيران الدنيا. وفي الكشف: (أنَّها عليهم مؤصدة)^(١) أي مطبقة من آصدت الباب وأوصدته إذا أغلقتة أي لا يكون لهم في النار فرجة ومنفسح، ولا يفتح لهم باب، لا يخرج منها غمٌّ، ولا يدخل فيها روح.

و (يعين الله ما تفعلون) أي في مقابل عين الله أي في مرآه ومحلَّ نظره ومشاهدته ما تفعلون، كناية عن أنَّ الله تعالى يرى ما يفعلون كما يرى أحدهم فعل الآخر الذي يفعله في حضوره، وقيل: أي متلبس بعلم الله يعلم أعمالكم ويطلع عليها كما يعلم أحدكم ما يراه ويبصر.

وقيل في قوله تعالى: ﴿تجري بأعيننا﴾^(٢) أنَّ المعنى: تجري بأعين أوليائنا من الملائكة والحفظة، فيمكن أن تكون الفقرة نظيره أيضاً.

(١) كشف الغمة ٢: ١١٤.

(٢) القمر: ١٤.

و (المنقلب) المرجع والمنصرف، وهو صفة مصدر محذوف والعامل فيه ينقلبون، أي سيعلم الذين ظلموا ينقلبون إنقلاباً أي انقلاب.

و (أنا ابنة نبيّ هو نذير لكم بين يدي عذاب شديد) هو عذاب يوم القيامة أي هو ختم الأنبياء، وليس بعد ذلك إلا يوم القيامة وبعثه (صلى الله عليه وآله) من أشراف الساعة، كما قال تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ * وإن يروا آية يعرضوا يقولوا سحر مستمر^(١).

وأنا ابنته التي قال في حقها ما قال، فانظروا ماذا تعملون في حقها فيخاصمكم فيها، أو أنا ابنة من أنذركم بعذاب الله في ظلمكم على العترة، وقد أوصى ما أوصى إليكم، وأتمّ الحجة البالغة عليكم، فاعملوا ما شئتم أنه بما تعملون بصير، وعلى مكافاتكم في كلّ حال قدير، فاعملوا إنّا عاملون أيضاً على نحو ما أمرنا به من الصبر والتحمل على أذى الأمة، وانتظروا لعاقبة الأمر يوم القيامة كما أنّا منتظرون لها، والأمر بالعمل للتهديد على ما هو شائع عرفاً.



«فَأَجَابَهَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَانَ وَقَالَ: يَا بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ أَبُوكَ بِالْمُؤْمِنِينَ عَطُوفًا كَرِيمًا رَوْوْفًا رَحِيمًا، وَعَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا وَعِقَابًا عَظِيمًا، إِنَّ عَزَّوَنَاهُ وَجَدْنَاهُ أَبَاكَ دُونَ النِّسَاءِ، وَأَخَا إِلْفِكَ دُونَ الْأَخْلَاءِ، آثَرُهُ عَلَى كُلِّ حَمِيمٍ، وَسَاعَدَهُ عَلَى كُلِّ أَمْرٍ جَسِيمٍ، لَا يُجِبُّكُمْ إِلَّا كُلُّ سَعِيدٍ، وَلَا يُبْغِضُكُمْ إِلَّا كُلُّ شَقِيٍّ، فَأَنْتُمْ عِترَةُ رَسُولِ اللَّهِ الطَّيِّبُونَ، وَالْخَيْرَةُ الْمُتَجَبُّونَ، عَلَى الْخَيْرِ أَذِلَّتْنَا، وَإِلَى الْجَنَّةِ مَسَالِكُنَا، وَأَنْتِ يَا خَيْرَةَ النِّسَاءِ، وَابْنَتُ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ، صَادِقَةٌ فِي قَوْلِكَ، سَابِقَةٌ فِي وَفُورِ عَقْلِكَ، غَيْرُ مَرْدُودَةٍ عَنْ حَقِّكَ، وَلَا مَضْدُودَةٌ عَنْ صِدْقِكَ. وَاللَّهُ مَا عَدَوْتُ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ، وَلَا عَمِلْتُ إِلَّا بِأَذْنِهِ، وَإِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَإِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: (نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورِثُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً وَلَا دَارًا وَلَا عِقَارًا، وَإِنَّمَا نُورِثُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْعِلْمَ وَالتَّوْبَةَ، وَمَا كَانَ لَنَا مِنْ طُعْمَةٍ فَلِوَالِي الْأَمْرِ بَعْدُنَا أَنْ يَحْكُمَ فِيهِ بِحُكْمِهِ).

وَقَدْ جَعَلْنَا مَا حَاوَلْتَيْنَهُ فِي الْكِرَاعِ وَالسَّلَاحِ يُقَاتِلُ بِهِا الْمُسْلِمُونَ، وَنُجَاهِدُونَ الْكُفَّارَ، وَنُجَادِلُونَ الْمَرْدَةَ الْفُجَّارَ، وَذَلِكَ بِإِجْمَاعٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ أَنْفِرْ بِهِ وَخَدِي، وَلَمْ أَسْتَبِدَّ بِمَا كَانَ الرَّأْيُ فِيهِ عِنْدِي، وَهَذِهِ خَالِي وَمَالِي هِيَ لَكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَا تُزَوِي عَنْكَ، وَلَا تُدَخِّرُ دُونَكَ، وَأَنْتِ سَيِّدَةُ أُمَّةٍ أَيْبِكَ، وَالشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ لِبَنِيكَ، لَا يُدْفَعُ مَالُكَ مِنْ فَضْلِكَ، وَلَا يُوضَعُ مِنْ فَرْعِكَ وَأَصْلِكَ، حُكْمُكَ نَافِذٌ فِيهَا مَلَكَتْ يَدَايَ، فَهَلْ تَرَيْنَ أَنْ أَخَالَفَ فِي ذَلِكَ أَبَاكَ.»

بيان:

قوله: (لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً...) لعلّه إشارة إلى أنّه يلزم عليك أيضاً

أن تكوني كأبيك، فيكون هذا الكلام خديعة للناس، وإيقاعاً لهم في الإلتباس والشبهة أن فذكاً مال المؤمنين حقاً على سبيل الإستحقاق، فلا تتعرضي لحقهم، وكوني على حال الملاطفة بهم والعطوفة معهم كما كان أبوك نبي الرحمة، حيث كان لا يأخذ شيئاً من حقوقهم، ولا يطمع فيما كان لهم.

أو أنه تطمع في الحاضرين بأنه إنما يأخذ فذك لأجلهم سواء كان حقاً أو باطلاً، وأنه في مقام إصلاح حالهم فيعاونوه على المسألة، ويخرج عن قلوبهم تأثير كلماتها الشافية، ومواعظها الكافية إن أثرت في تلك القلوب القاسية، وعلى أي تقدير لا يخلو الأمر من المكر والخديعة في الحقيقة، وإن كان تصديقاً لقولها فيما مر من قولها (عليها السلام): (لقد جاءكم رسول من أنفسكم...) في ظاهر المرحلة.

قوله: (إن عزوانه وجدناه أباك...) جواب ناظر إلى قولها (عليها السلام) فيما مر: (فإن تعزوه تجدوه أبي...).

و (الإلف) بالكسر بمعنى الأليف المألوف، والزوج إلف الزوجة وبالعكس، وروي ابن عمك بدل إلفك.

و (الأخلاء) جمع الخليل، وروي الرجال بدل الأخلاء.

وقوله: (آثره على كل حميم...) أي اختاره، وهذا ناظر إلى قولها (عليها السلام): (قذف أخاه في لهواتها...).

و (الحميم) بمعنى القريب.

و (الجسيم) العظيم.

وقوله: (لا يحبكم إلا كل سعيد...) وفي بعض النسخ: (لا يحبكم إلا سعيد ولا يبغضكم إلا شقي)، وفي بعضها: (إلا العظيم السعادة وإلا الردي الولادة).

وقوله: (صادقة في قولك) لعله تصديق لها في كونها بنت النبي (صلى الله عليه وآله)، ونحو ذلك لا ينافي غصب فذك، أو مطلقاً كما هو ظاهر كلامه، أو لا يكون للكاذبة حافظة.

وقوله: (غير مردودة عن حقك) لعل مراده أن لا حق لك في ذلك حتى نردك عن حقك، فيكون من باب السالبة بانتفاء الموضوع، أي نحن لا نظلمك في فذك، أو مراده أن فذك حقك ولا نمنعك عن ذلك إلا لما نبينه لك.

(ولا مصدودة عن صدقك) أي غير مصروفة عنه من صدّه عنه - من باب نصر - صرفه، لا من صدّ عنه من باب ضرب بمعنى أعرض عنه، ومع ذلك لا نكذبك فيما تقولين فإنك اشتبهت في المسألة، وظننت صحة الإرث من الأنبياء، وأنت غير مطلعة على حقيقة الأمر، وما سمعناه من الرواية النافية لإرثك.

و (والله ما عدوت أمر رسول الله) أي ما تجاوزته.

و (لا عملت إلا بأذنه) أي رأيه وقوله.

وقوله: (الرائد لا يكذب أهله) قال في النهاية: الرائد الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلاء ومساقط الغيث^(١). وفي القاموس: هو المرسل في طلب الكلاء^(٢)، يقال: راد يروود روداً ورياداً.

ومنه قولهم: (الحمي رائد الموت) لشدتها على التشبيه أي رسوله الذي يتقدمه، ومنه المراودة للمطالبة وفيها معنى المخادعة، لأن الطالب يتلطف في طلبه بلطف المخادع ويحرص، ومنه قوله تعالى: ﴿ورأوته التي هو في بيتها عن نفسه﴾^(٣)، ولا يجعل الرائد إلا أمين القوم وأعقلهم ومن يراعي مصلحتهم.

والرائد لا يكذب أهله مثل أي الأمين لا يخون، استشهد به في صدق الخبر الذي افتراه على النبي (صلى الله عليه وآله)، وجعل نفسه لاحتماله الخلافة التي هي الرئاسة العامة بمنزلة الرائد للأمة الذي يجب عليه أن ينصحهم ويخبرهم بالصدق في المرحلة، وهذا أيضاً إيقاع للناس في الالتباس والشبهة.

قوله: (وإني أشهد الله...) أي أجعله شاهداً لقولي هذا ونعم الشاهد الكافي هو،

(١) النهاية ٢: ٢٧٥ / رود.

(٢) القاموس المحيط: ٣٦٢ / الرود.

(٣) يوسف: ٢٣.

أي إن كنت في قلبي هذا كاذباً فهو يكافيني ويجازيني، وظاهر قوله أنني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله)...، أنه لم يسمع هذا الحديث إلا هو نفسه، وإلا لكان ظاهر الحال والمقام أن يستشهد كل من سمع هذا الحديث أيضاً لو كان هناك سامع آخر.

وظاهر الخبر المذكور إلى قوله والنبوة على الظاهر صحيح، وورد ما يقاربه من حيث المعنى واللفظ عن الصادق (عليه السلام) ممّا دلّ على أنّ الأنبياء لا يورثون درهماً ولا ديناراً وإنما يورثون العلم والحكمة، فمن أخذ منه فقد أخذ بحظّ وافر^(١) وإنّ العلماء ورثة الأنبياء من هذه الجهة كما ذكره في الأنوار وغيره^(٢).

وليس معناه إلاّ أنّه ليس من شأن الأنبياء جمع الزخارف الدنيويّة حتى تكون هي لورثته، وإنّما شأنهم توريث العلم والحكمة، وهو كذلك ولذا لم يكن الأنبياء طالبين لجمع متاع الدنيا وحطامها، وكانوا يعيشون بالفقر والفاقة والتقناعة، وخشونة المأكل والمشرب والملبس.

ولا يدلّ ذلك على أنّه إذا كان للأنبياء مال ولو بقدر الكفاية أو أكثر أيضاً لا يكون لورثته، كما أنّا نقول: ليس شأن العلماء أن يطلبوا الدنيا ويجمعوا زخارفها، وإنّما شأنهم جمع العلم والحكمة، لم يلزم منه أنّ ما كان مالاّ للعلماء ومملوكاً لهم - قليلاً كان أو كثيراً - إذا ماتوا لم يكن لورثتهم.

فالخبر المذكور من باب كلمة حق يُراد بها باطل، أي أراد أبو بكر بهذا الخبر إلقاء معنى باطل في قلوب السامعين، ولهذا ألحق به قوله: وما كان لنا من طعمة... وقد مرّت الإشارة إلى معنى الدار.

وأما (العقار) بالفتح فقليل: هي العرصة الغير المبنية، وهو المناسب لمقابلة الدار التي هي العرصة المبنية، ويُطلق على نحوها الضيعة أيضاً - بفتح الضاد - إذ لو

(١) الكافي ١: ٣٢٢ ح ٢.

(٢) الأنوار النعمانية ١: ٩٤.

تركها صاحبها ضاعت أو ضاع.

وقيل: الضيعة هي العرصة الغير المبنية والعقار هي المبنية وهو خلاف الظاهر، والظاهر أن الضيعة والعقار من باب إذا اجتماعا افتراقا وإذا افتراقا اجتماعا، وكل منهما يُطلق على ما يُطلق عليه الآخر.

وقوله: (ما كان لنا من طعمة...) هو زيادة منه كما أشير إليه، ألحقه بأصل الخبر على تقدير صحته ليكون صارفاً له عن المعنى الظاهر العرفي الذي ذكرنا إلى المعنى الذي صرفه إليه، مع أنه يمكن أن يكون المراد من الطعمة ما يكون في أيديهم من بيت المال الذين يأكلون منه بهذه الحيثية - كما هو ظاهر الطعمة - لا من متن مالهم، إذ لا يقال لأصل مال الرجل أنه طعمة له، وإنما تطلق الطعمة لما كان للشخص بالعرض لا بالإصالة.

ثم إن وإلى الأمر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) من كان والياً بأمره وأمر الله سبحانه، لا باجتماع جماعة من الفسقة واللصوص والفجرة، ثم إذا كان لوالي الأمر أن يحكم فيه بحكمه فمأمنه أن يحكم في فذك بأن تكون لعتره النبي (صلى الله عليه وآله) لحفظ حق النبي في ولده وعترته جبراً لخاطرهم، وملاحظة لما سمعوه مراراً من النبي (صلى الله عليه وآله): (فاطمة بضعة مني...) وتصديقاً لأمر المؤمنين (عليه السلام) الذي قال فيه النبي (صلى الله عليه وآله) مرة بعد مرة: (الحق مع عليّ وعليّ مع الحق، يدور معه حيثما دار)^(١) إلى غير ذلك.

وسيجيء الكلام في تفصيل كل ذلك من الكلام في سند الحديث ومتنه، من حيث السقم والصحة والصدور والدلالة بعد شرح الخطبة إن شاء الله سبحانه.

قوله: (وقد جعلنا ما حاولتينه) أي ما طالبتنه متاً وهو فذك وغيرها كما سيأتي، في الكراع والسلاح.

(الكراع) مادون الكعب من الدواب، ومادون الركبة من الإنسان، وجمعه

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٦٢، عنه البحار ٣٨: ٢٨ ح ١، وفي شرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ٢٩٧.

واحقاق الحق ٥: ٦٢٣، ونحوه أمالي الطوسي: ٤٧٩ ح ١٥، مجلس ١٧.

أكرع وأكارع، سُمّي بها الخيل خاصّة ويجوز إرادة مطلق الدواب.
و (السلاح) آلة الحرب أي نصرفه في هذه الأشياء التي هي مقدّمة القتال
والجهاد مع الكفّار، وأسباب المجادلة مع المردة الفجّار، وفي بعض النسخ
المجادلة بدل المجادلة، وهي المضاربة بالسيوف.

قوله: (وذلك باجماع من المسلمين) ظاهره أنّ منع فذك عن فاطمة
(عليها السّلام)، والبناء على صرفها في مقدّمات المجاهدة مع الكفار، والمجادلة
والمجادلة مع الفجار إنّما كان هو باجماع المسلمين، وأنّه لم ينفرد به وحده، وأنّه
لم يستبد أي لم ينفرد أيضاً بما كان الرأي فيه عنده أي لم يفعله هو وحده، بل
المسلمون أيضاً بنوا على هذه المقدمة.

وظاهر إسناده إلى الرأي مع إجماع المسلمين عدم استناده إلى الرواية
المذكورة، وإلاّ فكان اللازم أن يستند إليها وحدها، لعدم مدخليّة رأيه وإجماع
المسلمين على منع الإرث عن أولاد الأنبياء، وردّ عمومات القرآن وإطلاقاته في
التوارث مطلقاً، ولا بُعد في ذلك إذ ليس للكاذبة حافظة، وسيأتي ما يؤيّد ذلك
حيث أنّه يصدّقها (عليها السّلام) في مسألة التوارث، ويسند غصب فذك وأخذها
منها إلى إتياف المسلمين على ذلك.

ثمّ في ذكر إجماع المسلمين إيهام لهم أنّه لا يفعل شيئاً بدون مصلحتهم وبدون
مشاورتهم، ليكون ذلك سبباً لاستقامتهم في إقامة تلك الخلافة الباطلة المعوّجة
حتى يستقيم له أمر الرئاسة.

قوله: (وهذه حالي ومالي...) إشارة إلى ما كان له في نفسه ممّا ملكه يدها،
والمراد عن الحال الحالة الحسنة والشأن ونحو ذلك، فالمراد بها أسبابها فيكون
عطف المال عليه من باب عطف الخاصّ على العام، أو المراد بها الحقوق المقابلة
للأموال الخارجيّة، وهو الظاهر أي هذه حقوقي على الناس وأموالي الموجودة
علينا كلّها لك، أي مختصّة بك أو هي مالك.

ولا تُزوى هي عنك - بصيغة المجهول - أي لا تقبض ولا تصرف ولا تدّخر

دونك، أي لا تمنع أيضاً منك، أي جعلتك متصرفاً فيها فتصرف في كيف شئت وأنتي شئت لا نضايقك في ذلك، والحال أنك سيّدة الأمة والشجرة الطيبة لبنيك الأئمة (عليهم السّلام)، لا يليق ولا يصحّ منع مثلك من أن تتصرف في فيها مثل مالك. (ولا يوضع من فرعك وأصلك) أي لا نحطّ درجتك، ولا ننكر فضل أصولك واجدادك وفروعك وأولادك، وحكمك نافذ في جميع ما ملكته يداي، ومع هذا كلّه فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك.

وهذا كلّه إيقاع للناس في الشبهة أنني لا أمنع فذك من جهة دنيويّة وإنّما هو من جهة حكم الشريعة بذلك، وأنا راض بأن أترك جميع ما أملكه لأجل فاطمة بلا منع ولا مضايقة ولا عداوة بيننا ولا أغراض دنيويّة لا أن أردّ فذك.

فانظر إلى الحيل الشيطانيّة التي أعملها أبو بكر في أثناء الكلمات المذكورة، ثمّ إلى وقاحته في إنشاء هذه الأكذوبة وبيانها بهذا التفصيل في مجمع العامة والخاصة، ومواجهته بها مع هذه المعصومة المطهّرة المحدثّة العالمّة بالجفر والجامعة، وبما كان وما يكون إلى يوم القيامة وبعد يوم القيامة، ثمّ إلى تصديقه لها فيما تقول، واذعانه بكونهم (عليهم السّلام) مسالك الجنّة ودلائل الهدى، ومنعهم عمّا ادعوا لأنفسهم ممّا خصّه الله ورسوله بهم، مع العلم بصدقهم وتيقّن ثبوت حقّهم، وليس نحو ذلك من الظالمين ببعيد سيّما من مثل هذا الجبار العنيد.



قالت (عليها السلام):

«سُبْحَانَ اللَّهِ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَنْ
كِتَابِ اللَّهِ ضَافِقًا، وَلَا لِأَحْكَامِهِ مُخَالِفًا، بَلْ كَانَ يَتَّبِعُ آثَرَهُ،
وَيَقْتَنِي سُوْرَهُ، أَفْتَجْمَعُونَ إِلَى الْغَدْرِ اعْتِلَالًا عَلَيْهِ بِالزُّورِ
[وَالْبُهْتَانِ]، وَهَذَا بَعْدَ وَفَاتِهِ شَبِيهٌ بِمَا بُغِيَ لَهُ مِنَ الْعَوَائِلِ فِي
حَيَاتِهِ، هَذَا كِتَابُ اللَّهِ حَكْمًا عَدْلًا وَنَاطِقًا فَضْلًا يَقُولُ: ﴿يَرْثِي
وَيَرِثُ مِنْ آلٍ يَغُثُّوبٍ﴾^(١) وَيَقُولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^(٢)
فَبَيْنَ [اللَّهِ] عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا وَرَعَ مِنَ الْأَقْسَاطِ، وَشَرَعَ مِنَ الْفَرَائِضِ
وَالْمِيرَاثِ، وَأَبَاحَ^(٣) مِنْ حَظِّ الذُّكْرَانِ وَالْأُنْثَى مَا أَرَّاحَ عِلَّةُ
الْمُبْطِلِينَ، وَأَزَالَ التَّنْظِي وَالشُّبُهَاتِ فِي الْغَايِبِينَ، كَلَّا بَلْ سَوَّلَتْ
لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ.
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ اللَّهُ وَصَدَقَ رَسُولُهُ وَصَدَقَتْ ابْنَتُهُ،
أَنْتُمْ مَعْدِنُ الْحِكْمَةِ، وَمَوْطِنُ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ، وَرُكْنُ الدِّينِ،
وَعَيْنُ الْحُجَّةِ، لَا أُبْعِدُ صَوَابَكُمْ، وَلَا أَنْكِرُ خَطَابَكُمْ، هَؤُلَاءِ
الْمُسْلِمُونَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ قَلْدُونِي مَا تَقَلَّدْتُ، وَبِاتِّفَاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ
مَا أَخَذْتُ، غَيْرُ مُكَابِرٍ وَلَا مُسْتَبِدٍّ وَلَا مُسْتَأْثِرٍ وَهُمْ بِذَلِكَ شُهُودٌ.
فَالْتَفَتَتْ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَام) إِلَى النَّاسِ وَقَالَتْ: مَعَاشِرَ
النَّاسِ الْمُسْرِعَةِ إِلَى قِيلِ الْبَاطِلِ، الْمُغْضِيَةِ إِلَى الْفِعْلِ الْخَاسِرِ، أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا؟ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِكُمْ
مَا أَسَاءْتُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصَارِكُمْ، وَلَيْسَ مَا
تَوَلَّيْتُمْ، وَسَاءَ مَا بِهِ أَشْرُتُمْ، وَشَرُّ مَا مِنْهُ اغْتَصَبْتُمْ، لَتَجِدَنَّ وَاللَّهِ

(١) مريم: ٦.

(٢) النمل: ١٦.

(٣) أناب: خ. ل.

مَحْمَلُهُ ثَقِيلاً، وَغَبَّهُ وَيَبِلًا، إِذَا كُشِفَ لَكُمْ الْغِطَاءُ، وَبَانَ مَا وَرَاءَ
الضَّرَاءِ، وَبَدَا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَحْتَسِبُونَ، وَخَسِرَ
هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ».

بيان:

(سبحان الله) أي أُسَبِّحُ الله سبحانه بمعنى تسبيحاً، حُذِفَ الفعل وأُضِيفَ
المصدر إلى المفعول.

وأصل التسبيح هو التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص والعيوب، وكأنّه
قيل: أُبرِّئُ الله من الأسواء براءة، وهذا ثناء خاصّ بالنسبة إلى الله سبحانه، ثم
يقال: سَبَّحت تسبيحاً وسبحاناً أي ذكرت الله وأثنيته بهذا الذكر، ثم يُطلق على
غيره من أنواع الذكر أيضاً.

ولفظ سبحان الله إشارة إلى الصفات السلبية من حيث السلب، كما أنّ
الحمد لله إشارة إلى الصفات الثبوتية من حيث الإثبات، ومن باب أنّ دفع المضرة
أولى من جلب المنفعة قدّم سبحان الله في الأذكار الواردة غالباً على الحمد لله، كما
في التسبيحات الأربعة وغيرها، وهذا يرجّح تقديم سبحان الله على الحمد لله بعد
التكبير في تسبيح الزهراء (عليها السلام)، وإن روي العكس أيضاً، فتأمل.

وفي حديث الدعاء: (سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ) يرويان بالضم والفتح، قال في النهاية:
والفتح أقيس والضم أكثر استعمالاً، وهو من أبنية المبالغة^(١) بمعنى المفعول،
ويجوز معنى الفاعل أيضاً فيكون المفعول هو نفسه، وليس في أسماء الله سبحانه
على هذا الوزن إلّا هذان الإسمان، وفي غير أسماء الله أيضاً أسماء معدودة
ذكروها أهل اللغة.

والسُّبْحَة - بالضم - الذكر والدعاء والصلاة، وما يُعدّ به الأذكار والتسبيحات،
وسبحة الوجه نوره وضيأؤه الذي من رآه قال تعجباً: سبحان الله، وفي حديث

آخر: (حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره)^(١)، وتطلق سبحات الله على جلال الله وعظمة الله ونحو ذلك، وبالجملة قد يستعمل سبحان الله في مقام الذكر المطلق، وقد يستعمل في مقام الذكر تعجباً، والمراد به في الخطبة التعجب.

و (الصادف) عن الشيء المعرض عنه، يقال: صدفه عن الشيء إذا صرفه، وصدفت المرأة أعرضت بوجهها.

و (يتبع) من التبع أو من الإتياع، يقال: تبعته تبعاً - من باب تعب - واتبعته إتياعاً من باب الإفتعال بمعنى.

و (الأثر) بالتحريك ما بقي من رسم الشيء ومنه الإثر - بالكسر - لرسم القدم، والأثر يطلق على الخبر، وفي الحديث لكونه رسماً وأثراً باقياً عن صاحبه، فيطلق الآثار على اخبار المعصومين (عليهم السلام) من هذه الجهة، أو هو من أثرت الحديث - من باب قتل - نقلته، وحديث مأثور أي منقول مرسوم والإسم منه الأثر، والأثر في الخطبة يحتمل التحريك والكسر أيضاً.

و (القفو) الإتياع من قولهم: قفوت أثره - من باب قال - تبعته، ومنه القافية للمكرّر من الحروف في أواخر الأبيات، وقفيت على أثره بفلان تقيّة: أتبعته إتياء. و (السور) كصرد جمع سورة القرآن، وأصلها السور وهو كل مرتفع عال، ومنه سور المدينة - بالضم - وكل منزلة من البناء، ومنه سورة القرآن لأنها منزلة بعد منزلة ويحتملها المقام، والصمائر المجرورة للكتاب، ويحتمل ضعيفاً رجوعها إلى الله سبحانه.

و (الغدر) خلاف الوفاء كما مرّ، وأخذ فذك وغصب الخلافة وغيرهما ممّا فعله القوم كان غدرًا بالنسبة إلى العترة، وهم أضافوا إلى تلك الغدرة الكاملة اعتلالاً أي إبداء العلة والإعتذار بالزور أي الكذب، حيث وضعوا رواية مجعولة مجهولة، واستندوا إليها في غصب فذك، وكذا روايتهم المجعولة في الخلافة حيث

أنكروا النصّ بخلافة عليّ (عليه السّلام) واستندوا إلى ما روه من أنّ الأمر في ذلك إلى الأُمَّة.

وهذا أي هذا الذي فعلوه من الغدر بالنسبة إلى عترته بعد وفاته، نظير ما بُغي له - بصيغة المجهول - أي طلب له من البغي بمعنى الطلب من الغوائل والمهلكات في حال حياته حيث غدروا عليه، وسعوا في هلاكه واستيصال أهل بيته في العقبتين وغيرهما ممّا هو مشهور في الألسنة، مذكور في الكتب مسطور، أي ليس هذا ببعيد من تلك الأُمَّة التي شيمتهم الغدر على ما أشعر به قولها (عليها السّلام): (والغدر التي استشعرتها قلوبكم).

و (الغوائل) جمع الغائلة بمعنى الحادثة المهلكة من غاله يغوله إذا أهلكه، وكلّ ما اغتال الإنسان وأهلكه فهو غول - بالضم -.

ومنه الغول لما ظنّوا أنّه يترأى في البوادي، ويضلّ القافلة ويهلكهم في البادية، حتى نقلوا أنّ تأبّط شرّاً قتل واحداً منها، وقيل أيضاً: أنّه يظهر في حوالي البحار والجزائر بقامة طويلة كالنخلة، وهل هو من جنس الحيوان أو الجن أو الشياطين، أو أنّها خيالات فاسدة لا أصل لها، كما لا أصل لما ظنّوه أو نقلوه من تلك الحكايات المذكورة؟ يحتاج إلى تفصيل لا يليق بالمقام، وفي الحديث: (إذا تغوّلت الغيلان فبادروا بالأذان)^(١).

وقال المشنوي:

بانك غولان است بانك آشنا	آشنائی كوكشد سوى فنا
بانك ميدارد كه هان ای كاروان	سوى من آئید تك راه ونشان
ذكر حق كن بانك غولان را بسوز	چشم نرگسرا ازاين كركس بدوز
چون بود آن بانك غول آخر بگو	مال خواهم جاء خواهم آبرو
از درون خویش این آوازه‌ها	دفع كن تاكشف گردد رازها

(١) النهاية ٣: ٣٩٦، لسان العرب ١٠: ١٤٧ / غول، ونحوه دعائم الإسلام ١: ١٤٧، عنه مستدرک الوسائل

٤: ٦٣ ح ٤١٨٤، وفي البحار ٦٣: ٢٦٨.

وقال امرؤ القيس:

أَيَقْتَلْنِي والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال
وقال الشاعر:

إِنَّ الذي ضربت بيتاً مهاجرة بكوفة الجند غالت ودّها غول
وبالجملة المراد من الغوائل هنا المهلكات والدواهي.

قولها (عليها السّلام): (هذا كتاب الله...) أي إنّ كتاب الله حاكم عادل لا يجور ولا يحيف بل يحكم بالحق والصواب، وهو الناطق بكلّ حكم، والفاصل المميّز لحكم كلّ شيء لأنّه فصل الخطاب، والله تعالى يقول فيه: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب...﴾^(١) ممّا دلّ على جريان أحكام الميراث بين الأنبياء و ورثتهم بلا فرق في الحكم أي حكم التوارث بينهم وبين الرعيّة، وسيأتي التفصيل المتعلّق بهذه المسألة.

و (التوزيع) التقسيم، ووَزَّعَه توزيعاً أي قَسَمَه وفرّقه، وتوزَّعوه فيما بينهم أي قَسَموه، ولعلّه من وزعه يوزعه بمعنى كَفَّه، فَإِنَّ التقسيم يوجب كَفَّ كلّ من الشريكين عن التصرف في غير ما اختصّ به.

و (الأقساط) جمع القِسْط - بكسر القاف^(٢) - بمعنى الحصّة والنصيب، وأصله القسط بمعنى العدل اللازم لتمييز الحصص والأنصبة، يقال: أقسط إقساطاً أي عدل فهو مقسط، و ﴿إِنَّ الله يحبّ المقسطين﴾^(٣)، والإسم منه القِسط - بالكسر -، والظاهر أنّ أصله القِسط بمعنى الجور خلاف العدل، وإذا بُني من باب الافعال وجعل الهمزة للازالة صار بمعنى العدل، ويستعمل بهذه المناسبة في المعاني الكثيرة.

و (ما وزَّعه الله من الأقساط) هو بيان الحصص والأنصبة والفرائض في

(١) مريم: ٦.

(٢) كذا الظاهر، وفي المتن: بكسر الكاف.

(٣) المائدة: ٤٢.

مقام بيان أحكام التوارث من قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ... وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾^(١) إلى غير ذلك، وفي معناه قولها (عليها السلام): (شرع من الفرائض والميراث).

و (الفرائض) جمع الفريضة بمعنى المفروضة أي الحصة المفروضة من الفرض بمعنى التقدير، والمفروض يكون واجباً وغير واجب أيضاً، والغالب استعماله في الواجب لأنه الفرد الأكمل.

و (أباح) بالباء الموحدة من الإباحة أي جعل الشيء مباحاً وحلالاً، وأصله من البوح بمعنى السعة، وأباحه أي وسّعه، وباحة الدار ساحتها، وفي بعض النسخ: أتاحه - بالتاء المثناة من فوق - بمعنى قدره، ويقال: تاح له الشيء وأُتيح له الشيء أي قدر له.

و (الذكران) بضمّ الذال جمع الذكّر - بالتحريك - كالذكور.
و (الإناث) بالكسر جمع الأنثى خلاف الذكر، ومنه تأنيث الإسم خلاف تذكيره.
و (الإزاحة) الإزالة والإذهاب والإبعاد من زاح الشيء يزيع زيحاً أي ذهب وبعد وأزاحه غيره، والمراد من علّة المبطلين علّتهم التي يتمحلونها لإلقاء الشبهة في أحكام الله الواضحة أي أن الله قدر وبيّن من حظوظ الورثة تفصيلاً أزال به علّة المبطلين أي أبعدھا، والحاصل أنّه لا تجري الشبهة هنا في واقع الأمر وحقيقة المسألة.

و (التظنيّ) هو إعمال الظنّ، وأصله التظنّ وهو كناية عن الشبهة والشبهات كالعطف التفسيري له، و (الشبهة) الاشتباه، ويُطلق على ما يوجب الاشتباه أيضاً.
وقولها (عليها السلام): (في الغابرين) أي الآتين الباقين من غير يغبر - من باب قتل - فهو غابر أي آت، ويُطلق الغابر على الباقي والماضي أيضاً فهو من الأضداد، والمراد من الغابرين الآتين بعد النبي (صلّى الله عليه وآله)، أو بعد نزول الكتاب

إلى يوم القيامة، أي لم يبق لأحد شبهة بالمرّة في الأحكام إلى يوم القيام، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

(كلّا) زجر وردع أي ليس الأمر كما تقولون أو كما تظنّون، أو انتهوا عما تعملون فإنّه ليس الأمر كما تتوهّمون، إذ أنتم تكذبون عمداً وتفترون وتعتمدون فيما تفعلون، بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً هو ما انهمكتم عليه وصبوتم إليه. و (التسويل) تحسين ما ليس بحسن وتزيينه وتحبيبه إلى الإنسان ليفعله أو يقوله، أو هو تقدير معنى في النفس على الطمع في إتمامه.

(فصبر جميل) أي فصبري صبر جميل، أو الصبر الجميل أولى من الجزع الذي لا يغني شيئاً، والجميل صفة توضيحيّة، وقيل: إنّما يكون الصبر جميلاً إذا قصد به وجه الله سبحانه، وفعل للوجه الذي وجب وهو الصبر الذي يُحمد صاحبه - ذكره السيد المرتضى -، فيكون الوصف احترازياً.

(والله المستعان على ما تصفون) أي ما تذكرونه أي من الله نستعين في دفعه ومنعه ونحو ذلك ممّا يناسب المقام.

فقال أبو بكر: صدق الله وصدق رسوله...، وهذا تصديق منه لمسألة توارث الأنبياء، وكون الأمر على ما ذكرت (عليها السّلام) ووصفت.

و (معدن) الشيء محلّ إقامته من عدن بالمكان - من باب ضرب وقعد - إذا قام به، ومنه: ﴿جَنّاتِ عَدْنٍ﴾^(١) لكونها محلّ الإقامة والخلود، ومنه معدن الذهب والفضّة ونحو ذلك. لاستقرار الفلزّ فيه بلا تغيّر ولا تحرّك، ولا زوال ولا تبدّل حال في نفسه، أو لكونه محلّ إقامة الناس فيه لاستخراج الفلزّ الكائن فيه.

و (ركن الدين) أي قوامه فإنّ الشيء لا يقوم بدون الركن، فقوام الشيء ما يقوم به ركنه.

و (عين الحجة) أي حقيقتها وماهيّتها أي أنتم حجج الله حقّاً. (لا أبعد صوابك) أي إنّ ما تقولين صواب لا خطأ بلا شك ولا مرأ.

(ولا أنكر خطابك) أي أقرّ بما تقولين به وتحكمين عليه من صحّة توارث الأنبياء، وأنك وارثة أبيك وميراثه لك، ولكن هؤلاء المسلمون حاضرون بيني وبينك، وشاهدون بما تقولين لي وأقوله لك.

هم قلّدوني الخلافة التي تقلّدتها أي هم جعلوا الخلافة في عنقي كالقلادة - بكسر القاف - التي تجعل على العنق، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت من فذك والخلافة أي أنّهم رأوا ذلك مصلحة، واتفقت آراؤهم على تلك المصلحة التي هي عين المفسدة ففعلت.

وهذا إقرار منه بأنّ أمر الخلافة وأخذ فذك لم يكن من جانب الله سبحانه، ولا باستناد إلى أمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقوله وحكمه، ولا على طبق الكتاب والسنة، وإنّما كان ما كان من جهة اجتماع هؤلاء بالآراء ومجرّد الأهواء، أو مراده أنّي أخذت الخلافة بقول هؤلاء واتفقهم، فلزمني القيام بحدودها التي من جملتها أخذ فذك للرواية المذكورة.

و (المكابرة) المغالبة.

و (الإستبداد والإستيثار) الإنفراد بالشيء أي لم يكن ذلك من باب المغالبة والعلوّ والمكابرة، بل هو من حيث استحقاقي بذلك شرعاً أو عرفاً، وما كنت أنا مستبداً ومتفرداً أيضاً بهذا الرأي، وإنّما فعلت ما فعلت مع اتفاق الجماعة وهم شهود على تلك الحالة والفعالة.

فحينئذٍ التفتت (عليها السّلام) إلى الناس والحاضرين وقالت: (معاشر الناس) أي يا معشر الجماعة المسرعة إلى قيل الباطل

و (القيّل) بمعنى القول وكذا قال، وقيل: القول في الخير والقيّل والقال في الشر، وقيل: القول مصدر والقيّل والقال إسمان له، وإضافته ببيانته من باب إضافة الموصوف إلى الوصف مثل مسجد الجامع، وصلاة الأولى أي القيل الباطل، أو لاميّة، والمراد من الباطل حينئذٍ الشخص الباطل أي الباطل فعله وقوله الغير المطابق للحق الواقع، وفي بعض النسخ: (معاشر المسرعة) بحذف الناس،

فالموصوف محذوف أي معاشر الجماعة المسرعة.

و (المغضية) من الإغضاء بمعنى ادناء الجفون، ومنه قول الفرزدق في علي بن الحسين (عليه السلام):

يغضي حياء ويغضي من مهابته وما يكلم إلا حين يبتسم^(١)
من الغض مصدر قولك: غض طرفه أي خفضه، وغض صوته أي أخفضه،
وكل شيء كففته فقد غضضته، والأمر منه في لغة أهل الحجاز أغضض، وفي
التنزيل: ﴿أغضض من صوتك﴾^(٢) وأهل نجد يقولون: غض طرفك، ويقال: في هذا
الأمر غضاضة أي خفض وكسر كناية عن المذلة والمنقصة، فابدل الحرف الثاني
من المضاعف ياء في المزيد من جهة الاستثقال، وهي قاعدة شائعة.

و (الفعل الخاسر) الذي هو سبب خسران صاحبه، وإسناد الخاسر إلى الفعل
مجاز كإسناد الربح إلى التجارة في قوله تعالى: ﴿فما ربحت تجارتهم﴾^(٣) وإلا
فالربح والخاسر حقيقة هو الفاعل الكاسب، كما قال تعالى: ﴿فاولئك هم
الخاسرون﴾^(٤) وهم في الآخرة هم الأخسرون، وفي بعض النسخ: الفعل القبيح
الخاسر.

قولها (عليها السلام): ﴿أفلا يتدبرون القرآن...﴾ هذا اقتباس من الآية الشريفة
مع تغيير الغيبة إلى الخطاب بملاحظة مقام المحاوره، روي عن الصادق والكاظم
(عليهما السلام) في الآية: إنَّ المعنى أفلا يتدبرون القرآن فيقضوا بما عليهم من
الحق^(٥)، وهذا المعنى بملاحظة مقتضى المقام في زمان الإمام (عليه السلام).
وقد ورد منهم (عليهم السلام) أنَّ معنى القرآن عام لكل ما مضى وما يأتي إلى

(١) راجع الإرشاد للمفيد: ٢٥٩، عنه البحار ٤٦: ١٢١ ح ١٣، والمناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٧٠.

(٢) لقمان: ١٩.

(٣) البقرة: ١٦.

(٤) البقرة: ١٢١.

(٥) مجمع البيان، سورة محمد الآية ٢٤، وتفسير الصافي ٥: ٢٨، وكنز الدقائق ١٢: ٢٤١.

يوم القيامة وإلا لنفد القرآن ولم يبق فيه حجة ولا برهان وبيان^(١).
 فيكون المراد أنهم لو تدبروه لعرفوا ما فيه من الأحكام الأصولية والفروعية
 وحكموا بها ولو على أنفسهم، ويمكن أن يكون بعضهم تدبروه وعرفوا أحكامه،
 ولكن لما لم يعملوا على طبق علمهم ومعرفتهم نزلوا منزلة الجاهل الغير المتدبر له،
 فويخوا على ترك تدبره من باب تنزيل العالم بالشيء منزلة الجاهل به لعدم عمله
 بعلمه، كما تقول لمن يعرف أباه ولا يراعي الأدب معه: هذا أبوك، كأنه لا يعلم كونه
 أباه فتعرّفه إياه.

وتنكير القلوب لإرادة قلوب هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم، أو التنكير
 للتحقير أي هذه القلوب الغير المتدبرة للقرآن قلوب منكرة، وأفئدة محقرة
 مستنكرة.

و (الرين) الطبع والتغطية وأصله الغلبة، أطلق على الدنس الغالب على الشيء،
 قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢) أي غلب على قلوبهم
 بسبب كسب الذنوب الرين، وهو الحجاب الكثيف كما يرين الخمر على قلب
 السكران، وكما ترين الندادة على الزجاجاة بستر الصدى فيحصل منه التغطية، أي
 أن أعمالكم السيئة سترت على قلوبكم حجاب الظلمة وصدى الغفلة، فلا يرى في
 مرآتها وجه الحق والهداية.

وفي الخبر: ما من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذن ذنباً خرج
 في تلك النكتة نكتة سوداء، فإذا تاب ذهب ذلك السواد، وإذا تمادى في الذنوب
 زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى الخير
 أبداً، وهو قول الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣).
 وفي الخبر عن النبي (صلى الله عليه وآله): إني ليران على قلبي، وإني استغفر

(١) نحوه أمالي الطوسي: ٥٨٠ ح ٨ مجلس ٢٤، وفي البحار ٩٢: ١٥ ح ٨.

(٢) المطففين: ١٤.

(٣) الكافي ٢: ٢٧٣ ح ٢٠، عنه البحار ٧٣: ٣٣٢ ح ١٧، وفي الإختصاص: ٢٤٣.

الله كلّ يوم سبعين مرّة^(١).

وليس المراد في الخبر هو رين المعصية لكون الأنبياء معصومين من كلّ معصية صغيرة أو كبيرة، سيّما نبينا (صلّى الله عليه وآله) فإنّه معصوم عن ترك الأولى أيضاً الذي يُطلق عليه المعصية بالنسبة إلى أنبياء الله سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾^(٢) من باب أنّ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين، بل للرين المنسوب إلى قلب نبينا (صلّى الله عليه وآله) توجيه وجيه وتفصيل حسن ليس هذا موضع ذكره.

﴿فأخذ بسمعكم وأبصاركم﴾ أي أخذ هذا الرين بسمع قلوبكم وأبصارها لما غلب عليها، والأخذ كناية عن قبضها ومنعها عن فعلها فلا تسمع ولا تبصر، فحينئذٍ لا يكون لهم قلوب يعقلون بها، ولا آذان يسمعون بها، ولا أعين يبصرون بها. أو المراد من السمع والبصر هما الظاهريان، فإنّ عمل الجوارح الخارجيّة أيضاً بإعانة القلب، فإذا فسد القلب فسد الجسد كلّّه، فسماع الأذن أنما يكون بنور ساطع من القلب هو قوّته وكذا البصر وغير ذلك، فإذا فسد القلب وزال نوره فلا يبقى حينئذٍ منه أثر ويبطل السمع والبصر، ألا ترى أنّ من غفل قلبه عن التوجّه إلى صوت المتكلّم لا تسمع أذنه ما يقول، أو إلى صورة شيء لا تبصره عينه.

أو أنّ السمع والبصر منهم وإن لم يكونا مأخوذين في الظاهر لكن لما لم يعملوا بعلمهم، ولم يتأثروا بما سمعوا من تظلمها في حضورهم، وبما رأوه من هذه الحالة الفضيعة الهائلة، فصار من باب التنزيل قلوبهم مرانة، وأسماعهم وأبصارهم مأخوذة، أو كانت هذه الجوارح تطلب منهم بالمرّة فلا قلوب لهم ولا أسماع ولا أبصار، أي (لهم قلوب لا يعقلون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلّ).

و (التأوّل) والتأويل الإرجاع من الأوّل بمعنى الرجوع من آل إليه الأمر إذا

(١) البحار ١٧: ٤٤.

(٢) طه: ١٢١.

رجع ومنه المآل للمعاد، وبجيء بمعنى النقل أيضاً، والتأويل في الإصطلاح حمل اللفظ على المعنى المرجوح، فكأن اللفظ لا ينصرف إليه بنفسه من جهة النصوصية أو الظهور، بل انصرافه إلى نصّ معناه أو ظاهره، فيرجع إلى هذا المعنى المرجوع قهراً وينقل من موضعه الأصلي أي عن المعنى الظاهر والمعيّن إلى المعنى الخفيّ، فصار مؤوّلاً.

و (لبئس ما تأوّلتم) أي بئس تأويلكم القرآن واحكام الشريعة وصرفها عن وجوها.

و (شرّ) على وزن فَرّ بمعنى ساء من الشر نقيض الخير.

و (الإعتياض) أخذ العوض والرضاء به أي ساء ما أخذتم به عوضاً عما تركتم أي بئس الأمر الباطل الذي أخذتم بعضه عوضاً عما فوّتتم من الحقّ، أي تركتم الحق وأخذتم بدله شيئاً من الباطل، وهو غصب فذك والخلافة أيّاماً معدودة سريعة فانية، أي لو أخذوا الحق واستمروا به لكان باقياً لهم في الدنيا والبرزخ والآخرة.

والمراد من الحق هو عايّ (عليه السّلام)، أو الإذعان بولايته، أو تسليم فذك أو نحو ذلك، ومن العوض ما قابل هذه الأمور، أو المراد ما أي التأويل بالرأي الذي اعتضيتموه من القرآن أي ظاهر القرآن ومحكمه، حيث أنّكم تركتم الظواهر وأخذتم بدلها المعاني المؤوّلة المرجوحة المأخوذة بمجرّد الاشتهااء واستحسان الآراء.

قولها (عليها السّلام): (لتجدنّ والله محملها...) المحمل كمجلس مصدر قولك: حمل الشيء على ظهره يحمله حملاً، ومنه الحمل - بكسر الحاء - للمحمول، وثقل حملة كناية عن كثرة أوزاره، قال تعالى: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾^(١).

و (الغبّ) بالكسر العاقبة كالمغبّة، وأصله فعل شيء يوماً ويوماً لا.

و (الوبال) في الأصل الثقل والمكروه، ويُرَاد به في عرف الشرع عذاب

الآخرة، والعذاب الويلل أي الشديد الثقيل، ومنه الويل للمطر الشديد وكذا الوابل.
و (الضراء) بالفتح والتخفيف الشجر الملتف كما مرّ، يقال: توارى الصيد منّي
في الضراء.

و (الوراء) يكون بمعنى قدّام كما يكون بمعنى خلف، وبالأوّل فسّر قوله
تعالى: ﴿وَكَانَ رِءَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾^(١)، وروي (ما وراه الضراء)،
وحينئذٍ يحتمل أن تكون الهاء زيدت من النسخ، أو أنّ الهمزة حُرِفَتْ إلى الهاء
فيكون ورا على صحّة الهاء بتشديد الراء من قولهم: ورّى الشيء تورية أي أخفاه،
على ما مرّ.

وعلى أيّ حال فحاصل المعنى: وظهر لكم ما ستره عنكم الضراء، والمراد من
الموصولة حينئذٍ العذاب برزخياً أو أخروياً، والجزاء المترتب على هذا الذي
فعلوه، ويمكن تشديد الراء من الضراء على تقدير الهاء بمعنى الضّراء المقابل
للسرّاء من الضرر وهو البؤس والشدة، ويكون الضمير للغطاء والضراء بدلاً من
(ما) أو بياناً له، أو أنّ ما بمعنى الساحة والفضاء والضمير لـ (ما)، أو أنّها زائدة
والضمير للغطاء أي بان الضراء وراء الغطاء، فتكون الضراء كناية عن العذاب
والجزاء أيضاً.

(وبدالكم من ربكم - حينئذٍ - ما لم تكونوا تحتسبون) أي ظهر لكم من صنوف
العذاب ما لم تكونوا تنتظرونه، ولا تظنّونه أصلاً إليكم ولم يكن في حسابانكم.
(وحسر هنالك المبطلون) أي أصحاب الباطل من أبطل الرجل إذا أتى بالباطل
مداوماً له آخذاً له طريقة مستمرة أو مطلقاً، لحصول الخسران على المبطل لا
محالة ولو في الجملة.

ثُمَّ عَطَفَتْ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَقَالَتْ:

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنِيئَةٌ
إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدْ الْأَرْضُ وَإِلَهَا
وَكُلُّ أَهْلٍ لَهُ قُرْبَى وَمَنْزِلَةٌ
أَبَدَتْ رِجَالُ لَنَا نَجْوَى صُدُورِهِمْ
تَجَهَّمْتَنَا رِجَالٌ وَاسْتُخِفَّ بِنَا
وَكُنْتُ بَدْرًا وَثُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ
قَدْ كَانَ جَبْرِيلُ بِالْآيَاتِ يُؤْنِسُنَا
ضَاقَتْ عَلَيَّ بِلَادِي بَعْدَ مَا رَحِبْتُ
فَلَيْتَ قَبْلَكَ كَانَ الْمَوْتُ صَادَقَنَا
إِنَّا رُزِينَا بِمَا لَمْ يُرَزْ ذُو شَجَنٍ
وَقَدْ رُزِينَا بِهِ مَخْضًا خَلِيقَتُهُ
قَأَنْتَ خَيْرُ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
فَسَوْفَ نَبْكِيكَ مَا عَشْنَا وَمَا بَقِيتَ
سَيَعْلَمُ الْمُتَوَلَّى ظُلْمَ حَامَتِنَا

بيان:

روي عن زينب بنت أمير المؤمنين (عليها السلام) قالت: لما اجتمع رأي أبي بكر على منع فاطمة فذك والعوالي، وأيست من إجابته لها عدلت إلى قبر أبيها، فألقت نفسها عليه وشكت إليه ما فعله القوم بها، وبكت حتى بلت تربته بدموعها وندبته، ثم قالت في آخر ندبتها: قد كان بعدك أنباء... (١).

وفي الكشف بعد الأبيات: فما رأينا أكثر باك وباكية من هذا اليوم (٢).
وفي بعض الروايات كما في الكشف وغيره: ثم عطفت على قبر

(١) أمالي المفيد: ٤٠ ج ٨، عنه البحار ٢٦: ١٠٧ ج ٢.

(٢) كشف الغمة ٢: ١١٣.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتمثلت بقول هند بنت إاثثة: (قد كان بعدك) إلى آخر البيتين، وبعدهما (أبدت رجال) البيت، ثم قولها (عليها السلام): قد كان جبريل...، ونقل بعضهم حينئذٍ في ذيل البيت الأول من هذه الرواية أن هذا الشعر لهند بنت أبان بن عبد المطلب تمثلت به فاطمة (عليها السلام).

ولا يخفى أن الاختلاف هنا في تقديم بعض الأبيات على بعض وتأخيرها عنه، وإنشاد بعضها أو كلها موجود إلى ما شاء الله، ولم ينقل أقل من البيتين أو أكثر مع التقدم أو التأخر، والله يعلم حقيقة الأمر، والظاهر أن البيتين الأولين من باب التمثيل والبواقي مما أنشأها الزهراء (عليها السلام)، والظاهر في ترتيبها أن يكون على النحو الذي ذكرنا.

قولها (عليها السلام): (قد كان بعدك [أنباء]...) الأنباء جمع النبأ - بالتحريك - بمعنى الخبر كما أشير إليه فيما مرّ، وأنه مدرك أحد وجهي تسمية النبي (صلى الله عليه وآله) بالنبي لأخذه منه بناء على كونه مخبراً عن الله سبحانه، أي عن صفاته وأفعاله وأقواله التي هي الأحكام الشرعية وغيرها. والمراد من الأنباء في البيت الأقوال المختلفة، والأخبار الغير المؤتلفة، والوقائع الحادثة، مراداً بها غصب الخلافة وفدك ونحو ذلك، والمحاورات والمنازعات المترتبة على ذلك.

و (الهنبة) كزلزلة واحدة الهناث وهي الأمور الشداد المختلفة، والهنبة الإختلاط في القول أو مطلق الإختلاط، والنون زائدة.

وذكر في النهاية: أن فاطمة (عليها السلام) قالت بعد موت النبي (صلى الله عليه وآله): قد كان بعدك أنباء... البيتين على نحو ما ذكر في المتن، وآخر البيت الثاني على روايته: فاشهدهم ولا تغب^(١)، وفي المجمع كذلك^(٢)، وفي بعض الروايات بنحو آخر كما سيأتي.

(١) النهاية ٥: ٢٧٧، لسان العرب ١٥: ١٤٤ / هنبث.

(٢) مجمع البحرين / هنبث.

والهنيئة كأنها عطف تفسير للأنباء، وهي اسم جنس يجوز جعله تفسيراً للجمع، أو أن المراد من الأنباء هي الأقوال المختلفة أو الأفعال المختلفة، وأصل الهنيئة لا يحصل إلا بجملتها إذ لا يحصل الاختلاف والاختلاط بقول واحد ولا فعل واحد.

و (الشهود) الحضور من شهد يشهد شهوداً أي حضر، وقد مرّت الإشارة إلى تفصيل المادة، والضمير راجع إلى تلك الأنباء المفسّرة بالهنيئة.

و (الخطب) كضرد جمع الخطبة - بالضم - وهي جماعة من الكلام يُخاطب بها جملة من الناس أو مطلق الكلام المخاطب به، وتلك الخطب هنا هي الأنباء المختلفة المشار إليها كمكالمة الزهراء (عليها السلام) مع الجماعة بالمكالمات المختلفة في مجالس متعدّدة ومواجهتهم بها (عليها السلام) بالأجوبة المختلفة. والمقصود أنّه لو كنت مشاهداً لتلك الأنباء أي حاضراً في مجلس وجودها وحدوثها لم تكثر هي أي لم تقع ولم تتكثّر، بل كان القول حينئذٍ قولك ما كان لأحد أن يردّك، ولم يحصل الاختلاط بالأقوال المختلفة، فوضع الظاهر موضع الضمير للضرورة والإشارة إلى الفطاعة، واستحضاراً لتلك الصورة الهائلة، كما في قوله تعالى: ﴿القارعة﴾ * ما القارعة ﴿^(١) ونحو ذلك.

وقال بعض الأفاضل هنا: أنّه الخطب - بالفتح - أي الأمر الذي يقع فيه المخاطبة أو الشأن أو الحال كذلك، والجملة الشرطيّة صفة للأنباء.

قولها (عليها السلام): (إنا فقدناك...) فقد وجدان الشيء غائباً بعد وجوده، يقال: فقدت الشيء - من باب ضرب - فقدأ - بالفتح - وفقداناً - بالكسر والضم - عدمته، ومنه قوله تعالى: ﴿نفقد صواع الملك﴾ ^(٢) وكذلك الإفتقاد، وتفقدته أي طلبته عند غيبته، والفاقد بخصوصه المرأة التي تفقد ولدها أو زوجها، وتفقد القوم أي تفقد بعضهم بعضاً.

(١) القارعة: ١ - ٢.

(٢) يوسف: ٧٢.

و (الوابل) المطر الشديد، وفي الفقرة إشارة إلى شدة الميل إلى المخاطب وغاية الإحتياج إليه.

و (الاختلال) من الخلل وهو الفرجة بين الشيئين الموجبة للإنقسام وتشتت النظام أي تفرّق أمور قومك، واختلّت بعدك فاشهدهم ولا تغب، أي فكأنّ المقام مقام أن تشهدهم ولا تغيب عنهم لو أمكن ذلك حتى ينتظم الأمر ولا يتشتت النحر^(١).

وفي بعض النسخ: (فاشهدهم فقد نكبوا) من نكب فلان عن الطريق - كنصر وفرح - أي عدل ومال، أي قد لزم شهودك وحضورك لأنّ القوم عن الصراط لنا كبون، وعن الجادة لمنحرفون، لتردّهم من الغواية إلى طريق الهداية، فالفاء في مقام التعليل لطلب الشهود والحضور، وفي الكشف: (واختلّ قومك لمّا غبت وانقلبوا)^(٢) أي انقلبوا على أعقابهم راجعين إلى حالة الكفر والجاهليّة.

قولها (عليها السّلام): (وكل أهل له...) القربى في الأصل القرابة مطلقاً مصدراً كالرجعى، وقد تُطلق على القرابة في الرحم من قرب يقرب من الشيء قرباً - من باب شرف - إذا دنا منه واقترب وهو ضدّ البعد، واقترب أي تقارب، قال في المجمع: في اقتراب زيادة مبالغة على قرب، كما أنّ في اقتندر زيادة مبالغة على قدر. و (القُربان) - بضم القاف - ما يتقرّب به إلى الله، ومنه: قرّبت الله قرباناً، والصلاة قربان كلّ تقي أي ما يتقرّب به إلى الله تعالى، وقرّبه تقريباً أي أدنيه.

وفي الحديث القدسي: (من تقرّب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً)^(٣) والمراد من قرب العبد من الله القرب المعنوي بسبب الذكر والعمل الصالح لا قرب الذات والمكان، لأنّ ذلك من صفات الأجسام والله تعالى عن ذلك وتقدّس، والمراد بقرب الله من العبد في الحقيقة قرب نعمه وألطافه منه وبرّه وإحسانه، أو عطوفته

(١) كذا.

(٢) كشف الغمة ٢: ١١٣.

(٣) البحار ٨٧: ١٩٠.

و رضوانه بالنسبة إليه، وقريب الرجل يُطلق في العرف على ذي القرابة في الرحم. و (المنزلة) المرتبة والدرجة ولا تجتمع على ما قال بعضهم، وهي محلّ النزول من نزل ينزل نزولاً، وتستعمل المنزلة مصدراً أيضاً.

و (الأدنى) الأقرب ويُطلق على الأبعد أيضاً، وقد مرّت الإشارة إلى تفصيل معنى المادة، والجمع الأدنون رفعاً والأدنين نصباً وجرّاً، والمعنى والله أعلم أنّ كلّ أهل إذا كان له قربي ومنزلة في الواقع أو عند الله فهو عند الله على الأدنين أي قربه زائد عنده على سائر الأقربين، أي أنّ أقارب الرجل صنفان: صنف له قربي ومنزلة باطنية، وصنف ليس كذلك، والصنف الأوّل أشدّ قرباً عند الله بالنسبة إلى الصنف الثاني.

وجعل قولها (عليها السلام): (عند الله) متعلّقاً بقولها (مقرب) واضح، وأمّا على جعله متعلّقاً بالكلام السابق فهو حينئذٍ حال من القربي، بناء على صحة كون ذي الحال نكرة ولو نادراً أو صفة، وعلى أيّهما تعلّق يجعل مثله محذوفاً من الآخر من جهة القرينة، أو يقدّر في الآخر قولنا في الواقع كما ظهر ممّا مرّ.

أو المعنى كلّ أهل إذا كانت له قربي ومنزلة رحميّة فهو مقرب عند الإله على الأبعدين والأجانب، وتعلّق قولها على الأدنين بمقرب إمّا باعتبار معنى الزيادة فيه أو جعل على هنا للضرر أو الاستعلاء.

وحاصل المعنى على كلّ حال أنّ الأقرب يمنع الأبعد، فيكون المراد أنّ أهل بيت لنا قربة ومنزلة في الواقع وعند الله بالنسبة إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فنحن أقرب من سائر أقارب النبي (صلّى الله عليه وآله)، ومن الأجانب بالنسبة إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وإلى الله سبحانه، فلا بد أن تكون لنا الوراثة والخلافة.

وهو تعريض لما فعله القوم ممّا مرّت إليه الإشارة، وأنّهم فعلوا خلاف ما قرّره الله سبحانه، وحكموا بغير ما أنزل الله سبحانه، وتصحيح تركيب البيت واضح على ما قرّره من المعنى.

وذكر الفاضل المجلسي (رحمه الله) في تصحيح تركيب البيت وتأويل معناه وجوهاً هذا لفظه:

الأول - وهو الأظهر - : إن جملة (له قربى) صفة لأهل، والتنوين في (منزلة) للتعظيم، والظرفان متعلقان بالمنزلة لما فيها من معنى الزيادة والرجحان، و (مقرب) خبر لكل أي ذو القرب الحقيقي أو عند ذي الأهل كل أهل كانت له مزية وزيادة على غيره من الأقربين عند الله.

والثاني: تعلق الظرفين بقولها (مقرب) أي كل أهل له قرب ومنزلة من ذي الأهل، فهو عند الله مقرب مفضل على سائر الأدين.

والثالث: تعلق الظرف الأول بالمنزلة، والثاني بالمقرب أي كل أهل اتصف بالقربى بالرجل وبالمنزلة عند الله فهو مفضل على من هو أبعد منه.

والرابع: أن يكون جملة (له قربى) خبراً للكل، و (مقرب) خبراً ثانياً، وفي الظرفين تجري الاحتمالات السابقة، والمعنى أن كل أهل نبي من الأنبياء له قرب ومنزلة عند الله، ومفضل على سائر الأقارب عند الامة، انتهى^(١). وبعض هذه الوجوه قريب من بعض ما ذكرناه.

قولها (عليه السلام): (أبدت رجال لنا...) في بعض النسخ (أبدى) وهو أيضاً جائز، ووجهه أن تأنيث الجمع باعتبار الجماعة وهو تأنيث غير حقيقي.

و (الابداء) الإظهار خلاف الإسرار من بداله الأمر يبدو بدواً أي ظهر، وأبداه أظهره، واشتق منه الإبتداء لأول الشيء أو الشروع فيه، لأن أول ما يبدو من الشيء أوله، وبدأ بالشيء ابتداء به، والبادية والبيداء المفاضة والصحراء، وكلها راجعة إلى المعنى الأصلي.

و (النجوى) إسم من نجوته إذا ساررتة، والأصل من نجا ينجو نجاة إذا تخلص، وقد مرّت إليه الإشارة، ونجوى صدورهم ما أضمره في نفوسهم من العداوة ولم يتمكنوا من إظهاره في حياته.

وفي بعض النسخ (فحوى صدورهم) وفحوى القول معناه مطلقاً، هذا بحسب العرف العام واللغة، وفي الإصطلاح يسمّى المفهوم الموافق مثل حرمة الضرب المفهومة من حرمة التأفيف في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْلُ لَهَا أَفٌ﴾^(١) بطريق الأولوية بفحوى الخطاب ويلحن الخطاب في مقابل المفهوم المخالف في مثل: إن جاءك زيد فأكرمه، المسمّى بدليل الخطاب وتفصيله في الأصول، والمراد هنا مطلق المعنى ومآله مع النجوى واحد.

و (المضيّ) كناية عن الموت.

و (حالت) بمعنى صارت حائلة مانعة من حال فلان بيني وبين فلان أي صار فاصلاً بيني وبينه مانعاً لي عن رؤيته أو عن وصوله.
و (دونك) هنا في موضع منك وعنك، أو أنّ دونك هنا بمعنى قريباً منك وقبل الوصول إليك، يقال: دون النهر جماعة أي قبل أن تصل إليه، وقد مرّ معنى دون بوجوه مختلفة.

و (الكثب) جمع الكثيب وهو ما اجتمع من الرمل، ويروى الترب أيضاً وهو الصحيح كما لا يخفى.

و (التُّرب) بضمّ التاء وقد تضمّ الراء أيضاً بالتبع كما في نحو قفل وعسر ويسر وكذا يقرأ في البيت، وهو والتراب والتربة بمعنى، قال في القاموس: وجمع التراب أتربة وتربان ولم يسمع لسائرهما جمع، إنتهى^(٢).

والظاهر أنّ للتراب غلبة في معنى النكرة، وللترب والتربة في معنى الجنس، ولعلّ هذا هو الوجه في عدم سماع جمع لهما، واعتبار التأنيث هنا في الترب إمّا لكونه إسم جنس، أو أنّه بمعنى التربة أو باعتبار الأرض، وقيل: الأظهر أنّه بضمّ التاء وفتح الراء جمع تربة كغُرْفَة وغُرْف، وفي المصباح: إنّ التربة المقبرة والجمع ترب^(٣)، وهذا المعنى غير مناسب هنا.

(١) الإسراء: ٢٣.

(٢) القاموس المحيط: ٧٨ / الترب.

(٣) المصباح المنير: ٧٣ / الترب.

وفي بعض النسخ: (لما قضيت) من قضاء النحب كناية عن الموت، قال تعالى: ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾^(١) ويقال: قضى فلان أي مات وقد جاء القضاء على معان كثيرة كمعنى الأداء، والحكم، والقول، والحتم، والفعل، والأمر، والعلم، والإعلام، والفراغ، والإتمام، والخلق، والإبرام، وفعل الشيء بعد وقته نحو قضيت ديني أي أديته، ﴿والله يقضي بالحق﴾^(٢) أي يحكم به أو يقول.

﴿فلما قضينا عليه الموت﴾^(٣) أي حتمناه، ﴿فاذا قضيت الصلاة﴾^(٤) أي فعلت، ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾^(٥) أي أمر، و﴿إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾^(٦) أي عملها، ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾^(٧) أي أعلمناهم، و﴿قضى الأمر الذي فيه تستفتيان﴾^(٨) أي فرغ منه، ﴿فلما قضى موسى الأجل﴾^(٩) أي أتمه، ﴿فقضاهن سبع سماوات﴾^(١٠) أي خلقهن، وقضيت الأمر أي أبرمته، وقضيت الصلاة أي فعلتها بعد وقتها، ويرجع بعض تلك المعاني إلى بعض بل الجميع إلى معنى واحد.

وفي بعض النسخ في موضع المصراع الثاني: (قوم تمنوا فأعطوا كلما طلبوا) والقوم حينئذ بدل أو بيان من الرجال، وأعطوا مجهول أي هم كانوا يتمنون موت النبي (صلى الله عليه وآله) وغصب الوراثة والخلافة، فقد بلغوا ما طلبوا.

قولها (عليها السلام): (تجهمتنا رجال...) التجهّم الاستقبال بالوجه الكريه من

(١) الأحزاب: ٢٣.

(٢) غافر: ٢٠.

(٣) سبأ: ١٤.

(٤) الجمعة: ١٠.

(٥) الإسراء: ٢٣.

(٦) يوسف: ٦٨.

(٧) الإسراء: ٤.

(٨) يوسف: ٤١.

(٩) القصص: ٢٩.

(١٠) فصلت: ١٢.

جهمت الرجل - من باب منع - وتجهّمته إذا كلحت في وجهه، ورجل جهم الوجه أي كالح الوجه، وجهم الرجل - بالضم - جهومة أي صار باسر الوجه، ويجوز تهجّمنا من الهجوم أي تهجّمت علينا من هجمت على الشيء وتهجّمت عليه أي أتيت بهتة.

وفي بعض النسخ: (تهضمتنا) من الهضم، يقال: هضمه وتهضمه أي ظلمه، وفي تفسير علي بن إبراهيم: (فغمصتنا)^(١) من غمصت الشيء أي احتقرته، والتضعيف للتشديد والمبالغة، والتنوين في رجال للتحقير أي رجال محقرون.

(واستخفّ بنا) بصيغة المجهول أي حصل بالنسبة إلينا الاستخفاف من هؤلاء الرجال الذين هم مستحقون لأن يستخفّ بهم لحقارتهم، والاستخفاف بالشيء جعله خفيفاً أي فرضه كذلك، أي أنّه خفيف الشأن لا شأن له كناية عن الاستحقار، إذ كلّ حقير خفيف لا ميزان له عرفاً وعقلاً وشرعاً، والمراد الخفة المعنوية.

و (المغتصب) على بناء المفعول بمعنى مغصوب، والمراد من كلّ الإرث الإرث الظاهري وهو الوراثة، والإرث الباطني وهو الخلافة، أي قدّرونا شيئاً خفيفاً ولم يجعلوا لنا وزناً، وغصبوا منا ما ورثناه من المال والخلافة.

قولها (عليها السلام): (وكنّت بدرأ...) أي والحال أنّك كنت بدرأ ونوراً - عطف تفسير - يُستضاء به في ظلم الجهالات، وكانت عليك تنزل الكتب من الله آنأ فأنأ على سبيل الإستمرار في حياتك، وكنّت أعلم بأحكام الله، وقرّرت لنا ما قرّرت من الوراثة والخلافة بحكم الله، فهم غيروا الكتاب، وبدّلوا السنة، وغصبوا منا الوراثة والولاية.

و (الكتب) جمع كتاب، والوجه في الجمع أنّ كلّ سورة من القرآن أو كلّ آية منه كأنّه كتاب على حدة، أو المراد أحكام الكتب الإلهية مطلقاً، فإنّ القرآن مشتمل على جميع ما في الكتب السالفة السماوية كما في الأخبار المروية، أو

المراد جنس الكتب من باب فلان يركب الخيل وهو أنما يركب واحدة منها، والمراد أنه يركب من هذا الجنس، ويجوز أن يُراد في لام الكتب الجنسية والعهدية مع اعتبار معنى الكمال مثل زيد الرجل أي الرجل الكامل في الرجولية.

والمراد من ذي العزة هو الله تعالى، لأن له العزة الكاملة بل حقيقة العزة بل جميع أفراد العزة، ويمكن أن يُراد من العزة الصفة الجمالية أو الجلائية أو كليهما، وكذا في قوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾^(١).

قيل: إن الدرهم والدينار مظهر إسمه العزيز وبهما عزة أهل الدنيا، وحلف إبليس بها إشارة إلى أن اغواءه لهم إنما يكون بالذهب والفضة، فيمكن أن يكون قولها (عليها السلام) هنا: (من ذي العزة الكتب) إشارة إلى أن العزة التي صارت أي صار طلبها سبب هلاك القوم وانحرافهم عن الطريقة صاحبها قد أنزل عليك الكتب والأحكام، ويبين لك الحلال والحرام، فكان عليهم أن يتبعوك في كل حال ومقام، ولا ينكصوا عن الحق بعد الإقدام.

قولها (عليها السلام): (قد كان جبريل بالآيات يونسنا...) جبريل مخفف جبرئيل، قال تعالى: ﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال﴾^(٢) ويجوز جبرائيل كميكايل وجبريل كميكيل وجبرال كميكال.

و (بالآيات) متعلق بقولها (يونسنا) من الإيناس بمعنى إعطاء الأُنس، وإذهاب الوحشة والدهشة، والمراد بالآيات آيات القرآن أي كان يجيء أنا فأناً بالآيات القرآنية على سبيل الوحي إليك، ونحن قد اعتدنا بذلك واستأنسنا به في عمرنا عن سائر الأنام، وأزلنا بذلك عن نفسنا دهشة المصائب والآلام، ووحشة الأوجاع والأسقام، فقد فقدت الآن وانقطع نزول جبرئيل بالآيات.

(وكلّ الخير محتجب) عنا بعدك بلا اختصاص بفوات نزول جبرئيل وإيناسه إيانا بالآيات القرآنية، لأنك كنت معدن كلّ خير وأصل كلّ رحمة: (إن ذكر الخير

(١) ص: ٨٢.

(٢) البقرة: ٩٨.

كنتم أوله وآخره وأصله وفرعه^(١).

وفي بعض النسخ: (وكان جبريل روح القدس زائرنا) وفي بعضها: (فغبت عنا) بدل فقد فقدت، وفي بعضها: (فغاب عنا) أي جبرئيل بسبب انقطاع الوحي بعدك.

قولها (عليه السلام): (ضاقت عليّ بلاد الله...) زاد هذا البيت المرتضى (رحمه الله)، والضيق خلاف السعة، ورحبت بمعنى وسعت من الرحب - بالضم - بمعنى السعة كما مرّ.

وأرض رجة أي واسعة، ومرحباً وأهلاً أي أتيت سعة وأهلاً فاستأنس ولا تستوحش، أو أتيت مكاناً وسيعاً، أو رحب مكانك مرحباً أي وسع سعة، وسعتها كناية عن الإستراحة وعدم المشقة، أو الأمن من الخوف والوحشة وضرر الأعداء والغيلة، وقال تعالى: ﴿وضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾^(٢) أي لم تجدوا في الأرض موضع فرار تفرّوا إليه وتستريحوا من الخوف والوحشة. و (سامه خسفاً) يسومه أي أولاه إتياء وأراده عليه، والخسف - بالفتح - الذلة أي تكلفه له.

و (السبّط) بالكسر ولد الولد جمعه أسباط، والأسباط من بني إسرائيل من أولاد يعقوب كلقبائل من العرب، لكون كلّ قبيلة من نسل ولد من أولاده، وقوله تعالى: ﴿وقطّعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً﴾^(٣) فإنّما أنث لأنه تعالى أراد اثنتي عشرة فرقة، ثم أخبر أنّ الفرق أسباط، وليس الأسباط بتفسير وتمييز ولكنه بدل، لأنّ التفسير في مثله لا يكون إلّا مفرداً مثل: إثنا عشر درهماً ولا يجوز دراهم. والمراد من السبطين هنا الحسان (عليهما السلام)، وسبطاك محذوف النون بالإضافة إلى الكاف نائب فاعل سيم، وخسفاً مفعول به لسيم، أو منصوب بنزع

(١) من زيارة الجامعة الكبيرة.

(٢) التوبة: ٢٥.

(٣) الأعراف: ١٦٠.

الخافض أي بالخسف، أو مفعول مطلق لفعل محذوف من لفظه أو لسيم باعتبار التضمن وضمير فيه للخسف.

و (النَّصَب) التعب من نَصَب الرجل - بالكسر - نصباً كتعب لفظاً ومعنى، قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾^(١) والمراد أن إرادة القوم خسف السبطين وذلتهما أوجبت لنصبي وتعبي لما يدخل عليّ من الهمّ والحزن والغمّ الشديد الحاصل لي من هذه الجهة.

قولها (عليها السّلام): (فليت قبلك كان الموت...) زاد هذا البيت حرماً بن أبي العلاء في روايته، وصادف بمعنى وجد ولقى من صادفه مصادفة، ومنه قولهم: صادفت الضالّة أي وجدتّها.

و (الكُثْب) بضمّتين جمع كثيب، وهو التلّ من الرمل كناية عن التراب أي تراب القبر، أو كُثب الأرض مطلقاً لبعده الفاصلة الظاهرية أيضاً في بعض الأوقات بين الأحياء وقبور الموتى.

و (لما) إمّا بالتشديد والمصراع الأوّل جوابه أي لما قضيت تمنيّا أن كنّا مقبوضين قبلك، ولم نر الدنيا وهي خالية منك، أو بالتخفيف و(ما) مصدرية واللام تعليلية، فيكون المصراع في موضع التعليل للتمني السابق الذكر، وروي: (مضيت) هنا بدل قضيت ولا تفاوت في المعنى.

قولها (عليها السّلام): (إِنَّا رُزِينَا بِمَا لَمْ يُرْزَ... الرّزء - بالضم - المصيبة بفقد الأحرّة، ويقال: رزأه ما لا كجعله وحمله وبمال أيضاً رزء - بالضم - أي أصاب منه شيئاً، والرزية: المصيبة وأصلها الرزية كفيلة قلبت الهمزة ياء وادغمت فعيلة بمعنى فاعلة.

ورزأته رزية أي أصابته مصيبة، وأصل المادّة يشعر عن معنى النقص، ورزئنا هنا على بناء المجهول أي اصبنا بفقدك، وقولها (عليها السّلام): (بما لم يُرْز به ذو شجن) وهو بالتحريك الحزن، وقولها: (من البليّة) بيان لما، وفي بعض النسخ (من

البرية) وهو بيان لذي شجن، أو أنّ من تبعيضية.

و (العرب) بضمّ العين وبالتحريك خلاف العجم بالوجهين، وفسّر العجم أيضاً بخلاف العرب ومثله كثير في كتب اللغة، كما قالوا في لغة الإناء أنّه الظرف وفي الظرف أنّه الإناء، وهو مستلزم للدور لتوقّف معرفة كلّ على معرفة الآخر.

وبالجملة فالعرب طائفة مخصوصة لها لغة مخصوصة من حيث النوع، وإن اختلفت أشخاص بعض اللغات في تلك اللغة المخصوصة باختلاف الطوائف والفرق، والعجم خلاف العرب، وليست العجم طائفة مخصوصة ولا لها لهجة مخصوصة، بل الفارس طائفة من العجم، والترك طائفة، والهندي طائفة وهكذا، ولكلّ طائفة لغة مخصوصة كالعرب، والحاصل أنّ العجم هو خلاف العرب أي من ليس بعرب مطلقاً.

والمقصود أنّ هذه المصيبة العظمى التي رزئنا بها لم يُرز بها أحد من العرب والعجم، فإنّ مصيبة فوت النبي (صلى الله عليه وآله) لها صدمة شديدة مخصوصة بالعترة، غير صدمتها العامة الشاملة لكلّ أهل الاسلام، بل في جميع الذرّات الإمكانية والأكوانية في جميع العوالم الإلهية، وفي بعض النسخ: (فقد رزينا) بدل إنّنا رزينا، وفي بعض النسخ: (فقد رزينا بمالم يرز أحد).

قولها (عليها السّلام): (فقد رزينا به محضاً...) المحض صفة بمعنى الخالص كما مرّ، والخلقة الخُلُق - بالضم - أي الطبيعة لكون الإنسان مخلوقاً عليها، وهي ناشئة من أصل الطينة الواقعية، فإنّ الخاتمة على طبق الفاتحة، ومحضاً حال من الضمير المجرور في به لكونه مفعولاً، وخليقته فاعله والضمير للنبي (صلى الله عليه وآله).

وقولها (عليها السّلام): (صافي الضرائب) حال بعد حال سكن الياء للضرورة، بل حذفت بعد السكون أيضاً للضرورة أي صافي الضرائب، والضرية الطبيعة أيضاً فيكون تأكيداً للحال الأولى نظير التأكيد في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَّ فِيهَا نِصَبٌ﴾

ولا يَمَسُّنا فيها لغوبٌ ﴿١﴾ على ما قيل.

و (الأعراق) جمع العرق وهو أصل كل شيء والجمع عروق وأعراق، ومنه عروق الإنسان لأن جسد الإنسان مبني عليها فهي أصل له، ويجوز أن يُراد من الأعراق هنا الأصول من الآباء والأجداد والأُمّهات والجدّات.

و (النسب) بالتحريك إسم مصدر من قولك: نسبت الرجل أنسبه - من باب قتل - نسباً ونسبةً أيضاً، وهو الربط الحاصل من ملاحظة حال الشيء مع شيء آخر، ثم غلب استعماله على ملاحظة أحد مع الآخر بنسبة التولّد والقرابة.

ويجوز أن يُراد من النسب أيضاً الأصول أي الآباء والأجداد مثلاً، ويكون المراد من صفاء الخليقة والضرية صفاء نفس طويته، ومن صفاء عرقه ونسبه صفاء أصوله، ويمكن أن يُراد من صفاء الخليقة صفاء أخلاقه، ومن الضرية طبيعة نفسه، ومن العرق أصله، ومن النسب النسبة الملحوظة بين الأصل والفرع، وهذا هو الأولي، أو يراد من صفاء خليقته صفاء طبيعته، ومن صفاء البواقي صفاء أصوله. قولها (عليها السّلام): (فأنت خير عباد الله...) هذا كالتفريع على الأوصاف المذكورة في البيت.

قولها (عليها السّلام): (وأصدق الناس...) أي إنّ ما ذكر من صفاء الخليقة والطينة وغيرهما يستلزم أن لا يصدر منك الكذب، فأنت حينئذٍ أصدق الناس جدّاً، إذ رذيلة الكذب من الصفات المذمومة القبيحة في غاية الرداءة لا يليق أن تصدر من مثلك النبي الصافي الخليقة والضرية، وطيب العرق والأرومة، فكلّ ما قلته وقرّرتَه في أمر الوراثة والخلافة حقّ لا شبهة فيه وإن كذّبك القوم بعدك.

و (حيث) مضاف إلى الصدق، ويجوز إضافته إلى المفرد وإن كان الغالب إضافته إلى الجملة، وقد تقرّر في الكتب النحويّة حقيقة المسألة، فيكون ما نحن فيه نظير قول الشاعر:

أما ترى حيث سهيل طالعاً نجماً يضيء كالشهاب ساطعاً^(١)
 بجرّ سهيل، ورفع الكذب هنا للضرورة في القافية، ويجوز أن يجعل الصدق
 والكذب مرفوعين على الابتداء والخبر محذوف أي موجودان أو يفرضان أو
 يذكران، أو نائب فاعل فعل محذوف أي حيث يُذكر الصدق والكذب ونحو ذلك.
 قولها (عليها السلام): (سيعلم المتولّي...) المتولّي المباشر للشيء من تولّي
 الأمر بمعنى باشره، وأصله من وليه يليه، وقد مرّت الإشارة إلى معنى المادة،
 و(ظلم) مفعوله مضافاً إلى حامة.

و (حامة) الرجل - بتشديد الميم - خاصّته وكأنّه من الحميم بمعنى القريب،
 والتخفيف في البيت للضرورة.

قال في النهاية: وفي الحديث: (اللهم إنّ هؤلاء أهل بيتي وحامّتي أذهب عنهم
 الرجس وطهرهم تطهيراً) حامة الرجل خاصّته ومن يقرب منه وهو الحميم أيضاً،
 إنتهى^(٢). والبيت إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب
 ينقلبون﴾^(٣).

قولها (عليها السلام): (فسوف نبكيك...) التهمال من الهمل كال تكرار، وإن لم
 يذكر في بعض اللغات بخصوصه إلّا أنّه صحيح قياساً سيّما مع وروده في
 الاستعمال أيضاً، قال الجوهري: هملت عينه تهملُ هَمَلًا وهَمَلَانًا أي فاضت،
 وانهملت مثله، إنتهى^(٤).

وفعله من باب ضرب وقتل، والهمل مصدره - بفتح الأوّل - وكذا الهملان
 بالتحريك، ومنه هملت الماشية أي سرحت ورعت بغير راع، وأهملتها أي
 أرسلتها، ومنه قولهم: أهملت الأمر بمعنى تركته.

(١) راجع جامع الشواهد ١: ٣١٠.

(٢) النهاية ١: ٤٤٦ / حمم.

(٣) الشعراء: ٢٢٧.

(٤) الصحاح ٥: ١٨٥٤ / همل.

و (سكبت) الماء سكباً - بالفتح - من باب قتل أي صبيته، وسكب الماء بنفسه
سكوباً وتسكاباً والسكب بمعنى النصب، فالمجرّد منه يتعدّى ولا يتعدّى، وحرّكت
الكاف في البيت للضرورة، ويجوز كونه بالتحريك إسم مصدر أيضاً.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم مكان قوله بتهمال بهّمّال^(١) أي بدمع هطّال، وفي
بعض الروايات بدل العيون الشؤون جمع الشآن، والشؤون هي مواصل قبائل
الرأس وملتقاها ومنها تجيء الدموع.

وقال ابن السكيت: الشآنان عرقان ينحدران من الرأس إلى الحاجبين ثم إلى
العينين، ولعلّ أصل العرقين عروق كثيرة متصلة بشؤون الرأس فتتحد العروق من
كلّ طرف عند الحاجب، فيصدق الشآنان باعتبار الإنتهاء والشؤون باعتبار
الابتداء.

ولها (عليها السّلام) أشعار كثيرة رثت بها النبي (صلى الله عليه وآله)، من
جملتها ما نقله في الزهر الزاهر وهو قولها (عليها السّلام):

قد مات نور العباد	قد مات سمّ الأعادي
قد مات من كان يُرجى	للنّائبات الشّداد
قد مات ركني وحصني	ومن عليه اعتمادي
لما سمعت المنادي	ينعاه طار فؤادي

ومنها قولها (عليها السّلام):

ماذا على من شمّ ترابه أحمد	أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا
صبّت عليّ مصائب لو أنّها	صبّت على الأيام صرن لياليا

إلى غير ذلك، ولعلّه يأتي ذكر بعضها بعد ذلك.



«ثُمَّ انْكَفَأَتْ (عليها السّلام) وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السّلام) يَتَوَقَّعُ رُجُوعَهَا إِلَيْهِ، وَيَتَطَلَّعُ طُلُوعَهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بِهَا الدَّارُ قَالَتْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السّلام): يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ اِسْتَمَلْتَ شَمْلَةَ الْجَنِينِ، وَقَعَدْتَ حُجْرَةَ الظَّنِّينِ، وَنَقَضْتَ قَادِمَةَ الْأَجْدَلِ، فَخَانَكَ رَيْشُ الْأَعْزَلِ، هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ يَنْتَزِنِي بِخَلَّةِ أَبِي، وَبُلْغَةَ ابْنِي، لَقَدْ أَجْهَدَ فِي خِصَامِي، وَالْقَيْتُهُ أَلَدَّ فِي كَلَامِي، حَتَّى حَبَسْتَنِي قَيْلَةً نَصَرَهَا، وَالْمُهَاجِرَةَ وَصَلَهَا، وَغَضَبْتَ الْجَمَاعَةَ دُونِي طَرْفَهَا، فَلَا دَافِعَ وَلَا مَانِعَ، خَرَجْتُ كَاظِمَةً، وَعُدْتُ رَاغِمَةً، أَضْرَعْتُ حَدَّكَ يَوْمَ أَضَعْتُ حَدَّكَ، أَفْتَرَسْتُ الذُّنَابَ وَأَفْتَرَشْتُ التُّرَابَ، مَا كَفَفْتُ قَائِلًا، وَلَا أَغْنَيْتُ طَائِلًا، وَلَا خِيَارَ لِي، لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَيْتِي، وَدُونَ زَلَّتِي، عَذِيرِي اللَّهُ مِنْهُ غَادِيًا، وَمِنْكَ حَامِيًا، وَيَلَايَ فِي كُلِّ شَارِقٍ وَغَارِبٍ، مَاتَ الْعَمْدُ، وَوَهَبَ الْعِضْدُ، شَكَّوْا إِلَى أَبِي، وَعَدَّوْا إِلَى رَبِّي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَشَدُّ قُوَّةً وَحَوْلًا، وَأَحَدٌ بَأْسًا وَتَنْكِيلًا.

فَقَالَ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السّلام): لَا وَيلَ لَكَ بَلِ الْوَيْلُ لِشَانِيكَ، ثُمَّ نَهَبَنِي عَنْ وَجْدِكَ يَا بَنَةَ الصَّفْوَةِ، وَبَقِيَّةَ التَّبَوَّةِ، فَمَا وَنَيْتُ عَنْ دِينِي، وَلَا أَخْطَأْتُ مَقْدُورِي، فَإِنْ كُنْتُ تُرِيدِينَ الْبُلْغَةَ فَرِزْ قُوكَ مَضْمُونٌ، وَكَفَيْلُكَ مَأْمُونٌ، وَمَا أُعِدُّ لَكَ أَفْضَلُ مِمَّا قُطِعَ عَنْكَ، فَاحْتَسِبِي اللَّهَ، فَقَالَتْ: حَسْبِيَ اللَّهُ، وَأَمْسَكَتْ».

بيان:

قال الفاضل المجلسي (رحمه الله): وجدت في نسخة قديمة لكشف الغمة منقولة من خط المصنف مكتوباً على هامشها بعد إيراد خطبتها ما هذا لفظه: وُجد بخط السيد المرتضى علم الهدى الموسوي - قدس الله روحه - أنه لما خرجت فاطمة (عليها السّلام) من عند أبي بكر حين ردّها عن فذك استقبلها

أمير المؤمنين (عليه السلام)، فجعلت تعنّفه ثم قالت: اشتملت... إلى آخر كلامها، إنتهى^(١).

و (انكفأت) بمعنى رجعت من كفأت القوم إذا أرادوا وجهاً فصرفتهم إلى غيره فانكفؤوا ورجعوا، وقد مرّت الإشارة إلى معنى المادة.

و (توقّعت) الشيء واستوقعته أي انتظرت وقوعه، وأصله بمعنى طلب وقوعه، والطلب يستلزم الانتظار فاستعمل فيه بهذه المناسبة، ولهذا اشعر من معنى الميل والرغبة أيضاً.

و (اطلعت) على القوم أي أتيتهم استعارة من طلوع الكوكب ونحوه من الإفق وغيره، وطلعت عن القوم غبت عنهم، وتطلّع الطلوع إنتظاره، وطلعت الجبل - بالكسر - علوته، وفي الحديث: (لا يهيدنكم الطالع)^(٢) أي الفجر الكاذب، واطلعت على باطن أمره أي أشرفت عليه وعلمت به، وهو مأخوذ من معنى طلب العلوّ الملازم للعلوّ المستلزم للإشراف.

(فلما استقرّت بها الدار) أي سكنت بمجيئها كأنها كانت اضطربت وتحركت لخروجها، وهذا على سبيل الكناية فإنّ السفينة ونحوها في الماء إذا كانت خالية لا شيء فيها كانت متحرّكة مضطربة لخفتها، فإذا أُلقي فيها بعض الأشياء الثقيلة واستقرّت فيها استقرّت السفينة لثقلها، ثمّ يكتنى عن كون شيء في شيء باستقراره به أي بسببه.

أو المراد هنا أنّ الدار كانت متزلزله بنفسها أو بأهلها الكائنين فيها، فلما رجعت (عليها السلام) إليها استقرّت بها أي بسبب رجوعها، وقال بعضهم: هو على سبيل القلب أي لما استقرّت هي في الدار، كما يقال: استقرّت نوى القوم، واستقرّت بهم النوى أي أقاموا.

قولها (عليها السلام): (اشتملت شملة الجنين...) يقال: اشتمل بالثوب أي أداره

(١) البحار ٢٩: ٣١١.

(٢) النهاية ٣: ١٣٣، لسان العرب ٨: ١٨٤ / طلع.

على جسده كله من شملهم الأمر - من باب علم - يشملهم إذا عَمَّهم، ومن باب نصر لغة أيضاً وإن كانت ضعيفة.

وفَرَّقَ الله شمله أي ما اجتمع من أمره، وجمع الله شمله أي ما تشبَّت من أمره، فيكون ظاهراً من الأضداد، ويمكن إرجاعه إلى المعنى الأول كما لا يخفى.

والشِّمْلَة - بالفتح - والمشملة كساء يشتمل به دون القطيفة، وفَسَّرَ الشملة أيضاً بمطلق الكساء الذي يشتمل به، والشِّمْلَة - بالكسر - هيئة الإشتمال فتكون مصدراً نوعياً، وعلى تقديره هنا فيكون إما مفعولاً مطلقاً من غير الباب كقوله تعالى: ﴿أُنَبِّئُهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾^(١) أو إسم مصدر موضوعاً موضعه، أو أنّ في الكلام حذفاً وإيصالاً.

وفي رواية السيد: (مشيمة الجنين) وهي محلّ الولد في الرحم، قيل: ولعلّه أظهر، والجنين الولد في الرحم أي مادام في البطن، فعيل بمعنى مفعول من جنّه الليل أو غيره إذا ستره كما مرّ، أطلق عليه لكونه مستوراً في البطن، ويُطلق الجنين على المقبور أيضاً.

و (الحُجْرَة) بضمّ الحاء المهملة وسكون الجيم حظيرة الإبل ونحوه ومنه حجرة الدار، ويقال: احتجرت حجرة أي اتخذتها، والجمع حُجَرٌ مثل غُرْفَة وَغُرْفٌ وحُجُرَات - بضم الجيم -، ويحتمل الحجرة - بفتح الحاء - يقال: حَجَرَة القوم أي ناحية دارهم، وفي المثل: يربض حجرة ويرتعى وسطاً، والجمع حَجَر وحَجَرَات كتمر وتمرات في ثمرة.

وأصل المادة من الحجر بمعنى المنع، يقال: حجر عليه القاضي يحجر حجراً إذا منعه من التصرف في ماله، ومنه الحجر - بتثنية الحاء - للحرام، وإن كان الكسر أفصح وعليه قوله تعالى: ﴿ويقولون حجراً محجوراً﴾^(٢) وبالفتح والكسر حجر الإنسان، كلّ ذلك يرجع إلى معنى المنع.

(١) آل عمران: ٣٧.

(٢) الفرقان: ٢٢.

و (الظنين) المتهم من الظن فعيل بمعنى مفعول أي المظنون في حقّه بعض الظنون كناية عن اتهامه، والمعنى أنّه اختفيت عن الناس كالجنين، وقعدت عن طلب الحق المبين، ونزلت منزلة الخائف اليهم إذا نزل عليه العدو المهمّ.

وفي رواية السيد: (الحَجْزة) بالحاء المفتوحة والزاء المعجمة مصدراً من قولك: حجرت البعير أحجزه حجزاً أي شدّدته بالحِجاز - بكسر الحاء - وهو حبل يشدّ بوسط يدي البعير ثم يخالف فيعقد به رجلاه، ثم يشدّ طرفاه إلى حقويه ثم يلقى على جانبه شبه المقموط تداوى به دبرته فلا يستطيع له أن يمتنع، وقيل في كيفة شدّه غير هذا الوجه أيضاً.

ويُطلق الحُجْزة - بضمّ الحاء - على موضع شدّ الإزار، يقال: حُجْزة الإزار أي معقده، ثمّ يقال للإزار أيضاً حُجْزة للمجاورة، ويجعل شدّة الحُجْزة كناية عن الصبر، وكلّ ذلك من الحجز بمعنى المنع، ومنه الحجاز للبلاد المعروفة سمّيت بذلك لأنّه حُجِزَ بين نجد والغور، والمعنى على هذه الرواية: أنّك قعدت محجوزاً ممنوعاً مثل ممنوعة الظنين، ولا يخلو عن تكلف.

ويحتمل الجحرة - بكسر الجيم وسكون الحاء وفتحها - أيضاً، وهي مكن الخيوانات الأرضيّة أي الحشرات المستورة في المكامن على سبيل الإستعارة، نظير ما وقع في قوله (عليه السّلام): (لو كان المؤمن في جحر ضبّ قيض الله له من يؤذيه)^(١).

و (النقض) نقض البناء والحبل والعهد ونحو ذلك، وهو خلاف الإبرام ونقيض الإحكام، ويُطلق على كلّ شيء محكم وحلّ كلّ أمر مبرم، وتنقضت الأرض عن الكمأة أي تفتّرت، وأصل النقض بمعنى التصويت لاشتغال كلّ نقض على الصوت، ومنه يقال: انقضت العقاب انقضاضاً أي صوّتت، وأنشد الأصمعي: (تُنْقِضُ أَيْدِيهَا نَقِيضَ الْعِقْبَانِ)^(٢).

(١) جامع الأخبار: ٣٥٤ ح ٩٨٦ الفصل ٨٧، عنه البحار ٦٧: ٢٣٨ ح ٥٦، وفيه: جحر فارة.

(٢) راجع لسان العرب ١٤: ٢٦٣ / نقض.

والانقاض والكثيْتُ أصوات صغار الإبل، والقرقرة والهدير أصوات مسانَ الإبل، وأنقض الحمل ظهره أي أثقله، قال في الصحاح: وأصله الصوت أيضاً، ومنه قوله تعالى: ﴿الذي أنقض ظهره﴾^(١).

و (القادمة) واحدة قوادم الطير أي مقاديم ريشه، وهي عشر في كلّ جناح قادمة، وأصلها فاعلة من قدم يقدم قدوماً بمناسبة كونها مقدّمة، وهي خلاف الخوافي جمع الخافية، وهي صغار الريش المختفية تحت القوادم وخلفها، ويقال: إنّ الريش الخوافي قوّة للقوادم.

و (الأجدل) الصقر من الجدل بمعنى القوّة والإستحكام منه بمعنى قتل الحبل ونحوه على سبيل الاحكام، كما قال المتنبي في صفة كلب وَصَفَه:

يقعي جلوس البدوي المصطلي بأربع مجدولة لم تجدل^(٢)
سمي الأجدل بذلك لاستحكام أعضائه وقوّته بالنسبة إلى الطيور من أمثاله، والمراد من الخيانة هنا عدم الموافاة وعدم الإعانة ونحو ذلك.

و (الأعزل) الذي لا سلاح معه كأنّه في معزل من معركة القتال، من العزلة بمعنى الإنقطاع عن الخلق، وعدم الإنس معهم، وعدم الدخول في جملتهم، ويطلق المعتزل على كلّ من انقطع من شيء عينا كان أو معنى، ومنه سمي المعتزلة بذلك لاعتزالهم عن مذهب الأشاعرة الذين هم الطائفة القويّة من أهل السنة والجماعة، لمّا اعتزل شيخهم واصل بن العطاء عن شيخه أبي الحسن الأشعري في المذهب والطريقه، مثل إثبات المنزلة بين المنزلين، والقول بأنّ مرتكب الكبيرة لا كافر ولا مؤمن، وغير ذلك ممّا فُصِّل في محله.

قيل: والمراد بالأعزل هنا هو الصقر الذي نقضت قوادمه، شبهته (عليه السّلام) بمن لا سلاح له، وإنّ المعنى أنّك تركت طلب الخلافة في أوّل الأمر قبل أن يتمكنوا منها ويشيدوا أركانها، وظننت أنّ الناس لا يرون غيرك أهلاً للخلافة، ولا

(١) الصحاح ٣: ١١١١ / نقض، والآية في سورة الشرح: ٣.

(٢) راجع ديوان المتنبي: ١٢٨.

يقدّمون عليك أحداً، فكنت كمن يتوقّع الطيران من صقر منقوضة القوادم فلم يطر، فظهر خلاف ظنّه وهو الخيانة.

وقيل: المراد من الأعزل هنا أراذل الناس، وإنّ المعنى على وجه الإحتمال أنّك نازعت الأبطال، وخضت الأهوال، ولم تبال بكثرة الرجال حتى نقضت شوكتهم، وفللت حدّتهم، واليوم غلبت من هؤلاء الضعفاء والأرذال، وسلّمت لهم الأمر ولم تنازعهم.

وإنّ الأظهر على هذا أن تكون النسخة في الأصل خاتك - بالتاء المثناة الفوقانية - فصحّفت قال الجوهري: خات البازي واختات إلى الطير أي انقضّ ليأخذه، قال الشاعر:

(يخوتون أخرى القوم خوت الأجادل)

والخائنة العقاب إذا انقضّت فسمعت صوت انقضاضها، والخوات دويّ جناح العقاب، والخوات - بالتشديد - الرجل الجريء لتصوّته وانقضاضه إلى الحرب انقضاض العقاب^(١).

وحاصل هذا المعنى أن يقال: أنّها (عليها السّلام) شبّهت الأعراب أو أهل الجاهليّة مثلاً بالأجدل، وإنّ عليّاً نقض قوادمه كناية عن قتل وجوه القوم ورؤسائهم وأبطالهم وشجعانهم، وبقي هذا الأجدل أعزل من القوادم ولم يبق له إلّا الريش الخوافي، فهو أي هذا الأجدل الأعزل انقضّ إلى عليّ (عليه السّلام) بالخوافي من ريشه فاصطاده وجعله مقهوراً مأخوذاً، وهذا كناية عن غاية إبراز قدرته (عليه السّلام) أوّلاً، وغاية إخفائها أخيراً، وهذا ممّا يقضى منه العجب، ولعلّ المراد من الجملة أيضاً التعجّب.

وفي رواية السيد: نفّضت - بالفاء - من نفّضت الثوب والشجر - من باب نصر - إذا حرّكته لينتفض، ونفّضته - بالتشديد - للمبالغة، قال في الصحاح: النّفْض

(١) الصحاح ١: ٢٤٨ / خوت، ملخصاً، والبحار ٢٩: ٣١٣.

- بالتحريك - ما تساقط من الورق والثمر، وهو فَعَلَ بمعنى المفعول كالقَبَضَ بمعنى المقبوض^(١).

و (الابتزاز) الإستلاب وأخذ الشيء بقهر وغلبة من البَزَّ بمعنى السلب، يقال: بَزَّه يَبْزُهُ بَزًّا أي سلبه، وفي المثل: من عَزَّ بَزَّ أي من غلب أخذ السلب أو سلب من غلب، ولعلَّ منه البَزَّ بمعنى أمتعة البِزَّاز وبمعنى السلاح بمناسبة أنَّ من شأنها السلب.

و (النحلة) بكسر النون العطيَّة والهبة أي الإعطاء بلا عوض من النُحل - بالضم - مصدر قولك: نحلته من العطيَّة أنحلته نَحلاً - من باب منع - أي أعطيته، والنُحْلَى العطيَّة على فُعلَى - بالضم -، ونحلت المرأة مهرها أي أعطيته من طيب نفس من غير طلبه أو من غير أن تأخذ عوضاً، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّوَا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نَحْلَةً﴾^(٢) أي هبة، يعني أنَّ المهور هبة من الله تعالى، وفي بعض النسخ: (نحيلة) فعيلة بمعنى مفعولة.

و (البُلْغَة) بالضم ما يتبلَّغ به من العيش ويكتفى به، وهو سبب بلوغ العمر إلى الغاية والأجل إلى النهاية، وفي بعض النسخ (بُلَيْغَة) بالتصغير، فالتصغير في النحيلة أيضاً أنسب.

و (ابني) إمَّا بتخفيف الياء فالمراد به الجنس، أو تشديدها على التثنية. و (أجهد) بمعنى اجتهد مبالغة جهد - على ما مرَّ - وقال الجزري^(٣): إجتهد الرجل في الأمر إذا جدَّ وبالف، وأجهد دابته إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها^(٤).

وهذا على نسخة السيد، وفي بعض النسخ: (أجهر) بالراء من الإجهار بمعنى

(١) الصحاح ٣: ١١٠٩ / نفذ.

(٢) النساء: ٤.

(٣) كذا أورده في البحار ٢٩: ٣١٥، وفي المتن: الحريري، والظاهر أنه تصحيف.

(٤) النهاية ١: ٣١٩ و ٣٢٠.

الإعلان من الجهر بمعنى رَفَعَ الصوت ونحوه ممّا فيه معنى الإظهار، ومنه رجل جهوري الصوت وجهير الصوت، والفعل منه جهر جهراً - من باب شرف - أي ارتفع وظهر، أو جهره - من باب منعه - جهراً أي أظهره ورفع.

ومنه الجوهر على قول بجعله ككثير لزيادة المبالغة في الوضوح والبريق واللمعان، مثل الكوثر لزيادة المبالغة في كثرة الخير، والوجه الآخر أنّه معرّب (كوهر) ولا منافات بين صحّة كلا الوجهين لتصادف الأمرين.

و (الخصام) مصدر كالمخاصمة ويحتمل أن يكون جمع خصم، وأصل الخصم وإن قيل يستوي فيه الجمع والمؤنث لأنّه في الأصل مصدر، لكن من العرب من يثنيه ويجمعه، والأكثر في جمعه خصوم والتثنية في قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾^(١) للنوع لا للشخص.

والمراد في الخطبة من الفقرة المذكورة أنّ ابن أبي قحافة مع ما كان له من الرذالة قد بالغ في الوقاحة، واجتهد في المخاصمة، وأجهر لي العداوة، وأغلظ معي في الكلام بين أولئك الخصام أي المجتمعين من الصحابة عنده في المسجد.

و (ألفيته) أي وجدته، كما في قوله تعالى: ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالّين﴾^(٢). و (الألدّ) هو شديد الخصومة، وليس فعلاً ماضياً فإنّ فعله على بناء المجرّد، يقال: لدّه يلدّه - من باب نصر وتعب أيضاً - بمعنى خصمه، وقيل: هو من باب تعب بمعنى اشتدّت خصومته، ومن باب نصر شدّد خصومته، والألدّ هو شديد الخصومة بيّتها، وقوم لدّ - بضم اللام - جمع ألدّ، وقوله تعالى: ﴿وهو ألدّ الخصام﴾^(٣) أي شديد المخاصمة والعداوة بين المسلمين.

وقولها (عليها السلام): (في كلامي) هو إمّا من قبيل الإضافة إلى المخاطب، أو إلى المتكلّم، أو إلى الفاعل أو المفعول، و(في) للظرفية أو السببية، وفي بعض

(١) الحج: ١٩.

(٢) الصافات: ٦٩.

(٣) البقرة: ٢٠٤.

النسخ: (أجهد في ظلامتي، وألدّ في خصامي).

قولها (عليها السّلام): (حتى حبستني قبيلة نصرها...) حبستني أي حبست عني ومنعت عني نصرها أي لم تنصري، وقبيلة هي إسم أمّ قديمة لقبيلتي الأنصار، كما مرّ في شرح قولها (عليها السّلام): (أيها بني قبيلة).

والمراد هنا أيضاً بنو قبيلة لأنّ القبيلة تسمّى بإسم أبيها أو أمّها أيضاً كما يقال: بكر وبنو بكر، وأسد وبنو أسد، وتيم وبنو تيم ونحو ذلك، وفي رواية السيد: (حين منعني الأنصار نصرها).

و (المهاجرة) هم المهاجرون وموصوفها محذوف أي الطائفة المهاجرة مثلاً، والمراد بوصلها عونها فإنّ الإعانة تستلزم المواصلة الظاهرية والباطنية، وبخلافه ترك الإعانة، ولا يخفى اللطف في نفي الوصل عن المهاجرة.

و (الطرف) بالفتح: العين - كما مرّ - وغضّه خفضه من غضّ الرجل طرفه وصوته ومن طرفه وصوته غضاً - من باب قتل - أي خفض، ومنه قول الشاعر: وما سعاد غداة البين إذ رحلوا - إلا أغنّ غضيض الطرف مكحول^(١) ومنه يقال: غضّ من فلان غضاً وغضاضة إذا تنقصه، والغضضة: النقصان، وغضّ الطرف كناية عن عدم الإعتناء.

(فلا دافع ولا مانع) أي موجودين الآن أي ليس الآن أولم يكن أحد يدفع عني بغّي الأعداء ويمنعهم عني ويغنييني في هذه الدعوى، وفي رواية السيد بعد قولها (عليها السّلام) ولا مانع: ولا ناصر ولا شافع. قولها (عليها السّلام): (خرجت كاظمة...) كظم الغيظ تجرّعه والصبر عليه كما مرّ.

و (رغم) فلان ورغم أنف فلان رغماً - من باب قتل ومن باب تعب - لغة أيضاً كناية عن الدّلّ والعجز عن الانتصاف ممّن ظلمه ونحو ذلك، كما أنّه لصق هواناً

(١) من قصيدة لكعب بن زهير بن أبي سلمى المري يمدح به النبي (صلّى الله عليه وآله). وهي إحدى

بالرغام - بالضم - وهو التراب، ويتعدى بالألف فيقال: أرغم الله أنفه أي أذلّه، وفعلته على رغم أنفه - بالفتح والضم - أي على كره منه، وراغمته: غاضبته، وهذا ترغيم له أي إذلال.

والظاهر من الخروج الخروج من البيت إلى المسجد، وهو لا يناسب كاظمة، إلا أن يُراد منه الإمتلاء من الغيظ فإنه من لوازم الكظم، أو أن يُراد من الكظم عدم زوال الغيظ بما يوجب زواله من التسلط على الأعداء، ويحتمل أن يكون الخروج من المسجد المعبر عنه ثانياً بالعود - كما قيل - وفي رواية السيد مكان عدت: رجعت.

قولها (عليها السلام): (أضرعت خدك...) ضرع الرجل - مثلثة - ضراعة خضع وذلّ وأضرعه غيره، وفلان ضارع الجسم أي ضعيف نحيف، وتضرّع إلى الله أي ابتهل، وإسناد الضراعة إلى الخد لأن أظهر أفرادها وضع الخد على التراب، أو لأنّ الذلّ يظهر في الوجه.

و (إضاعة) الشيء وتضييعه: إهماله وتركه وإبطاله.

و (حدّ) الرجل قدره وخطره وشأنه، وبمعنى البأس والشدة أيضاً، وبمعنى الحاجز بين الشيئين ومنتهى الشيء مثل حددت الدار - من باب قتل - وكذلك حدّتها - بالتشديد -، وفي بعض النسخ بالجيم المكسورة أي تركت اهتمامك وسعيك، أو بالفتح بمعنى الحظّ والبخت، وفي رواية السيد: فقد أضعت جدك يوم أضرعت خدك.

و (فرس) الأسد الشاة - من باب ضرب - وافترسها أي دقّ عنقها فهي فريسة ومفترسة أي مدقوقة العنق، ثم تستعمل الفريسة في كلّ صيد مأخوذ، ويستعمل الفرس والإفتراس في كلّ قتل، وقد نهى عن الفرس في الذبح وهو كسر عظم الرقبة قبل أن يبرد، قال بعضهم: يقال أكل الذئب الشاة ولا يقال إفترسها، وأبو فراس كنية الأسد.

و (افتراش التراب) أخذه فرشاً - بكسر الفاء - وهو ما يُبسط ويُجلس عليه،

وجمعه الفُرُش - بضمّتين - ككتاب وكُتِب، والمعنى قعدت عن طلب الخلافة ولزمت الأرض، وقنعت بالغباء البسيطة عن البسط والفرش الرفيعة، وتركت الخلافة التي هي فريستك حتى افترسها وأخذها الثعالب والأرانب، وأنت أسد الله الغالب المفترس للذئاب جمع الذئب.

وفي بعض النسخ: الذباب - بالباءين الموحّدين - جمع ذبابة، فيقرأ: افترست - مجهولاً - أي جعلت فريسة للذباب كناية عن الأراذل والضعفاء الفاصبين للخلافة، وفي بعض النسخ: افترست الذئاب وإفترستك الذباب، وفي رواية السيد مكانهما: (وتوسّدت الوراء كالوزغ، ومستك الهناة والنزغ).

والوراء بمعنى الخلف، والهناة الشدة والفتنة وكلّ شيء مستنكر من الحالة والفعلة وغيرهما، والنزغ الطعن والفساد، قال تعالى: ﴿وإِذَا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ (١).

و (الكفّ) المنع، يقال: كفّه أذاه أي منعه، ومنه الكفّ لراحة الإنسان لأنّه يمنع بها الأعداء.

و (الاغناء) الإجزاء والكفاية من غنى الرجل يغني إذا صار كافياً مجزياً بما في يده فحصل له الإستكفاف عن الغير، وحاصله عدم الحاجة يقال: ما أغنى عنه ماله أي ما كفاه وما أجراه، والحاصل أنّه ما نفعه وما أفداه وأجده، يقال: ما يغني عنك هذا أي ما يجديك وما ينفعك.

و (الطائل) من الطول - بالفتح - بمعنى العطاء، أطلق عليه لامتداده فإنّ نفعه دائمي يمتد، ثم أطلق الطائل على العطاء وكلّ ما يفيد، يقال: هذا أمر لا طائل فيه إذا لم يكن فيه غناء ومزية، ولا أغنيت طائلاً أي ما فعلت شيئاً نافعاً، وفي بعض النسخ: ولا أغنيت باطلاً أي ما كففته ولا دفعته.

قولها (عليها السّلام): (ولا خيار لي...) أي ولا اختيار لي أي لا قوة ولا قدرة

لي على دفع الأعداء، أو أنه لا خيار للنساء مع وجود الأزواج فإنّ أمورهنّ بأيديهم، أو أنّ من شأن النساء أن لا يتعرّضن لأمثال هذه الأمور وإنّ التكليف على الرجال بقدر الميسور.

و (الهينة) بالفتح العادة في الرفق والسكون، ويقال: امش على هينتك أي على رسلك، أي ليتني مت قبل هذا اليوم الذي لا بدّ له فيه من الصبر على ظلمهم ولا محيص لي عن الرفق كذا قيل.

والظاهر كسر الهاء من الهون بمعنى الحقارة أي ليتني متّ قبل هذا اليوم الذي أصابني فيه تلك المهانة، ولم أر هذه الإستكانة والإهانة، يُقال: أهانه إستخفّ به من الهون بمعنى الذلّ والضعف، ومنه شيء هين على فيعل أي سهل.

و (الزلّة) بفتح الزاء كما في النسخ الاسم من قولك: زللت في طين أو منطق إذا زلقت، ويكون بمعنى السقطة، والمراد بها عدم القدرة على دفع الظلم، ودون هنا بمعنى عند، ويمكن أن يكون بالذال المعجمة المكسورة كما في رواية السيد (رحمه الله): والهفتاه ليتني مت قبل ذلّتي ودون منيتي.

قولها (عليها السّلام): (عذيري الله...) العذير بمعنى العاذر كالسميع بمعنى السامع، قال نجم الأئمة: قولهم عذيرك من فلان أي هات من يعذرک لأجل الإساءة إليه أي أنّك معذور إن أسأت إليه، ولكن هات من يعذرک أي قلّ من يعذرک أي يقبل عذرک في ذلك لعدم علمه بحقيقة الحال، فيكون عذيرك مفعولاً للفعل المحذوف، وعليه يخرج قول عليّ (عليه السّلام):

عذيرك من ثقة بالذي ينيلك دنياك من طابها وقوله في ابن ملجم المرادي:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد وهكذا غير ذلك ممّا يكون على هذا التركيب، وقال الجوهري: عذيرك من فلان أي هات من يعذرک منه أي يلومه ولا يلومك^(١)، وتفصيل الكلام في ذلك

موكول إلى محلّه.

والعذر ما يدفع به اللوم، والعاذر صاحب العذر وقابل العذر من الأضداد وكذلك العذير، والغالب فيهما هو الثاني كما هو المراد هنا، فيقال: عذرت في هذا الأمر - من باب نصر وضرب - أي أتيت بالعذر، وعذرت في هذا الأمر أي قبلت عذره وجعلته معذوراً، و (عذيري) و (الله) هنا مرفوعان بالابتدائية والخبرية أي الله قابل عذري في إساءتي إلى ابن أبي قحافة في هذه المخاطبة المثبتة لكفره بين القوم لو تأملوا في المقالة، وفي انتقامي منه في أيام الرجعة وفي القيامة. و (عادياً) حال أو تمييز من الضمير في منه، من عدى يعدو عليه عدواً وعدواناً ظلم وتجاوز الحدّ، كما يقال: عداه أي صرفه عنه فهو عاد والجمع العداة كقاض وقضاة.

وإما الأعداء والعدى فهما جمع العدوّ فعولاً بمعنى فاعل، قيل: يستوي فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) ولعلّه بحسب الأصل، وإلا فقد يُثنّى ويُجمع ويُؤنث فيقال: هما عدوان، وهم أعداء، وهي عدوة الله، ويقال: إستعديت الأمر على الظالم إذا طلبت إليه ليعديك على من ظلمك أي ينتقم منه باعدائه عليك، أي طلبت منه أن يعدو على الظالم لأجل عدوانه عليك، والإسم منه العدوى.

قولها (عليها السلام): (ومنك حامياً) أي الله يقبل عذري أيضاً في إساءتي إليك، وإيدائي إيتاك بالمخاطبة الخشنة، والمكالمة الغليظة في حال حمايتك عني، والحماية عن الرجل الدفع عنه.

وفي بعض النسخ: عذيري الله منك عادياً ومنك حامياً أي الله يقبل العذر أو يقيمه من قبلي في إساءتي إليك حال صرفك المكاره ودفعك الظلم عني، أو حال تجاوزك الحدّ في القعود عن نصري أي عذري في سوء الأدب وأنت قصرت في

إعانتني والذَّبَّ عَنِّي، ويحتمل أن يكون عذيري منصوباً كما هو الشائع في هذه الكلمة، و(الله) مجروراً بالقسم - كما قيل - ويظهر المعنى ممّا ذكر ولعلّ الأوّل أظهر. قولها (عليها السّلام): (ويلاي في كلّ شارق...) قال الجوهري: ويل كلمة مثل ويح إلّا أنّها كلمة عذاب، يقال: يله وويلك وويلي، قال الأعشى: (ويلي عليك وويلي منك يا رجل) (١).

ويطلق على الشدّة والشر ونحوهما، وفي بعض الأخبار أنّه إسم لبئر في جهنّم، وليس هذا المعنى بمراد هنا، ويقال في الندبة: ويلاه، ولعلّه جمع فيها بين ألف الندبة وياء المتكلّم، ويحتمل أن يكون بصيغة التثنية مراداً بها تكرير الويل، وهو مبتدأ والظرف خبره، أو الخبر محذوف، أو خبر مبتدأ محذوف. وفي رواية السيد: (ويلاه في كلّ شارق، ويلاه في كلّ غارب، ويلاه مات العمد وذلّ العضد) وفي بعض النسخ: وفات المعتمد.

و (الشارق) الشمس كالغارب، والشرق: المشرق والشمس أيضاً، يقال: طلع الشرق ولا آتيك ما ذرّ شارق، والمشرقان مشرق الصيف والشتاء، وشرقت الشمس تشرق شروقاً - من باب نصر - أي طلعت، وأشرقت أي أضاءت. و (العمد) بالتحريك وبضمتين جمع العمود عمود البيت الذي به قوامه، وقُريّ بهما قوله تعالى: ﴿في عمد ممدّدة﴾ (٢) والمراد هنا من العمد من يعتمد عليه في الأمور كناية عن النبي (صلى الله عليه وآله) وبعض الأصحاب والأقرباء مثل حمزة سيد الشهداء وغيره.

و (الشكوى) إسم من قولك: شكوت فلاناً شكاية. و (العدوى) طلبك إلى وال لينتقم لك ممّن ظلمك كما أُشير إليه. و (الحول) القوّة والحيلة والدفع والمنع والكلّ هنا صحيح، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله أي لا قوّة، فالعطف تفسيري للتأكيد أي لا قوّة على ترك المعصية وفعل

(١) الصحاح ٥: ١٨٤٦ / ويل.

(٢) الهمزة: ٩.

الطاعة إلا بالله، أو الحول بمعنى المنع كما ورد في الأخبار أي لا منع ولا صرف عن معصية الله ولا قوة على طاعة الله إلا بالله.
و (الأحد) الأشدّ حدّاً وقوّة وقطعاً.

و (البأس) العذاب ويُطلق على الشدّة في الحرب ونحو ذلك، ويقال: بُؤَسَ الرجل يَبُؤُسُ بُؤُساً - من باب شرف - إذا كان شديد البأس فهو بُئِيس أي شجاع، وعذاب بُئِيس أي شديد، وَيَبِئَسَ الرجل يَبِئَاسٌ بَأْساً إذا كان شديد الحاجة فهو بَائِسٌ مسكين، والأَبُؤُسُ جمع بُؤُسٍ من قولهم: يوم بُؤُسٍ ويوم نُعَمٍ، والأَبُؤُسُ أيضاً الداهية، وفي المثل: عسى الغَوَيْرُ أَبُؤُساً^(١).

و (التنكيل) العذاب والعقوبة، وجعل الرجل نكالاً وعبرة لغيره، وأصله من النكل - بالكسر - بمعنى القيد، وتنكيل العبد عقوبته بقطع أنفه أو أذنه أو غيرهما ممّا يشتهر به فيكون عبرة لغيره.

و (الشانئ) المبغض من الشنائة كالشناعة بمعنى البغض، وقد شنأته - من باب تعب - شنأً - بالثلاث - وشنأنا أي أبغضته وعاديته، ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم﴾^(٢) وفي الخبر: (لا أبأ لسانك)^(٣)، وقوله تعالى: ﴿إنّ شانئك هو الأبتر﴾^(٤) أي مبغضك، وفي بعض النسخ بدل لسانك: لمن أبغضك.

و (منهت) الرجل عن الشيء فتنهه أي كففته وزجرته فكفّ، وتقول: نهته السبع إذا صحت به لتكفّه، والمنهنة الذي يكفّ الغير عن الشيء.

و (الوجد) بفتح الواو المراد به هنا الغضب، يقال: وجد عليه إذا غضب، وأصله من الوجدان والمراد وجدان شيء في القلب من الغضب والحزن وغيرهما، فيستعمل في الهوى أيضاً وشدّته ولوعته أيضاً أي نههي نفسك عن الغضب

(١) الغدير: ماء لكلب، ومعنى ذلك عسى أن تكون جئت بأمر عليك فيه تهمة وشدّة. / لسان العرب ١: ٣٠٤، بأس.

(٢) المائدة: ٢.

(٣) لسان العرب ٧: ٢٠٧ / شنأ.

(٤) الكوثر: ٣.

وامنعيه عنها، وكفيها حتى لا يتطرق إليها، وفي بعض النسخ: (تنهى) وهو الأظهر، وفي بعض النسخ: (نهى عن عزبك) أى عن شدتك وحدتك.

و (الصفوة) بفتح الصاد وقيل مثلثة من الصفاء - ممدوداً - خلاف الكدر، وصفوة الشيء خالصه والمراد مختاره ومنتخبه، ومحمد (صلى الله عليه وآله) صفوة الله من خلقه ومصفاه، ويُطلق على كل نبيٍّ عموماً وعلى آدم (عليه السلام) خصوصاً، والمراد هنا محمد (صلى الله عليه وآله) لأنه الفرد الأكمل، فينصرف الإطلاق إليه سيما مع وجود القرينة.

و (البقية) فعيلة من البقاء بمعنى الباقي، والمراد من كونها (عليها السلام) بقية النبوة بقية النبي (صلى الله عليه وآله)، والإضافة لامية مفيدة للاختصاص والنسبة بدون معنى التبعض أو مع لحاظ البعضية أيضاً، فإن النجل بعض من نجله مضافاً إلى قوله (صلى الله عليه وآله): فاطمة بضعة مني.

و (الوفى) كفتى الضعف والفتور والكلال والاعياء ونحو ذلك، والفعل كوقى يقي أي ما عجزت عن القيام بما أمرني به ربي، وما ضعف ديني وعقيدتي ولو ضعفت في أمري من حيث الظاهر والصورة، فإن نحو هذا الضعف لا يضر في الحقيقة، وليس ذلك محل اللوم والعتاب، وفي بعض النسخ: (فما ونيت عن حظك) والمراد عن حقك.

قوله (عليه السلام): (ولا أخطأت مقدوري...) الإخطاء عن الشيء التجاوز عنه إلى غيره وهو الخطأ عنه مقابل الإصابة، والمقدور هو ما يكون تحت قدرة الإنسان أي ما تبلغه قدرته من الأفعال، ولو تعلّق بالأعيان فإن الأفعال هي متعلّق القدرة أي ما تركت مادخل تحت قدرتي، أي ليس لي قدرة على دفع هذه الحادثة لما أمرني حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) من إهمال القوم وتركهم سدىً حتى يتميز الخبيث من الطيب، فليس رفع هذا الظلم مقدوراً لي في هذا الآن، بناء على تلك المصلحة التي أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالعودة عن طلب الأمر بالغلبة والقهر لأجل تلك المصلحة.

و (البلغة) بضمّ الباء ما يتبلّغ به من العيش، وهو قدر الكفاف والعفاف في أمر

المعيشة من بلغ يبلغ بلوغاً، وفي بعض النسخ: (فإن ترزني حقك) من رزاه ماله كجعله وعمله رزءاً أصاب منه شيئاً.

و (رزقك مضمون) أي الله تعالى ضامن رزقك كما قال عليّ (عليه السلام) في نهج البلاغة: (عياله الخلائق ضمن أرزاقهم، وقدّر أقواتهم)^(١). وفي الأخبار أيضاً: (لو أن ابن آدم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت)^(٢).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع: ألا إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب^(٣).. إلى آخر الرواية، إلى غير ذلك.

و (الكفيل) هو الضامن أيضاً أي الذي هو ضامن رزقك وهو الله تعالى مأمون لا يتطرق إلى قوله ووعده احتمال الكذب والخلف فيما وعده وضمنه مع تحقق بقائه، فلا يتطرق إليه سبحانه احتمال الزوال والفناء لأنه الأزلي الأبدي الذي لم يزل ولا يزال، ولا يتطرق إليه تغيير الأحوال، وقد قال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ فورب السماء والأرض أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون^(٤)، وفي بعض النسخ: ولعليتك مأمون أي فقرك، فلا خوف منه عليك ولا على ولدك.

و (الاعداد) النهاية وأخذ الشيء عدة كما مرّ، وما أعدّ لك أي ما هيأ لك أي ما هيأه الله لك في الآخرة من الثواب في دار الجنة، ومن التفضلات في عرصات القيامة من الشفاعة الكبرى لأمة أبيك، وشيعة بعلك وذريّتك وغيرها في مقابل هذه الذلة الدنيوية، والأحزان المتواردة عليك والمتراكمة إليك، أفضل ممّا قطع

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٩١، عنه البحار ٥٧: ١٠٦ ح ٩٠.

(٢) الكافي ٢: ٥٧ ح ٢، عنه البحار ٧٠: ١٤٣ ح ٧، وفي أمالي المفيد: ١٧٤ مجلس ٣٤، وأمالي الطوسي:

٦١ ح ٦٠ مجلس ٢، وجامع الأخبار: ٢٩٤ ح ٨٠٢، فصل: ٦٥.

(٣) الكافي ٢: ٧٤ ح ٢، عنه البحار ٥: ١٤٨ ح ١٣، والتمحيص: ٥٢ ح ١٠٠.

(٤) الذاريات: ٢٢-٢٣.

عنك في الدنيا، أي قطع الأمة من حقوقك الدنيوية من فذك والعوالى، أو الإرث، أو لذة الرئاسة ولو من جهة خلافة عليّ (عليه السلام) ونحو ذلك، وفي بعض النسخ: وما عند الله خير لك ممّا قطع عنك.

(فاحتسبي الله) من الإحتساب بمعنى الإعتداد، ويُطلق الإحتساب أيضاً على فعل من ينوي بعمله وجه الله تعالى أي اصبري طلباً لرضاء الله، وادّخري ثوابه عند الله، أو توكلّي على الله وقولي حسبي الله، فقالت (عليها السلام) حينئذٍ: حسبي الله. ويقال: هو في مقام إنشاء التوكّل على الله أي الله تعالى محسبي وكافئي وهو حسبي ونعم الوكيل أي أعتمد في أموري عليه، فكلّمّا رآه مصلحة في حقّي فهو أولى بي من نفسي.

وفي بعض النسخ بعد قولها حسبي الله: ونعم الوكيل، وفي بعضها بعد قوله (عليه السلام) فاحتسبي الله: رفعت يدها الكريمة فقالت: رضيت وسلّمت، فأمسكت (عليها السلام) حينئذٍ عن الكلام وسكتت.

فسحقاً سحقاً لابن أبي قحافة، وبعداً بعداً لابن صهّاك الحبشيّة، والعجب كلّ العجب أنّ بنت خير النبيّين، وسيّدة نساء العالمين تخرج من بيتها لطلب حقّها الواضح المبين، فلا ينصرها أحد من الأنصار والمهاجرين ولا من سائر المسلمين، وبنت أبي بكر بن أبي قحافة داعي ضيافة عبدالله بن جدعان تخرج إلى قتال أمير المؤمنين (عليه السلام)، فيجتمع لنصرها جنود مجنّدة من الصحابة والتابعين، وعساكر مجتمعة من المردة والشيّاطين.

تُرا أي سنهها چاك باد	تُرا دشمن أي چرخ چالاک باد
توای خور ز مشرق دگر برمیای	توای مه زمغرب پیر واز جای
توای پرده سبز شو سرنگون	توای گردش چرخ شو واژگون
به هم برزن ای دست حق نه سپهر	به هم در نورد این ره کین ومهر
خدا را توای دست دستی برار	یکی دست ازجان پرستی برار
زأهریمنان دهر را پاک کن	دل وسینه بد دلان چاک کن
به هم پیچ این چرخ خاکستری	بگستر یکی مسند عبقری

نشسته حمیراء بر اورنگ زر
 تفو بر تو ای گردش روزگار
 تُرا مهربانی همه بازن است
 بمردان نداری سر یاوری
 خدا را تو ای چشم بینش ببین
 که آمد چودخت رسول خدای
 پی حقّ خود پا به مسجد گذاشت
 در آمد به مسجد چو طهر بتول
 نه بشنید گفت رسول خدای
 نکرده کسی حجتش را قبول
 لقد أحسن من قال:

بئر معطلة وقصر مشرف
 فالقصر مجدهم الذي لا يُرتقى

ونعم ما قال أبو بكر بن قريعة في أبيات له:

يا من يسأل دائماً
 لا تكشفنّ مغطاً
 ولربّ مستور بدا
 لولا حدود صوارم
 لنشرت من أسراراً
 تغنيكم عما رواه
 وأريتمكم أنّ الحسين أصد
 ولأيّ شيء ألحدت
 ولما حمت شيخكم
 واهاً لبنت محمد

همه سر مكلّل به درّ و گهر
 سیه مر تُرا باد لیل ونهار
 اگر سوی بازار وگر برزن است
 همیشه به ایشان کنی داوری
 توای بینش آفرینش ببین
 سوی مسجد از بهر پیمان و رای
 به آن نقد حجّت که در دست داشت
 نکردند أصحاب گفتش قبول
 ندادند پاسخ به این نیک رای
 نه شرم از خدا و نه شرم از رسول

مثل لآل محمد مستطرف
 والبئر علمهم الذي لا يُنزف

عن كلّ مسألة سخيفة
 فلربّما كُشفت جيفة
 كالطبل من تحت القطيفة
 امضى مضاربها الخليفة
 ل محمد نكتاً لطيفة
 مالك وأبو حنيفة
 ب في يوم السقيفة
 في الليل فاطمة العفيفة
 عن طي حجرتها المنيفة
 ماتت بغصتها أسيفة

انَّ الجواب لحاضر لكنتني أخفيه خيفة^(١)
وفي قصيدة مهيار بن مردويه الشاعر المذيلة بأبيات بعض الشيعة:

يا بنة الطاهر كم تُق	رَعُ بِالظلم عَصاك
سـيرى النار غداً	فَطَّ أَتَى نَحو حَماك
غضب الله لشيخ	ليـلة الطـف أراك
مرّ لم يعطف لشكوا	كِ ولا اسـتحي بكـاك
واقـتدى الناس به بع	دُ فأرى ولدك
فرحوا يوم أهانوا	كِ بما سـاء أبـاك
لهف نفسي وعلى مث	لكِ فـلتبك البـواكي
كـيف لم تـقطع يد	مـد اليك ابن صهاك
ولقد أخبرهم أن	نَ رضاه في رضاك
دفعوا النص على إر	ثكِ لَمّا دفعاك
وتعرّضت لأمر	تـافه فـانتـهراك
فاستشاطا ثم ما إن	كـذبا أن كـذباك
وادعيت النحلة المش	هـود فيها بالصكاك
فـزوى الله عن الرح	مـة زـنـديقاً زواك
ونفى عن بابها الوا	سـع شـيـطـاناً نـفاك ^(٢)

وروى ابن أبي الحديد عن أبي بكر الجوهري باسناده إلى ابن الصباح أنه قال: أنشدنا أبو الحسن رواية المفضل للكميت:

أهوى علياً أمير المؤمنين ولا	أرضى بسب أبي بكر ولا عمرا
ولا أقول إذا لم يعطيا فدكا	بنت النبي رسول الله قد كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان غداً	يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

(١) كشف الغمة ٢: ١٢٧، عنه البحار ٤٣: ١٩٠، نحوه.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٥ باب ٤٥.

قال ابن الصباح: فقال لي أبو الحسين: أتقول أنه قد أكفرهما في هذا الشعر؟ قلت: نعم، قال: كذلك هو^(١).

والشيخ العالم العامل الشيخ الصالح الجزائري كتب إلى الشيخ المحقق شيخنا البهائي (رحمه الله) كتابة هذه لفظها:

ما يقول سيدي، وسندي، ومن عليه بعد الله وأهل البيت معوّلي ومعتمدي، في هذه الأبيات لبعض النواصب بتر الله أعمارهم وخرّب ديارهم: (أهوى عليّاً أمير المؤمنين...) إلى آخر الأبيات الثلاثة؟ فالأماول من أنفاسكم الفاخرة، وأطافكم الظاهرة أن تشرّفوا خادكم بجواب منظوم يكسر سورة هذه النواصب.

فأجابه الشيخ بهاء الدين (رحمه الله) بقوله: الثقة بالله وحده أيّها الأخ الأفضل، الصفيّ الوفيّ الألميّ الذكيّ، أطال الله بقاءك وأدام في معارج العزّ ارتقاك، عرفت ما هذر به هذا المخذول فقابلت التماسك بالقبول، وطفقت أقول:

تسمح بسبّ أبي بكر ولا عمرا
تبّت يداك ستصلي في غدٍ سقرا
أراك في سبّ من عاداه مفتكرا
فابراً إلى الله ممّن خان أو غدرا
وقال إنّ رسول الله قد هجرا
أتحسب الأمر بالتمويه مستترا
سيقبل العذر ممّن جاء معتذراً
وكلّ ظلم ترى في الحشر مغتفرا
في سبّ شيخكم قد ضلّ أو كفرا
عسى يكون له عذراً إذا اعتذرا
والأمر متضح كالصبح إذ ظهرا
عمياً وصمّاً فلا سمعاً ولا بصراً^(٢)

يا أيّها المدعي حبّ الوصيّ ولم
كذبت والله في دعوى محبّته
فكيف تهوى أمير المؤمنين وقد
فإن تكن صادقاً في ما نطقت به
وأنكر النصّ في خمّ وبيعته
أتيت تبغي قيام العذر في فدك
إن كان في غضب حقّ الطهر فاطمة
فكلّ ذنب له عذر غداة غدٍ
فلا تقولوا لمن أيّامه صرفت
ببل سامحوه وقولوا لا نؤاخذه
فكيف والعذر مثل الشمس إذ بزغت
لكنّ إبليس أغواكم وصيّركم

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٢ باب ٤٥.

(٢) راجع الأنوار النعمانية ١: ١٢٤.

ثمَّ أنّه روى ابن أبي الحديد وغيره أنّه لمّا سمع أبو بكر خطبتها المذكورة، وما وقع بين الناس من الاختلاف والهمهمة في سوء تلك المقدّمة، وخاف أن تنعكس القضية، شقَّ عليه ذلك فصعد المنبر فقال:

أيّها الناس ما هذه الرعة إلى كلّ قاله؟ أين كانت هذه الأمانى في عهد رسول الله؟ ألا من سمع فليقل ومن شهد فليتكلم، إنّما هو ثعالة شهيد ذنبه، مربّ لكلّ فتنة، هو الذي يقول كروها جذعة بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفة ويستنصرون بالنساء، كامّ طحال أحبّ أهلها إليها البغي، ألا أنّي لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبحت، أنّي ساكت ما تركت.

ثمّ التفت إلى الأنصار فقال: يا معشر الأنصار قد بلغني مقالة سفهاكم، وأحقّ من لزم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءكم فأويتم ونصرتم، ألا أنّي لستُ باسطاً يداً ولساناً على من لم يستحقّ ذلك منّا، ثم نزل^(١).

قال ابن أبي الحديد: قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له: بمن يعرّض؟ فقال: بل يصرّح، قلت: لو صرّح لم أسألك، فضحك فقال: بعليّ بن أبي طالب، قلت: هذا الكلام كلّه لعليّ يقول؟ قال: نعم أنّه الملك يا بني، قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بقول عليّ، فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم.

فسألته عن غريبه فقال: أمّا الرعة - بالتخفيف - أي الإستماع والإصغاء، والقالة: القول وثعالة: إسم الثعلب علّم غير مصروف مثل ذؤالة للذئب، وشهيد ذنبه: أي لا شاهد له على ما يدّعيه إلّا بعضه وجزء منه، وأصله مثّل قالوا: إنّ الثعلب إذا أراد أن يغري الأسد بالذئب فقال: أنّه قد أكل الشاة التي كنت أعددتها لنفسك وكنّت حاضراً، قال: فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذنبه وعليه دم، وكان الأسد قد افتقد الشاة فقبل شهادته وقتل الذئب.

ومربّ: ملازم من أربّ بالمكان، وكروها جذعة: اعيدوها إلى الحال الأولى

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦: ٢١٤، عنه البحار ٢٩: ٣٢٥ ح ١٠.

يعني الفتنة والهجر، وأمّ طحال امرأة بغّي في الجاهلية يُضرب بها المثل فيقال: أزنّي من أمّ طحال، إنتهى^(١).

قيل: ومقصوده من لفظ الثعالة التعريض لعلّي (عليه السّلام)، فجعله ثعالة وجعل الزهراء (عليها السّلام) ذنبه، بملاحظة استعانة الثعالة من ذنبها في إثبات مدّعاها، فيكون المراد استعانة عليّ بفاطمة الزهراء (عليها السّلام)، ويظهر ذلك من قوله: (يستنصرون بالنساء) ونحو ذلك.

وقيل: أراد بالثعالة فاطمة الزهراء (عليها السّلام)، وجعل عليّاً (عليه السّلام) ذنباً لها بملاحظة شهادة عليّ (عليه السّلام) في مقام دعواها فدكاً من باب العطية، وبالجملة فالخطبة المذكورة المشروحة هي الخطبة المشهورة بخطبة تظلم الزهراء وشكايتها من الخلفاء، وقد مرّ قبلها احتجاجات ثلاثة مشهورة أيضاً.

وتلك الخطبة أنما صدرت في مقام مطالبتها فدكاً من جهة الإرث والتركة، كما ظهر من فقراتها السابقة، والاحتجاجات الثلاثة المتقدمة إنّما وردت مبنية على دعوى العطية والنحلة، وأنّها ممّا أعطها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إياها من باب الهبة، ولا منافاة بين الوجهين، ولا تناقض بين الدعويين، فإنّ خطبة مطالبة الإرث أنّما كانت من باب المماشاة مع الخليفة بعد أن طالبت منه فدكاً من باب النحلة، فردّها وطلب منها إقامة الشهود عليها، فلمّا أقامتهم ردّهم بما مرّ في الاحتجاجات، وتوضح حقيقته في أثناء ما تأتي من الكلمات، فحينئذٍ يئست (عليها السّلام) من تلك المسألة فتمسّكت بمسألة الإرث المجمع عليها بين الأمة إلى حين تلك المنازعة، إذ لصاحب الحق أن يطلب حقه ويأخذه بأيّ وجه أمكن من الطرق الشرعيّة.

وقال بعض العامة بكون دعوى الإرث متقدمة على دعوى النحلة، والأظهر هو الأوّل كما تأتي إليه الإشارة.

(١) شرح النهج لأبن أبي الحديد ١٦: ٢١٥، عنه البحار ٢٩: ٣٢٦.

فصل

[الأخبار في دعوى فذك]

ولنذكر هنا من باب المقدمة جملة من الأخبار الواردة في الدعويين، ثم نتعرض لتحقيق الحال في كل من المسألتين، وأكثر ما نذكره هنا من الأخبار إنما هو من طرق العامة، ليكون ما يمكن الإستشهاد به من جملتها حجة على الخصم، وإلا فالأمر واضح في أخبار الخاصة، بل صار بحيث بلغ مرتبة الضرورة.

وأكثر ما نورده في هذا الباب من الشرح فهو ممّا أورده ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيفة وفذك، وقال: وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدّث، كثير الأدب، ثقة، ورع، أثنى عليه المحدثون، ورووا عنه مصنفاته^(١)، فهنا مقامان:

المقام الأوّل: في ذكر بعض الأخبار الواردة في دعواها فذكاً من باب النحلة. روي في البحار عن جميل بن درّاج، عن الصادق (عليه السلام) قال: أتت فاطمة (عليها السلام) أبا بكر تريد فذكاً، فقال أبو بكر: ها تي أسود أو أحمر يشهد بذلك، قال: فأنت بأّم أيمن، فقال لها: بم تشهدين؟

قالت: أشهد أنّ جبرئيل أتى محمداً (صلّى الله عليه وآله) فقال: إنّ الله تعالى

(١) شرح النهج ١٦: ٢١٠.

يقول: ﴿فَاتِذَا الْقَرَبَىٰ حَقَّهُ﴾ فلم يدر محمد (صلى الله عليه وآله) من هم، فقال لجبرئيل: سل ربك من هم؟ فقال: فاطمة ذو القربى فأعطاها فذكاً، فكتب أبو بكر بذلك صحيفة وأعطاها إياها، وعمر محى الصحيفة^(١).

وعن حماد بن عثمان، عن الصادق (عليه السلام) قال: لما بويع أبو بكر واستقام له الأمر على المهاجرين والأنصار بعث إلى فذك من أخرج وكيل فاطمة عنها، فجاءت فاطمة (عليها السلام) إلى أبي بكر، فقالت: يا أبا بكر لم تمنعني ميراثي من أبي رسول الله، وأخرجت وكيلي من فذك وقد جعلها لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمر الله تعالى، فقال: هاتي على ذلك بشهود.

فجاءت بأُمّ أيمن فقالت: لا أشهد يا أبا بكر حتى أحتج عليك بما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أنشدك بالله أَلَسْتُ تعلم أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إنّ أُمّ أيمن امرأة من أهل الجنة؟ فقال: بلى، قالت: أشهد أنّ الله عز وجل أوحى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله: ﴿فَاتِذَا الْقَرَبَىٰ حَقَّهُ﴾ فجعل فذك لفاطمة (عليها السلام) بأمر الله، وجاء عليّ (عليه السلام) فشهد بمثل ذلك، فكتب بذلك كتاباً ودفعه إليها.

فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: إنّ فاطمة ادعت فذكاً وشهدت لها أُمّ أيمن وعليّ فكتبته، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة (عليها السلام) فمزقه^(٢).

وفي بعض الأخبار: إنّ عمر أخذ الكتاب مغالبة فمنعته، فدفع بيده في صدرها وأخذ الصحيفة فمحاها أو خرقها بعد أن تفل فيها، فدعت (عليها السلام) عليه وقالت: بقر الله بطنك كما بقرت كتابي هذا، فخرجت (عليها السلام) تبكي، فلمّا كان بعد ذلك جاء عليّ (عليه السلام) إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله

(١) البحار ٢٩: ١٢٠ ح ١٦، عن تفسير العيّاشي ٢: ٢٨٧ ح ٤٩، عنه العوالم ١١: ٦٣٢ ح ٢٥، وتفسير البرهان ٢: ٤١٥ ح ٨، وكنز الدقائق ٧: ٣٩٢.

(٢) البحار ٢٩: ١٢٧ ح ٢٧، عن الإحتجاج ١: ٢٣٤ ح ٤٧، وفي تفسير القمي ٢: ١٥٥، والعوالم ١١: ٧٥١، وتفسير البرهان ٣: ٢٦٣، وكنز الدقائق ١٠: ٢٠٤.

المهاجرون والأنصار وحاجّه في أمر فذك^(١)، على ما ستأتي إليه الإشارة. وفي بعض الروايات أنّه أخذ عمر الكتاب من يد فاطمة (عليها السّلام) ومزقه وقال: هذا فيء للمسلمين، وقال: اوس بن الحدثان وعائشة وحفصة يشهدون على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: إنّنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، وإنّ عليّاً زوجها يجرّ إلى نفسه، وأمّ أيمن فهي امرأة صالحة لو كان معها غيرها لنظرنا فيه، فخرجت فاطمة (عليها السّلام) من عندهما باكية حزينة، فلمّا كان بعد هذا جاء عليّ (عليه السّلام) وخاصم مع أبي بكر في المسجد وحوله المهاجرين والأنصار^(٢).

ولا يخفى أنّ الكلام في هذه الدعوى إنّما كان في العطية والنحلة، وحديث نفي التوريث لا ينفع في مقابله شيئاً، نعم إنّما يتصوّر نفعه في الدعوى الثانية. وقد مرّ في الإحتجاج المنقول عن كشكول العلامة (رحمه الله) أنّه بعد ما تكلمت فاطمة (عليها السّلام) بما تكلمت قال لها عمر: دعينا عن أباطيلك واحضرينا من يشهد لك بما تقولين، فبعثت إلى عليّ والحسن والحسين (عليهم السّلام) وأمّ أيمن وأسماء بنت عميس - وكانت تحت أبي بكر بن أبي قحافة - فأقبلوا إلى أبي بكر وشهدوا لها بجميع ما قالت وادعته.

فقال: أمّا عليّ فزوجها، وأمّا الحسن والحسين فابناها، وأمّا أمّ أيمن فمولاتها، وأمّا أسماء بنت عميس فهي كانت تحت جعفر بن أبي طالب، فهي تشهد لبني هاشم وقد كانت تخدم لفاطمة، وكلّ هؤلاء يجرّون على أنفسهم^(٣).

وفي بعضها أنّه قال لفاطمة (عليها السّلام): أمّا عليّ فهو زوجك فهو يجرّ النار إلى قرصه، والحسنان ولدك، وأمّ أيمن جاريتك ومحبّتك، وأسماء كانت قبل ذلك

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٥.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٥٥، عنه البحار ٢٩: ١٣٤ ح ٢٨، وتفسير البرهان ٣: ٢٦٣، والموال ١١:

٧٦٤.

(٣) الكشكول: ٢٠٤، عنه البحار ٢٩: ١٩٧، والموال ١١: ٦٣٥.

زوجة ابن عمك جعفر وتحبّ بني هاشم وانتفاعهم.

فقال عليّ (عليه السّلام): أمّا فاطمة فبضعة من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من آذاها آذاه ومن كذبها كذبته، والحسنان سبطاه وسيّد شباب أهل الجنّة، وقال لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أنت منّي وأنا منك، من ردّك فقد ردّني ومن أطاعك أطاعني، وأمّا أمّ أيمن فشهد النبي (صلّى الله عليه وآله) بأنّها من أهل الجنّة ولا يكون الكاذب من أهل الجنّة^(١).

وفي بعض الروايات أنّه شهدت بذلك أمّ سلمة أيضاً فردّوا شهادتها أيضاً بحبّها فاطمة (عليها السّلام)، مع أنّها كانت مسلّمة بين أهل الملة في الدين والفضيلة.

وروى ابن أبي الحديد في الشرح عن طرق العامة أنّه لما كلّمت فاطمة أبا بكر ثم قال: يا بنت رسول الله والله ما ورّث أبوك ديناراً ولا درهماً، وإنّه قال: الأنبياء لا يورّثون، فقالت: إنّ فذك وهبها لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فقال: فمن يشهد بذلك.

فجاء عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) فشهد، وجاءت أمّ أيمن فشهدت أيضاً، فجاء عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف فشهدا أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان يقسمها، قال أبو بكر: صدقت يا بنت رسول الله، وصدق عليّ، وصدق أمّ أيمن، وصدق عمر، وصدق عبد الرحمن بن عوف، وذلك أنّ مالكاً لأبيك كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يأخذ من فذك قوتكم ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله، فما تصنعين بها؟

قالت: أصنع بها كما كان يصنع بها أبي، قال: فلك عليّ الله أن أصنع فيها كما كان يصنع فيها أبوك، قالت: الله لتفعلن؟ قال: الله لأفعلن، قالت: اللهمّ اشهد. وكان أبو بكر يأخذ غلّتها فيدفع إليهم منها ما يكفيهم ويقسم الباقي، وكان

(١) راجع الكشكول للسيد حيدر الآملي: ٢٠٥.

عمر كذلك، ثم كان عليّ (عليه السلام) كذلك، فلمّا ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلثها، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها، وذلك بعد موت الحسن بن عليّ (عليه السلام).

فلم يزالوا يتداولونه حتى خلصت كلّها لمروان بن الحكم، فوهبها لعبد العزيز ابنه، فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز، فردّها عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته إلى أولاد فاطمة (عليها السلام)^(١) - على ما ستجيء إليه الإشارة -.

وروى فيه أيضاً أنّه قالت فاطمة (عليها السلام) لابي بكر: إنّ أمّ أيمن تشهد لي أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أعطاني فذك، فقال لها: يا بنت رسول الله ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ من رسول الله أبيك، ولوددت أنّ السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك، والله لأن تفتقر عائشة أحبّ إليّ من أن تفتقري، أتراني أعطي الأحمر والأبيض حقّه واطلمك حقّك وأنت بنت رسول الله، إنّ هذا المال لم يكن للنبي وإنّما كان مالاً من أموال المسلمين، يحمل النبي الرجال وينفقه في سبيل الله، فلمّا توفي رسول الله وليته كما كان يليه.

قالت: والله لا كلّمتك أبداً، قال: والله لا هجرتك أبداً، قالت: لأدعون الله عليك، قال: لأدعون الله لك، فلمّا حضرته الوفاة أوصت أن لا يصلي عليها، فدفت ليلاً وصلى عليها العباس بن عبد المطلب، وكان بين وفاتها و وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) إثنان وسبعون ليلة^(٢).

قال ابن أبي الحديد: فيه إشكال - أي في هذا الخبر - لأنّ فيه أنّها طلبت فذك وقالت: إنّ أبي أعطانيها وإنّ أمّ أيمن تشهد لي بذلك، فقال لها أبو بكر في الجواب: إنّ هذا المال لم يكن لرسول الله وإنّما كان مالاً من أموال المسلمين....

فلقائل أن يقول له: أيجوز للنبي (صلّى الله عليه وآله) أن يملك ابنته أو غير ابنته في أفياء الناس ضيعة مخصوصة، أو عقاراً مخصوصاً من مال المسلمين

(١) شرح النهج ١٦: ٢١٦.

(٢) شرح النهج ١٦: ٢١٤، والبحار ٢٩: ٣٢٨ ح ١١.

لوحى أوحى الله إليه، أو لاجتهاد رأيه على قول من أجاز له أن يحكم بالاجتهاد، أو لا يجوز؟ للنبي (صلى الله عليه وآله) ذلك؟!

فإن قال: لا يجوز، قال مالا يوافقه العقل ولا المسلمون عليه، وإن قال: يجوز ذلك، قيل له: فإن فاطمة (عليها السلام) ما اقتضت على مجرد الدعوى بل قالت: أم أيمن تشهد لي، فكان ينبغي أن يقول لها في الجواب: شهادة أم أيمن وحدها غير مقبولة، ولم يتضمّن هذا الخبر ذلك، بل قال لها لمّا ادعت وذكرت من يشهد لها: هذا مال من مال الله لم يكن لرسول الله...، وهذا ليس بجواب صحيح^(١).

وروي عن البحري بن حسان قال: قلت لزيد بن عليّ (عليه السلام) وأنا أريد أن أهجن أمر أبي بكر: إن أبا بكر انتزع فذك من فاطمة (عليها السلام)، فقال: إن أبا بكر كان رجلاً رحيماً، وكان يكره أن يغيّر شيئاً فعله رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأتته فاطمة (عليها السلام) فقالت: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعطاني فذك، فقال لها: هل لك على هذا بيّنة؟

فجاءت بعليّ (عليه السلام) فشهد لها، ثم جاءت أم أيمن فقالت: ألسما تشهدان أنّي من أهل الجنة؟ قالوا: بلى - قال أبو زيد: يعني أنّها قالت لأبي بكر وعمر - قالت: فأنا أشهد أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعطاه فذك، فقال أبو بكر: فرجل آخر وامرأة أخرى لتستحقّي بها القضية، ثم قال أبو زيد: وأيم الله لو رجع الأمر إليّ لقضيت فيها بقضاء أبي بكر^(٢).

ونقل في شرح ابن أبي الحديد أنّه كان ذلك مطلقاً أي حديث حضور فاطمة (عليها السلام) عند أبي بكر لأجل فذك بعد عشرة أيّام من وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)^(٣).

(١) شرح النهج ١٦: ٢٢٥.

(٢) شرح النهج ١٦: ٢١٩.

(٣) شرح النهج ١٦: ٢٦٣.

المقام الثاني: في ذكر بعض الأخبار الواردة في دعواها (عليها السلام) فذكاً من باب الإرث.

روي في كشف الغمة: إنّ فاطمة (عليها السلام) جاءت إلى أبي بكر فقالت: أعطني ميراثي من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: إنّ الأنبياء لا يورثون ما تركوه فهو صدقة، فرجعت إلى عليّ (عليه السلام) فقال: ارجعي فقول لي: فما شأن سليمان ورث داود، وقال زكريّا: ﴿فهب لي من لدنك ولياً﴾ يرثني ويرث من آل يعقوب ﴿^(١)﴾ فنحن أقرب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) من زكريّا إلى يعقوب ﴿^(٢)﴾.

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال عليّ (عليه السلام) لفاطمة: إنطلقني فاطلبي ميراثك من أبيك رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فجاءت إلى أبي بكر فقالت: أعطني ميراثي من أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: النبي لا يورث، فقالت: ألم يرث سليمان داود، فغضب وقال: النبي لا يورث، فقالت: ألم يقل زكريّا: ﴿فهب لي من لدنك ولياً﴾ يرثني ويرث من آل يعقوب ﴿^(٣)﴾ فقال يورث، فقالت: ألم يقل: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ ﴿^(٤)﴾ فقال أبو بكر: النبي لا يورث ﴿^(٥)﴾.

وفيه أيضاً: إنّ فاطمة (عليها السلام) جاءت إلى أبي بكر بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت: يا أبا بكر من يرثك إذا مت؟ قال: أهلي وولدي، قالت: فمالى لا أرث رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: يا بنت رسول الله إنّ النبي لا يورث، ولكن أنفق على من كان ينفق عليه رسول الله، وأعطى ما كان يعطيه، قالت: والله ما اكلمك بكلمة ﴿^(٥)﴾.

(١) مريم: ٥ - ٦.

(٢) كشف الغمة ٢: ١٠٦، عنه البحار ٢٩: ٢٠٧، والموالم ١١: ٦٣٧ ح ٣٠.

(٣) النساء: ١١.

(٤) كشف الغمة ٢: ١٠٦، عنه البحار ٢٩: ٢٠٧، والموالم ١١: ٦٣١ ح ٢٠.

(٥) كشف الغمة ٢: ١٠٦، عنه البحار ٢٩: ٢٠٦.

ومن طريق أصحابنا عن المفضل بن صالح، عن بعض أصحابه، عن أحدهما (عليهما السلام) قال: إن فاطمة (عليها السلام) إنطلقت إلى أبي بكر فطلبت ميراثها من نبي الله، فقال: إن نبي الله لا يورث، فقالت: أكفرت بالله وكذبت بكتابه، قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ...﴾^(١).

وروي أيضاً عن أبي صالح مولى أم هاني قال: دخلت فاطمة (عليها السلام) على أبي بكر بعد ما استخلف فسألته ميراثها من أبيها، فمنعها فقالت له: لئن مت اليوم من كان يرثك؟ قال: ولدي، قالت: فلم ورثت أنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) دون ولده وأهله؟ قال: ما فعلت يا بنت رسول الله.

قالت: بلى أنك عمدت إلى فدك وكانت صافية لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخذتها وعمدت إلى ما أنزل الله من السماء فرفعته عنها، فقال: يا بنت رسول الله لم أفعل، حدثني رسول الله أن الله ليطعم النبي ما كان حياً، فإذا قبضه إليه كان الأمر لولي الأمر، فقالت: أنت ورسول الله أعلم ما أنا بسائلتك بعد مجلسي، ثم انصرفت^(٢).

وفي بعض روايات أصحابنا عن أبي سعيد الخدري قال: لما قبض النبي (صلى الله عليه وآله) جاءت فاطمة (عليها السلام) تطلب فدكاً^(٣).

وفي رواية عن الباقر (عليه السلام) أنه قال علي لفاطمة (عليها السلام): انطلقي فاطلبي ميراثك من النبي (صلى الله عليه وآله)، فلما جاءت وطلبت ميراثها منه قال أبو بكر: إني لأعلم إن شاء الله أنك لا تقولين إلا حقاً ولكن هاتي بينتك، فجاءت بعلي (عليه السلام) فشهد، ثم جاءت بأم أيمن فشهدت، فقال: لو كانت امرأة أخرى أو رجل لكتبت لك بها^(٤).

(١) تفسير العياشي ٢: ٢٢٥ ح ٤٩، عنه البحار ٢٩: ١١٨ ح ١٢.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦: ٢٣٢.

(٣) كشف الغمة ٢: ١٠٧، عنه البحار ٢٩: ٢٠٧.

(٤) راجع كشف الغمة ٢: ١٠٧، عنه البحار ٢٩: ٢٠٧.

قال بعض الأصحاب هنا ما حاصله: إنَّ هذا الحديث عجيب لأنَّها إن كانت تطلب ميراثاً فلا حاجة إلى الشهود، أو أبابها نحلها فذكاً فلا معنى لما رواه أبو بكر على ما في الروايات الأخر من قوله: نحن معاصر الأنبياء لا نورث.

وروي في الكشف ومصباح الأنوار بعد أن روى تمسك أبي بكر برواية نفي توريث الأنبياء في مقابل طلب فاطمة (عليها السلام) فذكاً من جهة الوراثة: أنه لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) جاءت فاطمة (عليها السلام) تطلب فذكاً، فقال أبو بكر: إني لأعلم إن شاء الله أنك لن تقولي إلا حقاً ولكن هاتي بينتك، فجاءت بعلي (عليه السلام) فشهد، ثم جاءت بأم أيمن فشهدت، فقال: امرأة أخرى أو رجلاً فاكتب لك بها^(١).

فقال بعض الأفاضل حينئذٍ، هذا الحديث عجيب فإنَّ فاطمة (عليها السلام) إن كانت مطالبة بميراث فلا حاجة بها إلى الشهود، فإنَّ المستحق للتركة لا يفتقر إلى الشاهد إلا إذا لم يعرف صحّة نسبه واعتزائه إلى الدارج، وما أظنهم شكوا في نسب فاطمة وكونها ابنة النبي (صلى الله عليه وآله)، وإن كانت تطلب فذكاً وتدعي أن أبابها نحلها إياها إحتاجت إلى إقامة البينة، ولم يبق لما رواه أبو بكر من قوله: (نحن معاصر الأنبياء لا نورث) معنى، وهذا واضح جداً^(٢)، والظاهر أن الروایتين الأخيرتين واحدة ووقع الاختلاف من جهة النقل.

وفيه عن عروة أنه كانت فاطمة (عليها السلام) قد سألت ميراثها أبا بكر ممّا بركة النبي (صلى الله عليه وآله) فقال لها: بأبي أنت وأمي، وبأبي أبوك وأمي ونفسي إن كنت سمعت من رسول الله شيئاً، أو أمرك بشيء لم أبتغ غير ما تقولين وأعطيتك ما تبتغين، وإلا فإني ابتغي ما أمرت به^(٣).

وروي فيه عن أبي البحتري أنه لما جاءت فاطمة (عليها السلام) إلى أبي بكر

(١) كشف الغمّة ٢: ١٠٧، ومصباح الأنوار: ٢٤٥، والبحار ٢٩: ٢٠٧.

(٢) راجع كشف الغمّة ٢: ١٠٧، والبحار ٢٩: ٢٠٨.

(٣) شرح النهج ١٦: ٢٢٨.

تطلب فذك قال لها أبو بكر: بابي أنت وأمي، أنت عندي الصادقة الأمانة إن كان رسول الله عهد إليك في ذلك عهداً أو وعدك به وعداً صدقتك وسلّمت إليك، فقالت: لم يعهد إلي في ذلك بشيء ولكن الله تعالى يقول: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(١) فقال: أشهد لقد كان رسول الله يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث^(٢).

قال ابن أبي الحديد: وفي هذا الحديث من الإشكال ما هو ظاهر، لأنّها قد ادّعت أنّه عهد إليها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في ذلك أعظم العهد وهو النحلة، فكيف سكّنت عن ذكر هذا لما سألتها أبو بكر، وهذا أعجب من العجب^(٣). وفي كشف الغمة أيضاً عن الحميدي في الجمع بين الصحيحين في خبر طويل عن صالح، عن عائشة أنّ فاطمة سألت أبا بكر أن يقسم لها ميراثها.

وفي رواية أخرى أنّ فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وهما يطلبان أرضه من فذك وسهمه من خير، فقال أبو بكر: إنّي سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: لا نورث ما تركناه صدقة، إنّما يأكل آل محمد من هذا المال، وإنّي والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه فيه إلّا صنعته.

وزاد في رواية ابن كيسان: إنّي أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ، قال: فأمّا صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى عليّ والعباس، فغلبه عليها عليّ (عليه السّلام)، وأمّا خير وفذك فأمسكهما عمر وقال: هما صدقة رسول الله، كانت لحقوقه التي تعروه ونوائبه وأمرهما إلى من ولي الأمر، قال: فهما على ذلك اليوم. وقال غير صالح في روايته في حديث أبي بكر: فهجرته فاطمة (عليها السّلام) فلم تكلمه في ذلك حتّى ماتت، فدفعها عليّ (عليه السّلام) ليلاً ولم يؤذن بها أبو بكر، قال: وكان لعليّ (عليه السّلام) وجه من الناس في حياة فاطمة،

(١) النساء: ١١.

(٢) شرح النهج ١٦: ٢٢٨.

(٣) شرح النهج ١٦: ٢٢٨.

فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن عليّ (عليه السلام). ومكثت فاطمة (عليها السلام) بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ستة أشهر ثم توفيت، فقال رجل للزهري: فلم يبايعه عليّ إلى ستة أشهر؟ قال: لا والله ولا أحد من بني هاشم حتى يبايعه عليّ (عليه السلام).

وفي حديث عروة: فلما رأى عليّ (عليه السلام) إنصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر، فأرسل إلى أبي بكر: ائتنا ولا تأتنا معك بأحد، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر، فقال عمر: لا تأتهم وحدك، فقال أبو بكر: والله لا آتينهم وحدي ما عسى أن يصنعوا بي، فانطلق أبو بكر فدخل على عليّ وقد جمع بني هاشم عنده، فقام عليّ (عليه السلام) فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد فلم يمنعنا أن نبايعك يا أبا بكر إنكار لفضيلتك، ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله إليك، ولكنّا كنّا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً فاستبددتم علينا» ثم ذكر (عليه السلام) قرابتهم من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وحقهم، فلم يزل عليّ (عليه السلام) يذكر حتى بكى أبو بكر.

وصمت عليّ (عليه السلام) وتشهد أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد فوالله لقرابة رسول الله أحبّ إليّ أن أصل من قرابتي، وأنّي والله ما لكأت في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم عن الخير، ولكنّي سمعت رسول الله يقول: لا نورث ما تركناه صدقة، إنّما يأكل آل محمد من هذا المال، وأنّي والله لا أدع أمراً صنعه رسول الله إلّا صنعته إن شاء الله.

وقال عليّ (عليه السلام): موعدك للبيعة العشيّة، فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل على الناس يعذر عليّاً ببعض ما اعتذر به، ثم قام عليّ (عليه السلام) فعظم من حقّ أبي بكر وذكر فضيلته وسابقته ثم قام إلى أبي بكر فبايعه، فأقبل الناس إلى عليّ فقالوا: أصبت وأحسن، وكان المسلمون إلى عليّ (عليه السلام) قريباً حين راجع الأمر بالمعروف، هذا آخر ما ذكره الحميدي^(١).

(١) كشف الغمة ٢: ١٠٢-١٠٤، عنه البحار ٢٩: ٢٠١-٢٠٣ ح ٤٢.

قال كاشف الغمة: وقد خطر عند تقلي لهذا الحديث كلام أذكره على مواضع منه، ثم بعد ذلك أورد ما نقله أصحابنا في المعنى، ملتزماً بما اشترطته من العدل في القول والفعل، وعلى الله قصد السبيل.

قول أبي بكر في أول الحديث وآخره: (وإني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه فيه إلا صنعته) وهو لم ير النبي (صلى الله عليه وآله) صنع فيها إلا أنه اصطفاها، وإنما سمع سماعاً أنه بعد وفاته لا يورث - كما روى - فكان حق الحديث أن يحكى ويقول: وإني والله لا أدع أمراً سمعت رسول الله يقول إلا عملت بقمضى قوله، أو ما هذا معناه.

وفيه: (فأما صدقته بالمدينة فدفعتها عمر إلى عليّ والعباس، فغلبه عليها عليّ (عليه السلام)) أقول: حكم هذه الصدقة التي بالمدينة حكم فذك وخير، فهلاً منعها الجميع كما فعل صاحبه إن كان العمل على ما رواه، أو صرف إليها الجميع إن كان الأمر بضد ذلك، وأما تسليم البعض ومنع البعض فإنه ترجيح من غير مرجح، اللهم إلا أن يكونوا فعلوا شيئاً لم يصل إلينا في إمضاء ذلك.

وفي قوله: (فغلبه عليها عليّ) دليل واضح على ما ذهب إليه أصحابنا من توريث البنات دون الأعمام، فإن عليّاً (عليه السلام) لم يغلب العباس على الصدقة من جهة العمومة، إذ كان العباس أقرب من عليّ في ذلك، وغلبته إياه على سبيل الغلب والعنف مستحيل أن يقع من عليّ (عليه السلام) في حق العباس، فلم يبق إلا أنه غلبه عليها بطريق فاطمة وابنيها.

وقول عليّ (عليه السلام): (كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً فاستبددتم علينا) فتأمل معناه يضح لك مغزاه، ولا حاجة إلى كشف مغطاه، وروى أحمد بن حنبل في مسنده ما يقارب ألفاظ ما رواه الحميدي، ولم يذكر حديث عليّ وأبي بكر ومجيئه إليه في هذا الحديث، إنتهى^(١).

وروى ابن أبي الحديد في الشرح: إن فاطمة (عليها السلام) طلبت من أبي

بكر فذك فقال: إني سمعت رسول الله يقول: إن النبي لا يورث، من كان النبي يعوله فأنا أعوله، ومن كان النبي ينفق عليه فأنا أنفق عليه، فقالت: يا أبا بكر أيرثك بناتك ولا يرث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بناته؟ فقال: هو ذاك^(١).

وروى أيضاً عن عوانة بن الحكم قال: لما كلمت فاطمة (عليها السلام) أبا بكر بما كلمته به، حمد أبو بكر الله وأثنى عليه وصلى على رسوله، ثم قال: يا خيرة النساء وابنة خير الآباء، والله ما عدوت رأي رسول الله، ولا عملت إلا بأمره، وإن الرائد لا يكذب أهله، وقد قلت فأبلغت وأغلظت وأهجرت، فغفر الله لنا ولك، أما بعد فقد دفعت آلة رسول الله ودابته وحذاءه إلى علي، وأما ما سوى ذلك فإني سمعت رسول الله يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا أرضاً ولا عقاراً ولا داراً، ولكننا نورث الإيمان والحكمة والعلم والسنة، فقد عملت بما أمرني ونصحت له^(٢).

وروى أيضاً عن عائشة أن فاطمة أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله، وهي حينئذ تطلب ما كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله قال: لا نورث ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال، وأنني والله لا أغير شيئاً من صدقات رسول الله، إلى أن قال: فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، فوجدت من ذلك على أبي بكر وهجرته ولم تكلمه حتى توفت^(٣)، ورواه البخاري في صحيحه أيضاً^(٤)، ومثله من صحيح مسلم بسنده^(٥).

وروي في الشرح أيضاً عن عائشة أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان

(١) شرح النهج ١٦: ٢١٩.

(٢) شرح النهج ١٦: ٢١٣.

(٣) شرح النهج ١٦: ٢١٧.

(٤) صحيح البخاري ٥: ٢٥٣ ح ٧٠٤، كتاب المغازي / غزوة خيبر.

(٥) صحيح مسلم ١٢: ٧٦، كتاب الجهاد، حكم الفيء.

ميراثهما من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهما يطلبان حينئذ أرضه بفذك وسهمه من خير، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله يقول: لا نورث ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال، وإني والله لا أغير أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته، قال: فهجرته فاطمة (عليها السلام) فلم تكلمه حتى ماتت^(١).

وروى أيضاً عن أمّ هاني أن فاطمة قالت لأبي بكر: من يرثك إذا مت؟ قال: ولدي وأهلي، قالت: فمالك ترث رسول الله دوننا؟ قال: يا بنة رسول الله ما ورث أبوك داراً ولا مالاً ولا ذهباً ولا فضة، قالت: بلى سهم الله الذي جعله لنا وصار فيتنا الذي بيدك، فقال لها: سمعت رسول الله يقول: إنما هي طعمة أطعمناها فإذا متّ كانت بين المسلمين^(٢).

وعن أبي سلمة أن فاطمة (عليها السلام) طلبت فذك من أبي بكر فقال: إني سمعت رسول الله يقول: إن النبي لا يرث، من كان النبي يعوله فأنا أعوله، ومن كان النبي ينفق عليه فأنا أنفق عليه، فقالت: يا أبا بكر أيرثك بناتك ولا يرث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بناته؟ فقال: هو ذلك^(٣).

وروى أيضاً عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: والذي نفسي بيده لا يقسم ورثتي شيئاً فما تركت فهي صدقة، قال: وكانت هذه الصدقة بيد عليّ غلب عليها العباس، وكانت فيها خصومتها، فأبى عمر أن يقسمها حتى أعرض عنها العباس وغلب عليها عليّ، ثم كانت بيد الحسن والحسين ابني عليّ، ثم كانت بيد عليّ بن الحسين والحسن بن الحسن كلاهما يتداولانها، ثم بيد زيد بن عليّ^(٤).

(١) شرح النهج ١٦: ٢١٨.

(٢) شرح النهج ١٦: ٢١٨.

(٣) شرح النهج ١٦: ٢١٩.

(٤) شرح النهج ١٦: ٢٢١.

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: لا يقسم ورثتي ديناراً ولا درهماً ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عيالي فهو صدقة^(١).

قال ابن أبي الحديد: قلت: وهذا حديث غريب لأن المشهور أنه لم يرو حديث انتفاء الإرث إلا أبو بكر وحده^(٢).

وروى عن أبي الطفيل قال: أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله أم أهله؟ قال: بل أهله، قالت: فما بال سهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: إنني سمعت رسول الله يقول: إن الله أطعم نبياً طعمة ثم قبضه وجعله للذي يقوم بعده، فوليت أنا بعده أن أردّه على المسلمين، قالت: أنت وما سمعت من رسول الله أعلم^(٣).

قال ابن أبي الحديد: قلت: في هذا الحديث عجب، لأنها قالت له: أنت ورثت رسول الله أم أهله؟ قال: بل أهله، وهذا تصريح بأنه (صلى الله عليه وآله) موروث يرثه أهله، وهذا خلاف قوله: (لا نورث)^(٤).

وروى ابن أبي الحديد أيضاً عن كتاب أبي بكر الجوهري بإسناده إلى الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان: إن عمر بن الخطاب دعاه يوماً بعدما ارتفع النهار، قال: فدخلت عليه وهو جالس على رمال سرير ليس بينه وبين الرمال فراش على وسادة ادم، فقال: يا مالك أنه قد قدم من قومك أهل أبيات حضروا المدينة، وقد أمرت لهم برضخ^(٥) فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين مر بذلك غيري، قال: اقسم أيها المرء.

(١) شرح النهج ١٦: ٢٢٠.

(٢) شرح النهج ١٦: ٢٢١.

(٣) شرح النهج ١٦: ٢١٩.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الرضخ: العطاء.

قال: فبينما نحن على ذلك إذ دخل برقاء فقال: هل لك في عثمان وسعد وعبد الرحمن والزبير يستأذنون عليك؟ قال: نعم فأذن لهم، قال: ثم لبث قليلاً ثم جاء فقال: هل لك في عليّ والعباس يستأذنان عليك؟ قال: أئذن لهما.

فلما دخلا قال العباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا يعني عليّاً، وهما يختصمان في الصوافي التي أفاء الله على رسوله من أموال بني النضير، قال: فاستب عليّ والعباس عند عمر، فقال عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر، فقال: أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماوات والأرض هل تعلمون أنّ رسول الله قال: (لا نورث ما تركناه صدقة) يعني نفسه؟ قالوا: قد قال ذلك.

فأقبل على العباس وعليّ فقال: أنشدكما الله هل تعلمان ذلك؟ قالوا: نعم، قال عمر: فإنّي أحدثكم عن هذا الأمر أنّ الله تبارك وتعالى خصّ رسوله في هذا الفيء بشيء لم يعطه غيره، قال تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير﴾^(١).

وكانت هذه خاصة لرسول الله فما احتازها دونكم ولا استأثر بها عليكم، لقد أعطاكموها وثبّتها فيكم حتى بقي فيها هذا المال، وكان ينفق على أهله سنتهم ثم يأخذها فيجعله فيما يجعل مال الله تعالى، فعل ذلك في حياته ثم توفّي فقال أبو بكر أنا وليّ رسول الله، فقبضه الله وقد عمل فيها بما عمل به رسول الله، وأنتم حينئذٍ - والتفت إلى عليّ والعباس - تزعمان أنّ أبا بكر فيها ظالم فاجر، والله يعلم أنّه فيها لصادق بارّ راشد تابع للحق.

ثم توفّي الله أبا بكر فقلت أنا أولى الناس بأبي بكر ورسول الله، فقبضتها سنتين - أو قال سنين - من إمارتي أعمل فيها مثل ما عمل رسول الله وأبو بكر، ثم قال: وأنتم - وأقبل على العباس وعليّ - تزعمان أنّي فيها ظالم فاجر، والله يعلم

أني فيها بارٌّ راشد تابع للحق.

ثم جئتماني وكلمتكما واحدة وأمركما جميع، فجئتنني - يعني العباس - تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا - يعني علياً - يسألني نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله قال لا نورث ما تركناه صدقة.

فلما بدا لي أن أدفعها إليكما قلت: دفعتها على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل رسول الله وأبو بكر، وبما عملت به فيها وإلا فلا تكلماني، فقلتما: إدفعها إلينا بذلك، فدفعتها إليكما بذلك أفتلتمسان مني قضاء غير ذلك، والله الذي تقوم بأذنه السماوات والأرض لا أقضي بينكما بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فادفعها إليّ فأنا أكفيكما^(١).

ثم روى عن الزهري أنه قال: حدّثني مالك بن أوس بن الحدثان بنحوه، قال: فذكرت ذلك لعروة فقال: صدق مالك بن أوس أنا سمعت عائشة تقول: أرسل أزواج النبي عثمان بن عفان إلى أبي بكر يسألهنّ ميراثهنّ من رسول الله ممّا أفاء الله عليه حتّى كنت أردهنّ عن ذلك، فقلت: ألا تتقين الله؟ ألم تعلمن أن رسول الله كان يقول لا نورث ما تركناه صدقة - يريد بذلك نفسه - إنما يأكل آل محمد من هذا المال؟! فانتهى أزواج النبي إلى ما أمرتهنّ به^(٢).

قال ابن أبي الحديد: قلت: هذا مشكل لأنّ الحديث الأوّل يتضمّن أن عمر أقسم على جماعة فيهم عثمان فقال: نشدتكم الله أستم تعلمون أن رسول الله قال لا نورث ما تركناه صدقة - يعني نفسه -؟ فقالوا: نعم، ومن جعلتهم عثمان فكيف يعلم بذلك ويكون مترسلاً لأزواج النبي (صلّى الله عليه وآله) إلى أبي بكر يسأله أن يعطيهم الميراث، اللّهمّ إلا أن يكون عثمان وسعد وعبد الرحمن والزيبر صدّقوا عمر على سبيل التقليد لأبي بكر فيما رواه وحسن ظنّ وسمّوا ذلك علماً، لأنّه قد يطلق على الظنّ اسم العلم.

(١) شرح النهج ١٦: ٢٢١.

(٢) شرح النهج ١٦: ٢٢٢.

فإن قال قائل: فهلاً حسن ظنّ عثمان برواية أبي بكر في مبدأ الأمر فلم يكن رسولاً لزوجات النبي (صلى الله عليه وآله) في طلب الميراث، قيل له: يجوز أن يكون في مبدأ الأمر شاكاً ثم يغلب على ظنه صدقه لامارات اقتضت تصديقه، وكلّ الناس يقع لهم مثل ذلك.

هنا هنا إشكال آخر وهو أن عمر ناشد عليّاً والعباس: هل تعلمان ذلك؟ فقالا: نعم، فإذا كانا يعلمانه فكيف جاء العباس وفاطمة إلى أبي بكر يطلبان الميراث على ما ذكره في خبر سابق على هذا الخبر وقد أوردناه نحن؟ وهل يجوز أن يقال: كان العباس يعلم ذلك ثم يطلب الإرث الذي لا يستحقّه؟ وهل يجوز أن يقال: إنّ عليّاً (عليه السلام) كان يعلم ذلك ويمكن زوجته أن تطلب ما لا تستحقّه؟ خرجت من دارها إلى المسجد ونازعت أبا بكر، وكلمته بما كلمته إلا بقوله واذنه ورأيه؟! وأيضاً فإنه إذا كان (صلى الله عليه وآله) لا يورث فقد أشكل دفع آله ودابته وحذائه إلى عليّ (عليه السلام) لأنّه غير وارث في الأصل، وإن كان إعطائه ذلك لأنّ زوجته بعرضه أن ترث لولا الخبر، فهو أيضاً غير جائز، لأنّ الخبر قد منع من أن يرث منه شيئاً قليلاً كان أو كثيراً.

فإن قال قائل: إنّ الخبر (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضّة ولا أرضاً ولا داراً ولا عقاراً) قيل: هذا الكلام يفهم من مضمونه أنّهم لا يورثون شيئاً أصلاً، لأنّ عادة العرب جارية بمثل ذلك، وليس يقصدون نفي ميراث هذه الأجناس المعدودة دون غيرها، بل يجعلون ذلك كالتصريح بنفي أن يورثوا شيئاً ما على الإطلاق.

وأيضاً فإنه جاء في خبر الدابة والآلة والحذاء أنّه روي عن النبي (صلى الله عليه وآله): (لا نورث ما تركناه صدقة) ولم يقل لا نورث كذا ولا كذا، وذلك يقتضي عموم انتفاء الإرث عن كلّ شيء^(١).

وهذا إشكال آخر وهو قول عمر لعليّ (عليه السلام) والعباس: وأنتما حينئذٍ

تزعمان أنّ أبا بكر فيها ظالم فاجر، ثم قال لَمَّا ذكر نفسه: وأنتم تزعمان أنّي فيها ظالم فاجر، فإذا كانا يزعمان ذلك فكيف يزعم هذا الزعم مع كونهما يعلمان أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (لا أورث) إنّ هذا لمن أعجب العجائب.

ولولا أنّ هذا الحديث - أعني حديث خصومة العباس وعليّ (عليه السلام) عند عمر - مذكور في الصحاح المجمع [عليها] لما أطلت العجب من مضمونه، إذ لو كان غير مذكور في الصحاح لكان بعض ما ذكرناه يطعن في صحته، وإنّما الحديث في الصحاح لا ريب فيه^(١).

وروى عن عكرمة، عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: جاء العباس وعليّ إلى عمر فقال العباس: إقض بيني وبين هذا الكذا وكذا [أي يشتمه]، فقال الناس: أفصل بينهما، فقال: لا أفصل بينهما قد علما أنّ رسول الله قال: لا نورث ما تركناه صدقة^(٢).

قلت: وهذا أيضاً مشكل لأنّهما حضرا يتنازعا في الميراث، بل في ولاية صدقة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أيّهما يتولّاها عمالة لا إرثاً، وعلى هذا كانت الخصومة، فهل يكون جواب ذلك قد علما أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: لا نورث^(٣)؟

وروى أيضاً عن أبي البحتري قال: جاء العباس وعليّ إلى عمر وهما يختصمان، فقال عمر لطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد: أنشدكم بالله أسمعتم رسول الله يقول: كلّ مال نبيّ فهو صدقة إلّا ما أطعمه أهله إنّنا لا نورث؟ فقالوا: نعم. قال: وكان رسول الله يتصدّق به ويقسّم فضله، ثم توفي فوليّه أبو بكر سنتين يصنع فيه ما كان يصنع رسول الله، وأنتم تقولان أنّه كان بذلك خاطئاً، وكان بذلك ظالماً وما كان بذلك راشداً، ثم وليته بعد أبي بكر فقلت لكما: إنّ شئتما قبلتكما

(١) شرح النهج ١٦: ٢٢٦.

(٢) شرح النهج ١٦: ٢٢٦، وأثبتنا ما بين المعقوفين من المصدر.

(٣) المصدر نفسه.

على عمل رسول الله وعهده الذي عهد فيه، فقلتما: نعم، وجئتماني الآن تختصمان يقول هذا أريد نصيبي من ابن أخي، ويقول هذا أريد نصيبي من امرأتي، والله لا أقضي بينكما إلا بذلك^(١).

قلت: وهذا أيضاً مشكل لأن أكثر الروايات أنه لم يرو هذا الخبر إلا أبو بكر وحده، ذكر ذلك أعظم المحدثين حتى أن الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم بالخبر برواية الصحابي الواحد، حيث قال شيخنا أبو علي: لا يقبل في الرواية إلا رواية إثنين كالشهادة.

فخالفه المتكلمون والفقهاء كلهم، واحتجوا بقول رواية أبي بكر وحده (نحن معاصر الأنبياء لا نورث) حتى أن بعض أصحاب أبي علي تكلف لذلك جواباً فقال: قد روى أن أبا بكر يوم حاج فاطمة (عليها السلام) قال: أنشد الله امرء سمع من رسول الله في هذا شيئاً، فروى مالك بن أوس بن الحدثان أنه سمعه من رسول الله، وهذا الحديث السابق ينطق بأنه استشهد عمر طلحة والزبير وعبد الرحمن وسعداً فقالوا: سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأين كانت هذه الروايات أيام أبي بكر، وما نقل أن أحداً من هؤلاء يوم خصومة فاطمة وأبي بكر روى من هذا شيئاً^(٢).

وروى أيضاً عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: سمعت عمر وهو يقول للعباس وعليّ وعبد الرحمن والزبير وطلحة: أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله قال: إنا معاصر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة؟ قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله يدخل في فيئة أهله السنة من صدقاته ثم يجعل ما بقي في بيت المال؟ قالوا: اللهم نعم.

فلما توفي رسول الله قبضها أبو بكر فجئت يا عباس تطلب ميراثك من ابن أخيك، وجئت يا عليّ تطلب ميراث زوجتك من أبيها، وزعمتما أن أبا بكر كان

(١) شرح النهج ١٦: ٢٢٧.

(٢) المصدر نفسه.

فيها خائناً فاجراً، والله لقد كان فيها مطيعاً تابعاً للحق، ثم توفى أبو بكر فقبضتها فجئتما تطلبان ميراثكما، أما أنت يا عباس فتطلب ميراثك من ابن أخيك، وأما عليّ فيطلب ميراث زوجته من أبيها، وزعمتما أنّي فيها خائن وفاجر والله يعلم أنّي فيها مطيع تابع للحق، فأصلحنا أمركما وإلا والله لم ترجع إليكما، فقاما وتركنا الخصومة وامضيت الصدقة^(١).

وعن مالك بنحوه وقال في آخره: فغلب عليّ عباساً عليها، فكانت بيد عليّ (عليه السلام)، ثم بيد الحسن، ثم بيد الحسين، ثم عليّ بن الحسين، ثم الحسن بن الحسن، ثم زيد بن الحسن^(٢).

قلت: وهذا الحديث يدلّ صريحاً على أنّهما جاءا يطلبان الميراث لا الولاية، وهذا من المشكلات لأنّ أبا بكر حسم المادة أولاً وقرّر عند العباس وعليّ وغيرهما أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لا يورث، وكان عمر من المساعدين له على ذلك، فكيف يعود العباس وعليّ بعد وفاة أبي بكر يحاولان أمراً قد كان قد فرغ منه ويئس من حصوله، اللهم إلا أن يكونا ظناً أنّ عمر ينقض قضاء أبي بكر في هذه المسألة، وهذا بعيد لأنّ عليّاً والعباس كانا في هذه المسألة يتهمان عمراً بموالاة أبي بكر على ذلك، ألا تراه يقول: نسبتماني ونسبتما أبا بكر إلى الظلم والخيانة، فكيف يظنّان أنّه ينقض قضاء أبي بكر وتوريثهما؟^(٣).

إنّتهى ما ذكره ابن أبي الحديد من روايات أبي بكر الجوهري مع ما علّقه عليها في بعض الموارد - على ما مرّت إليه الإشارة -.

وهذه الأخبار المذكورة في المقامين نبذة يسيرة من الأخبار الواردة من طرق الخاصة والعامة في المسألتين، وهذه الجملة كافية فيما نحن بصدد من تمهيد المقدمة بذكر ما يحتاج إليه عند بيان مسألتني المخاصمة.

(١) شرح النهج ١٦: ٢٢٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

وإذا عرفت ما مرّت إليه الإشارة فاعلم أنّه لا بد هنا في تنقيح المرام وتوضيح المقام من إيراد فصلين، يتضح في الأوّل منهما مسألة هي من فروع الأصول، وفي الثاني مسألة منحلّة إلى مسألتين من أصول الفروع، يتبيّن بهما حقيقة الحال في هذا المجال، وينكشف عن وجه المرام ستر الإشكال، وإن استبق السلف في هذا الميدان، ولم يقصّروا في التسابق إلى قصب البيان والتبيان، ولم يتركوا مجالاً لجائل ولا مقالاً لقائل، إلّا أنا أيضاً نقتفي على آثارهم، ونقتبس من أنوارهم، ليكون الناظر في كتابنا هذا على بصيرة من حقيقة الحال، خبيراً بما قيل هنا أو يقال من وجوه المقال، وعلى الله أستعين أنّه خير معين.

[الفصل الأوّل]

أما الفصل الأوّل المشتمل على تحقيق الحال في المسألة الأصوليّة، فالكلام فيه مبنيّ على مقدّمات خمسة.

الأوّل: أنّه قد تقرّر بالأدلة العقليّة والنقليّة أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إنّما كان رسولاً صادقاً مصداً أميناً، ما يقول كذباً ولا فنداً، ولا يفترى على الله أبداً، ولقد أقسم الله تعالى بالنجم إذا هوى أنّه: ﴿ما ضلّ صاحبكم وما غوى﴾ وما ينطق عن الهوى * إنّ هو إلّا وحي يوحى ﴿^(١)﴾.

وقال تعالى أيضاً في كتابه المبين في بيان أنّه (صلّى الله عليه وآله) رسول أمين من ربّ العالمين: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثمّ لقطعنا منه الوتين﴾ ^(٢) إلى غير ذلك من الشواهد والأدلة.

فهو (صلّى الله عليه وآله) ما كان يتفوّه بشيء في أحد ممّا يتعلّق بأمر الدنيا أو الآخرة إمّا من جانب نفسه أو من جانب الله سبحانه، إلّا بمقتضى الوحي الذي إليه يوحى لا باتباع النفس وداعية الهوى، وما كان قوله مطلقاً إلّا قول الله، ولا فعله إلّا

(١) النجم: ٢ - ٤.

(٢) الحاقة ٤٤ - ٤٦.

فعل الله، وما كان يشاء شيئاً إلا أن يشاء الله، وهذه المقدمة لا ريب فيها ولا شبهة تعترضا، بل هي ضرورة بدئية عند أهل الشريعة.

الثانية: أنه لا شك في عصمة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ومعصوميتها ٢ وطهارتها من كل معصية ورذيلة، أما عندنا فللأخبار المتواترة من طرق أصحابنا، والإجماع القطعي بل الضرورة، وقد ورد في فضلها (عليها السلام) بخصوصها أو في ضمن أهل بيت العصمة والطهارة ما لا يعد ولا يحصى من الأخبار والآثار حتى صار كالشمس في رابعة النهار، وقد مرّ نبذ منها في مقدمة الكتاب، وهو في الحقيقة فصل الخطاب عند أولي الألباب.

وأما عند العامة فكذلك أيضاً، وقد اتفق أعظمهم وفاقاً لنا على أن آية التطهير الدالة على العصمة والطهارة - الخلقية والخلقية - والنظافة الجبلية الأصلية إنما نزلت في فاطمة وسائر أهل البيت (عليهم السلام) من أهل الكساء، وبيان تفصيل كيفية الاستدلال بها على المدعى محل آخر لا حاجة لنا إليه بل مطلقاً لما أُشير إليه من عدم الكلام في معصوميتها (عليها السلام) بين الأمة^(١).

(١) ولكن مع الأسف الشديد تكلم في الآونة الأخيرة بعض من ليس له تحصيل ولا فضيلة حول عصمة الصديقة الطاهرة الشهيدة (عليها السلام)، وهو وإن لم يمكنه نفي العصمة عنها ولكنه حاول التشكيك فيها ببيانه وبنانه الخاسر، حيث قال: «إنّ العصمة التي تجلّت في الزهراء (عليها السلام) قد أنتجت البيئة والمحيط الايماني الذي عاشت وترعرعت فيه، لأنها كانت بيئة الايمان والطهر والفضيلة والصلاح» وهذا القول يستتبع سؤالات عديدة، فلو عاشت الزهراء (عليها السلام) في غير هذه البيئة وفي محيط ملوث بالرذيلة والموبقات، أو لو عاش غيرها في هذه البيئة بالذات، فماذا سوف يحدث، وهذا القول يستلزم نفي العصمة التكوينية.

ولأجل هذه الشبه تصدّى علماؤنا لاذاحتها، وآفوا في ردّها كتباً ورسائل قيّمة نحو كتاب (الملاحظات) وكتاب (مأساة الزهراء) وغير ذلك.

وأما بالنسبة الى خصوص عصمة الزهراء (عليها السلام) فتكفيها آية التطهير، وهي قوله تعالى: «أنا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» مضافاً الى أحاديث كثيرة وردت في هذا الموضوع نحو ما جاء في زيارتها (عليها السلام): «السلام على البتولة الطاهرة. والصديقة المعصومة» [البحار ١٠٠: ١٩٧]، وأيضاً: «السلام عليك أيّها المعصومة المظلومة» وفيه أيضاً: ←

وروى البخاري وأحمد في الصحيح في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَالَ: الْقُرْبَى هُوَ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنَانِ^(٢).

وروى أنس عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٣) أَنَّهُ قَالَ: فَاوْلَئِكَ الصِّدِّيقُونَ فَأَخِي عَلِيٌّ، وَالشُّهَدَاءُ عَمِّي حَمْزَةُ، وَالصَّالِحُونَ بَنَتِي فَاطِمَةُ وَالْحَسَنَانِ.

→ «... وَصَلَّ عَلَى الْبَتُولِ الطَّاهِرَةِ الصِّدِّيقَةِ الْمَعْصُومَةِ» [البحار ١٠٠: ٢٠٠]. وأيضاً: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى السَّيِّدَةِ الْمَقْصُودَةِ الْكَرِيمَةِ ... الْمَعْصُومَةِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ» [البحار ١٠٢: ٢٢٠]. وما جاء أيضاً في حديث ولادتها حيث قالت النسوة: «خَذِيهَا يَا خَدِيجَةُ طَاهِرَةَ مَعْصُومَةٍ» [العوالم ١١: ٥٩]. وما ورد عن الإمام الباقر (عليها السلام) أَنَّهُ قَالَ: أَنَّمَا سَمَّيْتُ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرَةِ لَطَهَارَتِهَا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ ... [العوالم ١١: ٨٢ عن مصباح الأنوار]. وعنه (عليه السلام) أيضاً قَالَ: الْمَعْصُومُونَ مَتَى خَمْسَةٌ: رَسُولُ اللَّهِ، وَعَلِيٌّ، وَفَاطِمَةُ، وَالْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ (عليهم السلام). [العوالم ١١: ٨٦]. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَيْضاً: مَتَى خَمْسَةٌ مَعْصُومُونَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ هُمْ؟ قَالَ: أَنَا وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ. [العوالم ١١: ٨٦].

هذا غيض من فيض ولو أردنا المزيد لطال بنا المقام، فتلخّص إن عصمتها (عليها السلام) لا ترتبط بالبيئة والجو الحاكم بها ومعاشرتها مع رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فأنّا نرى بعض أزواج رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عشن معه مدّة مديدة من سنين مبكرة ولكن لم تنفعهنّ هذه العشرة، فخالفنّ قوله وخرجنّ لمحاربة وصيّيه وفعلنّ ما فعلن عند دفن الإمام الحسن الزكيّ (عليه السلام)، حتى قال عليّ (عليه السلام) بعد وقعة البصرة: «وَأَمَّا فَلَانَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيِي النَّسَاءَ وَضَفَنَ غِلَافِي صَدْرَهَا كَمَرَجَلِ الْقَيْنِ، وَلَوْ دَعَيْتُ لَتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَى إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ» [نهج البلاغة الخطبة: ١٥٦]، وقال العلّامة المجلسي (رحمه الله) في البحار ٣٢: ٢٤٢ بعد هذا الحديث: «مِنْ أَسْبَابِ حَقِّهَا ... إِكْرَامَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) لِفَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَام) وَحَسَدَهَا عَلَيْهَا».

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) فضائل الصحابة لأحمد: ١٨٧ ح ٢٦٣، العدة: ٤٧ ح ٣٤، والمناقب للمغازلي: ٣٠٧ ح ٣٥٢، وشواهد التنزيل ٢: ١٩٦ ح ٨٢٨، البخاري ٦: ٥٠٢ ح ١٢٤٥ كتاب التفسير. البحار ٢٩: ٣٤١ ح ١٠، ذخائر العقبى: ٢٥، المعجم الكبير ٣: ٣٩ ح ٢٦٤١.

(٣) النساء: ٦٩.

فقام العباس وقال: يا رسول الله ألسنا نحن وأنتم من نبعة واحدة؟ فقال: بلى يا عمّ، ولكن الله خلقني وعلياً وفاطمة والحسين قبل أن يخلق آدم حين لم يكن سماء ولا أرض ولا نور ولا ظلمة، ولا نار ولا جنة - إلى أن قال: - فشق نور فاطمة ففتق من نورها السماوات والأرضين، فهي مخلوقة من نورها ونورها من نور الله سبحانه، فاظلمت الآفاق فضجت الملائكة، فخلق الله تعالى من نور فاطمة قناديل علّقها على العرش فأضاءت السماوات والأرضون، فقالت الملائكة: ربنا لمن هذا النور؟ قال تعالى: هو نور اخترعته من نور جلالي لحبيبي فاطمة بنت حبيبي وزوجة وليي، يا ملائكتي اشهدوا أنني جعلت ثواب تقديسكم وتسيحكم لهذه المرأة وشيعتها ومحبيها إلى يوم القيامة^(١).

وروى البخاري في صحيحه أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني^(٢).

وفي رواية أخرى: يريني ما أرابها، ويؤذيني ما أذاها^(٣).

وفي آخر: من أغضبها أغضبني ومن آذاها آذاني^(٤).

وفي آخر: يسرني ما يسرّها ويفضني ما يفضيها^(٥).

إلى غير ذلك ممّا هو في هذا المعنى، وهو وارد في موارد لا تحصى، بل يمكن أن يقال: لم يخل موطن من المواطن إلّا تكلم (صلى الله عليه وآله) في فاطمة (عليها السلام) بمثل هذا المعنى، وأغلب هذه الأخبار قوله (صلى الله عليه وآله):

(١) تأويل الآيات: ١٤٣، عنه البحار ٣٧: ٨٢ ح ٥٦.

(٢) صحيح البخاري ٥: ٨٣ ح ٢٣٢، وانظر الخصائص للنسائي: ١٢٢ ح ١٣٣، ونظم درر السمطين: ١٧٦، ومصابيح السنة ٤: ١٨٥ ح ٤٧٩٩، وكنز العمال ١٢: ١١٢ ح ٣٤٢٤٤، والفردوس ٣: ١٤٥ ح ٤٣٨٩.

(٣) صحيح مسلم ٧: ١٤٠، سنن الترمذي ٥: ٣٥٩ ح ٣٩٥٩، حلية الأولياء ٢: ٤٠، الصواعق المحرقة: ٢٨٩، كفاية الطالب: ٣٦٥، كنز العمال ١٢: ١١٢ ح ٣٤٢٤٣، إحقاق الحق ١٠: ١٩٠.

(٤) إحقاق الحق ١٠: ٢٠٦، ونظم درر السمطين: ١٧٦.

(٥) إحقاق الحق ١٠: ٢١٦.

فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله^(١).

وروى في جامع الأصول عن صحيح الترمذي، عن زيد بن أرقم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام): أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم^(٢).

وفي رواية أخرى: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم^(٣).
وروى الترمذي في صحيحه عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع يوم عرفة وهو على ناقته القصوا يخطب، فسمعته يقول: إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي^(٤).

وفي رواية أخرى: إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي^(٥).

وروى أيضاً عن زيد بن أرقم أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا وهو كتاب الله وعترتي أهل بيتي، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف

(١) كشف الغمّة ٢: ٩٤، عنه البحار ٤٣: ٥٤، والفصول المهمة لابن صباغ: ١٤٤، ونور الأبصار: ٩٦.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٦٩٩ ح ٣٨٧٠، صحيح ابن ماجه ١: ٥٢ ح ١٤٥، مستدرک الحاكم ٣: ١٤٩، المقتل للخوارزمي: ٦١، جامع الأصول ٩: ١٥٧ ح ٦٧٠٧، اسد الغابة ٦: ٢٢٥ رقم ٧١٧٥، كفاية الطالب: ٣٣١.

(٣) مسند أحمد ١: ٤٤٢، مستدرک الحاكم ٣: ١٤٩، المقتل للخوارزمي: ٩٩، المناقب لابن المغازلي: ٦٣ ح ٩٠، تاريخ بغداد ٧: ١٣٧ رقم ٣٥٨٢، كفاية الطالب: ٣٣١.

(٤) سنن الترمذي ٥: ٦٦٢ ح ٣٧٨٦، جامع الأصول ١: ٢٧٧ ح ٦٥، ينابيع المودة ١: ٩٩ ح ١٢، البحار ٢٩: ٣٤٠ ح ٦.

(٥) كمال الدين: ٢٣٦ ح ٥٣، أمالي الطوسي: ١٦٢ ح ٢٠ مجلس ٦، ينابيع المودة ٣: ٢٩٤ ح ١٤.

تخلّفوني فيها^(١).

وروى أيضاً في المشكاة عن أبي ذر أنّه قال - وهو آخذ بباب الكعبة -: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك^(٢).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الواردة في هذه المعاني وما يشبهها، وقد شحنت بها كتب العامة والخاصة بحيث لم يبق فيها جهة شبهة وإنكار بالمرّة، وبلغت في الكثرة من طرق العامة وحدها بحيث تشعب وتغنى في مقام الخلاف، وتكفي لأهل الإنصاف وغير أهل الإنصاف.

ودلالة جميع ما مرّ على الطهارة والعصمة واضحة، وذلك لا طلاق الطهارة وزوال الرجس الشامل للطهارة الخلقية والخلقية، والقولية والعملية، ولا معنى لجعل مودة ذوي القربى أجر الرسالة مع كونهم من أهل المعصية، والصالح المطلق لا يصدق إلّا مع العصمة، والمعصية تستلزم الحدّ والأذية، فكيف يجوز للحاكم أن يحكم بحدّها؟ فيلزم أن لا تصدر منها المعصية الموجبة للأذية.

ولا معنى للأمر بالتمسك بالعاصي ولا لنجاة من تمسك به، فمع المعصية لا يبقى وجه لأخبار الثقلين، وأخبار السفينة، فثبت أنّها معصومة مطهّرة، ومن أهل القربى الذين أمر الله بمودّتهم وجعلها أجر الرسالة، وأنّها الصالحة والبضعة من النسبي (صلى الله عليه وآله) التي من آذاها فقد آذى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأنّها من الثقل الأصغر الغير المفترق من كتاب الله الذي هو الثقل الأكبر، وأنّها من سفن النجاة التي من تمسك بها نجا، ومن تخلّف عنها هلك. الثالثة: إنّ أبا بكر قد آذى تلك المعصومة المطهّرة التي شهد بطهارتها الله

(١) سنن الترمذي ٥: ٦٦٣ ح ٣٧٨٨، جامع الأصول ١: ٢٧٨ ح ٦٦، ينابيع المودة ١: ٩٩ ح ١٣ البحار ٢٩: ٣٤٠ ح ٧.

(٢) مشكاة المصابيح ٣: ١٧٤٢ ح ٦١٧٤، عنه ينابيع المودة ١: ٩٣ ح ١، وفي المناقب لابن المغازلي: ١٣٢ ح ١٧٣.

سبحانه ورسوله، لأنّه قد أخذ منها فذكاً بالقهر والمغالبة، وكذبها في مطالبتها إياها من باب العطية والنحلة، وطلب منها الشهود على ذلك مع كونها متصرّفة في تلك العطية - كما ستجيء إليها الإشارة - فكذب شهودها الذين أقامتهم في تلك الواقعة. ثمّ كذبها في مطالبة الإرث من جهة أبيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وكفر بآيات الله التي استشهدت (عليها السّلام) بها في أثناء خطبتها الشريفة المذكورة الصادرة من هذا المصدر الأعلى في مقام التظلم والشكاية، فكذب الصديقة الكبرى، وترك مودة أهل القربى، وأذى هذه الصالحة العظمى التي هي بضعة النبي الأوفى، التي من آذاها فقد آذى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وحاربها مع أنّ حربها حرب نبي الله وترك التمسك بالثقل الأصغر والأكبر، وتخلّف عن سفينة النجاة، فضلّ وهلك.

ولا كلام في أنّ إيذاءها (عليها السّلام) إيذاء النبي (صلّى الله عليه وآله)، وإيذاءه إيذاء الله وقد قال تعالى: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾^(١) و﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾^(٢) و﴿إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً﴾^(٣) كما لا كلام في أنّ أبا بكر آذى فاطمة (عليها السّلام) في خصوص فذك على ما مرّ ويجيء، ولم ترض عنه بعد ذلك، وماتت وهي ساخطة عليه.

ولمّا ضاق الخناق في المقام على أهل النفاق، فادعى بعضهم أنّ فاطمة (عليها السّلام) لم تتأذّ من أبي بكر، ولكنّها لم تكن عارفة بحكم المسألة، فلمّا جاءت إلى المسجد وعلمت بالكيفيّة، وسمعت من أبي بكر حديث نفي التورث سكبت ورجعت إلى بيتها، وما تكلمت في خصوص فذك بالمرّة. ولا يخفى العجب من مثل هذا الجاهل البليد بل المتعمّد العنيد، فإنّ

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) التوبة: ٦١.

(٣) الأحزاب: ٥٧.

فاطمة (عليها السلام) بعد أن رجعت من المسجد تغيّرت على عليّ (عليه السلام) بكلمات فظة ذكرت في آخر الخطبة الشريفة السابقة تغيّراً لم يُر مثله منها في مدة عمرها، وتكلّم عليّ (عليه السلام) في جوابها بما يشتمل على نوع من التسلية، وكانت (عليها السلام) تجزع لأجل فذك إلى آخر عمرها.

وما فعلت بالنسبة إلى عليّ (عليه السلام) تلك الجرأة والجسارة مع علمها بأنّه إمام مفترض الطاعة، ولا يليق بمثله هذه المخاطبة من مثلها إلاّ لإبداء شناعة ما فعله أبو بكر من تلك الفعلة الفظيعة على الأمة، وإثبات كفر العمرين كما فعل موسى (عليه السلام) بأخيه من الأخذ بلحيته والضرب على رأسه حتى يعلم القوم شناعة عبادة العجل.

وكيف كانت هي لا تعلم حقيقة المسألة، وهي من معادن النبوة والوحي والرسالة والعصمة والظاهرة، محدثة عالمة بالجفر والجامعة، وكان العمران عالمين بوجه المسألة؟! وهل هذا التمحّل إلاّ عناداً أو مكابرة، مع أنّه كان ذلك الأمر بمخضر عليّ والحسين (عليهم السلام)، فلم لم يعرفوها حكم المسألة، ولم يمنعوها عن الخروج إلى المسجد في محضر الخاصة والعامة؟.

ولو كانت بعد الرجوع ساكتة فما كانت تلك المنازعة مع عليّ (عليه السلام)، والتغيّر في وجهه، والشكاية من القوم إلى الوفاة جازعة في كلّ حال من الحالات، وقد خطب عليّ (عليه السلام) بسبعة أيّام قبل موته خطبة مذكورة في نهج البلاغة، وفيها: (بلى كان في أيدينا فذك من كلّ ما أظلّته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله...) ^(١) إلى آخر الخطبة.

وقد روي في الروايات الكثيرة من طرق العامة والخاصة أنّها أوصت إلى عليّ (عليه السلام) أن يدفنها ليلاً حتى لا يحضر العمران على صلاتها وتشييعها، ولا يعرف قبرها ولا يزورها، كما لم تأذن أن يعوداها في مرضها.

وفي مصباح الأنوار عن الصادق (عليه السلام) قال: دخلت فاطمة (عليها السلام) على أبي بكر فسألته فذكاً، قال أبو بكر: النبي لا يورث، فقالت: قد قال الله تعالى: ﴿وورث سليمان داود﴾^(١) فلماً حاجته أمر أن يكتب لها، وشهد علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأم أيمن.

قال: فخرجت فاطمة (عليها السلام) فاستقبلها عمر فقال: من أين جئت يا بنت رسول الله؟ قالت: من عند أبي بكر من شأن فذك، قد كتب لي بها، فقال عمر: هاتي الكتاب، فأعطته فبصق فيه ومحاه - وساق الحديث إلى قوله: - إلى أن مرضت (عليها السلام)، فجاء يعودانها فلم تأذن لهما، ثم جاء ثانية من الغد فأقسم عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) فأذنت لهما، فدخل عليها وسلمما فردت ضعيفاً ثم قالت: سألتكما بالله الذي لا إله إلا هو أسمعتما رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول في حقّي: من آذاني فاطمة فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله؟ قالوا: اللهم نعم، قالت: فاشهدا أنّكما قد آذيتما^(٢).

وفي رواية أخرى أنّ أسماء بنت عميس قالت: طلبني أبو بكر أن أستاذن له على فاطمة (عليها السلام) يترضيها، فسألته ذلك فأذنت له، فلماً دخل ولّت وجهها الكريم إلى الحائط، فسلم عليها فلم تردّ، ثم أقبل يعتذر إليها ويقول: ارضي عني يا بنت رسول الله، فقالت: يا عتيق اخرج فوالله ما كلمتك حتى ألقى الله ورسوله فأشكوك إليهما^(٣). والأخبار في هذا المعنى كثيرة كما ستأتي إليها الإشارة.

وفي البحار عن عائشة بنت طلحة قالت: دخلت على فاطمة (عليها السلام) فرأيتها باكية، فقلت لها: بأبي أنت وأمي ما الذي يبكيك؟ فقالت لي: أسألتني عن هنة خلّق بها الطائر، وحفي بها السائر، ورفعت إلى السماء أثراً، ورزئت في

(١) النمل: ١٦.

(٢) مصباح الأنوار: ٢٤٦، عنه البحار ٢٩: ١٥٧ ح ٣٢. والعوالم ١١: ٦٣١ ح ٢١.

(٣) مصباح الأنوار: ٢٥٥، عنه البحار ٢٩: ١٥٨ ح ٣٣.

الأرض خيراً، إنَّ قحيف تيم وأخيول عدي جارياً أبا الحسن في السباق، حتى إذا تفرّجاً بالخنق أسرّاه الشنآن، وطوياه الإعلان، فلماً خبا نور الدين، وقبض النبي الأمين، نطقا بفورهما، ونفثا بسورهما، وأدلاً بفدك، فيالها كم من ملك ملك، أنّها عطية الرب الأعلى للنبيّ الأوفى، ولقد نحلنيها للصبيّة السواغب من نجله ونسلي، وأنّها لبعلم الله وشهادة أمينه، فإن انتزعا منّي البلغة، ومنعاني اللمظة فأحتسبها يوم الحشر زلفة، وليجدنّها آكلوها ساعة حميم في لظى جحيم^(١).

قال في البحار: ومن رواياتهم الصحيحة الصريحة في أنّها (عليها السّلام) استمرّت على الغضب حتّى مات ما رواه مسلم^(٢) وأبو داود^(٣) في صحاحهما أنّ فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سألت أبا بكر... بعد وفاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أن يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ممّا أفاء الله عليه، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله قال: لا نورث ما تركناه صدقة، فغضبت فاطمة فهجرته، فلم تزل بذلك حتى توفيت.

وعاشت بعد رسول الله ستة أشهر إلّا ليالياً، وكانت تسأله أن يقسم لها نصيبها ممّا أفاء الله على رسوله من خير وفدك ومن صدقته بالمدينة، فقال أبو بكر: لست بالذي أقسم ذلك، ولست تاركاً شيئاً كان رسول الله يعمل فيها إلّا عملته^(٤). ومثله في جامع الأصول^(٥) وغيره.

وروى ابن أبي الحديد عن داود بن المبارك قال: أتينا عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ونحن راجعون من الحجّ في جماعة، فسألناه عن مسائل وكنت أحد من سأله، فسألته عن أبي بكر وعمر، فقال: سُئل جدي

(١) البحار ٢٩: ١٨٢ ح ٣٨، عن أمالي الطوسي: ٢٠٤ ح ٥٢ مجلس ٧.

(٢) صحيح مسلم ١٢: ٧٦، كتاب الجهاد، حكم الفيء.

(٣) صحيح أبي داود ٣: ١٤٢ ح ٢٩٦٨.

(٤) البحار ٢٩: ٣٢٩.

(٥) جامع الأصول ٩: ٦٣٧ ح ٧٤٢٨.

عبدالله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسألة فقال: كانت أُمِّي صَدِيقَةَ بِنْتِ نَبِيِّ مرسل، فماتت وهي غضبي على قوم، فنحن غضاب لغضبيها فإذا رُضيت رُضينا^(١). وبالجملَة قد تحقّق في صحاحهم من رواياتهم الصحيحة أنّ فاطمة (عليها السّلام) كانت ساخطة عليه إلى أن ماتت.

قال في الأنوار بعد ذكر جملة من أخبارهم في هذا المعنى: ويعجبني نقل مباحثة جرت بين شيخنا البهائي (رحمه الله) وبين عالم من علماء مصر - وهو أعلمهم وأفضلهم -، وقد كان شيخنا البهائي (رحمه الله) يظهر بذلك العالم أنّه على دينه، فقال له: ما تقول الرافضة التي قبلكم في الشيخين؟ فقال البهائي: قد ذكروا لي حديثين فعجزت عن جوابهم، فقال له: ما يقولون؟

قلت: يقولون إنّ مسلماً روى في صحيحه أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من أذى فاطمة فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فقد كفر، وروى أيضاً مسلم بعد هذا الحديث بخمسة أوراق أنّ فاطمة (عليها السّلام) خرجت من الدنيا وهي غاضبة على أبي بكر وعمر، فما أدري ما التوفيق بين هذين الحديثين؟!

فقال له العالم: دعني الليلة أنظر، فلمّا صار الصبح جاء ذلك العالم وقال للبهائي (رحمه الله): ألم أقل لك أنّ الرافضة تكذب في نقل الأحاديث، البارحة طالعت الكتاب فوجدت بين الخبرين أكثر من خمسة أوراق. هذا اعتذاره من معارضة الحديثين، إنتهى^(٢).

وروى ابن أبي الحديد عن فاطمة بنت الحسين (عليه السّلام) قالت: لمّا اشتد بفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الوجع وثقلت في علّتها اجتمع عندها

(١) شرح النهج ١٦: ٢٣٢ وقريب منه ما رواه السيد ابن طاووس (رحمه الله) في الطرائف: ٢٥٢ ح ٣٥١ عن الامام الرضا (عليه السّلام) حيث قال حينما سُئل عن الشيخين: كانت لنا أمّ صالحة ماتت وهي عليهما ساخطة، ولم يأتنا بعد موتها خبر أنّها رُضيت عنهما.

(٢) الأنوار النعمانية ١: ٩٣.

نساء المهاجرين والأنصار، فقلن لها: كيف أصبحت يا بنة رسول الله؟ قالت: والله أصبحت عاتفة لديناكم...^(١) إلى آخر ما سيأتي في بيان حالات مرضها (عليها السلام).

ثم قال ابن أبي الحديد: قلت: هذا الكلام وإن لم يكن فيه ذكر فدك والميراث إلا أنه من تنمة ذلك، وفيه إيضاح لما كان عندها، وبيان لشدة غيظها وغضبها^(٢). وقال أيضاً بعد نقل ما ذكره المرتضى (رحمه الله) في ردّ قاضي القضاة فيما ادّعه من أن فاطمة لما سمعت الخبر عن أبي بكر كفت عن الطلب، لأن طلبها إنما كان من جهة عدم العلم بصدور الرواية، فلما علمت به سكنت فأصابته أولاً وأصابته ثانياً ممّا تمسك به المرتضى (رحمه الله) في ردّه من الخبر المشتمل على جملة من الخطبة الصادرة عنها المشتملة على التظلم والشكاية مع كلام آخر في المرحلة: قلت: ليس في هذا الخبر ما يدلّ على فساد ما ادّعه قاضي القضاة، لأنّه ادّعى أنّها نازعت وخاصمت، ثمّ كفت لما سمعت الرواية وانصرفت تاركة للنزاع راضية بموجب الأخبار.

وما ذكره المرتضى من هذا الكلام لا يدلّ إلا على سخطها حال حضورها، ولا يدلّ على أنّها بعد رواية الخبر، وبعد أن أقسم لها أبو بكر بالله تعالى أنّه ما روى عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلا ما سمع منه، انصرفت ساخطة، ولا في الحديث المذكور والكلام المروي ما يدلّ على ذلك، ولست أعتقد أنّها انصرفت راضية كما قال قاضي القضاة، بل أعلم أنّها انصرفت ساخطة وماتت وهي على أبي بكر واجدة، ولكن لا من هذا الخبر بل أخبار آخر، كان الأولى بالمرتضى أن يحتجّ بها على ما يرويه في انصرافها ساخطة وموتها على ذلك السخط، وأمّا هذا الخبر وهذا الكلام فلا يدلّ على هذا المطلوب^(٣).

(١) شرح النهج ١٦: ٢٣٣.

(٢) شرح النهج ١٦: ٢٣٤.

(٣) شرح النهج ١٦: ٢٥٣.

الرابعة: ذكر الفاضل المجلسي (رحمه الله): إن المخالفين رَوَوْا في صحاحهم أخباراً كثيرة في أنَّ من خالف الإمام وخرج من طاعته، وفارق الجماعة، ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليَّة.

وروى في جامع الأصول من صحيح مسلم والنسائي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله) من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهليَّة^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما، وروى في جامع الأصول أيضاً عنهما عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صَلَّى الله عليه وآله): من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنَّه من خرج من طاعة السلطان شبراً مات ميتة جاهليَّة^(٢). وفي رواية أخرى: فليصبر فإنَّ من فارق الجماعة شبراً فمات مات ميتة جاهليَّة^(٣).

وروي في صحيح مسلم وجامع الأصول أيضاً عن نافع قال: لما خلَعُوا يزيد واجتمعوا على ابن مطيع أتاه ابن عمر، فقال عبدالله: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال له عبدالله بن عمر: إنِّي لم آتِكَ لأجلس، أتيتكَ لأحدِّثكَ حديثاً سمعته من رسول الله يقول: من خلَعَ يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حِجَّةَ له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليَّة^(٤).

وأما من طرق أصحابنا فالأخبار فيه أكثر من أن تُحصى، وستأتي في مظانها، فنقول: لا أظنَّك ترتاب بعد ما أسلفناه من الروايات المنقولة من طريق المخالف

(١) جامع الأصول ٤: ٧٠ ح ٢٠٥٣، عن صحيح مسلم ١٢: ٢٣٩ كتاب الإمارة، وصحيح النسائي ٧: ١٢٣.

(٢) صحيح البخاري ٩: ٧٠٢ ح ١٩٦٢، كتاب الأحكام، صحيح مسلم ١٢: ٢٤٠ كتاب الإمارة، جامع الأصول ٤: ٦٩ ح ٢٠٥٢.

(٣) صحيح مسلم ١٢: ٢٤٠ كتاب الإمارة.

(٤) صحيح مسلم ١٢: ٢٤٠ كتاب الإمارة، جامع الأصول ٤: ٧٨ ح ٢٠٦٤.

والمؤلف في أن فاطمة (عليها السلام) كانت ساخطة عليهم، حاكمة بكفرهم وضلالهم، غير مذعنة بإمامتهم ولا مطيعة لهم، وأنها قد استمرت على تلك الحالة حتى سبقت إلى كرامة الله ورضوانه.

فمن قال بامامة أبي بكر لا محيص له عن القول بأن سيدة نساء العالمين، ومن ظهرها الله في كتابه من كل رجس، وقال النبي (صلى الله عليه وآله) في فضلها ما قال، قد ماتت ميتة جاهليّة وميتة كفر وضلال ونفاق، ولا أظنّ ملحدًا أو زنديقًا يرضى بهذا القول الشنيع، انتهى^(١).

مع أنه قد ثبت سابقاً بالآيات والأخبار والإجماع والضرورة كونها (عليها السلام) معصومة مطهرة البتة.

وما جرى في قصّة فذك، وصدر عنها من الإنكار على أبي بكر، ومجاهرتها بالحكم بكفره وكفر طائفة من الصحابة وفسقهم تصرّيحاً وتلويحاً، وتظلمها وغضبها على أبي بكر، وهجرتها وترك كلامها حتى ماتت، لو كانت معصية على خلاف الشريعة لكانت من المعاصي الظاهرة التي قد أعلنت بها على رؤوس الأشهاد، وأيّ ذنب أظهر وأفحش من مثل هذا الرد والإنكار على الخليفة المفترض الطاعة على العالمين بزعمهم.

فلا محيص لهم عن القول ببطلان خلافة خليفتهم المنسوب بإختيار بعض فسقة الأمة تبعاً لأغراضهم الفاسده وأهوائهم الكاسدة، تحرّراً عن إسناد هذه المعصية الكبرى إلى سيدة النساء، فظهر من المقدّمين بطلان دعوى أبي بكر في فذك والخلافة، وأنّه لم يكن له حق فيهما ولو قدر قلامه.

الخامسة: قد ثبت بالأخبار المتظافرة عند الفريقين أن عليّاً (عليه السلام) لا يفارق الحقّ والحقّ لا يفارقه بل يدور معه حيثما دار، وأنّه الفاروق بين الحقّ والباطل، وإنّ من اتبعه اتبع الحقّ ومن تركه ترك الحقّ، وقد اعترف أعظم العامة

كابن أبي الحديد وغيره بصحة هذا الخبر.

وروى ابن بطريق عن السمعاني في كتاب فضائل الصحابة بإسناده عن عائشة قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض^(١).

وروى ابن شيرويه الديلمي في الفردوس بإسناد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): رحم الله عليّاً، اللهم أدر الحقّ معه حيثما دار^(٢).

وروى في كشف الغمة والمناقب وغيرهما أخباراً كثيرة من كتب المخالفين في ذلك، مضافة إلى الأخبار الأخر في المقامات الأخر من كون عليّ (عليه السلام) أفضى الناس، وأعلمهم، وأتقاهم، وأفضلهم إلى غير ذلك ممّا ملأ الخافقين، ورفع الشبهة عن البين.

ولا ريب على من له أدنى تتبّع في الآثار، وتنزّل قليلاً عن درجة التعصّب والإنكار في أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يرى فداكاً حقّاً لفاطمة (عليها السلام)، وقد اعترف بذلك جلّ أهل الخلاف، ورووا أنّه شهد لها في ذلك بل خاصم مع أبي بكر وعمر هنالك، ولذلك تراهم يجيئون تارة بعدم قبول شهادة الزوج، وتارة بأنّ أبا بكر لم يمض شهادة عليّ (عليه السلام) لأنّه يجزّ النفع إلى نفسه، وشهادة أمّ أيمن لقصورها عن نصاب الشهادة.

فهل يشك عاقل في حقيقة دعوى كان المدعي فيها سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين باتفاق المخالفين والمؤلفين، مع اتصافها بالفضائل الغير المحصورة التي ملئت منها صحائف الأولين، والشاهد لها أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي قال فيه سيد المرسلين ما قال، ممّا أشرنا إليه في هذا المجال من عدم مفارقتة الحقّ وملازمة الحقّ معه، إلى غير ذلك من الفضائل الجمة التي مرّ

(١) راجع البحار ٢٩: ٣٤٣ ح ١١.

(٢) الفردوس ٢: ٣٩٠ ح ٣٠٥، عنه البحار ٢٩: ٣٤٣ ح ١٢.

نبد يسير منها في تلك المرحلة، على أنه قد تقرّر عند الخاصة والعامة قوله (صلّى الله عليه وآله): (أقضاكم عليّ)^(١) مع قطع النظر في سائر فضائله الماثورة، وعلم القاضي حجة فليس لغير القاضي أن يطلب بالشهادة وبعد الشهادة يردّ شهادته.

[الفصل الثاني]

وأما الفصل الثاني المشتمل على تحقيق الحال في المسألة الفرعية، فالكلام فيه مبني على تحقيق مسألتين من المسائل الفقهيّة، وهما مسألتا دعوى الزهراء (عليها السلام) فدكاً من باب النحلة، ثم دعواها كونها إرثاً لها من أبيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، في ضمن هذا التحقيق يتحقّق عند كلّ أحد ممّن له أدنى دربة من الخاصة والعامة أنّ فاطمة (عليها السلام) كانت محقّة في دعوى فذك البتة حينئذٍ، وأنّها كانت لها مختصة بها إمّا على سبيل النحلة والعطيّة، أو على سبيل الارثيّة.

وانّ أبا بكر كان غاصباً حقّها ظالماً لها، وأنّه ما كان عارفاً بالمسائل الشرعيّة، وأنّ طلبه البيّنة من الزهراء (عليها السلام) كان غلطاً من جهة الأصول والقواعد الفرعيّة، وأنّه ما كان يعرف الفرق بين المدّعي والمنكر، وإنّ جرحه شهود الزهراء (عليها السلام) بما جرح مثل طلبه منها البيّنة، وكذا نقله الرواية التي تمسّك بها في نفي تورث الأنساء، وإنّ كلّ ذلك لم يكن له وجه بالمرّة.

فنقول: إعلم أنّه قد تبين ممّا ذكر من الأخبار والروايات، والخطب والإحتجاجات المذكورة في أمر فذك، وادعاء فاطمة (عليها السلام) لها أنّه كان لفاطمة فيها دعويان:

أولاهما وهي الدعوى الحقيقيّة أنّ فذك كانت نحلة وعطيّة لها من قبل أبيها في حال حياته، وكانت في تصرّفها وقبضها، وكان فيها وكيلها حتى أخرجه

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ١٨، محاضرات الأدباء ٤: ٤٧٩، والبحار ٤٠: ٨٧.

أبو بكر منها يوم تصدّى لأمر الخلافة وغصبها.

ثانيهما وهي الدعوى الصوريّة الصادرة على سبيل التنزّل عن الدعوى الأولى من باب المماشاة مع الخصم وتبكيته في المرحلة الثانية، أنّها كانت إرثاً لها من أبيها ولم يكن له وارث غيرها، فلا بدّ حينئذٍ أن تكون فدك لها أمّا من باب النحلة والعطيّة أو من باب الإرث البتة.

وذكر بعضهم: إنّ دعوى النحلة كانت متأخّرة عن دعوى الإرث، وإنّ فاطمة (عليها السّلام) قالت في تحرير دعواها أولاً أنّ فدكاً ملكي وإرثي وهي في تصرّفي، فتمسّك أبو بكر برواية الصدقة، فقالت (عليها السّلام): فعليك يا أبا بكر أن تثبّت حديث الصدقة، فلمّا أصرّ أبو بكر على الإلتزام برواية الصدقة قالت فاطمة (عليها السّلام): أنّه لو كانت رواية الصدقة أيضاً صحيحة ففدك لم تكن تركة، لأنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) وهبها لي وأعطاني بذلك وثيقة.

فطلب حينئذٍ أبو بكر البيّنة، فلمّا أتت (عليها السّلام) بشهودها مع كونها صادقة مصدّقة، مطهّرة من الكذب وغيره من الرذائل القوليّة والفعليّة والطبيعيّة بشهادة الله تعالى في آية التطهير، وشهادة رسوله البشير النذير، ومن أصدق من الله ورسوله قبلاً، ومن أصدق منهما حديثاً، ردّ أبو بكر حينئذٍ الشهود، وجرحهم بما ليس منه في الشريعة عين ولا أثر على ما سيذكر.

ولا يخفى أنّ هذا ضعيف جدّاً بل باطل بلا كلام لوجوه كثيرة لا يناسب ذكرها المقام، ولا حاجة إليه بعد وضوح المرام، كما لا يخفى لأولى الأفهام. وفي شرح ابن أبي الحديد أنّه قد ذهب أبو عليّ من العامة إلى أنّ دعوى الإرث كانت متقدّمة على دعوى النحلة، وتعجّب منه المرتضى (رحمه الله) وقال: إنّنا لا نعرف له غرضاً في ذلك، لأنّه لا يصح له بذلك مذهب ولا يبطل على مخالفه مذهب.

ثم قال الشارح المزبور: والمرتضى لم يقف على مراد الشيخ أبي عليّ في ذلك، وهذا شيء يرجع إلى أصول الفقه، فإنّ أصحابنا استدّلوا على جواز

تخصيص الكتاب بخبر الواحد باجماع، لأنهم أجمعوا على تخصيص قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(١) برواية أبي بكر عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: لا نورث ما تركناه صدقة.

قالوا: والصحيح في الخبر أن فاطمة (عليها السلام) طالبت بعد ذلك بالنحلة لا بالميراث، فهذا قال الشيخ أبو علي أن دعوى الميراث تقدّمت على دعوى النحلة، وذلك لأنه قد ثبت أن فاطمة (عليها السلام) انصرفت عن ذلك المجلس غير راضية ولا موافقة لأبي بكر، فلو كانت دعوى الإرث متأخرة وانصرفت عن سخط لم يثبت الإجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد، أما إذا كانت دعوى الإرث متقدمة فلمّا روى لها الخبر سكنت وانتقلت إلى النزاع من جهة أخرى، فإنّه يصحّ حينئذٍ الاستدلال بالإجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد.

فأما أنا فالأخبار عندي متعارضة، يدلّ بعضها على أن دعوى الإرث متأخرة، ويدلّ بعضها على أنها متقدمة، وأنا في هذا الموضع متوقّف، وما ذكره المرتضى من أن الحال تقتضي أن تكون البداية بدعوى النحلة صحيح، إنتهى^(٢). وعلى أيّ حال فالحقّ الظاهر في المجال - كما لا يخفى لمن تتبّع الأخبار، وجاس خلال تلك الديار - هو تقدّم دعوى العطيّة لصحّة وقوع تلك القضية وإن كان تأخرها لا ينفع للخصم شيئاً في المرحلة ممّا هو مقصود الإثبات في المرحلة من ظلم أبي بكر لهذه المعصومة المظلومة.

أما الدعوى الأولى: وهي أن فدك كانت حلة لها من أبيها، فهي مبتنية على بيان مقدّمتين:

الأولى: أن فدكاً كانت مختصّة برسول الله (صلى الله عليه وآله) دون المسلمين لأنّه ممّا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وإنّما هي ممّا أفاء الله على رسوله، وكلّما كان كذلك يكون للرسول (صلى الله عليه وآله) خاصة، وهذا النزاع فيه بين

(١) النساء: ١١.

(٢) شرح النهج ٦: ٢٨٥.

الخاصة والعامة.

وروى في جامع الأصول ممّا أخرجه عن صحيح أبي داود عن عمر قال: إنّ أموال بني النضير ممّا أفاء الله على رسوله ممّا لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) خاصة، قرئ عرينة وفداك وكذا وكذا، ينفق على أهله نفقة سنتهم ثم يجعل ما بقي في السلاح والكرّاع عدّة في سبيل الله، وتلى قوله تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى...﴾ (١)(٢).

وروى أيضاً عن مالك بن أوس قال: كان فيما احتجّ عمر أن قال: كانت لرسول الله ثلاث صفايا: بنو النضير، وخيبر، وفداك... (٣).

وروى ابن أبي الحديد في شرح كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف، عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عن الزهري قال: بقيت بقية من أهل خيبر تحصّنوا، فسألوا رسول الله أن يحقن دماءهم ويسيرهم، ففعل ذلك فسمع أهل فداك فنزلوا على مثل ذلك، فكانت للنبي (صلى الله عليه وآله) خاصة لأنّه لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب (٤).

وروى عنه أيضاً أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما فرغ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فداك، فبعثوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصلحونه على النصف من ذلك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر أو بالطريق أو بعد ما قدم المدينة فقبل ذلك منهم، فكانت فداك لرسول الله (صلى الله عليه وآله) خاصة لأنّه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، قال: وقد روي أنّه صالحهم عليها كلّها، والله

(١) الحشر: ٧.

(٢) جامع الأصول ٢: ٧٠٧ ح ١٢٠٢، عن سنن أبي داود ٣: ١٤١ ح ٢٩٦٥، وفي البحار ٢٩: ٣٤٨ ح ٢٢.

(٣) جامع الأصول ٢: ٧٠٦ ح ١٢٠٢، عن سنن أبي داود ٣: ١٤١ ح ٢٩٦٧، وفي البحار ٢٩: ٣٤٨ ح ٢٣.

(٤) شرح النهج ١٦: ٢١٠، عنه البحار ٢٩: ٣٤٨ ح ٢٤.

أعلم أيّ الأمرين، إنتهى^(١). وقد مرّ اعتراف عمر بذلك في تنازع عليّ والعباس. قال الفاضل المجلسي: ولم نجد أحداً من المخالفين أنكر كون فذك خالصة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في حياته، ولا أحداً من الأصحاب طعن على أبي بكر بانكاره ذلك مع أنّ ذلك إجماعي للمخالف والمؤلف، إذ القائل بأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يصرف شيئاً من غلّة فذك وغيرها من الصفايا في بعض مصالح المسلمين، لم يقل بأنّها لم تكن للرسول (صلى الله عليه وآله)، بل قال بأنّه فعل ذلك على وجه التفضّل وابتغاء مرضاة الله تعالى^(٢).

وبالجملة هذه المقدمة مسلّمة مشهورة، وقد مرّ جملة من الأخبار المتعلقة بذلك قبل الشروع في شرح الخطبة الشريفة.

الثانية: إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) أعطى فذكاً لفاطمة (عليها السلام) في حياته من باب النحلة والعطية، لأنّه مضافاً إلى عدم الخلاف في أنّها (عليها السلام) ادعت النحلة مع عصمتها الثابتة بالأدلة، وشهد لها من ثبتت عصمته أيضاً بالأدلة مثل عليّ (عليه السلام)، والمعصوم لا يدّعي إلّا الحق ولا يشهد إلّا بالحق، ويدور معه الحقّ حيثما تحقق، قد ورد في الروايات الكثيرة في قوله تعالى: ﴿فَاتَا الْقَرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(٣) أنّه لما نزلت هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ادعوا لي فاطمة، فدُعيت له فقال: يا فاطمة! قالت: لبيك يا رسول الله، فقال (صلى الله عليه وآله): فذك هي ممّا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وهي لي خاصة دون المسلمين، وقد جعلتها لك لما أمرني الله به فخذيه لك ولولدك^(٤).

وقد مرّ قبل شرح الخطبة في مقام بيان فتح فذك أخبار كثيرة في هذا المعنى،

(١) المصدر نفسه.

(٢) البحار ٢٩: ٣٥٠.

(٣) الروم: ٣٨.

(٤) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١: ٤٥٢ ح ١٨٤ باب ٤٥، عنه البحار ٢٩: ١٠٥ ح ١، وتفسير

الصافي ٣: ١٨٦، والبرهان ٢: ٤١٥، والعوالم ١١: ٦١٩ ح ٢٠.

مثل أنه لما فتح فذك نزل جبرئيل بالآية، فسأله النبي (صلى الله عليه وآله) من ذو القربى وما حقّه؟ قال: أعط فاطمة فذكاً^(١).

وفي بعضها أنّها ميراثها أي بدل ميراثها من أمّها خديجة واختها هند بنت أبي هالة، فرجع (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة وطلب فاطمة وكتب الوثيقة بذلك وأعطاهما إياها^(٢).

وفي بعضها أنّ ذا القربى فاطمة وحقّها فذك، وفي بعضها قال جبرئيل: ذو القربى أقاربك، فدعا فاطمة والحسين (عليهم السّلام) فأعطاهم فذكاً^(٣)، إلى غير ذلك من الأخبار المختلفة لفظاً والمتقاربة معنى.

وعن مهدي بن نزار الحسني بالإسناد عن أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت الآية - أي قوله تعالى: (فآت ذا القربى حقّه) - أعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة فذكاً^(٤).

وعن عبد الرحمن بن صالح: كتب المأمون إلى عبيد الله بن موسى يسأله عن قصّة فذك؟ فكتب إليه عبيد الله بهذا الحديث، رواه عن المفضل بن مرزوق عن عطية، فردّ المأمون فذك على ولد فاطمة (عليها السّلام)^(٥).

وقال الفاضل في البحار: نزول الآية في فذك رواه كثير من المفسّرين، ووردت به الأخبار من طرق الخاصة والعامة^(٦).

قال الطبرسي في التفسير: قيل أنّ المراد قرابة الرسول، وعن السدي قال: إنّ

(١) البحار ٢٩: ١١٨ ح ١١ عن المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٤٢.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٤٢، عنه البحار ٢٩: ١١٨ ح ١١، وفي الخرائج ١: ١١٣ ح ١٨٧.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٢٨٧ ح ٤٦، عنه البحار ٢٩: ١١٩ ح ١٣، وتفسير الصافي ٣: ١٨٧، والبرهان ٢: ٤١٥.

(٤) مجمع البيان سورة الإسراء، عنه البحار ٢٩: ١٠٧.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) البحار ٢٩: ١٠٦.

علي بن الحسين (عليه السلام) قال لرجل من أهل الشام حين بعث به عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أما قرأت قوله تعالى: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾^(١)؟ قال: وأتكم ذو القربى الذي أمر الله أن يؤتى حقه؟ قال: نعم، وهو الذي رواه أصحابنا عن الصادقين (عليهما السلام)^(٢).

وروى مسلم والبخاري في صحيحهما، وأحمد عن مسنده، عن ابن عباس قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٣)، قالوا: يا رسول الله من قرابتك الذين وجب الله علينا مودتهم؟ قال (صلى الله عليه وآله): علي وفاطمة وابناهما^(٤).

وورد أيضاً أن المسكين وابن السبيل في قوله تعالى: ﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾^(٥) هما من ولد فاطمة (عليها السلام)^(٦).

وقد مرّ قبل الخطبة أيضاً تفصيله، وإن في ذلك أيضاً نزل قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٧).

وروى ابن بابويه مرفوعاً إلى أبي سعيد الخدري قال: لما نزلت ﴿فَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة لك فذك^(٨).

وفي رواية أخرى عن أبي سعيد مثله.

(١) الإسراء: ٢٦.

(٢) مجمع البيان سورة الإسراء، عنه البحار ٢٩: ١٠٧.

(٣) الشورى: ٢٣.

(٤) صحيح البخاري كتاب الوصايا، صحيح مسلم كتاب الجهاد، مسند أحمد ١: ٢٤٨ - ٢٩٤ - ٣٢٠.

فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ١٨٧ ح ٢٦٣، البحار ٢٩: ٣٤١ ح ١٠، وفي ذخائر العقبى: ٢٥

والمعجم الكبير ٣: ٣٩ ح ٢٦٤١، شواهد التنزيل ٢: ١٩٦ ح ٨٢٨، المناقب لابن المغازلي: ٣٠٧

ح ٣٥٢.

(٥) الإسراء: ٢٦.

(٦) تفسير القمي ١٨: ١٨، عنه البحار ٢٩: ١١٣ ح ٨.

(٧) الحشر: ٧.

(٨) كشف الغمة ٢: ١٠٥، عنه البحار ٢٩: ٢٠٥.

وعن عطية قال: لَمَّا نزلت ﴿فَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة فأعطاهها فدكاً^(١).

وعن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: أقطع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة فدكاً^(٢).

وفي البحار عن أبان بن تغلب، عن الصادق (عليه السلام) قال: قلت له: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعطى فاطمة فدكاً؟ قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقفها فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ فأعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قلت: رسول الله أعطاه؟ قال: بل الله تبارك وتعالى أعطاه^(٣).

قال في كشف الغمة: وقد تضافرت الروايات من طرق أصحابنا بذلك، وثبت أن ذا القربى علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)^(٤).

وفي بعض الأخبار أنه لَمَّا أعطى النبي (صلى الله عليه وآله) فدكاً فاطمة قال: هذه خاصة لك ولذريتك، وكتب بذلك وثيقة وشهد على ذلك علي (عليه السلام) ومولى لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأم أيمن التي شهد النبي (صلى الله عليه وآله) فيها بأن أم أيمن امرأة من أهل الجنة^(٥).

وفي بعضها أن أسماء بنت عميس أيضاً كانت من الشهود، فقالت فاطمة (عليها السلام): لست أحدث فيها حدثاً وأنت حي، أنت أولى بي من نفسي ومالي لك، فقال (صلى الله عليه وآله): أكره أن يجعلوها عليك سبة فيمنعوك إياها من بعدي، فقالت: انفذ فيها أمرك، فجمع النبي (صلى الله عليه وآله) الناس إلى منزلها

(١) كشف الغمة ٢: ١٠٥، عنه البحار ٢٩: ٢٠٥، وفي مجمع البيان سورة الإسراء.

(٢) كشف الغمة ٢: ١٠٥، عنه البحار ٢٩: ٢٠٥.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الخرائج ١: ١١٣ ح ١٨٧، عنه البحار ٢٩: ١١٦ ح ١٠.

وأخبرهم أن هذا المال لها...^(١).

قال بعض الأفاضل: السُّبَّة - بالضم - الواردة في الخبر بمعنى العار أي يمنعونها منك فتكون عاراً عليك، ويمكن أن تكون النسخة شبهة ونحوها، قيل كذا^(٢).

وعن جميل بن درّاج عن الصادق (عليه السلام) قال: أتت فاطمة (عليها السلام) أبا بكر تريد فذك، فقال: هاتي أسود أو أحمر يشهد بذلك، قال: فأنت بأُمّ أيمن، فقال لها: بم تشهدين؟ قالت: أشهد أن جبرئيل أتى محمداً (صلى الله عليه وآله) فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿فَاتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ فلم يدر محمداً (صلى الله عليه وآله) من هم، فقال: يا جبرئيل سل ربك عنهم، فقال: فاطمة ذو القربى، فأعطاها فذكاً، فكتب أبو بكر بذلك صحيفة وأعطاها إياها، وعمر أخذ الصحيفة ومحاها أو مزّقها، إلى غير ذلك^(٣).

وبالجملة كون فذك نحلة لفاطمة من أبيها بين الحال واضح بلا إشكال حتى ملؤوا منه الطوامير، وسطروا فيه الأساطير، وهو الظاهر من الخطب والاحتجاجات، وما ورد في ذلك من الأخبار والروايات بل هو من الآيات البينات.

وأمّا جواب أبي بكر في مقابل هذه الدعوى الثابتة بالحجة الواضحة، فهو أنه طلب منها الشهود على تلك المقدمة، ثم جرحهم هو أو عمر بما مرّت إليه الإشارة، ويردّه أنه جواب ساقط عن الأنظار، هابط عن درجة الاعتبار، إذ تقرّر على ما مرّ من الأخبار أن فذكاً كانت ملكاً مختصاً برسول الله (صلى الله عليه وآله) بإجماع المخالف والمؤلف - على ما مرّت إليه الإشارة - خلافاً لنادر المخالفين حيث أنكروا كون فذك ملكاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وجعل صرفه بعض منافعها

(١) المناقب لابن شهر آشوب ١: ١٤٢، عنه البحار ٢٩: ١١٨ ح ١١.

(٢) البحار ٢٩: ١١٨.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٢٨٧ ح ٤٩، عنه البحار ٢٩: ١٢٠ ح ١٦، والبرهان ٢: ٤١٥.

في سبيل الله قرينة على كونها فيء المسلمين، وهو مردود بالإجماع والآية. وظاهر الحال أنه أنكر ذلك دفعاً لصحة النحلة، ولم يعلم أن تلك الدعوى منافرة لطلب أبي بكر منها الشهود على النحلة، وادّعى بعضهم الإجماع على أن الصرف المذكور إنما كان على سبيل التبرّع والحسبة، لا لأنها صدقة مطلقة، وقد مرّ عدم الإشكال في أنها كانت خاصة برسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد أعطاه لفاطمة (عليها السلام) وأقبضها إياها، وكانت في تصرف وكيلها. وقد ادّعتها فاطمة (عليها السلام) بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) على وجه الإستحقاق، وشهد المعصوم وغيره بذلك، فإن كانت الهبة قبل القبض تبطل بموت الواهب كما هو المشهور فقد ثبت القبض، وإلا فلا حاجة إليه في إثبات المدعى.

وقد مرّ من الأخبار الدالة على نحلتها وأنها كانت في يدها ما يزيد على كفاية المنصف بل يسدّ إنكار المتعسف، ويدلّ على ذلك أيضاً ما ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتابه إلى عثمان بن حنيف حيث قال: (بلى كانت في أيدينا فذك من كلّ ما أظنّته السماء، فشخت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين)^(١). وحينئذٍ فكيف كان أبو بكر يطلب البيّنة من المتصرّف المنكر، وإنما كانت البيّنة وظيفة أبي بكر، ومن القواعد الضرورية الشرعية الواضحة عند جميع أهل الملّة التي يحكم على منكرها بالكفر والضلالة أن البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر.

وفي بعض الروايات أنه في مجلس دعوى العطيّة تمسّك أولاً برواية نفي توريث الأنبياء - على ما مرّت غير مرّة - فلمّا تمسّكت فاطمة (عليها السلام) بالآيات الدالة على توريث الأنبياء ردّها له عدل إلى طلب البيّنة، فبعد كون قول أبي بكر مردوداً حينئذٍ في نفي التوريث وثبوت الإرث، فلم يكن معنى لطلب البيّنة إذ كان فذك حينئذٍ لفاطمة (عليها السلام) إمّا إرثاً أو عطيةً، فكان على أبي بكر - على

تقدير دعواها الإرث - أن يثبت تلك الرواية التي رواها، لا أن يطلب البيّنة مطلقاً وفي مقابل دعوى النحلة والعطية، وبعد إقامة فاطمة الشهود على المسألة.

فما ذكروا في جرحهم لم يكن جرحاً في الشريعة، فإنّ الزوجيّة والابنيّة والخدمة ونحو ذلك ليست من أسباب الجرح وأيّ دليل على ذلك، مع أنّ عليّاً (عليه السّلام) ذكر في الاحتجاج المنقول عن كشكول العلّامة (رحمه الله) ما هو تعديل لهؤلاء، كما قال (عليه السّلام) في مقابل جرحهم:

«أمّا فاطمة فبضعة من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ومن آذاها فقد آذى رسول الله ومن كذّبها فقد كذّب رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وأمّا الحسنان فابنا رسول الله، وسيّدا شباب أهل الجنّة، من كذّبهما فقد كذّب رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وأمّا أنا فقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أنت منّي وأنا منك، وأنت أخي في الدنيا والآخرة، والراد عليك هو الراد عليّ، من أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني، وأمّا أمّ أيمن فقد شهد لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالجنة، ودعا لإسماء بنت عMISS وذريّتها».

فقال عمر: أنتم كما وصفتم أنفسكم ولكن شهادة الجارّ إلى نفسه لا تقبل، فقال علي (عليه السّلام): إذا كنّا نحن كما تعرفون ولا تنكرون، وشهادتنا لأنفسنا لا تقبل وشهادة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لا تقبل، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون^(١). مضافاً إلى أنّ قوله: (شهادة الجارّ إلى نفسه لا تقبل) مردود عليه في نقل أبي بكر الرواية الآتية التي مرّت إليها الإشارة أيضاً، فإنّ المنافع المرتبة على صحّة الرواية بالنسبة إلى الخليفة، حيث كان يحصل له بها البسطة والأمر والنهي واستحكام الخلافة، كانت أقوى بمراتب من المنافع الملحوظة لبعض شهود فاطمة (عليها السّلام)، ولم يكن للبعض الآخر نفع بالمرّة، فالتهمة في جانب أبي بكر أقوى من تلك التهمة، ولهذا لا تقبل شهادة الوصي فيما يتعلّق بأمر الوصاية،

(١) الكشكول للسيد حيدر الآملي: ٢٠٥، عنه البحار ٢٩: ١٩٨ ح ٤٠.

والوكيل فيما يتعلّق بأمر الوكالة.

فإذا بطل الجرح - كما أُشير إليه - فيرد عليه حينئذٍ سيّما بلحاظ ما قال: (لو كان لك امرأة أخرى لنظرنا) ونحو هذا ما ذكره شريك - كما في الفتن - حيث قال شريك: كان يجب على أبي بكر أن يعمل مع فاطمة بموجب الشرع، وأقلّ ما يجب عليه أن يستحلفها على دعواها أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعطاني فدكاً في حياته، فإنّ عليّاً (عليه السلام) وأمّ أيمن شهدا لها وبقي ربع الشهادة، فردّها بعد الشاهدين لا وجه له، فإمّا أن يصدّقها أو يستحلفها ويمضي الحكم لها، قال شريك: الله المستعان من مثل هذا الأمر يجهله أو يتعمّده، إنتهى^(١).

بل أصل طلب البيّنة أيضاً لم تكن إلّا للجهالة أو العداوة، وأيضاً لا خلاف في أنّها (عليها السلام) ادعت النحلة مع عصمتها الثابتة بالأدلة المتقدّمة، والمعصوم إذا ادعى شيئاً فلا بدّ أن يسلمّ البتة.

واعتذر بعض المخالفين هنا من قبل أبي بكر أولاً بمنع عصمتها، ويردّه ما مرّ من الأدلّة، وثانياً بأنّه ليس للحاكم أن يحكم بمجرد دعوى المعصوم وإن تيقّن صدقه، ويردّه ما دلّ على أنّ الحاكم يحكم بعلمه البتة، مع أنّه اتفقت الخاصة والعامة على رواية قصة خزيمة بن ثابت وتسميته بذّي الشهادتين لما شهد النبي (صلى الله عليه وآله) بدعواه ردّ قيمة الإبل الذي اشتراه من رجل فادعى الرجل عدم وصول قيمته، وقال خزيمة: أنا أشهد بذلك، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): من أين علم وما حضرت ذلك؟ قال: لا ولكن علمت ذلك من حيث أنّك رسول الله، فقال (صلى الله عليه وآله): قد أجزت شهادتك وجعلتها شهادتين، ولذلك سمّي بذّي الشهادتين^(٢).

وقد روى أصحابنا أيضاً أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) خطّأ شريحاً في طلب البيّنة منه على درع طلحة، وقال: إنّ إمام المسلمين يؤتمن من أمورهم على

(١) البحار ٢٩: ٢١٠، عن كشف الغمة ٢: ١١٧.

(٢) الشافي للمرتضى ٤: ٩٦، ملخصاً.

ما هو أعظم من ذلك، وأخذ ما ادّعاه من درع طلحة بغير حكم شريح^(١).
ويدلّ على بعض ما ذكر من كون فاطمة (عليها السّلام) متصرّفة في فذك، وإنّ
طلب أبي بكر منها البيّنة لم يكن إلّا للجهالة أو للعداوة ونحو ذلك، ما اشتهر في
روايات الخاصة والعامة أنّ أبا بكر أرسل إلى فذك وأخرج وكيلها منها، وقد حاجّ
عليّ (عليه السّلام) مع أبي بكر في ذلك في اليوم الثاني من مجيء فاطمة
(عليها السّلام) إلى أبي بكر للمطالبة في أمر فذك ورجوعها أئسة، كما في
الإحتجاج وغيره.

كما روي عن الصادق (عليه السّلام) أنّه لمّا منع أبو بكر فاطمة (عليها السّلام)
فذكاً وأخرج وكيلها منها جاء أمير المؤمنين (عليه السّلام) إلى المسجد وأبو بكر
جالس وحوله المهاجرون والأنصار، فقال: يا أبا بكر لم منعت فاطمة ما جعله^(٢)
رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لها ووكيلها فيه منذ سنين، فقال أبو بكر: هذا فيء
للمسلمين فإنّ أتيت بشهود عدول وإلّا فلا حقّ لها فيه.

قال: يا أبا بكر تحكّم فينا بخلاف ما تحكّم في المسلمين، قال: لا، قال:
أخبرني لو كان في يد المسلمين شيء فادّعيْتُ أنا فيه من كنت تسأل البيّنة؟ قال:
إيّاك كنت أسأل، قال: فإذا كان في يدي شيء فادّعى فيه المسلمون تسألني فيه
البيّنة؟ قال: فسكت أبو بكر، فقال عمر: هذا فيء للمسلمين ولسنا في خصوصتك
في شيء، أو قال: يا عليّ دعنا من كلامك فإنّنا لا نقوى على حجّتك، فإنّ أتيت
بشهود عدول وإلّا فهو فيء للمسلمين لا حقّ لك ولا لفاطمة.

فقال عليّ (عليه السّلام) لابي بكر: تقرّ بالقرآن؟ قال: بلى، قال: أخبرني عن
قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا﴾^(٣)، أفينا أو في غيرنا نزلت؟ قال: فيكم، قال: أخبرني لو أنّ شاهدين من

(١) راجع البحار ٢٩: ٣٥١.

(٢) نحلّه. خ ل.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

المسلمين شهدا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعا؟ قال: كنت أقيم عليها الحد كما أقيم على نساء المسلمين.

قال: كنت إذاً عند الله من الكافرين، قال: ولم؟ قال: لأنك كنت تردّ شهادة الله وتقبل شهادة غيره، لأن الله عزّ وجلّ قد شهد لها بالطهارة، فإذا رددت شهادة الله وقبلت شهادة غيره كنت عند الله من الكافرين، قال: فبكى الناس ودمدموا^(١).

وفي رواية الإحتجاج في موضع التعليل للحكم بكفر أبي بكر: لأنك رددت شهادة الله لها بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم الله ورسوله إذ جعل لها فذك وقد قبضته في حياته ثم قبلت شهادة أعرابيٍّ بائل على عقبه عليها، وأخذت منها فذك وزعمت أنها فيء للمسلمين، وقد قال رسول الله: البينة على المدعي واليمين على من أنكر، فرددت قول رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قال: فدمدم الناس وأنكر بعضهم بعضاً وقالوا: والله صدق عليّ، ورجع عليّ (عليه السلام) إلى منزله، ثم دخلت فاطمة (عليها السلام) المسجد وطافت بقبر أبيها وهي تقول: (إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها...) الأبيات على ما مرت في أثناء الخطبة على اختلاف في الروايات في تقديم بعض الأبيات على بعض.

قال: فرجع أبو بكر وعمر إلى منزلهما وبعث أبو بكر إلى عمر فدعاه ثم قال له: أما رأيت مجلس عليّ منّا في هذا اليوم، والله لئن قعد مقعداً مثله ليفسدنّ أمرنا فما الرأي؟ قال عمر: الرأي أن تأمر بقتله، قال: فمن يقتله؟ قال: خالد بن الوليد.

فبعثوا إلى خالد فأتاهم، فقالوا له: نريد أن نحملك على أمر عظيم، قال: احملوني على ما شئتم ولو على قتل عليّ بن أبي طالب، قالوا: فهو ذاك، قال خالد: متى نقتله؟ قال أبو بكر: احضر المسجد وقم بجنبه في الصلاة، فإذا سلّمت فقم واضرب عنقه، قال: نعم، ووقعت المواعدة لصلاة الفجر إذ كان أخفى وأخفت للسدقة والشبهة.

(١) علل الشرائع: ١٩٠ ح ١ باب ١٥١، عنه البحار ٢٩: ١٢٤ ح ٢٦.

فسمعت ذلك أسماء بنت عميس وكانت تحت أبي بكر فقالت لجاريتهما: اذهبي إلى منزل عليّ وفاطمة (عليهما السلام) واقريئهما السلام وقولي لعليّ (عليه السلام): ﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(١)، فجاءت الجارية ففعلت كما أمرت، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): قولي لها: إِنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَرِيدُونَ، فَمَنْ يَقْتُلِ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ؟!

ثم قام وتهيأ للصلاة وحضر المسجد، وصلى لنفسه خلف أبي بكر وخالد بن الوليد - لعنه الله - يصليّ بجانبه ومعه السيف، فلما جلس أبو بكر في التشهد ندم علي ما قال وخاف الفتنة وعرف شدة عليّ وبأسه، فلم يزل متفكراً لا يجسر أن يسلم حتى ظنّ الناس أنّه قد سهى وكادت الشمس تطلع، ثم التفت إلى خالد وقال: يا خالد لا تفعلنّ ما أمرتك - ثلاثاً - أو قال: لا يفعلنّ خالد ما أمرته به، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فالتفت عليّ (عليه السلام) فإذا خالد مشتمل على السيف إلى جانبه، فقال عليّ (عليه السلام): يا خالد ما الذي أمرك به؟ فقال: أمرني بضرب عنقك، قال: أوكنت فاعلاً؟ قال: اي والله لولا أنّه قال لي لا تفعله قبل التسليم لقتلتك^(٢)، فقال له عليّ (عليه السلام): كذبت لا أم لك، من يفعله أضيق حلقة است منك، قال: فأخذه عليّ (عليه السلام) وجلد به الأرض^(٣).

وفي رواية أخرى: فأخذ بمجامع ثوبه وضرب به الحائط، وأخذ حلقه بإصبعيه السبابة والوسطى فعصره وغمره على سارية المسجد، فصاح خالد صيحة منكرة ففرغ الناس وهمتهم أنفسهم، وأحدث خالد في ثيابه وجعل يضرب برجليه ولا يتكلم.

فقال أبو بكر لعمر: هذه مشورتك المنكوسة كآتي كنت أنظر إلى هذا، وأحمد

(١) القصص: ٢٠.

(٢) الإحتجاج ١: ٢٣٨ ح ٤٧، عنه البحار ٢٩: ١٣٠ ح ٢٧، وتفسير القميّ ٢: ١٥٩.

(٣) الإحتجاج ١: ٢٣٣ ح ٤٥، عنه البحار ٢٩: ١٣٧ ح ٢٩.

الله على سلامتنا، وكلّما دنا أحد ليخلّصه من يده لحظة لحظة تنحّي عنه، فبعث أبو بكر عمر إلى العباس فجاء وتشفّع إليه وأقسم عليه، فقال: بحقّ القبر ومن فيه وبحقّ ولديه وأمّهما إلّا تركته، ففعل (عليه السّلام) ذلك وقبّل العباس بين يديه^(١). وفي بعض الروايات أنّه (عليه السّلام) لمّا أخذ بحلق خالد فغمزه فاجتمع الناس عليه، فقال عمر: يقتله وربّ الكعبة، فقال الناس: يا أبا الحسن الله الله بحقّ صاحب القبر فخلّى عنه، ثمّ التفت إلى عمر فأخذ بتلابيبه وقال: يا ابن صهّاك والله لولا عهد من رسول الله وكتاب من الله سبق لعلمت أيّنا أضعف ناصراً وأقلّ عدداً، ودخل منزله^(٢). وهذه القصة من المشهورات المسلّمة بين الخاصة والعامة، وإن أنكره بعض المخالفين من الأئمة.

وقد روى أنّ رجلاً جاء إلى زفر بن الهذيل صاحب أبي حنيفة، فسأله عمّا يقول أبو حنيفة في جواز الخروج من الصلاة بأمر غير التسليم نحو الكلام والفعل الكثير أو الحدث؟ فقال: أنّه جائز، قد قال أبو بكر في تشهّده ما قال، فقال الرجل: وما الذي قاله أبو بكر؟ قال: لا عليك، قال: فأعاد عليه السؤال ثانية وثالثة، فقال: أخرجوه قد كنت أحدث أنّه من أصحاب أبي الخطاب، قلت له: فما الذي تقوله أنت؟ قال: أنا أستبعد ذلك وإن روته الإماميّة...^(٣).

وأما الدعوى الثانية: وهي أنّ فذلك كانت ارثاً لها من أبيها، فهي أيضاً مبتنية على بيان مقدّمتين:

الاولى: أنّها كانت لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) الى حين وفاته، إذ لاشبهة في ذلك على تقدير عدم إعطائها لفاطمة (عليها السّلام) من باب النحلة والعطيّة، لكونها ممّا أفاء الله على رسوله بإجماع الخاصة والعامة والأخبار الكثيرة التي مرّت إليها الإشارة، ولم يحصل منه (صلّى الله عليه وآله) انتقال لغير

(١) الإحتجاج ١: ٢٣٣ ح ٤٦، عنه البحار ٢٩: ١٣٧ ح ٢٩.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٥٩، والإحتجاج ١: ٢٤٢ ح ٤٧، عنه البحار ٢٩: ١٣٣ ح ٢٧.

(٣) شرح النهج ١٣: ٣٠١، عنه البحار ٢٩: ١٣٩.

فاطمة (عليها السلام) بإجماع الامة، فلو فرضنا عدم كونها نحلة لفاطمة (عليها السلام) فلا بدّ أن تكون باقية على ملكه الى حين وفاته.

وهذا مسلّم عند الخصم أيضاً إذ لم يتمسك ابو بكر في ردّ فاطمة (عليها السلام) إلا بالخبر الذي رواه عن النبي (صلّى الله عليه وآله) من قوله: (نحن معاشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة) فهو قد جعل فداً ممّا تركه النبي (صلّى الله عليه وآله) أنّ الله ادعى أنّ النبي قال ما تركه الأنبياء لا يكون إرثاً وأنّما يكون صدقة بين المسلمين، ولم يقل أحد أيضاً بأنّ الأنبياء لا يملكون بأنفسهم شيئاً في حياتهم، وإنّ كلّ ما يملكونه أنّما هو صدقة، ولا يدّعيه أحد بالمرة وهو خلاف الضرورة، فمراد من روى الرواية أنّ الأنبياء يملكون الأموال الدنيوية مثل الرعيّة، لكن ما تركوه من أموالهم يكون صدقة بعد موتهم فلا يقسم بين الورثة.

الثانية: إنّ ورثته كانت منحصرة فيها أي في فاطمة (عليها السلام) فهي الوارثة، وأمّا الأزواج فليس لها جهة ارث من العقار والضيعة على المشهور بين الامة، فثبت على تقدير عدم كون فداً نحلة لها من أبيها أنّها حقّها من جهة الإرث البتة للإجماع وعمومات الآيات، والأخبار الدالة على انتقال مال الميّت وما له لورثته، وإنّ ما تركه الميّت فهو لوارثه.

ولم يدلّ دليل على كون عدم التوريث من جملة خصائص الأنبياء (عليهم السلام)، ولا نقل القول بذلك من أحد من المتأخّرين والقدماء، واصالة الإشراك في الأحكام حاكمة بكونهم كالرعيّة، إلّا ما خرج بالدليل الدالّ على خلاف تلك الاصالة.

وأما جواب ابي بكر في مقابل هذه الدعوى الثابتة بالإجماع والضرورة، فهو أنّه روي حينئذٍ قوله: نحن معاشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة، ويردّها أمور: أحدها: أنّه لم يكن لهذا الخبر أصل ولا فصل، بل هو قول هزل كان راويه في شكّ منه كما ترى إنّ ابا بكر أسنده في موضع الى نفسه فقال: أنّي سمعت رسول الله يقول: أنا معاشر الأنبياء لانورث.

وأسنده عمر الى غير ابي بكر حيث قال عمر: اوس بن الحدثان وعائشة وحفصة يشهدون ان النبي قال كذا، كما مر ذكره فيما مرّت اليه الإشارة من أنه لما طلبت فاطمة (عليها السلام) فذك من ابي بكر من باب النحلة وأتت بالبيّنة، فكتب ابو بكر بذلك كتاباً ثم جاء عمر فعلم بالواقعة، فأخذ الكتاب من يد فاطمة (عليها السلام) ومزّقه، وقال: اوس بن الحدثان وعائشة وحفصة يشهدون على ان النبي قال كذا.

وفي رواية صدقة بن مسلم عن الصادق (عليه السلام) أنه سأله عن الشاهد على فاطمة (عليها السلام) بأنها لا ترث أباه، فقال (عليه السلام): شهدت عليها عائشة وحفصة ورجل من العرب يقال له اوس بن الحدثان من بني نضر، شهدوا عند ابي بكر بان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: لا اورث، فمنعوا فاطمة ميراثها من أبيها^(١).

وأسنده ابو بكر تارة اخرى الى الامة فقال: انتم قلتم كذا، كما روي في البحار أنه لما بلغ امير المؤمنين (عليه السلام) كلام من ابي بكر بعد منع الزهراء (عليها السلام) فذكاً، كتب الى ابي بكر رسالة فيها قوله (عليه السلام): شقوا متلاطمات أمواج الفتن بحيازيم سفن النجاة، وخطوا تيجان أهل الفخر بجمع أهل الغدر، واستضاءوا بنور الأنوار، واقتسموا مواريث الطاهرات الأبرار، واحتقبوا ثقل الأوزار بغصبهم نحلة النبي المختار^(٢).... الى آخر ما في الإحتجاج وغيره. ومن فقرات تلك الرسالة قوله (عليه السلام)، فعن قليل ينجلي لكم القسطل فتجدون ثمن فعلكم مرأ، وتحصدون غرس أيديكم زعافاً ممقراً وسمّاً قاتلاً، وكفى بالله حاكماً، وبرسول الله (صلّى الله عليه وآله) خصيماً، وبالقيامة موقفاً. فلما أن قرأ الكتاب ابو بكر رعب من ذلك رعباً شديداً وقال: يا سبحان الله ما أجزأه عليّ وأنكله عن غيري، معاشر المهاجرين والأنصار تعلمون انّي شاورتكم

(١) قرب الاسناد: ٩٩ ح ٣٣٥، عنه البحار ٢٢: ١٠١ ح ٥٩.

(٢) البحار ٢٩: ١٤٠ ح ٣٠، عن الإحتجاج ١: ٢٤٣ ح ٤٨.

في ضياع فذك بعد رسول الله فقلتم: انّ الأنبياء لا يورثون، وانّ هذه أموال يجب أن تضاف الى مال الفيء، وتصرف في ثمن الكراع والسلاح، وأبواب الجهاد، ومصالح الثغور، فأمضينا رأيكم ولم يمضه من يدّعيه، وهو ذا يبرق وعيداً، ويرعد تهديداً، إيلاءً بحقّ نبيّه أن يمضخها دماً ذعافاً، والله لقد استقلت منها فلم أقل، واستعزلتها عن نفسي فلم أعزل، كلّ ذلك احترازاً من كراهية ابن أبي طالب وهرباً من نزاعه، مالي ولا ابن أبي طالب؟! هل نازعه أحد ففلج عليه؟!^(١)

فتقدّم عمر فسكّته عن هذا الجزع والهلع بما ذكر تفصيله في الاحتجاج وغيره الى غير ذلك، والاختلاف في الرواية دليل على عدم استقرارها ولا أقل من ايقاع الوهن فيها، فلا يخصص بها العمومات القطعيّة، ولا يكذب بها أهل بيت العصمة والطهارة.

وفي كشف الغمة أنّه لما ولي عثمان قالت عائشة: اعطني ما كان يعطيني أبي وعمر - وهذا كان طلباً منها لأربعة آلاف درهم التي قرّرها الشيخان لها - فقال: لأجد لها موضعاً في الكتاب ولا في السنة، ولكن كان ابو بكر وعمر يعطيانك من حصّة أنفسهما وأنا لا أفعل، فقالت: فآتني ميراثي من النبي (صلّى الله عليه وآله)، قال: أليس جئت وشهدت أنت ومالك بن اوس النضري انّ النبي لا يورث، فأبطلت حقّ فاطمة وجئت تطليبه.

قال: فكان عثمان إذا خرج الى الصلاة نادى عائشة وترفع القميص وتقول: أنّه قد خالف صاحب هذا القميص، فلما آذته سعد المنبر فقال: انّ هذه الزعراء عدوّ الله تعالى ضرب الله مثلها ومثل صاحبها حفصة في الكتاب كامرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما.

فقال له: يانعثل ياعدوّ الله أنّما سمّاك النبي (صلّى الله عليه وآله) باسم نعثل اليهودي الذي باليمن، فلاعنته ولاعنها وحلفت أن لا تساكبه بمصر أبداً، فخرجت

(١) الاحتجاج ١: ٢٤٧ ح ٤٨، عنه البحار ٢٩: ١٤٢ ح ٣٠.

الى مكة^(١).

وقد نقل ابن اعثم صاحب الفتوح أنها قالت: اقتلوا نعثلاً قبله الله - أو قتل الله نعثلاً -، فلقد أبلى سنة رسول الله وهذه ثيابه لم تبل، وخرجت الى مكة^(٢). وروى غيره أنه لما قتل جاءت الى المدينة فلقبها فلان فسألته عن الحال، فخبّرها أن الناس اجتمعوا على علي (عليه السلام)، فقالت: والله لا طالبين بدم عثمان، فقال لها: فأنت حرّضت الناس على قتله، قالت: أنهم لم يقتلوه حيث قلت ولكن تركوه حتى تاب من ذنوبه وصار كالسبيكة فقتلوه^(٣). وهذا الحديث كما ترى يدل على أن اعتقاد كل من عائشة وعثمان كان على عدم صحة نقل الرواية. الثاني: أنه على فرض تسليم صدق الخبر لم يكن فرق بين تركته، وقد كان للنبي (صلى الله عليه وآله) تركه أخرى أيضاً كما في الروايات الكثيرة.

منها ما روي الحسن بن عليّ الوشاء، قال: سألت مولانا أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) هل خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) غير فذلك شيئاً؟ فقال أبو الحسن: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خلف حيطاناً بالمدينة صدقة، وخلف ستة أفراس، وثلاث نوق: العضباء والصهباء والديباح، وبغلتين: الشهباء والدلدل، وحمارة اليعفور، وشاتين حلوبتين، وأربعين ناقة حلوباً، وسيفه ذا الفقار، ودرعه ذات الفضول، وعمامته السحاب، وحبرتين يمانيتين، وخاتمه الفاضل، وقضيبه المشقوق، وفراشاً من ليف، وعباءتين قطوانيتين، ومخاداً من آدم، صار ذلك كله الى فاطمة ما خلا درعه وعمامته وخاتمه فإنه جعلها لأمرير المؤمنين (عليه السلام)^(٤).

وفي بعض الروايات أنه (صلى الله عليه وآله) أعطى بغلته أيضاً

(١) كشف النعمة ٢: ١٠٧.

(٢) الفتوح ١: ٤٢٠، كشف النعمة ٢: ١٠٨.

(٣) كشف النعمة ٢: ١٠٨، ونحوه الفتوح ١: ٤٣٤.

(٤) كشف النعمة ٢: ١١٨، البحار ٢٩: ٢١٠.

لعليّ (عليه السلام)، وإنّ اعطاء البغلة كان في حجة الوداع^(١)، فلو كان ما رواه ابو بكر صحيحاً فلم تركوا هذه الأشياء تركة.

قال ابن أبي الحديد في بيان الوجه لترك بعض هذه الأشياء وعدم أخذها صدقة بالكلية: إنّ العمامة سلب الميت وكذلك القميص والحجزة والحذاء، فالعادة أن يأخذ ذلك ولد الميت ولا يناع فيه لآله خارج أو كالخارج عن التركة، فلما غسل (صلى الله عليه وآله) حينئذ أخذت ابنته ثيابه التي فيها، وهذه عادة الناس على أنّا قد ذكرنا في الفصل الأوّل كيف دفع اليه آله النبي (صلى الله عليه وآله) وحذاه ودابته، والظاهر أنّه فعل ذلك اجتهداً لمصلحة يراها وللإمام أن يفعل ذلك، انتهى^(٢).

وفيه: إنّ الميت إذا لم يكن له مال وكان ما تركه صدقة فما معنى سلب الميت؟! وكيف تكفى العادة في أخذ ولد الميت هذه الأشياء إذا كانت داخلية في الصدقات، وكونها خارجة أو كالخارج ليس له مفهوم محصّل.

ثم إن إمامة أبي بكر غير مسلمة، ولو كانت مسلمة فما هذه المشاجرة، وجعل الأمر موكولاً إلى رأيه واجتهاده قاطع لمادة المنازعة، ثم لا مانع من أن يروي ابو بكر في يوم واحد ما نقله من الرواية، ثم يعطي هذه الأشياء لوراث النبي (صلى الله عليه وآله) من باب الإرثية بحسب الظاهر دون أن يصرّح بأنّي أعطيها من جهة الإرث، ومثل هذا يصدر من مثله غالباً سواء سمّي عاقلاً أو جاهلاً، ولا بعد في صدور هذين الأمرين المتناقضين من مثله إذ لا يكون حافظة للكذابة والقالة.

وأيضاً قد مكّن ابو بكر أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) في حجراتهنّ بغير خلاف، ولم يحكم فيها بأنّها صدقة، وهذا يناقض منعه في أمر فذك وميراث رسول الله (صلى الله عليه وآله) من جهة تلك الرواية، فإنّ انتقالها اليهنّ أمّا على جهة

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢٦١.

(٢) المصدر نفسه.

الإرث أو النحلة، والأوّل مناقض لروايته في الميراث، والثاني يحتاج الى الثبوت ببيّنة ونحوها، ولم يطالبهنّ بشئٍ منهما كما طالب فاطمة (عليها السّلام) في دعواها، وهذا من أعظم الشواهد لمن له أدنى بصيرة على أنّ الرواية كانت كاذبة، وإنّه لم يفعل ما فعل الآعداوة لأهل بيت الرسالة، ولم يقل ما قال الآافتراء على الله ورسوله.

وقال بعض العامة - كما في شرح ابن أبي الحديد - في مقام الاعتذار: إنّ حجر أزواج النبيّ إنّما تركت في أيديهنّ لأنّها كانت لهنّ، ونصّ الكتاب يشهد بذلك كقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(١)، وروي في الأخبار أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قسّم ما كان له من الحجر على نسائه وبناته^(٢).

قال المرتضى: وهذا من عجيب الاستدلال، لأنّ هذه الاضافة لا تقتضي الملك بل العادة جارية فيها أن يستعمل من حيث السكنى، ولهذا يقال: هذا بيت فلان ومسكنه ولا يراد الملك، وقد قال تعالى: ﴿لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾^(٣).

وخبر التقسيم إنّ كان صحيحاً فلا دليل على أن تكون القسمة على وجه التمليك دون الإسكان والإنزال، ولو كان كذلك لكان معروفاً مشهوراً أيضاً، والوجه في عدم تغيير عليّ (عليه السّلام) لذلك حين ولي الخلافة هو الوجه الذي يأتي في ابقاء فدك على حالها^(٤).

وروى في الأنوار أنّه مرّ فضّال بن الحسن بن الفضّال الكوفي بأبي حنيفة وهو في جمع كثير يملّي عليهم من فقهه وحديثه، فقال لصاحب له: والله لا أبرح حتى أخجل أبا حنيفة، فقال صاحبه الذي كان معه: إنّ أبا حنيفة ممّن قد علمت حاله

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) شرح النهج ١٦: ٢٧٠.

(٣) الطلاق: ١.

(٤) الشافي ٤: ١٠٤، شرح النهج ١٦: ٢٧٩.

وظهرت حجته، قال: مه هل رأيت حجة على حجة مؤمن.

ثم دنا منه فسلم عليه فردّها وردّ القوم بأجمعهم، فقال: يا أبا حنيفة إن لي أخاً يقول: إن خير الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب، وأنا أقول: أبو بكر خير الناس وبعده عمر، فما تقول أنت رحمك الله؟ فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال: كفى بمكانهما من رسول الله (صلى الله عليه وآله) كرماً وفخراً، أما علمت أنّهما ضجيعاه في قبره، فأبي حجة تريد أوضح من ذلك؟.

فقال له الفضال: إنّي قد قلت ذلك لأخي فقال: والله إن كان المكان لرسول الله (صلى الله عليه وآله) دونهما فقد ظلما بدفنهما في مضجع ليس لهما بحق، وإن كان الموضع لهما فوهبا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد أساء أو ما أحسنا إذ رجعا في هبتهما ونسبا عهدهما، فأطرق أبو حنيفة ساعة ثم قال: لم يكن له ولا لهما خاصّة، ولكنهما نظرا في حقّ عائشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما.

فقال له فضال: قد قلت له ذلك فقال: أنت تعلم أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) مات عن تسع نساء، ونظرنا فكان لكلّ واحدة منهنّ تسع الثمن، ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر، فكيف يستحقّ الرجلان أكثر من ذلك؟! وبعد فما بال عائشة وحفصة يرثان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفاطمة بنته تمنع الميراث؟ فقال أبو حنيفة: يا قوم نحوه عني فإنّه رافضيّ خبيث^(١).

ثم قال بعد هذه الرواية: أقول: ويوضح هذا ما روه في الجمع بين الصحيحين للحميدي وغيره أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لما هاجر إلى المدينة أقام ببعض دور أهلها واستعرض مربداً للتمر كان لسهل وسهيل كانا يتيمين في حجر سعد بن زرارة ليشتريه، فوهبا له.

وروى الحميدي رواية أخرى وهو أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) أراد أن

(١) الأنوار النعمانية ١: ٨٧، وفي الفصول المختارة: ٤٤، وكنز الكراكي: ١٣٥، والإحتجاج ٢: ٣١٥

يشترى موضع المسجد من قوم بني النجار فوهبوه له، ولم ينقل في شيء من الروايات انتقاله منه وقد دفن فيه، مع أنه قد تضمن القرآن كون البيوت للنبي (صلى الله عليه وآله) بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾^(١) ومن المعلوم أن زوجته عائشة لم يكن لها دار بالمدينة ولا لأبيها ولا لقومها لأنهم من أهل مكة، ولا روى أنها بنت بيتاً لنفسها، ومع هذا فلما ادعت حجرة النبي (صلى الله عليه وآله) بعد وفاته التي دفن فيها صدقها أبو بكر وسلمها إليها بمجرّد سكنها ودعواها، ومنع فاطمة عن فذك ولم يصدقها مع شهادته لها بالعصمة والطهارة، وردّ شهودها بأن أباهما وهبها ذلك في حياته، ومنع فاطمة (عليها السلام) من ميراثها وأعطى ابنته الحجرة ميراثاً دفن أمواتهم فيها وضرب المعاول عند رأسه^(٢).

الثالث: إن معنى الخبر يحتمل وجوهاً متعدّدة وإذا جاء الإحتمال بطل الإستدلال، وذلك يوضحه ما ذكره في الأنوار حيث قال: فإن قلت: هذا الحديث الذي ادعيت أن أبا بكر قد اختلقه مروياً عنكم فما الجواب عنه، وذلك أنه قد روى الصدوق بإسناده إلى الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى به، وإنه ليستغفر لطالب العلم من في السماوات ومن في الأرض حتى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم، فمن أخذه به أخذ بحظّ وافر.

والجواب بعد صحّة الرواية وبعد أن لا نحملها على التقيّة بوجوه:
الوجه الأول: أن يراد أنهم لم يقصدوا إلى توريت الدراهم والدنانير

(١) الأحزاب: ٥٣.

(٢) الأنوار النعمانية ١: ٨٨.

لأولادهم وأهل ميراثهم مثل غيرهم من الناس، فإنّهم يقصدون إلى جمع الأموال وتبقيتها بعدهم لأهل ميراثهم، أمّا إذا بقي من الأنبياء شيء من الميراث اتفاقاً فلا بأس به ولا ينافي الحديث.

الوجه الثاني: إنّ الأنبياء من حيث النبوة لم يورثوا إلّا العلم، أمّا من حيث الإنسانية والبشرية فيجوز أن يخلّفوا شيئاً من الأموال، ومن هذا قال بعض المحققين: العلماء أولاد روحانيون للأنبياء، لأنّهم يقتبسون العلم من مشكاة أنوارهم، ويرثون ملكات أرواحهم كما أنّ الأولاد الجسمانية والأقارب الصورية يرثون الأموال، بل النسبة الأولى أكد من الثانية، ولذلك كان حقّ المعلّم الرباني على المتعلّم أولى من حقّ أبيه الجسماني عليه، والحاصل أنّه من باب تعليق الحكم على الوصف المشعر بالعلية.

الوجه الثالث: أنّهم لم يخلّفوا جنس الدرهم والدينار الذي يخلّفه أهل التراث، أمّا غيرهما من الأملاك والزراعات والمنازل فلا بأس بأن يخلّفوها، إنتهى^(١).

ويجوز الوجه الرابع في توجيه الخبر، وهو ما نقله في البحار - وإن لم يرتضه - وهو أن يكون (ما تركناه صدقة) مفعولاً ثانياً للفعل أعني (نورث) سواء كان بفتح الراء على صيغة المجهول من قولهم: ورثت أبي شيئاً، أو بكسرها من قولهم: أورثه الشيء أبوه، وإمّا بتشديد الراء، فالظاهر أنّه لحن فإنّ التوريث إدخال أحد في المال على الورثة - كما ذكره الجوهري^(٢) - وهو لا يناسب شيئاً من المحامل، ويكون (صدقة) منصوباً على أن يكون مفعولاً لتركنا، والاعراب لا يضبط في أكثر الأوقات والروايات.

ويجوز أن يكون النبي (صلّى الله عليه وآله) وقف على الصدقة فتوهم أبو بكر أنّه بالرفع، وحينئذٍ يدلّ على أنّ ما جعلوه صدقة في حال حياتهم لا ينتقل بموتهم إلى الورثة، أي ما نووا فيه الصدقة من غير أن يخرجوه من

(١) الأنوار النعمانية ١: ٩٤ - ٩٥.

(٢) الصحاح ١: ٢٩٦.

أيديهم لا يناله الورثة^(١).

والحاصل أنّ مجرد العزم لصدقة الشيء من الأنبياء يخرجهم عن ملكهم فلا يرثه وارثهم، وهذا مختصّ بالأنبياء، ولا يدلّ على حرمان الورثة ممّا تركوه مطلقاً، فيكون حاصله أنّ ما يكون بالذات صدقة للمسلمين لا يجعل داخلياً في جملة الأموال حتى يكون ميراثاً، لأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لا يكون له ميراث بل يجعل أمواله صدقة بعده.

وهذا الاحتمال ذكره الإمام الرازي في تفسيره الكبير عند قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِي﴾^(٢) بعد أن نقل الحديث الذي رواه أبو بكر (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) قال: يحتمل أن يكون قوله (ما تركناه صدقة) صلة لقوله (لا نورث)، والتقدير أنّ الشيء الذي تركناه صدقة لا نورث، ويكون المراد أنّ الأنبياء إذا عزموا على التصدق بشيء فمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم، إنتهى^(٣).

والوجه الخامس: أنّ ما يكون من الصدقات الفعلية في أيديهم سواء كانت أصدقواهاهم من أنفسهم، أو كانت صدقة خارجيّة لا تدخل بعد موتهم في جملة التركة، ويكون قال ذلك من باب الإحتياط حتى لا يدخل في جملة أمواله ما هو صدقة للمسلمين.

قالوا: ويؤيّد ما روي عن أبي ذر أنّه قال لعثمان: لم لا تقسم هذه المائة ألف درهم وحبسناها عن الفقراء؟ فقال: انتظر حتى يلحق بها مثلها فافرقها، فبكى أبو بكر وقال: هل تذكر أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) دخل ليلاً في داره وهو في غاية الحزن والوحشة، ورأيناه الليلة الآتية في غاية السرور وحسن الحالة، فسألناه عن السبب والعلة فقال: كان البارحة في داري درهم صدقة، وخفت أن أموت

(١) البحار ٢٩: ٣٧٣.

(٢) النساء: ١١.

(٣) تفسير الرازي ٩: ٢١٠-٢١١، عنه الأنوار النعمانية ١: ٩٣.

فيدخلها الورثة في جملة أمواله، واليوم تصدّقت به وحصلت لي الطمأنينة.
وقد فعل مثل ذلك عمر أيضاً حيث نادى يوماً: وإعمره، فاجتمع الأصحاب
وسألوا عن القصّة فقال: إنّ في داري درهم صدقة، وأخاف أن أموت الليلة
فيدخله الورثة في جملة التركة.

الرابع: أنّ الخبر مع قطع النظر عن الإجماع والأخبار المتواترة المطلقة أو
العامة في عموميّة التوريث بالنسبة إلى الأنبياء وغيرهم بلا فرق في المرحلة،
مخالف للآيات العامة والخاصة في خصوص التوريث من الأنبياء، كآيات التي
استدلّت بها فاطمة (عليها السلام) في أثناء الخطبة وغيرها، منها قوله تعالى:
﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علّمنا منطق الطير واوتينا من كلّ شيء إنّ هذا
لهو الفضل المبين﴾^(١).

ووجه الدلالة هو أنّ المتبادر من قوله تعالى: (ورث...) أنّه ورثه ماله كما
يأتي في الآية الثانية فلا يعدل عنه إلّا لدليل، وأمّا الاعتراض على ذلك بقوله
تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾^(٢) وقولهم: ما ورثت الأبناء
من الآباء شيئاً أفضل من حسن أدب، وقولهم: العلماء ورثة الأنبياء - كما اعترض
بها قاضي القضاة - فغلط، لأنّ كلّ ذلك إنّما هو من جهة القرينة الموجودة، وكلامنا
إنّما هو في صورة الإطلاق.

وأجاب قاضي القضاة في المغني بأنّ في الآية ما يدلّ على أنّ المراد وراثته
العلم دون المال، وهو قوله تعالى: ﴿وقال يا أيها الناس علّمنا منطق الطير﴾ فإنّه يدلّ
على أنّ الذي ورث هو هذا العلم وهذا الفضل وإلّا لم يكن لهذا تعلّق بالأوّل^(٣).
وقال الرازي في تفسيره: لو قال: ورث سليمان داود ماله لم يكن لقوله تعالى:
﴿وقال يا أيها الناس علّمنا منطق الطير﴾ معنى، وإذا قلنا مقامه: ورث من النبوة

(١) النمل: ١٦.

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) المغني ١: ٣٣٠، البحار ٢٩: ٣٥٥.

والملك حسن، وذلك لأنَّ علم منطق الطير يكون داخلاً في جملة ما ورثه، وكذلك قوله: ﴿واوتينا من كل شيء﴾ لأنَّ وارث العلم يجمع ذلك ووارث المال لا يجمعه. وقوله: ﴿إنَّ هذا لهو الفضل المبين﴾^(١) يليق أيضاً بما ذكر دون المال الذي يحصل للكمال والناقص، وما ذكره الله تعالى من جنود سليمان بعده لا يليق إلاَّ بما ذكرناه، فبطل بما ذكرنا قول من زعم أنَّه لا يورث إلاَّ المال، فأمَّا إذا ورث المال والعلم معاً فهذا لا يبطل بالوجه الذي ذكرنا بل بظاهر قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث^(٢).

وردَّ السيد المرتضى (رحمه الله) في الشافي كلام المغني بأنَّه لا يمتنع أن يريد ميراث المال خاصة ثم يقول مع ذلك أنا علمنا منطق الطير، ويشير بالفضل المبين إلى العلم والمال جميعاً، فله في الأمرين جميعاً فضل على من لم يكن كذلك، وقوله: ﴿واوتينا من كل شيء﴾ يحتمل المال كما يحتمل العلم فليس بخالص لما ظنَّه. ولو سلَّم دلالة الكلام على العلم لما ذكرنا فلا يمتنع أن يريد أنَّه ورث المال بالظاهر والعلم والملك بهذا النوع من الاستدلال، فليس يجب إذا دلت الدلالة في بعض الألفاظ على المجاز أن يقتصر بها عليها، بل يجب أن نحملها على الحقيقة التي هي الأصل إذا لم يمنع من ذلك مانع^(٣).

وقد ظهر بما ذكره السيد (قدَّس سرَّه) بطلان قول الرازي أيضاً، وكأنَّ القاضي يزعم أنَّ العطف لو لم يكن للتفسير لم يكن للمعطوف تعلُّق بما عطف عليه وانقطع نظام الكلام، وما اشتهر من أنَّ التأسيس أولى من التأكيد من الأغلاط المشهورة، وكأنَّ الرازي يذهب إلى أنَّه لا معنى للعطف إلاَّ إذا كان المعطوف داخلاً في المعطوف عليه، فعلى أيَّ شيء يعطف حينئذٍ قوله تعالى: ﴿واوتينا من كل شيء﴾، فتدبر. وأمَّا قوله: إنَّ المال يحصل للكمال والناقص فلو حمل الميراث على المال لم

(١) النمل: ١٦.

(٢) تفسير الرازي ٢٤: ١٨٦ سورة النمل، البحار ٢٩: ٣٥٥.

(٣) الشافي ٤: ٧٩، البحار ٢٩: ٣٥٦.

يناسبه قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُو الْفَضْلُ الْمَبِينُ﴾ فيرد عليه أنه إنما يستقيم إذا كانت الإشارة إلى أول الكلام فقط وهو وراثته المال وبعده ظاهر، ولو كانت الإشارة إلى مجموع الكلام كما هو الظاهر، أو إلى أقرب الفقرات أعني قوله تعالى: ﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لم يبق لهذا الكلام مجال.

وكيف لا تليق الإشارة إلى دخول المال في جملة المشار إليه وقد منّ الله على عباده في غير موضع من كلامه المجيد بما أعطاهم في الدنيا من صنوف الأموال، وأوجب على عباده الشكر عليه، فلا دلالة فيه على عدم إرادة وراثته المال، سواء كان من كلام سليمان أو كلام الملك المنان.

وقد ظهر بذلك بطلان قوله أخيراً أن ما ذكره الله تعالى من جنود سليمان لا يليق إلا بما ذكرنا، بل أظهر أن حشر الجنود من الجنّ والإنس والطير قرينة على عدم إرادة الملك والعلم من قوله: ﴿وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ فإنّ تلك الجنود لم تكن لداود حتى يرثها سليمان بل كانت عطية مبتدئة من الله تعالى لسليمان (عليه السلام). وقد أجرى الله تعالى على لسانه أخيراً الإعراف بأن ما ذكره لا يبطل قول من حمل الآية على وراثته الملك والمال معاً، فإنه يكفينا في إثبات المدعى إذ الكلام في أمر الحديث واضح ممّا ذكره ويذكر.

ومنها قوله تعالى فيما اقتض من خبر يحيى وزكريّا مخبراً عن زكريّا (عليه السلام): ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِي مِنْ وِرَائي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِياً﴾ * يرثي ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيعاً^(١) فقوله تعالى (ولياً) أي ولداً يكون أولى بميراثي، وليس المراد بالولي من يقوم مقامه ولداً كان أو غيره لقوله تعالى حكاية عنه في موضع آخر من كتابه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾^(٢) وقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ * فاستجبنا له ووهبنا

(١) مريم: ٥ - ٦.

(٢) آل عمران: ٣٨.

له يحيى^(١) والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

واختلف المفسرون في أن المراد بالميراث العلم أو المال، فقال ابن عباس والحسن والضحاك أن المراد به في قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ ميراث المال، وقال أبو صالح: ميراث النبوة، وقال السدي ومجاهد والشعبي: المراد به في (يرثني) ميراث المال، وفي (يرث من آل يعقوب) ميراث النبوة، وحكي هذا القول عن ابن عباس والحسن والضحاك، وحكي عن مجاهد أنه قال: المراد من الأول العلم ومن الثاني النبوة^(٢).

ووجه الاستدلال بالآية أن لفظ الميراث في اللغة والشريعة والعرف إذا أطلق ولم يقيد لا يفهم منه إلا الأموال وما في معناها، ولا يستعمل في غيرها إلا مجازاً، ولذا لا يفهم من قول القائل: لا وارث لفلان إلا من ينتقل إليه أمواله وما يضاويه دون العلوم وما يشاكلها، ولا يجوز العدول بلا قرينة عن ظاهر اللفظ وحقيقته، سيما مع القرينة على تلك الحقيقة من جهات عديدة.

منها أن زكريّا (عليه السلام) اشترط في وارثه أن يكون رضيعاً، وإذا حُمل الميراث على العلم والنبوة لم يبق لهذا الإشرط معنى، كما لا معنى لأن يقال: اللهم ابعث إلينا نبياً بشرط أن يكون مكلفاً عاقلاً.

ومنها أن الخوف من بني العمّ ومن يحذو حذوهم يناسب المال دون النبوة والعلم، وكيف يخاف مثل زكريّا من أن يبعث الله إلى خلقه نبياً يقيم مقام زكريّا ولم يكن أهلاً للنبوة والعلم، سواء كان من موالى زكريّا أو غيرهم، على أن زكريّا كان إنما بُعث لإذاعة العلم ونشره في الناس، فلا يجوز أن يخاف من الأمر الذي هو الغرض في بعثته.

فإن قيل: كيف يجوز على مثل زكريّا الخوف من أن يرث الموالى ماله، وهل هذا إلا الضنّ والبخل؟!

(١) الأنبياء: ٨٩ - ٩٠.

(٢) البحار ٢٩: ٣٥٢.

قلنا: لما علم زكريّا من حال الموالي أنّهم من أهل الفساد، خاف أن ينفقوا أمواله في المعاصي أو غير الوجوه المحبوبة له، مع أنّ في وراثتهم ماله كان يقوى فسادهم وفجورهم، فكان خوفه خوفاً من قوّة الفساد، وتمكّن في سلوك الطرائق المذمومة، وانتهاك محارم الله، وليس مثل ذلك من الشح والبخل.

فإن قيل: كما جاز الخوف على المال جاز الخوف على وراثتهم العلم لئلاّ يفسدوا به الناس ويضلّوهم، ولا ريب أنّ في ظهور آثار العلم فيهم كان من دواعي اتباع الناس إياهم وانقيادهم لهم.

قلنا: لا يخلو هذا العلم الذي ذكرتموه من أن يكون هو الكتب العلمية والصحف الحكيمية، لأنّ ذلك قد يستمى علماً مجازاً، ويكون هو العلم الذي يملأ القلوب وتعيه الصدور، فإن كان الأوّل فقد رجع إلى معنى المال وصحّ أنّ الأنبياء يورثون الأموال، وكان حاصل خوف زكريّا (عليه السلام) أنّه خاف من أن ينتفعوا ببعض أمواله نوعاً خاصاً من الإنتفاع، فسأل ربّه أن يرزقه الولد حذراً من ذلك، وإن كان الثاني فلا يخلو أيضاً من أن يكون هو العلم الذي بعث النبي لنشره وأدائه إلى الخلق.

أو أن يكون علماً مخصوصاً لا يتعلّق بشريعة، ولا يجب اطلاع الأمة عليه كعلم العواقب وما يجري في مستقبل الأوقات ونحو ذلك، والقسم الأوّل لا يجوز أن يخاف النبي من وصوله إلى بني عمّه، وهم من جملة أمته المبعوث إليهم لأن يهديهم ويعلمهم، وكان خوفه من ذلك خوفاً من غرض البعثة، والقسم الثاني لا معنى للخوف من أن يرثوه، إذ كان أمره بيده ويقدر على أن لا يلقنه إليهم، ولو صحّ الخوف على القسم الأوّل لجرى ذلك فيه أيضاً فتأمل. هذا خلاصة ما ذكره المرتضى (رحمه الله) في الشافي على ما نقله في البحار^(١).

ومنها قوله تعالى: ﴿واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾^(٢) ونحوه ممّا يدلّ

(١) البحار ٣٩: ٣٥٢.

(٢) الأنفال: ٧٥.

(٣) النساء: ١٣ - ١٤.

وإنما بين أنه صدقة وليس بميراث، ولا يمتنع تخصيص القرآن بذلك كما يختص في العبد والقاتل وغيرهما^(١).

وأورد عليه الفاضل المجلسي (رحمه الله)^(٢) بأن الإعتداد في تخصيص الآيات إما على سماع أبي بكر ذلك الخبر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويجب على الحاكم أن يحكم بعلمه، وإما شهادة من زعموهم شهوداً على الرواية، أو على مجموع الأمرين، أو على سماعه من حيث الرواية مع انضمام الباقيين إليه. فإن كان الأول فيرد عليه وجوه من الإيراد:

الأول: ما ذكره السيد (رحمه الله) في الشافي من أن أبا بكر في حكم المدعي لنفسه والجار إليها نفعا في حكمه، لأن أبا بكر وسائر المسلمين سوى أهل البيت (عليهم السلام) تحلّ لهم الصدقة ويجوز أن يصبوا منها، وهذه تهمة في الحكم والشهادة.

ثم قال (رحمه الله): وليس له أن يقول هذا يقتضي أن لا تقبل شهادة شاهدين في تركة فيها صدقة بمثل ما ذكرتم، وذلك لأنّ الشاهدين إذا شهدا بالصدقة فحظهما منها كحظ صاحب الميراث بل سائر المسلمين، وليس كذلك حال تركة الرسول (صلى الله عليه وآله) لأنّ كونها صدقة يحرمها على ورثته ويبيعها لسائر المسلمين، إنتهى^(٣).

ولعلّ مراده أن لحرمان الورثة في خصوص تلك المادة شواهد على التهمة، بأن كان غرضهم اضعاف جانب أهل البيت (عليهم السلام) لئلا يتمكنوا من المنازعة في الخلافة، ولا تميل الناس إليهم لنيل الزخارف الدنيوية فيكثر أعوانهم وأنصارهم، ويظفروا بإخراج الخلافة والإمارة من أيدي المستغلبين، إذ لا يشك أحد ممن نظر في أخبار العامة والخاصة في أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان

(١) المغني ١: ٣٢٨، البحار ٢٩: ٣٥٨.

(٢) البحار ٢٩: ٣٥٨.

(٣) الشافي ٤: ٦٨.

في ذلك الوقت طالب للخلافة مدّعياً لاستحقاقه لها، وأنه لم يكن إنصراف الأعيان والأشراف عنه وميلهم إلى غيره إلا لعلمهم بأنه (عليه السلام) لا يفضل أحداً منهم على ضعفاء المسلمين، وأنه يسوّي بينهم في العطاء والتقريب، ولم يكن إنصراف سائر الناس عنه إلا لقلّة ذات يده، وكون المال والجاه مع غيره.

والأولى أن يقال في الجواب: أنه لم تكن التهمة لأجل أن له حصّة في التركة، بل لأنّه كان يريد أن تكون نحت يده ويكون حاكماً فيه يعطيه من يشاء ويمنعه ممّن يشاء، ويؤيّده قول أبي بكر فيما رواه في جامع الأصول من سنن أبي داود، عن أبي الطفيل قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها من أبيها، فقال لها: سمعت رسول الله يقول: إن الله إذا أطعم نبياً طعمة فهو للذي يقوم من بعده^(١).

ولا ريب أن ذلك ممّا يتعلّق به الأغراض، ويعدّ من جلب المنافع، ولذا لا تقبل شهادة الوكيل فيما هو وكيل فيه، والوصي فيما هو وصيّ فيه، وقد ذهب قوم إلى عدم جواز الحكم بالعلم مطلقاً لأنّه مظنة التهمة، فكيف إذا قامت القرائن عليها من عداوة ومنازعة واضعاف جانب ونحو ذلك؟!

والعجب أن بعضهم في باب النحلة منعوا بعد تسليم عصمة فاطمة (عليها السلام) جواز الحكم بمجرد الدعوى على الحاكم بصدقها، وجوّزوا الحكم بأنّ التركة صدقة للعلم بالخبر مع معارضته للقرائن وقيام الدليل على كذبه.

الثاني: إنّ الخبر معارض للقرآن لدلالة الآية في شأن زكريّا وداود (عليهما السلام) على الوراثه، وليست الآية عامة حتى تخصّص بالخبر، فيجب طرح الخبر، لا يقال: إذا كانت الآية خاصّة فينبغي تخصيص الخبر بها وحمله على زكريّا وداود، لأنّا نقول: الحكم بخروجها عن حكم الأنبياء مخالف لإجماع الأمة لانحصار أمر الأمة في الحكم بالإيراث مطلقاً وعدمه مطلقاً، فلا محيص عن الحكم بكذب الخبر وطرحه.

(١) جامع الأصول ٩: ٦٣٩ ح ٧٤٤٠، سنن أبي داود ٢: ١٤٤ ح ٢٩٧٣، البحار ٢٩: ٣٦٠.

الثالث: إنَّ عليّاً (عليه السّلام) كان يرى الخبر موضوعاً باطلاً، وكان (عليه السّلام) لا يرى إلّا الحق والصدق، فلا بد من القول بأنّ من زعم أنّه سمع الخبر كاذب، أمّا الأولى فلما رواه مسلم في صحيحه وفي جامع الأصول أيضاً أنّه قال عمر لعليّ والعباس: قال أبو بكر: قال رسول الله: (لا نورث ما تركناه صدقة) فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنّه لصادق بارّ راشد تابع للحق، ثمّ توفي أبو بكر فقلت: أنا وليّ رسول الله ووليّ أبي بكر، فرأيتماني آثماً غادراً خائناً، والله يعلم أنّي لصادق بارّ تابع للحق فوليتها^(١).

وعن البخاري في منازعة عليّ (عليه السّلام) والعباس فيما أفاء الله على رسوله (صلّى الله عليه وآله) من بني النضير أنّه قال عمر بن الخطاب: فقال أبو بكر: أنا وليّ رسول الله، فقبضها فعمل فيها بما عمل رسول الله، وأنتما حينئذٍ - وأقبل على عليّ والعباس - تزعمان أنّ أبا بكر فيها كذا وكذا، والله يعلم أنّه فيها صادق بارّ راشد تابع للحق^(٢).

وقد روى ابن أبي الحديد في الشرح من كتاب أبي بكر الجوهري مثله بأسانيد^(٣).

وأما المقدمة الثانية فلما مرّ ويأتي من الأخبار المتواترة في أنّ عليّاً (عليه السّلام) لا يفارق الحقّ والحقّ لا يفارقه بل يدور معه حيثما دار، ويؤيّده روايات السفينة، والثقلين، وأضرابها.

الرابع: إنّ فاطمة (عليها السّلام) أنكرت رواية أبي بكر وحكمت بكذبه فيها، ولا يجوز الكذب عليها فوجب كذب الرواية وراويها.

أمّا المقدمة الأولى فلما مرّ في خطبتها وغيرها، وسيأتي من شكايته في

(١) جامع الأصول ٢: ٧٠٣ ح ١٢٠٢، صحيح مسلم ١٢: ٧٥ كتاب الجهاد حكم الفيء، البحار ٢٩:

٣٦١.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٥٠٦ ح ١٢٦٦ كتاب الخمس، البحار ٢٩: ٣٦١.

(٣) شرح النهج ١٦: ٢٢١.

مرضها وغيرها، وقد رووا في صحاحهم أنها (عليها السلام) انصرفت من عند أبي بكر ساخطة وماتت عليه واجدة^(١)، وقد اعترف بذلك ابن أبي الحديد وغيره^(٢). وأما الثانية فلما مرّ وسيأتي من عصمتها وجلالتها.

الخامس: أنه لو كانت تركة الرسول صدقة ولم يكن لها (عليها السلام) حظّ فيها لبين النبي (صلى الله عليه وآله) الحكم لها، إذ التكليف في تحريم أخذها يتعلّق بها، ولو بيّنه لها لما طلبتها لعصمتها، ولا يرتاب عاقل في أنه لو كان بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأهل بيته أن تركتي صدقة لا تحلّ لكم لما خرجت ابنته وبضعته من بيتها، مستعدية ساخطة صارخة في معشر المهاجرين والأنصار، تعاتب إمام زمانها بزعمكم وتنسبه إلى الجور والظلم في غصب تراثها، وتستنصر المهاجرة والأنصار في الوثوب عليه، وإثارة الفتنة بين المسلمين وتهيج الشر، ولم تستقرّ بعد أمر الإمارة والخلافة.

وقد أيقنت بذلك طائفة من المؤمنين أن الخليفة غاصب للخلافة، ناصب لأهل الإمامة، فصبّوا عليه اللعن والطعن إلى نفخ الصور وقيام النشور، وكان ذلك من آكد الدواعي إلى شقّ عصا المسلمين، وافتراق كلمتهم، وتشتت الفتهم، وقد كانت تلك النيران يخمدنها بيان الحكم لها أو لأمر المؤمنين (عليه السلام).

ولعلّه لا يجسر من أوتي حظاً من الإسلام على القول بأن فاطمة (عليها السلام) مع علمها بأن ليس لها في التركة بأمر الله نصيب كانت تقدّم على مثل ذلك الصنيع، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) مع علمه بحكم الله لم يجرها عن التظلم والاستعداد، ولم يأمرها بالقعود في بيتها راضية بأمر الله فيها، وكان ينازع العباس بعد موتها ويتحاكم إلى عمر بن الخطاب.

(١) صحيح مسلم ١٢: ٧٧ كتاب الجهاد حكم الفيء، صحيح البخاري ٥: ٢٥٢ ح ٧٠٤ غزوة خيبر، مسند

أحمد ١: ٦ و ٩، سنن البيهقي ٦: ٣٠٠، مستدرک الحاكم ٣: ١٦٣، الإمامة والسياسة ١: ١٤.

(٢) شرح النهج ١٦: ٢٥٣.

فليت شعري هل كان ذلك الترك والإهمال لعدم الاعتناء بشأن بضعته التي كانت يؤذيه ما آذاها ويريبه ما رابها، أو بأمر زوجها وابن عمه وأخيه المساوي لنفسه ومواسيه بنفسه، أو لقلّة المبالاة بتبليغ أحكام الله تعالى وأمر أمته، وقد أرسله الله بالحقّ بشيراً ونذيراً للعالمين.

السادس: إنّنا مع قطع النظر عن جميع ما تقدّم نحكم قطعاً بأنّ مدلول هذا الخبر كاذب باطل، ومن أسند إليه هذا الخبر لا يجوز له الكذب، فلا بدّ من القول بكذب من رواه والقطع بأنّه وضعه واقتراه.

أمّا المقدمة الثانية فغنيّة عن البيان.

وأما الأولى فبيانها أنّه قد جرت عادة الناس قديماً وحديثاً بالاخبار عن كلّ ما جرى بخلاف المعهود بين كافة الناس، وخرج عن سنن عاداتهم سيّما إذا وقع في كلّ عصر وزمان، وتوفّرت الدواعي إلى نقله وروايته، ومن المعلوم لكلّ أحد أنّ جميع الأمم على اختلافهم في مذاهبهم يهتمّون بضبط أحوال الأنبياء وسيرتهم، وأحوال أولادهم وما يجري عليهم بعد آبائهم، وضبط خصائصهم وما يتفرّدون به عن غيرهم.

ومن المعلوم أيضاً أنّ العادة قد جرت من يوم خلق الله الدنيا وأهلها إلى زمان انقضاء مدّتها وفنائها بأن يرث الأقربون من الأولاد وغيرهم من أقاربهم وذوي أرحامهم، ويتنفّعوا بأموالهم وما خلفوه بعد موتهم، ولا شك لأحد في أنّ عامّة الناس عالمهم وجاهلهم، وغنيّهم وفقيرهم، وملوكهم ورعاياهم يرغبون إلى كلّ ما نسب إلى ذي شرف وفضيلة ويتبرّكون به، ويحرزه الملوك في خزائنهم، ويوصون به لأحبّ أهلهم، فكيف بسلاح الأنبياء وثيابهم وأمتعتهم؟ ألا ترى الأعمى إذا أبصر في مشهد من المشاهد المشرّفة، أو توهّمت العامة أنّه أبصر اقتطعوا ثيابه وتبرّكوا بها، وجعلوها حرزاً من كلّ بلاء.

إذا تمهّدت هذه المقدّمات فنقول: لو كان ما تركه الأنبياء من لدن آدم إلى الخاتم (صلّى الله عليه وآله) صدقة لقسمت بين الناس بخلاف المعهود من توارث

الآباء والأولاد وسائر الأقارب، ولا يخلو الحال أما أن يكون كل نبيّ يبيّن هذا الحكم لورثته بخلاف نبيّنا، أو يتركوا البيان كما تركه (صلّى الله عليه وآله)، فجرى على سنّة الذين خلوا من قبله من أنبياء الله.

فإن كان الأوّل فمع أنّه خلاف الظاهر كيف خفي هذا الحكم على جميع أهل الملل والأديان، ولم يسمعه أحد إلا أبو بكر ومن يحذو حذوه، ولم ينقل أحد أن عصا موسى (عليه السلام) انتقلت على وجه الصدقة إلى فلان، وسيف سليمان إلى فلان، وكذا ثياب سائر الأنبياء وأسلحتهم وأدواتهم فرّقت بين الناس، ولم يكن في ورثة أكثر من مائة ألف نبيّ قوم ينازعون في ذلك وإن كان بخلاف حكم الله عزّ وجلّ، وقد كان أولاد يعقوب مع علوّ قدرهم يحسدون على أخيهم ويلقونه به الجب لمّا رأوه أحبّهم إليه، أو وقعت تلك المنازعة كثيراً ولم ينقلها أحد في الملل السابقة وأرباب السير مع شدة اعتنائهم بضبط أحوال الأنبياء وخصائصهم وما جرى بعدهم كما تقدّم.

وإن كان الثاني فكيف كانت حال ورثة الأنبياء، أكانوا يرضون بذلك ولا ينكرون؟ فكيف صارت ورثة الأنبياء جميعاً يرضون بقول القائمين بالأمر مقام الأنبياء ولم ترض به سيّدة النساء؟ أو كانت سنّة المنازعة جارية في جميع الأمم ولم ينقلها أحد ممّن تقدّم، ولا ذكر من انتقلت تركات الأنبياء إليهم، إن هذا الشيء عجاب.

وأعجب من ذلك أنّهم ينازعون في وجود النص على عليّ أمير المؤمنين (عليه السلام) مع كثرة الناقلين له من يوم السقيفة إلى الآن، ووجود الأخبار في صحاحهم، وادعاء الشيعة تواتر ذلك من أوّل الأمر إلى الآن، ويستندون في ذلك إلى أنّه لو كان حقّاً لما خفي ذلك لتوفّر الدواعي إلى نقله وروايته.

فانظر بعين الإنصاف أنّ الدواعي لشهرة أمر خاص ليس الشاهد له إلا قوم مخصوصون من أهل قرن معين أكثر، أم لشهرة أمر قلّ زمان من الأزمنة من لدن آدم إلى الخاتم (صلّى الله عليه وآله) يخلو عن وقوعه فيه، مع أنّه ليس يدعو إلى

كتمانها وإخفائه في الأمم السالفة داع، ولم يذكره رجل في كتابه، ولم يسمعه أحد من أهل أمة، ولعمري لا شك حينئذٍ أن من لزم الإنصاف، وجانب المكابرة والإعتساف، وتأمل في مدلول الخبر، وأمعن النظر يجزم قطعاً بكذبه وبطلانه. وإن كان القسم الثاني وهو أن يكون اعتماد أبي بكر في تخصيص الآيات بالخبر من حيث رواية الرواة له دون علمه بأنه من كلام الرسول (صلى الله عليه وآله) لسماعه باذنه، فيرد عليه أيضاً وجوه من النظر.

الأول: أن ما ذكره قاضي القضاة من أنه شهد لصدق الرواية في أيام أبي بكر عمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبدالرحمن، باطل غير مذكور في سيرة ورواية من طرقهم وطرق أصحابنا، وإنما المذكور في رواية أوس بن مالك التي رووها في صحاحهم أن عمر بن الخطاب لما تنازع عنده أمير المؤمنين والعباس استشهد نفرًا فشهدوا بصدق الرواية، حيث قال عمر لهؤلاء: أتعلمون أن رسول الله قال: لا نورث ما تركناه صدقة؟ قالوا: نعم، ثم قال لعليّ والعباس: أتعلمان أن رسول الله قال كذا؟ قالوا: نعم... على ما مرّ تفصيل الخبر، وقد رواه البخاري^(١) ومسلم^(٢)، وأخرجه الحميدي، وحكاه في جامع الأصول^(٣).

ثم حكم في جامع الأصول عن البخاري ومسلم أنه قال عمر لعليّ: قال أبو بكر: قال رسول الله: لا نورث ما تركناه صدقة، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً... إلى آخر ما مرّ أيضاً من أخبارهم المختلفة في الجملة في غير موضع الإشتهاد. ولا يذهب على ذي فطنة أن شهادة هؤلاء الذين تضمنتهم الروايات لم تكن من حيث الرواية والسماع عن الرسول، بل لثبوت الرواية عندهم بقول أبي بكر بقرينة أن عمر ناشد عليّاً والعباس: أتعلمان أن رسول الله قال كذا؟ فقالوا: نعم، وذلك لأنه لا يقدر أحد في ذلك الزمان على تكذيب تلك الرواية، وقد قال عمر

(١) صحيح البخاري ٨: ٥٥٢ ح ١٥٧٦ كتاب الفرائض.

(٢) صحيح مسلم ١٢: ٧٥ كتاب الجهاد.

(٣) جامع الأصول ٢: ٧٠٣ ح ١٢٠٢.

في آخر الرواية: رأيتماه - يعني أبا بكر - كاذباً آثماً غادراً خائناً، وكذا في خصوص نفسه.

والعجب أن القاضي لم يجعل علياً (عليه السلام) والعباس شاهدين على الرواية مع تصديقهما كما صدّق الباقر بل جميع الصحابة لأنّهم يشهدون بصدقهما.

وقال ابن أبي الحديد بعد حكاية كلام السيد (رحمه الله) في أن الاستشهاد كان في خلافة عمر دون أبي بكر، وإنّ معول المخالفين على إمساك الأمة عن النكير على أبي بكر دون الإتيان به ما هذا لفظه، قلت: صدق المرتضى فيما قال، أمّا عقيب وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) ومطالبة فاطمة (عليها السلام) بالإرث فلم يرو الخبر إلا أبو بكر وحده، وقيل أنّه رواه معه مالك بن أوس بن الحدثان، وأمّا المهاجرون الذين ذكرهم قاضي القضاة فقد شهدوا بالخبر في خلافة عمر^(١). وقال أيضاً: قلت: هذا مشكل لأنّ أكثر الروايات أنّه لم يرو هذا الخبر إلا أبو بكر وحده، ذكر ذلك أكثر المحدثين، حتى أنّ الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم بالخبر يرويه الصحابي الواحد.

وقال شيخنا أبو علي: لا يقبل في الرواية إلا رواية إثنين كالشهادة، فخالفه المتكلمون والفقهاء كلّهم، واحتجّوا على ذلك بقبول الصحابة رواية أبي بكر وحده حيث قال: نحن معاصر الأنبياء لا نورث، حتى أنّ بعض أصحاب أبي علي تكلف لذلك جواباً فقال: قد روى أنّ أبا بكر يوم حاج فاطمة قال: أنشد الله امرء سمع من رسول الله في هذا شيئاً، فروى مالك بن أوس بن الحدثان أنّه سمع من رسول الله هذا الخبر.

وهذا الحديث ينطق بأنّه استشهد عمر طلحة وغيرهما فقالوا: سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأين كانت هذه الروايات أيّام أبي بكر؟ ما نقل أنّ أحداً من هؤلاء يوم خصومة فاطمة (عليها السلام) وأبي بكر روى من هذا

شيئاً^(١)، إنتهى ما نقل عنه ملخصاً.

فظهر أن قول هذا القاضي ليس إلا شهادة زور، ولو كان لما ذكره من استشهاد أبي بكر مستند لأشار إليه كما هو الدأب في مقام الاحتجاج، وأما لفظ (سمعناه) في هذا الخبر فلا يخلو من التحريف، وإن المتفق عليه في الروايات الصحيحة أنه قال: أتعلمون كذا؟ قالوا: نعم، ولا يكون الاحتجاج إلا بالمتفق عليه أو ما اعترف به الخصم بالإستشهاد على الرواية لم يثبت عندنا لا في أيام أبي بكر ولا في زمن عمر. ثم أورد السيد (رحمه الله)^(٢) على كلام صاحب المغني بأننا لو سلّمنا استشهاد من ذكر على الخبر لم يكن فيه حجة، لأنّ الخبر على كلّ حال لا يخرج من أن يكون غير موجب للعلم وهو في حكم أخبار الآحاد، وليس يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن بما يجري هذا المجرى لأنّ المعلوم لا يخصّ إلا بمعلوم.

قال: على أنه لو سلّم لهم أن خبر الواحد يعمل به في الشرع لاحتاجوا إلى دليل مستأنف على أنه يقبل في تخصيص القرآن، لأنّ مادّل على العمل به في الجملة لا يتناول هذا الموضع كما لا يتناول جواز النسخ به، وتحقيق هاتين المسألتين من وظيفة أصول الفقه.

والثاني: إن رواة الخبر كانوا متهمين في الرواية بجلب النفع من حيث حلّ الصدقة عليهم كما تقدّم في القسم الأوّل، وما أجاب به شارح كشف الحق من الفرق بين الرواية والشهادة، وإنّ التهمة إنّما تضرّ في الشهادة دون الرواية فسخيف جداً، ولم يقل أحد بهذا الفرق غيره.

والثالث والرابع: ما تقدّم في الإيراد الثالث والرابع على القسم الأوّل.

الخامس: ما تقدّم من وجوب البيان للورثة نظير الخامس.

السادس: ما تقدّم في السادس.

أمّا القسم الثالث وهو أن يكون مناط الحكم على علم أبي بكر مع شهادة

(١) شرح النهج ١٦: ٢٢٧، البحار ٢٩: ٣٧١.

(٢) الشافي ٤: ٦٦.

النفر، وكذلك الرابع وهو أن يكون الإعتداد على روايته معهم، فقد ظهر بطلانها مما سبق، فإن المجموع وإن كان أقوى من كلّ واحدة من الجزئين، إلا أنه لا يدفع التهمة، ولا مناقضة الآيات الخاصة، ولا باقى الوجوه السابقة.

وقد ظهر بما تقدّم أن الجواب عن قول أبي علي: (أتعلمون كذب أبي بكر أم تجوزون صدقه، وقد علم أنه لا شيء يعلم به كذبه قطعاً فلا بد من تجويز كونه صادقاً) كما حكاها في المغني، هو إننا نعلم كذبه قطعاً، والدليل عليه ما تقدّم من الوجوه الستة المفصلة، وإنّ تخصيص الآيات بهذا الخبر ليس من قبيل تخصيصها في القاتل والعمد - كما ذكر قاضي القضاة - إذ مناط الثاني روايات معلومة الصدق، والأول خبر معلوم الكذب.

دفع إشكالين:

الأول: اعلم أن بعض المخالفين استدّلوا على صحّة الرواية وما حكم به أبو بكر بترك الأئمة النكير عليه، وقد ذكر السيد المرتضى (رحمه الله) في الشافي كلامهم ذلك على وجه السؤال وأجاب عنه بقوله: فإن قيل... الخ، ونقل جواباً عن أبي عثمان الجاحظ بقوله: وقد أجاب أبو عثمان في كتاب العباسيّة، كما سيذكر. قال ابن أبي الحديد هنا قبل الشروع في ذكره: قلت: ما كنّا المرتضى (رحمه الله) في غير هذا الموضع أصلاً بل كان ساخطاً عليه، وكنّا في هذا الموضع، واستجاد قوله لأنّه موافق لغرضه، فسبحان الله ما أشدّ حبّ الناس لعقائدهم، إنتهى^(١).

وبالجملة نقل في البحار^(٢) ذلك السؤال والجواب بقوله: وقد ذكر السيد (رحمه الله)^(٣) كلامهم هذا على وجه السؤال، وأجاب عنه بقوله: فإن قيل: إذا كان أبو بكر قد حكم بالخطأ في دفع فاطمة (عليها السلام) من الميراث، واحتجّ بخبر لا

(١) شرح النهج ١٦: ٢٦٤.

(٢) البحار ٢٩: ٣٧٤.

(٣) الشافي ٤: ٨٤.

حجة فيه فما بال الأمة أقرّته على هذا الحكم ولم تنكر عليه؟ وفي رضاها وإمساكها دليل على صوابه.

قلنا: قد مضى أن ترك النكير لا يكون دليل الرضا إلا في الموضع الذي لا يكون له وجه سوى الرضا، ويثبتنا في الكلام على إمامة أبي بكر هذا الموضع بياناً شافياً.

وقد أجاب الجاحظ أبو عثمان في كتاب العباسية عن هذا السؤال جواباً جيّد المعنى واللفظ، ونحن نذكره على وجهه ليقابل بينه وبين كلامه في العثمانية وغيرها.

قال: وقد زعم الناس أن الدليل على صدق خبرهما - يعني أبا بكر وعمر - في منع الميراث وبراءة ساحتهما ترك أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) النكير عليهما، ثم قال: فيقال لهم: لئن كان ترك النكير دليلاً على صدقهما ل يكون ترك النكير على المتظلمين منهما، والمحتجّين عليهما، والمطالبين لهما بدليل، دليلاً على صدق دعواهم، واستحسان مقالتهما، لا سيّما وقد طالّت المشاحات، وكثرت المراجعة والملاحات، وظهرت الشكيمة، واشتدت الموجدة، وقد بلغ ذلك من فاطمة حتى أنّها أوصت أن لا يصليّ عليها أبو بكر.

ولقد كانت قالت له حين أنّه طالبة بحقّها ومحتجّة برهطها: من يرثك يا أبا بكر إذا متّ؟ قال: أهلي وولدي، قالت: فما بالنا لا نرث النبي (صلى الله عليه وآله)؟ فلمّا منعها ميراثها، وبخسها حقّها، واعتلّ عليها، ولجّ في أمرها، وعابنت التهضمّ، وأيست من النزوع، ووجدت مسّ الضعف وقلة الناصر، قالت: والله لأدعون الله عليك، قال: والله لأدعون الله لك، قالت: والله لا أكلمك أبداً، قال: والله لا أهجرك أبداً.

فان يكن ترك النكير على أبي بكر دليلاً على صواب منعه، فإن ترك النكير على فاطمة (عليها السلام) دليلاً على صواب طلبها، وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت، وتذكيرها ما نسيت، وصرفها عن الخطأ، ورفع قدرها عن

البذاء، وأن تقول هجراً، أو تجور عادلاً، أو تقطع واصلًا، فإذا لم نجد لهم أنكروا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت الأمور، واستوت الأسباب، فالرجوع إلى أصل حكم الله في المواريث أولى بنا وبكم، وأوجب علينا وعليكم.

وإن قالوا: كيف يظنّ ظلمها والتعديّ عليها، وكلّما ازدادت فاطمة عليه غلظة إزداد لها ليناً ورقّة، حيث تقول: والله لا أكلمك أبداً فيقول: والله لا أهجرك أبداً، ثم تقول: والله لأدعون الله عليك، فيقول: والله لأدعون الله لك.

ثم يحتمل هذا الكلام الغليظ والقول الشديد في دار الخلافة وبحضرة قريش والصحابة، مع حاجة الخلافة إلى البهاء والرفعة، وما يجب لها من التنويه والهيبة، ثم لم يمنعه ذلك أن قال معتذراً أو متقرباً كلام المعظم لحقّها، المكبر لقيامها، والصائن لوجهها، والمتحنن عليها: ما أحد أعزّ عليّ منك فقراً، ولا أحبّ إليّ منك غناً، ولكن سمعت رسول الله يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.

قيل لهم: ليس ذلك بدليل على البراءة من الظلم والسلامة من الجور، وقد يبلغ من مكر الظالم ودهاء الماكر إذا كان أريباً وللخصومة معتاداً أن يظهر كلام المظلوم، وذلة المنتصف، وجدة الواثق، ومقة المحق، وكيف جعلتم ترك النكير حجة قاطعة ودلالة واضحة، وقد زعمتم أن عمر قال على منبره: (متعتان كانتا على عهد رسول الله: متعة النساء ومتعة الحج، أنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما)^(١) فما وجدتم أحداً أنكر قوله، ولا استشنع مخرج نهيه، ولا خطّأه في معناه، ولا تعجّب منه ولا استفهمه.

وكيف تقضون بترك النكير وقد شهد عمر يوم السقيفة بعد ذلك أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: الأئمة من قريش^(٢)، ثم قال في مكانه: لو كان سالم حيّاً ما يخالجنى فيه شك^(٣)، حين أظهر الشك في استحقاق كلّ واحد من الستة الذين

(١) التفسير الكبير ١٠: ٥٠، كنز العمال ١٦: ٥١٩ ح ٤٥٧١٥، نهج الحق: ٢٨١، والشافي ٤: ٨٦.

(٢) الشافي ٤: ٨٦، شرح النهج ١٦: ٢٦٥، كنز العمال ١٢: ٣٠ ح ٣٨٣١.

(٣) الشافي ٤: ٨٦، شرح النهج ١٦: ٢٦٥، الصراط المستقيم ٣: ١٩.

جعلهم أهل الشورى، وسالم عبد لا امرأة من الأنصار وهي أعتقته وحازت ميراثه، ثم لم ينكر ذلك من قريش منكر، ولا قابل إنسان بين قولييه ولا تعجب منه، وإنما يكون ترك النكير على من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلاً على صدق قوله وصواب عمله، فامّا ترك التنكير على من يملك الضعة والرفعة، والأمر والنهي، والقتل والإستحياء، والحبس والإطلاق، فليس بحجة تشفى ولا دليل يُغني.

قال: وقال آخرون: بل الدليل على صدق قولهما وصواب عملهما، إمساك الصحابة عن خلعهما والخروج عليهما، وهم الذين وثبوا على عثمان في أيسر من جحد التنزيل، وردّ النصوص، ولو كانوا كما يقولون ويصفون ما كان سبيل الأمة فيهما إلا كسبيلهم فيه، وعثمان كان أعزّ نفراً وأشرف رهطاً، وأكثر عدداً وثروة، وأقوى عدّة.

قلنا: إنهما لم يجحدا التنزيل ولم ينكرا المنصوص، ولكنهما بعد إقرارهما بحكم الميراث وما عليه الظاهر من الشريعة ادعيا رواية، وتحديثاً بحديث لم يكن محالاً كونه، ولا يمتنع في حجج العقول مجيؤه، وشهد لهما عليه من علته مثل علتهما فيه، ولعلّ بعضهم كان يرى التصديق للرجل إذا كان عدلاً في رهطه، مأموناً في ظاهره، ولم يكن قبل ذلك عرفه بفجرة، ولا جرب عليه غدرة، فيكون تصديقه له على جهة حسن الظن وتعديل الشاهد، ولأنّه لم يكن كثير منهم يعرف حقائق الحجج، والذي يقطع بشهادته على الغيب، وكان ذلك شبهة على أكثرهم، فلذلك قلّ النكير، وتواكل الناس، واشتبه الأمر، فصار لا يتخلّص إلى معرفة حق ذلك من باطله إلا العالم المتقدم، والمؤيد المرشد.

ولأنّه لم يكن لعثمان في صدر العوام وفي قلوب السفلة والطغام ما كان لهما من الهيبة والمحبة، ولأنّهما كانا أقلّ استيثاراً بالفيء، وأقلّ تفكّهاً بمال الله منه، ومن شأن الناس إهمال السلطان ما وقرّ عليهم أموالهم، ولا يستأثر بخراجهم، ولم يعطلّ ثغورهم.

ولأنّ الذي صنع أبو بكر من منع العترة حظّها والعمومة ميراثها، قد كان موافقاً

لجلة قريش، ولكبراء العرب، ولأنّ عثمان أيضاً كان مضعوباً في نفسه، مستخفاً بقدره، ولا يمنع ضيماً، ولا يجمع عدوّاً، ولقد وثب ناس على عثمان بالشتم والقذف والتشنيع والتعيير لأمر لو أتى عمر أضعافها، وبلغ أقصاها، لما اجترؤوا على اغتيابه فضلاً عن مبادئه، والإغراء به ومواجهته، كما أغلظ عيينة بن حصين له فقال له: أما أنّه لو كان عمر لقمعك ومنعك، فقال عيينة: إنّ عمر كان خيراً لي منك، أرهني فأبقاني.

ثم قال: والعجب أنّا وجدنا جميع من خلفنا في الميراث على اختلافهم في التشبيه والقدر والوعيد يردّ كلّ صنف منهم من أحاديث مخالفه وخصومه ما هو أقرب استناداً، وأوضح رجالاً، وأحسن اتصالاً حتى إذا صاروا إلى القول في ميراث النبي (صلى الله عليه وآله) نسخوا الكتاب، وخصّوا الخبر العامّ بما لا يداني بعض ما رووه، واكذبوا ناقله، وذلك أنّ كلّ إنسان منهم إنّما يجري إلى هواه، ويصدّق ما وافق رضاه، هذا آخر كلام الجاحظ^(١).

ثم قال السيد (رحمه الله): فإن قيل: ليس ما عارض به الجاحظ من الاستدلال بترك النكير، وقوله: كما لم ينكروا على أبي بكر، فلم ينكروا أيضاً على فاطمة ولا غيرها من المطالبين بالميراث كالأزواج وغيرهنّ معارضة صحيحة، وذلك أنّ نكير أبي بكر لذلك ودفعه واحتجاج عليه يكفيهم ويغنيهم عن تكلف نكير، ولم ينكر على أبي بكر ما رواه منكر فيستغنوا بإنكاره.

قلنا: أوّل ما يبطل هذا السؤال أنّ أبا بكر لم ينكر عليها ما أقامت عليه بعد احتجاجه بالخبر من التظلم والتألم والتعنيف والتبكي، وقولها (عليها السّلام) على ما روي:

(والله لأدعون الله عليك ولا كلمتك) وما جرى هذا المجرى، فقد كان يجب أن ينكره غيره، فمن المنكر الغضب على المنتصف، وبعد فإن كان إنكار أبي بكر

(١) حكاه السيد في الشافي ٤: ٨٤-٨٩، وابن أبي الحديد في شرح النهج ١٦: ٢٦٣-٢٦٧.

مقنعاً أو مغنياً عن إنكار غيره من المسلمين فإنكار فاطمة (عليها السلام) حكمه، ومقامها على التظلم منه يغني عن نكير غيرها، وهذا واضح لمن أنصف من نفسه، إنتهى كلامه (رحمه الله) ^(١).

الثاني: أعلم أن بعض المخالفين تمسكوا في تصحيح ما زعموه في أمر الميراث وقصة فذك، بامضاء عليّ (عليه السلام) ما فعلته الخلفاء لما صار الأمر إليه.

وقد استدلل قاضي القضاة بذلك على أن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن شاهداً في قضية فذك، إذ لو كان هو الشاهد فيها لكان الأقرب أن يحكم بعلمه، وكذلك في ترك الحجر لنساء النبي (صلى الله عليه وآله).

ثم قال: وليس لهم بعد ذلك إلا التعلّق بالتقية التي هي مفزعهم عند لزوم الكلام، ولو علموا ما عليهم في ذلك لاشتدّ هربهم منه، لأنّه إن جاز للأئمة التقية - وحالهم في العصمة ما يقولون - ليجوزون ذلك من رسول الله، وتجوز ذلك فيه يوجب أن لا يوثق بنصّه على أمير المؤمنين لتجوز التقية، ومتى قالوا بالمعجز يعلم إمامته فقد أبطلوا كون النصّ طريقاً للإمامة.

والكلام مع ذلك لازم لهم بأن يقال: جوّزوا مع ظهور المعجز أن يدّعي الإمامة تقية، وأن يفعل ما يفعله تقية، وكيف يوثق مع ذلك بما ينقل عن الرسول وعن الأئمة؟ وهل جاز أن يكون أمير المؤمنين نبياً بعد الرسول وترك ادعاء ذلك تقية وخوفاً؟ فإن الشبهة في ذلك أوكد من النص لأن التعصّب للنبي في النبوة أعظم من التعصّب لأبي بكر وغيره في الإمامة.

فإن عوّلوا في ذلك على علم الإضرار فعندهم أن الضرورة في النص على الإمامة قائمة، وإن فزعوا في ذلك إلى الإجماع فمن قولهم أنّه لا يوثق به، ويلزمهم في الإجماع أن يجوز أن يقع على طريق التقية، لأنّه لا يكون أوكد من قول

الرسول وقول الإمام عندهم، وبعد فقد ذكر الخلاف في ذلك كما ذكر الخلاف في أنه الله، فلا يصحّ على شروطهم أن يتعلّقوا بذلك، إنتهى^(١).

ولا يخفى أنه قد ورد في أخبارنا وجه هذه المسألة وهي كثيرة، منها ما روى أبو بصير عن الصادق (عليه السلام) قال: قلت له: لِمَ لَمْ يأخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) فدك لِمَا ولي الناس، ولأَيِّ علّة تركها؟ فقال له: لأنّ الظالم والمظلومة قد كانا قدما على الله عزّ وجلّ، وأثاب الله المظلومة وعاقب الظالم، فكره أن يسترجع شيئا قد عاقب الله عليه غاصبه وأثاب عليه المغصوبة^(٢).

وعن إبراهيم الكرخي قال: سألت الصادق (عليه السلام) فقلت له: لأَيِّ علّة ترك أمير المؤمنين (عليه السلام) فدكاً لِمَا ولي الناس؟ فقال: للإقتداء برسول الله (صلى الله عليه وآله) لِمَا فتح مكة وقد باع عقيل بن أبي طالب داره، فقبل له: يا رسول الله ألا ترجع إلى دارك؟ فقال (صلى الله عليه وآله): وهل ترك عقيل لنا داراً، إنا أهل بيت لا نسترجع شيئا يؤخذ منا ظلماً، فلذلك لم يسترجع فدكاً لِمَا ولي^(٣).

وعن الحسن بن فضال، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: سألته عن أمير المؤمنين (عليه السلام) لِمَ لَمْ يسترجع فدكاً لِمَا ولي الناس؟ فقال: لأنّا أهل بيت وليّنا الله عزّ وجلّ، لا يأخذ لنا حقوقنا ممّن ظلمنا إلّا هو، ونحن أولياء المؤمنين إنّما نحكم لهم ونأخذ حقوقهم ممّن يظلمهم ولا نأخذ لأنفسنا^(٤)... إلى غير ذلك. وأجاب السيد المرتضى (رحمه الله) عن الإشكال المزبور في الشافي بما هذا

(١) المغني ٢٠: ٣٣٣، عنه البحار ٢٩: ٣٩٧.

(٢) علل الشرائع: ١٥٤ ح ١ باب ١٢٤، عنه البحار ٢٩: ٣٩٥ ح ١، وفي الطرائف: ٢٥١، وكشف الغمة ٢: ١١٦، والعوالم ١١: ٧٦٦ ح ٢.

(٣) علل الشرائع: ١٥٥ ح ٢ باب ١٢٤، عنه البحار ٢٩: ٣٩٦ ح ٢، وفي الطرائف: ٢٥١، والعوالم ١١: ٧٦٦ ح ٣، ونحوه كشف الغمة ٢: ١١٦.

(٤) علل الشرائع: ١٥٥ ح ٣ باب ١٢٤، عنه البحار ٢٩: ٣٩٦ ح ٣، وفي الطرائف: ٢٥١، والعوالم ١١: ٧٦٧ ح ٥.

لفظه^(١): أما قوله - أي قول المخالف المذكور -: إن جازت التقيّة للأئمة وحالهم في العصمة ما يدعون جازت على الرسول، فالفرق بين الأمرين واضح لأن الرسول (صلى الله عليه وآله) مبتدئ بالشرع ومفتتح لتعريف الأحكام التي لا تعرف إلا من جهته وبيانه، فلو جازت عليه التقيّة لأخلّ ذلك بازاحة علّة المكلفين، وفقدوا الطريق إلى معرفة مصالحهم الشرعيّة، وقد بيّنا أنّها لا تعرف إلا من جهته، والإمام بخلاف هذا الحكم لأنّه مفيد^(٢) للشرائع التي قد علمت من غير جهته، وليس يقف العلم بها والحقّ فيها على قوله دون غيره، فمن اتقى في بعض الأحكام بسبب يوجب ذلك لم يخل تقيّته بمعرفة الحق وإمكان الوصول إليه، والإمام والرسول استويا في العصمة فليس يجب أن يستويا في جواز التقيّة للفرق الذي ذكرناه، لا أن الإمام لم تجز التقيّة عليه لأجل العصمة، وليس للعصمة تأثير في جواز التقيّة ولا نفي جوازها.

فإن قيل: أليس من قولكم أن الإمام حجة في الشرائع، وقد يجوز عندكم أن ينتهي الأمر إلى أن يكون الحق لا يعرف إلا من جهته ويقول، بأن يعرض الناقلون عن النقل فلا يرد إلا من جهة من يقوم الحجة بقوله، وهذا يوجب مساواة الإمام للرسول فيما فرّقتم بينهما فيه؟

قلنا: إذا كانت الحال في الإمام ما صوّرتموه، وتعيّنت الحجة في قوله فإنّ التقيّة لا تجوز عليه كما لا تجوز على النبي (صلى الله عليه وآله).

فإن قيل: فلو قدرنا أن النبي قد بنّ جميع الشرائع والأحكام التي يلزمه بيانها حتى لم تبق شبهة في ذلك ولا ريب، لكان يجوز عليه والحال هذه التقيّة في بعض الأحكام.

قلنا: ليس نمنع عند قوّة أسباب الخوف الموجبة للتقيّة أن يتقي إذا لم تكن التقيّة مخلّة بالوصول إلى الحقّ ولا منفرة عنه.

(١) الشافي ٤: ١٠٥، عنه البحار ٢٩: ٣٩٨.

(٢) كذا في المتن والبحار، وفي الشافي: منفذ.

ثم يقال له: أليست التقيّة عندك جائزة على جميع المؤمنين عند حصول أسبابها وعلى الإمام والأمير؟ فإن قال: هي جائزة على المؤمنين وليست جائزة على الإمام والأمير، قلنا: وأي فرق بين ذلك؟ والإمام والأمير عندك لينا بحجة في شيء كما أن النبي (صلى الله عليه وآله) حجة فيمنع من ذلك لمكان الحجة بقولهما، فإن اعترف بجوازها عليهما قيل له: فألاجاز على النبي قياساً على الأمير والإمام؟

فإن قال: لأن قول النبي حجة وليس الإمام والأمير كذلك، قيل له: وأي تأثير في الحجة في ذلك إذا لم تكن التقيّة مانعة من أصابة الحق، ولا بمخلّة بالطريق إليه، وخبرنا عن الجماعة التي نقلها في باب الأخبار حجة لو ظفر بهم جبار ظالم متفرّقين أو مجتمعين، فسألهم عن مذاهبهم - وهم يعلمون أو يغلب في ظنونهم أنه متى ما ذكروها على وجهها قتلهم وأباح حريمهم - أليست التقيّة جائزة على هؤلاء مع الحجة في أقوالهم؟ فإن منع من جواز التقيّة على ما ذكرناه دفع ما هو معلوم وقيل له: وأي فرق بين هذه الجماعة وبين من نقص عن عدتها في جواز التقيّة؟ فلا يجد فرقاً.

فإن قال: إنّما جوّزنا التقيّة على من ذكرتم لظهور الإكراه والأسباب الملجئة إلى التقيّة، ومنعناكم من مثل ذلك لأنكم تدعون تقيّة لم تظهر أسبابها ولا الأمور الحاملة عليها من إكراه وغيره.

قيل له: هذا اعتراف بما أردناه من جواز التقيّة عند وجود أسبابها، وصار الكلام الآن في تفصيل هذه الجملة، ولسنا نذهب في موضع من المواضع إلى أن الإمام اتقى بغير سبب موجب لتقيّة وحامل على فعله، والكلام في التفصيل غير الكلام في الجملة، وليس كلّ الأسباب التي توجب التقيّة تظهر لكلّ أحد ويعلمها جميع الخلق، بل ربما اختلفت الحال فيها.

وعلى كلّ حال فلا بد أن تكون معلومة لمن وجب تقيته ومعلومة أو مجوّزة لغيره، ولهذا قد نجد بعض الملوك يسأل رعيته عن أمر، فيصدّقه بعضهم في ذلك

ولا يصدّقه آخرون ويستعملون ضرباً من التورية، وليس ذلك إلا لأن من صدّق لم يخف على نفسه ومن جرى مجرى نفسه، ومن ورّى فلاّنه خاف على نفسه، وغلب في ظنّه وقوع الضرر به متى صدّق فيما سئل عنه، وليس يجب أن يستوي حال الجميع، وأن يظهر لكلّ أحد السبب في التقيّة ممّن اتقى ممّا ذكرناه بعينه حتى يقع الإشارة إليه على سبيل التفصيل، وحتى يجري مجرى العرض على السيف في الملام من الناس، بل ربما كان ظاهراً كذلك وربّما كان خافياً.

فإن قيل: مع تجويز التقيّة على الإمام كيف السبيل إلى العلم بمذاهبه واعتقاده، وكيف يتخلّص لنا ما يفتي به على سبيل التقيّة من غيره؟

قلنا: أوّل ما نقوله في ذلك أن الإمام لا يجوز أن يتقي فيما لا يعلم إلا من جهته، ولا الطريق إليه إلا من ناحيته وقوله، وإنّما يجوز التقيّة إليه فيما قد بان بالحجج والبيّنات، ونصبت عليه الدلالات حتى لا تكون تقيّته فيه مزيلة لطريق إصابة الحق وموقعة للشبهة، ثم لا يتقي في شيء إلا ويدلّ على خروجه منه مخرج التقيّة، أمّا لما يصاحب كلامه أو يتقدّمه أو يتأخّر عنه، ومن اعتبر جميع ما روي عن أئمتنا (عليهم السّلام) على سبيل التقيّة وجده لا يعرى ممّا ذكرناه.

ثم إن التقيّة إنّما تكون من العدو دون الولي، ومن المتهم دون الموثوق به، فما يصدر منهم إلى أوليائهم وشيعتهم، ونصائحهم في غير مجالس الخوف يرتفع الشك في أنّه على غير جهة التقيّة، وما يفتون به العدو أو يمتحنون به في مجالس الجور يجوز أن يكون على سبيل التقيّة كما يجوز أن يكون على غيرها، ثمّ يقلب هذا السؤال على المخالف فيقال له: إذا أجزت على جميع الناس التقيّة عند الخوف الشديد وما يجري مجراه، فمن أين تعرف مذاهبهم واعتقادهم؟ وكيف تفصّل بين ما يفتي به المفتي منهم على سبيل التقيّة، وبين ما يفتي به وهو مذهب له يعتقد بصحّته؟ فلا بد من الرجوع إلى ما ذكرناه.

فإن قال: أعرف مذهب غيري وإن أجزت عليه التقيّة بأن يضطرني إلى اعتقاده، وعند التقيّة لا يكون ذلك.

قلنا: وما المانع من أن تقول هذا بعينه فيما سألت عنه، فأمّا ما تلا كلامه الذي حكيناه عنه من الكلام في التقيّة، وقوله: (إنّ ذلك يوجب أن لا يوثق بنصّه على أمير المؤمنين) فإنّما بناه على أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) يجوز عليه التقيّة في كلّ حال، وقد بيّنا ما في ذلك واستقصيناه.

وقوله: (ألا جاز أن يكون أمير المؤمنين نبياً، وعدل عن ادعاء ذلك تقيّة) فيبطله ما ذكرناه من أنّ التقيّة لا تجوز على النبي والإمام فيما لا يعلم إلّا من قبله وجهته، ويبطله زائد على ذلك ما نعلمه نحن وكلّ عاقل ضرورة من نفي النبوة بعده على كلّ حال من دين الرسول (صلّى الله عليه وآله).

وقوله: (إنّ عوّلوا على علم الإضرار فعندهم أنّ الضرورة في النص على الإمام قائمة) فمعاذ الله أن ندّعي الضرورة في العلم بالنص على من غاب عنه فلم يسمعه، والذي نذهب إليه أنّ كلّ من لم يشهده لا يعلمه إلّا بالاستدلال، وليس كذلك نفي النبوة لأنّه معلوم من دين النبي (صلّى الله عليه وآله) ضرورة، ولو لم يشهد بالفرق بين الأمرين إلّا اختلاف العقلاء في النص مع تصديقهم بالرسول (صلّى الله عليه وآله) وأنّهم لم يختلفوا في نفي النبوة لكفى.

ولا اعتبار بقوله في ذلك خلاف ما قد ذكر كما ذكر في أنّه (عليه السلام) إليه، لأنّ هذا الخلاف لا يعتدّ به والمخالف فيه خارج عن الإسلام، فلا يعتبر في إجماع المسلمين بقوله، كما لا يعتبر في إجماع المسلمين بقول من خالف في أنّه إله، على أنّ من خالف وادّعى نبوّته لا يكون مصدّقاً للرسول (صلّى الله عليه وآله)، ولا عالماً بنبوّته، ولا يدّعي علم الإضرار في أنّه لا نبّي بعده، وإنّما يعلم ضرورة من دينه (صلّى الله عليه وآله) نفي النبوة بعده من أقرّ بنبوّته (صلّى الله عليه وآله).

فأمّا قوله: (إنّ الإجماع لا يوثق به عندهم) فمعاذ الله أن نطعن في الإجماع وكونه حجة، فإنّ أراد أنّ الإجماع الذي لا يكون فيه قول إمام ليس بحجة، فذلك ليس بإجماع عندنا وعندهم، وما ليس بإجماع فلا حجة فيه، وقد تقدّم عند كلامنا في الإجماع من هذا الكتاب ما فيه كفاية.

وقوله: (يجوز أن يقع الإجماع على طريق التقيّة لأنّه لا يكون أوكد من قول الرسول أو قول الإمام عندهم) باطل، لأنّا قد بيّنا أنّ التقيّة لا تجوز على الرسول (صلّى الله عليه وآله) والإمام (عليه السّلام) على كلّ حال، وإنّما تجوز على حال دون أخرى، على أنّ القول بأنّ الأُمّة بأسرها تجمع على طريق التقيّة طريف، لأنّ التقيّة سببها الخوف من الضرر العظيم، وإنّما يتقي بعض الأُمّة من بعض لغلبته عليه وقهره له، وجميع الأُمّة لا تقيّة عليها من أحد.

فإن قيل: يتقي من مخالفيها في الشرائع، قلنا: الأمر بالضد من ذلك لأنّ من خالطهم وصاحبهم من مخالفيهم في الحال أقلّ عدداً وأضعف بطشاً منهم، فالتقيّة لمخالفهم منهم أولى، وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى الإطالة والإستقصاء، إنتهى كلامه رفع مقامه.

توضيح حال ما دلّت عليه الروايات السابقة، وما سيأتي في باب شهادة فاطمة (عليها السّلام) من أنّها أوصت أن تُدفن سرّاً، وأن لا يصلّي عليها أبو بكر وعمر لغضبها عليهما في منع فذك وغيره، وصار ذلك من أعظم الطعون عليهما. قد أجاب عنه قاضي القضاة في المغني بأنّه قد روى أنّ أبا بكر هو الذي صلّى على فاطمة (عليها السّلام) وكبّر أربعاً، وهذا أحد ما استدلّ به كثير من الفقهاء في التكبير على الميت، ولا يصحّ أنّها دفنت ليلاً، وإن صحّ فقد دفن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ليلاً، وعمر دفن ليلاً، وقد كان أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يدفنون بالنهار ولا يدفنون بالليل، فما في هذا ممّا يظن به، بل الأقرب في النساء أنّ دفنهنّ ليلاً أستر وأولى بالسنة^(١).

وردّ عليه السيد الأجلّ المرتضى (رحمه الله) في الشافي^(٢): بأنّ ما ادعيت من أنّ أبا بكر هو الذي صلّى على فاطمة (عليها السّلام) وكبّر أربعاً، وإنّ كثيراً من الفقهاء يستدلّون به في التكبير على الميت، فهو شيء ما سمع إلّا منك، وإن كنت

(١) المغني ٢٠: ٣٣٥، البحار ٢٩: ٣٨٨.

(٢) الشافي ٤: ١١٣.

تلقّيته عن غيرك فمَن يجري مجراك في العصبية، وإلا فالروايات المشهورة وكتب الآثار والسير خالية من ذلك، ولم يختلف أهل النقل في أنّ عليّاً (عليه السّلام) صلّى على فاطمة (عليها السّلام) إلا رواية شاذة نادرة وردت بأنّ العباس صلّى عليها.

روى الواقدي بإسناده عن عكرمة قال: سألت العباس متى دفنتم فاطمة؟ قال: دفناها بليل بعد هدأة، قال: قلت: فمن صلّى عليها؟ قال: عليّ (عليه السّلام)^(١). وروى الطبري بإسناده عن أبي زكريّا العجلاني أنّ فاطمة (عليها السّلام) عمل لها نعش قبل وفاتها، فنظرت وقالت: سترتموني ستركم الله، ولما توفيت دفنت ليلاً وصلّى عليها عليّ (عليه السّلام)^(٢).

وروى القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بإسناده في تاريخه عن الزهري، عن عروة بن الزبير أنّ عائشة أخبرته أنّ فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عاشت بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ستة أشهر، فلما توفيت دفنها عليّ (عليه السّلام) ليلاً، وصلّى عليها عليّ بن أبي طالب^(٣).

وذكر في كتابه هذا أنّ أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السّلام) دفنوها ليلاً وغيّبوا قبرها^(٤).

وقال البلاذري في تاريخه أنّ فاطمة (عليها السّلام) لم تر مبتسمة بعد وفاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولم يعلم أبو بكر وعمر بموتها...^(٥)، إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة، والأمر في هذا أوضح وأظهر من أن يطنب في الإستشهاد عليه بذكر الروايات.

(١) راجع الشافعي ٤: ١١٣، وشرح النهج ١٦: ٢٨٠، والبحار ٢٩: ٣٨٨.

(٢) راجع الشافعي ٤: ١١٤، شرح النهج ١٦: ٢٨٠، البحار ٢٩: ٣٨٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) راجع الشافعي ٤: ١١٤، شرح النهج ١٦: ٢٨٠، البحار ٢٩: ٣٩٠.

فأما قوله: (ولا يصحّ أنّها دفنت ليلاً وإن صحّ فقد دفن فلان وفلان ليلاً) فقد بيّنا أنّ دفنها ليلاً في الصحة كالشمس الطالعة، وإنّ منكر ذلك كدافع المشاهدات، ولم نجعل دفنها ليلاً بمجردّه هو الحجة فيقال: قد دفن فلان وفلان ليلاً، بل المراد الإحتجاج بذلك مع ما وردت من الروايات المستفيضة الظاهرة التي هي كالمتواترة أنّها أوصت بأن تدفن ليلاً حتى لا يصلّي عليها الرجلان، وصرّحت بذلك وعهدت فيه عهداً بعد أن كانا استأذنا عليها في مرضها ليعوداها فأبت أن تأذن لهما.

فلما طال عليهما المدافعة رغبا إلى أمير المؤمنين (عليه السّلام) في أن يستأذن لهما وجعلها حاجة إليه، فكلّمها أمير المؤمنين (عليه السّلام) في ذلك وألحّ عليها، فأذنت لهما في الدخول ثم أعرضت عنهما عند دخولهما ولم تتكلّمهما، فلما خرجا قالت لأمر المؤمنين (عليه السّلام): قد صنعت ما أردت؟ قال: نعم، قالت: فهل أنت صانع ما أمرك؟ قال: نعم، قالت: فإنّي أنشدك الله أن لا يصلّي على جنازتي، ولا يقوم على قبري.

وروي أنّه (عليه السّلام) عمّى على قبرها، ورشّ أربعين قبراً في البقيع ولم يرش على قبرها حتى لا يهتديا إليه، وأنّهما عاتباه على ترك إعلامهما لشأنها واحضارهما للصلاة عليها، فمن هاهنا احتججنا بالدفن ليلاً، ولو كان ليس غير الدفن بالليل من غير ما تقدّم عليه وتأخّر عنه لم يكن فيه حجة، إنتهى كلامه^(١). قال في البحار^(٢): ومما يدلّ من صحاح أخبارهم على دفنها ليلاً، وإنّ أبا بكر لم يصلّ عليها، وعلى غضبها عليه وهجرتها إيّاه، ما رواه مسلم في صحيحه وأورده في جامع الأصول عن عائشة في حديث طويل بعد ذكر مطالبة فاطمة (عليها السّلام) أبا بكر في ميراث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وفدك وسهمه من خير، قال: فهجرته فاطمة فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت، فدفنها عليّ

(١) الشافعي ٤: ١١٣-١١٥، والبحار ٢٩: ٣٨٨-٣٩١.

(٢) البحار ٢٩: ٣٩١.

(عليه السلام) ولم يؤذن فيها أبا بكر، فكان لعليّ وجه من الناس في حياة فاطمة، فلمّا توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس من عليّ (عليه السلام)، ومكثت فاطمة بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ستة أشهر ثم توفيت^(١).

وقد مرّ بعض الروايات من شرح ابن أبي الحديد وغيره ممّا هو مروى من طرق العامة والخاصة دالّ على المسألة بحيث لا يبقى فيها شك وشبهة.

تأييد مقال: وممّا يدلّ على كون ما فعله أبو بكر غصباً لفدك، وكونها مظلمة عليه إلى يوم القيامة، ما اشتهر من ردّ الخلفاء من بني أميّة وبني العباس فدكاً على أولاد فاطمة (عليها السلام) من باب ردّ الظلامة، وأنّه تحقق عندهم ذلك في سالف الأزمنة مع كون الزمان زمان التقية، وإنّ من تصرف فيها إنّما كان يتصرّف غصباً لاحقاً بالبتة.

روى ابن أبي الحديد في شرحه أنّه لما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة كانت فدك أوّل ظلامة ردّها، إذ دعا الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب - وقيل: بل دعا عليّ بن الحسين (عليه السلام) - فردّها عليه، وكانت بيد أولاد فاطمة (عليها السلام) مدّة ولاية عمر بن عبدالعزيز.

فلمّا ولي يزيد بن عاتكة قبضها منهم، فصارت في أيدي بني مروان كما كانت يتداولونها حتى انتقلت الخلافة عنهم، فلمّا ولي أبو العباس السفاح ردّها على عبد الله بن الحسن بن الحسن، ثم قبضها أبو جعفر لمّا حدث من بني الحسن ما حدث، ثم ردّها المهدي ابنه على ولد فاطمة (عليها السلام)، ثم قبضها موسى بن المهدي وهارون أخوه، فلم تزل في أيديهم حتى ولي المأمون فردّها على الفاطميين^(٢).

ثم روى عن مهدي بن سابق أنّه لمّا جلس المأمون للمظالم فأول رقعة وقعت بيده نظر فيها وبكى، وقال للذي على رأسه: ناد أين وكيل فاطمة (عليها السلام)،

(١) صحيح مسلم ١٢: ٧٧، كتاب الجهاد حكم الفيء، جامع الأصول ٤: ٤٨٢ ح ٢٠٧٩.

(٢) شرح النهج ١٦: ٢١٦.

فقام شيخ عليه دراعة وعمامة وخفّ تعزى فتقدّم، فجعل يناظره في فذك والمأمون يحتجّ عليه وهو يحتجّ على المأمون، ثم أمر أن يسجّل لهم بها، فكتب السجلّ وقُرئ عليه فأنفذه، فقام دعبل إلى المأمون فأنشده الأبيات التي أولها: أصبح وجه الزمان قد ضحكا برّد مأمون هاشماً فدكا فلم تزل في أيديهم حتى كان في أيام خلافة المتوكّل، فأقطعها عبد الله بن عمر البازيار، وكان فيها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده، فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها، فإذا قدم الحاجّ أهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل، فصرم عبدالله بن عمر البازيار ذلك التمر، ووجه رجلاً يقال له بشران بن أبي أمية الثقفي إلى المدينة فصرمه، ثم عاد إلى البصرة ففلج^(١).

ونقل في الأنوار كيفة ردّ المأمون فدكاً لأولاد فاطمة (عليها السلام) عن صاحب التاريخ المعروف بالعباسي في حوادث سنة ثمانى عشرة ومائتين: إن جماعة من ولد الحسن والحسين (عليهما السلام) رفعوا قصّة إلى المأمون يذكرون فيها فدكاً والعوالي، وأنهما كانتا لأُمهم فاطمة (عليها السلام) ومنعهما أبو بكر بغير حقّ، فسألوا المأمون إنصافهم وكشف ظلامتهم، فأحضر المأمون مائتي عالم من علماء الحجاز والعراق وغيرهم من علماء الجمهور، وتوكّل إليهم في أداء الصدق، وسألهم عمّا عندهم من الحديث في ذلك.

فروى غير واحد منهم عن بشر بن الوليد، والواقدي، وبشر بن غياث في أحاديث يرفعونها إلى النبي (صلى الله عليه وآله) أنه لما افتتح خيبر اصطفى لنفسه قرى من قرى اليهود، فنزل جبرئيل بهذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وآت ذا القربى حقه﴾^(٢) فقال محمّد (صلى الله عليه وآله): من ذو القربى وما حقه؟ فقال: فاطمة تدفع إليها فدكاً، ثم أعطها العوالي بعد ذلك فاستغلّتها حتى توفي أبوها.

(١) شرح النهج ١٦: ٢١٧.

(٢) الإبراء: ٢٦.

فلما بويح أبو بكر منعها فكلمته فاطمة (عليها السلام) في ردّه فقالت: إن أبي دفعها إليّ، فقال: لا أمنعك ما أعطاك أبوك، وأراد أن يكتب لها كتاباً فاستوقفه عمر بن الخطاب وقال: إنها امرأة فادعوها إلى البيّنة على ما ادعت، فأمرها أبو بكر أن تفعل، فجاءت بأُمّ أيمن وأسماء بنت عميس مع عليّ بن أبي طالب فشهدوا لها جميعاً بذلك، فكتب لها أبو بكر.

فبلغ ذلك عمر فأخبره أبو بكر الخبر، فأخذ الصحيفة فمحاها، فقال: إن فاطمة امرأة، عليّ بن أبي طالب زوجها وهو جازّ إلى نفسه النفع ولا يكون بشهادة امرأتين دون رجل، فأرسل أبو بكر إلى فاطمة فأعلمها بذلك، فحلفت بالله الذي لا إله إلا هو أنّهم ما شهدوا إلاّ بالحق، فقال أبو بكر: لعلك تكوني صادقة ولكن احضري شاهداً لا يجرّ إلى نفسه النفع.

فقالت فاطمة (عليها السلام): ألم تسمعا من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: أسماء بنت عميس وأُمّ أيمن من أهل الجنّة؟ فقالا: بلى، فقالت: امرأتان من أهل الجنّة تشهدان بباطل؟ فانصرفت صارخة تنادي أباهما وتقول: قد أخبرني أبي أنّي أوّل من يلحق به فوالله لأشكوّنهما إليه، فلم تلبث^(١) أن مرضت فأوصت عليّاً (عليه السلام) أن لا يصلّي عليها، وهجرتهما فلم تكلمهما حتى ماتت (عليها السلام). ثم أحضر في اليوم [الآخر]^(٢) ألف رجل من أهل الفقه والعلم وشرح لهم الحال، وأمرهم بتقوى الله ومراقبته، فتناظروا واستظهروا ثم افترقوا فرقتين، فقالت طائفة منهم: الزوج عندنا جازّ إلى نفسه فلا شهادة له، ولكنّا نرى يمين فاطمة صحيحة، وقد أوجبت لها ما ادعته مع شهادة امرأتين، وقالت طائفة أخرى: نرى اليمين مع الشهادة لا توجب حكماً، ولكن شهادة الزوج عندنا جائزة ولا نراه جازّ إلى نفسه، وقد أوجبت شهادته مع شهادة المرأتين لفاطمة (عليها السلام) ما ادعت. فكان اختلاف الطائفة إجماعاً منهم على استحقاق فاطمة (عليها السلام)

(١) أثبتناه من الطرائف، وفي المتن: فلم تثبت.

(٢) أثبتناه من الطرائف.

فدكاً والعوالي، فسأل المأمون بعد ذلك عن فضائل لعليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) فذكروا منها طرفاً جليلاً، وسألهم عن فاطمة (عليها السّلام) فرووا لها عن أبيها فضائل جميلة، فسألهم عن أمّ أيمن وأسماء بنت عميس فرووا عن نبيّهما أنّهما من أهل الجنّة.

فقال المأمون: أيجوز أن يقال ويعتقد أنّ عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) مع ورعه وزهده أن يشهد لفاطمة (عليها السّلام) بغير حقّ، وقد شهد الله ورسوله بهذه الفضائل؟ ويجوز مع علمه وفضله أن يقال أنّه يمشي على شهادة هو يجهل الحكم فيها؟

وهل يجوز أن يقال إنّ فاطمة (عليها السّلام) مع طهارتها وعصمتها، وأنّها سيّدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنّة - كما روّيت - تطلب شيئاً ليس لها، تظلم فيها جميع المسلمين وتقسم عليه؟ أو يجوز أن يقال في أمّ أيمن وأسماء بنت عميس أنّهما شهدا بالزور، وهما من أهل الجنّة؟ إنّ الطعن على فاطمة وشهودها طعن على كتاب الله والحادي في دين الله.

ثم عارضهم المأمون بحديث روه أنّ عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) أقام منادياً بعد وفاة محمد (صلّى الله عليه وآله) ينادي: من كان له على رسول الله دين أو عدة فليحضر، فحضر جماعة وأعطاهم عليّ بن أبي طالب ما ذكره بغير بيّنة، وإنّ أبا بكر أمر منادياً ينادي بمثل ذلك فحضر جرير بن عبد الله وادعى على النبي (صلّى الله عليه وآله) عدة فأعطاه أبو بكر ما ادعاه بغير بيّنة، وحضر جابر بن عبد الله وذكر أنّ محمداً (صلّى الله عليه وآله) وعده أن يحثوله ثلاث حثوات من مال البحرين، فلمّا أقدم مال البحرين بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) أعطاه أبو بكر ثلاث حثوات بغير بيّنة.

وفي الجمع بين الصحيحين في الحديث التاسع أنّ جابراً قال: فعددتها فإذا هي خمسمائة، فقال أبو بكر لجابر: خذ مثليها.

فتعجّب المأمون من ذلك وقال: أما كانت فاطمة (عليها السّلام) وشهودها

يجرون مجرى جرير بن عبدالله وجابر بن عبدالله، ثم جعل فذكاً والعوالي في يد محمد بن يحيى بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) يعمرها ويستغلها ويقسم دخلها بين ورثة فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) ^(١).

وفي البحار أنه روى مرفوعاً أن عمر بن عبد العزيز لما استخلف قال: يا أيها الناس إنني قد رددت عليكم مظالمكم، وأول ما أردت منها ما كان في يدي قد رددت فذك على ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وولد علي بن أبي طالب، فكان أول من ردّها ^(٢).

وروي أنه ردّها بغلاتها منذ ولي أبو بكر، فقيل: نعمت على أبي بكر وعمر فعلهما، وطعنت عليهما ونسبتهما إلى الظلم والغصب، وقد اجتمع عنده في ذلك قریش ومشايخ أهل الشام من علماء السوء.

فقال عمر بن عبد العزيز: قد صحّ عندي وعندكم أن فاطمة بنت رسول الله ادعت فذكاً وكانت في يدها، وما كانت لتكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع شهادة علي وأمّ أيمن وأمّ سلمة، وفاطمة عندي صادقة فيما تدّعي وإن لم تقم البيّنة وهي سيدة نساء أهل الجنة، فأنا اليوم أردّ على ورثتها أتقرب بذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأرجو أن تكون فاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) يشفعون لي يوم القيامة، ولو كنت بدل أبي بكر وادعت فاطمة (عليها السلام) كنت أصدّقها على دعواها، فسلمّها إلى محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، فلم تزل في أيديهم إلى أن مات عمر بن عبد العزيز ^(٣).

وروي أنه لما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ردّ عليهم سهام الخمس، سهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسهم ذي القربى، وهما من أربعة أسهم ردّ

(١) الأنوار النعمانية ١: ٨٩، وأنظر الطرائف: ٢٤٨، عنه العوالم ١١: ٧٧٨.

(٢) البحار ٢٩: ٢٠٨، عن كشف الغمة ٢: ١١٦.

(٣) المصدر نفسه.

على جميع بني هاشم، وسلّم ذلك إلى محمد بن عليّ وعبدالله بن الحسن^(١).
وقيل: أنّه جعل في بيت ماله سبعين حملاً من الورق والعين من مال الخمس
عوض كلّما منعه الخلفاء السلف فردّ عليهم ذلك، وكذلك كلّما كان لبني فاطمة
وبني هاشم ممّا حازه أبو بكر، وعمر، وبعدهما عثمان، ومعاوية، ويزيد، وعبد
الملك ردّ عليهم.

واستغنى بنو هاشم في تلك السنين وحسنت أحوالهم، وردّ عليهم المأمون
والمعتصم والواثق، وقالوا: كان المأمون أعلم ممّا به فنحن نمضي على ما مضى هو
عليه، فلمّا ولى المتوكل قبضها وأقطعها حرمة الحجام، وأقطعها بعده لفلان
البازيار من أهل طبرستان، وردّها المعتضد، وحازها المكتفي، وقيل: إنّ المقدّر
ردّها عليهم^(٢).

قال أبو المقدام: فنقمت بنو أميّة ذلك على عمر بن عبد العزيز وعاتبوه فيه،
وقالوا له: قُبِحت فعل الشيخين، وخرج إليه عمرو بن عبيس في جماعة من أهل
الكوفة، فلمّا عاتبوه على فعله قال - من باب التمحّل والتقيّة - : إنّكم جهلتم
وعلمت، ونسيتم وذكرت أنّ أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم حدّثني عن أبيه عن
جده أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: فاطمة بضعة منّي يسخطني ما
يسخطها ويرضيها ما يرضيها، وإنّ فداكأ كانت صافية في عهد أبي بكر وعمر، ثم
صار أمرها إلى مروان فوهبها لأبي عبد العزيز فورثتها أنا واخوتي، فسألتهم أن
يبيعوني حصّتهم منها، ومنهم من باعني ومنهم من وهب لي حتى استجمعتها،
فرايت أنّ أردّها على ولد فاطمة (عليها السّلام)، فقالوا: إنّ أبيّت إلّا هذا فامسك
الأصل واقسم الغلّة أي حبّس الأصل وسبّل الثمرة، ففعل^(٣).

(١) البحار ٢٩: ٢٠٩، عن كشف الغمة ٢: ١١٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الشافي ٤: ١٠٢، تلخيص الشافي ٣: ١٢١، شرح النهج ١٦: ٢٧٨، البحار ٢٩: ٢١٢، والمواالم ١١:

وروي أيضاً في شرح ابن أبي الحديد أنّ فذك كانت صافية في عهد الخلفاء الثلاثة، فلما ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلثها، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفّان ثلثها، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها، وذلك بعد موت الحسن بن عليّ (عليه السّلام)، فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلّها لمروان بن الحكم أيام خلافته، فوهبها لعبد العزيز ابنه، فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز، فردّها عمر بن عبد العزيز على ولد فاطمة (عليها السّلام) على ما مرّ^(١).

«تنبيه»

قال ابن أبي الحديد: اعلم أنّ الناس يظنون أنّ نزاع فاطمة مع أبي بكر كان في أمرين: في الميراث والنحلة، وقد وجدت في الحديث أنّها نازعت في أمر ثالث ومنعها أبو بكر إتياءه أيضاً، وهو سهم ذي القربى.

وروي أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن أنس أنّ فاطمة (عليها السّلام) أتت أبا بكر فقالت: قد علمت الذي حرّم علينا أهل البيت من الصدقات، وما أفاء الله علينا من الغنائم في القرآن من سهم ذوي القربى، ثم قرأت عليه قوله تعالى: ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فإنّ الله خمسه وللرسول ولذي القربى...﴾^(٢).

فقال لها أبو بكر: بأبي أنت وأمي ووالدٍ ولذك، السمع والطاعة لكتاب الله ولحقّ رسوله وحقّ قرابته، وأنا أقرأ من كتاب الله الذي تقرّأين، ولم يبلغ علمي منه أنّ هذا السهم من الخمس مسلّم إليكم كاملاً، قالت: أملك هولك ولأقربائك؟ قال: لا بل أنفق عليكم منه وأصرف الباقي في مصالح المسلمين، قالت: ليس هذا بحكم الله، فقال: هذا حكم الله، فإن كان رسول الله عهد إليك في هذا عهداً صدّقتك وسلّمته كلّهُ إليك وإلى أهلِكَ.

قالت: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لم يعهد إليّ في ذلك بشيء إلاّ أنّي

(١) شرح النهج ١٦: ٢١٦.

(٢) الأنفال: ٤١.

سمعتة يقول لما نزلت هذه الآية: أبشروا آل محمد بالفيء^(١)، قال أبو بكر: لم يبلغ من هذه الآية أن اسلم إليكم هذا السهم كله كاملاً، ولكن لكم الغنى الذي يغنيكم ويفضل عنكم، وهذا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وغيرهما فاسألهم عن ذلك، وانظري هل يوافقك على ما طلبت أحد منهم، فانصرفت إلى عمر فقالت له مثل ما قالت لأبي بكر، فقال لها مثل ما قال لها أبو بكر، فتعجبت فاطمة (عليها السلام) من ذلك وتظنت أنهما قد تذاكرا ذلك واجتمعا عليه.

ثم قال أبو بكر الجوهري: حدثنا أبو زيد بإسناده إلى عروة قال: أرادت^(٢) فاطمة (عليها السلام) أبا بكر على فذك وسهم ذوي القربى، فأبى عليها وجعلها في مال الله.

ثم روى عن الحسن بن علي (عليه السلام) أن أبا بكر منع فاطمة وبني هاشم سهم ذي القربى وجعله في السلاح والكراع.

ثم روى بإسناده عن محمد بن إسحاق قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي (عليه السلام) قلت: رأيت علياً حين ولي العراق وما ولي من أمر الناس كيف صنع في سهم ذي القربى؟ قال: سلك بهم طريق أبي بكر وعمر، قلت: كيف ولم، وأنتم تقولون ما تقولون؟ قال: أما والله ما كان أهله يصدرون إلا عن رأيه، فقلت: فما منعه؟ قال: كان يكره أن يدعي مخالفة أبي بكر وعمر، إنتهى ما أخرجه ابن أبي الحديد من كتاب أحمد بن عبد العزيز الجوهري^(٣).

وروى في جامع الأصول من سنن أبي داود عن جبير بن مطعم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكن ليقسم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل من الخمس شيئاً كما قسم لبني هاشم، قال: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) غير أنه لم يكن يعطي منه قربي رسول الله (صلى الله عليه وآله).

(١) في البحار: فقد جاءكم الغنى.

(٢) راودت، خ ل.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٣٠ - ٢٣٢، عنه البحار ٢٩: ٣٨٢.

كما يعطيهم رسول الله، وكان عمر يعطيهم ومن كان بعده منه^(١).
وروى مثله بسند آخر، ثم قال: وفي أخرى له والنسائي: لما كان يوم خيبر
وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) سهم ذي القربى في بني هاشم وبني
المطلب^(٢).

ثم قال: وأخرج النسائي أيضاً بنحو من هذه الروايات من طرق متعددة
بتغيير بعض ألفاظها واتفاق المعنى^(٣).

وروى أيضاً أن ابن الزبير أرسل إلى ابن العباس يسأله عن سهم ذي القربى
لمن يراه، فقال له: لقربى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قسمه رسول الله لهم، وقد
كان عمر عرض علينا من ذلك عرضاً رأيناه دون حقنا ورددناه عليه وأبيناً أن
نقبله^(٤).

وروى مثله عن النسائي أيضاً وقال: في أخرى له مثل أبي داود وفيه: وكان
الذي عرض عليهم أن يعين ناكحهم، ويقضي عن غارمهم، ويعطي فقيرهم، وأبى
أن يزيدهم على ذلك^(٥).

قال في البحار: وروى العياشي في تفسيره رواية ابن عباس، ورويناه في
موضع آخر^(٦).

وروى أيضاً عن أبي جميلة، عن بعض أصحابه، عن أحدهما (عليهما السلام)

(١) جامع الأصول ٢: ٦٩٢ ح ١١٩٥، سنن أبي داود ٣: ١٤٥ ح ٢٩٧٨ كتاب الخراج والفيء، والبحار ٢٩: ٣٨٤.

(٢) جامع الأصول ٢: ٦٩٣ ح ١١٩٥، سنن أبي داود ٣: ١٤٦ ح ٢٩٨٠، سنن النسائي ٦: ٣٤١ باب سهم
ذي القربى من الخمس، البحار ٢٩: ٣٨٤.

(٣) جامع الأصول ٢: ٦٩٣ ح ١١٩٥، سنن النسائي ٦: ٣٤١ باب سهم ذي القربى من الخمس، البحار ٢٩: ٣٨٤.

(٤) جامع الأصول ٢: ٦٩٥ ح ١١٩٧، سنن أبي داود ٣: ١٤٦ ح ٢٩٨٢، البحار ٢٩: ٣٨٤.

(٥) جامع الأصول ٢: ٦٩٥ ح ١١٩٧، سنن النسائي ٦: ٣٤٥ باب سهم ذي القربى من الخمس، البحار ٢٩: ٣٨٥.

(٦) البحار ٢٩: ٣٨٥، تفسير العياشي ٢: ٦١ ح ٥٢.

قال: قد فرض الله الخمس لأل محمد (صلى الله عليه وآله) فأبى أبو بكر أن يعطيهم نصيبهم حسداً وعداوة، وقد قال تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ (١)(٢).

والأخبار من طريق أهل البيت (عليهم السلام) في ذلك أكثر من أن تحصى، وقد مرّ بعضها قبل الخطبة، وبعضها مذكور في كتاب الخمس وكتاب الأنفال من الأخبار المروية.

قال الفاضل (رحمه الله): فإذا اطلعت على ما نقلناه من الأخبار من صحاحهم نقول: لا ريب في دلالة الآية على اختصاص ذي القربى بسهم خاص سواء كان هو سدس الخمس - كما ذهب إليه أبو العالية وأصحابنا ورووه عن أئمتنا (عليهم السلام) - وهو الظاهر من الآية كما اعترف به البيضاوي (٣) وغيره، أو خمس الخمس لاتحاد سهم الله وسهم رسوله، وذكر الله للتعظيم - كما زعم ابن عباس وقتادة وعطاء - أو ربع الخمس والأرباع الثلاثة الباقية للثلاثة الأخيرة - كما زعمه الشافعي.

وسواء كان المراد بذى القربى أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) في حياته وبعده الإمام من أهل البيت (عليهم السلام) - كما ذهب إليه أكثر أصحابنا - أو جميع بني هاشم - كما ذهب إليه بعضهم -، وعلى ما ذهب إليه الأكثر يكون دعوى فاطمة (عليها السلام) نيابة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) تقيّة، أو كان المراد بني هاشم وبني المطلب - كما زعمه الشافعي - أو آل عليّ وعقيل وآل عباس وولد الحارث بن عبد المطلب - كما قال أبو حنيفة -.

وعلى أيّ حال فلا ريب أيضاً في أنّ الظاهر من الآية تساوي السنة في السهم، ولم يختلف الفقهاء في أنّ إطلاق الوصيّة والإقرار لجماعة معدودين

(١) المائدة: ٤٧.

(٢) تفسير العيّاشي ١: ٣٢٥ ح ١٣٠، عنه البحار ٢٩: ٣٨٥، والبرهان ١: ٤٧٧، وكنز الدقائق ٤: ١٣٦.

(٣) تفسير البيضاوي ١: ٣٨٤.

يقتضي التسوية لتساوي النسبة، ولم يشترط الله عز وجل في ذي القربى فقراً ومسكنة بل قرنه بنفسه وبرسوله (صلى الله عليه وآله) للدلالة على عدم الإشتراط، وقد احتج بهذا الوجه أبو الحسن الرضا (عليه السلام) على علماء العامة في حديث طويل بين فيه فضل العترة الطاهرة^(١).

وأما التقييد إجتهاداً فمع بطلان الإجتهد الغير المستند إلى جهة فعل النبي (صلى الله عليه وآله) يدفع التقييد، لدلالة خبر جبير وغيره على أنه لم يعطهم ما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعطيهم، وقد قال أبو بكر في رواية أنس: لكم الغنى الذي يغنيكم ويفضل عنكم، فما زعمه أبو بكر من عدم دلالة الآية على أن السهم مسلمٌ لذي القربى، ووجوب صرف الفاضل من السهم عن حاجتهم في مصالح المسلمين مخالف للآية والأخبار المتفق على صحتها، وقد قال سبحانه في آخر الآية: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا...﴾^(٢).

واعترف الفخر الرازي في تفسيره بأن من لم يحكم بهذه القسمة فقد خرج عن الإيمان^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٤) وقال: ﴿هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٥)، وقال: ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٦)، فاستحق بما صنع ما يستحقه الراد على الله وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله)، إنتهى ما ذكره^(٧).



[في بيان حالات الزهراء (عليها السلام) ووفاتها]

ختم للكلام في بيان حالات فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد رجوعها من

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١: ٤٥٨ ح ١٨٤ باب ٤٥.

(٢) الأنفال: ٤١.

(٣) تفسير الرازي ١٥: ١٦٥، سورة الأنفال.

(٤) المائدة: ٤٤.

(٥) المائدة: ٤٧.

(٦) المائدة: ٤٥.

(٧) البحار ٢٩: ٣٨٥-٣٨٧.

المسجد إلى بيتها، وهي على القوم واجدة ساخطة، مستمرة على غضبها، باكية من فراق أبيها ومن خذلان القوم لها، مع بيان حالات مرضها وموتها ودفنها وتظلّمها يوم القيامة في قبال عرش ربّها، ونكتفي في ذلك كلّ بذكر جملة من الأخبار والروايات الواردة في بيان تلك الحالات.

روى الفاضل المجلسي (رحمه الله) في بحار الأنوار عن محمد بن سهيل البحراني، عن الصادق (عليه السلام) أنّه قال: البكاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد (صلّى الله عليه وآله)، وعليّ بن الحسين (عليه السلام). فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديّه أمثال الأودية، وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له: ﴿تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين﴾^(١)، وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأدّى به أهل السجن فقالوا له: أمّا أن تبكي بالليل وتسكت بالنهار، وأمّا أن تبكي بالنهار وتسكت بالليل، فصالحهم على واحدة منهما.

وأما فاطمة (عليها السلام) فبكت على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتى تأدّى به أهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف.

وأما عليّ بن الحسين (عليه السلام) فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله أني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقنني لذلك عبرة^(٢).

وعن أمّ سلمة أنّها دخلت على فاطمة (عليها السلام) فقالت لها: كيف أصبحت

(١) يوسف: ٨٥.

(٢) البحار ٤٣: ١٥٥ ح ١، عن الخصال: ٢٧٢ ح ١٥، باب ٥، وأمالى الصدوق ١٢١ ح ٥ مجلس ص ٢٩.

كشف الغمة ٢: ١٢٠، الموالم ١١: ٧٩٠ ح ٢٥.

عن ليلتك يا بنت رسول الله؟ قالت: أصبحت بين كمد وكرب فقد النبي (صلى الله عليه وآله)، وظلم الوصي، هتك والله حجابيه، من أصبحت إمامته مقتبضة على غير ما شرع الله في التنزيل وسنّها النبي (صلى الله عليه وآله) في التأويل، ولكنها أحقاد بدرية وترات أحذية، كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة لا مكان الوشاة، فلما استهدف الأمر أرسل علينا شاييب الاثار من مخيلة الشقاق، فيقطع وتر الإيمان من قسي صدورها، ولبئس - على ما وعد الله من حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين - أحرزوا عائدتهم غرور الدنيا بعد انتصار ممّن فتك بآبائهم في مواطن الكرب ومنازل الشهادات^(١).

وعن سويد بن غفلة قال: لما مرضت فاطمة (عليها السلام) المريضة التي توفيت فيها، اجتمعت إليها نساء المهاجرين والأنصار يعدها، فقلن لها: كيف أصبحت من علّتك يا بنت رسول الله، فحمدت الله وصلّت على أبيها ثم قالت: أصبحت والله عاتقة لدينا كنّ، قالية^(٢) لرجال كنّ، لفظتهم بعد أن عجمتهم^(٣)، وشنأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لفلول^(٤)، الحدّ، واللعب بعد الجد، وقرع الصفاة، وصدع^(٥) القناة، وخطل^(٦) الآراء، وزلل الأهواء، وبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم لقد قلّدتهم ربقته، وحملتهم أوقتها^(٧)، وشننت عليهم غارها، فجدهاً وعقراً^(٨) وبعداً للقوم الظالمين. ويحهم أنّي زعزعوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٢٠٥ / في ظلامه أهل البيت (عليهم السلام)، عنه البحار ٤٣: ١٥٦ ح ٥، والعوالم ١١: ٨٢٩ ح ١.

(٢) القلى: شدّة البغض.

(٣) اللفظ: أن ترمي بشيء كان في فيك. والعجم: المضغ.

(٤) الفُلّ: الثلم في السيف.

(٥) الصدع: الشق في الشيء الصلب.

(٦) الخطل: المنطق الفاسد المضطرب، وفي الاحتجاج: ختل.

(٧) الأوق: الثقل.

(٨) الجدع: القطع. وعقره: جرحه.

الروح الأمين، والطيبين^(١) بأمور الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما الذي تقوموا من أبي الحسن؟ تقوموا والله منه نكير سيفه، وقلّة مبالاته لحته، وشدة وطأته، ونكال وقعته^(٢)، وتتمّره في ذات الله.

وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردّهم إليها، وحملهم عليها، ولسار بهم سيراً سجحاً^(٣)، لا يكلم^(٤) حشاشه، ولا يكلم سائرهم، ولا يملّ راكمه، ولأوردتهم منها نيراً صافياً رويّاً، تطفح^(٥) ضفتاه^(٦) ولا يترنق^(٧) جانباه، ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سرّاً واعلاناً، ولم يكن يحلى من الغنى بطائل، ولا يخطي من الدنيا بنائل، غير ريّ الناهل^(٨)، وشبعة الكافل، ولبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب، ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين.

ألا هلّم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجياً، وإن تعجب فعجب قولهم، ليت شعري إلى أيّ سناد استندوا؟! وإلى أيّ عماد اعتمدوا؟! وبأيّة عروة تمسّكوا؟! وعلى أيّة ذرّية أقدموا واحتنكوا؟! لبئس المولى ولبئس العشير وبئس للظالمين بدلاً، استبدلوا والله الذنابي^(٩) بالقوادم، والعجز بالكاهل^(١٠)، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا، ألا أنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ويحهم

(١) رجل طين: حاذق، فطن، عالم بكلّ شيء.

(٢) الوقعة: صدمة الحرب.

(٣) السجح: اللين السهل.

(٤) الكلم: الجرح.

(٥) طفح الإناء والنهر: امتلأ وارتفع حتى يفيض.

(٦) الضفة: جانب النهر.

(٧) رنق الماء وترنق: كدر.

(٨) الناهل: العطشان.

(٩) الذنابي: ذنب الطائر، وأذئاب الناس: أتباعهم وسفلتهم دون الرؤساء.

(١٠) عجز الشيء: آخره. والكاهل: مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق.

أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع آمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون.

أما لعمرى لقد لقحت، فَنَظَرْتُ ريشما تنتج، ثم احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً، وذعافاً^(١) مبيداً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف البطالون غب ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً، واطمئنوا للقتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم^(٢)، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فتتكم^(٣) زهيذاً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرة لكم وأنى بكم وقد عميت عليكم، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون.

قال سويد بن غفلة: فأعادت النساء قولها (عليها السلام) على رجالهن، فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين والأنصار معتذرين وقالوا: يا سيّدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر قبل أن يبرم العهد ويحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره، فقالت (عليها السلام): إليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم^(٤).

وعن كتاب دلائل الإمامة للطبري، عن أبي بصير، عن الصادق (عليه السلام) قال: قُبِضَتْ (عليها السلام) في جمادي الآخرة يوم الثلاثاء خلون منه سنة إحدى عشرة من الهجرة، وكان سبب وفاتها أن قنفذ مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره، فأسقطت محسناً ومرضت من ذلك مرضاً شديداً، ولم تدع أحداً ممن آذاها يدخل عليها.

(١) الذعاف: السم.

(٢) الغشم: الظلم والنصب.

(٣) في الإحتجاج: فيثكم.

(٤) الإحتجاج ١: ٢٨٦ ح ٥٠، عنه البحار ٤٣: ١٥٩ ح ٩، ونقلها الصدوق في معاني الأخبار: ٣٥٤

بسندين، ونقلها الشيخ الطوسي في الأمالي: ٣٧٤ ح ٥٥ مجلس ١٣ عن ابن عباس، وفي شرح النهج

١٦: ٢٣٣، وفي كشف الغمة ٢: ١١٤ عن كتاب السقيفة، وفي بلاغات النساء: ١٩ عن عطية الكوفي،

وفي دلائل الإمامة: ١٢٥ ح ٣٧ عن علي بن الحسين (عليه السلام).

وكان الرجلان من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) سأل أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يشفع لهما فسألها أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلمّا دخلا عليها قالا لها: كيف أنت يا بنت رسول الله؟ قالت: بخير بحمد الله، ثم قالت لهما: ما سمعنا النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله؟ قالوا: بلى، قالت: فوالله لقد آذيتاني، قال: فخرجا من عندها وهي ساخطة عليهما^(١).

قال محمد بن همام: إنّها (عليها السلام) لمّا قبضت غسلها أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولم يحضرها غيره والحسن، والحسين، وزينب، وأمّ كلثوم، وفضّة جاريتهما، وأسماء بنت عميس، وأخرجها إلى البقيع في الليل ومعه الحسن والحسين، وصلى عليها ولم يعلم بها، ولا حضر وفاتها ولا صلى عليها أحد من سائر الناس غيرهم، ودفنها بالروضة وعمى موضع قبرها، وأصبح البقيع ليلة دفنت وفيه أربعون قبراً جديداً.

وإنّ المسلمين لمّا علموا وفاتها جاؤوا إلى البقيع، فوجدوا فيه أربعين قبراً، فأشكل عليهم قبرها من سائر القبور، فضجّ الناس ولا م بعضهم بعضاً وقالوا: لم يخلف نبيكم فيكم إلّا بنتاً واحدة تموت وتدفن ولم تحضروا وفاتها والصلاة عليها، ولا تعرفوا قبرها، ثم قال ولادة الأمر منهم: هاتم من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتى نجدها فنصلي عليها، ويرون قبرها.

فبلغ ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فخرج مغضباً قد احمرّت عيناه، ودرّت أوداجه، وعليه قباء الأصفر الذي كان يلبسه في كلّ كريهة، وهو متوكئ على سيفه ذي الفقار حتى ورد البقيع، فسار إلى الناس النذير وقالوا: هذا عليّ بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه، يقسم بالله لئن حوّل من هذه القبور حجر ليضعنّ السيف على غابر الأمر.

(١) دلالة الإمامة: ١٣٤ ح ٤٣، عنه البحار ٤٣: ١٧٠ ح ١١.

فتلقّاه عمر ومَنْ معه مِنْ أصحابه وقال له: مالك يا أبا الحسن والله لننبشَنَّ قبرها ولنصلِّيَنَّ عليها.

فضرب عليّ (عليه السلام) بيده إلى جوامع ثوبه فهزّه ثم ضرب به الأرض وقال له: يا ابن السوداء أمّا حقّي فقد تركته مخافة أن يرتد الناس عن دينهم، وأمّا قبر فاطمة فوالذي نفس علي بيده لئن رمت وأصحابك بشيء من ذلك لأسقين الأرض من دمائكم، فإن شئت فأعرض يا عمر، فتلقّاه أبو بكر فقال: يا أبا الحسن بحقّ رسول الله، وبحقّ من فوق العرش إلّا خلّيت عنه فإنّا غير فاعلين شيئاً تكرهه، قال: فخلّي عنه وتفرّق الناس ولم يعودوا إلى ذلك^(١).

وعن ابن عباس في خبر طويل عن النبي (صلّى الله عليه وآله) فيما أخبر عن ظلم أهل البيت (عليهم السلام) قال: وأمّا ابنتي فاطمة فإنّها سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة منّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روعي التي بين جنبيّ، وهي الحوراء الأنسيّة، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته: يا ملائكتي أنظروا إلى امتي فاطمة سيّدة امائي قائمة بين يديّ، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت يقلبها على عبادتي، أشهدكم أنّي قد آمنت شيعتها من النار.

وأنّي لما رأيتهَا ذكرتُ ما يُصنع بها بعدي، كأُنّي بها وقد دخل الذلّ بيتها، وانتهكت حرمتها، وغصبت حقّها، ومنعت إرثها، وكسر جنبها، واسقطت جنبينها، وهي تنادي يا محمداه فلا تجاب، وتستغيث فلا تُعاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية تتذكّر انقطاع الوحي عن بيتها مرّة، وتذكّر فراقني أخرى، وتستوحش إذا جنّها الليل لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجّدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيام أبيها عزيزة، فعند ذلك يؤنسها الله تعالى

(١) دلائل الإمامة: ١٣٦، عنه البحار ٤٣: ١٧١.

بالملائكة، فناداتها بما نادته به مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقتني لربك، واسجدي واركعي مع الراكعين.

ثم يبتدئ بها الوجد فتمرض، فيبعث الله عز وجل اليها مريم بنت عمران تمرضها وتوليها في علتها، فتقول عند ذلك: يا رب أني قد سئمت الحياة، وتبرمت بأهل الدنيا فألحقني بأبي، فيلحقها الله عز وجل بي فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي، فتقدم عليّ محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللهم العن من ظلمها، وعاقب من غصبها، وذلل من أذلها، وخلد في نارك من ضرب جنبها حتى ألت ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك: آمين^(١).

وروى في البحار أيضاً عن بعض كتب الأخبار، عن ورقة بن عبد الله الأزدي قال: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام راجياً لثواب الله رب العالمين، فبينما أنا أطوف وإذا أنا بجارية سمراء، مليحة الوجه، عذبة الكلام، وهي تنادي بفصاحتها وفصاحة منطقتها، وهي تقول:

«اللَّهُمَّ رَبَّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَالْحَفْظَةِ الْكَرَامِ، وَزَمْزَمَ وَالْمَقَامِ، وَالْمَشَاعِرِ الْعِظَامِ، وَرَبِّ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْأَنَامِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الْبِرَّةِ الْكَرَامِ، أَنْ تَحْشُرَنِي مَعَ سَادَاتِي الطَّاهِرِينَ، وَأَبْنَائِهِمُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ الْمِيَامِينَ، أَلَا فَاشْهَدُوا يَا جَمَاعَةَ الْحِجَاكِ وَالْمُعْتَمِرِينَ أَنَّ مَوَالِيَّ خَيْرَةُ الْأَخْيَارِ، وَصَفْوَةُ الْأَبْرَارِ، الَّذِينَ عَلَا قَدْرُهُمْ عَلَى الْأَقْدَارِ، وَارْتَفَعَ ذِكْرُهُمْ فِي سَائِرِ الْأُمُصَارِ، الْمُرْتَدِينَ بِالْفَخَارِ».

قال ورقة بن عبد الله: فقلت: يا جارية إنني لأظنك من موالي أهل البيت، فقالت: أجل، قلت لها: ومن أنت من مواليتهم؟ قالت: أنا فضة أمة فاطمة الزهراء ابنة محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وأبيها وبعلمها وبنيتها، فقلت لها: مرحباً بك وأهلاً وسهلاً، فلقد كنت مشتاقاً إلى كلامك ومنطقك، فاريد منك الساعة أن

(١) أمالي الصدوق: ٩٩ ح ٢ مجلس ٢٤، عنه البحار ٤٣: ١٧٢ ح ١٣.

تجيبني من مسألة أسألك، فإذا أنت فرغت من الطواف قفي لي عند سوق الطعام حتى آتيك وأنت مثابة مأجورة.

فاترقنا في الطواف، فلما فرغت من الطواف وأردت الرجوع إلى منزلي جعلت طريقي على سوق الطعام، وإذا أنا بها جالسة في معزل عن الناس، فأقبلت عليها واعتزلت بها وأهديت إليها هديّة، ولم اعتقد أنّها صدقة، ثم قلت لها: يا فضّة أخبريني عن فاطمة الزهراء مولاتك، وما الذي رأيت منها عند وفاتها بعد موت أبيها محمّد (صلّى الله عليه وآله)؟!.

قال ورقة: فلما سمعت كلامي تفرغت عيناها بالدموع، ثم انتحبت نادبة وقالت: يا ورقة بن عبدالله هيّجت عليّ حزناً ساكناً، وأشجاناً في فؤادي كانت كامنة، فاسمع الآن ما شاهدت منها.

اعلم أنّه لما قبض رسول الله (صلّى الله عليه وآله) افتجع له الصغير والكبير، وكثر عليه البكاء، وقلّ الغزاء، وعظم رزءه على الأقرباء والأصحاب، والأولياء والأحباب، والغرباء والأنساب، ولم تلق إلا كلّ باك وباكية ونادب ونادبة، ولم يكن في أهل الأرض والأصحاب والأقرباء والأحباب أشدّ حزناً، وأعظم بكاءً وانتحاباً من مولاتي فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وكان حزنها يتجدّد ويزيد وبكاؤها يشتدّ.

فجلست سبعة أيّام لا يهدئ لها أنين، ولا يسكن منها الحنين، وكلّ يوم جاء كان بكاءها أكثر من اليوم الأوّل، فلما كان في اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن فلم تنطق صبراً إذ خرجت [وصرخت] ^(١)، فكأنّها من فم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) تنطق، فتبادرت النسوان، وخرجت الولائد والولدان، وضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وجاء الناس من كلّ مكان، وأطفئت المصابيح لكيلا تتبين صفحات النساء، وخيّل إلى النسوان أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد قام من

قبره، وصارت الناس في دهشة وحيرة لما قد رهقهم، وهي تنادي وتندب أباهـا:
واأبتاه، واصفيـاه، وامحمداه، وأبا القاسماه، واربيع الأرامل واليتامى، من للقبلة
والمصلّى، ومن لابنتك الوالهة الشكلى؟!.

ثم أقبلت تعثر في أذيالها وهي لا تبصر شيئاً من عبرتها ومن تواتر دمعها
حتى دنت من قبر أبيها محمد (صلى الله عليه وآله)، فلمّا نظرت إلى الحجرة وقع
طرفها على المأذنة، فقصرت خطاها، ودام نحيبها وبكاؤها إلى أن أغمي عليها،
فتبادرت النسوان إليها فنضحن الماء عليها وعلى صدرها وجبينها حتى أفادت،
فلمّا أفادت من غشيتها قامت وهي تقول:

«رفعت قوّتي، وخانني جلدي، وشمّت بي عدوّي، والكمد قاتلي، يا أبتاه
بقيت والهة وحيدة، وحيرانة فريدة، فقد انخمد صوتي، وانقطع ظهري، وتنفّص
عيشي، وتكدّر دهرى، فما أجد يا أبتاه بعدك أنيساً لوحشتي، ولا رادّاً لدمعتي،
ولا معيناً لضعفي، فقد فني بعدك محكم التنزيل، ومهبط جبرئيل، ومحلّ ميكائيل،
انقلبت بعدك يا أبتاه الأسباب، وتغلّقت دوني الأبواب، فأنا للدنيا بعدك قالية،
وعليك ما تردّدت أنفاسي باكية، لا ينفد شوقي إليك ولا حزني عليك».

ثم نادت: يا أبتاه والبّاه، ثم قالت:

إنّ حزني عليك حزن جديد وفؤادي والله صبّ عتيدي^(١)
كلّ يوم يزبد فيه شجوني واكتئابى عليك ليس يبيد
جلّ خطبي فبان عني عزائي فبكائي في كلّ وقت جديد
إنّ قلباً عليك يألف صبراً أو عزاء فأنّه لجليد

ثم نادت: يا أبتاه انقطعت بك الدنيا بأنوارها، وزوت زهرتها وكانت ببهجتك
زاهرة، فقد اسودّ نهارها فصار يحكي حنادسها رطبها ويابسها، يا أبتاه لا زلت
أسفة عليك إلى التلاق، يا أبتاه زال غمضي منذ حقّ الفراق، يا أبتاه من للأرامل

والمساكين، ومن للامة إلى يوم الدين؟! يا أبتاه أمسينا بعدك من المستضعفين، يا أبتاه أصبحت الناس عنا معرضين، ولقد كنا بك معظمين في الناس غير مستضعفين.

فأي دمة لفراقك لا تنهمل، وأي حزن بعدك عليك لا يتصل، وأي جفن بعدك بالنوم يكتحل، وأنت ربيع الدين ونور النبيين، فكيف للجبال لا تمور، وللبحار بعدك لا تقور، والأرض كيف لم تتزلزل، رميت يا أبتاه بالخطب الجليل، ولم تكن الرزية بالقليل، وطرقت يا أبتاه بالمصاب العظيم وبالقادح المهول.

بكتك يا أبتاه الأملاك، ووقفت الأفلاك، فمنبرك بعدك مستوحش، ومحرابك خال من مناجاتك، وقبرك فرح بمواراتك، والجنة مشتاقة إليك وإلى دعائك وصلاتك، يا أبتاه ما أعظم ظلمة مجالسك، فوا أسفاه عليك إلى أن أقدم عاجلاً عليك، واثكل أبو الحسن المؤمن أبو ولديك الحسن والحسين، وأخوك ووليّك وحبيبك، ومن ربيته صغيراً وواخيته كبيراً، وأحلى^(١) أحبابك وأصحابك اليك من كان منهم سابقاً ومهاجراً وناصرأً، والشكل شاملنا، والبكاء قاتلنا، والأسى لازمنا، ثم زفرت زفرة وأنت أنة كادت روحها أن تخرج، ثم قالت:

قلّ صبري وبان عني عزائي	بعد فقدي لخاتم الأنبياء
عين يا عين اسكبي الدمع سخاً	ويك لا تبخلي بفيض الدماء
يا رسول الإله يا خيرة الله	وكهف الأيتام والضعفاء
قد بكتك الجبال والوحش جمعاً	والطير والأرض بعد بكى السماء
وبكاك الحجون والركن والمش	عرياً سيدي مع البطحاء
وبكاك المحراب والدرس للـ	قرآن في الصبح معلناً والمساء
وبكاك الإسلام إذ صار في النا	س غريباً من سائر الغرباء
لو ترى المنبر الذي كنت تعـ	لوه علاه الظلام بعد الضياء

(١) كذا في البحار. وفي المتن: أحلاء.

يا إلهي عَجِّل وفاتي سريعاً فلقد تنفَّصت الحياة يا مولائي
قال: ثم رجعت إلى منزلها وأخذت بالبكاء والعيول ليلها ونهارها، وهي لا
ترقأ دمعتها، ولا تهدأ زفرتها، واجتمع شيوخ أهل المدينة وأقبلوا إلى أمير
المؤمنين (عليه السلام)، فقالوا له: يا أبا الحسن إنَّ فاطمة تبكي الليل والنهار، فلا
أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فرشنا، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب
معاشنا، وإنَّا نخبرك أن تسألها إمَّا تبكي ليلاً أو نهاراً، فقال (عليه السلام): حبّاً
وكرامة.

فأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى دخل على فاطمة (عليها السلام)
وهي لا تفيق من البكاء ولا ينفع فيها الغزاء، فلما رآته سكنت هنيئة له، فقال لها: يا
بنت رسول الله إنَّ شيوخ مدينة يسألونني أن أسألك إمَّا أن تبكين أباك ليلاً وإمَّا
نهاراً، فقالت: يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم، وما أقرب مغيبني من بين أظهرهم،
فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال
لها عليّ (عليه السلام): إفعلي يا بنت رسول الله ما بدالك.

ثم أنه (عليه السلام) بنى لها بيتاً في البقيع نازحاً عن المدينة يسمّى بيت
الأحزان، وكانت إذا أصبحت قدّمت الحسن والحسين (عليهما السلام) أمامها
وخرجت إلى البقيع باكية، فلا تزال بين القبور باكية فإذا جاء الليل أقبل أمير
المؤمنين (عليه السلام) إليها وساقها بين يديه إلى منزلها.

ولم نزل على ذلك إلى أن مضى لها بعد موت أبيها سبعة وعشرون يوماً،
واعتَلَّت العلة التي توقّيت فيها فبقيت إلى يوم الأربعين، وقد صلى أمير المؤمنين
(عليه السلام) صلاة الظهر وأقبل يريد المنزل إذ استقبلته الجواري باكيات
حزينات، فقال (عليه السلام) لهنّ: ما الخبر ومالي أراكن متغيّرات الوجوه
والصور؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين أدرك ابنة ابن عمك الزهراء، وما نظنّك تدركها.
فأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) مسرعاً حتى دخل عليها، وإذا بها ملقاة
على فراشها، وهو من قباطي مصر، وهي تقبض يميناً وتمدّ شمالاً، فألقى الرداء

عن عاتقه، والعمامة عن رأسه، وحلّ أزراره، وأقبل حتى أخذ رأسها وتركه في حجره، وناداه: يا زهراء فلم تكلمه، فناداه: يا بنت محمد المصطفى فلم تكلمه، فناداه: يا بنت من حمل الزكاة في طرف رداءه وبذلها على الفقراء فلم تكلمه، فناداه: يا بنت من صلى بالملائكة في السماء مثني مثني فلم تكلمه، فناداه: يا فاطمة كلّمني فأنا ابن عمّك عليّ بن أبي طالب.

قال: ففتحت عينيها في وجهه ونظرت إليه وبكت وبكى وقال: ما الذي تجدينه فأنا ابن عمّك عليّ بن أبي طالب؟ فقالت: يا ابن العم أنّي أجد الموت الذي لا بدّ منه ولا محيص عنه، وأنا أعلم أنّك بعدي لا تصبر على قلة التزويج، فإن أنت تزوّجت امرأة اجعل لها يوماً وليلة واجعل لأولادي يوماً وليلة، يا أبا الحسن ولا تصح في وجوههما فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين، فإنهما بالأمس فقدّا جدّهما واليوم يفقدان أمهما، فالويل لأمة تقتلهما وتبغضهما، ثم أنشأت تقول:

ابكني إن بكيت يا خير هادي واسبل الدمع فهو يوم الفراق
يا قرين البتول أوصيك بالنسل فقد أصبحا حليف اشتياق
ابكني وابك لليتامى ولا تن سن قتيل العدى بطف العراق
فارقوني فأصبحوا يتامى حيارى يخلف الله فهو يوم الفراق
قالت: فقال لها عليّ (عليه السلام): من أين لك بابت رسول الله هذا الخبر،

والوحي قد انقطع عنّا؟ فقالت: يا أبا الحسن رقدت الساعة فرأيت حبيبي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في قصر من الدر الأبيض، فلما رأيته قال: هلمّي إليّ يا بنية فإنّي إليك مشتاق، فقلت: والله أنّي لأشدّ شوقاً منك إلى لقائك، فقال: أنت الليلة عندي، وهو الصادق لما وعد والموفّي لما عاهد، فإذا أنت قرأت يس فاعلم أنّي قد قضيت نحبي فغسلني ولا تكشف عني فإنّي طاهرة مطهّرة، وليصلّ عليّ معك من أهلي الأدنى فالأدنى، ومن رزق أجري، وادفني ليلاً في قبري، بهذا أخبرني حبيبي رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

فقال عليّ (عليه السلام): والله لقد أخذت في أمرها، وغسلتها في قميصها ولم

أكشفه عنها، فوالله لقد كانت ميمونة طاهرة مطهرة، ثم حنطتها من فضلة حنوط رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكفنتها وأدرجتها في أكفانها، فلما هممت أن أعقد الرداء ناديت: يا أمّ كلثوم، يا زينب، يا سكينه، يا فضة، يا حسن، يا حسين هلموا تزودوا من أمكم فهذا الفراق واللقاء في الجنة.

فأقبل الحسن والحسين (عليهما السلام) وهما يناديان: واحسرة لا تنطفئ أبداً من فقد جدنا محمد المصطفى وأمنا فاطمة الزهراء، يا أمّ الحسن ويا أمّ الحسين إذا لقيت جدنا محمد المصطفى فاقرأيه منا السلام وقولي له: إنا قد بقينا بعدك يتيمين في دار الدنيا.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): إني أشهد الله أنّها قد حنّت وأنت ومدّت يديها وضمتها إلى صدرها ملياً، وإذا بهاتف من السماء ينادي: يا أبا الحسن إرفعهما عنها فلقد أبكيا والله ملائكة السماوات، فقد اشتاق الحبيب إلى المحبوب، قال: فرفعهما عن صدرها وجعلت أعقد الرداء وأنا أنشد بهذه الأبيات:

فراقك أعظم الأشياء عندي وفقدك فاطم أدهى الشكول
سأبكي حسرة وأنوح شجواً على خلّ مضى أسنى سبيل
ألا يا عين جوّدي واسعديني فحزني دائم أبكي خليلي
ثم حملها على يده وأقبل بها إلى قبر أبيها ونادى: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا نور الله، السلام عليك يا صفوة الله منّي السلام عليك والتحيّة واصله منّي إليك، ومن ولديك، ومن ابنتك النازلة عليك بفنائك، وإنّ الوديعه قد استردّت، والرهينه قد أخذت، فوا حزنه على الرسول ثم من بعده على البتول، ولقد اسودّت عليّ الغبراء، وقعدت عنيّ الخضراء، فوا حزنه ثم وأأسفاه.

ثم عدل بها إلى الروضة فصلّى عليها في أهله ومواليه وأصحابه وأحبابه وطائفة من المهاجرين والأنصار، فلما واراها وألحدها في لحدها أنشأ بهذه الأبيات يقول:

أرى علل الدنيا عليّ كثيرة وصاحبها حتى الممات عليل
لكلّ اجتماع من خليلين فرقة وإنّ بقائي عندكم لقليل
وإنّ افتقادي فاطماً بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل^(١)
قال الفاضل المجلسي: روي أنّها ما زالت بعد أبيها معصية الرأس، ناحلة
الجسم، منهدة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يغشى عليها ساعة بعد ساعة،
وتقول لولديها: أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرّة بعد مرّة، أين أبوكما
الذي كان أشدّ الناس شفقة عليكمما فلا يدعكما تمشيان على الأرض، ولا أراه
يفتح هذا الباب أبداً، ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما.

ثم مرضت ومكثت أربعين ليلة، ثمّ دعت أمّ أيمن، وأسماء بنت عميس،
وعليّاً، وأوصت إلى عليّ (عليه السلام) بثلاث: أن يتزوّج امامة لحبّها أولادها،
وأن يتخذ نعتاً لها لأنّها كانت رأت الملائكة تصوّروا صورته وصفته لها، وأن لا
يشهد أحد جنازتها ممّن ظلمها، وأن لا يترك أن يصليّ عليها أحد منهم^(٢).

وروي أنّه جاء أبو بكر وعمر في حالات مرضها يعودانها فلم تأذن لهما،
فجاء ثانية من الغد فأقسم عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) أن تأذن لهما - وقد
طلب أبو بكر إلى أسماء بنت عميس أيضاً أن تستأذن له على فاطمة (عليها السلام)
يترضاها - فأذنت لهما، فدخلها عليها فسلمّا فردّت ضعيفاً^(٣).

وفي رواية أنّها ولّت وجهها الكريم إلى الحائط، فلمّا دخلا وسلمّا لم ترد
عليهما، فأقبل أبو بكر يعتذر إليها ويقول: إرضي عني يا بنت رسول الله، فقالت: يا
عتيق حملت الناس على رقابنا، أخرج فوالله ما كلّمتك أبداً حتى ألقي الله ورسوله
فأشكوك إليهما، ثم قالت لهما: سألتكما بالله الذي لا إله إلا هو أسمعتما يقول
رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حقّي: من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد

(١) البحار ٤٣: ١٧٤ - ١٨٠ ح ١٥.

(٢) البحار ٤٣: ١٨١ ح ١٦، عن المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٦٢، في وفاتها (عليها السلام).

(٣) البحار ٢٩: ١٥٧ ح ٣٢، عن مصباح الأنوار ٢٤٦.

آذى الله؟ قالوا: اللهم نعم، قالت: فأشهد أنكما أذيتما^(١).

وفي رواية مصباح الأنوار أنها (عليها السلام) قالت بعد ذلك لعلي: إن لي إليك حاجة يا أبا الحسن، فقال: تقضى يا بنت رسول الله، فقالت: نشدتك بالله وبحق محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن لا يصلي عليّ أبو بكر وعمر، فإنّي لا كتمك حديثاً، فقالت: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا فاطمة إنك أول من يلحق بي من أهل بيتي فكنت أكره أن أسوءك.

قال: فلمّا قبضت أتاه أبو بكر وعمر وقالوا: لولا تخرجها حتى نصلي عليها، فقال: ما أرانا إلا كما قالت سنصبح ونرى، ثم دفنها ليلاً ثم صور برجله حولها سبعة أقبّر، قال: فلمّا أصبحوا أتوه فقالوا: يا أبا الحسن ما حملك على أن تدفن بنت رسول الله ولم نحضرها؟ قال (عليه السلام): ذلك عهدا إليّ.

قال: فسكت أبو بكر، فقال عمر: والله هذا شيء في جوفك، فصار^(٢) إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) فأخذ بتلابيبه ثم جذبه فاسترخى في يده، ثم قال: والله لولا كتاب من الله سبق وقول من الله، والله لقد فررت يوم خيبر وفي موطن، ثم لم ينزل الله لك توبة حتى الساعة، فأخذه أبو بكر وجذبه وقال: قد نهيتك عنه^(٣).

وفي رواية الإختصاص عن الصادق (عليه السلام) إنه لما حضرته الوفاة دعت عليّاً (عليه السلام) فقالت: أما تضمن لي الوصيّة وإلاّ أوصيت إلى ابن الزبير، فقال عليّ (عليه السلام): أنا أضمن وصيتك يا بنت محمد، قالت: سألتك بحق رسول الله إذا مات أن لا يشهداني ولا يصلي عليّ، قال: فلك ذلك.

فلمّا قضيت (عليها السلام) دفنها عليّ (عليه السلام) ليلاً في بيتها، وأصبح أهل المدينة يريدون حضور جنازتها وأبو بكر وعمر كذلك، فخرج إليهما عليّ (عليه السلام) فقالا له: ما فعلت بابنة محمد (صلى الله عليه وآله)، أخذت في

(١) البحار ٢٩: ١٥٨ ح ٣٣ و ٣٤، عن مصباح الأنوار: ٢٥٥.

(٢) في البحار: فتار.

(٣) مصباح الأنوار ٢٥٩: عنه البحار ٢٩: ١١٢ ح ٧.

جهازها يا أبا الحسن، فقال عليّ (عليه السلام): والله قد دفنتها، قالوا: فما حملك على أن دفنتها ولم تعلمنا بموتها؟ قال: هي أمرتني، قال عمر: والله لقد هممت بنبشها والصلاة عليها، فقال عليّ (عليه السلام): أما والله ما دام قلبي بين جوانحي وذو الفقار في يدي فإنك لا تصل إلى نبشها فأنت أعلم، فقال أبو بكر: اذهب فإنه أحقّ بها منّا، وانصرف الناس^(١).

وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة وغيرها في خبر طويل أن فاطمة (عليها السلام) أرسلت إلى أبي بكر تسأل ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) - القصة - فهجرت ولم تكلمه حتى توفيت، ولم يؤذن بها أبو بكر يصلي عليها^(٢).

وعن الواقدي: إن فاطمة (عليها السلام) لما حضرته الوفاة أوصت عليّاً (عليه السلام) أن لا يصلي عليها أبو بكر وعمر، فعمل بوصيتها^(٣)، إلى غير ذلك ممّا دلّ على هذا المعنى من طرق العامة والخاصة.

وفي تاريخ الطبري: إن فاطمة دفنت ليلاً ولم يحضرها إلاّ العباس وعليّ والمقداد والزبير، وعن الزهري: أن أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام) دفنوها ليلاً وغيّبوا قبرها، وفي رواياتنا أنه صلى عليها أمير المؤمنين، والحسن، والحسين (عليهم السلام) وعقيل، وأبو ذر، والمقداد، وعمّار، وبريدة، وفي رواية: والعباس وابنه الفضل، وفي رواية: وحذيفة وابن مسعود^(٤).

وعن الأصبغ بن نباتة أنه سأل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن دفنها ليلاً، فقال: إنّها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها، وحرام على من

(١) الاختصاص: ١٨٥، عنه البحار ٢٩: ١٩٢ ح ٣٩.

(٢) صحيح مسلم ١٢: ٧٧، كتاب الجهاد حكم الفبيء.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٦٣، عنه البحار ٤٣: ١٨٢ ح ١٦، والعوالم ١١: ١٠٨٣.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٦٣، عنه البحار ٤٣: ١٨٣ ح ١٦، والعوالم ١١: ١٠٨٤.

يتولّاهم أن يصلّي على أحد من ولدها^(١).

وروي أنّه (عليه السّلام) سوّى قبرها مع الأرض مستوياً، وقالوا: سوّى حولها قبوراً مزوّرة مقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها، وروي أنّه رش على أربعين قبر حتى لا يبين قبرها من غيره من القبور فيصلّوا عليها.

وروي أنّه لما صار إلى القبر المبارك خرجت يد فتناولتها، وانصرف، وأنشأ عليّ (عليه السّلام) على شفير قبرها:

ذكرت أبا ودّي فبتّ كأُنّي
لكلّ اجتماع من خليلين فرقة
وإنّ افتقادي فاطماً بعد أحمد
فأجاب هاتف:

يريد الفتى أن لا يموت خليله
فلا بد من موت ولا بد من بلى
إذا انقطعت يوماً من العيش مدّتي
ستنعرض عن ذكرى وتنسى مودّتي

وروي أنّها بقيت بعد أبيها أربعين صباحاً، ولما حضرته الوفاة قالت لأسماء: إنّ جبرئيل أتى النبي (صلّى الله عليه وآله) لما حضرته الوفاة بكافور من الجنة، فقسّمه أثلاثاً: ثلثاً لنفسه، وثلثاً لعلّي، وثلثاً لي، وكان أربعين درهماً، فقالت: يا أسماء ابيني ببقية حنوط والذي من موضع كذا وكذا فضعيه عند رأسي فوضعت، ثم تسجّت بثوبها وقالت: انتظريني هنيئة وادعيني فإنّ أجبتك وإلا فاعلمي أنّي قدمت على أبي.

فانتظرتها هنيئة ثم نادتها فلم تجبها، فنادت: يا بنت محمد المصطفى، يا بنت أكرم من حملته النساء، يا بنت خير من وطأ الحصى، يا بنت من كان من ربّه قاب

(١) المصدر نفسه.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٦٥، عنه البحار ٤٣: ١٨٤ ح ١٦.

قوسين أو أدنى، قال: فلم تجبها، فكشفت عن وجهها فإذا بها قد فارقت الدنيا، فوقعت عليها تقبلها وهي تقول: فاطمة إذا قدمت على أبيك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام.

فبينما هي كذلك إذ دخل الحسن والحسين (عليهما السلام) فقالا: يا أسماء لا تنام أمنا في هذه الساعة، قالت: يا بني رسول الله ليست امكما نائمة قد فارقت الدنيا، فوقع عليها الحسن (عليه السلام) يقبلها مرة ويقول: يا أمّاه كلّميني قبل أن تفارق روحي بدني، قالت: وأقبل الحسين (عليه السلام) يقبل رجلها ويقول: يا أمّاه أنا ابنك الحسين كلّميني قبل أن ينصدع قلبي فأموت، قالت لهما أسماء: يا بني رسول الله انطلقا إلى أبيكما عليّ فاخبراه بموت أمكما.

فخرجا حتى إذا كان قرب المسجد رفا أصواتهما بالبكاء، فابتدرهما جميع الصحابة فقالوا: ما يبكيكما يا بني رسول الله؟ لا أبكي الله عينكما، لعلكما نظرتما إلى موقف جدكما (صلى الله عليه وآله) فبكيكما شوقاً إليه، فقالا: أوليس قد ماتت أمنا فاطمة، قال: فوقع عليّ (عليه السلام) على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمد؟ كنت بك أتعزّي ففيم العزاء من بعدك؟ ثم قال:

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة فكلّ الذي دون الفراق قليل وإن افتقادي واحداً بعد واحد دليل على أن لا يدوم خليل ثم قال (عليه السلام): يا أسماء غسّليها وحنّطيها وكفّنيها، ففعلوا كذلك وصلّوا عليها ليلاً ودفنوها بالبقيع، وماتت بعد العصر^(١).

وفي الكشف عن ابن عباس قال: مرضت فاطمة (عليها السلام) مرضاً شديداً فقالت لأسماء بنت عميس: ألا ترين إلى ما بلغت، فلا تحمليني على سرير ظاهر، فقالت: لا لعمرى ولكن أصنع نعشاً كما رأيت يصنع بالحبشة، قالت: فأرينيه، فأرسلت إلى جرائد رطبة فقطعت من الأسوق، ثم جعلت على السرير نعشاً، وهو أوّل ما كان النعش، فتبسّمت وما رأيت متبسّمة إلّا يومئذٍ، ثم حملناها فدفناها

(١) كشف الغمة ٢: ١٢٢، عنه البحار ٤٣: ١٨٦ ح ١٨.

ليلاً، وصلى عليها العباس بن عبد المطلب، ونزل في حفرتها هو وعليّ والفضل بن العباس^(١).

وعن أسماء بنت عMISS: إن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت لأسماء: إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء، أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله أنا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة، قال: فدعت بجريدة رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة (عليها السلام): ما أحسن هذا وأجمله لا تعرف به المرأة من الرجل.

قال: قالت فاطمة (عليها السلام): فإذا متّ فاغسليني أنت ولا يدخلن عليّ أحد، فلما توفيت فاطمة (عليها السلام) جاءت عائشة تدخل عليها فقالت أسماء: لا تدخلني، فكلّمت عائشة أبا بكر فقالت: إن هذه الخشمية تحول بيننا وبين ابنة رسول الله، وقد جعلت لها مثل هودج العروس، فقالت أسماء لأبي بكر: أمرتني أن لا يدخل عليها أحد، وأريتها هذا الذي صنعت وهي حيّة فأمرتني أن أصنع لها ذلك، فقال أبو بكر: إصنعي ما أمرتك فانصرف، وغسلها عليّ وأسماء^(٢).

وروي فيه بعد هذا أن أبا بكر وعمر عاتبا علياً (عليه السلام) كونه لم يؤذنهما بالصلاة عليها، فاعتذر أنّها أوصته بذلك وحلف لهما فصداقه وعذراه، وقل عليّ (عليه السلام) عند دفن فاطمة (عليها السلام) كالمناجي بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند قبره: السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك.... إلى آخر ما سيأتي^(٣).

ثم قال - أي كاشف الغمة عليّ بن عيسى الأربلي -: الحديث ذو شجون، أنشدني بعض الأصحاب للقاضي أبي بكر بن قريعة^(٤):

(١) كشف الغمة ٢: ١٢٦، عنه البحار ٤٣: ١٨٩ ح ١٩، وفي الذرية الطاهرة: ١٥٢ ح ٢٠٣.

(٢) كشف الغمة ٢: ١٢٦، عنه البحار ٤٣: ١٨٩ ح ١٩، وفي الذرية الطاهرة: ١٥٣ ح ٢٠٥.

(٣) كشف الغمة ٢: ١٢٧، عنه البحار ٤٣: ١٩٠ ح ١٩.

(٤) كذا في المصدر والبحار، وفي المتن: قريظة.

يا من يسأل دائماً
لا تكشفن مغطاً
ولرب مستور بدا
إن الجواب لحاضر
لولا اعتداء رعيّة
وسيوف أعداء بها
لنشرت من أسرار آ
تغنيكم عما رواه
وأريتم أن الحسين أصي
ولأي حال لحادت
ولما حمت شيخكم
أوه لبنت محمد

عن كل معضلة سخيّة
فلربما كشفت جيّة
كالطبل من تحت القطيفة
لكنتني أخفيه خيفة
ألقي سياستها الخليفة
هوامتنا أبداً نقيّة
ل محمد جملأ طريفة
مالك وأبو حنيّة
ب في يوم السقيّة
بالليل فاطمة الشريفة
عن وطأ حجرتها المنيّة
ماتت بغصتها أسيفة

وقد ورد من كلامها (عليها السلام) في مرض موتها ما يدلّ على شدة تألمها، وعظم موجدتها، وفرط شكايتهامن ظلمها ومنعها حقها، أعرضت عن ذكره، وألغيت القول فيه ونكبت عن إيراده، لأنّ غرضي من هذا الكتاب نعت مناقبهم ومزاياهم، وتنبيه الغافل عن موالاتهم، فربما تنبّه والاهم، ووصف ما خصّهم الله به من الفضائل التي ليست لأحد سواهم، فأمّا ذكر الغير والبحث عن الشرّ والخير فليس من غرض هذا الكتاب، وهو موكول إلى يوم الحساب، وإلى الله تصير الأمور، إنتهى^(١).

وعن الروضة: مرضت فاطمة (عليها السلام) مرضاً شديداً، ومكثت أربعين ليلة في مرضها إلى أن توفيت، فلما نعت إليها نفسها دعت أمّ أيمن وأسماء بنت عميس ووجّهت خلف عليّ (عليه السلام) وأحضرتة، فقالت: يا ابن عم أنّه قد نعت إليّ نفسي، وإنّني لا أرى ما بي إلا أنّي لاحق بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا

(١) كشف الغمّة ٢: ١٢٧، عنه البحار ٤٣: ١٩٠ ح ١٩.

أوصيك بأشياء في قلبي، قال لها عليّ (عليه السلام): أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله.

فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت، ثم قالت: يا ابن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني، فقال عليّ (عليه السلام): معاذ الله، أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله أن أوبّخك بمخالفتي، قد عزّ عليّ مفارقتك وتفقدك إلا أنه أمر لا بد منه، والله جدّدت عليّ مصيبة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنّا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها، هذه والله مصيبة لا عزاء لها، ورزية لا خلف لها.

ثم بكيا جميعاً ساعة، وأخذ عليّ (عليه السلام) رأسها وضّمّها إلى صدره، ثم قال: أوصيني بما شئت فإنك تجديني فيها أمضى كما أمرتني به، وأختار أمرك على أمري.

ثم قالت: جزاك الله عنّي خير الجزاء يا ابن عمّ رسول الله، أوصيك أولاً أن تتزوّج بعدي بابنة إمامة، فإنّها تكون لولدي مثلي فإن الرجال لا بد لهم من النساء - قال: فمن أجل ذلك قال أمير المؤمنين (عليه السلام): أربع ليس لي إلى فراقه سبيل: بنت إمامة أوصتني بها فاطمة بنت محمّد (صلّى الله عليه وآله) ... -، ثم قالت: أوصيك يا ابن عمّ أن تتخذ لي نعشاً فقد رأيت الملائكة صوّروا صورته، فقال لها: صفيه لي، فوصفته فاتخذها لها، فأول نعش عمل على وجه الأرض ذاك وما رأى أحد قبله ولا عمل أحد.

ثم قالت: أوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني وأخذوا حقّي فإنهم عدوّي وعدوّ رسول الله، ولا تترك أن يصلّي عليّ أحد منهم ولا من أتباعهم، وادفني في الليل إذا هذأت العيون ونامت الأبصار.

ثم توقّيت صلّى الله عليها وعلى أبيها وبعليها وبنيتها، فصاحت أهل المدينة صيحة واحدة، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها فصرخوا صرخة واحدة كادت

المدينة أن تتزعزع من صراخهنّ، وهنّ يقلن: يا سيدتاه، يا بنت رسول الله، وأقبل الناس مثل عرف الفرس إلى عليّ (عليه السلام) وهو جالس والحسن والحسين بين يديه يبيكان، فبكى الناس لبكائهما، وخرجت أمّ كلثوم وعليها برقة وتجرّ ذيلها متجلّلة برداء عليها تسبيحها وهي تقول: يا أبتاه يا رسول الله الآن حقاً فقدناك فقداً لا لقاء بعده أبداً.

واجتمع الناس فجلسوا وهم يضجّون وينتظرون أن تخرج الجنازة فيصلّون عليها، فخرج أبو ذر فقال: إنصرفوا فإنّ ابنه رسول الله قد أخرّ إخراجها في هذه العشيّة، فقام الناس وانصرفوا.

فلما أن هدأت العيون ومضى من الليل أخرجها عليّ والحسن والحسين (عليهم السلام)، وعمار، والمقداد، وعقيل، والزبير، وأبو ذر، وسلمان، وبريدة ونفر من بني هاشم وخواصّه صلّوا عليها ودفنوها في جوف الليل، وسوّى عليّ حوالها قبوراً مزوّرة مقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها (عليها السلام)، وقال بعضهم من الخواص: قبرها سوّى مع الأرض مستوياً فمسح مسحاً سواء مع الأرض حتى لا يعرف موضعه^(١).

وفي كتاب سليم بن قيس الهلالي عن ابن عباس أنّه لما توفّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فلم يوضع في حفرته حتى نكث الناس وارتدوا وأجمعوا على الخلاف، واشتغل عليّ (عليه السلام) برسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتى فرغ من غسله وتكفينه وتحنيطه ووضعه في حفرته، ثم أقبل على تأليف القرآن وشغل عنهم بوصيّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

فقال عمر لابي بكر: يا هذا إنّ الناس أجمعين قد بايعوك ما خلا هذا الرجل وأهل بيته فابعث إليه، فبعث إليه ابن عم لعمر يقال له قنفذ، فقال له: يا قنفذ إنطلق إلى عليّ فقل له: أجب خليفة رسول الله، فبعثاً مراراً فأبى عليّ أن يأتيهم، فوثب

(١) روضة الواعظين: ١٥١، عنه البحار ٤٣: ١٩١ ح ٢٠.

عمر غضبان ونادى خالد بن الوليد وفنّذاً فأمرهما أن يحملا حطباً وناراً، ثم أقبل حتى انتهى إلى باب عليّ، وفاطمة (عليها السّلام) قاعدة خلف الباب، قد عصبت رأسها، ونحل جسمها في وفاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

فأقبل عمر حتى ضرب الباب ثم نادى: يا ابن أبي طالب إفتح الباب، فقالت فاطمة (عليها السّلام): يا عمر مالنا ولك لا تدعنا وما نحن فيه؟! قال: إفتحي الباب وإلا أحرقنا عليكم، فقالت: يا عمر أما تتقي الله عز وجل تدخل على بيتي وتهجم على داري، فأبى أن ينصرف، ثم دعا عمر بالنار فأضرمها في الباب فأحرق الباب، ثم دفعه عمر فاستقبلته فاطمة (عليها السّلام) وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله، فرفع السوط فضرب به ذراعها فصاحت: يا أبتاه.

فوثب عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) فأخذ بتلابيب عمر، ثم هزّه فصرعه ووجأ أنفه ورقبته، وهمّ بقتله فذكر قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وما أوصاه به من الصبر والطاعة، فقال (عليه السّلام): والذي كرم محمداً بالنبوة يا ابن صهاك لولا كتاب من الله سبق لعلمت أنك لا تدخل بيتي.

فأرسل عمر يستغيث فأقبل الناس حتى دخلوا الدار، فكاثروه وألقوا في عنقه حبلاً، فحالت بينهم وبينه فاطمة عند باب البيت، فضربها قنّفذ الملعون بالسوط، فماتت حين ماتت وإنّ في عضدها كمثل الدمليج من ضربته لعنه الله، فألجأها إلى عضادة بيتها ودفعها فكسر ضلعها من جنبها، فألقت جينياً من بطنها، فلم تنزل صاحبة فراش حتى ماتت (عليها السّلام) من ذلك شهيدة^(١).

وفي بعض الروايات فيما احتجّ به الحسن (عليه السّلام) على معاوية وأصحابه أنّه قال لمغيرة بن شعبة: أنت ضربت فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتى أدميتها وألقت ما في بطنها، إستذلالاً منك لرسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ومخالفة منك لأمره، وانتهاكاً لحرمته، وقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

(١) كتاب سليم بن قيس: ٢٠٧ رقم ٥٢، عنه البحار ٤٣: ١٩٧ ح ٢٩.

أنت سيّدة نساء أهل الجنة، والله مصيرك إلى النار^(١). ولا منافاة لإمكان صدور ضربها (عليها السلام) من كليهما قنفاً ومغيرة.

ثم ساق الحديث الطويل في الكتاب السابق في الداهية العظمى والمصيبة الكبرى إلى أن قال: ثم إنّ فاطمة (عليها السلام) بلغها أنّ أبا بكر غصب فدكاً، فخرجت في نساء بني هاشم حتى دخلت على أبي بكر، فقالت: يا أبا بكر تريد أن تأخذ منّي أرضاً جعلها لي رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

فدعا أبو بكر بدواة ليكتب به لها، فدخل عمر فقال: يا خليفة رسول الله لا تكتب لها حتى تقيم البينة بما تدّعي، فقالت فاطمة (عليها السلام) عليّ وأمّ أيمن يشهدان بذلك، فقال عمر: لا تقبل شهادة امرأة عجميّة لا تفصح، وأمّا عليّ فيجزّ النار إلى قرصه، فرجعت فاطمة (عليها السلام) مغتاضة.

وكان عليّ (عليه السلام) يصلّي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ إلى أن ثقلت فساءلاً عنها وقالوا: قد كان بيننا وبينها ما قد علمت فإن رأيت أن تأذن لنا لنعذر إليها من ذنبنا، قال: ذاك إليكما، فقاما فجلسا بالباب ودخل عليّ (عليه السلام) على فاطمة فقال لها: أيتها الحرّة فلان وفلان بالباب يريدان أن يسلمّا عليك فما ترين؟ قالت: البيت بيتك والحرّة زوجتك وافعل ما تشاء.

فقال: سدّي قناعك، فسدت قناعها وحولت وجهها إلى الحائط، فدخلوا وسلّموا وقالوا: ارضي عنا رضى الله عنك، فقالت: ما دعاكما إلى هذا؟ فقالوا: إعترفنا بالإساءة ورجونا أن تعفي عنا، فقالت: فإن كنتما صادقين فاخبراني عمّا أسألكما عنه، فإنّي لا أسألكما عن أمر إلّا وأنا عارفة بأنكما تعلمانه، فإن صدقتما علمت أنّكما صادقان في مجيئكما، قالوا: سلي عمّا بدالك.

قالت: نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: فاطمة بضعة منّي فمن آذاها فقد آذاني؟ قالوا: نعم، فرفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم

إنَّهما قد آذيانِي فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك، لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبي رسول الله وأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما، قال: فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثبور وجزع جزعاً شديداً، فقال عمر: تجزع يا خليفة رسول الله من قول امرأة.

قال: فبقيت فاطمة (عليها السلام) بعد وفاة أبيها أربعين ليلة، فلما اشتد بها الأمر دعت علياً (عليه السلام) وقالت: يا ابن عمّ ما أراني إلا لما بي وأنا أوصيك أن تتزوَّج بامامة بنت اختي زينب تكون لولدي مثلي، واتخذ لي نعشاً فإنِّي رأيت الملائكة يصفونه لي، وأن لا يشهد أحد من أعداء الله جنازتي ولا دفني ولا الصلاة عليّ.

قال ابن عباس: فقبضت فاطمة (عليها السلام) من يومها، فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان علياً (عليه السلام) ويقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله، فلما كان الليل دعا عليّ العباس، والفضل، والمقداد، وسلمان، وأبا ذر، وعمار، فقدم العباس وصلّى عليها ودفنوها.

فلما أصبح الناس أقبل أبو بكر وعمر والناس يريدون الصلاة على فاطمة (عليها السلام)، فقال المقداد: قد دفنّا فاطمة البارحة، فالتفت عمر إلى أبي بكر فقال: ألم أقل لك إنهم سيفعلون، قال العباس: إنّها أوصت أن لا تصلّي عليها، فقال عمر: لا تتركون يا بني هاشم حسدكم القديم لنا أبداً، إنّ هذه الضغائن التي في صدوركم لن تذهب والله، لقد هممت أن أنبشها فاصلّي عليها.

فقال عليّ (عليه السلام): والله لو رمت ذاك يا ابن صهاك لا رجعت إليك يمينك، لئن سللت سيفي لا أعمدته دون ارهاق نفسك، فانكسر عمر وسكت وعلم أنّ علياً إذا حلف صدق، ثم قال عليّ (عليه السلام): يا عمر ألسنت الذي همّ بك رسول الله وأرسل إليّ فجئت متقلداً سيفي، ثم أقبلت نحوك لأقتلك، فأنزل الله

عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ (١)(٢).

وعن الباقر عن آبائه (عليهم السلام) قال: بدوّ مرض فاطمة (عليها السلام) كان بعد خمسين ليلة من وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فمرضت ومكثت في مرضها خمسة عشر يوماً، وعلمت أنّها مرض الوفاة فاجتمعت لذلك تأمر عليّاً (عليه السلام) بأمرها، وتوصيه بوصيّته، وتعهد إليه عهودها، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يجزع لذلك ويطيعها في جميع ما تأمره، فقالت: يا أبا الحسن إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عهد إليّ وحدثني أنّي أول أهله لحوقاً به ولا بد ممّا لا بد منه، فاصبر لأمر الله وارض بقضائه.

قال: وأوصته بغسلها وجهازها ودفنها ليلاً ففعل، قال: وأوصته بصدقها وتركها، قال: فلمّا فرغ أمير المؤمنين (عليه السلام) من دفنها لقيه الرجلان فقالا له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: وصيّتها وعهدا (٣).

وعن الصادق (عليه السلام) أنّه شهد دفنها سلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وابن مسعود، والعباس بن عبد المطلب، والزبير بن العوام. وعن الباقر (عليه السلام): أنّها كفّنت في ثلاثة أثواب (٤).

وروى في العلل في حديث طويل ذكر فيه ارجاف الأشقياء إلى فاطمة (عليها السلام) [و] تزويج عليّ (عليه السلام) لبنت أبي جهل اختلاقاً للفرية، وذهاب فاطمة (عليها السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وجمعه الأصحاب في تلك الليلة، وذكره حديث البضعة على ما مرّ تفصيله في وجه تسميتها بالبضعة: أنّه لمّا مرضت فاطمة (عليها السلام) مرضها الذي ماتت فيها أتاها أبو بكر وعمر عائدين واستأذنا عليها، فأبّت أن تأذن لهما، فلمّا رأى ذلك أبو بكر أعطى الله عهداً

(١) مريم: ٨٤.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ٢١٠، عنه البحار ٤٣: ١٩٨ ح ٢٩.

(٣) البحار ٤٣: ٢٠١ ح ٣٠، عن مصباح الأنوار: ٢٥٩.

(٤) البحار ٤٣: ٢٠ ح ٣٠ عن مصباح الأنوار: ٢٥٧.

أَلَّا يَظْلَهُ سَقْفَ بَيْتٍ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَى فَاطِمَةَ يَتَرْضَاهَا، فَبَاتَ لَيْلَةً فِي الْبَقِيعِ^(١) مَا أَظْلَهُ شَيْءٌ.

ثُمَّ أَنَّ عُمَرَ أَتَى عَلِيًّا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ شَيْخٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ، وَقَدْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْغَارِ وَلَهُ صَحْبَةٌ، وَقَدْ أَتَيْنَاهَا غَيْرَ هَذِهِ الْمَرَّةِ مَرَارًا نُرِيدُ الْإِذْنَ عَلَيْهَا وَهِيَ تَأْبَى أَنْ تَأْذُنَ لَنَا حَتَّى نَدْخُلَ عَلَيْهَا فَتَنْرِضَنِي، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْتَأْذِنَ لَنَا عَلَيْهَا فَافْعَلْ، قَالَ: نَعَمْ.

فَدَخَلَ عَلِيٌّ عَلَى فَاطِمَةَ فَقَالَ: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ كَانَ مِنْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ مَا قَدْ رَأَيْتَ، وَقَدْ تَرَدَّدَا مَرَارًا كَثِيرَةً رَدَدْتُهُمَا وَلَمْ تَأْذُنْ لَهُمَا، وَقَدْ سَأَلَانِي أَنْ أُسْتَأْذِنَ لَهُمَا عَلَيْكَ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا آذُنَ لَهُمَا وَلَا أَكْلَمَهُمَا كَلِمَةً مِنْ رَأْسِي حَتَّى أَلْقَى أَبِي فَأَشْكُوهُمَا إِلَيْهِ بِمَا صَنَعَاهُ وَارْتَكَبَاهُ مِنِّي.

قَالَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): فَإِنِّي ضَمَنْتُ لَهُمَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ: إِنْ كُنْتُ قَدْ ضَمَنْتُ لَهُمَا شَيْئًا فَالْبَيْتُ بَيْتُكَ وَالنِّسَاءُ تَتَّبِعُ الرِّجَالَ لَا إِخَالَفَ عَلَيْكَ بِشَيْءٍ، فَأَذِنَ لِمَنْ أَحَبَّيْتُ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَأَذِنَ لَهُمَا فَلَمَّا وَقَعَ بَصَرُهُمَا عَلَى فَاطِمَةَ سَلَّمَا عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِمَا وَحَوَّلَتْ وَجْهَهُمَا عَنْهَا، فَتَحَوَّلَا وَاسْتَقْبَلَا وَجْهَهَا حَتَّى فَعَلَتْ مَرَارًا وَقَالَتْ: يَا عَلِيُّ جَافَ الثُّوبُ وَقَالَتْ لِنِسْوَةٍ حَوْلَهَا: حَوِّلْنَ وَجْهِي.

فَلَمَّا حَوَّلْنَ وَجْهَهَا حَوَّلَا إِلَيْهَا فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّمَا أَتَيْنَاكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ وَاجْتِنَابِ سَخَطِكَ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَتَصْفَحَ عَمَّا كَانَ مِنَّا إِلَيْكَ، قَالَتْ: لَا أَكْلَمَكُمَا مِنْ رَأْسِي كَلِمَةً وَاحِدَةً حَتَّى أَلْقَى أَبِي وَأَشْكُوَكُمَا إِلَيْهِ وَأَشْكُوَ صَنِيعَكُمَا وَفَعَالَكُمَا وَمَا ارْتَكَبْتُمَا مِنِّي، قَالَا: إِنَّا جِئْنَا مُعْتَذِرِينَ مُبْتَغِينَ مَرْضَاتِكَ، فَاغْفِرِي وَاصْفَحِي عَنَّا وَلَا تَوَاخِذِينَا بِمَا كَانَ مِنَّا.

فَالْتَقَتَتْ إِلَى عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَقَالَتْ: إِنِّي لَا أَكْلَمُهُمَا مِنْ رَأْسِي كَلِمَةً حَتَّى أَسْأَلَهُمَا عَنْ شَيْءٍ سَمِعَاهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فَإِنْ صَدَّقَانِي رَأَيْتَ رَأْيِي، قَالَا: اللَّهُمَّ ذَلِكَ لَهَا وَآنَا لَا نَقُولُ إِلَّا حَقًّا، وَلَا نَشْهَدُ إِلَّا صَدَقًا.

(١) أثبتناه من العلل، وفي المتن والبحار: الصقيع.

فقالت: انشدكما بالله أتذكران أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) استخرجكما في جوف الليل بشيء كان حدث من أمر عليّ؟ فقالا: اللهم نعم، فقالت: أنشدكما بالله هل سمعتما النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: فاطمة بضعة مني وأنا منها، من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي فكان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي؟ قالوا: اللهم نعم، فقالت: الحمد لله.

ثم قالت: اللهم إني أشهدك فاشهدوا يا من حضرنني أنهما قد آذايني في حياتي وعند موتي، والله لا أكلّمكما من رأسي كلمة حتى ألقى ربي فأشكوكما إليه بما صنعتما بي وارتكبتما مني، فدعا أبو بكر بالويل والثبور، وقال: ليت أُمّي لم تلدني، فقال عمر: عجباً للناس كيف ولّوك أمورهم، وأنت شيخ قد خرفت، تجزع لغضب امرأة وتفرح برضاها وما لمن أغضب امرأة، وقاما وخرجا.

قال: فلمّا نعي إلى فاطمة (عليها السلام) نفسها أرسلت إلى أمّ أيمن - وكانت أوثق نساءها عندها وفي نفسها - فقالت: يا أمّ أيمن إن نفسي نعت إليّ فادعى لي عليّاً، فدعته لها فلمّا دخل عليها قالت له: يا ابن العمّ أريد أن أوصيك بأشياء فاحفظها عليّ، فقال لها: قليني ما أحببت.

قالت له: تزوّج فلانة تكون لولدي مربية من بعدي مثلي، واعمل نعلشاً لي رأيّت الملائكة قد صورته لي، فقال لها عليّ (عليه السلام): أريني كيف صورته، فأرته ذلك كما وصفت له وكما أمرت به، ثم قالت: فإذا أنا قضيت نحبي فاخرجني من ساعتك أيّ ساعة كانت من ليل أو نهار، ولا يحضرنّ من أعداء الله وأعداء رسوله للصلاة عليّ، قال عليّ: أفعل.

فلمّا قضت نحبها وهم في ذلك في جوف الليل، أخذ عليّ (عليه السلام) في جهازها من ساعته كما أوصته، فلمّا فرغ من جهازها أخرج عليّ الجنّازة، وأشعل النار في جريد النخيل، ومشى مع الجنّازة بالنار حتى صلى عليها ودفنها ليلاً، فلمّا أصبح أبو بكر وعمر عادا عائدين لفاطمة (عليها السلام)، فلحقيا رجلاً من قريش

فقالا له: من أين أقبلت؟ قال: عزيت علياً بفاطمة، قالوا: وقد ماتت؟ قال: نعم ودفنت في جوف الليل.

فجزعا جزعاً شديداً ثم أقبلا إلى علي (عليه السلام)، فلقياه فقالا له: والله ما تركت شيئاً من غوائلنا ومساءتنا، وما هذا إلا من شيء كمن في صدرك علينا، هل هذا إلا كما غسلت رسول الله دوننا ولم تدخلنا معك؟ وكما علمت إبنك أن يصيح بأبي بكر أن انزل عن منبر أبي؟

فقال لهما علي (عليه السلام): أتصدّقاني إن حلفت لكما؟ قالوا: نعم، فحلف فأدخلهما على المسجد فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لقد أوصاني وتقدّم إليّ أنّه لا يطلع على عورته أحد إلا ابن عمّه، فكننت اغسله والملائكة تقبّله، والفضل بن العباس ينالني الماء وهو مربوط العينين بالخرقة، ولقد أردت أن أنزع القميص فصاح بي صائح من البيت، سمعت الصوت ولم أر الصورة: لا تنزع قميص رسول الله، ولقد سمعت الصوت يكرّره عليّ، فأدخلت يدي من بين القميص ففسلته، ثم قدّم إليّ الكفن فكفنته، ثم نزع القميص بعد ما كفنته.

وأما الحسن إبنه فقد تعلّمان ويعلم أهل المدينة أنّه كان يتخطى الصفوف حتى يأتي النبي (صلى الله عليه وآله) وهو ساجد فيركب ظهره، فيقوم النبي ويده على ظهر الحسن والأخرى على ركبته حتى يتمّ الصلاة، قالوا: نعم قد علمنا ذلك، ثم قال: تعلّمان ويعلم أهل المدينة أنّ الحسن كان يسعى إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ويركب على رقبته، ويدلى الحسن رجله على صدر النبي حتى يرى بريق خذاليه من أقصى المسجد، والنبي (صلى الله عليه وآله) يخطب، ولا يزال على رقبته حتى يفرغ النبي (صلى الله عليه وآله) من خطبته والحسن على رقبته، فلمّا رأى الصبي على منبر أبيه غيره شقّ عليه ذلك، والله ما أمرته بذلك ولا فعله من أمري.

وأما فاطمة (عليها السلام) فهي المرأة التي استأذنت لكما عليها، فقد رأيتما ما كان من كلامها لكما، والله لقد أوصتني أن لا تحضرا جنازتها ولا الصلاة عليها،

وما كنت الذي أخالف أمرها ووصيتها إليّ فيكما.

فقال عمر: دع عنك هذه الهمهمة أنا أمضي إلى المقابر فأنبشها حتى أصلي عليها، فقال له عليّ (عليه السلام): والله لو ذهبت تروم من ذلك شيئاً، وعلمت أنّك لا تصل إلى ذلك حتى يندر عنك الذي فيه عيناك، فإنّي كنت لا أعاملك إلاّ بالسيف قبل أن تصل إلى شيء من ذلك، فوقع بين عليّ (عليه السلام) وعمر كلام حتى تلاحيا واستبسلا^(١)، واجتمع المهاجرون والأنصار فقالوا: والله ما نرضى بهذا أن يقال في ابن عمّ رسول الله وأخيه ووصيه، وكادت أن تقع فتنة، ففترقا^(٢).

وروى المفيد عن محمد بن عمّار بن ياسر أنّه قال: لما مرضت فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مرضتها التي توفيت فيها وثقلت جاءها العباس بن عبد المطلب عائداً، فقيل له: إنّها ثقيلة وليس يدخل عليها أحد، فانصرف إلى داره وأرسل إلى عليّ (عليه السلام) فقال لرسوله: قل له: يا ابن أخ عمّك يقرئك السلام ويقولك: الله قد فجّاني من الغمّ بشكاة حبّية رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقرّة عينه وعيني فاطمة ما هدّني، وأنّي لأظنّها أولنا لحوقاً برسول الله (صلّى الله عليه وآله) يختار لها ويحبوها ويزلفها لربه، فإن كان من أمرها ما لا بد منه فاجمع - أنا لك الفداء - المهاجرين والأنصار حتى يصيبوا الأجر في حضورها والصلاة عليها، وفي ذلك جمال للدين.

فقال عليّ (عليه السلام) لرسوله وأنا حاضر عنده: أبلغ عمّي السلام وقل: لا عدمت اشفاقك وتحيتك، وقد عرفت مشورتك ولرأيك فضله، إنّ فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لم تزل مظلومة من حقّها ممنوعة، وعن ميراثها مدفوعة، لم تحفظ فيها وصيّة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ولا رُعي فيها حقّه ولا حقّ الله عز وجل، وكفى بالله حاكماً ومن الظالمين منتقماً، وأنا أسألك يا عمّ أن

(١) المستبسِل: الذي يوطن نفسه على الموت، واستبسِل أي طرح نفسه في الحرب وهو يريد أن يقتل لا محالة، وفي العلل بدل استبسلا: استبتا.

(٢) علل الشرائع: ١٨٦ ح ٢ باب ١٤٩، عنه البحار ٤٣: ٢٠٢ ح ٣١.

تسمح لي بترك ما أشرت به فإنها وصّتني بستر أمرها.

قال: فلمّا أتى العباس رسوله بما قال عليّ (عليه السّلام) قال: يغفر الله لابن أخي فإنّه لمغفور له، إنّ رأي ابن أخي لا يطعن فيه، أنّه لم يولد لعبد المطلب مولود أعظم بركة من عليّ إلّا النبي (صلّى الله عليه وآله)، إنّ عليّاً لم يزل أسبقهم إلى كلّ مكرمة، وأعلمهم بكلّ فضيلة، وأشجعهم في الكريهة، وأشدّهم جهاداً للأعداء في نصرّة الحنيفة، وأوّل من آمن بالله وبرسوله^(١).

وفي رواية وهب بن منبه عن ابن عباس: إنّ فاطمة لما توفيت شقّت أسماء جيبها وخرجت، فتلقّاهما الحسن والحسين (عليهما السّلام) فقالا: أين أمنا؟ فسكتت، فدخل البيت فإذا هي ممتدة، فحرّكها الحسين فإذا هي ميتة، فقال: يا أخاه أجرك الله في الولادة، وخرجا يناديان: يا محمدا، يا أحمداه، اليوم جدّد لنا موتك إذ ماتت أمنا، ثم أخبرا عليّاً وهو في المسجد، فغشي عليه حتى رش عليه الماء ثم أفاق، فحملهما حتى أدخلهما بيت فاطمة وعند رأسها أسماء تبكي وتقول: وايتامى محمد كيف تتعزّى بعدك، فكشف عليّ (عليه السّلام) عن وجهها، فإذا برقعة عند رأسها فنظر فيها فإذا فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، أوصت وهي تشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ الجنة حق، والنار حق، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، يا عليّ أنا فاطمة بنت محمد زوّجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيري، حنّطني وغسّلني وكفّني بالليل، وصلّ عليّ وادفني بالليل ولا تعلم أحداً، واستودعك الله، وقرأ على ولدي السلام إلى يوم القيامة».

فلمّا جنّ الليل غسّلها عليّ (عليه السّلام) ووضعها على السرير وقال للحسن:

(١) أمالي الطوسي: ١٥٥ ح ١٠ مجلس ٦، عنه البحار ٤٣: ٢٠٩ ح ٣٨.

ادع أباذر، فحملاه إلى المصلّى فصلّى عليها، ثمّ صلّى ركعتين ورفع يديه إلى السماء فنادى: هذه بنت نبيك فاطمة أخرجتها من الظلمات إلى النور فأضاءت الأرض ميلاً في ميل.

فلما أرادوا أن يدفنها نودوا من بقعة من البقيع: إليّ إليّ فقد رفع تربتها منّي، فنظروا فإذا هي بقبر محفور، فحملوا السرير إليها فدفنوها، فجلس عليّ (عليه السلام) على شفير القبر فقال: يا أرض استودعتك وديعتي هذه بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فنودي منها: يا عليّ أنا أرفق بها منك فارجع ولا تهتمّ، وانسد القبر واستوى بالأرض ولم يعلم أين كان إلى يوم القيامة^(١).

وورد في بعض الروايات أنّها (عليها السلام) لما اشتد عليها المرض رأت في منامها - أي بين النوم واليقظة - النبي (صلّى الله عليه وآله) في فرايس الجنان، فشكت إليه ما نالها من بعده، فقال لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لكم الآخرة التي أعدت للمتقين، وإنّك قادمة عليّ من قريب أو إلى أيّام، وإنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) سارّ بها في فضاء الجنة وساحاتها وقصورها وبيوتها ودورها، وقال: هذه مسكنك ومسكن زوجك وولديك ومن أحبّك وأحبّهما - إلى غير ذلك -.

فانتبهت من رقدتها وصاحت بعليّ (عليه السلام) وحكت له القصة، وأوصت بما أوصت إليه من الوصية، إلى أن حضرتها الوفاة بعد موهن من الليلة سلّم عليها جبرئيل وميكائيل وعزرائيل واحداً بعد واحد وقد ملئ البيت من الرائحة الطيبة من جهنم نزول الملائكة، ويسمع من في البيت هممة الملائكة أيضاً فتشهدت ومدّت رجليها ويديها فغمضت، وتولّى غسلها وتكفينها عليّ أمير المؤمنين (عليه السلام)^(٢). كما في عيون المعجزات للمرّضى (رحمه الله) وغيره: وأخرجها معه

(١) البحار ٤٣: ٢١٤ ح ٤٤، عن بعض كتب المناقب القديمة.

(٢) راجع البحار ٤٣: ٢٠٧ ح ٣٦، ملخصاً.

الحسن والحسين (عليهما السلام) في الليل وصلّوا عليها^(١).

وفي العلل عن المفضل قال: قلت للصادق (عليه السلام): جعلت فداك مَنْ غَسَّلَ فاطمة (عليها السلام)؟ قال: ذاك أمير المؤمنين، قال: فكأنّي استعظمت ذلك من قوله فقال: كأَنَّكَ ضَعْتَ مِمَّا أَخْبَرْتُكَ بِهِ؟ قلت: قد كان ذلك جعلت فداك؟ قال: لا تَضِيقَنَّ فَإِنَّهَا صَدِيقَةٌ لَا يَغْسِلُهَا إِلَّا صَدِيقٌ، أما علمت أَنَّ مَرْيَمَ لَمْ يَغْسِلُهَا إِلَّا عِيسَى (عليه السلام)^(٢).

وعن أبي الحسن الخزاز القمي في كتاب الأحكام الشرعية: سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) عَنْ فَاطِمَةَ مَنْ غَسَّلَهَا؟ فَقَالَ: غَسَّلَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام)، أَنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةً وَلَمْ يَكُنْ لِيَغْسِلَهَا إِلَّا صَدِيقٌ^(٣)، والأخبار كثيرة في أَنَّ عَلِيًّا (عليه السلام) غَسَّلَهَا.

وروي أيضاً أَنَّهَا أَوْصَتْ عَلِيًّا (عليه السلام) وَأَسْمَاءَ بِنْتَ عَمِيسَ أَنْ يَغْسِلَهَا^(٤). وعن أسماء بنت عميس قالت: أَوْصَتَنِي فَاطِمَةُ (عليها السلام) أَنْ لَا يَغْسِلَهَا إِذَا مَاتَ إِلَّا أَنَا وَعَلِيٌّ، فغَسَّلْتُهَا أَنَا وَعَلِيٌّ^(٥).

وورد أيضاً أَنَّهُ قَالَتْ فَاطِمَةُ (عليها السلام) لِأَسْمَاءَ بِنْتَ عَمِيسَ حِينَ تَوَضَّأَتْ وَضُوءَهَا لِلصَّلَاةِ: هَاتِي طَيِّبِي الَّذِي أَتَطَيَّبُ بِهِ، وَهَاتِي ثِيَابِي الَّتِي أُصَلِّي فِيهَا، فَتَوَضَّأَتْ ثُمَّ وَضَعَتْ رَأْسَهَا فَقَالَتْ لَهَا: إِجْلِسِي عِنْدَ رَأْسِي فَإِذَا جَاءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ فَأَقِيمِينِي، فَإِنْ قَمْتُ وَإِلَّا فَأَرْسِلِي إِلَى عَلِيٍّ.

فلَمَّا جَاءَ وَقْتُ الصَّلَاةِ قَالَتْ: الصَّلَاةُ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، فَإِذَا هِيَ قَدْ قَبِضَتْ، فَجَاءَ عَلِيٌّ (عليه السلام) فَقَالَتْ لَهُ: قَدْ قَبِضَتْ ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

(١) البحار ٤٣: ٢١٢ ح ٤١ عن عيون المعجزات.

(٢) علل الشرائع: ١٨٤ ح ١ باب ١٤٨، عنه البحار ٤٣: ٢٠٦ ح ٣٢، وفي الكافي ١: ٤٥٩ ح ٤.

(٣) راجع المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٦٤، عنه البحار ٤٣: ١٨٤ ح ١٦.

(٤) كشف الغمة ٢: ١٢٦، عنه البحار ٤٣: ١٨٩ ح ١٩.

(٥) كشف الغمة ٢: ١٢٢، عنه البحار ٤٣: ١٨٥ ح ١٨.

قال: متى؟ قالت: حين أرسلت إليك، قال: فأمر أسماء فغسلتها، وأمر الحسن والحسين (عليهما السلام) يدخلان الماء، ودفنها ليلاً وسوى قبرها، فعوتب فقال: بذلك أمرتني^(١).

وفي كتاب البلاذري أن أمير المؤمنين (عليه السلام) غسلها من معقد الإزار، وأن أسماء بنت عميس غسلتها من أسفل ذلك^(٢).

وقالت أسماء بنت عميس: أوصت إلي فاطمة (عليها السلام) أن لا يغسلها إذا ماتت إلا أنا وعليّ، فأعنت عليّاً على غسلها^(٣).

وفي أمالي الشيخ عن سلمى امرأة أبي رافع قالت: مرضت فاطمة (عليها السلام) فلما كان اليوم الذي ماتت فيه قالت: هيتي لي ماء، فصبيت لها فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل، ثم قالت: إئتيني بثياب جدد فلبستها، ثم أتت البيت الذي كانت فيه فقالت: افرشي لي في وسطه، ثم اضطجعت واستقبلت القبلة ووضعت يدها تحت خدّها وقالت: إني مقبوضة الآن فلا أكشفن فأني قد اغتسلت، قالت: وماتت، فلما جاء عليّ (عليه السلام) أخبرته فقال: لا تكشف، فحملها بغسلها^(٤).

وروى أحمد بن حنبل، وأبو عبدالله البصري، وابن بطة بأسانيدهم عن أم سلمى امرأة أبي رافع مثله بأدنى زيادة ونقيصة^(٥).

وروى الدولابي حديث الغسل الذي اغتسلته قبل وفاتها، وكونها دفنت به ولم تكشف^(٦).

وقال الفاضل المجلسي (رحمه الله): وروي مرفوعاً إلى سلمى أم بني رافع

(١) كشف الغمّة ٢: ١٢٢، عنه البحار ٤٣: ١٨٥ ح ١٨.

(٢) راجع المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٦٤، عنه البحار ٤٣: ١٨٤ ح ١٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) أمالي الطوسي: ٤٠٠ ح ٤١ مجلس ١٤، عنه البحار ٤٣: ١٧٢ ح ١٢.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٦٤، عنه البحار ٤٣: ١٨٣ ح ١٦، مسند أحمد ٦: ٤٦١ و ٤٦٢.

(٦) الذرية الطاهرة: ١٥٤ ح ٢٠٦.

قالت: كنت عند فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) في شكواها التي ماتت فيها، قالت: فلمّا كان في بعض الأيام وهي أخفّ ما نراها فغدا عليّ بن أبي طالب في حاجته وهو يرى يومئذ أنّها أمثل ما كانت، فقالت: يا أمّ أسكبي لي غسلاً، ففعلت فاغتسلت كأشد ما رأيته، ثم قالت لي: أعطيني ثيابي الجدد فأعطيتها فلبست، ثم قالت: ضعي فراشي واستقبليني، ثم قالت: إنّي قد فرغت من نفسي فلا اكشفنّ أنّي مقبوضة الآن، ثم توسدت يدها اليمنى واستقبلت القبلة فقبضت، فجاء عليّ (عليه السّلام) ونحن نصيح، فسأل عنها فأخبرته فقال: إذا والله لا تكشف، فاحتملت في ثيابها فغيّبت^(١).

ثم قال: أقول: هذا الحديث قد رواه ابن بابويه كما ترى.

وقد روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أمّ سلمى قالت: إشتكت فاطمة شكواها التي قبضت فيه فكنت امرّضها، فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيته في شكواها ذلك، قالت: وخرج عليّ لبعض حاجته، فقالت: يا أمّاه أسكبي لي غسلاً، فاغتسلت كأحسن ما رأيته تغتسل، ثم قالت: يا أمّاه اعطيني ثيابي الجدد فأعطيتها فلبست، ثم قالت: يا أمّاه قدّمي لي فراشي وسط البيت ففعلت، واضطجعت واستقبلت القبلة وجعلت يدها تحت خدّها، ثم قالت: يا أمّاه أنّي مقبوضة الآن وقد تطهرت فلا يكشفني أحد، فقبضت مكانها، قالت: فجاء عليّ فأخبرته^(٢).

وإفريقيهما من طرق الشيعة والسنة على نقله مع كون الحكم على خلافه عجيب، فإنّ الفقهاء من الطرفين لا يجيزون الدفن إلّا بعد الغسل إلّا في مواضع ليس هذا منه، فكيف روي هذا الحديث ولم يعلّله، ولا ذكره فقهه، ولا تنبّه على الجواز ولا المنع، ولعلّ هذا أمر يخصّها (عليها السّلام)، وإنّما استدللّ الفقهاء على أنّه يجوز للرجل أن يغسل زوجته بأنّ عليّاً (عليه السّلام) غسّل فاطمة،

(١) البحار ٤٣: ١٨٧ ح ١٨، عن كشف الغمة ٢: ١٢٤.

(٢) البحار ٤٣: ١٨٨ ح ١٨، عن كشف الغمة ٢: ١٢٤، عن مسند أحمد ٦: ٤٦١ و ٤٦٢.

وهو المشهور^(١).

وأما ما ذكر من ترك غسلها فالأولى أن يؤوّل بما ذكرنا سابقاً من عدم كشف بدنّها للتنظيف، فلا ينافي الأخبار الكثيرة الدالة على أنّ عليّاً غسلها، ويؤيد ما ذكرنا من التأويل ما مرّ في رواية ورقة، فلا تغفل، إنتهى^(٢).

ومثل احتمال الاختصاص هنا بالنسبة إلى الغسل على وجه احتماله بالنسبة إلى تكفينها (عليها السلام) في سبعة أثواب على ما مرّ في بعض الروايات السابقة، ثمّ في خبر رؤيا فاطمة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) المروي عن أبي بصير عن الصادق (عليه السلام) أنّها إذا توقّيت لا أعلم أمير المؤمنين (عليه السلام) أحداً إلّا أمّ سلمة زوجة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وأمّ أيمن، وفضة، ومن الرجال ابنها، وعبد الله بن عباس، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، والمقداد، وأبو ذر، فصلّى عليّ (عليه السلام) عليها معهم^(٣).

وروي في الخصال عن عليّ (عليه السلام) قال: خلقت الأرض لسبعة، بهم يرزقون وبهم يمحطون وبهم ينصرون: أبو ذر، وسلمان، والمقداد، وعمار، وحذيفة، وعبد الله بن مسعود، قال عليّ (عليه السلام): وأنا امامهم وهم الذين شهدوا الصلاة على فاطمة (عليها السلام)، إنتهى^(٤).

وفي بعض الروايات أنّ العباس أيضاً كان معهم ومن المصلّين، وفي بعضها أنّ العباس صلّى عليها، والظاهر المتابعة لا الإمامة.

ثمّ قد مرّ في الروايات السابقة أنّه قد عمل لها (عليها السلام) نعش لستر الجنازة صوّرته لها الملائكة أو أشارت إلى كيفيّته أسماء بنت عميس، وأنّها رآته

(١) راجع البحار ٤٣: ١٨٨، عن كشف الغمّة ٢: ١٢٥.

(٢) البحار ٤٣: ١٨٨.

(٣) دلائل الإمامة: ١٣٣ ح ٤٢، عنه البحار ٤٣: ٢٠٨ ح ٣٦.

(٤) الخصال: ٣٦٠ ح ٥٠ باب ٧، عنه البحار ٤٢: ٢١٠ ح ٣٩، وفي إختيار معرفة الرجال ١: ٣٢ ح ١٣.

في بلاد الحبشة يعملون لجنازة الموتى، فيسترها فلا يعلم الرجل من المرأة، وأنه أول نعش عمل في الإسلام.

وقد ورد أيضاً عن أبي عبد الرحمن الحذاء، عن الصادق (عليه السلام) قال: أول نعش أحدث في الإسلام نعش فاطمة، أنها اشتكت شكوتها التي قبضت فيها وقالت لأسماء: إني نحلت وذهب لحمي ألا تجعلين لي شيئاً يسترني، قالت أسماء: إذ كنت بأرض الحبشة رأيته يصنعون شيئاً، أفلا أصنع لك فإن أعجبك أصنع لك؟ قالت: نعم، فدعت بسرير فأكبته لوجهه ثم دعت بجرائد فشددته على قوائمه، ثم جللته ثوباً فقالت: هذا رأيته يصنعون، فقالت: إصنعي لي مثله، استريني سترك الله من النار^(١). وقد مرّ أخبار متعلّقة بهذا المعنى.

ثم في بعض كتب المناقب القديمة أنه اختلفت الروايات في وقت وفاتها، ففي رواية أنها بقيت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) شهرين، وفي رواية ثلاثة أشهر، وفي رواية مائة يوم، وفي رواية ثمانية أشهر^(٢). وذكر وهب بن منبه عن ابن عباس أنها بقيت أربعين يوماً بعده، وفي رواية ستة أشهر^(٣).

وعن المناقب: أنها عاشت بعد النبي (صلى الله عليه وآله) إثنين وسبعين يوماً، ويقال: خمسة وسبعين يوماً، وقيل: أربعة أشهر، وقيل: أربعون وهو أصح^(٤). وفي الكشف عن كتاب الذرية الطاهرة للدولابي: أنها لبثت بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ثلاثة أشهر، وقال ابن شهاب: ستة أشهر، ومثله الزهري، وعن عائشة وعروة بن الزبير أيضاً^(٥).

(١) التهذيب ١: ٤٦٩ ح ١٨٥، عنه البحار ٤٣: ٢١٢ ح ٤٣، والعوالم ١١: ١١٠٢ ح ٣٥.

(٢) البحار ٤٣: ٢١٣ ح ٤٤.

(٣) البحار ٤٣: ٢١٤.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٥٧، عنه البحار ٤٣: ١٨٠ ح ١٦.

(٥) كشف الغمّة ٢: ١٢٥، عنه البحار ٤٣: ١٨٨ ح ١٩، وفي الذرية الطاهرة: ١٥١.

وفي بعض الأخبار عن الباقر (عليه السلام): أنها عاشت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ستة أشهر ما رأيت ضاحكة^(١).

وفي خبر آخر عنه (عليه السلام): خمساً وتسعين ليلة^(٢).
وقال ابن قتيبة في معارفه: مائة يوم^(٣).

وفي الرواية الصحيحة عن هشام بن سالم، عن الصادق (عليه السلام): أنها عاشت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) خمسة وسبعين يوماً لم تركاشرة ولا ضاحكة، تأتي قبور الشهداء في كل جمعة مرتين الإثنين والخميس، فتبكي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتصلّي هناك وتدعو حتى ماتت^(٤)، إلى غير ذلك. قال الفاضل المجلسي (رحمه الله): قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين: كانت وفاة فاطمة (عليها السلام) بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) بمدة يختلف في مبلغها، فالمكثّر يقول ثمانية أشهر والمقلّل يقول أربعين يوماً، إلا أن الثبت في ذلك ما روي عن أبي جعفر محمد بن عليّ (عليه السلام) أنها توفيت بعده بثلاثة أشهر، وكان ذلك في سنة عشرة من الهجرة بناء على ما في بعض الأخبار عن الباقر (عليه السلام)^(٥).

وفي بعضها سنة إحدى عشرة في ليلة الثلاثاء لثلاث ليال مضين من جمادي الآخرة أو من شهر رمضان، أو لثلاث عشرة ليلة من شهر ربيع الآخر، أو اليوم الحادي والعشرين من رجب ما بين المغرب والعشاء، أو بعد موهن من الليل، وما بين المغرب والعشاء هو المروي في مصباح الأنوار^(٦) وفي جملة أخرى من الأخبار.

(١) مصباح الأنوار: ٢٥٧، عنه البحار ٤٣: ٢٠٠ ح ٣٠، والعوالم ١١: ٧٨٧ ح ١٤.

(٢) كشف الغمة ٢: ١٢٥، عنه البحار ٤٣: ١٨٩ ح ١٩، وفي كفاية الأثر: ٦٥.

(٣) المعارف: ١٤٣ أولاد النبي (صلى الله عليه وآله)، عنه كشف الغمة ٢: ١٢٥، عنه البحار ٤٣: ١٨٩ ح ١٩.

(٤) الكافي ٤: ٥٦١ ح ٤، عنه البحار ٤٣: ١٩٥ ح ٢٤، والعوالم ١١: ٧٨٩ ح ٢٣.

(٥) البحار ٤٣: ٢١٥ ح ٤٥، عن مقاتل الطالبين: ٥٩، في ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام).

(٦) مصباح الأنوار: ٢٥٨.

أو بعد الظهرين وقت العصر ولها (عليها السّلام) حينئذٍ من العمر ثماني عشر سنة وسبعة أشهر يوم قبض النبي (صلى الله عليه وآله) وإثنان وسبعون يوماً بعده، أو هي مطلقاً بنت ثماني عشر سنة وشهرين كما عن عيون المعجزات للمرتضى (رحمه الله)، أو غير ذلك مما يبنى على ثماني عشرة كما هو المشهور مع زيادة شيء في الأيّام أو الشهور عليها أو نقيصته.

ونقل عن معارف ابن قتيبة فول بأنها (عليها السّلام) كانت حين وفاتها بنت تسع وعشرين سنة.

وعن أبي منصور الديلمي أنّ عبد الله بن الحسن دخل على هشام بن عبد الملك وعنده الكلبي، فقال هشام لعبد الله بن الحسن: يا أبا محمد كم بلغت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) من السن؟ فقال: بلغت ثلاثين، فقال الكلبي: ما تقول؟ قال: بلغت خمساً وثلاثين، فقال هشام لعبد الله: ألا تسمع ما يقول الكلبي؟ فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين سلمي عن أمي فأنا أعلم بها، وسل الكلبي عن أمّه فهو أعلم بها^(١).

وقال محمد بن إسحاق: توفيت ولها ثمان وعشرون سنة، وقيل: سبع وعشرون، وقيل: ثلاث وعشرون، والأكثر على أنّها كانت بنت تسع وعشرين أو ثلاثين، إنتهى^(٢).

قال المجلسي (رحمه الله): أقول: لا يمكن التطبيق بين أكثر تواريخ الولادة والوفاة ومدّة عمرها الشريف، ولا بين تواريخ الوفاة وبين ما مرّ في الخبر الصحيح أنّها عاشت بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً، إذ لو كان وفاة الرسول في الثامن والعشرين من صفر كان على هذا وفاتها في أواسط جمادي الأولى، ولو كان في ثاني عشر ربيع الأوّل - كما ترويه العامة - كان وفاتها في آخر جمادي الأولى، ومارواه أبو الفرج عن الباقر (عليه السّلام) من كون مكثها بعده ثلاثة

(١) البحار ٤٣: ٢١٣ ح ٤٤.

(٢) البحار ٤٣: ٢١٤ ح ٤٤.

أشهر يمكن تطبيقه على ما هو المشهور من كون وفاتها في ثالث جمادي الآخرة... الخ^(١).

ومحل دفنها أيضاً مختلف فيه كما ظهر من الروايات السابقة. وفي عيون المعجزات للمرتضى (رحمه الله) أن علياً (عليه السلام) دفنها ليلاً بالبقيع وجدّد أربعين قبراً ليستشكل قبرها^(٢)، وفي بعض الأخبار سبعة قبور بدل أربعين^(٣).

وقال في المناقب: مشهدها بالبقيع، وقالوا: أنها دفنت في بيتها، وقالوا: قبرها بين قبر رسول الله ومنبره^(٤).

وقال الفاضل المجلسي (رحمه الله): الظاهر والمشهور ممّا نقله الناس وأرباب التواريخ والسير أنها (عليها السلام) دفنت بالبقيع^(٥)، قال: وقد بيّنا في كتاب المزار أن الأصح أنها مدفونة في بيتها^(٦).

وقال أبو جعفر الطوسي (رحمه الله): الأصوب أنها مدفونة في دارها أو في الروضة، قيل: ويؤيد قوله قول النبي (صلى الله عليه وآله): بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، وفي صحيح البخاري: بين بيتي ومنبري... الخ.

وقالوا: حدّ الروضة ما بين القبر إلى المنبر إلى الأساطين التي تلي صحن المسجد، وعن محمد بن أبي نصر قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن قبر فاطمة، قال: دفنت في بيتها، فلما زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد^(٧).

(١) البحار ٤٣: ٢١٥.

(٢) راجع البحار ٤٣: ٢١٢ ح ٤١.

(٣) البحار ٤٣: ١٩٣ ضمن حديث ٢٠.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٥٧، عنه البحار ٤٣: ١٨٠ ح ١٦.

(٥) البحار ٤٣: ١٨٧.

(٦) البحار ٤٣: ١٨٨.

(٧) راجع المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٤٦٥، عنه البحار ٤٣: ١٨٥ ح ١٧.

وقال ابن بابويه بعد ذكر خبر فيه دفنها (عليها السلام) بالبقيع: جاء هذا الخبر كذا، والصحيح عندي أنها دفنت في بيتها، فلما زاد بنو أمية صارت في المسجد^(١)، إلى غير ذلك.

ولما ماتت فاطمة (عليها السلام) أنشد عليّ (عليه السلام) بعد وفاتها، قبل دفنها أو بعده أبياتاً في مرثيتها اظهاراً للحزن على فراقها، منها الأبيات المنسوبة إليه في الديوان المنسوب إليه:

وإنّي وهذا الموت ليس يحول
فلي أمل من دون ذاك طويل
وإنّ نفوساً بينهنّ تسيل
لكلّ امرء منها إليه سبيل
وكلّ عزيز ما هناك ذليل
وصاحبها حتى الممات عليل
فهل لي إلى من قد هويت سبيل
وقد مات قبلي بالفراق جميل
أضرب به يوم الفراق رحيل
وكلّ الذي دون الفراق قليل
دليل على أن لا يدوم خليل
لعمرك شيء ما إليه سبيل
ويظهر بعدي للخليل عديل
إذا غبت يرضاه سوى بديل
ويحفظ سرّي قلبه ودخيل
فإنّ بكاء الباقيات قليل
وليس إلى ما يبتغيه سبيل

ألا هل إلى طول الحياة سبيل
وإنّي وإن أصبحت بالموت موقناً
وللدهر ألوان تروح وتغتدي
ومنزّل حقّ لا معرّج دونه
قطعت بأيّام التعرّز ذكره
أرى علل الدنيا عليّ كثيرة
وإنّي لمشتاق إلى من أحبّه
وإنّي وإن شطّ بي الدار نازحاً
فقد قال بالأمثال في البين قائل
لكلّ اجتماع من خليلين فرقة
وإنّ افتقادي فاطماً بعد أحمد
وكيف هناك العيش من بعد فقدهم
سيعرض عن ذكرّي وتنسى مودّتي
وليس خليلي بالملول ولا الذي
ولكن خليلي من يدوم وصاله
إذا انقطعت يوماً من العيش مدّتي
يريد الفتى أن لا يموت حبيبه

(١) معاني الأخبار: ٢٦٨، عنه البحار ١٠٠: ١٩٢.

وليس جليلاً رزء مال وفقده ولكن رزء الأكرمين جليل
لذلك جنبي لا يؤاتيه مضجع وفي القلب من حرّ الفراق غليل^(١)
وقد ذكر بعض أبياتها في بعض الأخبار متفرقة، وذكر الحاكم: إن فاطمة
(عليها السلام) لما ماتت أنشأ عليّ (عليه السلام):

نفسى على زفراتها محبوسة ياليتها خرجت مع الزفرات
لا خير بعدك في الحياة وإنما أبكي مخافة أن تطول حياتي^(٢)
وفي بعض الأخبار أنه (عليه السلام) أنشأ عند رحلتها:

حبيب ليس يعدله حبيب وما لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن عيني وجسمي وعن قلبي حبيبي لا يغيب^(٣)
وقال (عليه السلام) أيضاً مخاطباً لها بعد وفاتها:

مالي وقفت على القبور مسلماً قبر الحبيب فلم يردّ جوابي
أحبيب مالك لا تردّ جوابنا أنسيت بعدي خلّة الأحباب^(٤)
وقال (عليه السلام) أيضاً مجيباً لنفسه من قبلها (عليها السلام):

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسني فنسيتكم وحجت عن أهلي وعن أترابي
فعليكم منّي السلام تقطعت عنّي وعنكم خلّة الأحباب

وفي شرح الديوان: روي أنّ الأبيات الأخيرة سمعت من هاتف^(٥).
وأما وصاياها (عليها السلام) فقد مرّ بعضها في ضمن الأخبار السابقة، وفي
مصباح الأنوار عن الباقر (عليه السلام): إنّ فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله)

(١) البحار ٤٣: ٢١٦ ح ٤٨، والعوالم ١١: ١١٢٦ ج ٣.

(٢) البحار ٤٣: ٢١٣ ح ٤٤، والعوالم ١١: ١١٢٥ ح ٢.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) البحار ٤٣: ٢١٧، والعوالم ١١: ١١٢٧.

(٥) المصدر نفسه.

مكثت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ستين يوماً، ثم مرضت فاشتدت عليها، فكان من دعائها في شكواها: «يا حيّ يا قيوم برحمتك استغيث فأغثني، اللهم زحزحني عن النار، وأدخلني الجنة، وألحقني بأبي محمد».

فكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول لها: يعافيك الله ويبقيك، فتقول: يا أبا الحسن ما أسرع اللحاق بالله، وأوصت بصدقها ومتاع البيت، وأوصته أن يتزوج إمامة بنت أبي العاص، وقالت: بنت اختي وتحنّ على ولدي، قال: ودفنها ليلاً^(١). وعن الصادق (عليه السلام) قال: لما حضرت فاطمة (عليها السلام) الوفاة بكيت، فقال لها أمير المؤمنين (عليه السلام): يا سيدتي ما يبكيك؟ قالت: أبكي لما تلقى بعدي، فقال لها: لا تبكي فوالله إن ذلك لصغير عندي في ذات الله، قال: وأوصته أن لا يؤذن بها الشيخين ففعل^(٢).

وفي كتاب الدلائل للطبري عن الصادق (عليه السلام): إن فاطمة أوصت لأزواج النبي كلّ واحدة منهنّ بأثنتي عشرة أوقية، ولنساء بني هاشم مثل ذلك، وأوصت لإمامة بنت أبي العاص بشيء^(٣).

وباسناد آخر عن عبدالله بن الحسن، عن زيد بن عليّ: إن فاطمة تصدّقت بمالها على بني هاشم وبني عبدالمطلب، وإنّ عليّاً (عليه السلام) تصدّق عليهم وأدخل معهم غيرهم^(٤).



(١) مصباح الأنوار: ٢٥٩، عنه البحار ٤٣: ٢١٧ ح ٤٩.

(٢) مصباح الأنوار: ٢٦٢، عنه البحار ٤٣: ٢١٨ ح ٤٩.

(٣) دلائل الإمامة: ١٣٠ ح ٤٠، عنه البحار ٤٣: ٢١٨ ح ٥٠.

(٤) دلائل الإمامة: ١٣٠ ح ٤١، عنه البحار ٤٣: ٢١٨ ح ٥٠، وفي سنن البيهقي ٦: ١٦١ كتاب الوقف.

خاتمة

«في تظلمها يوم القيامة وكيفيّة مجيئها إلى المحشر»

روى الصدوق في الأمالي عن الباقر (عليه السّلام) قال: سمعت جابر بن عبدالله الأنصاري يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة على ناقة من نوق الجنة مدبجة^(١) الجنين، خطامها من لؤلؤ رطب، قوائمها من الزمرد الأخضر، ذنبها من المسك الأذفر، عيناها ياقوتتان حمراوان، عليها قبة من نور يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، داخلها عفو الله وخارجها رحمة الله، على رأسها تاج من نور، للتاج سبعون ركناً، كلّ ركن مرصّع بالدر والياقوت، يضيء كما يضيء الكوكب الدري في أفق السماء، وعن يمينها سبعون ألف ملك وعن شمالها سبعون ألف ملك، وجبرئيل أخذ بخطام الناقة ينادي بأعلى صوته: غَضُوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَجُوزَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله)، فلا يبقى يومئذ نبي ولا رسول ولا صديق ولا شهيد إلا غَضُوا أَبْصَارَهُمْ حَتَّى تَجُوزَ فَاطِمَةُ.

فتسير حتى تحاذي عرش ربّها جل جلاله، فتزخ^(٢) بنفسها عن ناقتها وتقول: إلهي وسيدي أحكم بيني وبين من ظلمني، اللهم احكم بيني وبين من قتل ولدي، فإذا النداء من قبل الله جلّ جلاله: يا حبيبتي وابنة حبيبي سليني تعطي واشفعي تشفّعي، فوعزّتي وجلالي لا جازني ظلم ظالم.

فتقول: إلهي وسيدي ذرّيتي وشيعتي، وشعة ذريتي، ومحبي ذريتي، فإذا النداء من قبل الله جلّ جلاله: اين ذرّية فاطمة وشيعتها ومحبا ذريتها؟ فيقبلون وقد أحاط بهم ملائكة الرحمة، فتقدمهم فاطمة (عليها السّلام) حتى تدخلهم الجنة^(٣).

(١) المديح: المزين.

(٢) زخّه: دفعه في وهدة، وفي البحار: فتزخ، وفي المصدر: فتزجّ.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٥ ح ٤، مجلس ٥، عنه البحار ٤٢: ٢١٩ ح ٨، والعوالم ١١: ١١٨٠ ح ٥، وفي ←

وفي العيون عن الرضا (عليه السلام) عن آبائه أنه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء تتعلق بقائمة من قوائم العرش تقول: يا حكم احكم بيني وبين قاتلي ولدي، قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ويحكم لابنتي ورب الكعبة^(١).

وفيه أيضاً عن الرضا (عليه السلام) مثله، وفي آخره: ويحكم لابنتي ورب الكعبة، وإن الله عز وجل ليغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها^(٢).

وفيه أيضاً أنه إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا معشر الخلائق - أو يا أهل الجمع - غصوا أبصاركم تمر فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فتمر عليها ريطنان حمراوان^(٣).

وفيه عن الرضا (عليه السلام) أنه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): تحشر ابنتي فاطمة وعليها حلة الكرامة قد عجت بماء الحيوان، فينظر إليها الخلائق فيتعجبون منها، ثم تكسى أيضاً من حلل الجنة ألف حلة مكتوب على كل حلة بخط أخضر: أدخلوا بنت محمد الجنة على أحسن الصورة وأحسن الكرامة وأحسن منظر، فتزف إلى الجنة كما تزف العروس، ويوكل بها سبعون ألف جارية^(٤).

➔ روضة الواعظين: ١٤٨، والفضائل لابن شاذان: ١١.

(١) عيون الأخبار ٢: ٨ ح ٢١ عنه البحار ٤٣: ٢٢٠ ح ٣، والعوالم ١١: ١١٧٣، وصحيفة الرضا (عليه السلام) ٨٩ ح ٢١، والمناقب لابن المغازلي: ٦٤ ح ٩١، والمقتل للخوارزمي: ٥٢، وفرائد السمطين ٢: ٢٦٥ ح ٥٣٣.

(٢) عيون الأخبار ٢: ٢٦ ح ٦، عنه البحار ٤٣: ٢٢٠ ح ٣، العوالم ١١: ١١٧٤.

(٣) عيون الأخبار ٢: ٣٢ ح ٥٥، وصحيفة الرضا (عليه السلام): ١٥٦ ح ١٠٢، البحار ٤٣: ٢٢٠ ح ٤، العوالم ١١: ١١٥٤.

(٤) عيون الأخبار ٢: ٢٩ ح ٣٨، صحيفة الرضا (عليه السلام): ١٢٢ ح ٧٩، البحار ٤٣: ٢٢١ ح ٦، العوالم ١١: ١١٥٤، وذخائر العقبى: ٤٨.

وروي في ثواب الأعمال عن الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا كان يوم القيامة نصب لفاطمة (عليها السلام) قبة من نور وأقبل الحسين رأسه في يده، فإذا رآته شهقت شهقة لا يبقى في الجمع ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا عبد مؤمن إلا بكى لها، فيمثل الله عز وجل رجلاً لها في أحسن صورة، وهو يخاصم قتلته بلا رأس، فيجمع الله قتلته والمجهزين عليه ومن شرك في قتله فيقتلهم حتى أتى على آخرهم، ثم ينشرون فيقتلهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم ينشرون فيقتلهم الحسن (عليه السلام)، ثم ينشرون فيقتلهم الحسين (عليه السلام)، ثم ينشرون فلا يبقى من ذريتنا أحد إلا قتلهم قتلة، فعند ذلك يكشف الله الغيظ وينسى الحزن.

ثم قال أبو عبدالله (عليه السلام): رحم الله شيعتنا، وشيعتنا والله هم المؤمنون، فقد والله شركونا في المصيبة بطول الحزن والحسرة^(١).

وفيه أيضاً عن شريك يرفعه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا كان يوم القيامة جاءت فاطمة في لمة من نسائها فيقال لها: ادخلي الجنة، فتقول: لا أدخل حتى أعلم ما صنع بولدي من بعدي، فيقال لها: أنظري في قلب القيامة، فتتظر إلى الحسين (عليه السلام) قائماً وليس عليه رأس، فتصرخ صرخة وأصرخ لصراخها وتصرخ الملائكة لصراخها.

فيفض الله عز وجل لنا عند ذلك فيأمر ناراً يقال لها: ههب، قد أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، لا يدخلها روح أبداً ولا يخرج منها غم أبداً فيقال لها: التقطي قتله الحسين وحملة القرآن فتلقطهم، فإذا صاروا في حوصلتها صهلت وسهلوا بها، شهقت وشهقوا بها، وزفرت وزفروا بها، فينطقون بالسنة ذلقة طليقة: يا ربنا بما أوجبت لنا النار قبل عبدة الأوثان؟ فيأتيهم الجواب عن الله عز وجل: إن من علم ليس كمن لا يعلم^(٢).

(١) ثواب الأعمال: ٢٥٧، عنه البحار ٤٣: ٢٢١ ح ٧، والعوالم ١١: ١١٨٢، وفي الإيقاظ من الهجمة: ٢٥٠ ح ٢٩.

(٢) ثواب الأعمال: ٢٥٨، عنه البحار ٤٣: ٢٢٢ ح ٨، والعوالم ١١: ١١٧٤، ونحوه مشير الأحرار: ٨١.

وفيه عن عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يمثّل لفاطمة رأس الحسين متشحّطاً بدمه، فتصيح يا ولداه واثمرة فؤاده، فتصعق الملائكة لصيحة فاطمة (عليها السّلام) وينادي أهل القيامة: قتل الله قاتل ولدك يا فاطمة، قال: فيقول الله عزّ وجلّ: ذلك أفعل به^(١) وبشييعته وأحبائه وأتباعه.

وإنّ فاطمة في ذلك اليوم على ناقة من نوق الجنة مدبّجة الجنين، واضحة الخدين، شهلاء العينين، رأسها من الذهب المصفى، وأعناقها من المسك والعنبر، خطامها من الزبرجد الأخضر، رحائلها درّ مفضّض بالجوهر، على الناقة هودج غشائها من نور الله، وحشوها من رحمة الله، خطامها فرسخ من فراسخ الدنيا، يحفّ يهودجها سبعون ألف ملك بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والثناء على ربّ العالمين، ثم ينادي مناد من بطنان العرش: يا أهل القيامة غضّوا أبصاركم فهذه فاطمة بنت محمد رسول الله تمرّ على الصراط، فتمرّ فاطمة (عليها السّلام) وشييعتها على الصراط كالبرق الخاطف، قال النبي (صلى الله عليه وآله): ويلقي أعداءها وأعداء ذريّتها في جهنّم^(٢).

وفي المناقب بطرق مختلفة عامية عن أبي هريرة وغيره عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: إذا كان يوم القيامة ووقف الخلائق بين يدي الله تعالى نادى مناد من وراء الحجاب: أيّها الناس غضّوا أبصاركم ونكّسوا رؤوسكم فإنّ فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله) تجوز على الصراط، وفي حديث أبي أيّوب: فيمرّ معها سبعون جارية من الحور العين كالبرق اللامع^(٣).

(١) قال في البحار: ذلك أفعل به أي بالحسين (عليه السّلام)، أي أقتل قاتليه وقاتلي شييعته وأحبائه، ويحتمل إرجاع الضمائر جميعاً إلى القاتل.

(٢) ثواب الأعمال: ٢٦٠، عنه البحار ٤٣: ٢٢٢ ح ٩، والموالم ١١: ١١٧٨.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣٢٦، عنه البحار ٤٣: ٢٢٣ ح ١٠، والموالم ١١: ١١٤٩، وفي كنز العمال

وفي مجالس المفيد عن أبان بن عثمان، عن الصادق (عليه السلام) قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فينادي مناد: غَضُوا أَبْصَارَكُمْ وَنَكَّسُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى تَجُوزَ فَاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الصَّرَاطَ، قَالَ: فَتَغْضُ الْخَلَائِقُ أَبْصَارَهُمْ، فَتَأْتِي فَاطِمَةُ عَلَى نَجِيبٍ مِنْ نَجَبِ الْجَنَّةِ يَشِيعُهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ، فَتَقِفُ مَوْقِفًا شَرِيفًا مِنْ مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ تَنْزِلُ عَنْ نَجِيبِهَا فَتَأْخُذُ قَمِيصَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِيَدِهَا مُضْمَخًا^(١) بِدَمِهِ وَتَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا قَمِيصٌ وَلَدِي وَقَدْ عَلِمْتَ مَا صَنَعْتُ بِهِ.

فِيَأْتِيهَا النَّدَاءُ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: يَا فَاطِمَةُ لَكَ عِنْدِي الرِّضَا، فَتَقُولُ: يَا رَبِّ انْتَصِرْ لِي مِنْ قَاتِلِهِ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ عِنْقًا مِنَ النَّارِ فَتَخْرُجُ مِنْ جَهَنَّمَ فَتَلْتَقِطُ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَمَا يَلْتَقِطُ الطَّيْرُ الْحَبَّ، ثُمَّ يَعُودُ الْعِنَقُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ فَيُعَذِّبُونَ فِيهَا بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، ثُمَّ تَرْكَبُ فَاطِمَةُ (عَلَيْهَا السَّلَامُ) نَجِيبَهَا حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَمَعَهَا الْمَلَائِكَةُ الْمَشِيعُونَ لَهَا وَذُرِّيَّتُهَا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَأَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ النَّاسِ عَنْ يَمِينِهَا وَشِمَالِهَا^(٢).

وفي تفسير فرات بن إبراهيم عن ابن عباس: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا معشر الخلائق غَضُوا أَبْصَارَكُمْ حَتَّى تَمُرَّ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فَتَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَكْسَى، وَيَسْتَقْبِلُهَا مِنَ الْفَرْدُوسِ اثْنَتَا عَشَرَ أَلْفَ حُورَاءٍ لَمْ يَسْتَقْبِلُوا أَحَدًا قَبْلَهَا وَلَا أَحَدًا بَعْدَهَا عَلَى نَجَائِبٍ مِنْ يَاقُوتٍ، أَجْنَحَتْهَا وَأُزْمَتَتْهَا اللَّوْلُؤُ عَلَيْهِا رِحَائِلُ مِنْ دَرٍّ، عَلَى كُلِّ رِحَالَةٍ مِنْهَا سَمْرَقَةٌ مِنْ سُنْدُسٍ وَرِكَائِبُهَا زَبْرَجْدٌ، فَيَجُوزُونَ بِهَا الصَّرَاطَ حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى الْفَرْدُوسِ، فَتَبَاشِرُ بِهَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَفِي بَطْنَانِ الْفَرْدُوسِ قُصُورٌ بَيْضٌ وَقُصُورٌ صَفَرٌ مِنْ لَوْلُؤَةٍ مِنْ غَرَزٍ وَاحِدٍ. وَإِنَّ فِي الْقُصُورِ الْبَيْضِ لِسَبْعِينَ أَلْفَ دَارٍ مَنَازِلَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَإِنَّ فِي الْقُصُورِ

(١) أي ملطخاً.

(٢) أمالي المفيد: ٨٤ مجلس ١٥، عنه البحار ٤٣: ٢٢٤ ح ١١، والعيون ١١: ١١٧٣.

الصفير ألف دار مساكن إبراهيم وآله، فتجلس على كرسي من نور ويجلسون حولها، ويبحث إليها ملك لم يبحث إلى أحد قبلها، ولا يبحث إلى أحد بعدها فيقول: إن ربك يقرئك السلام ويقول: سليني أعطك، فتقول: قد أتم علي نعمته، وهتاني كرامته، وأباحني جنته، أسأله ولدي وذريتي ومن ودّهم [بعدي وحفظهم من بعدي، فيوحى الله إلى الملك من غير أن يزول من مكانه: إن سرّها وبشرها أنّي قد شفّعها] في ولدها ومن ودّهم بعدها وحفظهم فيها، فتقول: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وأقر عيني.

ونقل أنّه كان ابن عباس إذا ذكر هذا الحديث تلا هذه الآية: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾^(١).

وفيه أيضاً معنعناً عن ابن عباس قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم على فاطمة وهي حزينة فقال لها: ما حزنك يا بنية؟ قالت: يا أبة ذكرت المحشر ووقوف الناس عراة يوم القيامة، قال: يا بنية أنّه ليوم عظيم، ولكن قد أخبرني جبرئيل عن الله تعالى أنّه قال: أوّل من تشقّ عنه الأرض يوم القيامة أنا، ثمّ أبي إبراهيم، ثم بعلك عليّ بن أبي طالب.

ثم يبحث الله إليك جبرئيل في سبعين ألف ملك، فيضرب على قبرك سبع قباب من نور، ثم يأتيك إسرافيل بثلاث حلل من نور فيقف عند رأسك، فيناديك: يا فاطمة بنت محمد قومي إلى محشر، فتقومين آمنة روعتك، مستورة عورتك، فيناولك إسرافيل الحلل فتلبسها، ويأتيك زوقائيل بنجبية من نور زمامها من لؤلؤ رطب عليها محفة من ذهب فتركبها، ويقود زوقائيل بزمامها وبين يديك سبعون ألف ملك بأيديهم ألوية التسييح.

فإذا جدّ بك السير استقبلتك سبعون ألف حوراء يستبشرون بالنظر إليك، بيد

(١) تفسير فرات: ٤٤٣ ح ٥٨٥، عنه البحار ٤٣: ٢٢٤ ح ١٢، والعوالم ١١: ١١٥١، والآية في سورة

كلّ واحدة منهم مجرّة من نور يسطع منها ريح العود من غير نار، وعليهنّ أكاليل الجواهر مرصّعة بالزبرجد الأخضر فيسرن عن يمينك، فإذا سرت مثل الذي سرت من قبرك إلى أن لقينك استقبلتك مريم بنت عمران في مثل من معك من الحور، فتسلّم عليك وتسير هي ومن معها عن يسارك، ثم تستقبلك أمك خديجة بنت خويلد أوّل المؤمنات بالله ورسوله، ومعها سبعون ألف ملك بأيديهم ألوية التكبير، فإذا قربت من الجمع استقبلتك حواء في سبعين ألف حوراء ومعها آسية بنت مزاحم، فتسير هي ومن معها معك.

فإذا توسّطت الجمع وذلك أنّ الله يجمع الخلائق في صعيد واحد فيستوي بهم الأقدام، ثم ينادي مناد من تحت العرش يسمع الخلائق: غَضُّوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة الصديقة بنت محمد ومن معها، فلا ينظر إليك يومئذٍ إلا إبراهيم خليل الرحمن وعليّ بن أبي طالب.

ويطلب آدم حواء فيراها مع أمك خديجة أمامك، ثم ينصب لك منبر من النور فيه سبع مراق، بين المرقاة إلى المرقاة صفوف الملائكة بأيديهم ألوية النور، ويصطفّ الحور العين عن يمين المنبر وعن يساره، وأقرب النساء معك عن يسارك حواء وآسية.

فإذا صرت في أعلى المنبر أتاك جبرئيل فيقول لك: يا فاطمة سلي حاجتك، فتقولين: يا ربّ أرني الحسن والحسين، فيأتيانك وأوداج الحسين (عليه السّلام) تشخب دماً وهو يقول: يا ربّ خذ لي اليوم حقّي ممّن ظلمني.

فيغضب عند ذلك الجليل، وتغضب لغضبه جهنّم والملائكة أجمعون، فتزفر جهنّم عند ذلك زفرة، ثم يخرج فوج من النار ويلتقط قتلة الحسين (عليه السّلام) وأبناءهم وأبناء آبائهم، ويقولون: يا ربّ إنّنا لم نحضر الحسين، فيقول الله لزبانية جهنّم: خذوهم بسيماهم بزرقة الأعين وسواد الوجه، خذوا بنواصيهم فألقوهم في الدرك الأسفل من النار، فإنّهم كانوا أشد على أولياء الحسين (عليه السّلام) من آبائهم الذين حاربوا الحسين فقتلوه.

ثم يقول جبرئيل: يا فاطمة سلي حاجتك، فتقولين: يا ربّ شيعتي، فيقول الله:

قد غفرت لهم، فتقولين: يا ربّ شيعة ولدي، فيقول الله: قد غفرت لهم، فتقولين: يا ربّ شيعة شيعتي، فيقول الله: انطلقني فمن اعتصم بك فهو معك في الجنة، فعند ذلك يودّ الخلائق أنّهم كانوا فاطميين، فتسيرين ومعك شيعتك وشيعة ولدك وشيعة أمير المؤمنين (عليه السلام)، آمنة روعاتهم، مستورة عوراتهم، قد ذهبت عنهم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، يخاف الناس وهم لا يخافون، ويظنّ الناس وهم لا يظنّون فإذا بلغت باب الجنة تلقّتك اثنتي عشر ألف حوراء لم يلتقين أحداً قبلك ولا يلتقين أحداً كان بعدك، بأيديهم حراب من نور على نجائب من نور، رحائلها من الذهب الأصفر والياقوت الأحمر، أزمتها من لؤلؤ رطب، على كلّ نجيب نمرقة من سندس منضود، فإذا دخلت الجنة تباشر بك أهلها، ووضع لشيعتك موائد من جوهر على أعمدة من نور، فيأكلون منها والناس في الحساب وهم فيما اشتهدت أنفسهم خالدون.

وإذا استقرّ أولياء الله في الجنة زارك آدم ومن دونه من النبيين، وأنّ في بطنان الفردوس لؤلؤتان من عرق واحد، لؤلؤة بيضاء ولؤلؤة صفراء، فيهما قصور ودور، في كلّ واحدة سبعون ألف دار، فالبيضاء منازل لنا ولشيعتنا، والصفراء منازل لإبراهيم وآل إبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين.

قالت: يا أبة فما كنت أحبّ أن أرى يومك ولا أبقى بعدك، قال: يا بنتي لقد أخبرني جبرئيل عن الله تعالى أنّك أوّل من تلحقني من أهل بيتي، فالويل كلّهُ لمن ظلمك، والفوز العظيم لمن نصرّك.

قال عطاء: وكان ابن عباس إذا ذكر هذا الحديث تلا هذه الآية: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريّتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كلّ امرء بما كسب رهين﴾ (١١) (٢).



(١) الطور: ٢١.

(٢) تفسير فرات: ٤٤٤ ح ٥٨٧، عنه البحار ٤٣: ٢٢٥ ح ١٣، والعوالم ١١: ١١٧٥.

تم الكتاب، وانتهى الخطاب بعون الله الملهم للصواب، اللهم اعطني كتابي بيمينني، والخلد في الجنان بيساري، وحاسبني حساباً يسيراً، واقلبني إلى أهلي مسروراً، ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، واغفر لنا كل ما قدمنا أو أخرنا، واجعلنا من شيعه محمد وآله الطيبين، وأدخلنا في زمرة من برحمتك يا أرحم الراحمين.

وقد تمّ ترصيف هذا المؤلف المنيف بيد مؤلفه الجاني محمد علي القرآجة داغي في غرة شهر ذي الحجة الحرام من شهور سنة (١٢٨٦) والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.



فهرس المصادر

- ١- إحقاق الحق وازهاق الباطل، السيد نور الله الحسيني المستري الشهيد، منشورات مكتبة آية الله المرعشي.
- ٢- الاختصاص، محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد، منشورات جماعة المدرسين.
- ٣- إختيار معرفة الرجال، أبو جعفر الطوسي، نشر مؤسسة آل البيت (عليهم السّلام).
- ٤- الأربعون حديثاً، الشيخ البهائي، الطبعة الأولى عام ١٤١٥، مؤسسة النشر الإسلامي.
- ٥- الإرشاد، محمد بن محمد بن النعمان المفيد، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٩، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- ٦- إرشاد القلوب، الحسن بن محمد الديلمي، منشورات الشريف الرضي.
- ٧- إسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار)، محمد بن علي الصبان، دار الكتب العلمية.
- ٨- أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، نشر مكتب الاعلام الإسلامي.
- ٩- الاستبصار، محمد بن الحسن الطوسي، دار الكتب الإسلامية.
- ١٠- الإستغاثة، علي بن أحمد الكوفي.
- ١١- الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، مطبوع بهامش الإصابة، دار إحياء التراث العربي.
- ١٢- أسرار الشهادة، الفاضل الدر بندي، منشورات الأعلمي طهران.
- ١٣- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، طبع عام ١٣٢٨، دار إحياء التراث العربي.
- ١٤- الإعتقادات في دين الإمامية، محمد بن علي بن بابويه، طبع عام ١٤١٢ في المطبعة العلمية بقم المقدسة.
- ١٥- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، الطبعة الخامسة عام ١٤٠٤ هـ، مؤسسة الرسالة.
- ١٦- الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة في السنة، علي بن موسى بن طاووس، الطبعة الأولى عام ١٤١٤، مكتب الاعلام الإسلامي

- ١٧- الأمالي، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، الطبعة الأولى عام ١٤١٤ هـ، مؤسسة البعثة.
- ١٨- الأمالي، محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد)، منشورات جماعة المدرسين.
- ١٩- الإمام زين العابدين (عليه السلام)، عبد الرزاق المقرّم، دار الشبستري للطبوعات.
- ٢٠- الأمثال والحكم، محمد بن أبي بكر الرازي، طبع عام ١٤٠٨ هـ، المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق.
- ٢١- الأنوار النعمانية، السيد نعمة الله الجزائري، مطبعة (شركت چاپ).
- ٢٢- الإيقاظ من الهجعة، الحر العاملي، إنتشارات نويد.
- ٢٣- الباقيات الصالحات، الفاضل عبد الباقي الأفندي، المطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف عام ١٣٤٧ هـ.
- ٢٤- بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٣، دار إحياء التراث العربي.
- ٢٥- البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، مؤسسة اسماعيليان.
- ٢٦- بشارة المصطفى لشيعّة المرتضى، أبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري، منشورات المكتبة الحيدرية.
- ٢٧- بصائر الدرجات محمد بن الحسن بن فروخ، طبع عام ١٤٠٤، مؤسسة الأعلمي.
- ٢٨- بلاغات النساء، أحمد بن طاهر المعروف بابن طيفور، مكتبة بصيرتي.
- ٢٩- التحصين في صفات العارفين، أحمد بن محمد بن فهد الحلبي، طبع عام ١٤٠٦، مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام).
- ٣٠- تأويل الآيات الطاهرة في فضائل العترة الطاهرة، شرف الدين عليّ الإسترابادي، منشورات جماعة المدرسين.
- ٣١- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، الطبعة الثانية عام ١٤٠٨، دار الكتب العلمية.
- ٣٢- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العربي.
- ٣٣- تحفة الزائر للعلامة المجلسي (نسخة حجرية).
- ٣٤- تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، إصدار مكتبة نينوى.
- ٣٥- تذكرة الفقهاء، الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّي، الطبعة الأولى عام ١٤١٤، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام).
- ٣٦- ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، طبع عام ١٤٠٠، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر.
- ٣٧- التعليقات على شرح اللمعة الدمشقيّة، الآغا جمال الدين الخوانساري، إنتشارات

زاهدي.

٣٨- تفسير البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، الطبعة الأولى عام ١٤١٠، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٣٩- تفسير الصافي المولى محسن الفيض الكاشاني، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٤٠- تفسير العياشي، محمد بن مسعود بن عياش، المكتبة العلمية الإسلامية.

٤١- تفسير القرآن الكريم، صدر المتألهين الشيرازي، إنتشارات بيدار.

٤٢- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، الطبعة الرابعة عام ١٣٦٧ هـ، دار الكتاب.

٤٣- تفسير غريب القرآن الكريم، فخر الدين الطريحي، إنتشارات زاهدي.

٤٤- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، الطبعة الأولى عام ١٤١٠، مؤسسة الطبع والنشر لوزارة الثقافة والإرشاد.

٤٥- التفسير الكبير، الفخر الرازي.

٤٦- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، الطبعة الأولى عام ١٤١١، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

٤٧- التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام) طبع عام ١٤٠٩، مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه.

٤٨- تلخيص التمهيد، محمد هادي معرفة، الطبعة الثالثة عام ١٤١٤، مؤسسة النشر الإسلامي.

٤٩- تلخيص الشافي، أبو جعفر الطوسي، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٤ هـ، دار الكتب الإسلامية.

٥٠- التمهيد محمد بن همام الإسكافي، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤، مدرسة الإمام المهدي

(عليه السلام).

٥١- تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ورام بن أبي فراس، مكتبة الفقيه.

٥٢- تنزيه الأنبياء، السيد المرتضى، منشورات الشريف الرضي.

٥٣- التوحيد، محمد بن علي بن بابويه، منشورات جماعة المدرسين.

٥٤- تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، دار الكتب الإسلامية.

٥٥- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى عام ١٤٠٤، دار الفكر.

٥٦- جامع الأحاديث (الجامع الصغير والجامع الكبير)، جلال الدين السيوطي، طبع عام

١٤١٤، دار الفكر.

٥٧- جامع الأخبار، الشيخ محمد بن محمد السبزواري، طبع عام ١٤١٤، مؤسسة آل البيت

(عليهم السلام).

- ٥٨- جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير، الطبعة الثانية ١٤٠٣ دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٥٩- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى عام ١٤٠١، دار الفكر.
- ٦٠- جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع، على بن موسى بن طاووس، منشورات الرضي.
- ٦١- جوامع الجامع، الفضل بن الحسن الطبرسي، الطبعة الثالثة عام ١٤١٢، إنتشارات جامعة طهران.
- ٦٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الاصفهاني، الطبعة الخامسة عام ١٤٠٧، دار الكتاب العربي.
- ٦٣- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، الطبعة الأولى عام ١٤٠٩، مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام).
- ٦٤- خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، أحمد بن شعيب النسائي، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧، دار الكتاب العربي.
- ٦٥- الخصائص الكبرى، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العربي.
- ٦٦- الخصال، محمد بن عليّ بن بابويه، طبع عام ١٤٠٣، منشورات جماعة المدرسين.
- ٦٧- الدرة النجفية، السيد مهدي بحر العلوم، انتشارات محلاتي.
- ٦٨- الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي، الطبعة الثانية عام ١٤٠٩ دار الفكر.
- ٦٩- درر اللآلي، ابن أبي جمهور، مخطوط.
- ٧٠- دعائم الإسلام، النعمان بن محمد التميمي المغربي، دار المعارف.
- ٧١- الدعوات، قطب الدين الراوندي، طبع عام ١٤٠٧، مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام).
- ٧٢- دلائل الإمامة، أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري، الطبعة الأولى عام ١٤١٣، مؤسسة البعثة.
- ٧٣- دلائل الزهراء، محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير، الطبعة الأولى عام ١٤١٥، نشر مؤسسة الزهراء.
- ٧٤- ديوان ابن الفارض المصري، منشورات الشريف الرضي.
- ٧٥- ديوان الإمام عليّ (عليه السلام)، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، نشر دار ابن زيدون، ومكتبة الكلّيات الأزهرية.
- ٧٦- ديوان أبي الطيب المتنبي، طبع عام ١٤١٤، منشورات الشريف الرضي.

- ٧٧- ذخائر العقبي في مناقب دوي القربي، محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري، طبع عام ١٩٧٤، دار المعرفة.
- ٧٨- الذرية الطاهرة، أحمد بن حماد الأنصاري الدولابي، طبع عام ١٤٠٧، منشورات جماعة المدرسين.
- ٧٩- روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن لأبي الفتوح الرازي، الطبعة الأولى عام ١٣٦٨ مؤسسة النشر للآستانة الرضوية.
- ٨٠- الروضة المختارة (شرح القصائد الهاشميات للكميت، وقصائد ابن أبي الحديد) منشورات الشريف الرضي.
- ٨١- روضة الواعظين، الشهيد الفتال النيشابوري، منشورات الشريف الرضي.
- ٨٢- الرياض النضرة في مناقب العشرة، المحب الطبري، دار الكتب العلمية.
- ٨٣- زبدة المعارف، على أكبر الاصفهاني الإيجي، طبع في اصفهان، توجد عدة نسخ منه في مكتبة آية الله النجفي المرعشي العامة.
- ٨٤- السرائر، ابن إدريس الحلبي، طبع عام ١٤١٠ هـ مؤسسة النشر الإسلامي.
- ٨٥- سعد السعود، رضي الدين علي بن موسى بن طاووس، منشورات الشريف الرضي.
- ٨٦- سنن ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر.
- ٨٧- سنن الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، طبع عام ١٤١٤، دار الفكر.
- ٨٨- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، طبعة حيدر آباد الهند.
- ٨٩- سنن النسائي بشرح السيوطي، دار إحياء التراث العربي.
- ٩٠- سنن أبي داود، دار الفكر.
- ٩١- الشافي في الإمامة، الشريف المرتضى، طبع عام ١٤١٠ هـ مؤسسة الصادق.
- ٩٢- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد المغربي، الطبعة الأولى عام ١٤١٤ دار الثقلين.
- ٩٣- شرح المواقف، علي بن محمد الجرجاني، طبع عام ١٣٢٥، مطبعة السعادة في مصر.
- ٩٤- شرح توحيد الصدوق، القاضي سعيد محمد بن محمد مفيد القمي، الطبعة الاولى عام ١٤١٦، نشر وزارة الثقافة والإرشاد.
- ٩٥- شرح دعاء الصباح، الحاج ملاهادي السبزواري، طبع عام ١٣٧٥ هـ منشورات جامعة طهران.
- ٩٦- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد.
- ٩٧- شرح نهج البلاغة لابن ميثم، طبع عام ١٣٦٢ هـ، مكتب الاعلام الإسلامي.

- ٩٨- الصحاح، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، الطبعة الأولى في القاهرة عام ١٣٧٦، دار العلم للملايين.
- ٩٩- صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧، دار الفكر.
- ١٠٠- صحيح مسلم بشرح النووي، طبع عام ١٤٠٧، دار الكتاب العربي.
- ١٠١- صحيفة الإمام الرضا (عليه السّلام)، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي (عليه السّلام).
- ١٠٢- الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم، عليّ بن يونس النباطي البياضي، نشر المكتبة المرتضوية.
- ١٠٣- صفة الصفوة، أبو الفرج ابن الجوزي، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٥، دار المعرفة.
- ١٠٤- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر الهيتمي، الطبعة الثالثة عام ١٤١٤ دار الكتب العلمية.
- ١٠٥- طب الأئمة، لابني بسطام، منشورات المكتبة الحيدرية في النجف.
- ١٠٦- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، علي بن موسى بن طاووس، مطبعة خيام.
- ١٠٧- عدة الداعي ونجاح الساعي، أحمد بن فهد الحلبي، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧، دار المرتضى، دار الكتاب الإسلامي.
- ١٠٨- العدد القوي لدفع المخاوف اليومية، عليّ بن يوسف بن المطهر الحلبي، منشورات مكتبة السيد المرعشي.
- ١٠٩- علل الشرائع، محمد بن عليّ بن بابويه، طبع عام ١٣٨٥ هـ، دار إحياء التراث العربي.
- ١١٠- عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، ابن البطريق، منشورات جماعه المدرسين.
- ١١١- عوالم العلوم والمعارف والأحوال، الشيخ عبدالله البحراني الاصفهاني، منشورات مدرسة الإمام المهدي (عليه السّلام).
- ١١٢- عوالي اللئالي، محمد بن علي الإحسائي المعروف بابن أبي جمهور، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣، مطبعة سيد الشهداء.
- ١١٣- عيون المعجزات، الشيخ حسين بن عبد الوهاب، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- ١١٤- عيون أخبار الرضا (عليه السّلام)، محمد بن عليّ بن بابويه، طبع عام ١٤١٣، مؤسسة طبع ونشر الآستانة الرضوية.
- ١١٥- غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الآمدي، نشر مكتب الاعلام الإسلامي.

- ١١٦- الغيبة، محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة المعارف الإسلامية.
- ١١٧- الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦، دار الكتب العلمية.
- ١١٨- فرائد السمطين، إبراهيم بن محمد الجويني الخراساني، الطبعة الأولى عام ١٤٠٠، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر.
- ١١٩- الفردوس بمأثور الخطاب، ابن شيرويه الديلمي، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦، دار الكتب العلمية.
- ١٢٠- الفصول المختارة من العيون والمحاسن، الشيخ المفيد، منشورات مكتبة داوري.
- ١٢١- الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة (عليهم السلام)، ابن الصباغ، منشورات مؤسسة الأعلمي للطبوعات.
- ١٢٢- الفضائل لابن شاذان، منشورات الشريف الرضي.
- ١٢٣- فقه الرضا (عليه السلام)، نشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام).
- ١٢٤- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، طبع عام ١٤٠٧، مؤسسة الرسالة.
- ١٢٥- قرب الاسناد، عبدالله بن جعفر الحميري، الطبعة الأولى عام ١٤١٣، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام).
- ١٢٦- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، الطبعة الخامسة عام ١٣٦٣ هـ، دار الكتب الإسلامية.
- ١٢٧- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، الطبعة الحجرية.
- ١٢٨- كتاب العين، خليل بن أحمد الفراهيدي، طبع عام ١٤٠٥، نشر دار الهجرة.
- ١٢٩- كتاب سليم بن قيس الهلالي، طبع عام ١٤٠٧، مؤسسة البعثة.
- ١٣٠- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، جاز الله محمود الزمخشري، طبع في مكتب الإعلام الإسلامي في قم.
- ١٣١- كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن عيسى الأربلي، دار الأضواء.
- ١٣٢- الكشكول فيما جرى على آل الرسول، السيد حيدر الآملي، منشورات الشريف الرضي.
- ١٣٣- كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر، علي بن محمد الخزاز القمي، طبع عام ١٤٠١، إنتشارات بيدار.
- ١٣٤- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، محمد بن يوسف الكنجي، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٤، دار إحياء تراث أهل البيت.
- ١٣٥- كلمات مكنونة من علوم أهل الحكمة والمعرفة، محمد محسن الفيض الكاشاني، مؤسسة إنتشارات فراهاني.
- ١٣٦- كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي بن بابويه، منشورات جماعة المدرسين.

١٣٧- كنز العرفان في فقه القرآن، المقداد بن عبدالله السيوري، طبع عام ١٣٨٤ ق، نشر مكتبة المرتضوية.

١٣٨- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال علاء الدين علي المتقي الهندي، طبع عام ١٣٩٩، مؤسسة الرسالة.

١٣٩- كنز الفوائد، محمد بن علي الكراجكي، منشورات مكتبة مصطفى.

١٤٠- لسان العرب، ابن منظور، الطبعة الاولى عام ١٤٠٨، دار إحياء التراث العربي.

١٤١- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى عام ١٤١٦، دار الكتب العلمية.

١٤٢- مثير الأحزان، ابن نما الحلبي، طبع عام ١٤٠٦ مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام).

١٤٣- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، منشورات دار مكتبة الحياة.

١٤٤- مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، الطبعة الثانية عام ١٤٠٦، مؤسسة

الرسالة.

١٤٥- المحاسن، أحمد بن محمد البرقي، الطبعة الأولى عام ١٤١٣، المجمع العالمي لأهل البيت

(عليهم السلام).

١٤٦- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الاصفهاني منشورات الشريف

الرضي.

١٤٧- المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، الفيض الكاشاني، منشورات جماعة المدرسين.

١٤٨- مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلبي، منشورات المطبعة الحيدرية في

النجف.

١٤٩- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، الطبعة الأولى

عام ١٤٠٥، دار الفكر.

١٥٠- مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني، الطبعة الأولى عام ١٤١٣، مؤسسة المعارف

الإسلامية.

١٥١- مرآت العقول في شرح أخبار آل الرسول، العلامة المجلسي، دار الكتب الإسلامية.

١٥٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي، طبع عام ١٤٠٦ هـ، دار الهجرة.

١٥٣- المسائل السروية، محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد، طبع ضمن مصنفات الشيخ

المفيد.

١٥٤- مسالك الافهام في شرح شرائع الاسلام، زين الدين بن علي العاملي (حجري).

١٥٥- المستدرک على الصحيحين، محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، الطبعة الأولى عام

١٤١١، دار الكتب العلمية.

- ١٥٦- مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧، مؤسسة آل البيت (عليهم السّلام) لإحياء التراث.
- ١٥٧- مسند أحمد بن حنبل، الطبعة الثانية عام ١٤١٤، مؤسسة التاريخ العربي - دار إحياء التراث العربي.
- ٥٨- مسند عليّ بن أبي طالب (عليه السّلام)، جلال الدين السيوطي، طبع عام ١٤٠٥، حيدرآباد.
- ١٥٩- مسند فاطمة الزهراء (عليها السّلام)، جلال الدين السيوطي، طبع عام ١٤٠٦، المطبعة العزيزية حيدر آباد الهند.
- ١٦٠- مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين (عليه السّلام)، الحافظ رجب البرسي، منشورات الشريف الرضي.
- ١٦١- مشكاة الأنوار، أبو حامد الغزالي، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة عام ١٣٨٣ هـ.
- ١٦٢- مشكاة المصابيح، محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٥، المكتب الإسلامي.
- ١٦٣- مصابيح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، الطبعة الأولى عام ١٤٠٧، دار المعرفة.
- ١٦٤- مصباح الأنوار، هاشم بن محمد (مخطوط).
- ١٦٥- مصباح الزائر، عليّ بن موسى بن طاووس، الطبعة الأولى عام ١٤١٧، مؤسسة آل البيت (عليهم السّلام).
- ١٦٦- مصباح المتجّد، محمد بن الحسن الطوسي، الطبعة الأولى عام ١٤١١، مؤسسة فقه الشيعة.
- ١٦٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن عليّ المقري الفقيومي، منشورات دار الهجرة.
- ١٦٨- مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، الإمام الخميني (قدّس سرّه)، مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني (رحمه الله).
- ١٦٩- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، كمال الدين بن طلحة، (الطبعة الحجرية).
- ١٧٠- المعارف، ابن قتيبة عبدالله بن مسلم، طبع عام ١٤١٥، منشورات الشريف الرضي.
- ١٧١- معاني الأخبار الشيخ محمد بن عليّ بن بابويه، طبع عام ١٣٧٩، منشورات جماعة المدرسين.
- ١٧٢- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، دار إحياء التراث العربي.
- ١٧٣- المغرب في ترتيب المعرب، ناصر بن عبد السديد بن عليّ المطرزي الخوارزمي، طبعة حيدر آباد دكن.

١٧٤ - مفردات ألفاظ القرآن في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، المكتبة المرتضوية.
 ١٧٥ - مقاتل الطالبين، أبو الفرج الاصفهاني، طبع عام ١٤١٤، منشورات الشريف الرضي.
 ١٧٦ - مقاتل الطالبين، أبو الفرج الاصفهاني، منشورات الشريف الرضي.
 ١٧٧ - مقام الفضل، محمد علي الاصفهاني البههاني، طبعة حجرية.
 ١٧٨ - مقتطفات ولائية، آية الله العظمى الشيخ وحيد الخراساني، الطبعة الأولى عام ١٤١٦، مؤسسة الإمام.

١٧٩ - مقتل الحسين، الموفق بن أحمد الخوارزمي، منشورات مكتبة المفيد.
 ١٨٠ - مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل الطبرسي، منشورات الشريف الرضي.
 ١٨١ - الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الطبعة الثالثة عام ١٣٩٥، دار المعرفة.
 ١٨٢ - الملهوف على قتلى الطفوف، علي بن موسى بن طاووس، طبع عام ١٤١٤، نشر دار الاسنوة.

١٨٣ - المناقب، الموفق بن أحمد الخوارزمي، منشورات جماعة المدرسين.
 ١٨٤ - مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، مؤسسة إشارات علامه.
 ١٨٥ - مناقب علي بن أبي طالب، ابن المغازلي، الطبعة الثانية عام ١٤٠٢، المكتبة الإسلامية.
 ١٨٦ - منتهى المطلب، الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي (حجرية).
 ١٨٧ - مهج الدعوات ومنهج العبادات، علي بن موسى بن طاووس، طبع عام ١٤١١، منشورات دار الذخائر.

١٨٨ - الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين.
 ١٨٩ - نظم درر السمطين، محمد بن يوسف الزرندي الحنفي المدني المتوفي عام (٧٥٠) تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني، طبعة القضاء النري.
 ١٩٠ - نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، الشيخ مؤمن الشبلنجي، منشورات الشريف الرضي.

١٩١ - النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، طبع عام ١٣٦٤ هـ، مؤسسة إسماعيليان.
 ١٩٢ - نهج الحق وكشف الصدق، الحسن بن يوسف المطهر الحلبي، طبع عام ١٤١٤، دار الهجرة.
 ١٩٣ - الوافي، المولى محسن الفيض الكاشاني، الطبعة الأولى عام ١٤٠٦، مكتبة الإمام أمير لمؤمنين (عليه السلام).

١٩٤ - وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، دار إحياء لترات العربي.

١٩٥ - الهداية الكبرى، أبو عبدالله الخصبي، طبع عام ١٤٠٦، مؤسسة البلاغ.
 ١٩٦ - ينابيع المودة، سليمان بن إبراهيم القندوزي، منشورات الشريف الرضي.

فهرس المواضع

لمحة عن حياة المؤلّف	٥
إسمه ونسبه:	٥
حياته العلمية:	٥
أقوال أصحاب التراجم في حقّه:	٦
أولاده وذرائه:	٧
آثاره وتأليفاته:	٧
شعره وأدبه:	١٠
وفاته:	١٧
منهج التحقيق:	١٧
بعض فضائل خديجة الكبرى	٢٢
بعض فضائل الزهراء (عليها السّلام)	٢٣
عدم جواز الفصل بين النبي والآل	٢٧
الفرق بين أولاد فاطمة وغيرهم	٣٢
«تتميم»: الكلام في أنّ ولد البنت ولدٌ	٣٦
كلام ابن أبي الحديد في الحسنين	٤٢
الكلام في بعض فضائل الزهراء (عليها السّلام)	٤٣
تتميم الكلام في بعض فضائل الزهراء (عليها السّلام):	٥٢
ذكر المقامات الأربعة للمعصومين	٦٢
فصل: في أنّ علياً نفس رسول الله	٦٦
«تمهيد مقال لبيان حال»	٧١

- ٧٧ صور الوضع اللفظي
- ٨٤ في طهارة دم المعصومين
- ٩١ الأخبار الدالة على طهارة دم المعصوم
- ٩٦ فصل في أسماء فاطمة الزهراء (عليها السلام)
- ٩٦ الأخبار في تسميتها بفاطمة
- ١٠٥ الأخبار في تسميتها بالزهراء
- ١١٤ الأخبار في تسميتها بالانسية الحوراء
- ١١٨ الفرق بين الملك والجن والشيطان
- ١٢٣ في كونها (عليها السلام) أم أبيها
- ١٢٨ في وجه تكنية الحسين (عليه السلام) بأبي عبد الله
- ١٣٢ سائر ألقابها وكنائها (عليها السلام)
- ١٣٢ في تسميتها ببضعة الرسول
- ١٤٥ في تسميتها بمشكاة الضياء وفي تفسير آية النور
- ١٥٢ تفصيل في بيان التمثيل:
- ١٦١ تتميم الكلام بكلام أربعة نفر من الأعلام:
- ١٧٠ تحقيق من المصنف
- ١٧٨ في تسميتها (عليها السلام) بسيدة النساء
- ١٨٦ في تسميتها (عليها السلام) بأم الأئمة
- ١٩٦ في تسميتها (عليها السلام) بالمحدثة
- ٢٠٢ في تسميتها (عليها السلام) بالبتول
- ٢٠٤ تكميل: في باقي أسمائها (عليها السلام)
- ٢٠٧ في بيان القواطع
- ٢٠٩ فصل في فضائل الأئمة (عليهم السلام)
- ٢٢٨ فصل في ولادة الزهراء (عليها السلام)
- ٢٣١ في فضائل خديجة سلام الله عليها
- ٢٣٤ في تاريخ ولادة الزهراء (عليها السلام) ومدة عمرها

٢٣٥	تتميم: في خصائصها وبعض معجزاتها
٢٣٨	عقد مفصل بالشذور في عقد النور من النور:
٢٣٨	فصل: في خطبتها (عليها السلام)
٢٤٥	فصل: في تزويجها في السماء
٢٥٣	فصل: في تزويجها في الأرض
٢٦٢	فصل: مجيء الأصحاب بالتحف والهدايا
٢٨٠	فصل في أولاد فاطمة (عليها السلام)
٢٨٥	فصل في نقش خاتمها وأدعيتها (عليها السلام)
٢٩٣	فصل وأما الكلام في ذكر فذك والعوالي وغصبها عنها
٣٠٥	فصل: العلة في غصب فذك والعوالي
٣١٠	فصل في ذكر احتجاجات فاطمة (عليها السلام)
٣١٨	مصادر الخطبة الشريفة
٣٢٢	دفع إشكاليين
٣٢٧	الشروع في شرح الخطبة
٣٢٨	في معنى الإجماع
٣٣٩	كتاب تبّع اليمن إلى النبي (صلى الله عليه وآله)
٧٤٩	فصل الأخبار في دعوى فذك
٧٧٠	الفصل الأول
٧٨٥	الفصل الثاني
٨٢٦	دفع إشكاليين:
٨٤٧	«تنبيه»
٨٥١	في بيان حالات الزهراء (عليها السلام) ووفاتها
٨٩٤	خاتمة «في تظلمها يوم القيامة وكيفيّة مجيئها إلى المحشر»
٩٠٤	فهرس المصادر
٩١٧	فهرس المواضيع